مكتبة الدراسات القرآنية

مُعْتَرَكُ الأقْرَانِ
فى
إعْجَازِ القُرْآنِ

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي

تحقيق
على محمد البجاوي

القِسْمُ الثّانِي

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى



حرف التاء المثناة

(تلقى[1] آدمُ) : أي أخذ ، وقبل ؛ على قراءة الجماعة . وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات ؛ فتلق على هذه من اللقاء .

(توّاب) : من أسماء الله . والتوّاب من العبْد : كثير التوبة .

(تاب) ، إذا رجع . وتاب الله على العبد : ألهمه التوبة ، أو قبل توبتَه .

(تَجْزِى) : تقضى وتُغْنِى . ومنه[2] : «لا تَجْزِى نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئاً» . يقال جزاه فلان دَيْنَه إذا قضاه . وتجازى فلان دَيْن فلان : أى تقاضاه . والمتجازى : المتقاضى .

(تَغْلُون) : تفرطون .

(تنسون) : تتركون .

(تَلْبِسُون[3]) : تخلطون .

(تَعْثَوْا) : تفسدوا .

(تَعْقِلون) العاقل الذى يحبس نفسَه ويردها عن هواها . ومن هذا قولهم : اعتقل لسان فلان ؛ إذا حبس ومنع من الكلام .

(تَسْفِكُون) : تصبّون .

---

(١) الأنعام : ٣٧ (٢) البقرة : ٤٨ (٣) آل عمران : ٧١

(تَظَاهَرُونَ[1]) : تتعاونون .

(تقتلون أنفُسكم) فى هذا وفيما بعدها جاء مضارعا مبالغة ؛ لأنه أُريد استحضاره فى النفوس ، أو لأنهم حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، لولا أن الله عَصَمه . وضمير هذه الآية لقُرَيظة ؛ لأنهم كانوا حلفاء الأوس ، والنَّضير حلفاء الخزرج ، وكان كلٌّ فريق يقاتل الآخر مع حلفائه ، وينفيه من موضعه إذا ظفر به .

(تَهْوَى أنفُسكم[2]) ، أى تميل . ومنه[3] : « أفرأيتَ مَنِ اتَّخَذَ إلهَهُ هَوَاه » ، أى ما تميل إليه نفسه .

(تشابهت قلوبُهم[4]) الضمير للذين لا يعلمون والذين من قبلهم ، وتشابُهُ قلوبهم فى الكفر ، وفى طلب ما لا يصح أن يُطْلَب ؛ وهو قولهم يكلِّمنا الله .

(تصريفِ الرياح[5]) : تحويلها من حال إلى حال جنوبا وشمالا من كل (ما انصب من الرمال) وما بينها بصفات مختلفة ، فمنها ملقحة للشجر ، وعقيم وصر ، وللنصر والهلاك ، كأنه تعالى يقول : خلقت الخفاش من الريح ، وحفظت ملك سليمان فوق الريح وأهلكت قوم عاد بالريح ، ولقحت الشجر بالريح ، ونحت ورقها بالريح .

ونظيره : أخرجت ناقة صالح من الحجر ، وأدخلت ولدها فى الحجر ، وأهلكت قوم لوط بالحجر .

ونظيره : خلقتُ إبليس من النار ، وحفظت إبراهيم فى النار ، وعذّبت الكفار فى النار .

---

(١) البقرة : ٨٥ (٢) البقرة : ٨٧ (٣) الجاثية : ٢٣

(٤) البقرة : ١٨ (٥) البقرة : ١٦٤

ونظيره : خلقت آدمَ من التراب ، وحفظتُ أصحاب الكهف فى التراب ، وأهلكت قوم عاد بالتُّراب ، كلّ ذلك إشارة لكم أنه ملك قادر وصابر قاهر .

(تَهْلُكَة[1]) : هلاك . قال أبو أيوب الأنصارى : المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد . وقيل : لا تتركوا النفقة فى الجهاد خوف العَيْلة[2] ، وقيل : لا تقنَطوا من القربة . وقيل : لا تقتحموا المهالك .

(تَرَبُّص[3] أربعةِ أشهُر) : أى تمكث . والآية فى الإيلاء ، إلا أنَّ مالكا جعل مدة العبْد شهرين ، خلافاً للشافعى . ويدخل فى إطلاق الإيلاء اليمين بكل ما يلزم عنه حكم ، خلافاً للشافعى فى قصره الإيلاء على الحلف بالله ؛ ووجهُه أنها اليمين الشرعية . ولا يكون مُوليا عند مالك والشافعى إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر . وعند أبى حنيفة أربعة أشهر فصاعدا . فإذا انقضت الأربعة الأشهر وقع الطلاقُ دون توقيف . ولفظُ الآية يحتمل القولين .

(تختَانُونَ[4] أنفُسَكم) : أى تأكلون وتجامعون بعد النوم فى رمضان .

(تَعْضُلُوهنّ) : تمنعوهن من التزويج . وأصله من عضلت المرأة إذا نشب ولدُها فى بطنها وعند خروجه .

(تَيَمَّمُوا) : أى تقصدوا الردىء للنفقة .

(تَسْأَمُوا) : تملّوا من الكتابة إذا ترددت وكثُرت ، سواء كان الحق صغيراً أو كبيراً .

(تَرْتَابُوا) : تشكّوا .

---

(١) فى سورة البقرة : ١٩٤ : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة .

(٢) العيلة : الفقر . (٣) البقرة : ٢٢٦ (٤) البقرة : ١٨٧

(توراة) معناه الضياء والنّور .

(تأويل) : مصير ومَرْجع وعاقبة . يقال فلان تأوّل الآية ؛ أى نظر إلى ما يؤولُ معناها إليه .

وقد قدمنا[1] الأخبار عن انفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن وذَمّه لمن طلب عِلْمَ ذلك من الناس ؛ وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته .

(تَخْلُقُ[2] من الطِّين) ؛ أى تقدّر ؛ يقال لمن قدر شيئا فأصلحه قد خلقه ، فأما الخَلْق الذى هو الإحداث فهو لله وحــــده . قيل إن عيسى لم يخلق غير الخفاش .

(تَقْوى) : مصدر مشتقٌّ من الوقاية ، فالتاء بدل من واو ، ومعناه الخوف، والتزام طاعةِ الله ، وتَرْكُ معاصيه ؛ فهو جِماعُ كلِّ خير .

(تَهِنُوا) : تضعفوا ، وفيه تقوية للمؤمنين .

(تفرّقوا) ، من الفرقة ، وهى القطيعة ، فنهى المؤمنين عن **التقاطــــع** إذ كان الأوس والخَزْرَجُ يقتتلان لما رأى اليهود إيقاعَ الشر بينهم .

(تمنَّوْن[3] الموت) ، من التمنّى . وخُوطب به قوم فاتتهم غزوةُ بَدْرٍ فتمنّوْا حضورَ قتالِ الكفار مع النبى صلى الله عليه وسلم ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد ؛ فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد ، وهو سبب الموت .

فإن قلت : قد صح النهى عن تمنّى لقاء العدو .

---

(١) صفحة ٨٥ (٢) المائدة : ١١٣ (٣) آل عمران : ١٤٣

فالجواب : إنما نهى عن تمنّى لقائهم مع العدد القليل ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : وسَلُوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا للقائهم ، وتمنّوا الشهادة فى سبيل الله لنُصْرَةِ دينه .

(تَحُسُّونَهم[1]) : تقتلونهم قتلا ذَرِيعاً ، يعنى فى أول الأمر .

(تنازَعْتُم) ، يعنى وقع التنازع بين الرُّماة ؛ فثَبت بعضُهم كما أُمِروا ، ولم يثبت بعضهم ، فعفا الله عنهم بفضله ورحمته .

(تعُولوا) : تميلوا . وفى الآية[2] إشارة إلى الاقتصار على الواحدة . والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن تَعُولوا . وقيل : يكثر عيالكم ؛ وهذا غير معروف فى اللغة .

(تَغْلُوا[3] فى دينكم) : تجاوزوا الحدّ ، وترتفعوا عن الحق ؛ وهذا الخطاب للنصارى ؛ لأنهم غلوا فى عيسى حتى قالوا ابن الله .

(تَسْتَقْسِمُوا[4]) : تستفعلوا ، وهو طلبُ ما قسم له ، وذلك أنهم كانوا يكتبون على الأزلام — وهى السِّهام — على أحدها : افْعَلْ ، وعلى الآخر : لا تَفْعَلْ ، والثالث مهمل ؛ فإذا أراد الإنسان أن يفعل أمراً جعلها فى خريطة ، وأدخل يده وأخرج أحدها ؛ فإن خرج الذى فيه « افعل » فعل ، وإن خرج الذى فيه « لا تفعل » تركه ، وإن خرج المهمل أعاد الضرب . ومن هذا المعنى أخذ الفأل فى المصحف والقرعة وزَجْر الطير ، ونحوها مما لا يجوز فعله . وقد شدَّدَ ابن العربى[5] فى النظر فى شىء منها حتى جعلها من الكفر والعياذ بالله ، مستدلا بالآية[6] : « ذلكم فِسْقٌ » . وإنما حرّمه الله وجعله فِسقاً لأنه دخول فى علم

---

(١) آل عمران : ١٥٢ (٢) النساء : ٣ (٣) النساء : ١٧١
(٤) المائدة : ٣ (٥) أحكام القرآن : ٢ـ٥٤٣ (٦) المائدة : ٣

الغيب الذى انفرد الله به ، فهو كالكهانة وغيرها لما يُرام به من الاطلاع على الغيوب .

(تَنْقِمُون[1] منّا) : أى تُنكرون منّا إلا إيماننا بالله ، وبجميع كتبه ورسله ؛ وذلك أمر لا ينكر ولا يُعاب . ونزلت الآية بسبب أبى ياسر[2] ابن أخطب ، ونافع بن أبى نافع ، وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرسل الذين يُؤْمن بهم ، فتلا آمنا بالله وما أنزل إلينا . . . إلى آخر الآية . فلما ذكر عيسى قالوا لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به .

(تبُوء بإثمى وإثمك[3]) ، أى تنصرف بإثمى إذ قتلتنى ، وإثمك الذى من أجله لم يتقبل قُرْبانك . أو بإثم قتلك لو قتلتك ، وبإثم قتلك لى . وإنما تحمّل القاتل الإثمين لأنه ظالم ، فذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : المستبان ما قالا فهو على البادى . وقيل بإثمى ؛ أى تحمل على سائر ذنوبى ؛ لأن الظالم تحمل عليه فى يوم القيامة ذنوب المظلوم .

(تُصغى) : تميل . ومنه[4] : « قد صَغَتْ قلوبُكما » .

(تلقف[5]) ، وتلقم وتلهم بمعنى تبتلع . ويقال : تلقفه والتقفه ، إذا أخذه أخذاً سريعاً . وروى أن الثعبان أكَلَ ما صوَّروا من كذبهم ، ملء الوادى ، من حبالهم وعصيِّهم ، ومدَّ موسى يده إليه فصار عصاً كما كان ، فعلم السحرةُ أن ذلك ليس من السِّحْر ، وليس فى قُدْرة البشر ؛ فآمنوا بالله وبموسى عليه السلام .

---

(١) المائدة : ٥٩ (٢) فى القرطبى : أبو ياسر أخطب .

(٣) المائدة : ٢٩ (٤) التحريم : ٤

(٥) الأعراف : ١١٧ ، طه : ٦٩ ، الشعراء : ٤٥

(تجلّى) ، أى ظهر وبان ، أما تجلّى الرب للجبَل فإنما كان ذلك لأجل موسى؛ لأنه سأل رُؤيته ، فقال له : لا تطيق ذلك ، ولكن سأتجلّى للجبل الذى هو أقوى منك وأشد ، فإن استقر وأطاق الصّبْر لرؤيتى ولِهَيْبَتِي أمكنَ أنْ ترى أنتَ ، وإن لم يُطِقْ فأحرى ألاّ ترى أنتَ ، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالا لموسى . وقال قوم : المعنى سأتجلى لك على الجبل ؛ وهو ضعيف ، يبطله قوله[1] : « فلما تجلّى رَبُّهُ للجبل » .

ورُوى أن طائرين ذكراً وأنثى كانا فى الجبل ، فلما سمعا طلبَ موسى الرؤيةَ قال لها الذَّكَر : نَفِرُّ من هذا الجبل ، لأنَّا لا نقدر على رؤية الحق . فقالت له : تستقر فيه لتنفوس حظ الولا يتعكون لنا فَخْرٌ على سائر الطيور . فقال لها الذكر : إذاً فيكون ذلك لك . فلما تجلى الحقُّ للجبل تفتّتَ حتى صار غُباراً وانخسف فى الأرض ، وأفضى إلى البحر ؛ ولهذا كان رأى الأنثى فاسداً ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : شاوِرُوهنّ وخالفوهن .

(تأذَّن[2] رَبّك) : أعلم . وتَفَعّل يأتى بمعنى أفعل ؛ كقولهم أوعدنى وتوعّدنى .

(تَغَشّاها) : علاها بالنكاح . فسبحان مَنْ خاطب العرب بلغاتهم ؛ إذ كانوا يتصرّفون بالتسمية لمسمى واحد، كالجماع ؛ فتارة كنى عنه سبحانه بالسر والقُرْب والنكاح .

وكانوا يوسعون فى التسمية لاختلاف أحواله بأسماء ، كتسمية طِفْلِ بنى آدم ولدا ، ومن الخيل فَلُوّاً[3] ومُهْرا ، ومن الإبل ولد الناقة فصيلا ، ومن البقر عجلا

---

(١) الأعراف : ١٤٢

(٢) الأعراف : ١٦٦

(٣) كعدو .

ومن الغنم سَخْلة ، ومن الأرنب خِرْنِقاً ، ومن الغزال خِشْفا ، ومن الكلب جِرْوا[١] ؛ إلى غير ذلك .

وبدأ تلوّثت بلحم غَمِرة ، وبطين لَثِقَة ، وبطيب عَبِقة ، وبوسخ وضَرِة ، إلى غير ذلك .

وكطعنته بالرمح ، وضربته بالسيف ، ورميته بالسهم ، ووكَزْتُه بالعصا وباليد، وَرَكَلته بالرِّجل ؛ إلى غير ذلك .

ويدل على اتّساع اللغة وكثرة فنونها[٢] أنهم قد جعلوا بألفاظها شبهاً بمعنى ، فقالوا : حَلَا ، ولما كثُرتْ حلاوته احْلَوْلَى ، وللخشن إذا زادت خشونته اخشَوْشَن . وللثوبِ خلق إذا زاد رثاثةً اخلَوْلَق . وللحائط مَيْل[٣] — بإسكان وسطه ليكون ميله ثابتاً ، وحرّكوه فيما يتحرك كشجرة مَيَل ، وكالنَزَوَان وكالرَّمَلان والغَلَيان ليشبه لفظه معناه .

وبدائعُ اللغة كثيرةٌ ، وحكمها وإعجازها في القرآن ، ولا يحيط بجميعها إلا نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

(تَصْدِيَة[٤]) : تَصفيق بإحدى يديه على الأخرى ، فيخرج بينهما صوتٌ ؛ وكانوا يفعلونها عند البيت إذا صلّى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم .

(تفشَلوا[٥] وتذهب رِيحُكُمْ) : تجبُنـــوا وتذهب دولتكم ؛ وهو استعارة .

---

(١) مثلثة — صغير كل شيء . (٢) في ا : فنونه وقد .

(٣) في القاموس : والميل — محركة : ما كان خلقة ، وقد يكون في البناء .

(٤) الأنفال : ٣٥ (٥) الأنفال : ٤٧

(تَثْقَفَنَّهم[1] في الحَرْب) : تظفر بهم ؛ والضمير عائد على بني قُرَيظة لأنهم نقضوا العهد .

(تَفْتِنِّي[2]) ؛ أي تؤثمني . وقائل هذه المقالة الجَدّ بن قَيْس ؛ وكان من المنافقين لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غَزوة تبُوك ؛ فقال : إئذن لي في القُعود ولا تَفتنِّي برؤية بني الأصفر ؛ فإني لا أصبر على النساء .

(تَزْهَقَ أنفُسهم[3]) ؛ أي تهلك ، وهذا إخبار بأنهم يموتون على الكفر .

(تَزِيغُ[4] قُلُوبُ فَرِيقٍ منهم) ؛ أي تميل عن الحقّ . وهذا الضمير راجع إلى من اتّبعه صلى الله عليه وسلم في غزوة العُسْرة لما رأوا من الضّيق والمشقّة ، فتاب الله عليهم عما كانوا يفعلون فيه .

(تَفِيض مِنَ الدمْعِ[5]) ؛ أي تبكي وتسيل أعيُنهم بالدموع حين قال لهم صلى الله عليه وسلم : لا أجد ما أحملكم عليه في غزوة تبُوك . وفي هذا مدح لبني مُقرن . وقيل سبعة نَفَر مِنْ بطون شتّى ، ويكفيك وصفهم بالإحسان ونُصْحهم لله ولرسوله .

(تَبْلُو) : تختبر ما قدمت من الأعمال . وقرىء تتلو — بتاءين ، بمعنى تتبع ؛ أو تقرؤه في المصاحف .

(تَغْنَ بالأمْس[6]) : تعمر . والمغاني : المنازل التي يعمرها الناس بالنزول .

(تَرْهقُهم) : تغشاهم . والضمير للذين كسبوا السيئات فلا يعصمهم أحد من عذاب الله . ومنه قولهم : غلام مُرَاهِق[7] ؛ أي غشى الاحتلام .

---

(١) الأنفال : ٥٨ (٢) التوبة : ٤٩ (٣) التوبة : ٥٥
(٤) التوبة : ١١٧ (٥) التوبة : ٩٣ (٦) يونس : ٢٤
(٧) في أساس البلاغة : غلام مراهق : مدان للحلم .

(تَبْدِيل[١]) : تغيير الشيء عن حاله ، والإبدال جعل الشيء بمكان شيء . وقد استدل ابن عُمر بهذه الآية على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدِّله .

(تَخْرُصون[٢]) : تحدسون وتحزرون .

(تَلْفِتَنا) ، أي تصرفنا وتردّنا عن دين آبائنا .

(تَزْدَرِي[٣] أعْيُنكم) ، أي تحتقر . والمراد من قولك زريت على الرجل عبته . والضمير في « لكم[٤] » عائد على ضعفاء المؤمنين .

(تَتْبِيب[٥]) : تخسير ؛ أي كلما دعوتكم إلى هذا ازددتم تكذيباً ، فزادت خسارتكم .

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جُبير في قوله[٦] : « وليُتَبِّروا ما عَلَوْا تَتْبِيرا » . قال : تبره بالنبطية .

(تَرْكَنُوا) ؛ أي تركنوا إليهم وتسكنوا إلى كلامهم . ومنه قوله[٧] : « لقد كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شيئاً قليلا » . وفي الحديث : يُجاءُ بالظلمة ومَنْ برى لهم قلما أو ألاَن لهم دواة فيلقون في توابيت مِنْ نارٍ فيلقى بهم في النار .

وانظر كيف عطف عدمَ نصرتهم بثم لبُعْد النصرة ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون على عدم نصرتنا لدين الله وشرَهنا لموالاة الظلمة ، وجمعنا لجِيَفهم كالكلاب الشره لها ، ولم تعلموا أنه كالنفط في جوف خشبة الجسم ، فإذا هبَّتْ عواصفُ المنون التهب وفات التدارك ، اللهم إنا عاجزون عن إصلاح أنفسنا ، فمنّ علينا

---

(١) يونس : ٦٤ (٢) الأنعام : ١٤٨ (٣) هود : ٣١

(٤) في الآية نفسها : ولا أقول لكم عندي خزائن الله ...

(٥) هود : ١٠١ (٦) الإسراء : ٧ (٧) الإسراء : ٧٤

بهداية تجبر بها حالنا المظلمة ، لأنك لا تحب الظالمين ، ورحمتك قريب من المحسنين .

(تَعْبُرُون[1]) ؛ أي تعرفون تأويل الرؤيا ، يقال عبرت الرؤيا — بتخفيف الباء . وأنكر بعضهم التشديد ، وهو مسموع من العرب .

(تأويل الأحاديث) : تفسير الرؤيا .

(تركْتُ[2] مِلَّةَ قَوْمٍ) ؛ أي رغبت عنها . والتركُ على ضربين : أحدها — مفارقة ما يكون الإنسان عليه . والآخر — ترك الشيء رغبة عنه من غير دخول كان فيه . و يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله من قوله : علمني ربي . أو يكون استئنافاً .

(تَبْتَئِس) : تحزن ؛ وهو من البؤس .

(تَفتأ) : أي لا تفتأ[3] ؛ والمعنى لا تزال . وحذف حرف النفي ؛ لأنه تلبس بالإثبات ، لأنه لو كان إثباتاً لكان مؤكداً باللام والنون .

(تثريب) ؛ أي تعيير وتوبيخ . والمراد عفو جميل . وقوله « اليوم » راجع إلى ما قبله ، فيوقف عليه ؛ وهو يتعلق بالتثريب ، أو بالمقدّر في «عليكم» من معنى الاستقرار . وقيل : إنه يتعلق بيغفر ؛ وذلك بعيد ؛ لأنه تحكّم على الله ، وإنما يغفر دعاء ، فكأنه أسقط حق نفسه بقوله[4] : « لا تَثريبَ عليكم اليوم » ، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه .

(تَحَسَّسُوا) — بالمهملة والمعجمة : طلبُ الشيء بالحواس السمع والبصر ؛

---

(١) يوسف : ٤٣ (٢) يوسف ٣٧ (٣) يوسف : ٨٥
(٤) يوسف : ٩٢

أى تعرفوا خَبَرَ يوسف وأخيه ، وإنما لم يذكر الولد الثالث لأنه بقى هناك اختياراً منه ، لأن يوسف وأخاه كانا أحبَّ إليه .

(تَيْئَسُوا) : تقنطوا .

(تَغِيض[1] الأرحام وما تَزْدَاد) ؛ أى تنقص . وتزداد من الزيادة ، فقيل : إن الإشارة إلى دم الحيض ، فإنه يقل ويكثر . وقيل للولد ؛ فالغيض السقط أو الولادة لأقل من تسعة أشهر . والزيادة البقاء أكثر من تسعة أشهر . ويحتمل أن تكون « ما » فى قوله ما تحمل وما تغيض وما تزداد موصولة أو مصدرية .

(تَهْوِى[2] إليهم) : تقصدهم بجد وإسراع ؛ ولهذه الدعوة حبّب الله حجَّ البيت إلى الناس ، على أنه قال : « من الناس » بالتبعيض . قال بعضهم : لو قال أفئدة الناس لحجَّته فارس والروم .

(تَسْرَحون) ؛ أى حين تَرُدُّونها بالغداة إلى الرعى .

(وتُرِيحون) حين تردُّونها بالعَشِىِّ إلى المنازل ؛ وإنما قدم[3] تريحون لأن جمال الأنعام بالعشى أكثر ؛ لأنها ترجع وبطونُها ملأى وضروعها حافلة .

(تَمِيد[4]) : تتحرك ، وهو فى موضع مفعول من أجله . والمعنى أنه ألقى الجبال فى الأرض لئلا تميد الأرض . وروى أن الله لما خلق الأرض جعلت تَمُور ، فقالت الملائكة : لا يستقر على ظهرها أحد ، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال .

(تَخَوُّفٍ[5]) فيه وجهان :

أحدها — أنّ معناه على تنقُّص ، أى ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئاً بعد شىء

---

(١) الرعد : ٩ (٢) إبراهيم : ٣٧ (٣) النحل : ٦

(٤) النحل : ١٥ (٥) النحل : ٤٦

حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة ؛ ولهذا أشار بقوله[1] : « فإن ربكم لرءوف رحيم » ؛ لأن الأخذ هكذا أخفّ من غيره . وقد كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أشكل عليه معنى التخوف فى الآية حتى قال له رجل من هُذَيل : التخوف التنقص فى لغتنا .

الوجه الثانى — أنه من الخوف ؛ أى يهلك قوما قبلهم فيتخوَّفوا هُمْ ذلك فيأخذهم بعد أن توقّعوا العذاب وخافوه ؛ وذلك خلاف قوله : وهم لا يشعرون .

(تَقْفُ[2]) المعنى : لا تقل ما لم تعلم من ذمّ الناس ، وشبه ذلك . واللفظ مشتقٌّ من قفوته إذا تبعته .

(تَبْذِيراً) : تفريقاً . ومنه قولهم : بذرت الأرض، أى فرّقت البذر فيها ، أى الحب . والتبذير فى النفقة الإسراف فيها، وتفريقها فى غير ما أحل الله . والإخوة فى قوله[3] : « إخوان الشياطين » للمشاكلة والاجتماع فى الفعل ؛ كقولك : هذا الثوب أخو هذا ، أى يشبهه . ومنه قوله تعالى[4] : « وما نُرِيهم من آية إلاّ هى أكْبَرُ مِنْ أُخْتِها » ؛ أى من التى تشبهها وتُواخيها[6] .

(تَخْرِق[5] الأرض) : تقطعها وتبلغ آخرها . وقيل معناه : لا تقدر أن تشقّ فى جميعها بالمشى . والمراد بذلك تعليل النهى عن الكبر والخُيَلاء ؛ أى إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خَرْق الأرض ولا على مُطاولة الجبال ، فكيف تتكبَّر وتختال فى مشيك ، وإنما الواجب عليك التواضع .

(تَبِيعاً[7]) ، أى طالباً مطالباً .

---

(١) النحل : ٤٧ (٢) الإسراء : ٣٦ (٣) الإسراء : ٢٦

(٤) الزخرف : ٤٨ (٥) الإسراء : ٣٧ (٦) تطابقها

(٧) الإسراء : ٦٩

(تزاور[1]) : أي تميل و تمور ؛ ولهذا قيل للكذب لأنه أميل عن الحق .

(تقرضهم) : تخلفهم وتجاوزهم ، وهو من القرض بمعنى القطع ، ومعنى هذا أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرها ؛ فقيل : إن ذلك كرامة الله لهم، وخرق عادة . وقيل : كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نعش ، فلذلك لا تصيبهم الشمس . والأول أظهر ؛ لقوله : ذلك من آيات الله . والإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة ؛ وإن كان لكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بالجملة .

(تحسبهم) ؛ أي يظنهم من يراهم أيقاظاً .

(تعدُ عيناك[2]) ؛ أي تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا . قال الزمخشري[3]: عداه إذا جاوزه ، فهذا الفعل يتعدى بنفسه ، وإنما تعدى هنا بعن لأنه تضمن معنى [نبت[4]] عينه عن الرجل إذا احتقره .

(تذروه الرياح[5]) ؛ أي تفرقه . ومعنى المثل تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائه بعد خضرته .

(تخذت) : بمعنى اتخذت ، أي أخذت طعاماً تأكله .

(تنفد) : تفنى[6]. وفي الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى . والكلمات هي المعاني القائمة بالنفس ، وهي المعلومات ؛ فمعنى الآية : لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله ؛ وكذلك لو جيء ببحر مثله ، وذلك أن البحر متناهٍ[7] وعلم الله غير متناه .

---

(١) الكهف : ١٧ (٢) الكهف : ٢٨ (٣) الكشاف : ١ — ٥٦٧

(٤) بياض بالأصل ، أكملناه من الكشاف .

(٥) الكهف : ٤٥ (٦) الكهف : ١١٠ (٧) له نهاية .

(تؤزّهم أزّا[١]) : أي تزعجهم إلى الكفر والمعاصي . والإشارة إلى الكفار ، وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم .

(تجهر) : تعلن . ومنه[٢] : « ولا تجهَرْ بصلاتك » . وأما قوله تعالى[٣] : «وإن تجهَرْ بالقول» ؛ فطابق الشرط جوابه ، كأنه يقول : إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك ؛ لأنه يعلم السر وأخفى .

(تذكرة[٤]) نصب على الاستثناء المنقطع . وأجاز ابن عطية أن يكون بدلا من موضع « لتشقى » ؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله ، ومنع ذلك الزمخشري ؛ لاختلاف الجنسين . ويصح أن ينصب بفعلٍ مضمرٍ تقديره أنزلناه تذكرة .

(تنزيلا) نصب على المصدرية ، والعامل فيه مضمر . وأما أنزلنا في لفظ السورة بلفظ المتكلم في قوله : ما أنزلنا ، ثم رجع إلى الغيبة في قوله تنزيلا ممّن خلق الأرض ... الآية ؛ فذلك هو الالتفات .

(تسعى) : تعمل . ومنه[٥] : « لسعيها راضية » .

(تزر[٦] وازرة وِزْرَ أخرى) : أي لا يؤخذ أحد بذنب أحد .

(تعلو) من العلو ، وهو الكبر والتجبّر .

(تردى[٧]) : تهلك ، وهذا الفعل منصوب في جوابِ « لا يصدنّك » .

(تنيا) : أي تضعفا أو تقصرا . والوني هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها .

---

(١) مريم : ٨٣ (٢) الإسراء : ١١٠ (٣) طه : ٧
(٤) طه : ٣ (٥) الغاشية : ٩
(٦) الأنعام : ١٦٤ ، والزمر : ٧ (٧) طه : ١٦

(تَظْمَأُ) : تعطش .

(تَضْحَى) : تبرز للشمس .

(تَشْقَى) : تتعب . وخص آدم بهذا الخطاب ؛ لأنه كان المخاطب به أولا ، والمقصود بالكلام . وقيل : إن الشقاء فى معيشة الدنيا مختصّ بالرجال .

(تَبْهَتُهُمْ[1]) ، أى تفجؤهم . وهذا الخطاب لمن استعجل القيامة أو نزولَ العذاب . وفى هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ[2]) : أى اختلفوا فيه ، وهو استعارة من جعْل الشىء قطعاً . والضمير لجميع الناس ، أو المعاصرين له صلى الله عليه وسلم . والمعنى إنما بعثت الأنبياء المذكورين بما أمرتُ به من الدين ؛ لأن جميع الرسل متفقين فى العقائد فلم تقطعتم .

(تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ[3]) ، يعنى الزيت . وقرىء تنبت[4] — بفتح التاء ، فالمجرور على هذا فى موضع الحال ؛ كقولك جاء زيد بسلاحه . وقرىء بضم التاء وكسر الباء ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها أن أنبت بمعنى نبت . والثانى حذف المفعول ، تقديره تنبت ثمرتها بالدهن . والثالث زيادة الباء .

(تَتْرَى[5]) وزنه فَعْلَى ، ومعناه التواتر والتتابع ، وهو موضوع موضعَ الحال ؛ أى متواترين واحداً بعد واحد ، فمن قرأه بالتنوين فألفه للالحاق . ومن قرأه بغير تنوين فألفه للتأنيث ولم ينصرف ، [١٠٥ب] وتأنيثه لأن الرسل جماعة . والتاء

---

(١) الأنبياء : ٤٠ (٢) الأنبياء : ٩٣ (٣) المؤمنون : ٢٠

(٤) وهى قراءة حفص . (٥) المؤمنون : ٤٤

الأولى فيها بدل من واو ، وهى فاء الكلمة . ويجوز فى قول القراء أن تقول فى الرفع تترا ، وفى الخفض تترا ، وفى النصب تترا ، الألف بدل من التنوين .

(تَجْأَرُونَ[١]) : ترفعون أصواتكم بالدعاء . ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة أو يكون بلسان الحال .

(تَنْكِصُونَ[٢]) ؛ أى ترجعون إلى وراء ؛ وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهى القرآن .

(تُهْجِرون) : مَنْ قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه تقولون « الهُجْرَ » بضم الهاء ، وهو الفحشاء من الكلام . ومَن قرأ بفتح التاء وضم الجيم فهو من الهَجر بفتح الهاء ؛ أى تهجرون الإسلام والنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين . أو من قولك : هجر المريض إذا هذَى[٣] ؛ أو يقولون اللغو من القول .

(تَلَقَّوْنَهُ بِألسنتكم[٤]) ؛ أى يأخذه بعضكم من بعض . وخاطب بهذا الكلام مُعاتباً لمن خاض فى الإفك ، وإن كانوا لم يُصدِّقوه ؛ فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والترك له بالكلّية ، فعاتبهم على ثلاثة أشياء ؛ وهى تلقّيه بالألسنة ، أى السؤال عنه وأخذه من المسئول . والثانى قولهم ذلك . والثالث أنهم حسبوه هيِّناً وهو عند الله عظيم .

وفائدة قوله بألسنتكم وبأفواهكم الإشارةُ إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب ؛ إذ كانوا لم يعلموا ذلك حقيقة بقلوبهم . وقرىء تُلْقُونه من الإلقاء ، وهو استمرار اللسان بالكذب .

(تبارَكَ) تفاعَلَ ، من البركة ، وهى الزيادة والنماء ، والكثرة والاتساع ؛

---

(١) النحل : ٥٣ (٢) المؤمنون : ٦٦ (٣) يتفوه بكلام لا معنى له

(٤) النور : ١٥

أي البركة تُكتسب وتُنال بذكره . ويقال تبارك تقدّس ، أي تطهّر . ويقال تبارك تعاظم ، وهو فِعلٌ مختص بالله تعالى لم يُنطق له بمضارع .

(تنشقّ السماء) : تتفطّر .

(تغيّظاً[1]) التغيظ : الصوت الذى يُهَمْهِم به المتغايظ ، والتغيظ لا يُسمع ؛ وإنما يُسمع أصوات تدل عليه ، فى لفظه تجوّز .

(تبسّم) التبسم : أول الضحك الذى لا صوتَ له ؛ وتبسّمه كان لأحد أمرين : إما سروره لما أعطاه الله ، أو لثناء الله عليه وعلى جنوده ، فإن قولها : « وهم لا يشعرون » وصفٌ لهم بالتقوى والتحفظ من مضَرّة الجنود .

(تقلّبك فى الساجدين[2]) : معطوف على ضمير المفعول فى قوله « يراك » . والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد . وقيل معناه : يرى صلاتك مع المصلين . وفى ذلك إشارة إلى الصلاة فى الجماعة . وقيل : يرى تقلّب بصرك فى المصلين خَلْفك ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان يرى من وراء ظهره .

(تحتَك) : أى تحت رجليك . وأما قوله[3] : « فناداها مَنْ تحتها » — بفتح الميم وكسرها — فقد اختلف على القراءتين هل هو جبريل أو عيسى ؟ وعلى أنه جبريل قيل : إنه كان تحتها كالقابلة لها . وقيل : كان فى مكان أسفل من مكانها . قال أبو القاسم فى لغات القرآن : فناداها من تحتها؛ أى بطنها بالنبطية . ونقل الكرمانى فى العجائب مثله عن مؤرّج .

(تقاسَموا بالله[4]) : أى حلفوا به . وقيل : إنه فعل ماض ؛ وذلك ضعيف .

---

(١) الفرقان : ١٢ (٢) الشعراء : ٢١٩ (٣) مريم : ٢٤

(٤) النمل : ٤٩

والصحيح أنه فعل[1] مضارع ، والضمير يعود على قوم صالح ؛ أى قال بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه لنقتلنّه وأهله بالليل . وهذا الفعل الذى حلفوا عليه .

(تَأْجُرَنِي[2]) : تكون أجيراً لى . وهذا الخطاب كان من شعيب لموسى عليهما السلام حين زوّجه بنته ، فتوافقا على أن يخدمه ثمانية أعوام . قال مكّى : فى هذه الآية خصائص فى النكاح ؛ منها أنه لم يعين الزوجة ، ولا حدّ أوّل الغاية وجعل المهر إجارة .

وهذا لا ينهض ، لأن التعيين يحتمل أن يكون عند عَقْد النكاح بعد هذه المطالبة وقد قال الزمخشرى[3]: إن كلامه معه لم يكن عَقْدَ نكاح ، وإنما كان مواعدة . وأما ذِكْرُ أوّل الأمد فالظاهر أنه كان من حين العقد .

وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية ، وقرره شرعُنَا حسبما ورد فى الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : قد زوجتكها [١٠٦ ا] بما معك من القرآن ؛ أى على أن تعلّمها ما معك من القرآن .

وقد أجاز النكاحَ بالإجارة الشافعىُّ وابنُ حنبل وابنُ حبيب للآية والحديث ، ومنعه مالك ؛ وقال : هذه قضية عينية .

(تَذُودَانِ[4]) : أى تمنعان الناسَ عن غنمهما . وقيل : تذودان غنمَهما عن الماء حتى يسقِيَ الناس . وهذا أظهر ؛ لقولهما[2] : « لا نَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرِّعَاء » ؛ أى كانت عادتهما لا يستيان غنمَهما إلا بعد الناس ؛ لقوة الناسِ ، أو لضعفهما ، أو لكراهتهما التزاحم مع الناس .

(تَوَلَّى إلى الظل[5]) ، أى جلس فى ظل سَمُرة لشدة ما نزل به من الجوع

---

(١) فى القرطبى : يجوز أن يكون فعلا مستقبلا وهو أمر .

(٢) القصص : ٢٧ (٣) الكشاف : ٢ ـ ١٦٠

(٤) القصص : ٢٣ (٥) القصص : ٢٤

والتعب الذى لحقه فى سَقْى الغنم ؛ وأكثرُ ما يستعمل الذَّوْد فى الغنم والإبل ، وربما استُعْمِل فى غيرها . ويقال : سنذُودكم عن الجهل علينا ؛ أى سنكُفّكم ونمنعكم . وفى حديث الحوض : إنى على الحوض أنتظر مَنْ يرد علىّ منكم فيجىء ناس ويُذادون عنه ، فأقول : يارب ؛ أُمّتى ، أُمّتى ؛ فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ! إنهم ارتدُّوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا همل النعم .

وروى الترمذى عن كعب بن عُجْرة رضى الله عنه، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعيذك بالله يا كعب بن عُجْرة من أمراء يكونون بعدى ؛ فمن غشى أبوابهم فصدّقهم فى كذبهم ، وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ، ولا يَرِدُ على الحوض . ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم فى كذبهم ولم يُعِنْهُمْ على ظلمهم فهو منى وأنا منه ، ويرد على الحوض . يا كعب بن عُجرة ؛ الصلاة برهان ، والصبر جُنّة حصينة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار . يا كعب بن عُجرة ؛ لا يربو لهم نبت من سُحْت[1] إلا كانت النار أولى به .

(تَصْطَلُون) : معناه تستدفئون بالنار من البرد ، ووزنه تفتعلون ، وهو مشتق من صَلِىَ بالنار ، والطاء فيه بدل من تاء .

(تَنُوء بالعُصْبَة[2]) : معناه تثقل . يقال : ناء به الحِمل إذا أثقله . وقيل : معنى تنوء تنهض بتحمّل وتكلف . والوجه على هذا أن يقال إن العُصْبة تنوء بالمفاتح ، لكنه قَلْب ، كما جاء قَلْبُ الكلام عن العرب كثيراً ، ولا يحتاج إلى قَلْبٍ على القول الأول .

(تَفرح) الفرح هنا هو الذى يقود إلى الإعجاب والطغيان . ولذلك قال[1] :

---

(١) ما جنت من المكاسب (٢) القصص : ٧٦

« إنّ اللهَ لا يحبُّ الفَرِحين » ؛ أي الأَشِرين . وأما الفرح بمعنى السرور فيما يجوز فليس بمكروه .

(تَخْلقون إِفْـكاً[1]) هو من الخلقة ، يريد نَحْتَ الأصنام ، فسماه خِلْقَة على وَجْه التجاوز . وقيل : هو من اختلاق الكذب .

(تَتَجافَى جُنُوبُهم[2]) : أي ترتفع . والمعنى يتركون مَضَاجِعهم بالليل من كثرة صلاتهم للنوافل . ومن صلى العشاء والصبح في جماعة فقد أخذ حظّه من هذا إن شاء الله .

(تَطَئُوهَا[3]) هذا وَعْدٌ بفتح أرضٍ لم يكن المسلمون قد وطئوها حينئذ ، وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر ؛ فأورث الله المسلمين جميعَ ذلك وما وراءها إلى أقصى المغرب . ويحتمل عندي أن يريدَ به أرض قُرَيظة ؛ لأنه قال أورثكم بالفعل الماضي ، وهي التي كانوا قد أخذوها . وأما غيرها من الأرضين فإنما أخذوها بعد ذلك ، فلو أرادها لقال يوُرِثكم ؛ وإنما كررها بالعطف ليصفها بقوله : لم تطئوها ؛ أي لم تدخلوها قبل ذلك .

(تَبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهليّةِ الأُولى[4]) : وهو إظهارُ الزينة ، فنهى الله نساءَ النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعلن مثلَ ما كان نساءُ الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرض للنظر ، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام . وقيل الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح . وقيل ما بين موسى وعيسى .

(تناوش[5]) بالواو، والتناول أخوان؛ [١٠٦ ب] إلاّ أنّ التناوش تناوُل سهل[6]

---

(١) العنكبوت : ١٧ (٢) السجدة : ١٦ (٣) الأحزاب : ٢٧

(٤) الأحزاب : ٣٣ (٥) سبأ : ٥٢

(٦) في الكشاف (٢ — ٢٣٦) : تناول سهل لشيء قريب .

لمكان قريب . وقرىء بهمز الولو . ويحتمل أن يكون المعنى واحداً ، أو يكون المهموز بمعنى الطلب .

ومعنى الآية استبعادُ وصولهم إلى مرادهم ، والمكان البعيد عبارة عن تعذُّر مقصودهم ؛ فإنهم يطلبون ما لا يكون ، أو يريدون أن يتناولوا ما لا يكون ، وهو رجوعُهم إلى الدنيا ، أو انتفاعهم بالإيمان حينئذ .

(تَسَوَّرُوا[1]) : نزلوا من ارتفاع ، ولا يكون التسوُّر إلا من فوق . وجاءت هذه القصةُ بلفظ الاستفهام ؛ تنبيهاً للمخاطب ، ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يُلْقِيَ البال لها . وجاء بضمير الجمع لأن المتسوِّر للمحراب اثنان فقط ، ونفس الخصومة إنما كانت بين اثنين ، وأقلُّ الجمع اثنان . ويحتمل أنه جاء مع كل واحد من الخصمين جماعةٌ ، فيقع على جميعهم . والمحراب : الأرفع من القصر أو المسجد ؛ وهو موضع التعبد . وروى أنهما جبريل وميكاييل ، بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود ، وهي نازلة وقع هو في مثلها ، فأفتى بفُتْيَا هي واقعة عليه في نازلته . ولما فهم المراد أناب واستغفر .

(تَوَارَتْ[2] بِالحِجَاب) : الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذِكْرُها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، وذكرُ العشيّ يقتضيها . والمعنى حتى غابت الشمس . وقيل الضمير للخيل . والمعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها . والأول أظهر وأشهر .

(تَرَكْنَا عليهِ في الآخِرين[3]) ، يعني أبقينا له ثناء جميلا في الناس إلى يوم القيامة .

---

(١) ص : ٢١ (٢) ص : ٣٢
(٣) الصافات : ٧٨ ، ١٠٨ ، ١٢٩

(تَقْشَعِرُّ منه[1]) : تنقبض . والضمير راجع للقرآن المتقدِّم الذكر لفصاحته وعدم اختلافه .

(تَلِينُ جلودهم[1]) ؛ أى تميل وتطمئنّ إلى ذكر الله .

فإن قيل : كيف يتعدّى تلين بإلى ؟

فالجواب أنه تضمّن معنى فعل يتعدى بإلى ، كأنه قال : تسكن قلوبهم إلى ذكر الله .

فإن قيل : لِمَ ذَكَرَ الجلود أولا وحدها، ثم ذكر «قلوبهم» بعد ذلك معها ؟

فالجواب أنه لما قال أولا تقشعر ذكر الجلود وحدها؛ لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها . ولما قال ثانياً : تلين ، ذكر الجلود والقلوب ؛ لأن اللين توصف به القلوب والجلود . أما لينُ القلوب فهو ضد قسوتها ، وأما لينُ الجلود فهو ضد قشعريرتها ؛ فاقشعرّت أولا من الخوف ، ثم لانت بالرجاء .

(تقلُّبُهم[2] فى البِلَاد) : أى تصرّفهم فيها للتجارة . وفى هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم ؛ كأنه قال له : لا يحزنك يا محمد تصرّفُهم وأمْنُهم وخروجهم من بلد إلى بلد ؛ فإن الله محيط بهم قادر عليه .

(تَخْتَصِمون[3]) : يعنى الاختصام فى الدماء . وقيل فى الحقوق . والأظهر أنه اختصام النبى صلى الله عليه وسلم مع الكفار فى تكذيبهم له ، فيكون مِنْ تمام ما قبله . ويحتمل أن يكون على العموم فى اختصام الخلائق فيما بينهم من التظالم وغيرها . ولما نزلت قال بعض الصحابة : أوَ تعاد علينا الخصومة

---

(١) الزمر : ٢٣ (٢) غافر : ٤ (٣) الزمر : ٣١

يوم القيامة ؟ قال : نعم ، حتى يُقَادَ للشاة الجَلْحاء[1] من الشاة القَرْنَاء .

(تلاق) : اللقاء ، ومنه[2] : « لِينذرَ يوم التَّلاَقِ » . والمراد به يوم القيامة . وسُمِّى بذلك لأن الخلائق يلتقون فيه . وقيل : لأنه يلتقى فيه أهلُ السماء وأهل الأرض . وقيل : لأنه يلتقى الخَلْقُ مع ربهم . والفاعل بينذر ضمير يعود على من يشاء ، أو على الروح ، أو على الله .

(تَنادّ[3]) بالتشديد — من نَدّ البعير إذا مضى على وجهه . وبالتخفيف من التنادى ، وهو يوم يَتَنَادَى فيه أهلُ الجنة وأهل النار : أن قد وجَدْنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا . وأن أفيضوا علينا من الماء . ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم . وينادى المنادى الناس . ومنه قوله[4] : « يوم نَدْعُو كلّ أناس بإمامهم » .

(تغَابن[5]) : نقص فى المعاملة والمبايعة والمُقَاسمة [١٠٧ ا] . وأما يوم التغابُن فهو يَوْمٌ يغبنُ أهل الجنة أهل النار ؛ لِأنّهم غبنوهم فى منازلهم التى كانوا ينزلون فيها لو كانوا سعداء ؛ فالتغابن على هذا بمعنى الغبن ، وليس على المتعارف فى صيغة تفاعل من كونها بين اثنين ؛ كقولك تضارب وتقابل ؛ إنما هى فعل واحد ، كقولك : تواضع ؛ قاله ابن عطية . وقال الزمخشرى[6] : يعنى نزول السعداء منازل الأشقياء ، ونزول الأشقياء منازل السعداء والتغابن على هذا بين اثنين . قال : وفيه تهكّم بالأشقياء ؛ لأن نزولهم فى جهنم ليس فى الحقيقة بغبن السعداء .

(لِتَأْفِكَنَا عن آلِهَتِنَا[7]) : تصرفنا عنها .

---

(١) التى لا قرن لها .
(٢) غافر : ١٥
(٣) غافر : ٣٢
(٤) الإسراء : ٧١
(٥) التغابن : ٩
(٦) الكشاف : ٢ — ٤٦
(٦) الأحقاف : ٢٢

(تضعَ الْحَرْبُ أوزارَها[1]) : الأَوْزَار فى اللغة الآثام ؛ لأن الحرب لا بد أن يكون فيها آثام فى أحد الجانبين . واختلف فى الغاية المرادة هنا ؛ فقيل حتى يسلم الجميع ، وحينئذ تضعُ الحرب أوزارها . وقيل : حتى تقتلوهم وتغلبوهم . وقيل : حتى ينزل عيسى بن مريم . قال ابن عطية : ظاهرُ اللفظِ أنها استعارة يُرَاد بها التزام الأمر أبداً ، كما تقول : إنما أفعل ذلك إلى يوم القيامة .

(تعْساً[2]) ، أى هلاكا وعثاراً ؛ وانتصابُه على المصدريّة ، والعامل فيه فِعلٌ مُضمر ، وعلى هذا الفعل عطف قوله : وأضلّ أعمالهم . ويقال التعس أن يخرّ على وجهه . والنكس أن يخر على رأسه .

(تَزَيَّلُوا[3]) ؛ أى تميّزوا عن الكفار . والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان ؛ أى لو انفصلوا عن الكفار لعذّبنا الكفار .

(تَفِيء[4]) : ترجع إلى الحق ؛ وأمَرَ الله فى هذه الآية بقتال الفئة الباغية ؛ وذلك إذا تبين أنها باغية ؛ فأما الفتن التى تقَعُ بين المسلمين فاختلف العلماء فيها على قولين :

أحدهما — أنه لا يجوز النهوض فى شىء منها ولا القتال . هذا مذهبُ سعد ابن أبى وقاص وأبى ذرّ وجماعة من الصحابة ؛ وحُجّتهم قوله صلى الله عليه وسلم : قِتَال المُسلم كُفْر ، وأمْرُه عليه السلام بكسر السيوف فى الفتن .

والقول الثانى أن النهوضَ فيها واجب ؛ لتكفّ الفئة الباغية . وهذا مذهب علىّ وطلحة وعائشة وأكثر الصحابة ، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء ؛

---

(١) محمد : ٤ (٢) محمد : ٨ (٣) الفتح : ٢٥

(٤) الحجرات : ٩

وحجتُهم هذه الآية ، فإذا فرّعنا على القول الأول فإن دخل داخلٌ على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فعليه دَفْعُهُ عن نفسه ، وإن أدّى ذلك إلى قتله ، لقوله عليه الصلاة والسلام : مَنْ قُتِل دون نفسه وماله فهو شهيد .

وإذا فرّعنا على القول الثانى فاختلف مع من يكون النهوض فى الفِتَن ؛ فقيل مع السواد الأعظم . وقيل مع العلماء . وقيل مع مَنْ يرى أنّ الحقّ معه . وحكمُ القتال فى الفتن ألا يُجهز على جريح ، ولا يُطْلَب هارب ، ولا يُقتل أسير ، ولا يقسم فَىْء .

(تَلْمِزُوا أنفسكم[1]) : اللَّمز العَيْب ، سواء كان بقولٍ أو إشارة أو غير ذلك .

(تَنَابَزُوا بالألقاب[2]) : أى لا يَدْعُ أحدٌ أحدا بلقب . وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة ، ولم يقصد النقص والاستخفاف .

(تَجَسَّسُوا[2]) قد قدمنا أنه بالحاء المهملة والمعجمة . وقيل بالمعجمة فى الشرّ ، وبالمهملة فى الخير . وقيل بالمعجمة هو المكان[3] وبالمهملة الدخول والاستعلام .

(تَمُور السماء[4]) : تجىء وتذهب . وقيل : تدور . وقيل تشقق . وذكر الجواليقى والثعالبى أنه فارسى معرّب .

(تسير الجبال[4]) : أى تسير كما يسير السحاب . ومنه[5] : « وتَرَى الجبالَ

---

(١) الحجرات : ١١ (٢) الحجرات : ١٢ (٣) فى ب : هو المكان .
(٤) الطور : ٩ (٥) النمل : ٨٨

تحسبها جامدةً وهى تمرُّ مرَّ السحاب » . ومرورها يكون فى أول أحوال القيامة ثم ينسفها اللهُ خلالَ ذلك فتكون كالعِهْنِ ، ثم تصير هباءً منبثاً .

(تأثيم[1]) : أى اللغو الكلام الساقط . والتأثيم الذنب ، فهو بخلاف خمر الدنيا .

(تمارَوا[2]) : تشككوا . والضميرُ عائد [١٠٧ ب] على قوم لوط .

(تجرِى بأعيننا[3]) قد قدّمنا أنه عبارة عن حفظ الله ورَعْيه للسفينة .

(تركْناها آية[4]) : الضمير لقصة قوْم نوح ، أو القطعة للسفينة . وروى فى هذا المعنى أنها بقيت على الجودى حتى نظر إليها أوائلُ هذه الأمة .

(تنْزِع الناسَ[5]) : أى تقلع الريحُ قومَ عاد من مواضعهم .

(تطْغوا فى الميزان[6]) : تجاوزوا القدر والعدل ، وإنما كرر الميزان اهتماماً بأمره . وقيل : أراد العمل .

(تحرُثُون[7]) : أى إصلاح الأرض بالحرث وإلقاء البذر فيها .

(تخلُقُونه) هذا توقيف يقتضى أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق .

(تعلمون)[8] : معناه نُنْشِئكم فى خِلْقةٍ لا تعلمونها على وجهٍ لا تصل عقولكم إلى فهمه ؛ فمعنى الآية أن الله قادر على أن يُهلكهم وعلى أن يبعثهم ، ففيها تهديد واحتجاج على البعث ، ولذا ختمها بقوله : "أفلا تذكّرون" . وحضّ على التذكر والاستدلال بالنَّشْأةِ الأولى على النشأة الآخرة ، وفى هذا دليل على صحة القياس .

---

(١) الطور : ٢٣ (٢) القمر : ٣٦ (٣) القمر : ١٤
(٤) القمر : ١٥ (٥) القمر : ٢٠ (٦) الرحمن : ٨
(٧) الواقعة : ٦٣ (٨) الواقعة : ٦١

(تَزْرَعُونه[1]) المراد بالزراعة هنا إنباتُ ما يُزرع ، وتمام خلقته ؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يَدّعيه غيره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقولنّ أحدُكم زرعت، ولكن يقول حرثت . وقد يقال لهذا زارع. ومنه قوله : يعجب الزُّرّاعَ .

(تَفَكَّهون[2]) ، أي تطرحون الفاكهة ، وهي المَسَرّة ، يقال: رجل فكه، إذا كان مسروراً مُنبَسط النفس . ويقال تَفَكَّه إذا زالت عنه الفاكهة فصار حزينا ، لأن صيغة "تفعّل" تأتى لزوال الشيء ، كقولهم : تحرّج وتأثّم إذا جانب الحرج والإثم ، فالمعنى صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حُطَاماً . وقد عبّر بعضهم عن تفكهون بأن معناه:تفجعون . وقيل : تندمون . وقيل تعجبون . وهذه معان متقاربة . والأصل ما ذكرناه .

(تَذْكرة) ؛ أي تذكّرُ بنار جهنّم .

(تجعلون رِزْقَكم[3]) : قال ابن عطية : أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين فى المطر إنه نزل بِنَوْءِ كذا وكذا ؛ فالمعنى تجعلون شكرَ رزقكم التكذيبَ ، فحذف شكراً لدلالة المعنى عليه . وقرأ على بن أبى طالب : "وتجعلون شكركم أنكم تكذبون ." وكذا قرأ ابن عباس ، إلا أنه قرأ "تُكَذِّبون" — بضم التاء والتشديد ، كقراءة الجماعة . وقراءة على بن أبى طالب بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب ؛ أى يكذبون فى قولهم : نزل المطر بِنَوْءِ كذا . ومن هذا المعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : "أصبح من عبادى مؤمنٌ بى كافر بالكوكب ، وكافر بى مؤمن بالكوكب ؛ فأما مَنْ قال مُطِرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ،

(١) الواقعة : ٦٤ (٢) الواقعة : ٦٥ (٣) الواقعة : ٨٢

وأما مَنْ قال مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب". والمنهيّ عنه فى هذا الباب أن يعتقد أن للكواكب تأثيراً فى المطر، وأما مراعاةُ العوائد التى أجراها الله تعالى فلا بَأْسَ به؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: إذا نشأت بَحْرِية ثم تشاءمت فذلك عَيْن غُدَيْقَة[1].

وقال عمر للعباس — وهما فى الاستسقاء: كم بقى من نَوْء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون إنها تعترض فى الأفق بعـــد سقوطها سبعاً. قال ابن المسيّب: فما مضت سبع حتى مُطِروا.

١

وقيل: إن معنى الآية تجعلون سببَ رزقكم تكذيبكم للنبى صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم كانوا يقولون إن آمنّا بك حرمنا اللهُ الرِّزْق، كقولهم: إن نتبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا؛ فأنكر الله عليهم ذلك. وإعراب «أنكم» على هذا القول مفعول بتجعلون على حَذْفِ مضاف، تقديره تجعلون رزقكم حاصلا من أجل أنكم تكذبون.

وأما على القول الآخر فإعرابُ "أنكم تكذّبون" مفعولا لا غير.

(تشتكى إلى الله[2]): ضمير المؤنث يعود على خَوْلة بنت حَكِيم على أحد الأقوال لمّا ظاهر منها أوس بن الصامت الأنصارى، وكان الظِّهَارُ فى الجاهلية يوجب تحريما مؤبّدًا؛ فلما فعل جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "يا رسول الله؛ إنّ أَوْساً أكل شبابى، ونثرت له بطنى، فلما كبرت ومات أهلى ظاهَرَ منّى".

(١) النهاية؛ أى كثيرة الماء. قال: هكذا جاءت مصغرة، وهو من تصغير التعظيم.

(٢) المجادلة: ١

فقال صلى الله عليه وسلم : ما أراكِ إلّا قد حَرُمْتِ عليه . فقالت : يا رسول الله ؛ لا تفعلْ فإنى وحيدة ليس لى أهْلٌ سواه . فراجعها صلى الله عليه وسلم بِمِثْلِ مَقَالَته ، فرجعت إلى الله ؛ وقالت : "اللهم إنى أشكو إليك حالى وانفرادى وفَقْرى".

وقيل : إنها قالت:"اللهم إن لى منه صبيةً صغاراً إن ضَمَمْتُهم إلىّ جاعوا ، وإن ضممتُهم إليه ضاعوا". فأنزل الله كفّارة الظهار . وهكذا عادته سبحانه فى كل ملهوف يرجع إليه يفرج عنه .

(تَحَاوُرَكما[1]) : أى مراجعتكما . وضمير التثنية يعود على النبى صلى الله عليه وسلم ، وخَوْلة .

قالت عائشة رضى الله عنها : سبحان مَنْ وسِعَ سمعه الأصوات ! لقد كنتُ حاضرةً ، وكان بعض كلام خولة يخفى على ، وسمع الله كلامها ، ونزل القرآن فى ذلك ؛ فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلب زوجها ، وقال له : أتعتق رَقَبةً ؟ فقال : والله ما أملكها . فقال : "أتصوم شهرين متتابعين"؟ فقال : "والله ما أقدِر". فقال : "أتُطْعِمُ ستين مسكيناً" ؟ فقال : "لا أجِد إلا أنْ يُعينَنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمعونة وصلاةٍ" — يريد الدعاء ؛ فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمســـــة عشر "صاعاً"[2] ، ودعا له ؛ فكفّر بالإطعام ، وأمسك زوجه

(تَفَسَّحُوا[1]) : توسعوا ، ونزلت الآية بسبب ازدِحام الناس فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرصهم على القُرْبِ منه .

---

(١) المجادلة : ١ (٢) الذى يكال به .

وقيل نزلت فى مقاعد الحرب والقتال . وقيل : أقام النبى صلى الله عليه وسلم قوما من مَجْلسه ليُجْلِسَ أشياخا من أهل بدر فى مواضعهم ، فنزلت الآية .

ثم اختلف : هل هى مقصورة على مجلسه صلى الله عليه وسلم أو هى عامّة فى جميع المجالس ؟ فقال قوم : إنها مخصوصة ؛ ويدل على ذلك قراءةُ « المجلس » بالإفراد .

وذهب الجمهور إلى أنها عامّة ؛ ويدلّ على ذلك قراءة « المجالس » بالجمع ؛ وهذا هو الأصحُّ ، ويكون المجلس بالإفراد على هذا للجنس . والتفسّحُ المأمورُ به هو التوسع دون القيام ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : لا يَقُومُ أحدٌ من مجلسه ، ثم يجلس الرجلُ فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا .

وقد اختلف فى هذا النّهى عن القيام من المجلس لأحَدٍ ؛ هل هو على التحريم أو الكراهة ؟

(تحرير[1] رقبة) ؛ أى عتقها ، وجعل الله الكفّارةَ فى الظهار ثلاثة أنواع مرتبةً ، لا ينتقل إلى الثانى حتى يعجزَ عن الأول ، ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثانى . والرقبةُ ترجمة عن الإنسان ، ولا يشترط فيها الإيمان ، بخلاف القتل واليمين .

(تبوّءُوا الدّار[2]) : لزموها واتخذوها مسكناً .

والدار : المدينة ، والضمير يعود على الأنصار ؛ لأنها كانت بلدهم .

فإن قيل : كيف تبوّءوا الدار والإيمان ، وإنما تُتبوّأُ الدار ؛ أى تُسكن ولا يُتَبوّأُ الإيمان ؟

(١) المجادلة : ٣ (٢) الحشر : ٩

فالجواب من وجهين – الأول : أن معناه تبوءُوا الدار وأخلصوا الإيمان ؛ فهو كقوله : عَلَفْتُهَا تبناً وماءً بَارِداً ، تقديره علفتها تبناً وسقيتُها ماء بارداً . الثاني أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطن لهم لتمكّنهم فيه ، كما جعلوا المدينة كذلك .

فإن قيل : قوله[1] : من قبلهم — يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان ، فأما سَبْقهم لهم بنزول المدينة فلا شكّ فيه ، لأنها كانت بلدهم ، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكلٌ ؛ لأن أكثر المهاجرين أسلموا قبل الأنصار .

فالجواب مِنْ وجهين : أحدها أنه أراد بقوله : مِنْ قبلهم : مِنْ قبل هجرتهم . والآخرُ أنه أراد تبوّءوا الدار مع الإيمان معاً [١٠٨ ب] ؛ أي جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين ؛ لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بنزول الدار ؛ فيكون الإيمانُ على هذا مفعولا معه .

وهذا الوجه أحسنُ ؛ لأنه جوابٌ عن السؤال . وعن السؤال الأول بأنه إذا كان الإيمان مفعولا به لم يلزم السؤال الأول ، إذ لا يلزَم إلا إن كان الإيمان معطوفاً على الدار .

(تعاسَرْتُم[2]) ؛ أي تضايقتُم . والمعنى إن تشطّطت الأم على الأب في أجرة الرضاع ، وطلبَتْ منه كثيراً فللأبِ أنْ يسترضِعَ لولده امرأةً أخرى مما هو أرْفَق به إلّا ألّا يُقبل الطفل غير ثَدْيِ أمه فتُجْبَر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ، ومثل الزوج ؛ فلا تضيع الزوجة ولا يكلّف هو ما لا يطيق .

---

(١) في الآية نفسها .　　(٢) الطلاق : ٦

وفى هذه الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف الناس ، وهو مذهب مالك ، خلافاً لأبى حنيفة ؛ فإنه اعتبر الكفاية . ومَنْ عجز عَنْ نفقة امرأته فذهب مالك دون الشافعى أنها تطلق عليه خلافاً لأبى حنيفة ، وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففى التطليق عليه قولان فى المذهب .

(تفاوُت[1]) : أى مِنْ قلةِ تناسُب وخروج عن الإتقان .

والمعنى أن خلقه السموات فى غاية الإتقان ، بحيث ليس فيها ما يَعيبها من الزيادة والنقصان والاختلاف . وقيل : أراد خِلْقَة جميع المخلوقات . ولا شك أنّ جميع المخلوقات متقنةٌ ، ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات والأرض لورودها بعد قوله[2] : « خلق سبْعَ سَمْوات طِباقاً » ، فكأن قوله : « ما ترى فى خَلْقِ الرحمن من تفاوُت» بيانٌ وتكميل لما قبله . والخطاب فى قوله : (ما ترى ، وارجع البصر» ، وما بعده للنبى صلى الله عليه وسلم ، أو لكل مخاطب ليعتَبر .

(تكاد تَميَّزُ من الغَيْظِ[3]) : أى تكاد جهنم تنفصل بعضها من بعض لشدة غَيْظها على الكفار ؛ فيحتمل أن تكون هى المغتاظة بنفسها ، ويحتمل أن يريد غيْظَ الزبانية . والأول أظهر ؛ لأن حال الزبانية يُذْكر بعد هذا . وغيظُ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها ، أو يكون عبارة عن شدتها .

(تعِيها أذُنٌ وَاعيةٌ[4]) : الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير «لنجعلها» . وهذا يُقَوِّى أن يكون الفعلة .

والأُذُن الواعية : هى التى تحفظها تسمعُ وتفهمه . يقال : وعيت العلم

---

(١) الملك : ٣ (٢) الملك : ٣ (٣) الملك : ٨ جهنم
(٤) الحاقة : ١٢

إذا حصلته ؛ ولذلك عبّر بعضهم عنها بأنها التي عقلت عن الله . ورُوي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعليّ بن أبي طالب : إني دعوتُ الله أن يجعلها أذنك يا عليّ. قال عليّ : فما نسيت بعد ذلك شيئاً سمعته . قال الزمخشري[1]: إنما قال : أذن واعية — بالتوحيد والتنكير للدلالة على قِلّةِ الوُعاة ، ولتوبيخ الناس بقلة مَنْ يَعِي منهم ، وللدلالة على أنّ الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله فهي المُعْتَبرة عند الله دون غيرها .

(تَرْجُون لِلهِ وَ قارا[2]) فيه أربع تأويلات :

أحدها — أنّ الوقار بمعنى التوقير والكرامة ؛ فالمعنى ما لكم لا تَرْجُون أن يوقّركم الله في دار ثوابه . قال ذلك الزمخشري[3] . وقوله : « لِلهِ » على هذا بيان للموقّر ، ولو تأخر لكان صفةً لوقارا .

والثاني — أن الوقار بمعنى التُؤَدة والتثبيت . والمعنى ما لكم لا ترجون لله تعالى متثبتين حتى تتمكّنوا من النظر بوقاركم . وقوله « لله » على هذا مفعول دخلت عليه اللام ؛ كقولك : ضربت لزيد ، فإعرابُ « وقارا » على هذا مصدر في موضع الحال .

الثالث — أن الرجاء على هذا بمعنى الخوف ، والوقار بمعنى العظمة ، والسلطان ؛ فالمعنى ما لكم لا تخافون عظمةَ الله وسلطانه ، ولله على هذا صفة للوقار في المعنى .

الرابع — أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار ، من قولك

---

(١) الكشاف : ١ ـ ٤٨٠ (٢) نوح : ١٣

(٣) الكشاف : ١ ـ ٤٩١

وقَر فى المكان إذا استقرّ فيه. والمعنى ما لكم لا تخافون الاستقرار فى دار القرار إما فى الجنة أو فى النار .

(تحرَّوا رَشَدًا[١]) : أى قصدوا الرشد . واختار ابن عطيّةَ أن يكون هذا ابتداءً لكلام الله ، لا من كلام الجنّ .

(تَبتَّلْ[٢]) : أى انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وقيل التبتلُ رَفْض الدنيا .

وقد امتثل صلى الله عليه وسلم فكان قليلَ الأمل كثير العمل لم يشقق [١٠٩ أ] نهراً، ولا شيّد قصراً، ولا غرس نَخْلا، ولم يضرب قطّ بيده إلا فى سبيل الله، وقام لله حتى تَوَرَّمَتْ قدماه ؛ فمن شاهد أحواله ، وسمع أخلاقه وأفعاله وآدابه وبدائع تدبيره لمصالح الخَلْق، ومحاسن إشارته فى تفصيل ظاهر الشَّرْع المعجز للعلماء عن درك أوائل دقائقها طولَ أعمارهم لم يبقَ عنده رَيْبٌ فى أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة ، وأنه لا يتصور إلا بتأييد سماوى ؛ إذ لا يصح للبس ، لأن شمائله صلى الله عليه وسلم شواهدُ قاطعة بصدقه ، فسبحان من أعطى وأثنى بقوله تعالى[٣] : « وإِنَّكَ لعلى خُلُقٍ عَظِيم » ، صلى الله عليه وسلم أفضل صلاة وأزكى تسليم .

(ترجفُ الأرضُ والجبالُ[٤]) : أى تهتزّ وتتزلزل ، وذلك يوم القيامة المتقدم الذكر .

(تتَّقُون إن كفرتم[٥]) : أى كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم . وقيل : هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم . وقيل : هو ظرف ؛

---

(١) الجن : ١٤ (٢) المزمل : ٨ (٣) القيامة ؛

أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ! ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفاً تقديره اذكروا .

(تصدَّى[1]) : أى تعرّض له .

(تلهّى[2]) : تشتغل عنه بغيره ، من قولك : لَهيتُ عن الشىء إذا تركته .

ورُوِى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تأدَّبَ بما أدَّبه الله فى هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ، ولا تعرّضَ لِغَنى ؛ وكذلك اتّبعه الفُضَلاء من أصحابه. وانظر كيف كان الفقراءُ فى مجلس سفيان كالأمراء ، وكان الأغنياء يتمنَّوْن أن يكونوا فُقَراء . ونحن عكسنا فى القضية ، وصرنا إلى أسوأ حال ؛ لمخالفتنا الشريعة المحمدية .

(تذكرة[3]) : فيه وجهان : أحدها — أن هذا الكلام المتقدم تذكرة ؛ أى موعظة للنبى صلى الله عليه وسلم . والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس ؛ فلا ينبغى أن يُؤْثر فيه أحد على أحدٍ . وهذا أرجح ، لأنه يناسبه .

(تَرْهَقها[4]): تغشاها . والضمير يعود على وجوه الكُفَّار .

(تَنَفَّسَ[5]) ؛ أى استطار واتّسع ضوءه . والضمير يعود على الصبح ؛ وهو استعارة .

(تَسْنيم[6]) : اسم عَلَمٍ لعَيْنٍ فى الجنة يشربُ به المُقَرَّبون صرفا ، ويخرج منه الرحيقُ الذى يَشْرب منه الأبرار ؛ فدلّ ذلك على أن درجات المقربين فوق درجات الأبرار ، فالمقربون هم السابقون ، والأبرار أصحاب اليمين .

---

(١) عبس : ٦ — (٢) عبس : ١٠ — (٣) عبس : ١٠

(٤) عبس : ٤١ — (٥) التكوير : ١٨ — (٦) المطففين : ٢٧

ويقال: تسنيم عينٌ تجرى مِنْ فوقهم تَتَسَنَّمُهُمْ فى منازلهم؛ تنزل عليهم من عال. يقال تسنَّم الفحل الناقة إذا علاها.

(تَخَلَّت[1]): تفعلت، من الخلوة.

(تَرَائب[2]): عظام الصدر، واحدها تَرِيبة. وقيل هى الأطراف كاليدين والرجلين. وقيل: هى عصارة القَلْب. ومنه يكون الولد. وقيل: هى الأضلاع التى أسفل الصُّلْب. والأول هو الصحيح المعروف فى اللغة؛ ولذلك قال ابن عباس: هى موضع القِلَادَةِ ما بين ثديى المرأة. ويعنى صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها. وقيل: أراد صلب الرجل وترائب المرأة.

(تَزَكَّى): تتطهر من الذنوب بالعمل الصالح.

(تَرَدَّى[3]): تميل وتسقط فى القبر أو فى جهنم، أو تَرَدَّى بأكفانه من الرداء. وقيل هذا الكلام فى أبى سفيان بن حرب. وهذا ضعيف، لقوله: "فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى". وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك. والصحيح أنه لم يخل بذلك الإطلاق.

(تَلَظَّى[4]): تلتهب، وأصله تَتَلَظَّى، فأسقطت إحدى التاءين استثقالا لهما فى صدر الكلمة. ومثله: فأنت عنه تلهَّى.

(تنزل الملائكة[5])، أى إلى الأرض. وقيل إلى السماء الدنيا؛ وهو تعظيم لليلة القدر. وقيل رحمة للمؤمنين القائمين فيها.

(تَقْهر[6]): أى لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضَعْفِه، أو لا تقهره بالمنع من مصالحه. ووجوه القهر كثيرة، والنهى يَعُمُّ جميعها.

---

(١) الانشقاق: ٤ (٢) الطارق: ٧ (٣) الليل: ١١

(٤) الليل: ١٤ (٥) القدر: ٤ (٦) الضحى: ٩

(تَنْهَرْ[1]) : من الانتهار والزجر ؛ فالنهى عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل، كما قال : فَقُلْ لهم قولا ميسوراً .

(تَبَّتْ[2]) : أى خسرت .

(تُغْمِضوا[3]) [١٠٩ب]:من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا لم يستوفه. وأغمض بصره . ومعنى الآية : لستم بآخذين الخبيث من الأموال ممّن لكم قِبَله حقٌّ إلّا عَلَى إغماض أو مسامحة ، فلا تؤدوا فى حق الله ما لا ترضون مثله من غرمائكم . ويقال تغمضوا فيه ؛ أى ترخصوا فيه . ومنه قول الناس للبائع : أغمض وغمّض ؛ أى لا تستقص ، وكن كأنك لم تبصر .

(تُبْدُوا ما فى أنفسكم أو تُخْفُوه[4]) : الإبداء الظهور ، والإخفاء ضده . ومقتضى الآية المحاسبة على ما فى نفوس العباد من الذنوب سواء أبدوه أو أخفوه ، ثم المعاقبة على ذلك لمن شاء الله ، أو الغفران لمن شاء الله . وفى ذلك إشكالٌ لمعارضته للحديث : "إن الله تجاوز لأمتى ما حدَّثَتْ به أنْفُسها". فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة أنه لما نزلَتْ شقَّ ذلك على الصحابة . وقالوا : هلكنا إنْ حُوسِبْنا بخواطر أنْفُسنا . فقال لهم صلى الله عليه وسلم : "قولوا سمعنا وأطَعْنا". فقالوها ، فأنزل الله بعد ذلك : "لا يُكلِّفُ الله نَفْساً إلا وُسْعَها" ، فكشف عنهم الكربة ، ونسخ بذلك هذه الآية .

وقيل : هى فى معنى كَتْم الشهادة وإبدائها ، وذلك مُحَاسَبٌ به . وقيل يحاسب الله الخلق على ما فى نفوسهم ، ثم يغفر للمؤمنين ويعذِّبُ الكافرين والمنافقين .

---

(١) الضحى : ١٠ (٢) المسد : ١ (٣) البقرة : ٢٦٧

(٤) البقرة : ٢٨٤

والصحيح التأويل الأول لوروده فى الصحيح . وقد ورد أيضا عن ابن عباس وغيره .

فإن قيل : الآية خبر ، والأخبار لا يدخلها النسخ .

فالجواب أنَّ لفظ الآية خبرٌ ومعناها حكمٌ .

(تُولِجُ اللَّيلَ[1]) : تدخل هذا فى هذا ، فما زاد فى واحد نقص من الآخر مثله .

(تُخرِجُ الحىَّ من الميت[1]) : أى الكافر من المؤمن والمُؤْمن من الكافر. وقيل : يعنى الحيوان . قال ابن مسعود : هى النُّطْفه تخرج من الرجل ميّتةً وهو حىّ ، ويخرج الرجل منها حيًا وهى ميتة . وقال عكرمة : البيضة من الدجاجة ، والدجاجة من البيضة . وعلى كل فالحياة والموت على هذا استعارة .

(تُؤَاخِذنا[2]) من المؤاخذة بالذنب،وقد كان يحقُّ أن يؤاخذ الله بالنسيان، وهو الذهول الغالب على الإنسان والخطأ غير العمد ، لولا أن الله رفعه فلم يبقَ إلا مَحْضُ التلفّظ بالآية على وجه العبادة . وأما الاعتقاد فهو عدم المؤاخذة ؛ للحديث : "رفع عن أُمّتى الخطأ والنسيان" .

(تُحَمِّلنا[2] ما لا طاقةَ لنا به) فى هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يُطاق ؛ لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يَقَع . ثم إنَّ الشرع رفع وقوعه .

وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق أربعة أنواع : عقلى محض ؛ كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يُؤْمِنُ ، فهذا جائز ووقع باتفاق .

---

(١) آل عمران : ٢٧ (٢) البقرة : ٢٨٦

والثانى عادِىّ كالطَّيَران فى الهواء .

والثالث عقلى وعادىّ كالجمع بين الضدّين ؛ فهذان وقع الخلاف فى جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه .

والرابع تكليف ما يشقّ ويصعبُ ؛ فهذا جائز اتفاقاً . وقد كلّفه الله مَنْ تقدم من الأمم ، ورفعه عن هذه الأمة المحمدية لحُرْمَةِ نبيِّها عنده .

(تُبَوِّىءُ المؤمنين[1]) : أى تهيّىء لهم المصافّ لقتال أعداء الله ؛ وذلك يوم السبت فى غَزْوَة أُحد . وقيل : ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة ؛ وذلك ضعيف، لأنه لا يقال غدوة فيما بعد الزوال إلَّا عَلَى وجْهِ المجاز . وقيل ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس ؛ وذلك ضعيف ؛ لأنه لم يُبَوِّأ حينئذ مقاعد للقتال إلا أن يراد أنه يُبَوِّئُهم بالتدبير حين المشاورة .

(تُصْعِدُون ولا تَلْوُون على أحد[2]) : الإصعاد : الابتداء فى السفر . والانحدار : الرجوع . ولا تلوون مبالغة فى صفة الانهزام . وقرىء شاذًّا : إذ تصعدون ولا تلوون على أُحُدٍ — بضم الحاء .

(تُبْسَلَ نَفْسٌ[3]) : معناه تُحبس . وقيل تفضح . وقيل تهلك ؛ وهو فى موضع [١١٠ ا] مفعول من أجله ؛ أى كراهة أن تُبْسَل نَفْسٌ بما كسبت .

(تُشمِتْ بِى الأَعْدَاءَ[4]) : تسرهم ، والشماتة : السرور بمكاره الأعداء .

(تُرْهِبُون[5]) : تخوفون به الأعداء .

(تُفِيضُون[6]) : تدفعون فيه بكثرة .

---

(١) آل عمران : ١٢١ (٢) آل عمران : ١٥٣ (٣) الأنعام : ٧٠
(٤) الأعراف : ١٤٩ (٥) الأنفال : ٦٠ (٦) يونس : ٦١

(تُفَنِّدُونِ[١]) : تحزنون وتجنُّون .

(تُفَنِّدُونِ[٢]) : أي تلوموننى ، أو تردون علىّ قولى . معناه تقولون ذهب عقلك ؛ لأن الفند هو الخرَف . يقال أفند الرجل إذا خرف ، وتغيّر عقله ، ولم يحصل كلامه . ثم قيل : فند الرجل إذا جهل . والأصل ذلك .

(تُسِيمُونَ[٣]) : ترعون أنعامكم . وقد قدمنا أن تريحون تردُّونها بالعشى إلى المنازل .

(تُخَافِتْ بِهَا[٤]) : تخفها . وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر فى القراءة فى الصلاة فسمعه المشركون فسبُّوا القرآن ومَنْ أنزله ، فأمر صلى الله عليه وسلم بالتوسُّط بين الجهر والإسرار ، ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ، ولا يسمع المشركون .

وقيل المعنى : لا تجهر بصلاتك كلها ، ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرًّا وجَهْراً ، حسبما أحكمته السنّةُ . وقيل الصلاة هنا الدعاء .

(تُمَارِ[٥]) ، من المِرَاء ، وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج .

ومعنى الآية : لا تمار أهل الكتاب فى عِدّة أصحاب أهل الكهف إلا مراء ظاهراً ، أي غير متعمِّق فيه ، من غير مبالغة ولا تعنيف فى الردّ عليهم .

(تَسْتَفْتِ[٦]) : تسأل ؛ أي لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف ؛ لأنَّ الله قد أوحَى إليك فى شأنهم ما يُغنيك عن السؤال .

---

(١) يوسف : ٤٨ (٢) يوسف : ٩٤ (٣) النحل : ١٠
(٤) الإسراء : ١١٠ (٥) الكهف : ٢٢ (٦) الكهف : ٢٢

(تُصنَعَ عَلَى عَينِى[1])؛ أى تُرَبَّى ويُحْسَن إليك بِمَرْأى مِنّى وحفظ، والعامل فى لتصنع محذوف .

(تعذّبهم) : أى تمتهنهم ، والضمير لبنى إسرائيل ؛ لأن فرعون كان يسخرهم ويُذِلُّهم .

(تُخْبِتَ له قُلوبُهم[2]) ؛ أى تخضع وتطمئن . والمخبت : الخاضع المطمئن إلى ما دعى إليه . والخَبت : المطمئن من الأرض .

(تُسْحَرون[3]) : أى تخدعون عن الحق ، والخادع لهم الشيطان ؛ وذلك شبيه لهم بالسحر فى التخليط والوقوع فى الباطل ؛ ورتبت هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج ؛ فقال أولا : "أفلا تذكَّرُون". ثم قال ثانياً : "أفلا تَتَّقُون" ؛ وذلك أبلغ ؛ لأن فيه زيادة تخويف . ثم قال ثالثاً : "فأنّى تُسحرون". وفيه من التوبيخ ما ليس فى غيره .

(تُلْهِيهم تِجَارةٌ ولا بَيْعٌ[4]) ؛ أى تشغلهم . ونزلت الآية فى أهل الأسواق الذين إذا سَمِعُوا النِّدَاء بالصلاة تركوا كل شغل ، وبادروا إليها . والبيع : من التجارة ، ولكن خصَّه بالذكر تجريداً ؛ كقوله : فيهما فاكهة ونخل ورُمَّان . أو أراد بالتجارة الشراء .

(تتقلب[5]) ؛ أى تضطرب من شدة الهول والخوف . وقيل تَفْقَه القلوب وتبيضّ الأبصار بعد العمى ؛ لأن الحقائق تنكشف حينئذ . والأول أصح ؛ كقوله[6] : "وإذ زاغَتِ الأبصار".

---

(١) طه : ٣٩ (٢) الحج : ٥٤ (٣) المؤمنون : ٩٠

(٤) النور : ٣٧ (٥) النور : [illegible] (٦) الأحزاب : [illegible]

(تُصَعِّرْ خَدَّكَ للناس[1]) ؛ أى تُعْرِض بوجهك عنهم . والصعَر ما يأخذ البعير فى رأسه فيقلب رأسه فى جانب ، فيشبّهُ الرجل الذى يتكبّرُ على الناس به .

(تُكِنّ صدُورهم[2]) ؛ أى تخفى صدورهم .

(تحيّتُهم يَوْمَ يلقَوْنَه سلام[3]) ؛ قيل يوم سلام . قيل : يوم القيامة . وقيل : فى الجنة ؛ وهو الأرجح ؛ لقوله : "وتحيتهم فيها سلام" . ويحتمل أن يُرِيد تسليم بعضهم على بعض ، أو قول الملائكة لهم سلام عليكم .

(تُرْجِى مَنْ تَشَاءُ منهنّ وتُؤْوِي إليكَ من تشاء)[4] ؛ أى تؤخر وتبعد ، وتضم وتقرب . واختلف ما المراد بهذا الإرجاء والإيواء ؛ فقيل : إن ذلك فى القسمة بينهنّ ؛ أى تُكثر لمن شئْتَ وتقلِّلُ لمن شئت . وقيل : إنه فى الطلاق ؛ أى تمسك مَنْ شئت وتطلق من شئت . وقيل معناه تتزوج من شئت .

والمعنى على كل قول توسعة على النبى صلى الله عليه وسلم وإباحة له أن يفعل ما شاء .

وقد اتفق الباقون على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل فى قسمته بين نسائه أخذاً منه بأفضل الأخلاق [١١٠ ب] مع إباحة الله له .

والضمير فى قوله « منهن » يعود على أزواجه صلى الله عليه وسلم خاصة ، أو على كل ما أُحِلّ له على حسب الخلاف المتقدم .

(تُشْطِطْ[5]) ؛ أى تجاوز فى الحكم . يقال أشطّ الحاكم إذا جار . وقرىء فى الشاذ : ولا تَشطط — بفتح الطاء ؛ أى لا تبعد عن الحق . يقال شَطّ إذا بَعُد .

---

(١) لقمان : ١٨ — (٢) النمل : ٧٤ ، والقصص : ٦٩
(٣) الأحزاب : ٤٤ — (٤) الأحزاب : ٥١ — (٦) ص : ٢٢

(تُمَارُونَه[1]) : أي تجادلونه . والضمير عائد على قريش لمّا كذبته صلى الله عليه وسلم في قوله : "أُسرِي بي". والذى رأى[2] جبريلُ على هيئته التى قد خلقه الله عليها ، قد سد الأفق . وقيل الذى رأى[3] ملكوتُ السموات والأرض . والأول أرجح لقوله[3]: "ولقد رآه نَزْلَةً أُخرَى". وقيل الذى رأى هو الله تعالى .

وقد أنكرت ذلك عائشة . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : نورانى أراه .

(تُخْسِروا الميزان [4]) : تنقصون الوزن . وقرىء بفتح التاء بمعنى لا تخسروا الثوابَ الموزون يوم القيامة .

(تُمْنُون[5]) ، من المنىّ ، وهو الماء الدافق الذى يكون منه الولد ، رائحته كرائحة الطلع ، أحد درجات التمر ، لشبهها بخلقة الإنسان فأشبهت الرائحة الأصل ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : أكرموا عماتكم النخلة ؛ وهذا يتضمّن إقامةَ برهانٍ على الوحدانية وعلى البعث ، ويتضمن وعيدا وتعديد نعم .

(تُورُون[6]) : أى تقدحونها من الزناد . والزناد قد يكون من حجرين ، ومن حجر وحديدة ، ومن شجر ، وهو المرْخ والعَفَار[7] .

ولما كانت عادة العرب فى زنادهم من شجر قال الله لهم[8]: "أأنتم أنشأتم

---

(١) النجم : ١٢

(٢) من قوله : فى الآية نصبا : أفتمارونه على ما يرى .

(٣) النجم : ١٣ (٤) الرحمن : ٩ (٥) الواقعة : ٥٨

(٦) الواقعة : ٧١

(٧) العفار ـ كسحاب : شجر يتخذ منه الزناد (القاموس) .

(٨) الواقعة : ٧٢

شجرتها » ، أي الشجرة التي يَزْنِد النار منها . وقيل : أراد بالشجرة نفس النار ؛ كأنه يقول نوعها أو جنسها ؛ فاستعار الشجرةَ لذلك .

(تُدْهِنُ[1]) من المداهنة وهو النفاق . والإدهان الإبقاء ، وترك المناصحة والصدق ؛ ومنه قوله[2]: «أَفَبِهَذَا الحديثِ أَنْتُم مُدْهِنُون» . معناه متهاونون . وأصله لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن . وروى أن الكفار قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو عبدت آلهتنا لعبدْنا إلهك ؛ فنزلت الآية .

(تراث[3]) : ما يورث عن الميّت من المال . والتاء فيه بدل من واو .

(تِلْقَاءَ أصحابِ النّار[4]) : تجاه أصحاب النار ، ونحو أهل النار ، وكذلك تلقاء مَدْيَن . وقوله : من تلقاء نفسي ، أي من عِندَ نفسي .

(تِبْيَان[5]) : تِفعال من البيان .

(تسع آيات بيِّنات[6]) ، منها خروج يده بيضاء ، والعصا ، والسنون ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقُمّل ، والضفادع والدم ، وحلّ العقدة من لسانه ، وفرق البحر ، ورفع الطور فوقهم ، وانفجار الماء من الحجر عند قوم .

وروى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : "ألّا تشركوا بالله شيئا ، ولا تَسرقوا ، ولا تَزْنوا ، ولا تقتلوا النفسَ التي حرّم الله ، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان ليَقتله ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا المحصنات ، ولا تفِرّوا يوم الزّحْفِ ، وعليكم خاصة اليهود ألا تعتدوا في السبت".

---

(١) القلم : ٩ (٢) الواقعة : ٨١ (٣) الفجر : ١٩

(٤) الأعراف : ٤٧ (٥) النحل : ٨٩ (٦) الإسراء : ١٠١

(التِّين والزَّيتون[1]) : جَبَلَان بالشام يُنْبِتَانِ التِّينَ والزيتون ، يقال لهما طورتينا وطورزَيْتاَ بالسريانية ، وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى أو مسكنه ، فكأنه قال : ومنابت التين والزيتون ؛ وهذا أظهر الأقوال ؛ لأن الله ذكر بعد هذا الطُّور الذى كلم عليه موسى ، والبلد الذى بعث منه محمداً صلى الله عليه وسلم ، فتكون الآية نظير ما فى التوراة ؛ أن اللهَ جاء من طور سينا وطلع من ساعِير[2] ، وهو موضع عيسى ، وظهر من جبال فَارَان ، وهى مكة ؛ وأقسم اللهُ بهذه المواضع التى ذكر فى التوراة [١١١ ا] لشرفها بالأنبياء المذكورين .

وقيل : إنه التين الذى يُؤْكَلُ والزيتون الذى يُعْصر ، أقسم الله بهما لفضيلتهما على سائر الفواكه .

ورُوِىَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل مع أصحابه تينا ، فقال : "لو قلت إن فاكهةً نزلت من الجنة قلت هذه" ؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم[3] ، فكلوه فإنه يقطع البوَاسير ، وينفع من النقرس .

وقال صلى الله عليه وسلم : "نعم السِّوَاكُ الزيتون من الشجرة المباركة ، هى سِواكى وسواكُ الأنبياء من قبلى" .

(التاء حرْف جَرٍّ) معناه حرف القسم يختص بالتعجّب ، وباسم الله تعالى . قال[4] فى الكشاف فى قوله تعالى[5] : « تاللهِ لأَكِيدَنَّ أصْنَامَكم » : الباء أصل أحرف القسم ، والواو بدل منها ، والتاء بدل من الواو ، وفيها زيادة معنى التعجّب ، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يَدَيْه وتأتّيه مع عُتُوّ نمرود وقَهْره .

---

(١) التين : ١ (٢) وياقوت .

(٣) العجم — بالتحريك وكغراب : نوى كل شىء (القاموس) .

(٤) الكشاف : ٢ — ٤٨ (٥) الأنبياء : ٥٧

(تبارك) قد قدمنا أنه فعل لا يستعمل إلا بلفظ الماضي ، ولا يستعمل إلا لله تعالى ، أي لا يتصرف . ومن ثم قيل إنه اسم فعل .

حرف الثاء المثلثة

(ثَقِفْتُموهم[1]) : ظفرتم بهم .

(ثقلَتْ في السموات والأرضِ[2]) ؛ أي خفي عِلْمُها على أهل السموات والأرض ، وإذا خَفِيَ الشيء ثقل .

وقيل ثقلت على أهل السموات والأرض لهَيْبَتِها عندهم وخوفهم منها .

وقيل ثقلت عليهم لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض .

(ثمود) : قبيلة من العرب الأقدمين ، هذا على أنه غير منصرف . وأما من صرفه فهو على وَزْن فعول من الثمد ، وهو الماءُ القليل .

(ثبّطهم) : حبسهم ؛ أي كسر عزمهم ، وجعل في قلوبهم الكسل .

(الثّرى[3]) : التراب النّدِيّ ، والمراد به في الآية الأرض .

(ثانِيَ عِطْفِه[4]) ، أي عادلًا جانبه . والعِطْف : الجانب ؛ يعني مُعْرِضاً متكبّراً . واختلف على من يعود الضمير ، فقيل على الأخْنَس بن شَرِيق . وقيل في النّضر بن الحارث ، بدليل[4] : « له في الدنيا خِزْيٌ » ؛ فالخِزْي أَسْرُه ثم قتله .

(ثاوياً[5]) : مقيما .

---

(١) البقرة : ١٩١ (٢) الأعراف : ١٨٧ (٣) طه : ٦

(٤) الحج : ٩ (٥) القصص : ٤٥

(ثلاث عَوْرَاتٍ[1]) ، جمع عَوْرة من الانكشاف ؛ كقوله تعالى[2] : « إنّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ » . ومن رفع ثلاث فهو خبر مبتـــدأ مضمر ، تقديره : هذه الأوقات ثلاث عورات لكم ؛ أى تنكشفون فيها . ومن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات .

ومعنى الآية أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان فى ثلاثة أوقات ، وهى قبل الصبح ، وحين القائلة وسط النهار ، وبعد صلاة العشاء الآخرة ؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها مُتَجَرِّدين للنوم فى غالب الأمر ، وهذه الآية محكمة . وقال ابن عباس : ترك الناس العمل بها ، وحملها بعضهم على النَّدْب .

(ثَاقِب[3]) : مضىء كثيراً .

(ثَجَّاجا[4]) : سيالا ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : أحبُّ العمل إلى الله العجّ والثّجّ ، فالعجّ التلبية ورفع الصوت بها وبذكر الله تعالى . والثجُّ : إسالة الدماء من النَّحر والذبح .

(ثُبَات[5]) : جمع ثُبَة ، أى جماعات فى تفرقة ، أى حلقة حلقة كل جماعة منها ثُبَة ، ووزنها فُعَلة بفتح العين ولامُها محذوفة . وقيل إن الثبة ما فَوْق العشرة .

(ثُعْبان[6]) : حية عظيمة الجسم .

(ثَمَرَ[7]) جمع ثمار ، ويقال الثُّمر ـ بضم الثاء : المال . والثَّمر ـ بفتح الثاء : جمع ثمرة من ثمار المأكول .

---

(١) النور : ٥٨ (٢) الأحزاب : ١٣ (٣) الصافات : ١٠
(٤) النبأ : ١٤ (٥) النساء : ٧١ (٦) الأعراف : ١٠٧
(٧) الكهف : ٣٤

(ثُبُورا[1]) : أي هَلاكا . ومعنى دعائهم ثبوراً لأنهم يقولون يا ثبوراه ، كقول القائل يا حسرتى ، يا أسفى ، فيقال لهم : « لا تدعوا اليوم ثبوراً وادْعُوا ثُبُوراً كثيراً » .

(ثُلّة من الأوّلين[2]) : أي جماعة من هذه الأمة وجماعة من آخرها . وقد قال صلى الله عليه وسلم : الفرقتان من أُمّتي . وفى ذلك ردٌّ على من قال : إنهما من غير هذه الأمة .

وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلّة من الأولين وثلّة من الآخرين ، بخلاف السابقين ، فإنهم قليل فى الآخرين ، وذلك لأن السابقين فى أول هذه الأمة أكثر منهم فى آخرها لفضيلة السلف الصالح . وأما أصحاب اليمين فكثير فى أولها وآخرها [١١١ ب] .

(ثُوِّبَ الكفّار[3]) : يقال ثوّبه وأثابه . وأصله إيصال النفع إلى المكلف على طريق الجزاء . قال تعالى[4] : « مَثُوبةً عند اللهِ مَنْ لَعَنَهُ الله » . وأما المثيب فهو مَنْ فعل الثّواب . وأما المُثَاب فهو من فُعِل الثواب به .

وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها فى موضع معمول ينظرون فتوصل مع ما قبلها ، أو تكون توقيفاً فيوقف قبلها ، ويكون معمول ينظرون محذوفاً .

(ثيابك فطَهِّرْ[5]) : فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه حقيقة فى التطهير للثياب من النجاسة . واختلف على هذا هل يحمل على الوجوب ، فتكون إزالة النجاسة واجبةً ، أو على الندب فتكون سنة ؟ والآخر أنه يُراد به الطهارة من الذنوب والعيوب ، فالثياب على هذا مجاز . الثالث أن معناه لا تلبس من مكسب خبيث .

---

(١) الانشقاق : ١١ (٢) الواقعة : ١٣ (٣) المطففين : ٣٦
(٤) المائدة : ٦٠ (٥) المدثر : ٤

(ثُمَّ) حرف يقتضي ثلاثة أمور : التشريك فى الحكم والترتيب والمهلة ، وفى كل خلاف :

أما التشريك فزعم الكوفيّون والأخفش أنه قد يتخلّف بأن تقع زائدة ، فلا تكون عاطفة البتّة ، وخرّجوا على ذلك قراءة(١) : « حتى إذا ضاقَتْ عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ وضاقَتْ عليهم أنفسهم وظَنوا أنْ لَا مَلْجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم » . وأجيب بأن الجواب فيها مقدّر .

وأما الترتيب والمهلة فخالف قوم فى اقتضائها إياها تمسُّكاً بقوله(٢) : « خلقكم مِنْ نَفْسٍ واحدة ثم جعل منها زَوْجَها ثم بَدَأَ خَلْقَ الإنسانِ من طين ثم جعل نَسْلَه من سُلالةٍ من ماءٍ مهين ثم سوّاه » . «(٣) وإنى لغفّارٌ لمن تاب وآمنَ وعمل صالحاً ثم اهتدَى » . والاهتداء سابِقٌ على ذلك . « ذلكم وصّاكُمْ به لعلكم تتّقُون . ثم آتينا موسى الكتاب(٤) » .

وأجيب عن الكلّ بأن ثم فيها لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم . قال ابن هشام(٥) : وغير هذا الجواب أنفع منه ، لأنه يصحح الترتيب فقط لا المهلة ، إذ لا تراخي بين إخبارهن(٦) .

والجواب المصحح لهمـــــا ما قيل فى الأولى إن العطف على مُقَدَّر ، أى من نفسٍ واحدة أنشأها ، ثم جعل منها زوجها . وفى الثانية إن سوّاه عطف على الجملة الأولى لا الثانية . وفى الثالثة إن المراد ثم دام على الهداية .

---

(١) التوبة : ١١٩ — (٢) السجدة : ٨ — (٣) طه : ٨٢
(٤) الأنعام : ١٥٣ ، ١٥٤ — (٥) المغني : ١ — ١٠٥
(٦) في المغني : بين الإخبارين .

فائــــدة

أجْرَى الكوفيّون ثُمّ مجرى الفاء والواو في جواز نَصْبِ المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط . وخرّج عليه قراءة الحسن[1] : « ومَنْ يخرجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إلى الله ورسوله ثم يُدركَه المَوْتُ » ـ بنصب يدركه .

(ثَمّ) ـ بالفتح : اسم يشار به إلى المكان البعيد ، نحو[2] : « وأزْلَفْنَا ثَمّ الآخرين » . وهو ظرف لا يتصرف ، فلذلك غلط من أعربه مفعولا لرأيت في قوله[3] : «وإذا رأيْتَ ثَمّ رأيْتَ » . وقرىء[4] : « فإلينا مَرْجِعُهم ثَمّ اللهُ شهيدٌ على ما يفعلون » ، بدليل : "هنالك الولاية لله الحق[5]" .

وقال الطبري في قوله[6] : « أَثُمّ إذا ما وقع آمَنْتُم » : معناه هنالك ، وليست العاطفة . وهذا وَهْمٌ اشتبه عليه المضمومة بالمفتوحة . وفي التوشيح لخطاب : ثم ظرف فيه معنى الإشارة إلى حيث ، إلا أنه هو في المعنى .

---

(١) النساء : ٩٩ (٢) الشعراء : ٦٤ (٣) الإنسان : ٢٠

(٤) يونس : ٤٦ (٥) الكهف : ٤٤ (٦) يونس : ٥١

حرف الجيم

(جَنَفًا[1]) : مَيْلًا وعُدولا عن الحق ، يقال جَنِفَ علىّ ، أى مال على .

(جار) فى قوله[2] : « والجار ذِى القُرْبَى » ، هو القريب النسب . والجار الْجُنُب هو الأجنبي . وقيل ذى القربى القريب المسكن منك ، والجنب : البعيد المسكن منك . وحدُّ الجوار عند بعضهم أربعون ذراعاً من كل ناحية . وقيل أربعون باباً . والصاحب بالْجَنْب : الرفيق فى السفر . وابن السبيل : الضعيف .

(جَوَارِح[3]) : كواسب ، وسميت الكلاب جوارح لأنها تكسب لأهلها . ولا خلاف فى جواز الصيد بالكلاب . واختلف فيما سواها . ومذهب الجمهور الجواز للأحاديث الواردة . ومَنَع بعضهم ذلك ؛ لقوله : مكلِّبين[3] ؛ فإنه مشتق من الكلب . ونزلت الآية بسبب عدى بن حاتم ؛ فإنه كان له كلاب يصطاد بها ، فسأل [١١١٢ ا] رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل من الصيد .

(جَبَّارين[4]) : أقوياء ، عظام الأجسام بقيّة من العمالقة . والجبار : من أسماء الله ، معناه القهّار . والجبّار المسلّط ، كقوله[5] : « وما أنتَ عليهم بِجَبَّارٍ » ؛ أى بمسلط . والجبار : المتكبر ، كقوله[6] : « ولم يَجْعَلْنِى جبّاراً شَقِيًا » . والجبار : القتّال ، كقوله[7] : « وإذا بطشْتُم بَطَشْتُم جبّارين » ، أى قتالين . والجبار : الظالم .

(جرَحتُم[8]) : كسبتم ، ومنه : اجترَحُوا السيئات .

---

(١) البقرة : ١٨٢ (٢) النساء : ٣٦ (٣) المائدة : ٤
(٤) المائدة : ٢٢ ، الشعراء : ١٣٢ (٥) ق : ٤٥
(٦) مريم : ٣٢ (٧) الشعراء : ١٣٠ (٨) الأنعام : ٦٠

(جَنَّ[١]) : أظلم وغطّى ، يقال : جنّه وأجنّه ؛ ومنه سمى المجنون ؛ أى لتغطية عقله .

(جعل الليل سَكَناً[٢]) ؛ أى يسكن فيه عن الحركات .

« جعل » لها أربعة معان : صيّر ، وألقى ، وخلق ، وأنشأ يفعل كذا .

(جَنَاح) الطائر : معروف . وجناح الإنسان إبطيه ، كقوله[٣] : « اضْمُمْ إليكَ جناحكَ » . ولا جُنَاح : لا إثم ، فمناه إباحة . وجنَح لشىء : مال إليه .

(جَاثِمِين) : باركين على الرُّكَب بعضهم على بعض . والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير .

(جَوَابَ قَوْمِهِ) : أى قوم صالح لم يكن لهم جواب إلا قولهم[٤] : « أخرجوهم مِنْ قَرْيَتِكم » .

(جَنَحُوا للسَّلْم[٥]) : أى مالوا للصلح . والآية منسوخة بآية السيف فى براءة ، لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز .

(جَهَّزَهُم[٦]) : أى أصلح لهم ما احتاجوا إليه من زادٍ وغيره ، والمراد به هنا الطعام الذى باع منهم يوسف .

(جَاسُوا خِلَالَ الدِّيَار[٧]) ؛ أى عاثوا وقتلوا ، وكذلك حاسوا وهاسوا وداسوا . رُوى أنهم قتلوا علماءهم ، وأحرقوا التوراة ، وأخربوا المساجد ، وسبَوْا منهم سبعين ألفاً .

---

(١) الأنعام : ٧٦ (٢) الأنعام : ٩٦ (٣) طه : ٥

(٤) الأعراف : ٨٢ (٥) الأنفال : ٦١ (٦) يوسف : ٥٩

(٧) الإسراء : ٥

واختلف على من يعود الضمير ؟ فقيل : لجالوت وجنوده . وقيل بُخْتَ نَصَّر ملك بابل .

(جاء وَعْدُ أُولاهما[1]) ، يعنى إفسادهم فى المرة الأولى .

(جَنِيّاً[2]) : الذى طاب وصلح لأن يجتنى . ويقال جنىّ طَرِى .

(جانّ) ، يعنى من الحيات ، لأنهم على أصناف شتّى .

(جَلَابِيب[3]) : ملاحف ، واحدها جلباب ، وكان نساء العرب يكشفن وجوههن ، كما تفعل الإماء ، وكان ذلك داعياً إلى نظر الرجال إليهن ، فأمرهن الله بإدناء الجلباب ، وهو ثوبٌ أكبر من الخمار ، وصورة إدنائه عند ابن عباس أن تلويه على وجهها حتى لا ينظر منها إلا عين واحدة تبصر بها . وقيل : أن تَلْوِيه حتى لا يظهر إلا عيناها . وقيل : أن تُغَطِّى نصف وجهها .

(جَوَابِ[4]) : جمع جابِية ، وهى البركة التى يجتمع فيها الماء .

(الْجَوارِ فى البحر كالأَعْلَام[5]) : سفن فى البحر كالجبال ، الواحدة جارية ، ومنه قوله[6] : « إنّا لما طَغَى الماءُ حَمَلْنَاكُم فى الْجَارِية » ، يعنى سفينة نوح .

(جَاثِية[7]) : باركة على الركب ، وهى جلسة المخاصم والمجادل . ومنه قول على رضى الله عنه : أنا أول من يجثو للخصومة بين يدى الله .

(جَدَلا[8]) : أى يقصد الإنسان أن يغلب مَنْ يُنَاظِره سواء عليه بحق

---

(١) الإسراء : ٥ (٢) مريم : ٢٥ (٣) الأحزاب : ٥٩
(٤) سبأ : ١٣ (٥) الشورى : ٣٢ (٦) الحاقة : ١١
(٧) الجاثية : ٢٨ (٨) الزخرف : ٥٨

أو باطل ، فإن ابن الزِّبَعْرَى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى[1] : « حَصَبُ جهنم » ، ولكنهم أرادوا المخالطة فوصفهم بأنهم ما ضربوا لرسول الله هذا المثل إلّا عَلَى وجه الجدل ، وهذا كقوله[2] : « ما يُجَادِلُ في آيات الله إلّا الذين كفروا » . «[3] ويَعْلَمَ الذين يُجادِلُون في آياتِنا ما لهم مِنْ مَحِيص » .

(جَنَى الجَنَّتَيْنِ[4]) : قد قدمنا أن الجنى ما يُجتنى من الثمار . ورُوى أن الإنسان يجتنى الفاكهة في الجنة على أي حال كان من قيام وقعود واضطجاع ؛ لأنها تتدلى له إذا رآها ، فتقول له كُلْني يا ولى الله ، هـــذا هو النعيم المقيم . وكيف لا ونبينا فيها نديم ، والثواب عظيم ، والبقاء فيها قديم ، والعطاء فيها جسيم ، والحزن فيها عديم ، والمضيف فيها كريم ؛ نعيمها مؤبد ، ومقامها مخلّد ، وبقاؤها سَرْمَد[5] وفرشها ممدود ومرافقها ممهد ، وحورها منهد ، وقصورها مشيد ، وظلها ممدود ، وفيها جنة الفردوس نُزُولا لمن لم يجعل لمولاه شريكا ولا مثيلا [١١٢ ب] وأخلص له في دنياه قولا وعملا وفعلا ، ولم يزل على عصيانه خائفاً وَجلا ، ولم يطلب الأعواض على أعماله فاتخذه موئلا .

(جَدُّ رَبِّنا[6]) ؛ أي عظمته . وقيل غناه ؛ من قولك : فلان مجدود إذا استغنى . ويقال : جَدّ فلان في الناس أي عظم في عيونهم ، وجلّ في صدورهم . ومنه قول أنيس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدّ فينا ؛ أي عَظُمَ .

(جَابُوا الصَّخْرَ بالْوَادِ[7]) ؛ أي نقبوه ونحتوا فيه بيوتا .

---

(١) الأنبياء : ٩٨ (٢) غافر : ٤ (٣) الشورى : ٣٥
(٤) الرحمن : ٥٤ (٥) السرمد : الدائم . (٦) الجن : ٣
(٧) الفجر : ٩

والوادى : ما بينَ الجَبَلَين ، وإنْ لم يكن فيه ماء . وقيل أراد وادى القرى . والضمير يعود على ثمود المتقدم الذكر . وقد فسّرتها الآية : وتَنْحتون من الجبال بيوتاً .

(جَمّاً[١]) : شديداً كثيراً ، وهو ذمّ الحرص على المال ، وشدة الرغبة فيه .

(جُنُباً[٢]) : الذى أصابته الجنابة ، يقال جَنُبَ الرجل وأجنب ، واجتنب وتجنبه . والجنب : القريب . وجنّب : بعد .

(جَهَنّم[٣]) : اسم لأحَدِ طبقاتها . وقيل : إنها عَلَمٌ على سائر النار . وقيل : إنها عجمية . وقيل فارسية . وقيل عبرانية .

(جُرُف) : ما تجرف السيول من الأودية .

(جُهْدَهم[٤]) : وسعهم وطاقتهم ؛ والضمير يعود على الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به ، ونزلت فى أبى عقيل تصدق بصاعٍ مِنْ تمر ، فقال المنافقون : إن الله غنى عن صدقة هذا .

(جُودِىّ[٥]) : جبل بالموصل . وروى أن الله أوْحَى إلى الجبال أنى مُرْسٍ هذه السفينة، فتطاولت لها الجبال كلها إلا هذا الجبل ، فإنه لم يَرَ نَفْسه أهْلاً لذلك، فاستَوَتْ عليه واستقرّتْ ، وهكذا شأنه لا يرتفع شىء فى الدنيا إلا وضعه ، مصداقه الحديث : مَنْ تواضعَ لله رَفعه الله .

(جُب[٦]) : ركية لم تُطْوَ ، فإذا طُوِيت فهى فى بئر .

---

(١) الفجر : ٢٠ (٢) النساء : ٤٣ (٣) التوبة : ١٠٩ وغيرها
(٤) التوبة : ٧٩ (٥) هود : ٤٤ (٦) يوسف : ١٠

(جُفَاءً[1]) : جفاءُ السَّيْل ؛ أي يرمي به إلى جنباته . ويقال : جفأت القِدْرُ بزبدها إذا أَلْقَتْهُ عنها .

(جُرُزًا[2]) — بالضم والفتح والكسر : الأرض الغَليظة اليابسة التي لا نَبْتَ بها . ويقال الجرز التي تَجْرُزُ ما فيها من النبات وتبطله ، يقال جَرُزَت الأرضُ إذا ذهب نباتها، فكأنها قد أكلته ، كما يقال رجل جروز إذا كان يأتي على كلِّ مأكول لا يُبقي منه شيئاً ، وسيف جُراز يقطَعُ كل شيء يقعُ عليه فيهلكه ، وكذلك السنة الجروز . وأما قوله تعالى[3] : « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ فنخرِجُ به زَرْعًا تأكل منه أنعامُهم وأنفسهم » ؛ فمعناه العطشانة .

(جُذَاذًا[4]) ؛ أي فُتَاتا . ويجوز فيه الضم والفتح والكسر . وهو من الجَذّ بمعنى القطع . ويقال جذ الله دابِرَهم ؛ أي استأصلهم .

(جُدَد[5]) : جمع جُدَّة ، وهي الخطط والطرائق في الجبال .

(جزءًا[6]) : أي نَصيباً . وقيل إناثاً . وقيل بنات . ويقال أجزأت المرأة إذا ولدت أنثى . وجاء التفسير : أن مُشْركي العرب قالوا إن الملائكة بنات . وقالوا إنهم إناث ؛ فردَّ الله عليهم بقوله[7] : « أَلِرَبِّكَ البناتُ ولهم البنونَ » . «[8] أَشَهِدُوا خَلْقَهم ؟ » يعني أنهم لم يشهدوا خَلْق الملائكة ، فكيف يقولون ما ليس لهم به علم .

(جِبِلًا[9]) ـ بالضم والفتح والكسر : خلقا .

---

(١) الرعد : ١٧ (٢) الكهف : ٨ (٣) السجدة : ٢٧
(٤) الأنبياء : ٥٨ (٥) فاطر : ٢٧ (٦) الزخرف : ١٥
(٧) الصافات : ١٤٩ (٨) الزخرف : ١٩ (٩) يس : ٦٢

(جُنَّة(١)) تُرْس وما أشبهه مما يُتَستَّر به ، واستعمل فى آية المجادلة وغيرها استعارة ؛ لأنهم كانوا يُظهرون الإيمان لتُعْصَم دماؤهم وأموالهم .

(جُمِعَ الشَّمْسُ والقمر(٢)) : أى فى إذهاب ضوئهما . وقيل يجمعان حيث يُطلعهما الله من المغرب . وقيل يجمعان يوم القيامة ثم يُلقى بهما فى النار .

(جِبْت(٣)) : فيه أقوال والصحيحُ أنه كلُّ ما عُبِد من دون الله ويقال الجِبْت السِّحْر . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : الجبت اسم الشيطان بالحبشية . وأخرجه أيضاً عبد الرحمن عن عكرمة ، وأخرج ابن جرير عن سعيد ابن جُبير ، قال : الجبت الساحر ، بلسان الحبشية .

(جِزْية(٤)) : خراج مجعول على كل رأس . وسميت جزية أهل الكتاب ؛ لأنها قضاء منهم لما عليهم . ومنه قوله(٥) : « لا تَجْزِى نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئاً » ؛ أى لا تقضى ولا تُغْنِى . ويلتحق بأهل[١١٣ ا] الكتاب المجوسىّ لقوله صلى الله عليه وسلم : سنّوا بهم سنّةَ أهل الكتاب . واختلفوا فى قبولها من عبدة الأوثان والصابئين . ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين ؛ وقَدْرُها عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهماً على أهل الوَرِق .

فإن قلت : قد اتَّفق العلماء على قبول الجزية مع بقائهم على كُفْرِهم ، فما الفَرْق بينها وبين أخْذِ مالٍ على البقاء على المعصية كالزنى وشبهه ؟

فالجواب : أن بقاء أهل الكفر على دينهم متحقق مِمّن أسلم منهم أو مِنْ ذرِّيتهم ، بخلاف البقاء على المعصية . وقد جعل القرافى لهذه القاعدة فرْقاً فى فروقه ؛ فليتأمل هناك .

---

(١) المجادلة : ١٦ ، والمنافقون : ٢ (٢) القيامة : ٩
(٣) النساء : ٥١ (٤) التوبة : ٢٩ (٥) البقرة : ٤٨

(جِدَارًا[1]) : حائطاً ، وجمعه جُدُر .

(جَذْوَة[2]) — بضم الجيم وفتحها وكسرها : قطعة غليظة من الحطب فيها نار ولا لهب لها .

(جِفَان[3]) : قصاع كبار ، واحدها جفنة وقَصْعَة ، وقد قدمنا أنها كانت كالحياض فى كبرها ؛ لأنه كان يطبخ كل يوم ألف جزور ، وأربعة آلاف رأس بقر ، وثمانية آلاف رأس غنم ، وكانت له قُدورٌ راسيات يطبخ فيها الجزور من غير تفريق أعضائها .

(جِمَالَات صُفْر[4]) : فيها قولان : أحدها أنه جمع جمال ، شبّه به الشرر . وصُفْر على ظاهره ؛ لأن لون النار يضرب إلى الصفرة . وقيل : صفر هنا بمعنى سود . يقال جمل أصفر ؛ أى أسود . وهذا أَلْيَقُ بوصف جهنم . الثانى أن الجِمَالات قِطَعُ النّحاس الكبار؛ فكأنه مشتقٌ من الجملة . وقرىء جُمالات — بضم الجيم — وهى قلوس السُّفُن ، وهى حبالها العظام .

(جِيدِها[5]) : عنقها . والضمير يعود على أم جميل بنت حَرْب بن أُمَيَّة ، وهى أخت أبى سفيان وعمّةُ معاوية . وفى المراد به ثلاثة أقوال :

الأول : أنه إخبار عن حملها الحطب فى الدنيا ، وفى ذلك تحقير لها وإظهار لخسامة حالها .

والآخر[6] أن حالها فى جهنم يكون كذلك ؛ أى يكون فى عنقها حبل .

الثالث : أنها كانت لها قِلَادة فاخرة ، فقالت : لأنفقنّها على عداوة محمد ، فأخبر عن قلادتها بحبل المَسَدِ على جهة التفاؤل أو الذم لها بتبرّجها .

---

(١) الكهف : ٧٧ (٢) القصص : ٢٩ (٣) سبأ : ١٣
(٤) المرسلات : ٣٣ (٥) المسد : ٥ (٦) هنا : والثانى

(جِنَّة) : جن ؛ كقوله[1] : « من الجِنَّة والناس » . وهذا بيان لجنس الوسواس، وأنه يكون من الجن ومن الإنس . وجِنَّة جنون؛ كقوله عز وجل[2]: « ما بِصَاحبكم مِنْ جِنَّة » .

(جعل) قال الراغب[3] : فعل[4] عام فى الأفعال كلها ، وهو أعمُّ من فَعَل وصنع وسائر أخواتها ، وتتصرف على خمسة أوجه :

تجرى مجرى صار وطفق ، ولا تتعدى ، نحو جعل زَيْدٌ يقول كذا .

والثانى مجرى أوْجد فتتعدّى لمفعول واحد ؛ نحو[5] : « وجَعَل الظلماتِ والنورَ » .

والثالث فى إيجاد شىء من شىء وتكوينه منه ؛ نحو[6] : « وجعل لَكُم مِنْ أنفُسكم أزْوَاجًا » . «[7] وجعل لكم مِنَ الجبال أكْنانا » .

والرابع فى تصيير الشىء على حالة دون حالة ؛ نحو[8] : « الذى جعل لكم الأرْضَ فِرَاشا » . «[9] وجعل القمر فيهنّ نُوراً » .

الخامس الحكم بالشىء على الشىء حقاً كان ؛ نحو[10] : « وجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلين » . أو باطلا ؛ نحو[11]: « وَيَجْعَلُون لله البنات » . «[12] الذين جَعَلُوا القرْآنَ عِضِين » .

---

(١) الناس : ٦ — (٢) سبأ : ٤٦ — (٣) المفردات : ٩٤
(٤) فى المفردات : لفظ عام . — (٥) الأنعام : ١
(٦) النحل : ٧٢ — (٧) النحل : ٨١ — (٨) البقرة : ٢٢٥
(٩) نوح : ١٦ — (١٠) القصص : ٧ — (١١) النحل : ٥٧
(١٢) الحجر : ٩١

حرف الحاء المهملة

(حمد) هو الثناء ، سواء كان عن نعمة أو ابتداء ، والشُّكْرُ إنما يكون جزاء ؛ فالحمد من هـــذا الوجه أعمّ . والشكر باللسان والقلب والجوارح ، ولا يكون الحمد إلا باللسان ؛ فالشكر من هذا الوجه أعم . وحميد اسم الله تعالى محمود . والحمد بمعنى الشكر لا يصح على الله سبحانه ؛ لأنه ليس بمنعَم عليه ، وإنما هو المنعم على الخلق ، فلا يصحُّ منه الحَمْدُ الذي هو بمعنى الشكر . والحمد الذي هو بمعنى الثناء على ضربين : قديم ومحدث ؛ فالقديم ثناؤه على أنبيائه والمؤمنين من عبيده ، وذلك كلامه وهو قديم . والحمد المُحْدَثُ هو كلام الخَلْقِ وشكرهم له سبحانه .

(حظّ[1]) : نصيب .

(حَنيفا[2]) : موحّدا . وقيل حاجّا . وقيل مُختتنا ، وجمعه حُنَفَاء . والحنيف اليوم المسلم . وقيل : إنما سمى إبراهيم [١١٣ ب] حنيفاً لأنه كان حنف عما كان يعبد أبوه وقومه من الآلهة إلى عبادة الله ؛ أى عدل عن ذلك ومال . وأصل الحَنَف مَيْلٌ من إبهامى القدمين كل واحدة منهما على صاحبتها .

(حجّ البَيْتِ[3]) : أى قصده ، وسُمّى السفر إلى البيت حجا دون ما سواه . والحج ـ بالفتح والكسر لغتان . ويقال الحَج : القصـــد . والحِج الاسم . وقوله تعالى[4] : « إلى الناسِ يَوْمَ الحجّ الأَكبر » : هو يوم النَّحْر . ويقال يوم عَرَفَة ؛ وكانوا يسمون العمرة الحج الأصغر .

---

(١) النساء : ١١ ، ١٧٦ ، القصص ٧٩ ، فصلت : ٣٥ (٢) البقرة : ١٣٥

(٣) آل عمران : ٩٧ (٤) التوبة : ٣

واختلف هل وجوب حج البيت على الفور أو على التراخي .

وفى الآية ردٌّ على اليهود لما زعموا أنهم على مِلَّةِ إبراهيم . قيل لهم : إن كنتم صادقين فحجُّوا البيتَ الذى بناه إبراهيم ، ودعَا الناسَ إليه .

(حَصُورا[١]) : على ثلاثة أوجه : الذى لا يَقْرَبُ النساء . والذى لا يولد له . والذِى لا يخرج مع الندامى ، وأثنى وصف السيد يحيى بذلك ، فإنه كان يمسك نفسه ، لا أنه خلق كذلك ؛ لأنه نقص فى الخلقة . والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كاملون .

(حَوَارِيُّون[٢]) : هم صَفْوَةُ الأنبياء عليهم السلام الذين خاصوا وأخلصوا فى التصديق بهم ونصرتهم . وقيل : إنما سموا حواريين بالنبطية لِتَبْيِيضهم الثياب ، ثم صار هذا الاسم مستعملا فيمن أشبههم من المصدقين . وقيل : كانوا صيّادين . وقيل : كانوا مُلوكا . ونداء الحواريين لعيسى باسمه دليل على أنهم لم يكونوا يعظّمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ فإنهم كانوا لا يُنادونه باسمه ؛ وإنما يقولون ، يا رسول الله ، يا نبيّ الله . وقولهم : ابن مريم — دليلٌ على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح مِنْ نِسْبَتِهِ إلى أمٍّ دون وَالدٍ ، بخلاف ما اعتقده النصارى .

(حَبْل[٣]) : عَهْد ، والمراد بحَبْل الله القرآن . وقيل الجماعة ، مستعار من الحبل الذى يشدّ عليه اليد .

(حَسْرة[٤]) : ندامة واغْتِمام على ما فات ، ولم يمكن ارتجاعه .

---

(١) آل عمران : ٣٩ (٢) آل عمران : ٥٢ (٣) آل عمران : ١٠٣
(٤) آل عمران : ١٥٦

(حَسْبُنا اللهُ[1]) : أى كافينا ، وهى كلمةٌ يُدفع بها ما يُخاف ويُكره ؛ وهى التى قالها إبراهيمُ عليه السلام حين أُلْقِيَ فى النار .

(حبطَتْ) : بطلت .

(حَرِيق) : نار تلتهب .

(حَلائل[2]) : جمع حليلة ، وهى الزَّوْجة . وإنما قيل لها حليلة ؛ لأنه يحلّ معها وتحلّ معه . ويقال حليلة بمعنى محلّة ؛ لأنه يحل لها وتحل له ؛ وإنما خص الابن من الصلْبِ ليخرجَ عنه زوجةُ الابن الذى يتبنّاه الرجل وهو أجنبى عنه ، كتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة الكلبى الذى كان يُقَال له زيد ابن محمد .

(حَسِيبا[3]) : فيه أربعة أقوال : كافياً ، وعالماً ، ومقتدراً ، ومحاسباً .

(حَصِرَت صدُورُهم[4]) : معناه ضاقت عن القتال وكرهته . ونزلت الآية فى قوم جاءوا إلى المسلمين وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين ، وكرهوا أيضاً أن يقاتلوا قومهم وهم أقاربهم الكفار ؛ فأمر الله بالكف عنهم ، ثم نُسِخ أيضاً ذلك بالقتل .

(حاقَ بهم[5]) : أحاط بهم .

(حَمِيم[6]) : على أوجه : ماء حارّ ؛ وقد قدمناه . والحميم : القريب فى النسبة ؛

---

(١) آل عمران : ١٧٣ (٢) النساء : ٢٣ (٣) النساء : ٦ ، ٨٦

(٤) النساء : ٩٠ (٥) الأنعام : ١٠ (٦) الأنعام : ٧٠

كقوله عز وجل[١] : « ولا يُسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً » ؛ أى قريب قريباً . والحميم أيضاً الخاص ، يقال : دُعينا فى الحامّة لا فى العامة . والحميم أيضاً : الغريق .

(حَشَرْنَاهم[٢]) : جمعناهم ؛ قال الزمخشرى : إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضى بعد قوله : « نُسَيِّر » ؛ للدلالة على أن حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال .

(حَيْرَان[٣]) : أى ضالّ عن الطريق ، وهو نصب على الحال من المفعول فى استهوته .

(حَمُولَةً[٤]) ، وهى الإبل التى تطيق الحَمْلَ . قال المفسرون : الحَمُولة الإبل والخيل والبغال والحمير ، وكل ما حُمِلَ عليه .

(حَوَايا[٥]) : جمع حوية ؛ على وزن فعيلة ، فوزنُ حوايا على هذا فعائل ، كصحيفة وصحائف . وقيل وزنها [١١٤ ا] حاوية على وزن فاعلة ، فحوايا على هذا فواعل كضاربة وضوارب . وهو معطوف على ما فى قوله : « إلّا ما حملت ظُهورها » ؛ فهو من المستثنى من التحريم . وقيل عطف على الظهور ؛ فالمعنى إلا ما حملت الظهورُ ، أو حملت الحوايا ؛ وهى المَبَاعير ، وقيل المصارين ، والحشْوة ونحوها مما يتحوَّى فى البطن . وقيل عطف على الشحوم ؛ فهو من المحرم .

(حَرَّمَ ربكم عليكم[٦]) : أى نهى .

وأخرج ابنُ أبى حاتم عن عكرمة قال : حرم : وجب — بالحبشية . والخطاب لجميع الخَلْق .

---

(١) المعارج : ١٠ (٢) الكهف : ٤٧ (٣) الأنعام : ٧١
(٤) الأنعام : ١٤٢ (٥) الأنعام : ١٤٦ (٦) الأنعام : ١٥١

أمر الله نبيَّه صلَّى الله عليه وسلم أن يدعو جميعَهم إلى سماع تلاوة ما حرّم الله عليهم ، وذكر فى آيات الأنعام المحرمات التى أجمعت عليها جميعُ الشرائع ، ولم تنسخ قط فى ملّة .

وقال ابن عباس : هى الكلمات العشر التى أنزل الله على موسى .

(حَرْث[1]) : الأرض ، مصدر ، ثم استعمل بمعنى الأرض والزّرع والجنّات .

(حَثِيثا[2]) : سَرِيعاً . والجملة فى موضع الحال من الليل ؛ أى يطلُبُ النّهار فيدركه .

(حَقِيق[3] على ألّا أقول على الله إلّا الحق) : من قرأ « علىّ » بالتشديد على أنها ياء المتكلم ؛ فالمعنى ظاهر . وهو أن موسى قال : "حقيق عليه ألّا يقولَ على الله إلا الحق". وموضع ألّا أقول على هذا رفع ، على أنه خبر حقيق . وحقيق مبتدأ أو بالعكس . ومَنْ قرأ عَلَى بالتخفيف فموضع ألّا أقول خفض بحرف الجرّ ، وحقيق صفة لرسول . وفى المعنى على هذا وجهان : أحدهما أنْ على بمعنى الباء ؛ فمعنى الكلام رسول حقيق بألا أقول على الله إلا الحق . والثانى أن معنى حقيق حريص ؛ ولذلك تعدّى بعلى .

(حَفِيّ عنها[4]) : أى مهتبل بها معْتَنٍ بشأنها . والمعنى يسألونك كأنّكَ حَفِيٌّ بعلمها .

وقيل المعنى : يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم لقرابتك منهم ؛ فعنها على هذين القولين يتعلق بيسألونك .

---

(١) الأنعام : ١٣٦ (٢) الأعراف : ٥٤ (٣) الأعراف : ١٠٥

(٤) الأعراف : ١٨٧

وقيل المعنى يسألونك كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها . والحفى السؤال باستقصاء .

(حملت حَملًا خَفيفاً[1]) ؛ أى خفّ عليها ولم تلقَ ما يلقى بعضُ الحَبالى من حملهنّ من الأذى والكرب . وقيل الحمل الخفيف المنىُّ فى فرْجها . والضمير عائد على حوّاء حين تغشّاها آدم .

(حرض[2]) وحثّ وحضّ بمعنى واحد ، وهو الحثُّ على الشىء .

(حَنيذ[3]) : مشوىّ فى حر الأرض بالرضف ، وهى الحجارة المحماة . وقيل هنا بمعنى مفعول .

(حَصْحَص الحقُّ[4]) ؛ أى تبيّن وظهر .

(حرَضا[5]) : وهو الذى قد أدى به الحزن أو العشق إلى سقم وفناء .

(حَمأ مَسْنُون[6]) الحمأ : الطين الأسود . والمَسْنُون : المتغيِّرُ المُنْتن . وقيل : إنه من أسِنَ الماءُ إذا تغيّر . والتصريف يردُّ هذا القول . وموضع حمأ صفة لصلصال ؛ من صَلْصَالٍ كائنٍ من حمأ .

(حفَدة[7]) : خدم . وقيل : أختان . وقيل أصهار . ابن عباس : هم أولادُ البنين . وقيل البنات ؛ لأنّ لفظ البنين المذكر لا يدل عليهن .

(حاصِبا[8]) : يعنى حجارة أو ريحاً شديدة ترْمى بالحصباء . وهى الحصا الصغار .

---

(١) الأعراف : ١٨٩ (٢) النساء : ٨٤ (٣) هود : ٦٩

(٤) يوسف : ٥١ (٥) يوسف : ٨٥ (٦) الحجر : ٢٣

(٧) النحل : ٧٢ (٨) الإسراء : ٦٨

(حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ[1]) : أطفناها من جوانبهما . والحفاف : الجانب ، وجمعه أحفّة . والضمير راجع للجنتين المذكورتين .

(حَمِئة[2]) وحَامِية وحَمِيّة : حارة . وقرىء بالهمز على وزن فعلة ؛ أي ذات حمأة . وقرىء بالياء على وزن فاعلة ؛ وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس فبعثا إلى كَعْبِ الأحبار ليخبرهما بالأمر ؛ فقال : أمَّا العربية فأنتما أعْلَمُ بها منّي ، ولكني أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين ؛ فوافق ذلك قراءة ابن عباس . ويحتمل أن تكون بمعنى حمية ، ولكن سهلت همزته فيتفق معنى القراءتين . وقد قيل يمكن أن يكون فيها حمأة وتكون حارة لحرارة الشمس ، فتكون جامعة للوَصْفَيْن ؛ ويجتمع معنى القراءتين .

(حنانا[3]) : رحمة . وقال ابن عباس : لا أدرى ما الحنَان .

(حَصِيدا[4] خامدين) : معناه — والله أعلم — أنهم حُصِدُوا بالسَّيْفِ والموْت [١١٤ب] كما يُحْصَدُ الزرع ، فلم تَبْقَ باقية منهم . وشُبِّهُوا في هلاكهم بالزرع المحصود . ومعنى خامدين مَوْتَى ؛ وهو تشبيه بخمود النار . وقوله[5] : « منها قائم وحصيد » قد امَّحَى أثَرُه .

(حَدَب[6]) : مرتفع .

(حَصَبُ جهنَّمَ[7]) كل شيء ألقيْتَه في نار فقد حصَبْتها به . وقرأ علي ابن أبي طالب : حطب . وقرئت بالضاد المعجمة وهي ما هيجت به النار وأوقدته . والمرادُ بكلٍّ أن ما عُبِدَ من دون الله يُحْرَق بالنار توبيخاً لمن عبدها .

---

(١) الكهف : ٣٢ (٢) الكهف : ٨٦ (٣) مريم : ١٣
(٤) الأنبياء : ١٥ (٥) هود : ١٠٠ (٦) الأنبياء : ٩٦
(٧) الأنبياء : ٩٨

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : حَصَبُ جهنم ـ قال : حطب جهنم — بالزنجية .

(حَسِيسَها[1]) : صوتها .

(حمل) : الحَمْل — بفتح الحاء : ما كان في بطن أو على رأس شجرة ، والحِمْل — بالكسر : ما كان على ظهر أو رأس .

(حَذِرُون) الحذر المتيقظ .

(حاذِرُون[2]) مُؤدون ، أي ذوو أداة ، أي ذوو سلاح . والسلاح : آلات الحرب .

(حدائق ذات بَهْجة) : بساتين ذات حسن ، واحدها حديقة . والحديقة : كل بستان عليه حائط ، وما لم يكن عليه حائط لم يقل حديقة .

(حقّ عليهم القول[3]) ؛ أي وجبت عليهم الحُجّة ، فوجب العذاب . ومثله[4] : «حقّتْ كلمةُ ربك» ؛ أي وجبت . والحق له أربعة معانٍ : الصدق، والعدل في الحكم ، والشيء الثابت ، والأمر الواجب . والحق اسم الله تعالى ؛ أي واجب الوجود . ومنه الحديث : "السّحْر حقّ" يعني أنه موجود لا أنه صواب . والعَيْن حقّ ؛ يعني يصيب الشيء ؛ وليس معناه أنه حسن . وقد يعبّر به عن كلامه سبحانه حيث يقول : "والله يقولُ الحق". ومنه[5] : « وما خَلَقْنا

---

(١) الأنبياء : ١٠٢

(٢) الشعراء : ٥٦ ، وفي المفردات (١١١) : وإنا لجميع حـذرون ؛ وحاذرون . وفي الكشاف (٢ ـ ١٢٤) : وقرىء حذرون ، وحاذرون ؛ وحادرون — بالدال غير المعجمة .

(٣) الأحقاف : ١٨ (٤) يونس : ٣٣ (٥) الأنعام : ٧٣

السمٰوات والأرض وما بينهما إلا بالحقّ » ؛ يعني بالقول . وهو قوله تعالى[١] : « إنما قَوْلنا لشيْء إذا أرَدْناهُ أن نقولَ له كُنْ فيكُون » . فسمى القول حقا ـ يعني صدقاً . وقد يعبر به عن الإسلام ؛ نحو قوله تعالى[٢] : « يحقُّ اللهُ الحقَّ بكلماته » : يعني الإسلام . وقوله تعالى[٣] : « إنّ الذين حقَّتْ عليهم كَلمَةُ ربِّك » ؛ أي وجبت . وقد يُعبر عنه بالنبيّ صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى[٤] : « وأكثرُهم للحقِّ كارِهُون » .

(حَيَوان[٥]) : كلّ ذي رُوح . ويُراد به أيضاً الحياة ؛ كقوله تعالى[٥] : « وإن الدارَ الآخرةَ لَهِيَ الحَيَوان » ؛ أي الحياة الدائمة التي لا موْتَ فيها . ولفظ الحيوان مصدر كالحياة .

(حناجر) : جمع حنجرة وحُنْجُور ، وهي الحلْق . وبلوغ القلوبِ إليها في آية الأحزاب[٦] مجازٌ وعبارة عن شدة الخوف . وقيل هي حقيقة ؛ لأن الرِّئة تنتفخ من شدة الخوف فتَرْبو ويرتفعُ الحلق بارتفاعها إلى الحنجرة .

(حَرُور[٧]) : ريح حارة تهب بالليل . وقد تكون بالنهار . وآية فاطر تمثيلٌ للثواب والعقاب . وقيل : الظل الجنة . والحَرُور النار .

(حافِّين من حوْلِ العرش[٨]) ؛ أي مُحْدِقين به ، دائرين حوله . ومنه حفَّ به الناسُ ؛ أي صاروا في جوانبه .

(حَرْثَ الآخرة[٩]) : عبارة عن العمل لها . وكذلك :

---

(١) النحل : ٤٠ (٢) يونس : ٨٢ (٣) يونس : ٩٦

(٤) المؤمنون : ٧٠ (٥) العنكبوت : ٦٤ (٦) آية ١٠

(٧) فاطر : ٢١ (٨) الزمر : ٧٥ (٩) الشورى : ٢٠

(حَرْث الدنيا[1]) ؛ وهو مستعارٌ من حَرْثِ الأرض ؛ لأن الحارثَ يعمل وينتظر المنفعةَ مما عمل .

(حَمِيَّة الجاهلية[2]) : الأَنَفَة والغَضَب ، وذلك أنهم منعوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم والمسلمين من العُمرة ، ومنعهم من أن يكتب فى كتاب الصلح : "بسم الله الرحمن الرحيم" ، ومنعهم من أن يكتب "محمد رسول الله" ، وقولهم : "لو نعلم أنك رسولُ الله لتابعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك" .

(حَبَّ الحَصِيد[3]) : هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يُحصد ، وهو مما أُضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين .

(حَبْل الوَرِيد[4]) : هو عِرْقٌ كبير فى العنق ، وهما وَرِيدان عن يمين وشمال ؛ وهذا مثل فى فرط القُرب . والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده ؛ وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك مسجد الجامع ؛ أو يُراد بالحبل العاتق .

(حقّ اليقين[5]) : معناه الثابت من اليقين . وقيل : إن الحق واليقين بمعنى واحد ؛ فهو من إضافة الشىء إلى نفسه . واختار ابن عطية أن يكون كقولك فى أمر تؤكده : هذا يقين اليقين ، أو صواب الصواب ؛ بمعنى أنه نهاية الصواب .

(حادَّ الله[6]) : [١١١٥] شاقه ؛ أى عاداه ، وخالفه .

(حاجَةً) : فقرٌ ومِحنة . والحاجة أيضاً : الحسد ؛ ومنه[7] : « ولا يجدون فى صدورهم حاجةً مما أُوتوا » . ويحتمل أن يكون بمعنى الاحتياج على أصلها .

---

(١) الشورى : ٢٠ (٢) الفتح : ٢٦ (٣) ق : ٩
(٤) ق : ٢٦ (٥) الواقعة : ٩٥ (٦) المجادلة : ٢٢
(٧) الحشر : ٩

(حَسِير[1]) : كَلِيل أدركه التَّعب . ومعنى هذا أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرةٍ لترى فيها شقاقاً أو خَلَلًا رجع بصرُك ولم تر شيئاً من ذلك ؛ فكأنه ناسٍ لَاهٍ لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل . وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التَّأمل .

(حَرْد[2]) : فيه أربعة أقوال : المنع ، والقصد ، والغضب . وقيل : إن الحرد اسم علم للجنة ، ويقال : حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر .

(حاقة[3]) : يعنى القيامة ، وسميت بذلك لأنها تحقّ ؛ أى يصح وجودها ولا رَيْبَ فى وقوعها ؛ أو لأنها حقّت لكل أحد جزاء عمله ، أو لأنها تُبْدِى حقائقَ الأمور .

(حافرة[4]) : رجوع إلى أول الأمر . ويقال رجع فلان فى حافرته . وقول الكفار[4] : « أئنا لَمَرْدُودُونَ فى الحافرة » — إنكار منهم لذلك ؛ ولذلك اتفق القرّاءُ على قراءته بهمزتين ، إلا أنّ منهم مَنْ سهّل الثانية . ومنهم من حقّقها . واختلفوا فى[5] : « أإذا كُنَّا عظاماً نَخِرة » ؛ فمنهم من قرأه بهمزة واحدة ؛ لأنه ليس موضع استفهام ولا إنكار ، ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيداً للإنكار المتقدم . والمعنى أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت . وقيل : إن الحافرة الأرض ، بمعنى المحفورة ؛ فالمعنى أئنا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدَّفْنِ فى القبور ؟ وقيل : إن الحافرة النار .

(حَمَّالة الحطب[6]) فى وصف أمّ جميل بحمّالة الحطب أربعة أقوال :

---

(١) الملك : ٤ (٢) القلم : ٢٥ (٣) الحاقة : ١ ، ٢ ، ٣

(٤) النازعات : ١٠ (٥) النازعات : ١١ (٦) المسد : ٤

أحدها : أنها كانت تحمل حَطباً وشَوْكا فتلقيه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم لتؤذيه .

الثانى : أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة ، يقال : فلان يحمل الحطب بين الناس ؛ أى يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم .

الثالث : أنه عبارة عن سعيها بالمضرّة على المسلمين ؛ يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرارَ به .

الرابع : أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها .

(حدود الله[1]) : ما حدّها لهم من امتثالِ أوامره واجتناب نواهيه ؛ لأنّ الحدّ هو النهاية التى إذا بلغها المحدود له امتنع .

(حُوبا[2]) ـ بالضم : الاسم . والحَوْب ـ بالفتح : المصدر . ومعناه إثم إثماً عظيما . قال ابن عباس : هو الإثم بلغة الحبشة .

(حُرُم[3]) : محرمين ، واحدهم حرام ؛ ومنه[4] : « وحرّمَ عليكم صَيد البَرّ ما دُمْتُم حُرما » .

(حكم ، حكمة) يقال حكم وحكمة، وذل وذِلّة ، ونحل ونِحلة ، وخُبز وخبزة ، وقل وقلة ، وعُذْر وعذرة ، وبُغض وبِغضة ، ووقر ووقرة .

(حُسبانا) : حساباً ، ويقال جمع حساب ، مثل شهاب وشُهْبان . فأما فى الأنعام[5] فالمراد بها أن الله تعالى جعل الشّمسَ والقمرَ يُعلَمُ بهما حسابُ الأزمان والليل والنهار . وأما آية الكهف[6] فالمراد أن يرسل عليها عذاب حسبان ؛ وذلك الحسبان حسبان ما كسبت يداك كالصّرّ والبرد ونحو ذلك .

(حُبُك[7]) : طرائق تكون فى السماء من آثار الغَيْم ، واحدتها حَبيكة

---

(١) البقرة : ١٨٧ (٢) النساء : ٢ (٣) المائدة : ١

(٤) المائدة : ٩٦ (٥) آية ٩٦ (٦) آية ٤٠

(٧) الذاريات : ٧

وحِبَاك . والحبك أيضاً الطرائق التي تراها في الماء القائم إذا ضربته الريح ؛ وكذلك حُبُك الرمل الطرائق التي تراها فيه إذا هبت عليه الريح . ويقال شَعْره حُبُك إذا كان مُتَكَسِّراً جعودته طرائق .

(حُطاماً[1]) : متفتتا يابساً ، وشبَّه الله الدنيا بالزرع الذي ينبته الزارع في سرعة تغيره بعد حُسنه ، وتحطمه بعد ظهوره .

(حُور[2]) : جمع حوراء ؛ وهي الشديدة بياض العين في شدة سواد سوادها .

(حُسُوماً[3]) : ابن عباس : معناه متتابعة كاملة لم يتخللها غير ذلك . وقيل : معناه شُؤْماً ونَحْساً . وقيل : هو جمع حاسم ، من الحسم ، وهو القطعُ ؛ أي قطعتهم بالإهلاك .

وحسوم على القولين مصدر في موضع الحال ، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله .

(حُطَمَة[4]) : هي جهنم ؛ وسميت بذلك لأنها تحطِمُ ما يُلقى فيها [١١٥ ب] وتلتهمه ؛ وقد عظَّمها بقوله[5] : « وما أدراكَ ما الحُطَمة » ؛ فإذا كان العظيم يعظم شيئاً هل يدرك حقيقته غيرُه ؟ عصمنا الله منها بجاه نَبِيِّه صلى الله عليه وسلم . والحطَمة : السَّنَة الشديدة أيضاً .

(حين) : غاية ووقت وزمان غير محدود . وقد يجيء محدوداً . وأما الحين المذكور في الإنسان[6] فهو الحال الذي أتى عليه حين كان طينا قبل أن ينفخ فيه الروح ، وضُعِّف لوجهين :

---

(١) الزمر : ٢١ (٢) الدخان : ٥٤ (٣) الحاقة : ٧

(٤) الهمزة : ٤ (٥) الهمزة : ٥ (٦) هل أتى على الإنسان حين من الدهر ..

أحدهما – قوله[1]: «إنّا خلقنا الإنسانَ مِن نُطفةٍ». وهو هنا جنس باتفاق ؛ إذ لا يصح هذا فى آدم .

والآخر أنّ مقصد الآية تحقير الإنسان .

(حِطّةٌ[2]) : مصدر حُط عنا ذنوبنا حطة . والرفع على تقدير إرادتنا حطة ، ومسألتنا حطة . ويقال الرفع على أنهم أُمِروا بهذا اللفظ بعينه فبدّلوا حنطة . وروى حبّة فى شعرة . وقيل معناه : قولوا صوابا بلغتهم . وقيل معناه بالعبرانية لا إله إلا الله .

(حلّ) : حلال ، و (حرم) : حرام . وقرئت : وحرم[3] على قرية ؛ أى واجب . والمعنى واحد . وقوله[4] : « وأنتَ حِلٌّ بهذا البلد » ؛ أى حلال . ويقال حل حال : أى ساكن ؛ أى لا أقسم به بعد خروجك منه ؛ لأن السورة نزلَتْ والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة .

وقيل : إنّ المعنى تستحل حرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قتلُ صيد ولا بشر، ولا قطع شجر. وعلى هذا قيل لا أقسم نفى؛ أى لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية .

وقيل معنى حل حلال يجوز لك فى هذا ما شئتَ من قتل كافر وغير ذلك مما لا يجوزُ لغيرك ؛ وهذا هو الأظهر ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : «إن هذا البلد حرامٌ حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، لم يحل لأحد قبلى ، ولا يحِلُّ لأحد بعدى ؛ وإنما أُحِلَّ لى ساعةً من نهار – يعنى يوم فتح مكة». وفى ذلك اليوم

---

(١) الإنسان : ٢ (٢) الأعراف : ١٦١

(٣) الأنبياء : ٩٥ — وحرام على قرية أهلكناها .

(٤) البلد : ٢

أمر عليه السلام بقتل ابن خَطَل[١]، وهو مُتَعَلِّقٌ بأستار الكعبة، ولا يحل قتل من تعلق بها . وهذه خصوصية له عليه السلام ؛ لأنه كان يؤذى الله ورسوله .

فإن قيل : السورة مكية وفتح مكة كان ثمانية من الهجرة ؟

فالجواب : أن هذا وَعْدٌ بفتح مكة ، كما تقول لمن تعده بالكرامة : أنت مكرم ، تعنى فيما يستقبل .

وقيل : إن السورة على هذا مدنية ، نزلت يوم الفتح ؛ وهذا ضعيف .

(حِنْث[٢]) : شرك ؛ ومنه[٢] : « وكانوا يُصِرُّون على الحِنْث العظيم » . وقيل : الحنث فى اليمين : أى اليمين الغَمُوس . وقيل الإثم .

(حكمة) : اسم للعقل ، وإنما سُمى حكمة لأنه يمنع صاحبه من الجهل . ومنه حَكَمة الدابّة ؛ لأنها ترد من غَرْبها وإفسادها .

(حِوَلا) ، أى تحوُّلاً وانتقالا .

(حِجْراً مَحْجورا[٣]) : أى حراما محرّما عليكم . والحِجْر : ديار ثمود ؛ ومنه[٤] : « ولقد كذّب أصحاب الحِجْرِ المُرْسَلِين » . والحجر : العقل ؛ كقوله[٥] : « هَلْ فى ذلك قَسَمٌ لِذِى حِجْر » . والحجر : حجر الكعبة ؛ وهو ما حولها فى أحد جوانبها . والحجر الفرس الأنثى . وحِجر القميص وحَجره لغتان مشهورتان . والفتح أفصح .

(حاشا) : اسم بمعنى التنزيه فى قوله[٦] : « حاشَا لِلّه ما عَلِمْنا عليه

---

(١) هو عبد الله بن خطل ، تعلق بأستار الكعبة يوم الفتح ، فأمر النبى بقتله .

(٢) الواقعة : ٤٦ (٣) الفرقان : ٢٢ (٤) الحجر : ٨٠

(٥) الفجر : ٥ (٦) يوسف : ٥١

مِنْ سُوء » . «[1] حاشا لله ما هذا بَشَرا » . لا فعلٌ ولا حرف ، بدليل قراءة بعضهم حاشاً بالتنوين ، كما يقال براءة من الله . وقراءة ابن مسعود : "حاشَ اللهِ" بالإضافة ، كمعاذ الله ، وسبحان الله ، ودخولها على اللام فى قراءة السبعة ، والجار لا يدخل على الجار . وإنما ترك التنوين فى قراءتهم لبنائها ؛ لشبهها بحاش الحرفية لفظاً .

وزعم [قوم أنها اسم فعل معناه : أتبرأ وتبرأت لبنائها . وورد بإعرابها فى بعض اللغات .

وزعم][2] المبرد وابن جنى أنها فعل ، وأن المعنى فى الآية جانَبَ يوسفُ المعصية لأجل الله . وهذا التأويل لا يتأتى فى الآية الأخرى .

وقال الفارسى : حاشا فعل من الحشَى ؛ وهو الناحية ؛ أى صار فى ناحية ؛ أى بَعُدَ عما رُمِي به وتنحّى عنه فلم يَغْشَه ولم يلابسه ، ولم يقع فى القرآن حاشا الاستثنائية .

(حتى) : حرف لانتهاء الغاية ، كإلى ؛ لكن يفترقان فى أمور ؛ فتنفرد حتى بأنها لا تجر إلا الظاهر ، وإلا الآخر[3] المسبوق بذى أجزاء أو الملاقى له ، نحو[4] : « سَلامٌ هى حتى مَطْلَعِ الفَجْرِ » .

وأنها لإفادة تقضّى [١١٦ ا] الفعل قبلها شيئا فشيئا .

وأنها لا يقابَل بها ابتداء الغاية .

---

(١) يوسف : ٣١ (٢) من الإتقان .

(٣) فى المغنى : والشرط الثانى خاص بالمسبوق بذى أجزاء ، وهو أن يكون المجرور آخراً ، نحو أكلت السمكة حتى رأسها ، أو ملاقياً لآخر جزء ، نحو : سلام هى ..

(٤) القدر : ٥

وأنها يقعُ بعدها المضارع المنصوب بأن المقدرة ويكونان في تأويل مصدر مخفوض مرادفة إلى ، نحو[١] : « لن نبرح عليه عاكفين حتى يَرْجِعَ إلينا مُوسى » ؛ أي إلى رجوعه . ومرادفة كي التعليلية ؛ نحو[٢]: « ولا يزَالُون يقاتلونكم حتى يردوكم » . «[٣]لا تُنفِقُوا على مَنْ عند رسولِ الله حتى ينفضُّوا» . وتحتملهما[٤]: « فقاتِلُوا التي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى أمْرِ الله » . ومرادفة إلا في الاستثناء ؛ وجعل منه ابن مالك وغيره[٥] : « وما يعلمان مِنْ أحَدٍ حتى يَقُولَا » .

مســـألة

متى دلَّ دليلٌ على دخول الغاية التي بعد إلى وحتى في حكم ما قبلها أو عدم دخوله فواضح أنه يعمل به ؛ فالأول نحو قوله[٦] : « وأيدِيَكم إلى المَرَافق . وأرجلكم إلى الكعبين » . دلت السنة على دخول المرافق والكعبين في الغسل.

الثاني نحو[٧] : « ثُمّ أتِمُّوا الصيامَ إلى الليل » . دل النهي عن الوصال على عدم دخول الليل في الصيام . «[٨]فَنَظِرَةٌ إلى ميسرة» ؛ فإن الغايةَ لو دخلت هنا لوجب الإنظار حال اليسار أيضاً ؛ وذلك يؤدي إلى عدم المطالبة وتفويت حق الدائن . وإن لم يدل دليل على واحد منهما ففيه أربعة أقوال :

أحدها — وهو الأصح — تدخل مع حتى دون إلى حَمْلاً على الغالب في البابين ؛ لأن الأكثر مع القرينة عدم الدخول مع إلى والدخول مع حتى، فوجب الحمل عليه عند التردد .

---

(١) طه : ٩١ (٢) البقرة : ٢١٧ (٣) المنافقون : ٧
(٤) الحجرات : ٩ (٥) البقرة : ١٠٢ (٦) المائدة : ٦
(٧) البقرة : ١٨٧ (٨) البقرة : ٢٨٠

والثانى تدخل فيهما .

والثالث لا تدخل فيهما ، واستدل القولان فى استوائهما بقوله[1] : « فَمَتَّعْنَاهُم إلى حين » . وقرأ ابن مسعود حتى حين .

تنبيــه

حتى ترد ابتدائية ؛ أى حرفا يبتدأ بعده الجمل ، أى تستأنف ، فيدخل على الاسمية والفعلية المضارعة والماضية ؛ نحو[2] : « حتى يقولُ الرسولُ » بالرفع . «[3] حتى عَفَوْا وقالوا » . «[4] حتى إذا فشلْتم وتنازَعْتم » وادعى ابن مالك أنها فى الآيات جارّة لإذا ولأن مضمرة ، كما فى الآيتين الأوليين . والأكثر على خلافه .

وترد عاطفة ، ولا أعلمه فى القرآن ، لأن العطف بها قليل جداً . ومِنْ ثَمّ أنكره الكوفيّون البتّه .

(حيث) : ظَرْف مكان . قال الأخفش : وترِد للزمان مبنيةً على الضم تشبيها بالغايات ، فإنّ الإضافة إلى الجملة كلا إضافة ، ولهذا قال الزجاج ـ فى قوله تعالى[5] : « من حيث لا تَرَوْنَهم » : ما بعد حيث صلة لها ، وليست بمضافة إليه ، يعنى أنها غير مضافة للجملة بعدها ، فصارت كالصلة لها ، أى كالزيادة ، وليست جزءاً منها . وفهم الفارسى أنه أراد أنها موصولة . ورُد عليه .

ومن العرب من يعربها ، ومنهم مَنْ يبنيها على الكَسْر لالتقاء الساكنين ، وعلى الفتح للتخفيف ، وتحتملهما قراءة مَنْ قرأ : « مِنْ حيثِ لا يعلمون » ـ

---

(١) يونس : ٩٨ (٢) البقرة : ٢١٤ (٣) الأعراف : ٧٥
(٤) آل عمران : ١٥٢ (٥) الأعراف : ٢٨

بالكسر . «(١) الله يَعْلَمُ حيثَ يجعَلُ رِسالاته » — بالفتح . والمشهور أنها لا تتصرف .

وجوّز قومٌ فى الآية الأخيرة كونَها مفعولا على السعة ، قالوا : ولا تكون ظرفا ، لأنه تعالى لا يكون فى مكان أعلم منه فى مكان ، ولأنه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة لا شيئا فى المكان ، وعلى هذا فالناصب لها يُعلم محذوفا مدلولا بأعلم لا به ، لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به إلا إنْ أوّلْتَه بعالم .

وقال أبو حيان : الظاهر إقرارها على الظرفية المجازيّة وتضمين أعلم معنى ما يتعدّى إلى الظرف ، فالتقديرُ : اللهُ أنفذ عِلْما حيث يجعل ، أى هو نافذ العلم فى هذا الموضع .



(١) الأنعام : ١٢٤

حرف الخاء المعجمة

(خلق) : له معنيان : من الخلقة ، ومنه الخالق اسم الله ، والخلاق . وخلق الرجل : كذب . ومنه[1] : « وتخلقون إفكاً » . واختلاق كذب .

(ختم الله على قلوبهم[2]) : أي طبع عليها ؛ وهذا تعليل لعدم إيمانهم ؛ وهو عبارة عن إضلالهم ؛ فهو مجاز ، وقيل حقيقة ، وإن القلب كالكف يُقبض مع زيادة الضلال أصبعاً أصبعاً [١١٦ ب] حتى يختم عليه . والأول أظهر .

(خالدون) : باقون بقاءً لا آخر له . وبه سميت الجنة دار الخلد . وكذلك النار . وتعلق المعتزلة بقوله تعالى[3] : « خالداً فيها » : أن العصاة من المؤمنين مخلدون في النار . وتأولها الأشعرية على أنها في الكفار .

(خاشعين) : متواضعين . وقوله تعالى[4] : « وخشعت الأصواتُ للرحمن » ؛ أي خفتت ، ويراد به السكون . ومنه[5] : « وترى الأرضَ خاشعة » .

(خير) : ضد الشر ، وله أربعة معان : العمل الصالح ، والمال ؛ ومنه[6] : « إنْ ترك خيْرًا الوصيّة » ؛ والخيرة ، والتفضيل بين شيئين .

(لا خَلاق[7]) : لا نَصيب .

(الخيْط الأبيض[8]) : بيَاض النهار ، (والخيط الأسود[8]) سواد الليل .

---

(١) العنكبوت : ١٧ (٢) البقرة : ٧ (٣) النساء : ١٤
(٤) طه : ١٠٨ (٥) فصلت : ٣٩ (٦) البقرة : ١٨٠
(٧) البقرة : ١٠٢ (٨) البقرة : ١٨٧

(خاوِية) : خالية حيثُ وردت .

(خَبالا[1]) : فسادا .

(خائبين) : فاتهم الظَّفَر .

(خطأ) : ضد الصواب . وهو عَدَم الإصابة ؛ وهو فيمن قتل مؤمناً خطأ بمعنى السهو ؛ كقوله تعالى[2] : « ليس عليكم جُنَاحٌ فيما أَخطأْتُمْ به » . وقد يُعَبَّر به عن الباطل ؛ كقوله تعالى[3] : «لا تُؤَاخِذْنَا إنْ نسينا أو أخطأْنا» ؛ ففرّق بين الخطأ والنّسيان .

وأما المخطىء فهو المبطل . والخاطىء نقيض العامد . وقيل المخطىء : ما كان في الدِّين خاصة ، والخاطىء ما كان في غيره . وقيل : هما سواء ، يقال : خطأ وأخطأ بمعنى واحد ؛ قاله أبو عبيدة .

(خَلِيل) : صديق ؛ وهو فعيل من الخُلّة ، وهي الصداقة والمودّة .

(خَصِيم[4]) : جيِّد للخصومة .

(خائنة[5]) : مصدر بمعنى الخيانة ، والهاء للمبالغة ؛ كما قالوا : رجل علامة .

(خَسِرُوا أنفسهم) : غبنوها وأهلكوها .

(خوّلنَاكم[6]) : ملكناكم من الأموال والأولاد .

(خلفتُمونى مِنْ بعْدِي[7]) ؛ أي قمتم مقامي . والمخاطب بذلك إما القوم

---

(١) آل عمران : ١١٨ (٢) الأحزاب : ٥ (٣) البقرة : ٢٨٦

(٤) النحل : ٤ ، وفي البصائر والمفردات : الخصيم : الخصم الكثير المخاصمة .

(٥) المائدة : ١٣ (٦) الأنعام : ٩٤ (٧) الأعراف : ١٥٠

الذين عبدوا العِجْل مع السامرىّ فى غيبة موسى عنهم ، أو رؤساء بنى إسرائيل ؛ كهارون عليه السلام حيث لم يكفّر الذين عبدوا العجل .

(خالفين[1]) : متخلّفين عن القوم الذاهبين إلى الجهاد . وأما قوله تعالى[2] : « رَضُوا بأَنْ يكونوا مع الخَوَالف » ؛ أى مع النساء والصبيان .

(خرَقُوا له بنين وبناتٍ بغَيْر علم[3]) ؛ أى اختلقوا وزَوَّرُوا ، والبنين : قولُ النصارى فى المسيح ، واليهود فى عزير . والبنات قولُ العرب فى الملائكة . وإنما قرأه ابن عباس بالتشديد مبالغة فى قولهم ذلك مرةً بعد أخرى .

(خلائفَ الأرض[4]) : يخلفُ بعضهم بعضاً فى سكناها ، واحدهم خليفة .

(خاطئين) : قال أبو عبيدة : خطأ وأخطأ بمعنى . وقيل أخطأ فى كل شىء إذا سلك سبيلا خطأ عامداً وغير عامد .

(خَطْبُكُنّ[5]) : أمركن ، والضميرُ للنسوة التى جمعهن الملكُ وامرأة العزيز معهنّ ، فسألهن عن قصة يوسف ، وأسند المراودة إلى جميعهن ؛ لأنه لم يكن عنده عِلم بأنّ امرأة العزيز هى التى راوَدَتْه وحدَها .

(خَلَصُوا نَجِيّا[6]) : أى انفردوا عن غيرهم يُنَاجى بعضُهم بعضا . والنَّجِىُّ يكون بمعنى المنادى مصدراً .

(خرّوا له سجّداً) : كان السجودُ عندهم تحيةً وكرامة لا عبادةً .

(خبَتْ[7] زِدْنَاهُمْ سَعِيرا) : أى سكن لَهَبُ النار . ومعناها كلما أكلتْ

---

(١) التوبة : ٨٣ (٢) التوبة : ٨٧ (٣) الأنعام : ١٠٠
(٤) الأنعام : ١٦٥ (٥) يوسف : ٥١ (٦) يوسف : ٨٠
(٧) الإسراء : ٩٧

لحومَهم فسكن لهيبها بدَّلوا أجساداً أخر ، ثم صارت ملتهبةً أكثر مما كانت . وهذه الآية كالتي في النساء[1] : « كلما نَضِجَتْ جلودُهم بدَّلْنَاهم جُلوداً غيرها » .

(خَرْجاً[2]) : جِبَايَة . ويقال فيه خراج . وقُرِئ بهما ، فرضوا على ذي القرنين أن يجمعوا له أموالا يُقيم بها السد ، فقال : ما مكَّنِّي فيه رَبِّيَ خير .

وقيل : إن الخرج أخَصُّ من الخراج . يقال : أدِّ خرج رَأسِك ، وخراج مدينتك . وأما قولُه تعالى[3] : « أم تسألُهم خَرْجاً ، فخراجُ ربك » ـ فمعناه أم تسألهم أجراً على ما جئت به فأجْرُ ربك وثوابه خير ؛ لأنه يرزقك ويغنيك عنهم . وهذا كقوله : أم تسألهم أجْراً ، فيثقل عليهم اتِّبَاعُك .

(الخبيثات للخَبِيثين[4]) : معناه أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ؛ ففي ذلك ردٌّ على أهل الإفْكِ ؛ لأن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أطيبُ الطيبين [١١٧ ا] وزوجته أطيب الطيبات .

وقيل : إن الخبيثات مِنَ الأعمال للخبيثين من الناس ، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس . وفيه أيضا ردٌّ على أهل الإفك ؛ لأن عائشةَ لا يليقُ بها إلا الطيبات من الأعمال ، بخلاف ما قاله أهلُ الإفك .

وقيل الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس ؛ والإشارةُ بذلك إلى أهل الإفك ؛ أي أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم .

---

(١) آية : ٥٦ (٢) الكهف : ٩٤ (٣) المؤمنون : ٧٢

(٤) النور : ٢٦

(خلق الأولين[1]) : أي اختلافهم وكذبهم . وقُرِئت خلق للأولين ؛ أي عادتهم .

(خَبْء) : مستتر . وقيل معناه في الآية[2] : الغيب . وقيل يخرج النبات من الأرض . واللفظ يَعُمُّ كل خفي . وبه فسره ابن عباس .

(خَتّار[3]) : غدّار . والخَتْر أكبر الغدر ، وأكبر الغَدْر جحدان نعم الله .

(خاتم النبيين[4]) : من أسماء نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . وقرىء بكسر التاء ، بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم . وبالفتح بمعنى أنهم خُتِمُوا به ، فهو كالخاتم والطابع لهم .

فإن قلت : كيف كان خاتمهم ، وهذا عيسى ينزل في آخر الزمان ؟

فالجواب أنه عليه السلام ينزل مجدِّداً لهذه الشريعة المحمدية ، كالمهدي الذي يكون قبله ، وكما جرت الحكمة في أنه لا ينصر الرجلَ ولا يذبُّ عنه إلا مَنْ كان من قرابته ، يبعث الله المهدي من ذريته عليه السلام ، كما قال : اسمه كاسمي ، ونسبه كنسبي ، ويمكث في الأرض خمس سنين أو سبعاً على اختلاف الروايات ، ثم يأتي بعده عيسى عليه السلام ليجدِّدَ شريعته ، ويلتقي مع المهديّ بالشام فيموت المهدي ، ويجدد عيسى عليه السلام هذه الشريعة المحمدية ؛ لأن نبينا صلى الله عليه وسلم يتزوّج أمّه مريم في الجنة ، فيكون عيسى ربيبا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ولذلك يقال لعيسى : تقدم للصلاة ، فيقول : إمامُكم منكم ، يشير إلى أنه لم يَأْتِ بشريعةٍ أخرى . وقيل : إنه عليه السلام طلب مِنَ الله

(١) الشعراء : ١٣٧ (٢) النمل : ٢٥ (٣) لقمان : ٣٢
(٤) الأحزاب : ٤٠

أنْ يكون من هذه الأمة المحمدية لما علم مِنْ فَضْلِها ، فأعطاه الله ذلك ، وبعثه في آخرهم . فهنيئاً لكم يا أُمَّةَ محمد بما خوّلكم الله مِنَ الفَضْلِ ، وخَصّكم بهذا النبيّ الكريم ، عليه أفضلُ صلاةٍ وأزكى تسليم .

(خَرّ مِنَ السماء[1]) : معناه سقط ؛ لأنه تمثيل للشِّرْكِ بِمَنْ أهلك نفسه أشد الهلاك .

(الخَلْف[2]) : الرديء من الناس . ويقال في عقب الخير خَلَف ـ بفتح اللام ، وفي عقب الشر خَلْف ـ بالسكون ؛ وهو المعنى هُنا . واختلف مَن المعنيُّ بذلك ؟ فقيل : النصارى ، لأنهم خلفوا اليهود . وقيل : كل من كفر وعصى بعد بني إسرائيل .

(خَمْط[3]) : الخمط : شَجَرُ الأراك . وقيل : كلُّ شجرة ذات شوك .

(خَطِفَ الخَطْفَة[4]) ، أي خطفوه بسرعة واستلاب . والمعنى لا تسمع الشياطينُ أخبارَ السماء إلّا الشيطان الذي خَطِفَ الخطفة .

(خَوَّلَه[5]) : أعطاه .

(خيرات) : يريد خيّرات ـ بالتشديد ، جمع خيرة . وقال الزمخشري وغيره : أصله خيّرات ـ بالتشديد ، ثم خُفف ، كميت . قالت أم سلمة : أخبرني يا رسول الله عَنْ قوله تعالى[6] : « خيرات حسان » . قال : خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه .

(خافضة رَافِعة[7]) : تقديره هي خافضة رافعة ، فينبغي أن يوقف على ما قبله

---

(١) الحج : ٣١ (٢) الأعراف : ١٦٩ (٣) سبأ : ١٦
(٤) الصافات : ١٠ (٥) الزمر : ٨ (٦) الرحمن : ٧٠
(٧) الواقعة : ٣

لبيان المعنى . والمراد بالخفض والرفع أنها ترفع أقواما إلى الجنة ، وتخفض أقواما إلى النار .

وقيل ذلك عبارة عن هَوْلها ؛ لأن السماءَ تنشق ، والأرض تزلزل وتمتد ، والجبال تنسف ، فكأنها تخفض بعضَ هذه الأجرام وترفع بعضها .

(خَصاصة[1]) : حاجة وفقر . وأصل الخصاصة الخلل والفُرَج ، ومنه خَصاص الأصابع ، وهي الفرج التي بينها . وفي هذه الآية مَدْحٌ للأنصار ، كأنهم كانوا يؤثرون غيرَهم بالمال على أنفسهم ، ولو كانوا في غاية الاحتياج .

وروى أن سبب نزولها أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم [١١٧ ب] لما قَسَم هذه القُرى على المهاجرين دونَ الأنصار قال للأنصار : "إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودِيَارِكم ، وشارَكْتمُوهم في هذه الغنيمة . وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذا" . فقالوا : بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة .

وروى أن سببها أن رجلا من الأنصار أضاف رجلا من المهاجرين ، فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله ، فقالت له زوجه : والله ما عندنا إلا قوت الصبيان . فقال لها : نَوِّمِي صبيانك ، وأطفِئِي السِّرَاج ، وقَدِّمِي ما عندك للضيف ، ونُوهمه نحن أنَا نَأكُل ، ولا نأكل ، ففعلا ذلك . فلما غَدَا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عَجِبَ الله مِنْ فِعلكما البارحة ، وتلا عليه الآية .

(خَسَفَ القَمَر[2]) : بالخاء والكاف بمعنى ذهاب ضوئه ويقال خُسِفَ هو ، وخسفه الله .

وقيل : الكسوف ذَهَابُ بَعْضِ الضوء ، والخسوف ذهابُ جميعه .

---

(١) الحشر : ٩ (٢) القيامة : ٨

(خَنّاسِنا[1]) : هو المنفّر عن الشيء الذي طلبه .

(خابَ مَنْ دَسّاها[2]) ؛ أي حقرها بالكُفْرِ والمعاصي . وأصله دسس بمعنى أخفَى ، فكأنه أخفى نفسه لما حقرها ، وأبدل من السين الأخيرة حرف علة ، كقولهم : قصّيْتُ أظفاري ، وأصله قصصت .

(خُطُوات الشيطان[3]) : آثاره .

(خُلّة[4]) – بضم الخاء : موَدّة ؛ ومنه الخليل ، وجمعه أخلّاء . والخلّة الحاجة . وأما قوله : « ولا خلّة » ، فالمراد بها الدار الآخرة ؛ لأن كل أحد يومئذ مشغولٌ بنفسه .

(خُوَار[5]) : صوت البقر ، وكان السامِريُّ قد قبض قبْضة من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر ، فقذفه في العجل ، فصار له خُوار . وقيل : كان إبليس يدخل في جوف العجل ، فيصيح فيه فيُسْمع له خوار .

(خُمُرِهِنَّ[6]) : جمع خمار ، وهي المقنعـــة ، سميت بذلك لأن الرأس يخمّر بها ؛ أي يُغطى ؛ وكل شيء غطيته فقد خمّرته . والخمَر : ماواراك من شجر .

(خلطاء) : شركاء .

(خُشُب مُسَنَّدة[7]) ، جمع خشبة ، وشبّه المنافقين بالخشب المسنّدة في قلة إفهامهم ، فكان لهم منظر بلا مخبر ، ولما كانت الْخُشُبُ المسندة لا منفعة فيها كانوا كأنها هم ، بخلاف الخشب المسقف بها أو المغروسة في جدار فلها منفعةٌ حينئذ .

وقيل : كانوا يستندون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشبهم بالخشُب المسنَّدة .

---

(١) الملك : ٤ (٢) الشمس : ١٠ (٣) البقرة : ١٦٨
(٤) البقرة : ٢٥٤ (٥) الأعراف : ١٤٨ ، وطه : ٨٨
(٦) النور : ٣١ (٧) المنافقون : ٤

(الخُنَّس[1]) : يعنى الدرارى السبعة ؛ وهى الشمس ، والقمر ، وزُحَل ، وعطارد ، ومريخ ، والمشترى ، والزهرة ؛ وذلك أن هذه الكواكب تخنس فى جريها ؛ أى تتقهقر ؛ فيكون النَّجْمُ فى البرج فيكر راجعاً ، وهى فى جوار الفلك .

(خُطبة) ـ بالضم : حمد وتصلية ودعاء . وبالكسر : تزويج . وفى قوله تعالى[2] : « لا جناح عليكم فيما عرَّضتم به مِنْ خِطبةِ النِّساءِ » : غير المعتدة . وأما المعتدةُ فيجوز لها التعريض ، كقوله : إنكم لأكفاء كرام ؛ وكقوله : إن الله يفعل معكم خيراً . وشبه ذلك .

(خِلَاف[3]) : مخالفة . ومنه : «[4] فَرِحَ المُخَلَّفُون بمقعدِهم خِلَافَ رسولِ الله » . «[5] وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلا » ؛ أى بعدك : وأما قوله تعالى[6] : « أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خِلَاف » ـ فمعناه أن تقطع يدُه اليمنى ورجله اليسرى ، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى . وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسْغ ، وقطع الرجل من المفصل ؛ وذلك فى **فساد الدين وفى السرقة.**

(خِزْى) : هوان وهلاك أيضا .

(أخْدَان[7]) : جمع خِدْن ، وهو الخليل .

(خطب) : خبر . والخطب أيضا : الأمر العَظِيم .

(خُفْيَة[8]) : من الإخفاء . وقرىء ـ خيفة ، من الخوف .

---

(١) التكوير : ١٥ (٢) البقرة : ٢٣٥ (٣) المائدة : ٣٣
(٤) التوبة : ٨١ (٥) الإسراء : ٧٦ (٦) المائدة : ٣٣
(٧) النساء : ٢٥ (٨) الأنعام : ٦٣

(خَوْفاً وطمعاً[١]) جمعَ اللهُ الخوفَ والطمعَ ، ليكون العبد خائفا راجيا ، كما قال تعالى[٢] : « يَرْجُونَ رَحْمَتَه ويخافُونَ عذابَه » ؛ فإنَّ مُوجِبَ الخوفِ معرفةُ عقابِ اللهِ وشدة سطوته ، ومُوجِب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه ؛ قال تعالى[٣]: « نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أنا الغَفُورُ الرحيم . وأنَّ عَذابي هوَ العذابُ الأليم » .

ومن عرف فضل الله [١١٨ ا] رجاه ، ومن عرف عقابه خافه ؛ ولذلك جاء في الحديث : لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعْتَدلا ؛ إلا أنه يُستحبُّ أن يكون طول عمر العبد يغلب عليه الخوف ، ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات ، وأن يغلب عليه الرّجاء عند حضور الموت ؛ للحديث : لا يموتَنَّ أحدكم إلا وهو يُحْسِن الظن بالله .

واعلم أن الخوف على ثلاث درجات :

الأولى : أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثّر في الباطن ولا في الظاهر ؛ فوجودُ هذا كالعدم .

والثانية : أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة .

الثالثة : أنْ يشتدَّ حتى يبْلغ إلى القنوط واليأس ؛ وهذا لا يجوزُ . وخيرُ الأمورِ أوساطها .

والناس في الخوف على ثلاث مقامات : فخَوْفُ العامّةِ من الذنوب . وخَوْف الخاصّةِ من الخاتمة . وخوف خاصة الخاصة من السابقة ؛ فإن الخاتمة مبنية عليها .

---

(١) الرعد : ١٢ (٢) الإسراء : ٥٧ (٣) الحجر : ٤٩ ، ٥٠

والرجاء على ثلاث درجات :

الأولى : رجاءُ رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعته ، وترك معصيته ؛ فهذا هو الرجاء المحمود .

والثانية : الرجاء مع التفريط والعصيان ؛ فهذا غرور .

والثالثة : أن يَقْوَى الرجاء حتى يبلغ إلى الأَمْنِ ، فهذا حرام .

والناس فى الرجاء على ثلاث مقامات :

فمقام العامة رجاء ثواب الله . ومقام الخاصة رجاء رضوان الله . ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبًّا فيه ، وشوقا إليه .

(خِلَالَ الدِّيَار[١]) : أوسَطها . وخلال : مخالفة أيضا ؛ كقوله تعالى[٢] : « لا بَيْع فيه ولا خِلَال » . وخلال السحاب وخللها : الذى يخرج منه المطر .

(خِلْفة[٣]) : أى يخلف هذا هذا . وقيل : هو من الاختلاف ؛ لأن هذا أبيض وهذا أسود . والخلفة : اسم للهيئة كالرِّكبة والجِلْسة ؛ فالأصل جعلهما[٤] ذَوِى خِلفة . لمن أراد أن يَذَّكر ؛ أى يعتبر فى المصنوعات . وقيل : يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها فى الليل يستدركه بالنهار ، أو فاته بالنهار فيستدركه بالليل ؛ وهو قولُ عُمَر بن الخطاب وابن عباس .

(ختَامه مِسْك[٥]) : أى آخر خاتمته وعاقبته إذا شُرِب ؛ أى يوجد فى آخره كشم المسك ورائحته ؛ يقال للعطار إذا اشترى منه الطيب اجعل خاتمه مسكا .

---

(١) الإسراء : ٥ (٢) إبراهيم : ٣١ (٣) الفرقان : ٦٢

(٤) جعلهما : أى الليل والنهار — الفرقان : ٦٢

(٥) المطففين : ٢٦ .

و ... : إنه يمزج الشراب بالمسك ، وهذا خارج عن الاشتقاق . وقيل : إنه من الختم على الشيء بمعنى جعل الطابع عليه .

والمعنى أنه ختم على فم الإناء الذي هو فيه بالمسك كما يُختم على أفواه آنية الدنيا بالطِّين إذا قُصد حِفظُها وصيانتها .

وقرىء خاتمة ، بألف بعد الخاء ، وبفتح التاء وكسرها .



حرف الدال المهملة

(داود) هو ابن إيشا - بكسر الهمزة وسكون التحتية وبالشين المعجمة - ابن عوْبد[١] - بوزن جعفر بمهملة وموحدة ابن باعر[٢] بموحدة ومهملة مفتوحة ابن سلمون بن نحشون[٣] بن عمى بن يارب - بتحتية وآخره موحّدة بن رام ابن حضرون - بمهملة ثم معجمة - بن فارص - بفاء وآخره مهملة بن يهوذا ابن يعقوب .

وفى الترمذى أنه كان أعْبَدَ البَشَر ؛ ولهذا لما قال : يا رب ، كن لسليمان كما كنت لى . فقـــال له : قل لسليمان يكون لى كما كنتَ لى أكون له كما كنت لك . وكان يقول : يا رب ، كيف تغفر لمن عصاك وقد تجرّأ عليك ؟ فلما وقع له من « الخصمان » ما أخبر الله به قال : "إلهى اغفر لمن عصاك لعلى أن ألحق بهم".

قال كعب : كان أحْمَرَ اللَّوْن ، سبْط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللحية ، فيها جُعودة ، حسن الخلق والصوت ، وجمع الله له النبوءة والملك ، وكان يأمر أنْ تُسْرَجَ فَرَسُهُ فيُوحَى له قراءة الزبور فيقرأه قبل أن يركب .

وقد قدمنا أن الله هيّأ لهذه الأمة المحمدية مثل ذلك فى قراءة هذا القرآن العظيم .

---

(١) فى الاتقان : عوبد - بالواو . وفى المحبر (٥) : عويذ - بالواو والذال المعجمة .

(٢) فى المحبر : باعز — بالزاى .

(٣) فى الاتقان : يحشون . والمثبت فى المحبر أيضا

قال النَّووى : قال أهل التاريخ : عاش مائة سنةٍ ، مدة [١١٨ب] مُلْكه منها أربعون سنة . وكان له اثنا عشر ابنا .

(دابَّة) : كل ما يَدِبُّ على الأرض من حيوان وغيره . وأما قوله تعالى[1] : « وكأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزقها » ؛ فهى تقويةٌ لقلوب المؤمنين إذا خافوا الجوع والفقْرَ فى الهجرة إلى بلاد الإسلام ؛ أى كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلادكم .

(دَأْب آلِ فرعون[2]) : أى عادتهم . وفى تشبيه الآية تهديد ؛ أى دأب هؤلاء كدأب آل فرعون .

(دَرَجات عند الله[3]) ؛ أى منازل بعضها فَوْقَ بعض . والمعنى تفاوت ما بين منازِلِ أهْل الرضْوان وأهل السخط ، أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان ؛ فإنّ بعضهم فوق بعض ، فكذلك درجات أهل السخط . وكما أنَّ أهل الجنة على درجات فكذلك أهل النار على دركات بعضها أسفل من بعض . ومنه[4] : « إنَّ المنافِقِين فى الدَّرْكِ الأسفَلِ من النار » ؛ لأنها سبع طبقات . وفى الآية دليلٌ على أنهم أسفل من الكفار . قال ابن عباس : الدرك الأسفل توابيت من حديد مُبْهَمة عليهم ـ يعنى ـ أنها لا أبواب لها .

(دَابِر القَوْم[5]) ؛ أى آخرهم ؛ وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية .

(دارست) بالألف ؛ أى دارست العلماء وتعلمت منهم . ودَرَستَ[6] بفتح

---

(١) العنكبوت : ٦٠ (٢) آل عمران : ١١ (٣) آل عمران : ١٦٣
(٤) النساء : ١٤٥ (٥) الأنعام : ٤٥ (٦) الأنعام : ١٠٥

السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآية ، ودثرت . ومعناه قرأت بلغة اليهود ، ومنه بيت المدارس ، أى القراءة .

(دَلَّاهُمَا بِغُرورٍ[1]) : أى أزلّهما إلى الأكل من الشجرة ، وغرّهما بحلفه لهما وقَسَمه أنه من الناصحين ؛ لأنهما ظنا أنه لا يحلف كاذبا ، فلما أكلا منها بدت لهما سَوْءَاتهما ؛ أى زال عنهما اللباس ، وظهرت عَوْراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا لأحدهما من الآخر . وقيل : كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النَّظر .

(دكًّا[2]) : مدكوكا من الأرض ؛ فهو مصدر بمعنى مفعول ؛ كقولك : ضرب الأمير . والدّكّ والدق : أخوان ، وهو التفتّت . وقرىء دَكَّاء — بالمد والهمز ؛ أى أرضا دَكاء ملساء . وناقة دكاء ، وهى المفترشة السنام فى ظهرها ، أو المجبوبة السنام .

(دَار السلام[3]) : يعنى الجنة ، وسميت بذلك لأنها سالمة من الفناء والتعب . وقيل السلام هو اسم الله ، وأضافها إليه لأنها ملكه وخلقه . ودوائر السلام التى تأتى مرةً بخير ومرة بشر . يعنى ما أحاط الإنسان منه . وقوله[4] : « عليهم دائرةُ السَّوْءِ » ؛ أى يدور عليهم من الدهر ما يَسُوءُهم . ويحتمل أن يكون خيراً أو دعاء .

(دَعْوَاهُم فيها[5]) : أى يكون دعاؤهم فى الجنة سبحانك . والدعاء الادّعاء أيضا .

---

(١) الأعراف : ٢٢ — (٢) الأعراف : ١٤٣ — (٣) يونس : ٢٥
(٤) التوبة : ٩٨ — (٥) يونس : ١٠

(أدْنى) له معنيان : أقرب فهو من الدنو، وأقلّ فهو مِنَ الدنىء الحقير .

(دَأَبا[1]) : قد قدّمنا أن معناه عادة وجدّ . ومعناه أيضاً الملازمة . ومنه سبع سنين دَأَبا ـ بسكون الهمزة وفتحها ، مصدر دأب على العمل إذا داوم عليه .

(دَاخِرون[2]) : صاغرون أذِلّاء ، وجمِع بالواو لأن الدُّخور من أوصاف العقلاء .

(دَخَلا بينكم[3]) : أى دغلا وخيانة ؛ وهذه الآية فيمَنْ بايَع النبىّ صلى الله عليه وسلم وآمن به ، ثم رجع . وفى قوله[3] : « فتَزِلَّ قَدَمٌ بعد ثُبوتها » ـ استعارةٌ فى الرجوع مِنَ الخيْرِ إلى الشر ؛ وإنما أفرد القدم ونكّرَها لاستعظام الزّلل فى قدم واحدة فكيف فى أقدام كثيرة !

(دَرَكا[4]) : إلحاقا ؛ أى لا تخافُ أنْ يُدْرِكَك فرعون وقومه ، ولا تخشى الغَرق فى البحر .

(داحِضَة[5]) : باطلة زائلة ، وكذلك[6] : « ليُدْحِضُوا به الحقّ » ؛ أى ليُزِيلوا به الحقّ ، ويذهبوا به . ويقال : مكان دحْض ؛ أى مزل مزلق ، لا يثبت فيه قَدَمٌ ولا حافر .

(دهر) : مرور السنين والأيام .

(ديّارا[7]) : من الأسماء المستعملة فى النفى ، يقال : ما فى الدّار ديّار ،

---

(١) يوسف : ٤٧ (٢) النحل : ٤٨ (٣) النحل : ٩٢
(٤) طه : ٧٧ (٥) الشورى : ١٦ (٦) الكهف : ٥٦
(٧) نوح : ٢٦

أى ما بها أحد. وزنه فَيْعال؛ وكان أصله دَيوار، ثم قلبت الواو [١١٩ ا] ياء وأدغمت فى الياء، وليس وزنه فعّال؛ لأنه لو كان كذلك لقيل دوار؛ لأنه مشتقّ من الدَّوَرَان.

وروى أن نوحاً عليه السلام لم يَدْعُ على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم، وبعد أن أخرج اللهُ كلَّ مُؤْمِنٍ من أصلابهم.

(أَدْبر) فى قوله[1] : « والليل إذا أدبر » . وقرىء دَبر بغير ألف. والمعنى واحد ـ يقال دبر الليل والنهار؛ أى جاء فى دبره، وأدبر.

(دَحَاها[2]) : بسطها؛ وبهذا استدلَّ مَنْ قال: إنّ الأرض بسيطة غير كروية؛ ولكن يفهم من هذه الآية أنّ الأرضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السماء. وفى آية فصلت السماء قبلها؛ والجمع بينهما أن الله خلقها قبل السماء، ثمّ دحاها بعد ذلك.

فإن قلت: لِمَ قال: أخرج[3] ـ بغير حرف العطف؟

فالجواب: أن هذه الجملة فى موضع الحال، أو تفسير لما قبلها؛ قاله[4] الزمخشرى.

(دَسَّاها) : أى أخفاها بالفُجور والمعاصى. والأصل دسّسها فقُلِبَتْ إحدى السينين ياء، كما قيل تظنّيت.

(دَمْدَمَ عليهم ربُّهم[5]) : عبارة عن إنزال العذاب بقوم صالح. وفيه تهويل

---

(١) المدثر: ٣٣ (٢) النازعات: ٣٠

(٣) فى قوله تعالى: أخرج منها ماءها ومرعاها (النازعات: ٣١).

(٤) الكشاف: ٢ ـ ٢٥٢

(٥) الشمس: ١٥

عليهم وعلينا ؛ إذ لا يؤاخَذ أحدٌ إلّا بسبب ذنبه ، بل يؤخذ به البريء والفاعل ، كما قالت عائشة : "أنهلك يا رسول الله وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبث".

قوله : "فسوّاها". قال ابن عطية : معناه فسوّى القبيلة في الهلاك . وقال[1] الزمخشري والضمير للدمدمة ؛ أي سواها بينهم . اللهم لا تسو هذه الأمة بإنزال العذاب عليها بحرمة نبيها وشفيعها صلى الله عليه وسلم .

(دَعا) ورد على أوجه : العبادة[2] : « ولا تَدْعُ مِنْ دونِ اللهِ ما لا ينفَعُكَ ولا يَضُرُّكَ » . والاستعانة[3]: « وادْعُوا شهداءَكم» . والسؤال[4]: « ادعُوني أستَجِبْ لكم » . والقول[5] : « دَعْواهُم فيها سبحانَكَ اللهم » . والنداء[6] : « يوم يدعوكم » . والتسمية[7] : « لا تجعَلُوا دعاءَ الرسولِ بينكم » .

(دلُوك الشمس) : هو زوالها إلى أن تغيب ، والإشارة بهذا لصلاة الظُّهرِ والعَصْرِ .

(دُرّيّ[8]) ـ بضم الدال وتشديد اليـــاء من غير همز ، ولهذه القراءة وجهان : إما أن ينسب الكوكب إلى الدُّرّ ، لبياضه وصفائه ، أو يكون مسهّلا من الهمز . وقُرِيء بالهمز وكسر الدال وبالضم والهمز ؛ وهو مشتق من الدَّرْء بمعنى الدَّفع . وشبّه الزُّجاجة في إنارتها بكوكب دُرّيّ ؛ لأنها تضيء بالمصباح الذي فيها . وحكى أبو القاسم شَيْذلة أنَّ معنى الدرّيّ المضيء بالحبشية .

(دحُوراً[9]) : أي طَرْداً وإهانة وإبعاداً ؛ لأن الدَّحْر الدفع بعُنف .

---

(١) الكشاف : ٢ — ٥٤٧
(٢) يونس : ١٠٦
(٣) البقرة : ٢٣
(٤) غافر : ٦٠
(٥) يونس : ١٠
(٦) الإسراء : ٥٢
(٧) النور : ٦٣
(٨) النور : ٣٥
(٩) الصافات : ٩

وإعرابه مفعول من أجله ، أو مصدر من « يقذفون » على المعنى ، أو مصدر في موضع الحال ؛ تقديره مدحورين .

(دُخَان[1]) : روى أنه كان العرش على الماء ؛ فأخرج الله من الماء دخانا ، فارْتَفَع فَوْقَ الماء ، فأيبس الماء ، فصار أرضا ، واشْتَدَّ يَبس الأرض ، فصار حجراً ، ثم خلق الله السماء فجعلها سبعة أجزاء ؛ جزءاً منها ماء ، وجزءاً قِطراً ، وجزءاً حديداً ، وجزءاً فضة ، وجزءاً ذهباً ، وجزءاً لؤلؤاً ، وجزءاً ياقوتاً أحمر ؛ فخلق سماء الدنيا من الماء ، ومن القِطر[2] الثانية ، والثالثة من الحديد ، والرابعة من الفضة ، والخامسة من الذهب ، والسادسة من اللؤلؤ ، والسابعة من الياقوت ، ثم فتقها فجعل بين كل واحد منها مسيرة خمسمائة عام .

نكتة : خلق من دخان واحد سَبْعَ سموات لا تُشْبِهُ إحداها الأخْرَى .

وأعجبُ من هذا أنه أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرْضَ بعد موتها ، فأخرج من قطرة المطر أنواع النبات ؛ بعضها أحمر ، وبعضها أصفر ، وبعضها أخضر ، وبعضها أسود ، وبعضها [١١٩ ب] حُلو ، وبعضها مرّ ، قال تعالى[3] : « ونُفَضِّلُ بَعْضَها على بَعْضٍ في الأُكُل » .

وأعجبُ مِنْ هذا نطفة وقعَتْ في رَحِمِ امرأةٍ فصيَّرها علَقة ، وصيّر العلقة مُضْغَة ، وخلَق المُضغة عِظاما ؛ وخلَق من نطفة ذَكَراً ، ومن أُخرَى أنثى ، ومن نطفة مؤمنا ، ومن أخرى كافراً ؛ ومن نطفة صالحا ، ومن أخرى طالحا ، ومن نطفة موفّقا ، ومن أخرى منافقا ؛ ومن نُطفة موحِّدًا ، ومن أخرى معانداً ؛

---

(١) فصلت : ١١

(٢) القطر – بالكسر : النحاس الذائب ، أو ضرب منه .

(٣) الرعد : ٤

ومن نطفة سعيداً ، ومن أخرى شقيا ؛ ألا لهُ الخلق والأمرُ تبارك الله رب العالمين .

وأما قوله تعالى[١] : « فارْتقِبْ يَوْمَ تأتي السماءُ بدُخانٍ مُبين . . . » الآية . ففيه قوْلان : أحدهما قول عليّ بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما : إنّ الدُّخانَ يكونُ قبل يوْمِ القيامة يُصيب المؤمنَ منه مثلُ الزكام ، وينضج رءوس الكافرين والمنافقين ؛ وهو من أشراط الساعة . وروى حُذَيفةُ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "إنّ أوّلَ الآيات الدخان".

والثاني قولُ ابن مسعود : إنّ الدخانَ عبارة عما أصاب قُريشاً حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجَدْبِ ، فكان الرجُلُ يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجوع . قال ابن مسعود[٢] : خمسٌ قد مضَيْن : "الدخان ، واللِّزام ، والبَطْشَة ، والقمر ، والرُّوم . وقيل : إنه يقال للجدب دخان لِيبس الأرض وارتفاع الغبار ، فشبه ذلك بالدخان . وربما وضعتِ العربُ الدخان في موضع الشرّ إذا علا ؛ فتقول كان بيننا أمرٌ ارتفع له دخان .

(دُسُر[٣]) : مسامير ، واحدها دِسار . وقيل : مقادم السفينة . وقيل : أضلاعها ، والأول أشهر . والدسار : أيضا الشرط التي تشد بها السفينة .

(دُولة[٤]) ـ بالضم والفتح : ما يدول للإنسان ، أي يدور عليه . ويحتمل أن يكون من المداولة ، أي كي لا يتداول ذلك المالَ الأغنياءُ بينهم ، وهو الفيء

---

(١) الدخان : ١٠

(٢) فسر بأنه يوم بدر (النهاية) . واللزام يراد به قوله تعالى : فسوف يكون لزاماً ، أي يكون عذابهم لزاماً . قالوا : وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر . والحديث في صحيح مسلم : ٢١٥٧

(٣) القمر : ١٣ (٤) الحشر : ٧

الذى أفاء الله على رسوله من أهل القرى ، ويبقَى الفقراءُ بلا شىء ، وذلك أنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أمْوَال بنى النَّضِير على المهاجرين ، فإنهم كانوا حينئــــذ فقراء ، ولم يُعط الأنصار منها شيئا ، لأنهم كانوا أغنياء ، فقال بعض الأنصار : لنا سَهْمُنَا مِنْ هذا الفَىْء ، فأنزل الله الآية[1] . ويقال الدُّولة فى المـال بالضم . والدَّولة فى الحرب بالفتح . ومنه الحديث : "إنهم يُدَالون كما تنصرون" . ويقال الدولة ـ بالضم : اسم الشَّىْءِ الذى يُتَداول بعينه . والدَّولة بالفتح : الفعل .

(دِين) : له خمسة معان : الملة ، والعادة ، والجزاء ، والحساب ، والقهر . قال تعالى[2] : « إنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الإسلام » . «[3] مالك يوم الدين » . «[4] ما كان ليَأْخُذَ أخاه فى دِينِ الملك » . «[5] ولا تَأْخُذْكُم بهما رَأْفَةٌ فى دِين الله » ، أى فى حكم الملك . «[6] يومئذ يُوَفِّيهم اللهُ دِينَهم الحق » ، أى الحساب .

والدِّين بمعنى الدينونة والمذهب ، يقال دين فلان . قال عليه السلام : "كما تَدِين تُدَان" .

(دُكَّتِ الأَرْض[7]) : أى دقت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض .

(دِفْءٌ[8]) : ما استدفىء به من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب .

(دِهَان) : جمع دهن . وأما قوله تعالى[9] : «فكانَتْ وَرْدَةً كالدهان» ـ فإنما شبّه السماءَ يوم القيامة به لأنها تذوب من شدة الهول . وقد شبّه لمعانها بلمعان الدُّهن . وقيل : إن الدُّهن هو الجلد الأحمر .

---

(١) الحشر : ٧ (٢) آل عمران : ١٩ (٣) الفاتحة : ٤
(٤) يوسف : ٧٦ (٥) النور : ٢ (٦) النور : ٢٥
(٧) الفجر : ٢١ (٨) النحل : ٥ (٩) الرحمن : ٣٧

(دينار[١]) حكى الجواليقى وغيره أنه فارسى .

(دِهَاقاً[٢]) : أى ملأى . وقيل صافية ؛ والأول أشهر .

(دُونَ) : ترد ظرفاً نقيض فَوْق فلا تتصرف على المشهور . وقيل : تتصرف ؛ وبالوجهين قرىء : ومنا دون ذلك بالرفع والنصب . وتَرِد اسماً بمعنى غير ؛ نحو[٣] : « اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً » ؛ أى غيره . وقال الزمخشرى : معناه أدْنى مكان من الشىء ؛ وتستعمل للتفاوت فى الحال ؛ نحو : زيد دون عمر ؛ أى فى الشرف والعلم . واتُّسع فيه فاستعمل فى تجاوز حدّ إلى حد ؛ نحو[٤] : « أولياء من دون المؤمنين » أى لا تجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية [١٢٠ ا] الكافرين .



(١) آل عمران : ٧٥ (٢) النبأ : ٣٤

(٣) الكهف : ١٥ (٤) آل عمران : ٢٨

حرف الذال المعجمة

(ذو الكِفل[١]) : قيل : هو ابن أيّوب . فى المستدرك عن وهب — أن الله بعث بعد أيوب ابنه ، واسمه بشر بن أيوب نبيًّا ، وسماه ذا الكِفل ، وأَمَرَهُ بالدعاء إلى توحيده ، وكان مُقيما بالشام عُمُره حتى مات وعُمُره خمس وسبعون سنة

وفى العجائب للكرمانى : قيل : هو إلياس . وقيل يوشع بن نُون . وقيل هو نبىّ الله ذو الكفل . وقيل كان رجلا صالحا تكفل بأُمُور فوفَّى بها . وقيل : هو زكرياء فى قوله[٢] : « وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا » . وقال ابن عسكر : هو نبىء تكفَّلَ الله له فى عمله بضِعْفِ عمل غيْرِه من الأنبياء . وقيل : لم يكن نبيا ، وأن اليسع استخلفه فتكفّل له أن يصوم النهار ويقوم الليل. وقيل أن يصلى كل يوم مائة ركعة . وقيل هو اليسع ، وإن له اسمين .

(ذو القرنين) : اسمه اسكندر . وقيل : عبد الله بن الضحاك بن سعد . وقيل هو المنذر بن ماء السماء . وقيل : الصعب بن قرين بن الهمال ؛ حكاه ابن عسكر .

ولُقِّبَ ذا القَرْنَيْن ؛ لأنه بلغ قَرْنَيِ الأرض المشرق والمغرب . وقيل : لأنه ملك فارس والروم . وقيل : كان على رأسه قَرْنان ؛ أى ذُؤَابتان . وقيل: كان له قرنان من ذهب . وقيل : لأنه ضُرِب على قرنه فمات ؛ ثم بعثه الله فضربوه على قرنه الآخر . وقيل : لأنه كان كريم الطرفين . وقيل : لأنه انقرض فى وقته قَرْنَانِ من الناس ، وهو حىّ . وقيل : لأنه أعطى علم الظاهر والباطن . وقيل : لأنه دخل النور والظلمة .

---

(١) ص : ٤٨ ، والأنبياء : ٨٥ (٢) آل عمران : ٣٧

(ذَلُول[1]) : أى ذُلِّلَت للحرث ، والمراد بها بقرة بنى إسرائيل – يعنى أنها غير مذلّلة للعمل .

(ذَكَّيْتُمْ[2]) : قطعتم أوداجه ، وَنَهَرْتم دمَه ، وذكرتم اسم الله عليه . وأصلُ الذكاة فى اللغـــة تمام الشىء ؛ ومن ذلك ذكاء السن ؛ أى تمام السن ؛ أى النهاية فى الشباب . والذكاء فى الفهم أن يكون فهما تامًّا سريع القبول . وذكّيت النار : أتممت إشعالها . وقوله : « إلَّا ما ذَكَّيْتُمْ » ؛ أى أدركتم ذَبْحَه على التمام . قيل : إنه العِرْق المنقطع ؛ وذلك إذا أُريد بالمنخنقة ونحوها ما مات من الاختناق والصعق والتردّى والنطح وأكل السبع .

والمعنى حُرِّمت عليكم هذه الأشياء لكن ما ذكّيتم من غيرِها فهو حلال .

وهذا القول ضعيف ؛ لأنها إذا ماتت بهذه الأسباب فهى مَيْتة ؛ فقد دخلت فى عموم الميتة ؛ فلا فائدة لذِكْرِها بعدها .

وقيل : إنه استثناء متّصل ، وذلك إن أُريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب ، وأدركت ذكاته .

والمعنى على هذا : إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال . ثم اختلف أهلُ هذا القول : هل يشترط أن تكون لم ينفذ مقاتلها أم لا . وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب فذكاته جائزة باتفاق .

(ذات الصُّدُور[3]) : حاجاتها وما يخطر لها .

---

(١) البقرة : ٧١ (٢) المائدة : ٣ (٣) آل عمران : ١١٩

(ذَرَأَكُمْ) : خلقكم . ومنه[1] : « ولقد ذَرَأْنا لجهنَّم » .

(ذَنوب) — بفتح المعجمة : نصيب . ومنه[2] : « ذَنُوبا مثل ذَنُوب أصحابهم » . ويريد به هنا نصيبا من العذاب . وأصل الذَّنوب الدَّلْو ، والمراد بالضمير كُفّار قريش وأصحابهم ممَّنْ تقدم ذِكْرُهم .

(ذَرْعُها سبعون ذِرَاعاً[3]) : أي طولها ، ومبلغ كيلها . واختلف فى مبلغ هذا الذراع ؛ فقيل : إنه الذراع المعروف . وقيل : بذراع الملك . وقيل : سبعون باعاً كل باع كما بَيْنَ مكّةَ والمدينة . ولله دَرّ الحسن البَصْرى فى قوله : الله أعلم بأىّ ذراع هى ، فإن السبعين من الأعداد التى تَقْصِدُ بها العَرب التكثير .

ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحدٍ مِنْ أهل النار ، أو تكون بين جميعهم . ورُوى أن هذه السلسلة تدخل فى فَمِ الكافر ، وتخرج من[4] دُبره ، فاسلكوه على هذا من المقلوب فى المعنى ؛ كقولهم : أدخلت القلنسوة فى رَأْسى . ورُوى أنها تُلْوَى عليه حتى تلمّه [١٢٠ ب] وتضغطه ؛ فالكلام على هذا على وجهه ؛ وهو السلوك فيها . وإنما قدّم قوله : فى سلسلة ـ على : « اسلكوه » لإرادة الحصْرِ ؛ أى لا تسلكوه إلا فى هـــــذه السلسلة ، وكذلك قدّم الجحيم على صَلُّوه لإرادة الحصْرِ أيضا .

(ذُلُلا) : جمع ذلول ، وهو السهل اللين الذى ليس بصعب . ومنه[5] : « فاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا » ـ يعنى الطرق فى الطيران ؛ وأضافها إلى الرّبّ لأنها ملكه وخَلْقه . ويحتمل أن يكون قوله : ذللا ـ حالا من السُّبُل .

---

(١) الأعراف : ١٩٧ (٢) الذاريات : ٥٩ (٣) الحاقة : ٣٢

(٤) فى ب : على . (٥) النحل : ٦٩

قال مجاهد : لم يتوعّر قط على النحل طريق . أو حالا من النحل ؛ أى منقادة لما أمرها الله به .

(ذرّية) : فُعلّية من الذّر ؛ لأن الله تعالى أخرج الخلقَ مِنْ صُلْبِ آدم كالذّر . وقيل : أصل ذرية ذُرّورة على وزن فُعْلُولة ، فلما كثر التصريف أُبدلت الراء الأخيرة ياء فصارت ذروية ، ثم أدغمت الواو فى الياء فصارت ذرية ، وهم أولاد الرجل وأولاد الأولاد وإنْ بَعُدُوا . وقيل : ذرية فُعّلية أو فُعيلَة من ذرأ الله الخلق فأبدلت الهمزة ياء ، كما أبدلت فى نبى .

وذكر فى العقد لابن عبد ربه أن الحجاج عتب على يَحْيَى بن يعمر فقال له : أنت الذى تقول إنَّ الحسَيْنَ ابن رسول الله ؟ فقال : نعم . قال : والله لئن لم تَأتنى بالمخرج لأضْرِبَنَّ عنقك . فقال : قال تعالى[1] : « وتلك حُجّتنَا آتَيناها إبراهيمَ على قَوْمِه ... » إلى قوله تعالى : « ومِنْ ذُرّيتِه داوُد ... » الخ . فقال له : فمن أبْعَدُ ؛ عيسى عليه السلام من إبراهيم أم الحسين من محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال الحجاج : والله ما كأنى قرَأتُها . ثم ولّاه قضاء بلدِه ؛ فلم يزل بها قاضياً حتى مات .

وتأمّلْ هذا ؛ فإنَّ النزاع إنما هو فى تسمية ابن البِنْتِ ابناً ؛ وغاية ما فى هذه الآية أنه جعل عيسى من الذرية ؛ لأن عيسى ليس له أبٌ فهو ابن بنت نوح . ولا شك أن الابن أخص من الذرية . والنص فى القضية قوله عليه السلام : إن ابنى هذا سيِّد ... الحديث . وقوله تعالى[2] : « وحلَائل أبنائِكم » : فإن اللخمىّ وغيره حكى الإجماع فى مذهب مالك وغيره على دخول ابن البنت فيها .

---

(١) الأنعام : ٨٣ ، ٨٤ (٢) النساء : ٢٣

(ذِلّة) : صغار ومسكنة .

(ذِكرى لهم) : فيه وجهان :

أحدها أن المعنى ليس على المؤمنين حسابُ الكفار ، ولكن عليهم تذكير لهم ووعظ ، وإعراب ذكرى على هذا نصب على المصدر ؛ تقديره يذكرونهم ذكرى . أو رفع على المبتدأ تقديره عليهم ذكرى . والضمير في لعلهم عائد على الكفّار ؛ أي تذكرونهم رجاء أن يتقُّوا ، أو عائد على المؤمنين ؛ أي يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله .

والثاني أن المعنى ليس نهي المؤمنين عن القُعود مع الكافرين بسبب أنّ عليهم من حسابهم شيئا ؛ وإنما هو ذكرى للمؤمنين . وإعراب ذكرى على هذا خبر ابتداء مُضْمر ، تقديره : ولكن نهيه ذكرى . أو مفعول من أجله ، تقديره : إنما نُهوا ذِكْرَى . والضمير في لعلهم على هذا المؤمنين لا غير .

(ذكر) : وَرَدَ على أوْجه : ذكر اللِّسان[1] : « فاذْكُرُوا اللهَ كذِكْرِكُمْ » . وذكر القلب[2] : « ذَكَرُوا اللهَ فاستغفَرُوا لذنوبهم » . والحفظ[3] : « واذْكُرُوا ما فيه » . والطاعة والجزاء[4] : « فاذْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ » . والصلوات الخمس[5] : فإذا أمِنْتم فاذْكُرُوا الله » . والعظة[6] : « فلما نسوا ما ذُكِّروا به » . والبيان[7] : «أو عجبتم أنْ جاءكم ذِكْرٌ من ربكم» . والحديث[8] : « اذكُرْني عند ربِّك » ؛ أي حدثه بحالي . والقرآن[9] : « ومَنْ أعرض عن ذِكْرى» . «ما يَأْتيهم من ذِكْرٍ من ربهم» . والتَّوْراة : « فاسْألوا

---

(١) البقرة : ٢٠٠ (٢) آل عمران : ١٣٥ (٣) البقرة : ٦٣

(٤) البقرة : ١٥٢ (٥) البقرة : ٢٣٩ (٦) المائدة : ١٣

(٧) الأعراف : ٨٣ (٨) يوسف : ٤٢ (٩) طه : ١٢٤

أهل الذكر » . والخبر [١] : « سأتلو عليكم منه ذِكرا » . والشرف [٢] : « وإنه لذِكرٌ لك ولقومك » . والعيب [٣] : « أهذا الذى يذكر آلهتكم » . واللوح المحفوظ : « مِن بعدِ الذِّكر » . والثناء : « وذكروا الله كثيرا » . والوحى [٤] : « فالتاليات ذِكرا » . والرسول : « ذِكراً. رسولا » . والصلاة : ولَذِكر الله أكبر » . وصلاة الجمعة : «فاسعَوْا إلى ذِكر الله» . وصلاة العصر : « عن ذِكرِ ربِّى » .

(ذِمّة [٥]) : عهد . وقيل : الذمة التذمّم ممن لا عَهْدَ له ؛ وهو أن يلزمَ الإنسان ذمّاً أى حقائق واجبة عليه ، يجرى مَجْرَى المعاهدة من غير [١٢١ ا] معاهدة ولا تحالف .

(ذِبْح عظيم [٦]) : اسم لما يُذْبح ، وأراد به الكَبْشَ الذى ذبحه ولد آدم ، وفدَى الله إسماعيل من الذبح ، ولذلك وصفه بعظيم ؛ لأنه تقبّلَه الله منه وربّاه فى الجنة . وفى القصص : إن الذبيح قال لإبراهيم : اشدد برباطى لئلا اضطرب ، واصرِفْ بصرك عنى لئلا ترحمنى . فلما أمَرَّ الشفْرة على حَلْقه ولم تقطع ؛ لأن المراد الوصل لا القطع ، كأنه يقول : يا إبراهيم ؛ امتثل ، ويا سكّين لا تقطع ؛ لأن لى فى أمره سراً وتدبيراً . وقد أكثر الناس فى قصص هذه الآية تركناه لطوله وعدم صحته .

فإن قلت : كيف قال [٧] : « وناديْناه أنْ يَا إبراهيم قد صدّقْتَ الرؤْيَا » . ولم يذبح ؟

---

(١) الكهف : ٨٣ (٢) الزخرف : ٤٤ (٣) الأنبياء : ٣٦
(٤) الصافات : ٣ (٥) التوبة : ٨ ، ١٠ (٦) الصافات : ١٠٧
(٧) الصافات : ١٠٤، ١٠٥

فالجواب : أنه فعل ما قدر عليه ، ونيتُه امتثال الأمر ولو لم يَفْدِه الله لذبحه ؛ وامتناع الذبح إنما كان من عند الله . والمَدْحُ إنما يكون على النية ، ونيّة المؤمن خَيْرٌ من عمله .

(ذَرْ) حيثما ورد فى القرآن بمعنى اترك ، وهى منسوخة بآية السيف . وقيل : تهديد ؛ فلا متاركة ولا نسخ فيها .

(ذَكِّرْ به[1]) الضمير عائد على الدين ، أو على القرآن .

(ذُو) : بمعنى صاحب ، وُضِعَ للتوصل إلى وصف الذوات[2] بأسماء الأجناس ، كما أن الذى وُضعت وصلة إلى وصف المعارف بالجمل . ولا يستعمل إلا مضافاً ، ولا يُضَاف إلى ضمير ولا مشتق . وجوّزه بعضهم ؛ وخرج عليه قراءة ابن مسعود[3] : « وفَوْقَ كلِّ ذِي عَالِمٍ عليم » .

وأجاب الأكثرون عنها بأن العالم هنا[4] مصدر كالباطل ؛ أو بأن ذى زائدة .

قال السهيلى[5] : والوصف بذو أبْلَغ من الوصف بصاحب . والإضافة بها أشْرَف ؛ فإن ذو يضاف للتابع وصاحب يضاف إلى المتبوع ؛ تقول أبو هريرة صاحب النبي، ولا تقول النبي صاحب أبى هريرة. وأما ذُو فإنك تقول ذو المال وذو الفرس ، فتجد الاسم الأول متبوعاً غير تابع ، وبُنِي على هذا الفرق أنه قال تعالى فى سورة الأنبياء[6] : « وذا النُّون » . فأضافه إلى النون وهو الحوت . وقال فى سورة ن[7] : « ولا تَكُنْ كصَاحِبِ الحوت »

---

(١) الأنعام : ٧٠

(٢) ق ١ : إلى وصف الذى اقب بأسماء الأجناس .

(٣) يوسف : ٧٦ (٤) فى البرهان : هنا . (٥) البرهان : ٤ — ٢٧٩

(٦) الأنبياء : ٨٧ (٧) ن : ٤٨

قال : والمعنى واحد ؛ ولكن بين اللفظين تَفَاوُت كبير فى حُسْنِ الإشارة إلى الحالين ؛ فإنه لما ذكره فى معرض الثناء عليه أتى بذى ؛ فإن الإضافة بهما أشرف ، وبالنون ؛ لأنه لفظه أشرف من لفظ الحوت، لوجوده فى أوائل السور ؛ وليس فى لفظ الحوت ما يُشرفه لذلك ؛ فأتى به وبصاحبِ حين ذكره فى معرض النهى عن اتباعه .



حرف الراء المهملة

(رُبّ) له أربعة معان : الإله . والسيّد . والمالك للشيء . والمُصْلِح للأمر . وكلُّها تصلح في رَبِّ العالمين ؛ إلا أن الأرْجحَ معنى الإله ، لاختصاصه بالله تعالى ، كما أن الأرجح في العالمين أن يُراد به كل موجودٍ سِوَى الله تعالى ، فيعمّ جميع المخلوقات .

(رحمن) : ذو الرحمة ، ولا يوصف به غَيْر الله .

(رحيم) : عظيم الرحمة .

(رسول) : قد ذكرنا أن الرسالة والإرسالَ بمعنى واحد . والرسول : المتحمِّل للرسالة إلى الأمة ، فكل رسولٍ نبي وليس كل نبيء رسولا ؛ فالرسول الذي يأتيه جبريل بالوحي من عند الله لإنذار الخَلق . وأما من أُوحي إليه في المنام فليس برسول . وقد اجتمع أنواع الوحي في قوله تعالى[1] : « وما كان لِرَسُولٍ أنْ يُكلِّمَه اللهُ إلا وَحْيا أو مِنْ وَرَاء حجاب ... » الآية ؛ وكلها اجتمعت في نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

(رَيْب) : شك . ومنه[2] : « ارْتَابُوا » . ومريب ، «[3] ورَيْبَ المَنُون » : حوادث الدهر .

فإن قلت : هَلا قدم قوله تعالى[4] : « لا رَيب فيه » ، كقوله تعالى[5] : « لا فيها غَوْل » ؟

---

(١) الشورى : ٥١ (٢) النور : ٥٠ (٣) الطور : ٣٠
(٤) البقرة : ٢ (٥) الصافات : ٤٧

فالجواب أنه إنما قصد نفى الرَّيبِ عنه ، ولو قدم «فيه» لكان إشارةً إلى أن ثَمَّ كتابا آخر فيه رَيْب ، كما أن «لا فيها غَوْل» إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول . وهذا المعنى يبعد قَصْدُه ؛ فلم يُقدم الخبر ؛ وإنما نفى الشك عنه أنه من عند الله فى اعتقاد أهل الحق ، وفى نفس الأمر . وأما اعتقاد أهل الباطل فلا عبرة به .

وقد قيل : إنّ خبر لا فى قوله : «فيه»، فيوقف عليه . وقيل خبرها محذوف فيوقف على لا رَيْب . والأول أرجح لتعيّنه فى قوله : لا رَيْب فيه فى مواضع أُخر .

(رَغَدا) : كثيراً واسعاً [١٢١ ب] بلا عنى .

(رَفَث[1]) : نكاح . ويقال أيضاً للإفصاح عما يجب أن يكنى عنه مِنْ ذكر النكاح . ويقال أيضا : للفحش من الكلام .

(رَءُوف) : شديد الرحمة .

(رَاسِخُون فى العلم) : هم الذين رسخ إيمانهم ، وثبت ، كما يرسخ النخل فى منابته .

(رَاعِنَا[2]) : أخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة عن ابن عباس ، قال : راعنا ــ سبٌّ بلسان اليهود، وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : راعِنَا ، وذلك من المراعاة ؛ أى راقِبنا وانظرنا؛ فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبى صلى الله عليه وسلم ، وربما كانوا يقولونها

---

(١) البقرة : ١٨٧ (٢) البقرة : ١٠٤

على معنى النداء . فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما قصده اليهود ؛ فالنَّهْىُ سَدٌّ للذريعة . وأمروا أن يقولوا : « انظُرْنَا » ؛ لخلُوِّه عن ذلك الاحتمال الملزوم ؛ وهو من النظر ، أو الانتظار .

وقيل : إنما نهى المسلمون عنها لما فيه من الجفاء وقلة التوقير .

(رَمْزاً[١]) : إشارة باليد أو بالرّأس أو غيرها ؛ فهو استثناء منقطع . قال ابن الجوزى فى فنون الأفنان : من المعرّب . وقال الواسطى : هو تحريك الشفتين بالعبرانية .

(رَبَّانِيِّين[٢]) : جمع ربَّانىّ ، وهو العالم . وقيل الذى يربّ الناس بصغار العلم قبل كبره .

قال الجواليقى[٣] : قال أبو عبيدة : العرب لا تعرف الربانيين ؛ وإنما يعرفها الفقهاء وأهل العلم . قال : وأحسب الكلمة ليست بعربية ، وإنما هى عبرانية أو سريانية . وجزم أبو القاسم بأنها سريانية . قال محمد بن الحنفية حين مات ابن عباس : اليوم مات ربانىّ هذه الأمة . وقال أبو العباس ثعلب : إنما قيل للفقهاء ربانيُّون ، لأنهم يربون العلم ؛ أى يقومون به .

(رَابِطُوا[٤]) : أقيموا فى الثُّغُورِ مُرَابطين ، واربطوا خَيْلَكم مستعدين للجهاد .

وقيل : هو مرابطة العبْد فيما بينه وبين الله تعالى ؛ أى معاهدته على فعل

---

(١) آل عمران : ٤١ (٢) آل عمران : ٧٩ (٣) المعرب : ١٦١
(٤) آل عمران : ٢٠٠

الطاعات وترك المعصية . والأول أظهر وأشهر ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "رِباطُ يَوْمٍ في سبيل الله خَيْرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامه". وأما قوله صلى الله عليه وسلم في انتظار الصلاة : "فذلكم الرِّباط" — فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله لعِظَم أجْره . والمرابط عند الفقهاء : هو الذى يسكن الثغور ليُرَابط فيها ، وهي غيْر موطنه . وأما سكناها دائماً للمعاش فليسوا بمرابطين ، ولكنهم حماة . حكاه ابن عطية . وقال غيره : إذا سكن بأهْلِه بقَصْد إعفافه وقيامها بشئونه فيعد منهم . وفضل الله أوْسع .

(ربّكم) : أى مُرَبّيكم بالنعم . قال الطيبي بعد كلام نَقَله : الفرق بين قوله اعبدوا الله — وبين قوله : اعبدوا ربكم — أن في الثاني إيجاب العبادة بواسطة النعمة التي بها قوامُهم ، وفي : اعبدوا إيجاب عبادته لما له عز وجل من غير واسطة ، فحيث ذكر الناس بقوله : « يأيها الناس » ذكر الربوبية ، كقوله : "يأيها الناس اتقُوا ربكم". وحيث ذكر الإيمان بقوله : "يأيها الذين آمنوا اذكروا الله".

(رَقِيبا[1]) : أي حافظا ، وهو من أسماء الله . وإذا تحقَّق العَبْد بهذا الاسم العظيم وأمثاله استفاد مقام المراقبة ، وهو مقامٌ شريف ، أصله علمٍ وحال ، ثم يثمر حالين . أما العِلْم : فهو معرفة العبد بأن الله مُطَّلع عليه ، ناظِرٌ إليه ، يرى جميع أعماله ، ويسمع جميع أقواله ، وكلّ ما يخطر على باله .

وأما الحالُ : فهو ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه ، ولا يكفي العلم دون هذه الحال .

فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين الحياء من الله ـ

---

(١) النساء : ١

وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصى ، والجد فى الطاعات ، وكانت ثمرتهما عند المُقَرَّبين المشاهدة التى توجب التعظيم والإجلال لذى الجلال ، وإلى هاتين الثمرتين أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : "الإحسان أن تَعْبُدَ الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" ؛ إشارة إلى الثمرة الثانية [١٢٢ ا] وهى المشاهدة الموجبة للتعظيم، كمن يشاهد ملكا عظيما فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة .

وقوله : "فإنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ" ؛ إشارة إلى الثمرة الأولى . ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التى هى مقام المقربين فاعلم أنه يراك ؛ فإنه من أهل الحياء الذى هو مقام أصحاب اليمين ، فلما فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى رأى أن كثيراً من الناس قد يعجزون عنه ، فنزل عنه إلى المقام الآخر .

واعلَمْ أنَّ المراقبةَ لا تستقيمُ حتى تتقدَّم قبلها المشارطة والمرابطة ، ويتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة .

فأما المشارطة : فهى اشتراطِ العَبْد على نفسه التزامُ الطاعة ، وتركُ المعاصى . وأما المرابطة : فهى معاهدة العبد لربِّه على ذلك ، ثم بعد المشارطة والمرابطة فى أوَّلِ الأمر تكون المراقبة إلى الرب . وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه ؛ فإنْ وجد نفسه قد وفّى بما عاهد عليه الله حَمِد الله ، وإنْ وجد نفسه قد حلَّ عَقْد المشارطة ، ونقض عقد المرابطة ـ عاقب النفس عقاباً بأن يزجرها عن العَوْدَة إلى مثل ذلك . ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة ، ثم اختبر بالمحاسبة ، فهكذا يكون العبد مع ربه .

(رَبَائِبكم[1]) : بناتُ نسائِكم من غيركم ، الواحدة رَبِيبة . وسُمِّيت بذلك لأنه يربّيها ؛ فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة .

---

(١) النساء : ٢٣

(رَجْفة[١]) : حركة الأرض ، بمعنى الزلزلة الشديدة حيث وقعت ، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صَيْحةً بين السماء والأرض ، فمات منها قومُ صالح .

(رَحُبت[٢]) : أي ضاقت على كثرة اتساعها .

(روع) : فزَع .

(رَعْد[٣]) : اسم ملك ، وصوته المسموع تسبيح . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله يُنْشِئُ السحابَ ، فينطق أحْسنَ المنطق ، ويضحك أحسن الضحك ، فنطقه الرّعدُ ، وضحكه التبسم".

وقد جاء في الأثر أن صوته زجر للسحاب ؛ فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك . وقال أهل اللغة : الرَّعْدُ : صوت السحاب . والبرق : نورٌ وضِياء يصحبان السحاب .

(رَابِيا[٤]) : عاليا على الماء . ومنه الربوة .

(رَدّوا أيْدِيَهم في أفواههم[٥]) : فيه ثلاثة أقوال :

أحدها ـ أن الضمائر للرُّسل . والمعنى أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه أنفسهم غَيْظاً على الرسل ، كقوله تعالى[٦] : « عَضُّوا عليكُمُ الأناملَ مِنَ الغَيْظِ » ؛ واستهزاء وضحكا ، كمن غلبه الضحك ، فوضع يده على فيه .

الثاني ـ أن الضمائر لهم ـ والمعنى أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه أنفسهم ؛ إشارة على الأنبياء بالسكوت .

---

(١) الأعراف : ٧٨ (٢) التوبة : ٢٥

(٣) البقرة : ١٩ ، والرعد : ١٣ (٤) الرعد : ١٧

(٥) إبراهيم : ٩ (٦) آل عمران : ١١٩

والثالث — أنهم ردُّوا أيديهم فى أفواه الأنبياء ؛ تَسْكِيتاً لهم ودفعاً لقولهم.

(رَجِلِكَ[1]) : جمع رَاجِل ، وهو الذى[2] يمشى على رجليه ، لتقدم الخيل . وقيل : هو مجاز واستعارة ؛ فهو بمعنى افعل جهدك . وقيل : إن له من الشيطان خَيْلًا ورجلا . وقيل : المراد فُرسان الناس ورجالتهم المتصرِّفون فى الشر .

(رَقِيم[3]) : لوح كتب فيه خبر أهل الكهف ، ونصبه على باب الكهف . وقيل : كتاب فيه شرعهم ودينهم . وقيل : هى القرية التى كانت بإزاء الكهف . وقيل : الجبل الذى فيه الكهف . وقيل : اسم كلبهم . قال الأصمعى : كنت لا أدرى ما الرَّقيم حتى مررت بولد أعرابى ، وهو يقول : يا أبت تعلق الرقيم بالأديم ؛ فطردته فتبارك الجبل ؛ أى ارتفع .

وقال ابن عباس : لا أدرى ما الرَّقيم .

(رَتْق[4]) : مصدر وصف به ، ومعناه الملتصق بعضه ببعض الذى لا صَدْع فيه ولا قبح .

(ربَتْ[5]) : ارتفعَتْ .

(رحمةً للعالمين) : المراد به نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وانتصابُ رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول . والمعنى على هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الرحمة . ويحتمل أن يكون مصدراً فى موضع الحال من ضمير الفاعل ؛ تقديره أرسلناكَ راحماً للعالمين . أو يكون مفعولا من أجله .

والمعنى على كلِّ وَجْهٍ : أنَّ الله رحم العالمين بإرسال هذا النبيِّ الرحيم إليهم ؛

---

(١) الإسراء : ٦٤

(٢) فى المفردات : راجل : أى قوى على المشى .

(٣) الكهف : ٩ — (٤) الأنبياء : ٣٠ — (٥) الحج : ٥

لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى ، والنجاة من الشقاوة [١٢٢ ب] العظمى ، ونالوا على يديه الخيراتِ الكثيرة فى الآخرة والأولى ، وعلَّمهم بعد الجهالة ، وهداهم بعد الضلالة .

فإن قلت : رحمة للعالمين عموم ، والكفار لم يرحموا به .

فالجواب من وجهين :

أحدها — أنهم كانوا مُعَرَّضين للرحمة به لو آمنوا ، فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها .

والآخر — أنهم رُحموا به لكونهم لم يعاقَبُوا بمثل ما عُوقب به الكفّار المتقدمون ، من الطوفان والصيحة وغير ذلك .

(رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ ومَعِينٍ[1]) — بضم الراء وفتحها وكسرها : الأرض المرتفعة . والقرار المستوى من الأرض ؛ فمعناه أنها بسيطة يتمكَّنُ فيها الحرث والغراسة . وقيل : القرار هنا الثمار والحبوب . والمعين : الماء الجارى ، فقيل : إنه مشتقٌّ من العين ، فالميم زائدة ووزنه مفعول .

واختلف فى موضع هذه الرَّبْوة ، فقيل : بيت المقدس ، وقيل : بغُوطة دمشق . وقيل : فلسطين .

(رءُوف رَحيم) : من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، مُشْتَقَّان من أسماء الله ، وقد اشتق له من اسمه نحو السبعين اسماً ، وهذه خصوصية له صلى الله عليه وسلم ، كالكريم ، والخبير ، والحق المبين ، والشاهد ، والشهيد ، والعظيم ، والجبّار ، والفاتح ، والشكور ، وغير ذلك مما يطول ذكرها .

---

(١) المؤمنون : ٥٠

(رَكُوبُهم[1]) - بفتح الراء : هو المركوب .

(رَسّ[2]) : معدن ، وكل ركيّة لم تُطْوَ فهى رَسّ . وفى العجائب للكرمانى : أنه أعجمى ، ومعناه البئر .

(رَدِفَ لكم[3]) : أى تبعكم ، واللام زائدة ، أو ضُمّن معنى قَرُب ، فتعدى باللام .

ومعنى الآية : أنهم استعجلوا العذاب بقولهم : متى هذا الوَعْدُ ؟ فقيل لهم : عسى أن يكون قَرُب لكم بعض العذاب الذى تستعجلون ، وهو قتلهم يوم بَدْر .

(رَميم[4]) : بالية متفتّتة .

(راغ إلى آلِهَتِهم[5]) : أى مال إليها ، فقال لهم : ألا تأكلون ! على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام .

فإن قلت : ما وَجْهُ دخولِ الفاء فى آية الصافّات[6] وحذفها من الذاريات؟

فالجواب : إنما أدخلها فى الصافّات لأنها لم تتكرر ، فقالها للأصنام على جهة التوقيف على الأكل والنطق والمخاطبة للأصنام ؛ والقصدُ الاستهزاء بعابديها ؛ إذ كانوا يتركون فى بُيُوت الأصنام طعاماً ، ويعتقدون أنها تُصيبُ منه شيئاً ،

---

(١) يس : ٧٢ (٢) الفرقان : ٣٨ ، ق : ١٢

(٣) النمل : ٧٢ (٤) يس : ٧٨ ، الذاريات : ٤٢

(٥) الصافات : ٩١

(٦) فى الصافات : فراغ إلى آلهتهم فقال : ألا تأكلون — وفى الذاريات : فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال : ألا تأكلون سبقت قال فى الآية الأولى بالفاء ، وأما قال الثانية فلم تدخل عليها الفاء .

ونحو هذا من المعتقدات الباطلة ؛ ثم كان خدَمة البيت يأكلونه . وحذفها في الذاريات لتكررها قبله . ويحتمل أن تكون حثًّا على الأكل ، أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية .

(رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ[1]) ؛ أي سواكِنَ . ومعناه لو أراد الله أن يسكن الرياح ، أو تهديد بإسكانه .

(رَهْواً[2]) ؛ أي ساكناً على هيئته بالسريانية . وقيل : يابساً .

ورُوي أن موسى لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق ، كما ضربه فانفلق ؛ فقال الله له : "اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا".

وقيل : معنى رَهْواً سهلا . وقيل : منفرجا .

وروي أن الله أوحى إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ؛ فبات يضطرب من خَوْفِ الله وفرحا بخطابه ؛ وأنتَ يا عبد الله خاطبك بكلامه ، وأكرمك بأمْرِه ولا تمتثل ! بئس العبد ، ولنعم الرب !

(رَقّ مَنْشُور[3]) : الصحائف التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة . والرَّقّ في اللغة : الصحيفة . وخُصّصت في العُرْف بما كان من جِلْد . والمنشور : خلاف المَطْوِيّ .

(رَبّ المشرقَيْن ورَبّ المغربين[4]) : مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما . وقيل مشرق الشمس والقمر ومغربيهما .

(رَوْح ورَيْحان[5]) : الروحُ الاستراحة ، وقيل الرحمة .

---

(١) الشورى : ٣٣ (٢) الدخان : ٢٤ (٣) الطور : ٣
(٤) الرحمن : ١٧ (٥) الواقعة : ٨٩

ورُوِي أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قرأ : «فَرُوحٌ» بضم الراء ، ومعناه الرحمة . وقيل : الخلود ؛ أي بقاء الروح. وأما الريحان فقيل : إنه الرزق . وقيل : الاستراحة . وقيل : الطيب . وقيل : الريحان المعروف في الدنيا يلقاه المؤمن في الجنة . وفي قوله : رَوْح وريحان ضَرْبٌ من ضروب التجنيس .

(رَتِّلِ القُرْآنَ تَرتيلا[١]) ؛ أي بيِّنْه وتمهّل في قراءته بالمدّ وإشباع الحركات وبيان الحروف ، وذلك معين على التفكّر في معاني [١٢٣ ا] القرآن، بخلاف الهذّ[٢] الذي لا يفقه صاحبه ما يقول ، ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقطع في قراءته حرفاً حرفاً ولا يمر بآية رحمة إلّا وقف وسأل ، ولا بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ ، وقام بآية من القرآن ليلة[٣]: « إنّ لَدَيْنا أنْكالًا وجَحِيما وطعاماً ... » الآية ، وكان يصعق لبعض الآيات .

وقد أفرد الناس في آداب تلاوته تواليف كالنّووي والغزالي وغيرهما ، وسنذكر منها الإشارة إلى بعضها : أخرج من حديث عبيدة المالكي[٤] مرفوعاً وموقوفاً : يأهلَ القرآن لا تتوسدُوا القرآن ، واتلُوه حقّ تلاوته آناء الليل والنهار، وأفْشُوه وتدبّرُوا ما فيه لعلكم تفلحون . وقد كان للسلف في قَدْر القراءة عاداتٌ ؛ فأكثر ما ورد في قراءة القرآن مَنْ كان يختم في اليوم والليلة ثمان مرات ؛ أربعاً في الليل ، وأربعاً في النهار . ويليه مَنْ كان يختم في اليوم والليلة أربعاً ، ويليه ثلاثا ، ويليه ختمتين، ويليه ختمة. ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين ،

---

(١) المزمل : ٤

(٢) في الكشاف (٢ — ٤٩٨) : ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة ... وألا يهذه هذا ولا يسرده سرداً ، كما قال عمر : شر القراءة الهذرمة . والهذ : السرعة في القراءة ، وكذلك الهذرمة

(٣) المزمل : ١٢

(٤) في الإتقان : المكي

ويليه من كان يختم فى كل ثلاث ، وهو حسَن . وكره جماعة الختم فى أقل من ذلك ، لما روى أبو داود والترمذى ـ وصحّحه ، من حديث عبد الله بن عمر ـ مرفوعا : لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث .

ويليه من ختم فى أربع ، ثم فى خمس ، ثم فى ست ، ثم فى سبع ؛ وهذ أوسطُ الأمور وأحسنها ، وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم .

ويلى ذلك مَنْ ختم فى ثمان ، ثم فى عشرة ، ثم فى شهر ، ثم فى شهرين .

أخرج ابنُ أبى داوود ، عن مكحول ، قال : كان أقوياء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرءون القرآن فى سبع . وبعضهم فى شهرٍ . وبعضهم فى شهرين . وبعضهم فى أكثر من ذلك .

وقال أبو الليث ـ فى البستان : ينبغى للقارىء أن يختم فى السنة مرّتين إن لم يقدر على الزيادة .

وقد روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة ، قال : من قرأ القرآن فى كل سنة مرّتين فقد أدّى حقّه ؛ لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل فى السنة التى قُبض فيها مرتين .

وقال غيره : يُكرَه تأخير خَتْمِه أكثر من أربعين يوماً بلا عُذْر .

وقال النووى فى الأذكار : المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ؛ فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصِرْ على قدْرٍ يحصل له كمالُ فَهْم ما يقرأ ، وكذلك من كان مشغولا بنشر العلم ، أو فصل الحكومات ، أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوات كماله . وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين

فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدّ الملل أو الهَذْرَمة[١] فى القراءة .

ونِسْيانُه من أعْظَمِ الذنوب ، كما صحّ : عرِضت علىّ ذنوبُ أمتى فلم أرَ ذَنباً أعظم من سورة القرآن أو آية أوتيها رجلٌ فنسيها .

ويستحب الوضوء لقراءته . وإذا كان يقرأ فعرضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستتم خروجها . وكذلك إن كان يكتبه . ويطيِّب فمه ما أمكنه ، ويجلس مستقبلا متخشّعا خائفا وَجِلا ، مطرقاً رأسه حياء ممنْ هو يخاطبه

ويتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم . وليحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة . ولا يحتاج إلى نيّة إلا إذا نذرها خارج الصلاة ؛ فلا بد من نيّة الفرض أو النَّذْر .

وقال فى شرح المهذب : واتفقوا على كراهة الإفراط فى الإسراع ، قالوا : وقراءة جُزْءٍ بترتيل أفضل من قراءة جزءين فى قَدْرِ ذلك الزمان بلا ترتيل .

وفى النشر : اختلف هل الأفضل الترتيل ، وقلة القراءة ، أو السرعة مع كثرتها ؟ وأحسنَ بعض أئمتنا فقال : إنّ ثوابَ قراءة الترتيل أجلّ قدراً ، وثواب الكثرة أكثر عدداً ؛ لأن بكل حرف عشر حسنات . ويستحبُّ البكاءُ عند تلاوته ، والتباكى لمن لا يقدر عليه ، والحزن والخشوع ، قال تعالى[٢] : « ويخرُّونَ للأذْقان يَبْكُون » .

ويستحبُّ تحسينُ الصّوْت بالقراءة ، للحديث : " زَيِّنُوا أصواتكم بالقرآن " .

---

(١) الهذرمة : السرعة .

(٢) الاسراء : ١٠٩

وأما القراءةُ بالألحان المطربة بحيث [١٢٣ ب] ألا يفرط في المدّ وفي إشباع الحركات حتى يتولّد من الفتحة ألف ، ومن الضمة واو ، ومن الكسرة ياء ، ويدغم في غير موضع الإدغام ـ فلا بأس . وإن انتهى إلى هذا الحدّ فحرامٌ يفسقُ به القارىء ، ويأثَم به المستمع ؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم .

ولا بَأسَ باجتماع الجماعة في القراءة ، ولا بإدارتها ؛ وهي أن يقرأ بعضُ الجماعة قطعةً ثم البعض قطعةً بعدها . وتستحَبُّ قراءته بالتفخيم ؛ لحديث الحاكم : نزلَ القرآن بالتفخيم .

قال الحليمي : ومعناه أن يقرأه على قراءة الرجال ، ولا يُخضِع الصوت فيه ككلام النساء . قال : ولا يدخل في هذا كراهة الإمالة التي هي اختيارُ بعض القراء . وقد يجوز أن يكون نزل القرآن بالتفخيم ، فيرخص مع ذلك في إمالة ما تحسن إمالته .

ووردت أحاديثُ باستحباب رَفعِ الصوت بالقراءة ، وأحاديث تقتضِي الإسرار وخَفْض الصـــوت . وقال بعضهم : يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ؛ لأن المُسِرّ قد يملّ فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار .

والقراءة في المصحف أفضلُ من القراءة من حفظه ؛ لأنه أبْعَدُ من الرياء ، وأجمع للفكر ، والنظر فيه عبادة مطلوبة .

قال النَّوَوِي : ولو قيل : إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيُختار القراءة فيه لمن استوى خشوعُه وتدبره في حالتي القراءة فيه ومن الحفظ . ويختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه ، ويزيد على خشوعه وتدبُّره لو قرأ من المصحف ـ لكان هذا قولا حسناً .

وإذا أرتج على القارىء فلم يدْرِ ما بعد الموضع الذى انتهى إليه ، وسأل عنه غيره ، فينبغى أن يتأدب بما جاء عن ابن مسعود والنخعى وبشير بن أبى مسعود ، قالوا : إذا سأل أحدُكم أخاه عن آية فليقرأ ما قبلها ثم يسكت ، ولا يقول : كيف كذا وكذا ؟ فإنه يلبّس عليه .

وقال مجاهد[١] : إذا شك القارىء فى حرْفٍ ؛ هل هو بالتاء أو بالياء فليقرأه بالياء ؛ فإن القرآن مذكّر . وإن شكّ فى حرف هل هو مهموز أو غير مهموز فليترك الهمز . وإن شكّ فى حرف هل يكون موصولا أو مقطوعاً فليقرأه بالوصل . وإن شك فى حرْفٍ هل هو ممدود أو مقصور فليقرأه بالقصر . وإن شك فى حرف هل هو مفتوح أو مكسور فليقرأه بالفتح ؛ لأن الأول غير لحن فى بعض [المواضع][٢] ، والثانى لحن فى بعض المواضع .

ويكره قطعُ القراءة لمكالمة أحد . قال الحليمىّ : لأن كلام الله لا ينبغى أن يؤثر عليه كلام غيره . وأيّده البيهقى بما فى الصحيح : كان ابنُ عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغَ منه .

ويكره أيضاً : الضحك ، والعبثُ ، والنظرُ إلى ما يُلْهِى .

ولا تجوزُ قراءته بالعجميّة مطلقاً ، سواء أحسن العربية أم لا ، فى الصلاة أم خارجها . وعن أبى حنيفة أنه يجوز مطلقاً ، لكن فى شرح البزدوىّ أن أبا حنيفة رجع عن ذلك .

ووجه المَنْع أنه يُذهب إعجازه المقصودَ منه . وعن القفّال من أصحابنا : أن القراءة بالفارسية لا تتصوّر . قيل له : فإذَنْ لا يقدر أحَدٌ أنْ يفسّر القرآن .

---

(١) فى الاتقان : ابن مجاهد .

(٢) ليس فى ا ، وفى الإتقان : لأن الأول غير لحن فى موضع .

قال : ليس كذلك ؛ لأنّ هناك يجوز أن يأتى ببعض مرادِ الله ، ويعجز عن البعض . أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتى بجميع مُراد الله ، لأنّ الترجمـــة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ؛ وذلك غيْرُ ممكن ، بخلاف التفسير .

والأَوْلى أن يقرأ على ترتيب المصحف؛ لأنه[1] لحكمة فلا يتركها . فلو فرّق السور أو عكسها جاز ، وترك الأفضل .

وقال فى شرح المهذب : وأما قراءة السُّوَر مِنْ آخرها إلى أولها فمتفَقٌ على منْعِه ؛ لأنه يذهب ببعض نوْعِ الإعجاز ، ويزيل حكمةَ الترتيب .

وأخرج الطبرانى بسندٍ [١٢٤ ا] جيّد عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوسا . قال : ذلك منكوس القلْب .

وأما خَلْط سورة بسورة فمن[2] الحليمى : تركه من الآداب ، لما أخرجه أبو عبيد عن سعيد بن المسيِّب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ ببلال وهو يقرأ القرآن من هذه السورة ومن هذه السورة ، فقال : ما هذا ؟ قال : أخْلِط الطيب بالطيب . فقــال : اقرأ القراءة على وجهها ، أو نحوها . مُرْسل صحيح .

وأخرج عن ابن مسعود، قال: إذا ابتدأت فى سورة فأردتَ أن تتحوّل منها إلى غيرها فتحوّل إلى : قل هو الله أحد . فإذا ابتدأت فيها فلا تتحول منها حتى تختمها .

ونقل القاضى أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة .

---

(١) أى الترتيب .

(٢) فى الإتقان : فعد .

قال البيهقى : وأحسن ما يحتجُّ به أن يُقال : إنَّ هذا التأليف لكتاب الله مأخوذٌ من جهة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخَذه عن جبريل ، فالأولى بالقارئ أنْ يقرأه على التأليف المنقول . وقد قال ابن سيرين : تأليفُ الله خيرٌ من تأليفكم .

قال الحليمى : ويستحبُّ استيفاءُ كلِّ حرف أثبته قارئ ليكون قد أتى على جميع ما هو قرآن . قال ابن الصلاح والنووى : إذا ابتدئ بقراءة أحد من القُرّاء فينبغى ألّا يُزال على تلك القراءة ما دام الكلامُ مرتبطا ، فإذا انقضى ارتباطُه فلهُ أن يقرأ بقراءة آخر . والأولى دوامُه على هذا فى هذا المجلس .

وقال غيرهما بالمنع مطلقا ـ قال ابن الجزرى : والصواب أن يقال : إن كانت إحدى [القراءتين][1] مرتبة على الأخرى منع ذلك مَنْع تحريم ، كمن يقرأ فتلقّى آدم من ربه كلمات . برفعهما أو بنصبهما ، أخذ رفع آدم من قراءة ابن كثير ، ورفع كلمات من قراءته ، ونحو ذلك مما لا يجوز فى العربية واللغة . وما لم يكن كذلك فرق فيه بين مقام الرواية وغيرها ، فإن كان على سبيل الرواية حرم أيضاً ، لأنه كذبٌ فى الرواية وتخليط . وإن كان على سبيل التلاوة جاز .

وأفضل القراءة ما كان فى الصلاة ثم الليل ثم نصفه الأخير ، وما بين المغرب والعشاء محبوبة لفراغِ القَلْبِ من أشغال الدنيا . وأفضَلُ النهار بعد الصبح . ولا تُكرَهُ فى شىء من الأوْقَات .

وأفضلُ الذكر القرآن إلا فيما شرع فيه من الأذكار ، كأذكار الليل والنهار ، وعند الأكل والشرب ، ودخول المنزل والمسجد ، وغير ذلك .

---

(١) من ب .

وأما ما رواه ابن أبي داود عن مُعَان[1] بن رفاعة ، عن مشايخه أنهم كرِهُوا القراءة بعد العصر ، وقالوا : هو دراسة يهود ، فَغَيْرُ مقبول ، ولا أصل له .

ويُختار من الأيام يوم عرفة ثم الجمعة ثم الاثنين والخميس ، ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان ، والأول من ذى الحجة . ومن الشهور رمضان .

ويُختار لابتدائه يوم الجمعة وليلتها . ولختمه يوم الخميس أو ليلته . والأفضل الختم أول النهار أو أوّل الليل ، لما رواه الدارمى بسند حسن عن سعد ابن أبى وقّاص ، قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلّت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه آخر الليل صلّت عليه الملائكة حتى يُمْسِى .

قال فى الإحياء : ويكون الختم أول النهار فى ركعتى الفجر ، وأول الليل فى ركعتى سنّة المغرب للوقت[2] المبارك .

ويستحبُّ الختم فى الشتاء أول الليل . وفى الصيف أول النهار .

ويستحبُّ صَوْم يوم الختم وإحضار أهله وولده وأصدقائه ودعائه لهم لأنه مستجاب ، كما صح . وأخرج عن مجاهد ، قال : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ، ويقولون عنده تنزل الرحمة .

ويستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن . قال الحليمى : ونكتته التشبيه للقراءة بصوم رمضان إذا أكمل عدّته يكبّر ، فكذا هنا يكبّر إذا أكمل

---

(١) فى الاتقان : معاذ بن رفاعة .

(٢) فى الاتقان : وقال ابن المبارك .

عدّة السور . قال : وصفته أن يَقِفَ بعد كلّ سورة وقفةً ويقول : الله أكبر ، وكذا قال سليم الرازى من أصحابنا فى تفسيره : يكبِّرُ بين كل سُورتين ، ولا يصل آخر السورة بالتكبير ، بل يفصل بينهما [١٢٤ ب] بسكتة . قال : ومَنْ لا يُكبِّر من القُرّاء حُجّتُهم أن فى ذلك ذريعةً إلى الزيادة فى القرآن ، بأن يُدَاوِمَ عليه فيَتَوَهّم أنه منه .

وإذا فرغ من الختمة يشرع فى أخرى لحديث الترمذى وغيره : أحبُّ الأعمال إلى الله الحالّ المرتحل ، الذى يقرأ من أول القرآن إلى آخره ، كلما حل ارتحل .

ومنع الإمام أحمد تكرير سورة الإخلاص عند الختم ، لكن عمل الناس على خلافه . قال بعضهم : الحكمةُ فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن ، فيحصل بذلك ختمة .

فإن قيل : فكان ينبغى أن يقرأ أربعاً ، لتحصل ختمتان .

قُلنا : المقصود أن يكون على يقين من حصول ختمة ، إمّا التى قرأها ، وإمّا التى حصل ثوابها بتكرير السورة .

قلت : وحاصِلُ ذلك يرجع إلى جبر ما لعلّه حصل فى القراءة من خلَل ، وكما قاس الحليمى التكبير عند الختم على التكبير عند إكمال رمضان ، فينبغى أن يُقاس تكريره سورة الإخلاص على إتْبَاعِ رمضان بستّ من شوال .

ويكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسّبُ بها ، للحديث : مَنْ قرأ القُرآن فليسأل الله ، فإنه سيأتى قومٌ يقرءون القرآن يسألون الناس به .

وروى البخارى فى تاريخه الكبير بسنَدٍ صالح حديث : من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه لُعِنَ بكل حَرْفٍ عشرَ لعنات .

ويكره أن يقول نسيت آية كذا ، بل أنسيتها ، للحديث الصحيح فى النهى عن ذلك .

والأئمة الثلاثة عَلَى وُصولِ ثَوَابِ القراءة للميِّت . ومذهبنا خلافه ، للآية[1] : « وأنْ لَيْسَ للانسانِ إلَّا مَا سَعَى » .

وقد طوَّلنا الكلام هنا فلنرجع إلى المقصود لأن هذا الكتاب لا يسع ذلك . وقد أودعنا أكثره فى كتابنا الإتقان فى علوم القرآن[2] .

(رَاق[3]) : صاحب رُقْيَة ، يعنى قال أهل المريض مَنْ يرقيه حتى يشفيه الله . وقيل إن الملائكة تقول : من يرق بروحه حتى يصعد بها إلى السماء ، فالأولى من الرقية وهو أشهر ، والثانى مِن الرق إلى العلو .

(تَرْجُفُ الراجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَة[4]) : قيل الراجفة النفخة الأولى فى الصُّور . والرادفة النَّفخة الثانية ، لأنها تتبعها ، ولذلك سماها رادفة ، من قولك : ردفت الشيء إذا تبعته . وفى الحديث : أن بينهما أربعين يوماً .

وقيل الراجفة الموت ، والرادفة القيامة . وقيل الراجفة الأرض ، من قولك تَرْجُفُ الأرض والجبال . والرادفة السماء ، لأنها تنشقّ يومئذ .

والعامل فى يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدر ، تقديره لتبعثنّ يَوْمَ ترجفُ الراجفة ، وإنْ جعَلْنَا يوم ترجف الجواب فالعامل فى يوم معنى قوله : قلوبٌ يومئذ واجفة ، ويكون تتبعها الرادفة فى موضع الحال .

---

(١) النجم : ٢٩

(٢) ارجع إليه إن أردت (٢٩٢ — ٣١٤) من الجزء الأول .

(٣) القيامة : ٢٧ (٤) النازعات : ٧

ويحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها .

(رَانَ على قلوبهم[1]) ، أي غلب على قلوبهم كَسْبُ الذنوب ، كما ترين الخمر على عقْل السكران . والضمير راجعٌ على من يكسب السيئات ، يطمس اللهُ بصائرهم حتى لا يعرفون الرشد من الغيّ ؛ لأن المعاصي بريد الكفر . وفي الحديث : إنّ العَبْدَ إذا أذنب ذنباً صارت نكتة سوداء في قلبه ، فإذا زاد ذنباً آخر زاد السَّوَادُ ، فلا يزال كذلك حتى يتغطّى ، وهو الرَّيْن .

(رَحِيق[2]) خالصٌ من الشراب . وقيل العتيق منه .

(رحمة) وردت على أوجه ، الإسلام[3] : « يختَصُّ برحمته مَنْ يشاء » . والإيمان[4] : « وآتاني رحمةً من عنده » . والجنة[5] : « ففي رَحْمَةِ الله هم فيها خالدون » . والمطر[6] : « بشراً بين يدي رَحْمَته » . والنعمة[7] : « ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُه » . والرزق[8] : « خزائن رحمة رَبّي » . والنصر والفتح[9] : « إنْ أرَادَ بكُمْ سوءاً أو أراد بكم رحمة » . والعافية[10] : « أو أرَادَني برَحْمَته » . والمودّة[11] : « رأفة ورحمة » . والمغفرة[12] : « كَتَبَ على نفسه الرحمةَ » . والعصمة[13] : « لا عاصمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ إلا مَنْ رَحِم » .

(روح) : ورد على أوجه : الأمر : «وروح منه» . والوحي[14] : « ينزل

---

(١) المطففين : ١٤ — (٢) المطففين : ٢٥ — (٣) البقرة : ١٠٥
(٤) هود : ٢٨ — (٥) آل عمران : ١٠٧ — (٦) الأعراف : ٥٧
(٧) النساء : ١١٢ — (٨) الإسراء : ١٠٠ — (٩) الأحزاب : ١٧
(١٠) الزمر : ٣٨ — (١١) الحديد : ٢٧ — (١٢) الأنعام : ١٢
(١٣) هود : ٤٣ — (١٤) النحل : ٢

الملائكة بالرُّوح » . [١٢٥ ا] والقرآن[1] : «أَوْحَيْنَا إليكَ رُوحاً من أمرنا» . والرحمة[2] : « وأيَدهم بروُح منه » . والحياة[3] : « فَروح ورَيْحان » . وجبريل[4] : « فأرْسَلْنا إليها رُوحنا » . «[5] نزل به الرُّوح الأمين » . وملك عظيم[6] : « يوم يقومُ الرُّوح » . وجنس من الملائكة[7] : « تنزّلُ الملائكة والروح فيها » . وروح البدن[8] : « ويسألونك عن الروح قل الروح مِنْ أمْرِ ربى » ؛ أى من علم ربى لا نَعْلَمُهُ نحن ولا أنتم ؛ لأنه من الأمور التى استأثر الله بها ، ولم يَطَّلِعْ عليها خَلْقَه ، وكانت اليهود قد قالت لقريش : سَلُوه عن الروح فإن لم يجبكم فيه بشىء فهو نبى ، وذلك أنه كان عندهم فى التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمها .

وقال ابن بريدة : لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعرف الروح ، ولقد كثر اختلاف الناس فى النفس والروح حتى أنهوه إلى خمسمائة قول ، وليس فيها ما يعوَّل عليه .

(رُكْبَاناً[9]) : جمع راكب ؛ أى صلُّوا كيف ما كنتم ركوباً أو غيره ، وذلك فى صلاة المسايفة ، ولا ينقص فيها عن ركعتين فى السفر وأربع فى الحضَر .

(رُحَماء بَيْنهم[10]) : وصفٌ للنبى صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه من أصحابه . واختار ابن عطية أن يكون الوصف بالشدّة والرحمة مختصاً بالصحابة والنبى صلى الله عليه وسلم ، وما أخصه بالوصف بذلك ؛ لأن الله تعالى قال فيه : « بالمؤمنين رءوف رحيم » . وقال له[11] : «جاهِدِ الكفّار والمنافقين

---

(١) الشورى : ٥٢ (٢) المجادلة : ٢٢ (٣) الواقعة : ٨٩
(٤) مريم : ١٧ (٥) الشعراء : ١٩٣ (٦) عم : ٣٨
(٧) القدر : ٤ (٨) الإسراء : ٨٥ (٩) البقرة : ٢٣٩
(١٠) الفتح : ٢٩ (١١) التوبة : ٧٣

واغلُظْ عليهم » ؛ فهذا هو الوصف على الكفار والرحمة بالمؤمنين . وهذه الآية كقوله[١] : « أذِلَّة على المؤمنين أعِزَّة على الكافرين » .

(رُكام) : بعضهم على بعض .

(رُفَاتا[٢]) : هو الذى بلى ، حتى صار غُبارا .

ومعنى الآية إنكارهم للبَعْثِ ، واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقاً جديداً بعد فنائهم .

(رَجْمًا بالغَيْب[٣]) ، أى ظنًا ، وهو مستعارٌ من الرَّجْم بمعنى الرمى .

ومعنى الآية أن اليهود وغيرهم ممن تكلّم فى أصحاب الكهف اختلفوا فى عددهم كما أخبر الله تعالى فى كتابه ، وأنهم ما يعلمهم إلا قليل من الناس ، وهم من أهل الكتاب . قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل ، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم ؛ لأنه قال فى الثلاثة والخمسة رجماً بالغيب ، ولم يقل ذلك فى سبعة وثامنهم كلبهم .

قال الزمخشرى[٤]: وفائدتها التوكيد والدلالة على أن [اتصافه بها أمر ثابت مستقر ، وهذه الواو هى التى آذنَتْ بأن] [٥] الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم صدّقوا وأخبروا بحق ، بخلاف الذين قالوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، والذين قالوا خمسة سادسهم كلبهم .

---

(١) المائدة : ٥٤ (٢) الإسراء : ٤٩ ، ٩٨ (٣) الكهف : ٢٢

(٤) فى الكشاف : ١ — ٥٩٠ فإن قلت : ما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ؟ ولم دخلت عليها دون الأولين ؟ قلت : هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة ... وفائدتها .

(٥) من الكشاف .

وقال ابن عطية : دخلت الواو فى آخر إخْبَارٍ عن عددهم ، لتَدُلَّ أن هذا نهايةُ ما قيل ، ولو سقطت لصح الكلام .

(روم) : اسم عجمى لهذا الجيل من الناس ، قاله الجواليقى[١] : وسمِّيَتْ باسم جدهم ، وهو روم بن عيْصو بن إسحاق بن إبراهيم .

(رُخَاءً[٢]) : يعنى ليِّنة طيبة . وقيل مطيعة له ، وحيث أصاب : أى قصد وأراد .

فإن قلت : قد وصفها فى الأنبياء أنها عاصفة[٣] ، أى شديدة بالجمع .

فالجواب : أنها كانت فى نفسها ليِّنة طيِّبة ، وكانت تُسْرِعُ فى جريها كالعاصف ، فجمعت الوصفين . وقيل : كانت رُخاءً فى ذهابه وعاصفة فى رجوعه إلى وطنه ، لأن عادة المسافرين الإسراع فى الرجوع . وقيل : كانت تشتَدّ إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته .

ومعنى الأرض التى باركنا فيها أرض الشام ، وكانت مسكنه وموضع ملكه ، فخص فى الآية الرجوع إليها لِيَدُلَّ على الانتقال منها ، فمن يقدر على وصف هذا الملك الذى كانت الريح مركبه والإنس والجن جنوده ، والطير مُعينه ومحدّثه ، والوحش مسخرة ، والملائكة رسوله ، وكان له ميدان لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وكان عسكره مائة فرسخ ، وكان منزله شهرا ، وكانت الجن نسجت له بساطا من ذهب وفضة فيها اثنا عشر ألف محراب ، فى كل محراب كرسىّ من ذهب وفضة ، على كل كرسىّ عالم من علماء بنى إسرائيل ، ومع ذلك لم يشغله

---

(١) المعرب : ١٦٣ (٢) ص : ٣٦

(٣) الأنبياء : ٨١

هذا الملك عن عبادة مولاه ، ولذا قال له(١) : « هذا عطاؤنا فامْنُنْ أو أمْسِك بغير حساب » .

(رُجَّت الأرضُ(٢)) : زلزلت وحُرِّكَتْ تحريكا شديداً ؛ وذلك يوم القيامة .

(رُجْعَى(٣)) : أي مرجعاً ، وهذا تهديد لأبي جهل وأمثاله .

(رِبا(٤)) : هو فى اللغة الزيادة ، ومنه(٥) : « يُرْبِي الصدقاتِ » . واستعمل فى الشرع فى بيوعات ممنوعة أكثرها راجعةٌ إلى الزيادة ، فإن غالب الربا فى الجاهلية قولهم للغريم أتَقْضِي أم تربِي ؟ فكان الغريم يزيد فى عدد المال ويَصْبِرُ الطالب عليه . ثم إن الربا على نوعين : ربا النَّسِيئة وربا التفاضل ؛ وكلاهما يكون فى الذهب والفضة ، وفى الطعام .

فأما النسيئة فتَحْرُم فى بَيْعِ الذهب بالذهب ، وفى بيع الفضة بالفضة ، وفى بيع الذهب بالفضة ؛ وهو الصرف . وفى بيع الطعام بالطعام مطلقا .

وأمَّا التفاضُلُ فإنما يحرم فى بيع الجنس الواحد بجِنْسه من النقدين ومن الطعام .

ومذهبُ إمامنا أنه يحرم فى كل طعام . ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل فى المُقْتَات المدّخر من الطعام . ومذهب أبي حنيفة أنه يحرم فى المكيل والموزون من الطعام وغيره .

---

(١) ص ٣٩ (٢) الواقعة : ٤ (٣) العلق : ٨

(٤) الروم : ٣٩ (٥) البقرة : ٢٧٦

(رِبِّيُّون[١]) : جماعات كثيرة . وقيل علماء مثل ربّانيين . وذكر أبو حاتم أحمد بن حمدان اللغوى فى كتاب الزّينة أنها سريانية .

(رِيشا[٢]) : واحده رياش ؛ وهو ما ظهر من اللباس ، مستعار من ريش الطير . والرياش أيضا : الخصب والمعاش .

(رِجْز) : عذاب ؛ كقوله[٣] : « فلما كَشَفْنَا عنهم الرِّجْزَ » ؛ أى العذاب ، وكانوا مهما نزل بهم أمر من الأمور المذكورة عاهدوا مُوسَى على أن يُؤْمنوا به إن كَشفَهُ الله عنهم ؛ فلما كشفه عنهم نَقَضُوا العهد ، وتمادوا على كُفرهم . ورجز الشيطان لطخه وما يدعو إليه من الكفر ، وسميت الأصنام رُجْزاً[٤] فى قوله[٥] : « والرُّجْزَ فاهْجُرْ » ؛ لأنها سبب الرجز ؛ أى سبب العذاب . وقرىء بضم الراء وكسرها . وتُبْدَل الزّايُ سيناً ومعناها واحد ؛ كقوله تعالى[٦] : « فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إلى رِجْسِهم » ؛ أى كُفراً إلى كفرهم ، فيتجدّدُ عليهم العذاب بسبب كفرهم . وأما قوله تعالى[٧] : « وينزّلُ عليكم من السماء ماءً ليُطَهِّرَكُمْ به ويذهب عنكم رِجْزَ الشيطان » ـ فهو تعديد لنعمة أخرى ؛ وذلك أنهم عدموا الماء فى غَزْوَةِ بَدْر قبل وصولهم إليها ـ وقيل بعد وصولهم ـ فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأوْدِيَة ، وكان منهم من أصابته جنابة فتطهر به وتوضأ سائرهم ، وكانوا قبله ليس عندهم ماءٌ للطُّهور ولا للوضوء . وكان الشيطان قد ألقى فى نفوس بعضهم وَسْوَسَةً بسبب عدمهم الماء ، فقالوا : « نحن أولياءُ اللهِ وفينا رسولُه » ، فكيف نَبْقَى بلا ماءٍ ؛ فأنزل الله المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان .

---

(١) آل عمران : ١٤٦ (٢) الأعراف : ٢٦ (٣) الأعراف : ١٣٥

(٤) ق ا : رجساً . وسيأتى بعد قليل : وتبدل الزاى سيناً ومعناها واحد .

(٥) المدثر : ٥ (٦) التوبة : ١٢٥ (٧) الأنفال : ١١

(رِفد[1]) : يُرَادُ به العطاء ، والعَوْن ، ومنه قوله[1] : « بئس الرِّفدُ المَرْفود » ، أي العطيّة المُعطاة . ويُقَال : بئس[2] عون المعان رضوا به . قد قدمنا أن الرضا من الله هو إرادة تنعيم المؤمنين وثوابهم وإيصال النفع لهم ، وسخطه إرادة العقاب لأعدائه وإضرارهم .

(رِئْيًا[3]) : بهمزة ساكنة قبل الياء . ما رأيت عليه من شارة وهَيْئة ، وبغير همز بمعناه أيضا. ويجوز أن يكون من الرِّيّ، أي منظرهم مرْويّ من النعمة . وقرىء : زيا – بالزاى – يعنى هيئة ومنظرا .

(رِكْزا[4]) : صوت خَفِيّ . والمعنى أنهم لم يبق منهم أثر . وفي ذلك تهديد لقريش .

(رِيع[5]) : المرتفع من الأرض . وقيل : الطريق ، وجمعه أرْيَاع وريعى .

(رِعَاء[6]) : جمع راع .

(رِدْءا[7]) بغير همز وبهمز على التسهيل من المهموز ، بمعنى معينا ، أو يكون من أرديت ، أي زدت .

(رِزْقَكم أنكم تكَذِّبُون[8]) : قد قدمنا أنها توبيخ للقائلين مُطِرْنا بنَوْءِ كذا ، فجعلوا شكر الرزق التكذيب .

(رِكَاب) : إبل ، ومنه قوله تعالى[9] : « فما أوْجَفْتُم عليه مِنْ خَيْلٍ ولا رِكَاب » .

---

(١) هود : ٩٩

(٢) في الكشاف (١ – ٤٥٣) : بئس العون المعان وقيل : بئس العطاء المعطى .

(٣) مريم : ٧٤ (٤) مريم : ٩٨ (٥) الشعراء : ١٢٨

(٦) القصص : ٢٣ (٧) القصص : ٣٤ (٨) الواقعة : ٨٢

(٩) الحشر : ٦

(رُحْم[1]) : جمع رحم ، وهو فرج المرأة ، ويستعمل أيضاً فى القرابة .

(رُوَيْد) : اسم لا يتكلم به إلا مصغراً مأموراً به ، تصغير رود ، وهو المهل .

(رُبّ) : حرف فى معناها ثمانية أقوال :

أحدها ـ أنها للتقليل دائماً ، وعليه الأكثرون .

الثانى ـ للتكثير دائماً ؛ كقوله[2] : « رُبَما يوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ؛ فإنهم [١٢٦ ا] يكثُر منهم تمنّى ذلك . وقال الأولون : م مشغولون بغمرات الأهوال فلا يفيقون بحيث يتمنّوْنَ ذلك إلا قليلا .

الثالث ـ أنها لهما على السواء .

الرابع ـ للتعليل غالباً والتكثير نادراً ، وهو اختيارى .

الخامس ـ عكسه .

السادس ـ لم توضع لواحد منهما ؛ بل هى حرف إثبات لا يدل على تقليل ولا تكثير ؛ وإنما يفعل ذلك من خارج .

السابع ـ للتكثير فى موضع المباهاة والافتخار . وللتقليل فيما عداه .

الثامن ـ لمُبْهَمِ العدد تكون تقليلا وتكثيراً ، وتدخل عليهما فتكفّهما عن عمل الجرّ . وتدخل على الجمل ؛ والغالب حينئذ دخولها على الفعلية ـ الماضى فعلها لفظاً ومعنى ، ومن دخولها على المستقبل الآية السابقة . وقيل : إنه على حدّ[3] «ونُفِخَ فى الصُّورِ » .

---

(١) الكهف : ٨١ (٢) الحجر : ٢ (٣) الكهف : ٩٩

حرف الزاى المعجمة

(زكرياء) : كان مِنْ ذُرِّيَّةِ سليمان بن داود عليهما السلام ، وقتل بعد قَتْلِ ولده يحيى ؛ وذلك أنه هرب من اليهود ، فقفوا أثره ، فلما دَنَوْا منه رأى شجرةً فقال لها : اكتميني ؛ فانشقت الشجرة ، فدخل فيها ، ثم التأمت عليه فجاءوا فلم يجدوه ، فقال لهم إبليس : هو فى هذه الشجرة فأتَوْا بِمِنْشَارٍ وشقوها على نصفين ، فلما بلغ المنشار إلى أمّ رَأْسِهِ صاح وتأوّه ؛ فتزلزل الملكوت فنزل عليه جبريل ، وقال : يا زكرياء ؛ إنَّ الله تعالى يقول لك : لئن قُلْتَ آه مرةً أخرى لأمحونَّكَ من ديوان الأنبياء ، فعضَّ زكرياء على شفتيه حتى شقّوه بنصفين .

فليتأمّلِ العاقلُ هذا التهديد والوعيد الهائل مع أنبيائه وأصفيائه ، فكيف بنا الذين عميت بصائرنا ، وأظلمت سرائرنا ، وليعلم أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل .

قال أبو يزيد البسطامى : كنت أمشى فى البادية فرأيت أربعين شابًّا من أصحاب الطريقة ماتوا عطاشا جياعا . فقلت : إلهى ؛ كم تقتل الأحباب ؟ وكم تُريق دم الأصحاب ؟ فسمِعْتُ قائلا يقول : يا أبا يزيد ، اقتل النفس ، وأعط ديتها . فقلت : ما دية هؤلاء ؟ فسمعت هاتفا يقول : دية مقتول الخلق الدنيا ، ودية مَقْتُولِ الحقّ رؤية الجبّار .

وروى أن يحيى بن معاذ الرازى ناجى ربه فى ليلة . فقال : إلهى ؛ إن طلبتُك أتعبتنى ، وإن هربت منك أحرقتنى ، وإن أحببتك قتلتنى ؛ فلا منك فرار ، ولا عنك قرار .

وكان لزكرياء يَوْمَ بُشِّر بولده اثنان وسبعون سنة . وقيل : تسع وتسعون سنة . وقيل : مائة وعشرون .

وزكرياء اسم أعجمى ، وفيه خمس لغات : أشهرها المد . والثانية القَصْر ؛ وقرىء بهما فى السبع . وزكريا — بتشديد الياء وتخفيفها . وزكَر — كقلَم .

(زَكَى[١] ، وزَكَاة) : طهارة ونماء أيضا . وإنما قيل لما يجب فى الأموال صدقة ؛ لأنها تطهّر الأموال مما يكون فيها من الإثم والحرام إذا لم يؤدَّ حقُّ الله منها ، وتُنميها وتزيد فيها بالبركة ، وتقيها من الآفات . وتأتى بمعنى الثناء . ومنه قوله[٢] : «وحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وزَكَاةً» ، كما يزكى الشاهد . وزكا هو — مخففاً : أى صار زكيا .

(زَيْغ) : ميل حيثما وقع . ومنه[٣] : « وأمَّا الذين فى قلوبهم زَيْغ » . نزلت فى نصارى نَجْران ، فإنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : أليس فى كتابك أن عيسى كلمة الله وروحٌ منه ؟ قال : نعم . قال : فَحَسْبُنَا إذاً ؛ فهذا من المتشابه الذى اتبعوه . وقيل : نزلت فى أبى ياسر بن أخطب اليهودى وأخيه حُيَيّ . ثم يدخل فى ذلك كل كافر أو مُبْتَدِع أو جاهل يَتّبِعُ المتشابه من القرآن .

(زَبُور) : فَعول بمعنى مفعول ، من زبرت الكتاب ؛ أى كتبته . والزبور الذى أعطيه داود عليه السلام ، وهو من الكتب المنزَّلة على الأنبياء ، وعددها مائة وأربعة . وقيل وأربعة عشر .

(زَحْفاً[٤]) : حال من الذين كفروا ، أو من الفاعل فى لقيتم ؛ ومعناه متقابلى الصفوف والأشخاص . وأصل الزحف الاندفاع .

---

(١) فى النور : ٢١ : ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً .
(٢) مريم : ١٣ (٣) آل عمران : ٧ (٤) الأنفال : ١٥

(زَيَّلْنَا بينهم[1]) : فَرَّقْنا .

(زَفِير[2]) : إخراج النفس من الصدر [١٢٦ ب] ، وهو أول نهيق الحمار .

(زَعِيم[3]) : بمعنى كفيل وضامن وحميل وصبير ؛ وهذا من كلام المنادى الذى جعل لهم حِمْل بعير لمن ردَّ الصَّاعَ .

(زَهَقَ الباطل[4]) : ذهابه . ومن هذا زهوق النفس ؛ وهو بطلانها . والمعنى أن الإيمان يُبْطِل الكُفْر .

(زُلَلا[5]) : هو الذى لا يثبت القدم عليه ؛ يعنى أنه لا تثبت أشجاره ونباته .

(زاكية[6]) : ليس له ذنب لعدم بلوغه . وقيل : إنه بلغ ؛ ولكنه لم ير له ذنبًا . وقرىء زَكِيّة[6] . قال أبو عمرو : الصواب زكية فى الحال ، وزَاكية فى غد ؛ والاختيار زَكِيت . مثل ميت ومائت ، ومريض ومارض ؛ وقوله[7] : « ما زَكَى منكم من أحد » ؛ أى لم يكن زاكيا .

(زَهْرَةَ الحياةِ الدّنيا[8]) : بالفتح والزاى والهاء : نَوْرُ النبات . وبضم الزاى وفتح الهاء : النجم . وبنو زهرة بتسكين الهاء .

وشبَّه نعم الدنيا بالزهرة ؛ لأن الزَّهْرَ له منظر حسن ثم يضمحلّ .

وفى نَصْب زهرة خمسة أوجه : أن ينتصب بفعل مضمر على الذمّ ، أو يضمّن

---

(١) يونس : ٢٨ (٢) هود : ١٠٦ ، الأنبياء : ١٠٠

(٣) يوسف : ٧٢ (٤) الإسراء : ٨١ (٥) النحل : ٦٩

(٦) الكهف : ٧٤ (٧) النور : ٢١ (٨) طه : ١٣١

متّعنا معنى أعطينا ، ويكون زهرة مفعول ثان له ، أو يكون بدلا من موضع الجار والمجرور ، أو يكون بدلا من أزواج على تقـــــدير ذوى زهرة ، أو ينتصب على الحال .

(زَجْرة واحدة[1]) : قد قدمنا أن الزجرة معناها الصيحة بشدة وانتهار . وأما قوله[2] : « فالزَّاجِرَات زَجْرًا » ـ فمعناها الملائكة تزجر السحب وغيرها . وقيل الزاجرون بالمواعظ من بنى آدم . وقيل : هى آيات القرآن المتضمنة الزجر عن المعاصى . والمراد هنا النَّفخ فى الصُّور للقيام من القبور .

(زَوَّجْنَاهم[3]) : قرنّاهم بالحور ، وليس فى الجنة تزويج كتزويج الدنيا ؛ وإنما هو المقارنة بين الرجل والمرأة ، والصاحب والصاحبة . وقد يأتى بمعنى الصنف والنوع ؛ كقوله تعالى[4] : « ثمانية أزواج » . «[5] أزواجاً من نبات شتّى » . «[6] من كل زَوْجٍ كَرِيم » .

(سُبْحَانَ الذى خَلَقَ الأَزْوَاج كلّها[7]) : يعنى أصناف المخلوقات ، ثم فسرها بقوله : مما تُنْبِتُ الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون . « من » فى المواضع الثلاثة للبيان .

(زَنِيم[8]) : معلّق بالقوم وليس منهم . وقيل : هو ولد الزِّنى . وقيل : هو الذى فى عنقه زَنَمَة الشاة التى تُعَلَّقُ فى حلقها . وقيل : معناه مريب قبيح الأفعال . وقيل : ظلوم .

واختلف من الموصوف بهذه الصفة الذميمة ؟ فقيل : لم يُقصد بها شخص

---

(١) الصافات : ١٩ (٢) الصافات : ٢ (٣) الدخان : ٥٤
(٤) الأنعام : ١٤٣ (٥) طه : ٥٣ (٦) الشعراء : ٧
(٧) يس : ٣٦ (٨) القلم : ١٣

معيّن ؛ بل كل من اتّصَف بها . وقيل : المقصود بها الوليد بن المغيرة ؛ لأنه وصفه بأنه «ذو مال وبنين» ، وكان كذلك. وقيل أبو جهل. وقيل الأخنس بن شريق. ويؤيد هذا أنه كانت له زَنَمة في عنقه . قال ابن عباس : عرفناه بزنمته ، وكان أيضا من ثقيف . ويُعَدُّ في بني زهرة فيصح وصفه بِزَنِيم على القولين . وقيل : الأسود ابن عبد يغوث .

(زَنْجَبِيل) : معروف . والعرب تذكره في أشعارها ، وتستطيب رائحته . وذكر الجواليقي[١] والثعالبي أنه فارسيّ .

(زَرَابِيُّ[٢]) : بسط فاخرة . وقيل : الطنافس ، واحدها زَرْبِيَّة[٣] .

(زَبَانِيَة[٤]) : واحدهم زِبْنِيّ[٥] ، مأخوذ من الزَّبْن ؛ وهو الدَّفع ؛ كأنهم يدفعون أهل النار إليها . ونزلت الآية بسبب قول أبي جهل : أيتوعد محمد ؛ فوالله ما بالوادي أعظم زَبْناً مني . فنزلت الآية ؛ تهديداً وتعجيزاً له .

والمعنى فليَدْعُ أهلَ ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك ، ثم أوعد بأن يدعو له زبانية جهنم ، وهم من الملائكة الموكَّلون بالعذاب .

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا" .

(زُلْزِلوا[٦]) بالتخويف والشدة . والآية خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع

---

(١) المعرب : ١٧٤ (٢) الغاشية : ١٦

(٣) الضبط في اللسان ــ زرب . قال : وتكسر زايها وتفتح وتضم ، وجمعها زرابي .

(٤) العلق : ١٨

(٥) في القاموس : أو واحدها زبنية كهبرية .

(٦) البقرة : ٢١٤

لهم ، والأمر بالصبر على الشدائد ؛ أي لا تدخلون الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من قَبلكم من الأمم .

(زُحْزِحَ عن النار[١]) : أي أبعد عنها .

(زُخرفَ القولِ[٢]) : أي ما بُزَيِّنُهُ من القول والباطل . والزخرف أيضا الذهب . ومنه قوله تعالى[٣] : « أَوْ يكون لك بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ » . «[٤] ولبيوتهم أبوابا وسُررا عليها يتكئون وزخرفا » . وأما قوله تعالى[٥] : « أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ » [١٢٧ ا] — فهو تمثيل للعروس إذا زُيِّنَتْ بالثّياب والحلى ، تزف إلى زَوْجها فلا يصاحبا ، كذلك الدنيا إذا ظن أهلها أنهم متمكنون من الانتفاع بها أَتَتْها بعضُ الجوائح ؛ كالريح والصِّر ، وغير ذلك .

(زُلَفًا من الليل[٦]) : المراد به المغرب والعشاء . وزُلَفُ الليل ساعاته ، واحدتها زُلْفة .

(زُبرَ الحديد[٧]) : واحدتها زُبْرة[٨] .

(زُلْفَى[٩]) : قُرْبى ، فهو مصدر من يقربونا ؛ أي يقول الكفار ما نعبد هؤلاء الآلهة إلّا ليقَرِّبُونَا إلى الله ويشفعوا لنا عنده . ويعني بذلك الكفار الذين عبَدُوا الملائكة أو الأصنام أو عيسى أو عُزيراً ؛ فإن جميعهم قالوا هذه المقالة .

---

(١) آل عمران : ١٨٥ (٢) الأنعام : ١١٢ (٣) الإسراء : ٩٣
(٤) الزخرف : ٣٥ (٥) يونس : ٢٤ (٦) هود : ١١٤
(٧) الكهف : ٩٦ (٨) القطعة العظيمة من الحديد .
(٩) الزمر : ٣

(زُمرا[١]) فى الموضعين[١] جمع زُمرة ، وهى الجماعة من الناس ؛ قال صلى الله عليه وسلم : أول زمْرة يدخلون الجنّةَ على صورة القمر ليلة البدر . والزمرة الثانية على صورة أشد نجم فى السماء إضاءة ، ثم هم بعد ذلك منازل .

(زِينةَ الله[٢]) : هى ما شرعه لعباده من الملابس والمآكل ، وكان بعضُ العرب إذا حَجُّوا يجردون من الثياب ويطوفون عُرَاة ، ويحرمون الشحم واللبن؛ فنزل ذلك ردًّا عليهم وإنكاراً لتحريمها .

(زِلزَالها[٣]) : مصدر ؛ وإنما أُضِيفَ إلى الأرض تهويلا ، كأنه يقول : الزلزال الذى يليق بها على عظمة جِرْمها .

(زَعم الذين كفروا[٤]) : كناية عن كَرْبهم .

(زَيْد) : هو ابن حارثة الذى تبنّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر فى القرآن[٥] أحدٌ من الصحابة غيره تعظيما له .

---

(١) الزمر : ٧١ ، ٧٣ (٢) الأعراف : ٣٢ (٣) الزلزلة : ١
(٤) التغابن : ٧ (٥) فى الأحزاب : ٣٧

حرف الطاء المهملة

(طاغوت[١]) : من الجن والإنس شياطينهم، ويكون واحداً وجمعاً ، وجمعه في آية البقرة ، وأفرده في غيرها ؛ لأنه اسم جنسٍ لما عُبِدَ مِنْ دون الله .

(طالوت) : هو الذي بعثه الله لقتال جالوت ، وكان ملكا وأعطى بِنْته لداود .

(طَلّ[٢]) : مطَر ضعيف خفيف . والمعنى أنه يكفي هذه الجنة لكرم أرضها .

(طيِّبَاتِ ما كسبتم[٣]) : الجيد غير الردىء ، ويُراد به الحلال . وهو المراد في كل موضع . وزاد ، كقوله[٤] : « كُلُوا مِنْ طَيِّبات ما رَزَقْناكم » . « كلوا من الطيبات[٥] » . لكن اختلف في قوله تعالى[٣] : « يأيها الذين آمنوا أنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما كسبتم » ؛ فقيل إنها في الزكاة ، فيكون واجباً . وقيل : في التطوع ، فيكون مندوباً لا واجباً ؛ لأنه كما يجوز التطوع في القليل يجوز في الردىء .

(طَوْعاً[٦]) : انقياداً بسهولة حيث ما وقع .

(طبعَ اللهُ على قلوبهم[٧]) : أي ختم عليها .

(طَوْلا[٨]) : هو السعة في المال . وأباح الله في هذه الآية تزوّجَ الفتيات ،

---

(١) البقرة : ٢٥٧ (٢) البقرة : ٢٦٥ (٣) البقرة : ٢٦٧
(٤) البقرة : ٥٧ (٥) المؤمنون : ٥١ (٦) آل عمران : ٨٣
(٧) النحل : ١٠٨ (٨) النساء : ٢٥

وهن الإماء ، للرجال إذا لم يجدوا طولا للمحصنات . وذهب مالك وأكثر أصحابه إلى أنه لا يجوز للحرِّ نكاح أمَةٍ إلا بشرطين : أحدهما عدم الطول ، وهو عدم الوجود بما يتزوّج به امرأة . والآخر خوف الزنى وهو العنت ؛ لقوله تعالى بعد ذلك[1] : «ذلك لِمَنْ خَشِيَ العَنَتَ منكم» .

وأجاز بعضُهم نكاحهنّ دون الشرطين على القول بأن دليل الخطاب لا يُعتبر .

واتفقوا على اشتراط الإسلام فى الأمَة التى تتزوج ؛ لقوله : «من فتياتكم المؤمنات» ؛ إلا أهل العراق فلم يشترطوه .

وإعراب طولا مفعول بالاستطاعة . وأن ينكح بدلا منه ؛ فهو فى موضع نصب ، بتقدير إلا أن ينكحن . ويحتمل أن يكون طولا نُصب على المصدر ، والعامل فيه الاستطاعة ؛ لأنها بمعنى يتقارب . وأن ينكحن على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر .

(طوّعَتْ له نَفْسُه قَتْلَ أخيه[2]) : الضمير يعود على قابيل ؛ وذلك أنه كان صاحب زَرْع ، فقرّب أرْذَلَ زَرْعِه ، وكان هابيل صاحب غنم فقرّب أحسن كَبْش عنده . وقد قدمنا أن النار كانت حاكم آدم ، فقام هابيل يصلّى ، فنزلت النار وأخذت كبشه ، وتركت زرع قابيل ، فحسده على قبُول قُرْبانه ، فقتله . وإنما [١٢٧ ب] حسده على نكاح أخته ؛ لأن الله أوحى إلى آدم أن زوّج دميما[3] من قابيل واقليما[4] من هابيل ؛ فأخبرهما آدم بوحْيِ الله فرَضِيَ هابيل

---

(١) النساء : ٢٥ (٢) المائدة : ٣٠

(٣) هذا فى ا ، وفى القرطبى : ليوذا .

(٤) الكشاف : ١ — ٢٥١ ، وفى القرطبى : قليما .

وأبى قابيل . وقال : إن أختى أحسن ، وكانت ولدت معه .

فقال آدم : يا بنى ، لا تخالف أمر الله . فقال : لم يأمرك الله ، ولكن أنت تحب هابيل وتزوجه أحسن بناتك . فقال آدم : اذهبا وتحاكما إلى الله ، فوقع منهما ما أخبر الله به بقوله تعالى[1]: « وَاتْلُ عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذْ قرّبا قُرْباناً فتُقُبِّلَ مِنْ أحدهما » . كأنه تعالى يقول : أحرقت قربان سائر الأمم ، ولم أجوز أنْ أحرق قربانَ حبيبي ، فأمرتهم بإطعام الفقير ؛ فإذا لم أجوز إحراق القربان فكيف أحرق من قرأ القرآن ؟ فلما فقد هابيل سأل عنه جميع أولاده ، فقالوا : لا ندرى أين هو ؟ فاغتمّ غمّاً شديداً على فقده ، وبات مهموماً ، فرأى فى منامه هابيل وهو يناديه من بعيد : يا أبت ، الغوث ! الغوث ! فانتبه من نومه مذعوراً ، وبكى حتى غُشى عليه ، فنزل جبريل ورفع رأسه . فلما أفاق قال : يا جبريل ، أين ولدى هابيل ؟ فقال : الله يعظّم أجرك فيه ؛ قتله قابيل . فقال آدم : أنا برىء منه . فقال له جبريل : والله برىء منه . ثم قال آدم : يا جبريل ؛ أرنيه ، فأراه له تحت التراب وإذا هو ملطخ بالدم ، فصاح يا حسرتاه ! يا ويلتاه ! يا ابناه ! وبكى حتى بكت الملائكة لبكائه ، وقالوا : إلهنا ؛ بكى آدم ثلاثمائة سنة ولم يسترح إلّا مدةً يسيرة ، ثم اشتغل بالبكاء ؛ فقال تعالى : " الدنيا دار البكاء والعناء ، ودار البلاء والفناء " .

(فَطَوّعت[2]) : فعلت من الطوع ؛ يقال : طاع له كذا ، أى أتاه طوْعاً . ولسانى لا يطوع بكذا ، أى لا ينقاد .

(طفِقا[3]) : أى جعلا ؛ تقول : طفق يفعل كذا ، وجعل يفعل كذا ؛

---

(١) المائدة : ٢٧ (٢) المائدة : ٣٠ (٣) الأعراف : ٢٢

قال بعضهم : معناه قصد بالرومية ، حكاه شَيْذَلة ، وضمير التثنية على آدم وحواء .

(طائفٌ من الشيطان[١]) : معناه لَمّة منه ، كما جاء : إن للشيطان لَمّة ، وللملك لَمّة . ومَنْ قرأ طَيْف ـ بياء ساكنة ـ فهو مصدر ، أو تخفيف من طيِّف المشدد ، كميّت وميْت . ومن قرأ طائف ـ بالألف ـ فهو اسم فاعل .

(طَرَفَى النهار[٢]) : أوله وآخره ؛ فالأول الصبح ، والطرف الثانى الظهر والعصر .

(طائره فى عُنُقِهِ[٣]) : أى عمله . والمعنى أنه لازمٌ له ما قدّر له وعليه من خير أو شر ؛ يعنى أن كل ما يَلْقَى الإنسان قد سبق به القضاء ، وإنما عَبَّر عن ذلك بالطائر ؛ لأن العرب كانت عادتها التيمّن والتشاؤم بالطير ؛ وإنما عَبَّر بالعنق ؛ لأنه لا ينفك عنه . ويقال : لكل ما لزم الإنسان قد لزم عنقه ؛ وهذا لك فى عنق . ومثله[٤] : « أَلَا إنّما طائِرُهم عند الله » ؛ أى حظُّهم ونصيبهم الذى قُدِّرَ لهم .

ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم .

(طه) : من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل معناه : يا رجل . وأخرج الحاكم فى المستدرك من طريق عِكرمة عن ابن عباس فى قوله : طه — قال : هو كقولك يا محمد ، بلسان الحبَش . وأخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد ابن جُبير عن ابن عباس ، قال : طه — بالنبطية . وأخرج عن عكرمة قال : طه : يا رجل ، بلسان الحبشة .

---

(١) الأعراف : ٢٠١ (٢) هود : ١١٤ (٣) الإسراء : ١٣
(٤) الأعراف : ١٣١

(طَغى[1]) : ترفَّعَ وعلا حتى جاوز الحدَّ أو كاد . ومنه قوله تعالى[1] : « لمّا طغَى الماءُ حَمَلْنا كم فى الجارية » ؛ أى كثر ؛ فيحتمل أنه طغى على أهل الأرض أو على خزّانه ، يعنى وقت طوفان نوح عليه السلام .

(بطريقتكم المُثْلَى[2]) : أى سيرتكم الحسنة ؛ وهذا من كلام فرعون يخاطب قومه أن هذا يذهب بدينكم ، وما أنتم عليه . والمُثْلَى تأنيث الأمثل .

(طَهُوراً[3]) : أى نظيفاً يطهر به من توضّأ واغتسل من جنابته . والطهور : مبالغة فى طاهر : ولهذا المعنى يقول الفقهاء : ماء طهور ؛ أى مطهّر ، وكل مطهر طاهر ، وليس كل طاهر طهورا .

(طَوْد[4]) : الجبل ، ورُوِىَ أنه صار فى البحر اثنا عشر طريقاً لكل سِبْط من بنى إسرائيل طريق .

(طَلْعُها هَضِيم[5]) : أى منضم قبل أن ينشق [١٢٨ ا] ويخرج من الكمّ . والهضيم : اللّيّن الرطب ؛ فالمعنى أن طَلْعَها يتمّ ويرطب . وقيل : هو الرخص أول ما يخرج . وقيل : الذى ليس فيه ندى .

فإن قيل : لم ذكر النخل بعد ذكر الجنّات ، والجنات تحتوى على النخل ؟

فالجواب : أن ذلك تجديدٌ ؛ كقوله تعالى[6] : « فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ ورُمّان » . ويحتمل أنه أراد الجنّات التى ليس فيها نخل ، ثم عطف عليها النخل .

---

(١) الحاقة : ١١ (٢) طه : ٦٣ (٣) الفرقان : ٤٨
(٤) الشعراء : ٦٣ (٥) الشعراء : ١٤٨ (٦) الرحمن : ٦٨

(طَلْعٌ نَضِيد رِزْقاً للعِباد[١]) : النَّضِيد هو المنضد ، كحبِّ الرمان ، فما دام بعضُه ببعض فهو نَضِيد، فإذا تفرق فليس بنضيد .

(طَمَسْنَا أعْيُنَهم[٢]) : الضمير راجع لقَوْم لوط لما راودوه عن ضَيْفه لظَنِّهم أنهم من بنى آدم ، وأرادوا منهم الفاحشة ، فطمس جبريل على أعينهم ، فاستوَتْ مع وجوههم . وقيل : إن هذا الطمس عبارةٌ عن عدم رُؤْيتهم لهم ، وإنهم دخلوا منزل لوط فلم يَرَوْا فيه أحداً .

والمطموس الذى لا يكون بين جفنيه شق طرف خَفِيٍّ ، ويحتمل أن يريد به العين ، أو يكون مصدراً . وفيه قولان : أحدهما أنه عبارة عن الذل ؛ لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة . والآخر أنهم يحشرون عُمْياً ، فلا ينظرون بأبصارهم ، وإنما ينظرون بقلوبهم . واستبعد هذا ابن عطية والزمخشرى .

(طَلْح[٣]) : شجر عظام كثيرات الشوك ؛ قاله ابن عطية . وحُكى عن على ابن أبى طالب وابن عباس ، وقرأ على بن أبى طالب : وطَلْع منضود ـ بالعين ؛ فقيل له إنها بالحاء ؛ فقال : ما للطلح والجنّة . فقيل له : أنُصْلِحها فى المصحف ؟ فقال : المصحف اليوم لا يغيَّر . وقال الزمخشرى : والطلح هو شجَر الموز .

(طاغية[٤]) : طغيان ، مصدر كالعاقبة والواهية وأشباههما من المصادر .

(طرَائق قِدَداً[٥]) الطرائق : المذاهب والسير وشبهها . والقدد : المختلفة ، وهو جمع قِدّة ؛ وهذا بيانٌ للقسمة المذكورة قَبْل ؛ وهو على حذف مضاف ؛ أى كنا ذوى طرائق ، أو كنا فى طرائق .

---

(١) ق : ١٠ (٢) القمر : ٣٧ (٣) الواقعة : ٢٩

(٤) الحاقة : ٥ (٥) الجن : ١١

(الطامّة الكبرى[1]) : هى القيامة . وقيل : النفخة الثانية ، واشتقاقها من قولك : طمّ الأمر إذا علا وغلب .

(طبقاً عن طبق[2]) : الطبق فى اللغة له معنيان : أحدهما ما طابق غيره ، يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه . والآخر جمع طبقة ، فعلى الأول يكون المعنى لتركبُنّ حالًا بعد حال ، كل واحدة منهما مطابقة للأخرى . وعلى الثانى يكون المعنى لتركبُنّ أحوالا بعد أحوال ، هى طبقاتٌ بعضُها فوق بعض .

ثم اختلف فى تفسير هذه الأحوال ، وفى قراءة : تركبنّ :

فأما من قرأه بضم الباء فهو خطابٌ لجنس الإنسان ، وفى تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها شدائد الموت ، ثم البعث ، ثم الحساب ، ثم الجزاء .

والآخر : أنها كون الإنسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا إلى أن يهرم ثم يموت .

والثالث : لتركبنّ سنن من كان قبلكم .

وأما من قرأ تركبن — بفتح الباء — فهو خطاب للانسان على المعانى الثلاثة التى ذكرنا . وقيل : خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم . ثم اختلف القائلون على هذا ؛ فقيل لتركبنّ مكابدة الكفّار حالا بعد حال . وقيل : لتركبن فتحَ البلاد شيئاً بعد شيء . والآخر لتركبنّ السموات فى الإسراء سماءً بعد سماء .

وقوله : «عن طبقٍ» فى موضع الصفة لطبق ، أو فى موضع حال من الضمير فى تركبن ، قاله الزمخشرى[3] .

---

(١) النازعات : ٣٤ (٢) الانشقاق : ١٩

(٣) فى الكشاف : ٢ — ٥٣٤

(طارق[1]) : هو فى اللغة ما يطرق ، أى يجىء ليلا . وقد فسره الله فى الآية بأنه النجم الثاقب . وهو يطلع ليلا . ومعنى الثاقب المضىء أو المرتفع . فقيل : أراد جنسَ النجوم . وقيل : الثريا ؛ لأنه الذى تطلق عليه العربُ النجم . وقيل : زحل ، لأنه أرفع النجوم ، إذ هو فى السماء السابعة .

(طَحَاها[2]) : مدّها أو بسطها .

(بطَغْوَاها[3]) : هو مصدر بمعنى الطغْيان ، قُلِبَتْ فيه الياء واوا على لغة من يقول : طغيت . والباء الخافضة كقولك : كتبت بالقلم ، أو سببية . والمعنى بسبب طغيانها . وقال ابن عباس : معناه كذبت ثمود بعذابها . ويؤيده [١٢٨ب] قوله[4] : « فأمّا ثمودُ فأُهلِكُوا بالطاغية » .

(طُغْيَانِهِم[5]) : غيهم وكُفرهم .

(طُور) : جبل بالسريانية ؛ قاله مجاهد . وأخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك أنه بالنبطية . وذلك أن موسى لما جاء بالتوراة أبوا أن يقبلوها ، فرفع الجبل فوقهم كأنه ظُلَّة . وقيل لهم : إن لم تأخذوها وضع عليكم .

(طُوفَان[6]) : سَيْلٌ عظيم ، والطوفان : الموت الذّريع . وطوفان الليل : شدةُ سَوَادِه . والطوفان المبعوث على بنى إسرائيل كان مطراً شديداً دائماً مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم ، وكادوا يهلكون وامتنعوا من الزراعة .

(طُوبَى[7]) : مصدر من طاب ، كبشرى ، ومعناها أصبت شيئاً طيباً . وقيل شجرة فى الجنة .

---

(١) الطارق : ١ — (٢) الشمس : ٦ — (٣) الشمس : ١١
(٤) الحاقة : ٥ — (٥) البقرة : ١٥ — (٦) الأعراف : ١٣٣
(٧) الرعد : ٢٩

وإعرابها مبتدأ . وأخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد ، قال : طوبى اسم الجنة بالحبشية . وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جُبير ، قال : بالهندية . طوبى فى معناه قولان : أحدها أنه اسم الوادى ، وإعرابه على هذا بَدَل . ويجوز تنوينه على أنه مكان ، وترْك صرْفه على أنه بقْعة .

والثانى أن معناه مرتين ؛ فإعرابه على هذا مصدر ؛ أى قدس الوادى مرة بعد أخرى ، أو نُودى موسى مرة بعد مرة . وفى العجائب للكرمانى : هو معرّب « ليلا » . وقيل : هو رجل بالعبرانية .

(طِبْتُمْ[1]) : أى من الذنوب والمعاصى ؛ لأنها تخَابث فى النــــاس ؛ فإذا أراد الله أن يُدخلهم الجنة غفر لهم ، فطابوا لدخولها .ومن هذا قول العرب : طاب لى هذا ؛ أى فارقته المكاره ، وطاب له العَيْش .

(طائفين[2]) : من الطواف بالبيت جمع طائف .

---

(١) الزمر : ٧٣ (٢) البقرة : ١٢٥

حرف الظاء المعجمة

(ظهر أمرُ الله[١]) : بدا . وأظهره غيره : أبداه .

(ظلْتَ عليه عاكِفا[٢]) : أصله ظَلِلت فحُذِفت إحدى اللامين . والأصل في معنى ظلّ أقام بالنهار ، ثم استعمل في الدءوب على الشيء ليلا ونهاراً . وهذا الخطابُ من موسى للسامريّ على وجه التهديد .

(فظَلّتْ أعناقُهم لها خاضِعين[٣]) : الأعناق : جمع عُنق ، وهي الجارحة المعروفة ، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء ؛ لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء ، أو لأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء .

وقيل : الأعناق الرؤساء من الناس ، شُبّهوا بالأعناق ، كما يقال لهم رءوس وصدور . وقيل : هم الجماعات من الناس ، فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل .

(ظَهير[٤]) : معين .

(ظَنين) : والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لكن من قرأ بالضاد[٥] فمعناه بخيل ؛ أي : لا يبخل بأداء ما أُلْقِيَ عليه من الغَيْبِ ، وهو الوحي . ومن قرأ بالظاء ، فمعناه متّهم ؛ أي لا يتهم على الوَحْيِ ، بل هو أمين عليه . ورجّح بعضهم هذه القراءة بأن الكفار لم ينسبوه صلى الله عليه وسلم إلى البخل بالوحي ، بل اتهموه ، فنفى عنه ذلك .

---

(١) التوبة : ٤٨ (٢) طه : ٩٧ (٣) الشعراء : ٤
(٤) سبأ : ٢٢ (٥) التكوير : ٢٤

(يَظْهَرُوه)[1] : ظهرت على الغيب : أي ارتفعت عليه . ومنه[1] : « فما اسْطَاعوا أنْ يَظْهَروه » . وأصله استطاعوا ، حذفت التاء تخفيفاً ، وضمير يظهروه للسدّ . المعنى أن يأجوجَ ومأجوج لا يقدرون على الصعود على السد ، لارتفاعه ، ولا ينقبونه لقوته .

(ظنّ) : له ثلاثة معان : التحقيق . وغلبة أحد الاعتقادين . والتهمة . ومنه[2] : « يأيّها الذين آمنوا اجتَنِبُوا كثيراً من الظن إنّ بَعْضَ الظن إثم » .

قيل معنى الإثم هنا الكذب ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : "الظن أكذبُ الحديث ؛ لأنه قد لا يكون مطابقاً للأمر". وقيل : إنما يكون إثماً إذا تكلم به . وأما إذا لم يتكلم فهو فى فسحة ؛ لأنه لا يقدر على دفعِ الخواطر ، واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سدّ الذرائع فى الشرع ؛ لأنه أمر باجتناب أكثر الإثم احترازاً من الوقوع فى البعض الذى هو إثم .

(ظَمَأ[3]) : عطش .

(ظلم) : يقع فى القرآن على ثلاثة معان : الكفر ، والمعاصى ، وظلم الناس ؛ أى التعدّى عليهم . والجور والسفَه والظلم والتعدى بمعنى واحد ، ولا يوصف سبحانه بها ؛ لأنه لا رَاحِمَ فوقه ولا زاجر ، فأفعاله تعالى لا يقارنها نهى ، وإنما يتصوّر ذلك فى حقوقنا لمقارنة النهى لأفعالنا المنهى عنها .

[١٢٩ ا] (ظِلَال) : جمع ظُلّة ، وهو ما عَلَاك من فوق ، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال ، وإن كان لله فهو من المتشابه . والغمام : السحاب .

---

(١) الكهف : ٩٧ (٢) الحجرات : ١٢ (٣) التوبة : ١٢٠

وقوله تعالى[١] : « فأخذهم عذابُ يوم الظُّلَّة » — فهى سحابة من نار أحرقت قَوْم شُعيب ، فأهلك الله مَدْيَن بالصَّيْحَة ، وأهلك الأيكة بالظلة .

فإن قلت : لم كرّر الآية فى الشعراء مع كل قصة ؟

فالجواب أن ذلك أبلغ فى الاعتبار ، وأشـــــد تنبيهاً للقلوب ، وأيضاً فإن كل قصة منها كلام قائم مستقل بنفسه ، فخُتمت بما ختمت به صاحبتها .

فإن قلت : الظلل إنما تكون من فوق ؛ فلم قال[٢] : « ومِنْ تحتهم ظُلَل » ؟

فالجواب إنما سماها ظلة لمن تحتهم ، لأن جهنم طبقات .

وقيل : إنما سماه ظلة لأنه يتلهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم .

(ظلمات بعضها فوق بعض[٣]) : هذا تمثيلٌ للكفّار فى حيرتهم وضلالهم ، فالظلماتُ أعمال الكفار ، والبحر اللجِّىّ صدره[٤] ، والموج جَهْله ، والسحاب الغطاء الذى على قَلْبِه .

وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجلة من غير مقابلة . وفى وصف هذه الظلمة بهذه الأوصاف مبالغةٌ ، كما أن فى وصف النور المذكور قبلها مبالغة . وأما قوله تعالى — حكاية عن يونس عليه السلام[٥] : « فنادَى فى الظلمات أنْ لَا إلهَ إلّا أنْتَ سبحانَكَ إنى كُنْتُ من الظالمين » — فهى ظلمة المشيمة ، وظلمة الرَّحم ، وظلمة البطن ، وظلمة الليل ، وظلمة البحر ؛ ففى هذه الآية توحيد ، ثم تنزيه ، ثم اعتراف . وفيها ثلاث ظلمات ، وثلاثة مفاتيح ظلمة ، وثلاث هبات ، وثلاثة علوم ، وثلاثة أذكار . وقد وعد سبحانه بنجاة مَنْ قالها .

---

(١) الشعراء : ١٨٩ (٢) الزمر : ١٦ (٣) النور : ٤٠

(٤) فى القرطبى (١٢ ـ ٢٨٥) : قلبه . (٥) الأنبياء : ٨٧

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يونس عليه السلام حين نادى في الظلمات ارتفع نداؤه إلى العرش ، فقالت الملائكة : هذا صوتٌ ضعيف ، مِنْ مَوْضِعِ غُرْبة فأغِثْه . فقال الله تعالى : قد أجبتكم فيه . قال تعالى[1] : « فاستَجَبْنَا له ونَجَّيْناهُ من الغَمّ » . وروى أن قارون سمعه ، فقال : يا رب ، ما هذا الصوت الغريب ؟ فأخبر بذلك ، فبكى رحمة عليه لرحِمِه منه ؛ فخفف الله عنه العذاب .

تنبيه

اجعل أيها العبد دارَ دُنْياكَ كبطن حوت يونس له ، فلا تنس فيها ذكر مولاك ، لعله يُنْقذك من بحر هواك ؛ لأن يونس كان فى ثلاثة غموم ، فدعا مرة أنجاهُ الله منها ؛ فكيف لا ينجيك أيها المحمدى إن دعوت به مراراً من غم القيامة ، وغم العقاب والحساب . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : "ما من عبدٍ دعا بهذا فى مرضه إلا غفر الله له". وإذا تأملت قوله : لا إله إلا أنت — تفهم منه قُرْبَ مولانا منه مع بُعْدِ مكانه فى قعر البحور . وقول نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء : "لا إله إلا الله"، فخاطبه بالغيبة مع قُرْبه منه كان ذلك دليلا على أنه لا يقرب أحد منه إلا بتقريبه له ؛ وهو معكم أين ما كنتم .

(ظِلَالُهم بالغُدُوِّ والآصَال[2]) : معطوف على معنى السجود . والمعنى أن الظلال تسجد غدوةً وعشية ؛ وسجودها انقيادها لمشيئة الله . وقيل : سجودها فيئها بالمشى .

---

(١) الأنبياء : ٨٨ (٢) الرعد : ١٥

(ظِلالٍ على الأرائك[1]) : جمع ظُلّة مثل قُلّة وقِلال . وقرىء بالضم . والأرائك جمع أريكة ، وهى السرير .

(ظِلّ ممدود[2]) : أى دائم ، لا تنسخه الشمس . قال صلى الله عليه وسلم : إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها . واقرءوا إن شئتم : « وظلّ ممدود » .

فإن قلت : قد قلتم : إن الجنة لا شمسَ فيها ، فما معنى هذا الظل ؟

فالجواب أنه على تقدير أن تكون هناك ، وإنما ظلهم كما بين طلوع الشمس ، فهى نورانية شعشعانية لا حرّ فيها ولا قرّ .

(ظل مِنْ يَحْمُوم[3]) : يعنى أسود ، وهو الدخان فى قول الجمهور . وقيل : سرادق النار المحيط بأهله ؛ فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلهم . وقيل : هو جبل فى جهنم .

(ظلّ ذى ثلاثِ شُعَب[4]) : [١٢٩ ب] يعنى دخان جهنم يتشعّب على ثلاث ؛ فيقال للمكذبين حين يطلبون الظلّ الذى يرَوْنَ المؤمنين مستظلين فى ظلّ العرش : انطلقوا ، فلا يغنيهم شيئاً ، كما قال تعالى[5] : « لا ظَلِيلٍ ولا يُغْنِي مِنَ اللَّهَب » . فنَفَى عنهم أن يُظلهم كما يُظِلّ العرشُ المؤمنين ، ونفى أيضاً أن يمنع عنهم .

(ظِهْرِيا[6]) : أى ما يطرح وراء الظهور ، ولا يُعْبَأ به ؛ وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب ؛ وهذا من قول شعيب عليه السلام ؛ لقومه

---

(١) يس : ٥٦ (٢) الواقعة : ٣٠ (٣) الواقعة : ٤٣
(٤) المرسلات : ٣٠ (٥) المرسلات : ٣١ (٦) هود : ٩٢

حين قالوا له[1] : « وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ » ـ بالحجارة ، أو بالسب ؛ فقال لهم : يا قوم ؛ أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريًّا ، على وجه التوبيخ لهم .

فإن قلت : إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه ، وأنهم الأعزّةُ دونه ، فكيف طابقَ جوابه كلامهم ؟

فالجواب أن تهاونهم به ـ وهو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ تهاونُهم بالله.

(ظنّ) أصلها الاعتقاد الراجح ؛ كقوله[2] : « إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ».

وقد تستعمل في اليقين ؛ كقوله[3] : « الذين يَظُنُّونَ أَنَّهم مُلَاقُو رَبِّهِم » .

أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد ، قال : كل ظن في القرآن يقين . وهذا مشكل بكثير من الآيات لم يستعمل فيها بمعنى اليقين ؛ كالآية الأولى .

وقال الزركشي في البرهان[4] : الفرق بينهما في القرآن ضابطان :

أحدهما أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو اليقين ، وحيث وجد مذموماً متوعداً عليه بالعقاب فهو الشكّ .

والثاني أن كل ظن يتصل[5] بعده أن الخفيفة فهو شك نحو[6] : « بل ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرسولُ والمؤمنون » . وكل ظن يتصل به أن المشددة فهو يقين ؛ كقوله[7] : « إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه » . «[8] وظَنَّ أَنَّه الفِرَاق » . وقرىء : وأيقن أنه الفراق .

---

(١) هود : ٩١ (٢) البقرة : ٢٣٠ (٣) البقرة : ٤٦

(٤) البرهان : ٤ ـ ١٥٦ (٥) ق ب : يفصل بعده .

(٦) الفتح : ١٢ (٧) الحاقة : ٢٠ (٧) القيامة : ٢٨

والمعنى فى ذلك أن المشددة للتأكيد ، فدخلت على اليقين . والخفيفة بخلافها فدخلت فى الشك ، ولهذا دخلت الأولى فى العلم ؛ نحو[١] : « فاعْلَمْ أنه لا إله إلا الله ». «[٢] وعلم أنّ فيكم ضَعْفًا » . والثانية فى الحسبان ؛ نحو[٣]: « وَحَسِبُوا ألّا تَكونَ فتنة » ـ ذكر ذلك الراغب فى تفسيره .

وأُورد على هذا الضابط[٤] : « وظَنوا أنْ لا مَلْجَأ من الله » .

وأجيب بأنها اتصلت بالاسم . وفى الأمثلة السابقة اتصلت بالفعل ، ذكره فى البرهان ، قال : فتمسَّكْ بهذا الضابط ، فهو من أسرار القرآن .

وقال ابن الأنبارى : قال ثعلب : العَرَبُ تجعل الظن علما وشكّا وكذبا ، فإن قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك فالظن يقين ، وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشكّ فالظن شك ، وإن زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب ؛ قال الله[٥] : « إنْ هم إلّا يَظُنون » ؛ أى يكذبون .

---

(١) محمد : ١٩ (٢) الأنفال : ٦٦ (٣) المائدة : ٧١
(٤) التوبة : ١١٨ (٥) الجاثية : ٢٤

حرف الكاف

(كافر) : له معنيان : من الكفر ، وهو الجحود بوجود الله المضاد لمعرفته . وقد يحكم بكُفْرِ الشخص مع كَوْنِهِ عالما بالله من طريق الشرع ؛ وهو إذا قال : إن الخمر حلال ، والطهر غير واجب . وقيل الكافر هو المكذّب ، مثل قوله تعالى(١) : « فكَفَرُوا وتَوَلَّوْا » . وبمعنى الزرع ، وهو قوله تعالى(٢) : « أعجب الكفارَ نباتُه » ، أى الزرّاع . وتكفير الذنوب : غفرانها .

(كافّة) : الهاء للمبالغة، ومنه(٣) : « يأيها الذين آمنوا ادْخُلُوا فى السِّلْم كافّة » — بفتح السين المهملة . والمراد به هاهنا عقد الذمة بالجِزْية ، فالأمر على هذا لأهل الكتاب ، وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة .

وقيل : هو الإسلام . وكذلك هو بكسر السين ، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول فى الإسلام .

وقيل : إنها نزلت فى قَوْم من اليهود أسلَمُوا ، وأرادوا أن يعظِّموا السَّبْتَ كما كانوا ، فالمعنى على هذا : ادخلوا فى الإسلام ، واتركوا سواه . ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه والدخول فى جميع شرائعه من الأمر والنهى . وقوله(٤) : « وما أرسلْنَاكَ إلا كافّة للناس بَشيرا ونَذيرا » ؛ أى تكفّهم وتردعهم ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم بُعث إلى [١٣٠ أ] الإنس والجن .

---

(١) التغابن : ٦ (٢) الحديد : ٢٠ (٣) البقرة : ٢٠٨

(٤) سبأ : ٢٨

(كَفَلَها زكريا[١]) : أي ضمها وحضنها . ومنه أكْفِلْنِيها . والضمير يعود على مريم ، وزكريا كان زوج خالتها . وقيل : زوج أختها. وقرىء كفّلها ـ بتشديد الفاء ونصب زكرياء ، أي جعله الله كافلها .

(كَرَّة) : أي رجعة . ومنه[٢] : « لو أنَّ لنا كَرَّةً » . وقوله[٣] : « ثم رددْنا لكم الكرَّة عليهم » ، أي الدولة والغلبة على الذين بغوا عليكم . ويعني رجوع الملك إلى بني إسرائيل ، واستنقاذ أسراهم ، وقتل بُخت نصّر . وقيل قتل داود جالوت .

(كاظِمين الغَيْظَ[٤]) : حابسين الغيظ .

(كبِر) ـ بكسر الباء ـ يكبَر[٥] ـ بالفتح ـ في المضارع . وكَبُر الأمْرُ[٦] ـ بالضم ـ في الماضي والمضارع . وكُبَر بضم الكاف وفتح الباء جمع كُبْرَى . وكُبَّارا ـ بالضم والتشديد : كبير ، مبالغة . والكِبْر : التكبُّر . وكِبْر الشيء ـ بكسر الكاف وضمها : معظمه . والكِبرياء : الملك والعظمة . والمتكبِّر : اسم الله تعالى ، وبمعنى العظمة .

وكان لامرأة زكرياء ثمان وتسعون سنة ، فاستبعد ذلك في العادة مع علمه بقُدرة الله تعالى على ذلك ، واستبعده ، لأنه نادر في العادة. وقيل : سأله وهو شاب ، وأُجيب وهو شيخ ؛ فاستبعده لذلك .

(كذلك الله[٧]) : أي مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل ما يشاء ؛ فالكاف

---

(١) آل عمران : ٣٧ (٢) البقرة : ١٦٧ (٣) الإسراء : ٦

(٤) آل عمران : ١٣٤

(٥) كبر ـ كفرح : طعن في السن .

(٦) كبر ـ ككرم نقيض صغر ، وعظم ، وجسم .

(٧) آل عمران : ٤٠

لتشبيه أفعاله العجيبة بهذه الفعلة ، والإشارة إلى هبة الولد لزكرياء . واسم الله مرفوع بالابتداء ، و « كذلك » خبره ؛ فيجب وصله معه .

وقيل : إن الخبر يفعل ما يشاء . ويحمل « كذلك » على وجهين : أحدهما ـ أن يكون فى موضع الحال من فاعل يفعل ؛ والآخر أن يكون فى موضع خبر مبتدأ محذوف ، تقديره الأمر كذلك ، أو أنتما كذلك . وعلى هذا يوقف على كذلك. والأول أرجح ؛ لاتصال الكلام ، وارتباط قوله : «يفعل ما يشاء» مع ما قبله ؛ ولأن له نظائرَ كثيرة فى القرآن ؛ منها قوله[1] : « وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ » .

(كَلَالَة[2]) : هى انقطاعُ عمودَى النسب ، وهى خلُوُّ الميت عن ولد أو والد . ويحتمل أن يُطلق هنا على الميت الموروث ، أو على الورثة ، أو على الوراثة ، أو على القرابة ، أو على المال ؛ فإن كانت للميت فإعرابها خبر كان ، ويورَث فى موضع الصفة . أو يورث خبر كان وكَلالة حال من الضمير فى يُورث . أو تكون كان تامة ، ويورث فى موضع الصفة ، وكَلالة حال من الضمير .

وإن كانَتْ للورثة فهى خبر كان على حذْفِ مضاف ، تقديره ذا كَلالة ، أو حال على حَذْف مضاف أيضا .

وإن كانت للوراثة فهى مصدر فى موضع الحال .

وإن كانت للقرابة فهى مفعول من أجله ، تقديره يورث من أجل القربى .

---

(١) هود : ١٠٢ (٢) النساء : ١٢

وإن كانت للمال فهي مفعولٌ ثانٍ لِيُورث .

وَكلٌّ وجه من هذه الوجوه على أن تكون كان تامة ويورث في موضع الصفة ؛ أو تكون ناقصة ويورث خبرها .

(كَظِيم[1]) : قيل : إنه فعيل بمعنى فاعل ؛ أي شديد الحزن على أولاده . أو كاظم لحزنه لا يُظهره لأحد ، ولا يَشكو إلّا لله . وقيل بمعنى مفعول ؛ كقوله[2] : « إذْ نادَى وهو مَكْظُوم » ؛ أي مملوءُ القلبِ بالحزن أو بالغيظ على أولاده .

(كَيْلَ بَعِير ، ذلك كَيْلٌ يَسِير[3]) : يريدون بعير أخيه ؛ إذ كان يوسف لا يُعطي إلّا كَيْلَ بعير من الطعام لإنسان ، فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادي عشر لغَيْبَة صاحبه ، حتى يأتي . وإن كانت الإشارةُ بذلك إلى الأحمال فالمعنى أنها قليلةٌ لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير . وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير فالمعنى أنه يسيرٌ على يوسف ؛ أي قليل عنده ، أو سهل عليه ؛ فلا يمنعهم منه .

(كَلٌّ على مَوْلَاه[4]) : أي ثقيل ؛ يعني أنه عِيال على وليّه أو سيّده ؛ وهو مثال للأَصْنَام .

(كَأْس) : إناء بما فيه من الشراب .

(كَهْف[5]) : غار واسع ، دخله الفِتْيَة الذين قصّ الله علينا خبرهم ؛

---

(١) يوسف : ٨٤ ، النحل : ٥٨ ، الزخرف : ١٨

(٢) القلم : ٤٨ (٣) يوسف : ٦٥ (٤) النحل : ٧٦

(٥) الكهف : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٥

ولنذكر من قصتهم ما لا غنَى عنه ؛ إذْ أكثر الناسُ فيها مع قلة الصحة فى كثير مما نَقَلُوا :

وذلك أنهم كانوا قوماً مؤمنين ، وكان ملكُ بلادهم كافراً يقتل كل مؤمن ، ففرُّوا بدينهم ودخلوا الكهف [١٣٠ ب] ليعبدوا الله فيه ، ويختفوا من الملك وقومه ، فأمر الملك باتباعهم ، فانتهى المتَّبعون لهم إلى الغار ، فوجدوهم ، وعرَّفُوا الملك بذلك ، فوقف عليه بجنوده ، وأمر بالدخول عليهم ، فهاب الرجال ذلك وقالوا له : دَعْهم يموتوا عطشا وجوعا ، وكان قد ألقى الله عليهم قبل ذلك نَوْماً ثقيلا ، فبقوا كذلك مدةً طويلة . ثم أيقظهم الله ، وظنوا أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم ، فبعثوا أحدهم يشترى لهم طعاما بدراهم كانت لهم ؛ فعجب منها البيّاع ، وقال : هـــذه الدراهم من عَهْدِ فلانٍ الملك فى قديم الزمان ؛ فمن أين جاءَتك؟ وشاع الكلام بذلك فى الناس ، فقال الرجل : إنما خرجتُ أنا وأصحابى بالأمس فأوينا إلى الكهف . فقال الناس : هم الفتية الذين ذهبوا فى الزمان القديم ، فمَشَوْا إليهم فوجدوهم موْتَى .

وأمّا موْضِــعُ كهفهم فقيل : إنه بمقربة فلسطين . وقال قوم : إنه الكهف الذى بالأندلس بمقربة من لوشة[1] فى جهة غرناطة . وفيه موتى ومعهم كلب .

وقد ذكر ابن عطية ذلك ، وقال : إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد ، وقريب منهم بناء يقال له : الرَّقيم ــ قد بقى بعض جُدْرانه .

وروى أن الملك الذى كانوا فى زمانه اسمه دِقْيَنوس[2] ، وفى تلك الجهة

---

(١) هذا فى الأصلين . وفى ياقوت (رقم) بحث قيم فيه ما قيل عن هذا الكهف ومكانه (٤ : ٢٧٤ ــ ٢٧٦) ــ وسمى المكان الذى فى الأندلس : جنـــان الورد ، وقال : به الكهف والرقيم .

(٢) فى ياقوت : دقيانوس .

آثار مدينةٍ يقال لها مدينة دِقْيَنُوس[١] . والله أعلم .

ومما يعضد ذلك ما روى أن معاوية مرّ عليهم ، وأراد الدخول إليهم ، فقال له ابن عباس : لا تستطيع ذلك ؛ قد قال الله لمن هو خير منك[٢] : « لو اطَّلَعْتَ عليهم لَوَلَّيْتَ منهم فِرَاراً ولَمُلِئْتَ منهم رُعبا » . فبعث ناساً إليهم ، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحاً فأحرقتهم . ولم يدخل معاوية الأندلس قط .

وأيضاً فإن الموتى الذين فى غار لوشة يراهم الناس ، ولا يدرك أحداً الرعب الذى ذكر الله فى كتابه .

(كَبُرَتْ كَلِمَةً[٣]) : انتصبَ على التمييز ، وقيل على الحال ؛ يعنى بالكلمة قولهم[٤] : « اتخذ اللهُ وَلَداً » . وعلى ذلك يعود الضمير فى كبرت .

وأما قوله تعالى[٥] : « كَبُرَ مَقْتاً عند الله » فانتصب على التمييز . و « أن تقولوا » فاعل كبر . وقيل الفاعل محذوف تقديره : كبر فِعْلُكم مَقْتاً ، وأن تقولوا بدل من الفاعل المحذوف أو خبر مبتدأ مضمر ؛ وكان بعضُ الناس يستحى أن يعظَ الناس لأجل هذه الآية ، ويقول : أخاف من مَقْت الله . والمقت : هو البغض لريبة أو نحوها .

(كَلْبُهم باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ[٦]) : قيل إنه كان كلب الراعى ، فروا عليه فصحبهم وتبعهم فطردوه فأبى إلّا صُحْبَتَهم ، فبِصُحْبَتِهم خلّدَ الله ذكره فى كتابه ؛ لأن لصحبة الصالحين آثاراً ، ألا تَرَى ذَوْدَ[٧] البَقْلِ أخْضر ، ومَنْ ناسب شيئاً

---

(١) فى ياقوت : مدينة دقيانوس . وقال : وقيل إن طليطلة هى مدينة دقيانوس .

(٢) الكهف : ١٨ (٣) الكهف : ٥ (٤) فى الآية قبلها .

(٥) الصف : ٣ (٦) الكهف : ١٨

(٧) هذا بالأصلين . والذود : معتلف الدابة .

انجذب إليه ، وظهر وصفه عليه . وأعمل اسم الفاعل ، وهو بمعنى المضى ؛ لأنه حكاية حال .

(كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[1]) : أي كهو . والعرب تُقيم المثل مقام النفس ، فتقول : مِثْلِي لا يقول كذا وكذا ؛ أي لا أقول كذا وكذا . ومثلى لا يقال له كذا . وفيه تَنْزِيهٌ لله تعالى عن مشابهة المخلوقين . وقال بعضهم : إن الكاف زائدة . قال الطبرى وغيره : ليست بزائدة ، ولكن وضع « مثله » موضع هو . والمعنى ليس كهو شيء . قال الزمخشرى[2] : هذا كما تقول : مثلُك لا يبخل . والمراد أنت لا تبخل ؛ فنفى البخل عن مثله . والمراد نفيه عن ذاته .

(كَنْزٌ لَهُمَا[3]) : قيل مال عظيم . وقيل : كان علماً فى صحف مدفونة . والأول أظهر . وضمير التثنية يعود على الغُلاَمَيْن . وذكر الجواليقى[4] وغيره أن لفظ الكنز فارسى .

(كفر عنهم سَيِّئَاتِهِم[5]) : أي غفرها لهم . قال ابن الجوزى : معناه امْحُ[6] عنا ـ بالنبطية . وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى عمران الجونى فى قوله : "كفّر عنهم سيئاتهمْ ـ قال ـ بالعبرانية : محا عنهم .

(كما تَأْكُلُ الأنعام[7]) : عبارة عن كثرة أكلهم ، أو عن غفلتهم عن النظر كالبهائم [١٣١ أ] .

(كأيِّن مِنْ قَرْيَةٍ هى أشدُّ قوةً مِنْ قَرْيَتِكَ[8]) : يعنى مكة وخروجه

---

(١) الشورى : ١١ (٢) الكشاف : ٢ — ٢٣٧
(٣) الكهف : ٨٢ (٤) المعرب : ٢٢٩ (٥) محمد : ٢
(٦) لعل هذا تفسير الكلمة كفر عنا فى آية ١٩٣ من سورة آل عمران .
(٧) محمد : ١٢ (٨) محمد : ١٣

صلى الله عليه وسلم منها وقتَ الهجرة . ونَسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها ؛ لأنهم آذوه حتى خرج .

(كان[١] عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كمن زُيِّنَ له سُوءُ عمله) . أو : (كمن[٢] هو خالدٌ فى النار) : تقديره : أمثل أهل الجنة المذكورة قَبْلُ كمن هو خالدٌ فى النار ، فحذف هذا التقدير المراد به النفى ؛ وإنما حذفه لدلالة التقدير المتقدم عليه .

(كيف إذا تَوَفَّتهم الملائكةُ[٣] يضربون) : ضمير الفاعل للملائكة . وقيل : إنه الكفّار ؛ أى يضربون وُجوه أنفسهم ؛ وذلك ضعيف ؛ أى كيف يكون فعل هؤلاء ؟ والعربُ تكتفى بكيف عن ذِكْرِ الفعل معها لكثرة دورانها فى الكلام .

(كفَّ أيدِى الناسِ عنكم[٤]) : أى كفَّ أهْلَ مكة عن قِتالكم فى الحُدَيْبية . وقيل : كفَّ اليهود وغيرهم عن الإضرار بنسائكم وذرّيتكم حين خرجتم إلى الحديبية .

(كفَّ أيديَهم عنكم وأيدِيَكم عنهم[٥]) : رُوِىَ أنّ جماعةً من فِتْيان قُريش خرجوا إلى الحُديبية ليُصيبوا من عَسْكَرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليهم صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى جماعة من المسلمين ، فهزموهم وأسَرُوا منهم قوما ، وساقوهم إليه صلى الله عليه وسلم ، فأطلقهم ؛ فكفُّ أيدِى الكفّار هو أن هُزِموا وأُسِروا ؛ وكفُّ أيدى المؤمنين على الكفار هو إطلاقهم

---

(١) محمد : ١٤ (٢) محمد : ١٥ (٣) محمد : ٢٧
(٤) الفتح : ٢٠ (٥) الفتح : ٢٤

من الأسْرِ وسلامَتُهم من القتال . وقوله : « مِنْ بعد أنْ أظفركم عليهم » يعنى من بعد ما أخذتموهم أسارى .

(كلمة التقوى[١]) : هى لا إله إلا الله عند الجمهور ؛ للحديث . وقيل : "لا إله إلا الله محمد رسول الله" . وقيل : "لا إله إلا الله والله أكبر" . وهذه كلُّها مُتَقَارِبة . وقيل : بسم الله الرحمن الرحيم التى أبى الكفار أن تُكتب ؛ بل قالوا : اكتب اسمك .

(كانوا أحَقّ بها وأهْلَها[٢]) ؛ أى المسلمون المذكورون . وقيل : أى كانوا كذلك فى علم الله وسابق قضائه لهم . وقيل : أحق بها من اليهود والنصارى .

(كَفَى بالله شَهِيداً[٣]) : أى شاهداً بأن محمداً رسول الله ، أو شاهداً بإظهار دينه .

(كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَه[٤]) : هذا مثل ضربه الله للإسلام حيث بدأ ضعيفاً ثم قوى وظهر . وقيل : الزرع مثل النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه بُعِث وحده ، فكان الزرع حبةً واحدة ، ثم كثر المسلمون .

(كَثِيباً[٥]) : أى كُدْس الرَّمل ؛ يعنى أن الجبال فتتت من زلزلتها حتى صارت كالرمل المذرى .

(كصاحبِ الحوتِ[٦]) : قد قدمنا أنه يونس عليه السلام . وسببها أنه صلى الله عليه وسلم همّ أن يدعو على الكفار ، فنهاه الله أن يكون مثله فى الضجر

---

(١) الفتح : ٢٦ (٢) الفتح : ٢٦ (٣) الفتح : ٢٨

(٤) الفتح : ٢٩ (٥) المزمل : ١٤ (٦) القلم : ٤٨

والاستعجال ؛ لأنه ذهب مغاضباً لمّا خالفه قَوْمُه ، فدعا عليهم . وأجيب وأعلمهم بالعذاب ، فلما رأى قومَه مخايل الهلاك تابوا وآمنوا ، فتاب الله عليهم وصرفه عنهم ، وإنما أَبَقَ من قومه لخوفه من القتل ؛ وسمى أبّاقا في قوله تعالى[١] : « إذْ أَبَقَ[٢] إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ » . وقيل : إنه لما وعد قومه بالعذاب ولم يُصبهم بسبب إيمانهم أخَذَتْه غَضْبَةٌ كما ذكر الله عنه . والأول أصح . فانظر قدرك ، يا محديّ ، عند ربك ، واشكره إذ هداك للإيمان بهذا النبي الكريم . وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال : يا ربّ ، أمرتني أن أعاملَ أمتي بخلاف سائر الأمم ، فعامِلْهم أنت كذلك . فأوحى الله إليه : هم أُمّتُك ، وهم عبيـــــدى ، وقد أعطيتك الشفاعة فيهم ، فكيف تضيع أمةٌ أنتَ شفيعها وأنا رحيمها ؟ فالحمد لله الذى جعلنا من هذه الأمة ، وخصنا بهذا النبي الكريم .

(كَوَاعِبَ أتْرَابا[٣]) : الكاعِبُ الجارية التي خرج ثديها ، وهي أحبُّ إلى الرجل لصغرها .

(كافُورا[٤]) : أي في طيب رائحته ، كما تمدح طعاماً فتقول : هذا مسك . وذكر الجواليقي[٥] وغيره أنه فارسي .

(كَالُوهم[٦]) : بمعنى كالوا لهم . يقال : كلتك وكِلْتُ لك ، ووزنتك ووزنت لك ، بمعنًى واحد . [١٣١ ب] وحذف المفعول الثاني وهو المكيل والموزون . وهم ضمير المفعول للناس ، فالمعنى إذا كالوا الناس ، أو وزنوا لهم طعاماً أو غيره مما يُكال أو يوزن يخسوهم حقوقهم . وقيل إنّ « هم » في قوله :

---

(١) الصافات : ١٤٠ (٢) أبق : استخفى ، ثم ذهب ، وهرب .

(٣) النبأ : ٣٣ (٤) الإنسان : ٥

(٥) في المعرب (٢٨٥) : فأما الكافور المشموم من الطيب فأحسبه ليس بعربي محض

(٦) المطففين : ٣

كالوهم ووزنوهم تأكيد للضمير الفاعل. وقد رُوى عن حمزة[1] أنه كان يقفُ على كالوا ووزنوا ، ثم يبتدئ بـ « هم » ليبين هذا المعنى ؛ وهو ضعيف من وجهين[2] :

أحدها أنه لم يثبت فى المصحف ألف بعد الواو فى كالوا ووزنوا ، فدل ذلك على أنّ هُمْ ضمير المفعول .

والآخر أن المعنى على هذا أنّ المطففين إذا تولَّوا الكيل أو الوزن نقصوا ، وليس ذلك بمقصود ؛ لأن الكلام واقع فى الفعل لا فى المباشر ؛ ألا ترى أن اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم ، وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم ، فقابل القبض بالدّفع ؛ وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود .

قال ابن عطية : ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائع ، وليس ذلك بالجلىّ . قال : وصدر الآية فى المشترين ، فهم الذين يستوفون ، أى يشاحّون ويطلبون الزيادة . وقوله : إذا كالوهم أو وزنوهم فى البائعين فهم الذين يخسرون المشترى .

(كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ[3]) : المشكاة هى الكُوَّة غير النافذة تكون فى الحائط ، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة . وقيل : المشكاة الذى يكون المصباح على رأسه ، والأول أصح وأشهر . والمعنى صفة نور الله فى وضوحه كصفةِ مِشْكَاةٍ فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة ؛ وإنما شبهه

---

(١) فى القرطبى (١٩ ـ ٢٥٢) : قال أبو عبيد : وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين ويقف على « كالوا » و « وزنوا » ويبتدىء هم . والاختيار أن يكونا كلمة واحدة .

(٢) القرطبى (١٩ ـ ٢٥٣) ، والكشاف : ٢ ـ ٥٣١

(٣) النور : ٣٥

بالمشكاة وإن كان نورُ الله أعظم ؛ لأن ذلك غايةُ ما يدركه الناس من الأنوار؛ فضرب المثل لهم بما يوصل إلى إدراكه . وقيل الضمير في نوره عائد على محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل على القرآن . وقيل على المؤمنين . وهذه الأقوال كلها ضعيفة ؛ لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير .

فإن قيل : كيف يصحّ أنْ يقال : الله نُور السموات والأرض ، فأخبر أنه هو النور ، ثم أضاف النور إليه في قوله : مَثَلَ نُوره ، والمضاف غير المضاف إليه ؟

فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدّمناه : أي الله ذو نور السموات والأرض ، أو كما تقول زيد كريم ، ثم تقول : يعيش الناس بكرمه .

(كادح[1]) : الكدح في اللغة هو الجدّ والاجتهاد والسرعة ؛ فالمعنى أنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك ؛ لأن الزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطعُ خُطاً من عُمرك القصير ، فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تُلاقِي ربَّك. فانظر فيما تصرف عُمْرَك ، فإن أنفقته فيما فيه رضاه رضي عنك ، وإن كان في غيره غضب عليك ، ولا يقوم لغضبه شيء . وقيل : المعنى أنك ذو جد فيما تعمل من خير أو شر ، ثم تَلْقى ربك فيجازيك به . والأول أظهر ؛ لأن « كادح » تعدّى بإلى لما تضمّن من معنى السير . ولو كان بمعنى العمل لقال لربك .

(كَنود[2]) : كَفُور للنعمة . والتقدير إن الإنسان لنعمة ربه لكفُور . والإنسان جنس . وقيل الكنود العاصي . وقال بعض الصوفية : الكنود الذي يعبد الله على عِوَض .

---

(١) الانشقاق : ٦ — (٢) العاديات : ٦

(كَيْدَهم[1]) : مكرهم وحيلتهم ؛ والضمير لأصحاب الفيل القاصدين هَدْم الكعبة ، فرَدَّ اللهُ عليهم كَيْدَهم . فى تضليل : أى فى إبطال وتخسير .

(كعَصْفٍ مأكُول[2]) : العصف : ورق الزرع وتِبْنُهُ . والمراد أنهم صاروا رَميما ؛ وفى تشبيههم به ثلاثة أوجه :

الأول : أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثَتْهُ ؛ وجُمع[3] للتلف والخسارة ، ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن .

الثانى : أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدوابّ .

الثالث : أنه أراد كعَصْفٍ مأكول زَرْعُه وبقى هو لا شىء .

(كَوْثَر[4]) : بناء مبالغة[5] من الكثرة . وفى تفسيره سبعة[6] أقوال :

الأول : أنه حَوْض النبى صلى الله عليه وسلم .

الثانى : أنه الخير الكثير الذى أعطاه الله فى الدنيا والآخـــرة ؛ قاله ابن عباس ، وتَمَّمَه سعيد [١٣٢ ا] بن جبير[7] بأن قال : إن النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه . فالمعنى أنه من العموم .

الثالث : أن الكوثر القرآن .

الرابع : أنه كثرة الأصحاب والأتباع .

---

(١) الفيل : ٢ (٢) الفيل : ٥

(٣) فى القرطبى : العصف جمع ، واحدته عصفة وعصافة وعصيفة .

(٤) الكوثر : ١

(٥) فى القرطبى : الكوثر : فوعل من الكثرة . والعرب تسمى كل شىء كثير العدد والقدر والخطر كوثراً .

(٦) فى القرطبى ٢٠ ـ ٢١٦ : اختلف أهل التأويل فى الكوثر على ستة عشر قولا .

(٧) حديث ابن جبير فى الكشاف : ٢ ـ ٥٦٣

الخامس : أنه التوحيد .

السادس : أنه الشفاعة .

السابع : أنه نورٌ وضعه اللهُ فى قلبه .

والصحيح أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ، ولكن المراد بالكوثر الذى تَرِدُه أمَّتُه . آنيتُه على عدد نجوم السماء ، طوله ما بين عمان إلى صنعاء ، هكذا فسره صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو سعيد القرشى : لما نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم[1] : «أولئك الذين يَدْعُون يَبْتغون إلى ربِّهم الوسيلة أيهم أقرب» — قال صلى الله عليه وسلم : يا ربّ ، اتَّخَذْتَ إبراهيم خليلا ، وموسى كليما ؛ فبماذا خَصَصْتَنى ؟ فأنزل الله تعالى[2] : « أَلَمْ نَشْرَحْ لك صَدْرك » . فلم يكتف بذلك وحقّ له ألا يكتفى ؛ لأن السكون إلى الحال سبب قطع المريد ؛ فأنزل الله تعالى[3] : « إنا أعطيناك الكوثر » . فقال له جبريل : إن الله تعالى يُقرِئك السلام ويقول لك : إن كنتُ اتخذت إبراهيم خليلا ، وموسى كليما — فقد اتخذتك حبيباً . وعزتى وجلالى لأفضلنّ حبيبى على خليلى وكليمى . فسكن .

وهذا من أجلّ الرضا ؛ لأن هذه هى الدلالة ، والرضا للحبيب والانبساط للخليل ؛ ألا ترى إلى قول إبراهيم : وجاءته البُشْرى وهو على الانبساط ؟

فإن قلت : قد وردت تحديدات من الشارع فى عرض هذا الكوثر وطُوله يُفهم منها التضادّ .

فالجواب أنها ليست بمختلفة ؛ وإنما تحدث به صلى الله عليه وسلم مرات عديدة ، وذَكَر فيها تلك الألفاظ المختلفة بحسب اختلاف الطوائف من العرب ، فخاطب كل أحد بما كان يعرفُ من المسافة . والمعنى المقصود أنه حوض كبير مُتَّسِع الجوانب والزوايا .

---

(١) الإسراء : ٥٧ (٢) الانشراح : ١ (٣) الكوثر : ١

قال السُّهيلى فى الرَّوْضِ الأُنف : عن عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله أعطانى نَهَرًا يقال له الكَوْثر ، لا يَشاءُ أحَدٌ من أُمّتى يسمع خَرِيرَه إلّا سمع . قالت : يا رسول الله ، وكيف ؟ قال : أدخلى إصبعيك فى أُذُنَيْكِ وشدّا . قالت : قد فعلت يا رسول الله . قال : هذا الذى تسمعين هو من خرير الكوثر".

تنبيه

قال صلى الله عليه وسلم : "إن حَوْضِى أربعة أركان ؛ فالركن الأول فى يَدِ أبى بكر ، والثانى فى يد عمر ، والثالث فى يد عثمان ، والرابع فى يد علىّ ؛ فمن أبغض واحداً منهم حرمه الباقون . وأوّل من يرده فقراء المهاجرين الدُّنْسُو الثياب ، الشعث الرءوس ، الذين لا يتزوجون المتنعمات ، ولا تفتح لهم أبواب السُّدُود ، يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره ، لو أقسم على الله لأبرّه".

فانظر يا مسكين هل بيننا من هذه الأوصاف شىء ؟ نعم ، قد اتّصفنا بأضدادها ؛ فأنى لنا باللحوق بهم غير الصلاة والسلام على نبينا والرضا عن أصحابه الكرام .

(كُتِبَ عليكم القِتَالُ وهو كُرْهٌ لكم[1]) ؛ أى فُرِض ، وإن كان على الأعيان فنسخه[2] : « وما كان المؤمنون لِيَنْفِرُوا كافّة » ، فصار القتال فَرْضَ كفاية ؛ وإن كان على الكفاية فلا نسخ .

و « كُرْه » : مصدر كره ، للمبالغة ، أو اسم مفعول كالخبر بمعنى المخبور .

---

(١) البقرة : ٢١٦ . (٢) التوبة : ١٢٢ .

وأما قوله تعالى[١]: « كُتب عليكم القِصَاص » فليس بمعنى فُرض ؛ بل شُرِع ؛ لأن وليّ المقتول مُخيّرٌ بين القصاص والدية والعفو . وقيل بمعنى فرض ؛ أى فرض على القاتل الانقياد للقصاص، وعلى ولى المقتول ألّا يتعدّاه إلى فعل غيره ؛ كفعل الجاهلية ، وعلى الحكام التمكين من القصاص .

(كُتِب عليكم الصيامُ[٢]) : المقصود بهذه الآية وبقوله تعالى : « أيّاماً معدودات » ـ تسهيلُ الصيام على المسلمين ؛ وكأنه اعتذار عن كَتْبه عليهم ؛ وملاطفة جميلة . والذى كُتب على من قبلنا الصيام مطلقاً . وقيل : كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه .

(كَفَّار أثيم[٣]) : أى من يجمع بين الكُفْرِ والإثم ، وهذا يدلُّ على [١٣٢ ب] أن الآية فى الكفار .

(كريم) : من الكرم ؛ وهو الحَسَب والجلالة والفضل . وكريم : اسم الله تعالى ؛ أى محسن . وأما قول بلقيس[٤] : « إنى أُلْقِيَ إلىّ كتاب كريم » ـ فلأنه من سليمان ، أو لأن فيه اسمَ الله ، أو لأنه مختوم ، كما جاء فى الحديث : كرم الكتاب ختَمه .

فإن قُلْتَ : إنما كانت تعرف سليمان لا الخالق ؛ ولذا كانت تسجد للشمس .

فالجواب إنما عظّمت الكتاب لوجوه ؛ منها أنه لم يُلْقِه لها بشر ولم يأمرها فيه إلا بملاطفة ؛ ولذا بدأ سليمان بذكره على اسم الله غيرةً منه أنْ يقع منها فى اسم الجلالة نقص أو خلل .

(١) البقرة : ١٧٨ (٢) البقرة : ١٨٣ (٣) البقرة : ٢٧٦
(٤) النمل : ٢٩

(كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وإنَّا له كاتِبُونَ[1]) : أي لا إبطال لثواب عمله ؛ لأنّا نكتب عمله فى صحيفته .

(كالِحُونَ[2]) : الكلوح : انطباق الشَّفَتَيْن عن الأسنان ، وكثيراً ما يجرى ذلك بالكلاب، وقد يجرى للكلاب إذا شويت رءوسها . وفى الحديث: إن شفَةَ الكافر ترتفع بالنار حتى تبلغ وسط رأسه . وفى ذلك عذاب وتشويه . وفى الحديث : ضرس الكافر أو نَابُهُ فى النار مثل أُحُد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث .

(كُبْكِبوا فيها[3]) : أصله كُبُّوا فيها على رءُوسهم فى جهنم مرّةً بعد مرة ، وكررت حروفُه دلالة على تكرير معناه . والضمير للأصنام .

(كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[4]) : هذا قول المشركين المكبوبين .

(كَذَّبَتْ قَوْمُ نوحٍ المُرْسَلِينَ[5]) : أسند الفعل إلى القوم ، وفيه علامة التأنيث لأن القوم فى معنى الجماعة والأمة .

فإن قلت : كيف قال المرسلين بالجمع ، وإنما كذبوا نوحا ؟

فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد الجنس ؛ كقولك : فلان يركب الخيل ، وإن لم يركب إلا فرَساً واحداً . والآخر أن مَنْ كذَّب نبيا واحداً فقد كذّب جميع الأنبياء ؛ لأن قولهم واحد ، ودعوتهم سواء ؛ وكذلك الجواب فى : كذبت عاد المرسلين ، وغيره .

(كُبِتوا كما كُبِتَ الذين مِنْ قبلهم[6]) : أي أهلكوا . وقيل :

---

(١) الأنبياء : ٩٤ (٢) المؤمنون : ١٠٤ (٣) الشعراء : ٩٤
(٤) الشعراء : ٩٧ (٥) الشعراء : ١٠٥ (٦) المجادلة : ٥

لُعِنوا . وقيل كُبِتَ الرجل إذا بقى خَزْيان ؛ ونزلت الآية فى المنافقين واليهود .

(كَرَّتَيْن[١]) ؛ أى انظر نظراً بعد نظر للتثبت والتحقق . وقال الزمخشرى[٢] : معنى التثنية فى كرتين التكثير لا مرتين خاصةً ؛ كقولهم : لبَّيْك، فإن معناه إجابات كثيرة .

(كان مِقْدارُه خمسين ألف سنة [٣]) : اختلف فى هذا اليوم على قولين :

أحدها : أنه يوم القيامة .

والآخر : أنه فى الدنيا .

والصحيح أنه يَوْمُ القيامة ؛ لقولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث مانع الزكاة : "ما من صاحب ذهبٍ ولا فضّة لا يُؤَدّى زكاتها إلا صفحت له صفائح من نارٍ يُكْوَى بها جبينه وجَنْبُهُ وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يُقْضَى بين العباد".

ثم اختلف هل مقدارُه خمسون ألف سنة حقيقة ؟ وهذا هو الأظهر . أو هل وصف بذلك لشدة أهواله ؟ كما يقال : طويل ، إذا كانت فيه مصائب وهموم .

وإن قلنا : إنه فى الدنيا فالمعنى أن الملائكة والروح يعرجون فى يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا فى خمسين ألف سنة . وقيل الخمسون ألف سنة هى مدة الدنيا والملائكة تنزل وتعرج فى هذه المدة . وهذا كله على أن يكون قوله : « فى يوم » صفة للعذاب ؛ فيتعيّن أن يكون اليوم يوم القيامة . والمعنى على هذا مستقيم .

---

(١) الملك : ٤ (٢) الكشاف : ٢ — ٤٢٦

(٣) المعارج : ٥

(كالمُهْلِ . وتكون الجبالُ كالعِهْن[١]) : شبّه السماء بالمهل ، وهو دُرْدِيّ الزّيت ؛ فى سوادها ، وانكدار أنوارها يوم القيامة ؛ أو هو ما أذيب من الفضة وشبهها ؛ شبّه السماء به فى تلوُّنه ، وشبّه الجبال بالعهن وهو الصُّوف المصبوغ ألوانا ، فيكون التشبيه فى الانتفاش وفى اختلاف الألوان ؛ لأن الجبال منها سود ومنها بيض .

(كُبّارا[٢]) ـ بتشديد الموحدة أبلَغُ من الكبار بالتخفيف . والكبار المخفف أبلغ من الكبير .

(كثيبا مَهِيلا[٣]) : معناه أن الجبال تصير إذا نُسفت يوم القيامة مثل الكثيب ؛ وهو كُدْسُ الرمل . والمهيل : اللّيّن الرِّخْو نشرته الرياح ؛ ووزنه مفعول .

(كما أرسلنا إلى فرعون رَسُولا . فعَصَى فِرْعَوْنُ [١٣٣ ا] الرَّسُول[٤]) : اللام للعهد . والرسول إلى فرعون موسى .

(الكُبَر[٥]) : جمع كبرى . وقال ابن عطية : جمع كبيرة . والأول هو الصحيح ؛ والمراد بها إما جهنم ، أو الآيات والنّذَارة[٦] .

(كُوِّرت[٧]) : ذهب ضَوْءُها . وقيل كُوِّرَت كما تكون العِمامة . وأخرج ابن أبي جرير عن سعيد بن جبير ، قال : كُوِّرت[٨] : غُوِّرت بالفارسية .

---

(١) المعارج : ٩ (٢) نوح : ٢٢ (٣) المزمل : ١٤

(٤) المزمل : ١٥ ، ١٦ (٥) المدثر : ٣٥

(٦) النذارة : الإنذار (القاموس) .

(٧) التكوير : ١ (٨) المعرب : ٢٨٧

(كُشِطَت[1]) : أى قُشِرت كما يقشر جلد الشاة حين تُسلخ ، وكَشْط السماءِ هو طيُّها كطيِّ السجلّ ؛ قاله ابن عطية : وقيل معناه كشفت . وهذا أليق بالكشط .

(كُنَّس[2]) : من قولك كَنَس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه . والمراد بها الدرارى السبعة ؛ لأنها تَكْنِس فى جريها أو فى أبراجها وتخفى بضوء الشمس . وقيل : يعنى بقر الوحش ؛ فالخنّس على هذا من خَنَس الأنف ، والكنّس من سكناها فى كناسها .

(كُفُواً[3]) : مثلا .

(كَهْلاً[4]) : هو الذى انتهى شبابه . والمعنى أن عيسى عليه السلام يكلّمُ الناسَ فى المَهْد وكَهلا .

(أكبَّ) الرجل على وجهه فهو مُكب ، وكبّه غيره بغير ألف .

(كِسَفا[5]) : بفتح السين ـ جمع كِسْفة ، وهى القطعة . وقرىء بالإسكان ؛ ومنه قوله[6] : « أو تسقط عليهم كِسْفاً من السماء » .

(كِفْلٌ منها[7]) : أى نصيب ؛ ومنه كِفْلَيْن من رحمته ؛ أى نصيبين . ومنه الحديث : يُؤْتون أجْرَهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بى ... الحديث . وقد نظم بعض المتأخرين الذين يُؤْتون أجْرَهم مرّتين :

---

(١) التكوير : ١١ (٢) التكوير : ١٦ (٣) الإخلاص : ٤

(٤) آل عمران : ٤٦ (٥) الإسراء : ٩٢

(٦) سبأ : ٩ ، وقراءة حفص بفتح السين .

(٧) النساء : ٨٥

ثلاث وعشر فى المثبت فضّلوا

أمَنْ برفع الأخبار قد جاء مطلقا

فأزواجُ خيرِ المرسلين ومُؤْمن

من اهل الكتاب اليوم بالحقّ صدّقا

كذا العبد إن ينْصَحْ موَاليه دائما

ويلزم باب الله بالدّين والتقَى

وذو أمَة تأديبها كان مُحسنا

فصار لها زَوْجا وقد كان أعْتقا

ومجتهد فى الحق صادفَ رَأْيه

ومَنْ حاول القرآن بالجهد والشّقا

ومَنْ غسلهُ ثِنْتَين حَالَ وضوئه

وعامٍ يسد الصفّ مهما تفرّقا

ومَنْ يشكر النعماء إن كان ذا غِنًى

ومن خصّ فى الأرحام فيما تصدّقا

ومَنْ سنّ خيراً ، والجبان إذا رمى

بنفس على الكفّار واقتحم اللّقا

كذلك من صلّى بفرض تيمّم

وبعد وجود الماء عاد وحقّقا

وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى موسى الأشعرى ، قال : كِفْلَيْن ضعفين — بالحبشية .

(كَيْدُهُنَّ[١]) : قد قدمنا أن الكيد من الخلق احتيال ، ومن الله مشيئته أمراً ينزل بالعبد من حيث لا يشعر . وأما قوله تعالى[٢] : « كذلك كِدْنَا ليوسف » فمعناه فعلنا له ذلك ، لأنه كان فى شرعه أو عادته أن يضرب السارق ، ويضاعف عليه الغُرْم ، ولكن حكم فى هذه القضية بحكم آل يعقوب .

(كَتَمَ شهادةً عِنده مِنَ الله[٣]) : يعنى الشهادة بأنّ الأنبياء على الحنيفية . و « مِنَ الله » يتعلق بكتم أو بعنده ، كأنَّ المعنى شهادة تخلصت له من الله .

(أَكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوه[٤]) : جمع كِنان ، وهو الغطاء . وأن يفقهوه مفعول من أجله ، تقديره كراهة أن يفقهوه ؛ وهذه كلها استعارات فى إضلالهم . وأكناناً فى قوله تعالى[٥] : « وجعلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكنانا » ـ جمع كِنّ ، وهو ما يقى من الحر والبرد والريح وغير ذلك . ويعنى بذلك الغيران[٦] والبيوت المنحوتة فى الجبال .

(كِبْرَه[٧]) ـ بفتح الكاف وكسرها لغتان : أى معظمه . وأما قوله تعالى[٨] : « إلّا كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغيه » ؛ أى تكبّر . وقوله[٩] : « وتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فى الأرض » ؛ أى الملك . والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام ؛ وإنما سمى المُلْك كبرياء ، لأنه أكبر ما يُطلب من أمر الدنيا .

(كُنْتَ فى شَكٍّ مِمّا أنْزَلْنا إليكَ فاسْأَلِ الذين يَقْرءُون الكتاب مِنْ قَبْلِك[١٠]) : الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره . وقيل ذلك

---

(١) يوسف : ٣٤ (٢) يوسف : ٧٦ (٣) البقرة : ١٤٠
(٤) الأنعام : ٢٥ (٥) النحل : ٨١ (٦) جمع غار .
(٧) النور : ١١ (٨) غافر : ٥٦ (٩) يونس : ٧٨
(١٠) يونس : ٩٤

كقول القائل لابنه : إن كنت ابنى فبرّنى مع أنه لا يشكّ أنه ابنه ، ولأن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم ، فأمره بسؤالهم

قال ابن عباس : لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل .

وقال الزمخشرى[١] : ذلك على وجه الفرض والتقدير ؛ أى إن فرضت أنْ تقع فى شكّ فاسأل . والمنزول عليه القرآن [١٣٣ ب] والشرع بجملته ، وهذا أظهر. وقيل : يعنى ما تقدم من أنّ بنى إسرائيل ما اختلفوا إلّا من بعد ما جاءهم الحق. والذين يقرءون الكتاب هم عبد الله بن سلام ، ومن أسلم من الأحبار ؛ وهذا بعيد ؛ لأن الآية مكية . وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة فحَمْلُ الآية على الإطلاق أولى .

(كِفَاتًا[٣]) : من كَفِت ، إذا ضمّ وجمع . والمعنى أن الأرض تكفِت الأحياء ؛ لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع ؛ فكأنه قال جامعة أحياء وأمواتا .

ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتاً ، فيكون نصبهما على الحال من الضمير ؛ وإنما نكّر أحياء وأمواتا للتفخيم ، ودلالة على كثرتهم ؛ وكانوا يسمون بَقِيع الغَرْقَد كَفْتَة ؛ لأنها مقبرة تضم الموتى .

(كِذَّابا[٢]) : بالتشديد ، مصدر بمعنى تكذيب . وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة ، وهى تكذيب بعضهم لبعض .

(الكاف) : حرف جرّ له معان ؛ أشهرها التشبيه ؛ نحو[٤] : « ولَهُ الجوارِ المُنشَآتُ فى البَحْرِ كالأعلام » .

---

(١) الكشاف ١ — ٤٣٠
(٢) المرسلات : ٢٥
(٣) النبأ : ٢٨
(٤) الرحمن : ٢٤

والتعليل[١] : « كما أَرْسلنا فيكم » . قال الأخفش : أى لأجل إرسالنا فيكم رسُولًا منكم » . «[٢] واذكرُوه كما هدَاكم » ؛ أى لأجل هدايته إياكم. «[٣] ويْكأنّه لا يُفلحُ الكافرون » ؛ أى أعجب لعدم فَلاحهم . «[٤] اجعَلْ إلهًا كما لهم آلهة » .

والتأكيد ، وهى الزائدة ؛ وحمل عليه الأكثرون : «[٥] لَيْسَ كَمِثْلِه شَىْءٌ » ؛ أى ليس مثله شىء ، ولو كانت غير زائدة لزم إثبات المثل ؛ وهو محال. والقصد بهذا الكلام نَفْيُه . قال ابن جنّى : وإنما زيدت لتوكيد نفى المثل ؛ لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانيا . وقال الراغب[٦] : إنما جمع بين الكاف والمثل لتأكيد النفى ، تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال المثل ولا الكاف ؛ فنفى بليس الأمرين جميعاً . وقال ابن فُورَك[٧] : ليست زائدة . والمعنى ليس مثله مثل شىء ، وإذا نَفَيْتَ التماثل عن المثل فلا مثل لله فى الحقيقة[٨] .

وقال الشيخ زين الدين بن عبد السلام : مثل يُطلق ويراد بها الذات ؛ كقولك : مثلك لا يفعل ؛ أى أنت لا تفعله . كما قال :

ولم أقل مثلك ؛ أعنى به   سواك يا فَرْداً بلا مُشْبِه

وقد قال تعالى[٩] : « فإنْ آمنُوا بِمثْلِ ما آمَنْتُم به فقد اهتَدوا » . أى بالذى آمنتم به إياه ؛ لأن إيمانهم لا مثل له ؛ فالتقدير فى الآية ليس كذاته شىء .

---

(١) البقرة : ١٥١ (٢) البقرة : ١٩٨ (٣) القصص : ٨٢
(٤) الأعراف : ١٣٨ (٥) الشورى : ١١ (٦) المفردات : ٤٦٢
(٧) هو أبو بكر بن محمد بن الحسن بن فورك الأديب المتكلم الأصولى ، توفى سنة ٤٠٦ هـ .
(٨) البرهان : ٤ ـ ٣١ ، وفى البرهان : عن الفعل . والمثبت فى الإتقان أيضا .
(٩) البقرة : ١٣٧

وقال الراغب[١] : المِثْلُ ها هنا بمعنى الصفة ، ومعناه : ليس كصفته صفةٌ ؛ تنبيهاً على أنه وإن كان وُصِف بكثير مما وصف به البشر فليس تلك الصفات له على حسب ما يستعمل في البشر ، ولله المَثَل الأعْلَى .

تنبيـــه

ترد الكاف اسماً بمعنى مثل ؛ فتكون في محلّ إعرابٍ ، ويعود عليها الضمير ، قال الزمخشري[٢] : في قوله[٣] : « كهَيْئَةِ الطير فأنفخ فيه » — إن الضمير في فيه للكاف في كهيئة ، أي أنفخ في ذلك الشيء المماثل [لهيئة الطير][٤] فيصير كسائر الطيور[٥] .



مسألة

الكاف في « ذلك » ونحوه[٦] حرف خطاب لا محل له من الأعراب . وفي إيّاك قيل حرف ، وقيل اسم مضاف إليه . وفي : « أرأيْتك » قيل حرف ، وقيل اسم ، في محل رفع ، وقيل نصب . والأول أرجح .

(كاد) : فعل ناقص أتى منه الماضي والمضارع فقط ، له اسم مرفوع وخبر مضارع مجرد من أن[٧] ، ومعناها قارب . فنفيها نفي للمقاربة ، وإثباتها إثبات

---

(١) المفردات : ٤٦٣ (٢) الكشاف : ١ ـ ١٤٥
(٣) آل عمران : ٤٩ (٤) من الكشاف .
(٥) في الكشاف : فيصير طيراً كسائر الطيور .
(٦) في الإتقان : أي في اسم الإشارة وفروعه ونحوه .
(٧) هذا في الأصل . وقال ابن مالك :

ككان كاد وعسى لكن ندر ... غير مضارع لهذين خبر
وكونه بدون أن بعد عسى ... نزر وكاد الأمر فيه عكسا

للمقاربة . واشتهر على ألسنة كثير أن نفيها إثبات وإثباتها نفي ؛ فقولك : كاد زيد يفعل ـ معناه لم يفعل ، بدليل[1] : «وإنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ» . وما كاد يفعل ، معناه فعل ، بدليل[2] : « وما كادوا يفعلون » .

أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال : كل شيء في القرآن وإن كادوا وكاد ويكاد فإنه لا يكون أبدا .

وقيل : إنها تفيد الدلالة على وقوع الفعل بعسر . وقيل : نفي الماضي إثبات ؛ بدليل : « وما كادوا يفعلون » ، ونفي المضارع نفي بدليل[3] : « لم يَكَدْ يَرَاها » ، مع أنه لم ير شيئاً . والصحيح الأول ، وأنها كغيرها ، نفيها نفي وإثباتها إثبات ، فمعنى كاد يفعل قارب الفعل ولم يفعل . وما كاد يفعل ما قارب الفعل ، فضلا عن أن يفعل [١٣٤ ا] ، فنفي الفعل لازم من نفي المقاربة عقلا .

وأما آية[4] : « فذبحوها وما كادُوا يَفْعلون » ، فهو إخبار عن حالهم في أول الأمر ؛ فإنهم كانوا أولا بُعَداء من ذبحها ، وإثبات الفعل إنما فهم من دليل آخر ، وهو قوله : فذبحوها . وأما قوله تعالى[5] : « لقد كِدْتَ تَرْكَنُ » ـ مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يركن لا قليلا ولا كثيراً فإنه مفهوم من جهة أن « لَوْلا » الامتناعية تقتضي ذلك .

فائدة

ترد كاد بمعنى أراد . ومنه[6] : « كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ» . و«[7]أَكَادُ أُخفيها» . وعكسه ، كقوله تعالى[8] : «جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ» ، أي يكاد .

---

(١) الإسراء : ٧٣ (٢) البقرة : ٧١ (٣) النور : ٤٠
(٤) البقرة : ٧١ (٥) الإسراء : ٧٤ (٦) يوسف : ٧٦
(٧) طه : ١٥ (٨) الكهف : ٧٧

(كان) : فعل ناقص مُتصرِّف ، يرفع الاسم وينصب الخبر ، معناه فى الأصل المضىّ والانقطاع ، نحو[1] : « كانوا أشدَّ منكم قوةً وأكثر أموالا وَأوْلادا » .

وتأتى بمعنى الدَّوام والاستمرار ، نحو : « وكان اللهُ غفوراً رحيما » . « وكنّا بكل شيء عالمين » ، أى لم نزل كذلك . وعلى هذا المعنى تتخرج جميع الصفات الذاتية المقترنة بكان .

قال أبو بكر الرازى : كان فى القرآن على خمسة أوجه :

بمعنى الأزل والأبد، كقوله : « وكان الله عَلِيما حكيما » .

وبمعنى المضىّ المنقطع ، وهو الأصل فى معناها ، نحو[2] : « وكان فى المدينة تِسْعةُ رَهْطٍ » .

وبمعنى الحال ؛ نحو: « كُنْتُم خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ للناس» . «[3]إنَّ الصلاةَ كانَتْ على المؤمنين كتاباً مَوْقُوتاً » .

وبمعنى الاستقبال ؛ نحو[4] : « يخافون يَوْماً كان شَرُّه مُسْتَطيرا » .

وبمعنى صار ؛ نحو [5]: «وكان من الكافرين » .

قلت : أخرج ابن أبى حاتم عن السُّدِّىّ ، قال : قال عمر بن الخطاب : لو شاء الله لقال : أنتم ، فكنّا كلّنا ، ولكن قال : كنتم فى خاصة أصحاب محمد .

---

(١) التوبة : ٦٩ (٢) النمل : ٤٨ (٣) النساء : ١٠٣

(٤) الإنسان : ٧ (٥) البقرة : ٣٤

وترد « كان » بمعنى ينبغى؛ نحو[١]: «ما كان لكم أنْ تُنْبِتُوا شجرها». «[٢] ما يكون لنا أنْ نتكلّم بهذا » .

وبمعنى حضر أو وجد ؛ نحو[٣]: «وإن كان ذو عُسْرَةٍ فنَظِرَةٌ إلى ميسرة» . « إلّا أنْ تكونَ تجارةً حاضرةً » . « وإنْ تَكُ حَسَنَةً » .

وترد للتأكيد ؛ وهى الزائدة ، وجعل منه : « وما عِلْمى بما كانُوا يَعْمَلُون » .

(كَأَنّ) ـ بالتشديد : حرف للتشبيه المؤكد ؛ لأن الأكثر على أنه مركّب من كاف التشبيه ، وأن المؤكدة . والأصل فى كأن زَيْدًا أسدٌ ـ إن زيداً كأسد . قدم حرف التشبيه اهتماماً به ، ففُتحت همزة أن لدخول الجار .

قال حازم : وإنما تستعمل حيث يقوى التشبيه حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبَّه هو المشبَّه به ؛ ولذلك قالت بلقيس[٤] : « كأنه هو » .

قيل : وترد للظن والشك فيما إذا كان خبرها غير جامد .

وقد تخفَّف ؛ نحو[٥] : « كأن لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مسّه » .

(كأين) : اسم مركب من كاف التشبيه وأيّ المنونة للتكثير فى العدد ؛ نحو[٦] : « وكأيِّنْ مِن نبيٍّ قاتَل معه رِبِّيُّون كَثِير » .

وفيه لغات ؛ منها كائن بوزن بائع[٧] ، وقرأ بها ابن كثير حيث وقعت . وكأْيِن بوزن كعْيِن ، وقرىء بها . وكأْيِن من نَبيٍّ قاتَل .

---

(١) النمل : ٦٠.　　(٢) النور : ١٦　　(٣) البقرة : ٢٨٠

(٤) النمل : ٤٢　　(٥) يونس : ١٢　　(٦) آل عمران : ١٤٦

(٧) فى حاشية المغنى (١ ـ ١٥٥) : وعلى زنة اسم الفاعل . وكأين ـ بهمز ساكن بعده ياء مكسورة . وفى ابن قتيبة (٣٩٦) ، والإتقان (٢ ـ ٢١٨) ما أثبتناه أيضاً .

وهي مبنيّة لازمة الصدر ، ملازمة للإبهام ، مفتقرة إلى تمييز ؛ وتمييزها مجرور بمن غالباً ـ وقال ابن عصفور : لازما .

(كذا) : لم ترد في القرآن إلا للإشارة ، نحو[1] : « أهكذا عَرْشُك » .

(كل) : اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر المضاف هو إليه ، نحو[2] : « كلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموت » . والمعرّف المجموع ؛ نحو[3] : « وكلُّهُمْ آتيهِ يَوْمَ القيامةِ فَرْدا » . «[4] كلُّ الطَّعَامِ كان حِلًّا لبني إسرائيل » . وأجزاء المفرد المعرّف ، نحو[5] : « يَطْبَعُ اللهُ على كلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جبّار » ، بإضافة قلب إلى متكبر ، أي على كل أجزائه . وقراءة التنوين لعموم أفراد القلوب .

وترد باعتبار ما قبلها وما بعدها على ثلاثة أوجه :

أحدها ـ أن تكون نعتاً لنكرة أو معرفة ، فتدل على كماله ، وتجب إضافتها إلى اسم ظاهر تماثِلُه لفظاً ومعنى ؛ نحو[6] : « ولا تَبْسُطْها كلَّ البَسْطِ » ، أي بسطاً كل البسط ، أي تاما . «[7] فلا تَمِيلُوا كلَّ المَيْلِ » .

ثانيها ـ أن تكون توكيداً لمعرفة ؛ ففائدتها العموم ، وتجب إضافتها إلى ضمير راجع للمؤكد ؛ نحو[8] : « فسجدَ المَلَائكةُ كلُّهم أجمعون » . وأجاز الفرّاء والزمخشري قطعها حينئذ عن الإضافة لفظا ، وخرّج عليه قراءة بعضهم : « إنّا كُلًّا فيها » .

ثالثها ـ ألا تكون تابعة ، بل تالية للعوامل ، فتقع مضافةً إلى الظاهر ،

---

(١) النمل : ٤٢ (٢) آل عمران : ١٨٥ (٣) مريم : ٩٥
(٤) آل عمران : ٩٣ (٥) غافر : ٣٥ (٦) الإسراء : ٢٩
(٧) النساء : ١٢٩ (٨) الحجر : ٣٠ ، ص : ٧٣

وغير مضافة ؛ نحو[1] : « كل نفسٍ بما كسبتْ رهينةٌ » . «[2] وكُلّا ضربْنا له الأمثالَ » .

وحيث أضيفت إلى منكَّر وجب فى ضميرها مراعاة معناها ؛ نحو[3] : « وكلُّ شئٍ فعلُوه » . «[4] وكلَّ إنسانٍ ألزَمْناه » . «[5] كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ » . «[6] كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة » . «[7] وعلى كلِّ ضامرٍ يأْتِين » .

أو إلى معرفة جاز مراعاة لفظها فى الإفراد والتذكير ، ومراعاة معناها ، وقد اجتمعا فى قوله[8] : « إنْ كلُّ مَنْ فى السموات والأرض إلّا آتِى الرَّحمن عَبْداً . لقد أحصَاهمْ وعدَّهمْ عدًّا . وكلهم آتيهِ يوم القيامة فَرْداً » .

أو قطعت فكذلك ؛ نحو[9] : « كلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِه » . «[10] فكُلّا أخَذْنا بذَنْبِه » . « وكلٌّ كانوا ظالمين[11] » .

وحيث وقعت فى حيّز النفى بأن تقدمت عليها أداته أو الفعل المنفى فالمنفى يُوجَّه إلى الشمول خاصة ، ويفيد بمفهومه إثبات الفعل لبعض الأفراد . وإن وقع النفى فى حيّزها فهو موجَّه إلى كل فرد ، هكذا ذكره البيانيّون .

وقد أشكل على هذه القاعدة[12] : « والله لا يُحِب كلَّ مُختَالٍ فَخُور » ؛ إذ يقتضى إثبات الحب لمن فيه أحد الوصفين . وأُجيب بأن دلالة المفهوم إنما يعوّل عليها عند عدم المعارض ؛ وهو هنا موجود إذ دلّ الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقاً .

---

(١) المدثر : ٣٨ (٢) الفرقان : ٣٩ (٣) القمر : ٥٢
(٤) الاسراء : ١٣ (٥) آل عمران : ١٨٥ (٦) المدثر : ٣٨
(٧) الحج : ٢٧ (٨) مريم : ٩٣ ــ ٩٥ (٩) الإسراء : ٨٤
(١٠) العنكبوت : ٤٠ (١١) الأنفال : ٥٤ (١٢) الحديد : ٢٣

مسألة

تتصل « ما » بكلّ ؛ نحو[1] : « كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا » ، وهي مصدرية ، لكنها نابت بصلتها عن ظرف زمان ، كما ينوب عنه المصدر الصريح . والمعنى : كلّ وقت ؛ ولهذا تسمّى « ما » هذه المصدرية الظرفية ؛ أى النائبة عن المصدر ، لا أنها ظرف فى نفسها ؛ و « كل » من « كلما » منصوب على الظرفية بإضافته إلى شىء هو قائم مقامه ، وناصبه الفعل الذى هو جوابٌ فى المعنى .

وقد ذكر الفقهاء والأصوليون أن كلما للتكرار ؛ قال أبو حيان : وإنما ذاك من عموم ما ، لأن الظرفية مرادٌ بها العموم ، و « كل » أكدته .

(كِلَا وكِلْتَا) : اسمان مفردان لفظا مثنيان معنى مُضَافَان أبداً لفظا ومعنى إلى كلمة واحدة معرّفة دالة على اثنين . قال الراغب[2] : وهما فى التثنية ككلٍّ فى الجمع . قال تعالى[3] : « كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا » ، « أحدهما أو كلاهما » .

(كَلَّا) : مركب عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية[4] ، شددت لامُها لتقوية المعنى ، ولدفع توهُّم بقاء معنى الكلمتين .

وقال غيره : بسيطة ؛ فقال سيبويه والأكثرون : حرف معناه الردع والزجر ، لا معنى لها عندهم إلا ذلك ، حتى إنهم أبداً يجيزون الوقفَ عليها والابتداء بما بعدها ؛ وحتى قال جماعة منهم : متى سمعتَ « كلَّا » فى سورة فاحكم

---

(١) البقرة : ٢٥ (٢) المفردات : ٤٤١ (٣) الكهف : ٣٣

(٤) المغنى : ١ــ١٠٢ ، والاتقان : ٢ــ٢٢١ ، وابن قتيبة : ٤٢٢ ، والبرهان : ٤ــ٣١٣

بأنها مكية ؛ لأن فيها معنى التهديد والوعيد . وأكثر ما نزل ذلك بمكة ؛ لأن أكثر العتو كان بها .

قال ابن هشام[1] : وفيه نظر ؛ لأنه لا يظهر معنى الزجر فى نحو[2] : « ما شاء رَكَّبَكَ . كَلَّا » . « يوم يَقُومُ الناس لربِّ العالمين ؛ كَلَّا »[3] . « ثم إنَّ علينا بَيَانَه . كَلَّا »[4] . وقولهم : انتَهِ عن تَرْكِ الإيمان بالتصوير فى أىّ صورة ما شاء الله ، وبالبعث ، وعن العجلة بالقرآن تعسُّف ؛ إذ لم يتقدم فى الأوليين حكايةُ نَفْى ذلك عن أحد ، ولطول الفصل فى الثالثة بين كلا ، وذكر العجلة . وأيضا فإن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة العَلَق ، ثم نزل[5] : « إنَّ الإنسان ليَطْغَى » ، فجاءت فى افتتاح الكلام .

ورأى آخرون أن معنى الرَّدْع والزجر ليس مستمرًّا فيها ؛ فزادوا معنى ثانيا يصح عليه أن يوقف دونها ، ويبتدأ بها . ثم اختلفوا فى تعيين ذلك المعنى ؛ فقال الكسائى : تكون بمعنى حقا . وقال أبو حاتم : بمعنى ألاَ الاستفتاحية . وقال النَّضر ابن شُميل : حرف جواب بمنزلة أى ونعم ، وحملوا عليه[6] : « كَلَّا والقمر . والليل إذا أدْبَرَ » . وقال الفراء وابن سعدان : بمعنى سوف ، حكاه [١٣٥ ا] أبو حيان فى تذكرته . قال مكى : وإذا كانت بمعنى حقا فهى اسم . وقُرِئ[7] : « كَلًّا سيَكْفُرُونَ بعبادتهم » بالتنوين . ووُجِّه بأنه مصدر كَلَّ إذا أعيا ، أى كَلُّوا فى دعوام ، وانقطعوا ؛ أو من الكَلِّ وهو الثقل ؛ أى حملوا كَلًّا .

وجوَّز الزمخشرى كونه حرف الردع ونُوِّن كما فى « سلاسلا » . وردَّه

---

(١) فى المغنى : ١ — ١٠٧ (٢) الانفطار : ٨
(٣) المطففين : ٦ (٤) القيامة : ١٩ (٥) العلق : ٦
(٦) المدثر : ٣٢ ، ٣٣ (٧) مريم : ٨٢

أبو حيان بأن ذلك إنما صح فى « سلاسلا » ، لأنه اسم أصله التنوين . فرُجع به إلى أصله للتناسب .

قال ابن هشام[١] : وليس هذا التوجيه منحصراً عند الزمخشرى فى ذلك ؛ بل جوّز كون التنوين بدلا من حرف الإطلاق المزيد فى رأس الآية ، ثم إنه وُصل بنية الوقف .

(كم) : اسم مبنىٌّ لازم الصدر مُبْهم مفتقر إلى التمييز .

وترِدُ استفهامية ولم تقع فى القرآن . وخبرية بمعنى كثير ، وإنما تقعُ غالباً فى مقام الافتخار والمباهاة ، نحو[٢] : « وكم مِنْ مَلَكٍ فى السموات » . «[٣] وكم مِنْ قَرْيَةٍ أهلكناها » . «[٤] وكم قَصَمْنا مِنْ قرية » .

وعن الكسائى أنّ أصلها كما ، فحذفت الألف مثل بِمَ ولِمَ ، حكاه الزجاج . ورُد بأنه لو كان كذلك لكانت مفتوحة الميم .

(كَىْ) : حرف له معنيان :

أحدها — التعليل ؛ نحو[٥] : « كَىْ لَا يكونَ دُولَةً بين الأغنياءِ منكم » .

والثانى معني أنْ المصدرية ، نحو[٦] : « لكيلا تأسَوْا » ، لحلول أن محلها ، ولأنها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل .

(كيف) : اسم تَرِدُ على وجهين :

---

(١) المغنى : ١ — ١٥٨ (٢) النجم : ٢٦
(٣) الأعراف : ٤ (٤) الأنبياء : ١١ (٥) الحشر : ٧
(٦) الحديد : ٢٣

الشرط ، وخرّج عليه[١]: « يُنفِق كيف يشاء » . «[٢] يصوِّركم في الأرحام كيف يشاء » . «[٣] فيبسطه في السماء كيف يشاء » . وجوابُها في ذلك كلّه محذوف ، لدلالة ما قبلها .

والاستفهام ، وهو الغالب ، ويُستفهم بها عن حال الشيء لا عَنْ ذاته . قال الراغب[٤]: وإنما يُسْأَلُ بها عما يصح أن يُقال فيه شبيه وغير شبيه ، ولهذا لا يصح أنْ يقال[٥] إن الله كَيف .

وكلما أخبر الله بلفظ « كيف » عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب ، أو التوبيخ ، نحو: « كيف تكفرون» . «[٦] كيف يَهْدِي الله قَوْماً كفَرُوا بَعْدَ إيمانهم » .

(١) المائدة : ٦٤ (٢) آل عمران : ٦ (٣) الروم : ٤٨
(٤) المفردات : ٤٤٤ (٥) في المفردات : في الله عز وجل كيف ...
(٦) آل عمران : ٨٦

حرف اللام

(لعنهم) : طردهم وأبعدهم . وأما قوله تعالى[١] : «ويَلْعَنُهم اللَّاعِنُون» ، فيراد به الملائكة والمؤمنون . وقيل المخلوقات إلا الثَّقَلَيْن . وقيل البهائم لما يصيبهم من الجَدْب بسبب ذنوب بنى آدم .

(لمستم ، ولامستم) : بمعنى النكاح .

(لَغْو اليمين) : ساقطه ، وهو : والله ، ولا والله ، الجارى على اللسان من غير قَصْد ؛ هكذا قال الشافعى . وقال أبو حنيفة : أن يحلف على الشىء يظنه على ما حلف عليه ، ثم يظهر خلافه . وقال ابن عباس : اللغو : الحلف حين الغَضَب . وقيل : اللغو اليمين على المعصية . والمؤاخذة العقاب . أو وجوب الكفارة . واللغو أيضاً : الشىء المسقط المُلْقى ؛ تقول : ألغيت الشىء ؛ أى طرحته وأسقطته .

وأما قوله عز وجل[٢] : « وإذا مَرّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما » ـ فمعناه الإعراض عن قبيح الكلام ، والاستحياء من الدخول مع أهله ؛ تنزيهاً لأنفسهم عن ذلك .

(لَبَسْنَا عَلَيْهِم[٣]) : أى خلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضُعفائهم ؛ فإنهم إذا رأوا المَلَك فى صورة إنسان قالوا : هذا إنسان ، وليس بملك .

(لَقُضِيَ الأَمْرُ ثم لا يُنْظَرُون[٤]) : قال ابن عباس : المعنى لو أنزلنا

---

(١) البقرة : ١٥٩ (٢) الفرقان : ٧٢ (٣) الأنعام : ٩
(٤) الأنعام : ٨

مَلَكاً فكفروا بعد ذلك لعُجِّل لهم العذاب ، ففى الكلام على هذا حذف .
وقُضى الأمر على هذا تعجيل أخذِهم . وقيل المعنى : لو أنزلنا ملكا لماتوا من هَوْل
رؤيته ، فقُضاه الأمر على هذا : موتهم .

(لَيَجْمَعَنَّكُم إلى يَوْمِ القيامة لا رَيْبَ فيه[1]) : مقطوع مما قبله ، وهو
جوابٌ لقسم محذوف . وقيل : هو تفسير للرحمة المذكورة ، تقديره إن يجمعكم ؛
وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة فى غير موضعها ؛ فإنها لا تدخل إلا فى القسم
أو فى غير الواجب . وقيل « إلى » هنا بمعنى فى ، يعنى فى يوم القيامة ؛
وهو ضعيف ، والصحيح أنها للغاية على بابها .

(لَوَاقِحَ[2]) : بمعنى ملاقح جمع مُلْقِحة[3] ؛ [١٣٥ ب] أى تلقح الشجر
والسحاب ، كأنها تنتجه . ويقال لواقح حوامل ، جمع لاقح ؛ لأنها تحمل السحاب
وتقلبه وتصرفه ، ثم تحلّه فينزل . ومما يوضّح هذا قوله تعالى[4] : « يُرْسِل
الرِّيَاحَ بُشْرًا بين يَدَىْ رَحْمَتِه حتى إذا أقَلَّت سَحَابا » ، أى حملت .

(لَوْمَا تَأْتِينا بالملائكة) : لو ما : عرض وتحضيض ، والضمير لكفّار
قريش ؛ وذلك أنهم طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالملائكة ،
فأخبر الحق بأنهم لو رأوا أعظم آية لقالوا : إنها تخْيِيل أو سحر .

([5]لها سَبْعَةُ أبواب) : يعنى جهنم . روى أنها سبع طبقات فى كل طبقةٍ
بابٌ ؛ فأعلاها للمذنبين من المسلمين . والثانية لليهود . والثالثة للنصارى . والرابعة
للصابئين . والخامسة للمجوس . والسادسة للمشركين . والسابعة للمنافقين .

---

(١) النساء : ٨٧ (٢) الحجر : ٢٢

(٣) فى القاموس : والملاقح : الفحول ، جمع ملقح ، والإناث التى فى بطونها أولادها ،
جمع ملقحة — بفتح القاف .

(٤) الأعراف : ٥٧ (٥) الحجر : ٤٤

(لَعَمْرُكَ إنَّهُم لَفِي سَكْرَتِهِم يَعْمَهُون[١]) : هذا قسم . والعَمْر : الحياة . وفيه كرامةٌ له صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أقسم بحياته ولم يقسم بحياة غَيْره .

وقيل : هو من قول الملائكة لِلُوط ؛ وارتفاعُه بالابتداء ، وخبره محذوف، تقديره : لَعَمْرُكَ قسمي . واللام للتوطئة . وسكرتُهم : ضلالهم وجهلهم .

(لَنَسْأَلَنَّهُمْ أجمعين[٢]) : هذا السؤال المثبت على وجه الحساب ، والسؤال المنفي في قوله تعالى[٣] : « لا يُسأل عن ذَنْبِه إنْسٌ ولا جَانٌّ » ، على وجه الاستفهام المَحْض ، لأن الله يعلم الأعمال ، فلا يحتاج إلى السؤال عنها .

(لا يلبثون خِلَافَكَ إلا قَلِيلا[٤]) ، أي لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك من مكة إلَّا قليلا . فلما خرج صلى الله عليه وسلم مُهاجراً من مكة لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلا ، وقتلوا بعد ذلك يوم بدر .

(لَيَسْتَفِزُّونَكَ[٤]) : الضمير لقريش ، كانوا قد هَمُّوا أن يُخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، وذلك قبل الهجرة ، فالأرض هنا يراد بها مكة ، لأنها بلده .

(لأذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحياةِ وضعف المماتِ[٥]) : أي ضعف عذابهما ، لو ركَنْتَ إليهم ، ولم يركن إليهم صلى الله عليه وسلم قبل النبوءة ، فكيف بعدها ؟

(لنذهبنَّ بالذي أوْحَيْنَا إليك[٦]) : أي إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحَوْنَاهُ من الصُّدُور والمصاحف ، وهذه الآية متصلة المعنى بقوله : « وما أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ

---

(١) الحجر : ٧٢ (٢) الحجر : ٩٢ (٣) الرحمن : ٣٩

(٤) الإسراء : ٧٦ (٥) الإسراء : ٧٥ (٦) الإسراء : ٨٦

إلا قليلا[1] » ؛ أى فى قدرتنا أنْ نذهب بالذى أوحى إليك ، فلا يبقى عندكم شىء من العلم .

(لَنْ نُؤمِنَ لكَ حتى تَفْجُرَ لنا من الأَرْضِ يَنْبُوعاً[2]) : الذى قالوا هذا القول هم أشرافُ قريش ، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنواعاً من خوارق العادات ، وضروباً من المعجزات ، وهى التى ذكرها الله فى كتابه ؛ وهذه منها .

واليَنبوع : العين ، قالوا له : إن مكة قليلة الماء ففَجِّرْ لنا فيها عيناً من ماء . وقيل : إن الذى قال عبدُ الله بن أبى أمية بن المغيرة ، وكان ابن عمةِ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم بعد ذلك .

(لو كان فى الأرض ملائكةٌ يمشُونَ مُطْمَئِنِّين[3]) : معناها لو كان أهلُ الأرض ملائكةً لكان الرسول إليهم مَلَكا ولكنهم بشر ، فالرسول إليهم بشر من جنسهم .

(لو أنتُمْ تَمْلِكُون خَزَائِنَ رحمةِ رَبِّى إذاً لأمسكْتُمْ خَشْيَةَ الإنفاق[4]) ، أى لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن العطاء خشية الفقر ، فالمراد بالإنفاق عاقبةُ الإنفاق ، وهو الفقر . ومفعول «أمسكتم» محذوف .

وقال الزمخشرى[5] : لا مفعول له ، لأن معناه بخلتم . من قولهم للبخيل : مُمْسِك . ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح ، وخوف الفقر ، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى .

---

(١) فى الآية التى قبلها : ٨٦ من السورة نفسها .
(٢) الإسراء : ٩٠ (٣) الإسراء : ٩٥ (٤) الإسراء : ١٠٠
(٥) الكشاف : ١ ـ ٥٠٩

(لَفِيفاً[1]) : جميعاً مختلطين .

(لَبُوسٍ لكم لتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُم[2]) : يعنى دُرُوعاً ، تكون واحدا ، وتكون جمعاً ، وأول من صنعها داود عليه السلام . وسببها أنه عليه السلام كان يتجسس عن أخباره وسيرته من الناس ، فلقى يوما ملكا ، فقال له : ما تقول فى داود ؟ فقال : نِعْمَ الرجل لو كان يأكل من كَدِّ يده ، فطلب من الله صنعة يتقوّت منها ، فألان له الحديد ، وعلمه جبريل صنعة الدروع .

قال ابن عطية : اللَّبُوس فى اللغة السلاح . وقال الزمخشرى[3] : اللبوس : اللباس .

وقرىء : لتحصنكم — بالتاء والياء والنون، فالنون لله تعالى، والتاء للصنعة ، والياء لداود . واللبوس [١٣٦ ا] واللباس : الشدة .

(لَهْوَ الحديث[4]) : باطله ، وهو الغناء . وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "شراء المُغَنِّيات وبيعهن حرام". وقيل نزلت هذه الآية فى قُرَشى اشترى جارية مغنّية تغني بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالشراءُ على هذا حقيقة . وقيل : نزلت فى النَّضْر بن الحارث ، وكان قد تعلم أخبارَ فارس ، فذكر لَهْوَ الحديث ، وشراء لهو الحديث استحبابُه ، وقولُه ، وسماعه ؛ فالشراء على هذا مجاز . وقيل لهو الحديث الباطل . وقيل : الشرك . ومعنى اللفظ يعمُّ ذلك كله . وظاهر الآية أنه لفظ إلى كبر واستخفاف بالدين ، لقوله : « ليُضِلَّ عن سبيل الله ... » الآية ، وأن المراد شخص معيّن لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف .

---

(١) الإسراء : ١٠٤ (٢) الأنبياء : ٨٠ (٣) الكشاف : ٢ — ٥١
(٤) لقمان : ٦

(ليلةٍ مُبارَكة[1]) : يعنى ليلة القَدْرِ من رمضان . وكيفية إنزال هذا القرآن العظيم فيها أنه أنزل إلى السماء جملة واحدة ، ثم نزل به جبريل مُفرّقاً فى عشرين سنة ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، على حسب الخلاف فى مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة ؛ قال تعالى[2] : « وقُرْآناً فَرَقْناهُ لتقرأه على الناس على مُكْثٍ ، ونَزّلناه تنزيلا » .

وأخرج الحاكم وابن أبى شيبة من طريق حسان بن حُرَيث عن سعيد ابن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : فُصِلَ القرآن من الذكر ، فوُضع فى بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبى صلى الله عليه وسلم . أسانيدها كلها صحيحة .

وأخرج الطبرانى من وجهٍ آخر عن ابن عباس ، قال : أُنْزِل القرآن فى ليلة القَدْرِ فى شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملةً واحدة ، ثم أُنزل نجوماً . إسناده لا بَأْسَ به .

وأخرج ابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات من طريق السدّى عن محمد ابن أبى[3] المجالد ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس ـ أنه سأله ابن عطية[4] الأسود ، فقال : وقع فى قلبى الشك ! قوله تعالى : "شهر رمضان الذى أُنزِل فيه القرآن" . وقوله تعالى : "إنا أنزلناه فى ليلة القدر" . وهذا نُزّل فى شوّال وفى ذى القعدة وفى ذى الحجة والمحرّم وصفر وشهر ربيع ؛ فقال ابن عباس : إنه أنزل فى رمضان

---

(١) الدخان : ٣ (٢) الإسراء : ١٠٦

(٣) ابن أبى المجالد اسمه محمد ، وقيل : عبد الله (التقريب) . وفى الإتقان : عن محمد ، عن ابن أبى المجالد !

(٤) فى الإتقان : أنه سأل عطية بن الأسود !

فى ليلة القَدْر جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم ؛ [رَسلًا فى الشهور والأيام .

قال أبو شامة : قوله : رسلا ؛ أى رِفقاً ، وعلى مواقع النجوم ؛](1) أى على مثل مساقطها ؛ يريد أُنزل مُفَرَّقاً يَتْلُو بعضُه بعضاً على تؤدة ورفق .

وقيل : يعنى بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان ؛ وذلك باطل ، للآية : إنا أنزلناه . . . . وقوله : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .

قيل : السرُّ فى إنزاله جملة إلى السماء الدنيا تفخيم أمره وأمر مَنْ نزل عليه ، وذلك بإعلام سُكّان السموات السبع أنّ هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم . وقد قربناه إليهم لننزله إليهم . ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصولَه إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جُملةً كسائر الكتب المنزلة قبله ، ولكن الله بايَنَ بينه وبينها ، فجعل له الأمرَيْن : إنزاله جملة ، ثم إنزاله مفرّقاً ؛ تشريفاً للمنزل عليه . ذكر ذلك أبو شامة فى المرشد الوجيز .

وقال الحكيم التِّرْمذى : أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا تسليما منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظّ ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك أن بعثته كانت رحمة ، فلما خرجت الرحمةُ بفتح الباب جاءت بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فوُضع القرآن ببيت العزة فى السماء الدنيا ليدخل فى حدّ الدنيا ، ووُضعت النبوة فى قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوَحْى ، كأنه أراد تعالى أن يسلّم هذه الرحمة التى كانت حظّ هذه الأمة مِنَ الله إلى الأمة .

---

(١) من الاتقان (١ — ١١٢) .

وقال السخاوى فى جمال القراء[1] : فى نزوله إلى السماء جملة تكريمُ بنى آدم ، وتعظيمُ شأنهم عند الملائكة ، وتعريفُهم عناية الله بهم ورحمته لهم ؛ ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة أن تشيّعَ سورةَ الأنعام ، وزاد سبحانه فى هذا المعنى بأن أمرَ جبريل [١٣٦ ب] بإملائه على السَّفَرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له . قال : وفيه أيضاً التسوية بين نبيّنا صلى الله عليه وسلم وبين موسى صلى الله عليه وسلم فى إنزاله كتابه جملة ، والتفضيل لمحمد صلى الله عليه وسلم فى إنزاله عليه منجّما ليحفظه .

قال أبو شامة[2] : فإن قلت فقوله تعالى[3] : « إنَّا أنزَلْناه فى ليلة القَدْر » من جملة القرآن الذى أنزل جملة أم لا ؟ فإن لم يكن منه فما نُزِّلَ جملة ، وإن كان منه فما وَجْهُ صحة هذه العبارة ؟

قلت له وجهان :

أحدهما ـ أن يكون معنى الكلام إنا حكَمْنا بإنزاله فى ليلة القَدْر ، وقضينا به وقدّرناه فى الأزَل .

والثانى ـ أن لفظه لفظُ الماضى ومعناه الاستقبال ؛ أى نزل جملة فى ليلة القَدر .

---

(١) جمال القراء وكمال الإقراء لأبى الحسن علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى ، جمع فيه أنواعا من الكتب المشتملة على ما يتعلق بالقراءات والتجويد والناسخ والمنسوخ والوقف والابتداء (كشف الظنون) . والسخاوى توفى سنة ٦٤٣ .

(٢) أبو شامة : هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان الشافعى المقدسى ، المعروف بأبى شامة ، شارح الشاطبية وصاحب كتاب الذيل على الروضتين توفى سنة ٦٦٥ هـ (شذرات الذهب : ٥ ـ ٣١٨) .

(٣) القدر : ١

قال أبو شامة : الظاهر أنّ نزولَه جملة إلى السماء الدنيا بعد ظهورِ نبوته صلى الله عليه وسلم . قال : ويحتمل أن يكون قبلها .

قلت : الظاهر هو الثانى ، وسياقُ الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه .

وقال ابن حجر فى شرح البخارى : قد أخرج أحمد والبيهقى فى الشّعَب عن واثلة بن الأسقَع ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أنزلت التوراة لستّ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خَلَتْ منه ، والزبور لثمان عشرة منه . والقرآن لأربع وعشرين خلت منه » . وفى رواية : وصحُف إبراهيم لأول ليلة ، قال : وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى[1] : « شهر رمضان الذى أُنزِلَ فيه القرآن » ؛ ولقوله : « إنا أنزلناهُ فى ليلة القدرِ » ؛ فيُحتمل أن تكون ليلة القدر فى تلك السنة كانت تلك الليلة ، فأنزل فيها جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، ثم أُنزل فى اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض : « اقرأ باسم ربك » .

قلت : لكن يُشكِلُ على هذا ما اشتهر من أنه صلى الله عليه وسلم بُعث فى شهر ربيع .

ويُجاب عن هذا بما ذكروه أنه نُبِّئ أولا بالرؤيا فى شهر مولده ، ثم كانت مدتها ستة أشهر ، ثم أُوحى إليه فى اليقظة . ذكره البيهقى وغيره ، نعم . يُشكل على الحديث السابق ما أخرجه ابن أبى شيبة فى فضائل القرآن عن أبى قِلابة ، قال : أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان .

الثالث — قال أبو شامة : فإن قيل : ما السرّ فى نزوله منجّما ؟ وهلاّ نزل كسائر الكتب جملة ؟

---

(١) واثلة : ١٨٥ .

قلنا : هذا سؤال قد تولى الله جوابَه ، فقال تعالى[1] : « وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدة » ــ يعنون كما أنزل على مَنْ قبله من الرسل ؟ فأجابهم تعالى بقوله : « كذلك » ــ أي أنزلناه كذلك مفرّقاً ــ « لنثبِّتَ به فؤادك » ؛ أي لنقوِّيَ به قلبك ، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب ، وأشدّ عناية بالمرسل إليه . ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه ، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب[2] العزيز ، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل .

وقيل معنى « لنثبِّتَ به فؤادك » ؛ أي لنحفظه ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم كان أمّيا لا يقرأ ولا يكتب ، ففرّق عليه ليثبت[3] عليه حفظه ، بخلاف غيره من الأنبياء ، فإنه كان كاتبا قارئا ، فيمكنه حفظُ الجميع .

قال ابن فُورك : قيل أنزلت التوراة جملة ، لأنها نزلت على نبيّ يقرأ ويكتب ــ وهو موسى ــ وأنزل الله القرآن مفرّقا ، لأنه نزل غير مكتوب على نبي أميّ .

وقال غيره[4] : إنما لم ينزّل جملة واحدة ، لأنّ منه الناسخ والمنسوخ ، ولا يتأتّى ذلك إلا فيما نزل مفرقا . ومنه ما هو جواب لسؤال ، ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فعل فُعِل . وقد تقدّمَ ذلك في قول ابن عباس ، ونزّله جبريل بجواب

(١) الفرقان : ٣٢ (٢) في البرهان : الجانب .

(٣) في البرهان : ليبسر عليه حفظه . وفي الاتقان : ليثبت عنده حفظه .

(٤) البرهان : ١ ــ ٢٣١ ، والاتقان : ٢ ــ ١٢١

كلام العباد وأعمالهم ، وفسّر به قوله[1] : « ولا يأتونك بِمَثَلٍ إلّا جئناك بالحقّ، وأحسنَ تفسيرا » . أخرجه عنه ابن أبي حاتم .

فالحاصل أن الآية تضمّنت حكمتين لإنزاله مفرقا .

تذنيب

ما تقدم في كلام هؤلاء من أنّ سائر الكتب أنزلت جملةً هو مشهور في كلام العلماء وعلى ألسنتهم ، حتى كاد [١٣٧ ا] يكون إجماعا . وقد رأيتُ بعضَ فضلاء العصر أنكر ذلك ، وقال : إنه لا دليل عليه ، بل الصواب أنها نزلت مفرقات[2] كالقرآن .

وأقول : الصواب الأول ، والدليل على ذلك آيةُ الفرقان السابقة .

أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : قالت اليهود : يا أبا القاسم ، لولا أنزل هذا القرآن جملة ، كما أُنزلت التوراة على موسى . فنزلت .

وأخرجه من وجهٍ آخر عنه ـ بلفظ : قال المشركون . وأخرج نحوه عن قَتادة والسدّي .

فإن قلت : ليس في القرآن التصريح بذلك ، وإنما هو على تقدير ثُبوت قَوْلِ الكفار .

قلت : سكوتُه تعالى عن الردّ عليهم في ذلك وعُدُوله إلى بيان حكمته دليلٌ على صحته ، ولو كانت الكتبُ كلها مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول:

---

(١) الفرقان : ٣٣ (٢) في الإتقان : مفرقة .

إن ذلك سنةُ الله فى الكتب التى أنزلها على الرسل السابقة ، كما أجاب بمثل ذلك عن قولهم[1] : « وقالوا ما لِهَذا الرسول يأكُلُ الطَّعامَ ويمشى فى الأسواق » . قال[2] : « وما أرسلنا قَبْلَكَ مِن المُرْسَلِين إلّا إنّهم ليأكلونَ الطعام ويمشونَ فى الأسواق » . وقولهم[3]: «أبعثَ اللهُ بَشراً رسولا» . وقال[4]: «وما أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِك إلّا رجالًا نُوحى إليهم » . وقولهم : كيف يكون رسولا ولا له همٌّ إلا النساء ؟ فقال[5] : « ولقد أرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ وجعَلْنَا لهم أزواجاً وذُرِّيّة ... » الآية . إلى غير ذلك .

ومن الأدلة على ذلك أيضاً قولُهُ تعالى ـ فى إنزال التوراة على موسى يوم الصعقة[6]: «فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وكُنْ مِنَ الشّاكرين . وكَتَبْنَا له فى الألْوَاحِ من كُلِّ شىءٍ موعظةً وتفصيلا لكل شىءٍ فَخُذْهَا بِقوّةٍ » . «[7] وألقَى الألْوَاحَ » . «[8] ولما سكتَ عَنْ موسَى الغضبُ أخذ الألْوَاحَ ، وفى نسختها هُدًى ورحمةٌ » . «[9] وإذ نَتَقْنا الجَبَلَ فوقَهُمْ كأنه ظُلّةٌ وظنوا أنه واقعٌ بهم خذُوا ما آتَيناكم بقوّةٍ » .

فهذه الآيات كلها دالّة على إتيانه التوراة جملة .

أخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس ، قال : أعطى موسى التوراة فى سبعة ألواح من زَبَرْجد ، فيها تِبْيان لكل شىء وموعظة ، فلما جاء بها ورأى بنى إسرائيل عكوفاً على عبادة العِجْل رمى بالتوراة من يده فتحطمت ، فرفع الله منها ستةَ أسباع وأبقى سبعاً .

---

(١) الفرقان : ٧ (٢) الفرقان : ٢٠ (٣) الاسراء : ٩٤

(٤) يوسف : ١٠٩ (٥) الرعد : ٣٨ (٦) الأعراف: ١٤٤،١٤٥

(٧) الأعراف : ١٥٠ (٨) الأعراف : ١٥٤ (٩) الأعراف : ١٧١

وأخرج من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده – رفعه، قال: الألواحُ التى أنزلت على موسى كانت من سِدْر الجنة، كان طول اللوح اثنى عشر ذراعاً.

وأخرج ابن أبى حاتم عن ثابت بن الحجاج، قال: جاءتهم التوراة جملة واحدة فكبُر عليهم فأبوا أن يأخذوه حتى ظلل الله عليهم الجبل، فأخذوه عند ذلك.

فهذه آثار صحيحة فى إنزال التوراة جملة، يؤخذ من الأثر الأخير منها حكمةٌ أخرى لإنزال القرآن مفرقاً؛ فإنه أدعى إلى قبوله إذا نزل على التدريج، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة؛ فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس، لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهى.

ويوضّح ذلك ما أخرجه البخارى عن عائشة، قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورةٌ من المفصّل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: «لا تشربوا الخمرَ» لقالوا: لا ندع الخمر أبدا. ولو نزل: «لا تزنوا» لقالوا لا ندع الزنى أبدا. ثم رأيتُ هذه الحكمة مصرحا بها فى الناسخ والمنسوخ لمكىّ.

وأخرج البيهقى فى الشُّعَب، من طريق أبى خَلْدة عن عمر، قال: تعلَّمُوا القرآن خمس آيات خمس آيات؛ فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبى صلى الله عليه وسلم خمساً خمساً. ومعناه – إن صح – إلقاؤه إلى النبى صلى الله عليه وسلم هذا القَدْر حتى يحفظه، ثم يلقى إليه الباقى لا إنزاله خاصة بهذا القدر.

ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقى أيضاً عن خالد بن دينار، قال، قال أبو العالية:

تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً .

تنبيه

اتفق[1] أهل السنة والجماعة على أن كلام الله تعالى منزَّل . واختلفوا في معنى الإنزال ؛ فمنهم من قال إظهار القراءة ، ومنهم من قال [١٣٧ ب] إن الله تعالى ألهم كلامَه جبريل ، وهو في السماء ، وهو عالٍ من المكان . وعلَّمه قراءته ؛ ثم إن جبريل أدَّاه في الأرض ، وهو يهبط في المكان .

وفي التنزيل طريقان :

أحدهما ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم انتقل[2] من صورة البشرية إلى صورة الملكية ، وأخذه من جبريل .

والثاني ـ أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه . والأول أصعب الحالين .

وقال الطيبي : لعلّ نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتلقَّفه المَلَك من الله تلقّفا رُوحانيا ، أو يحفظه من اللوح المحفوظ ، فينزل به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويُلقيه عليه .

وقال القطب الرازي في حواشي الكشّاف : التنزيل[3] لغة بمعنى الإيواء ، وبمعنى تحريك الشيء من عُلْو إلى سفل ، وكلاهما لا يتحققان في الكلام ؛

---

(١) البرهان : ١ ـ ٢٢٨ ، والإتقان : ١ ـ ١٢٥

(٢) في البرهان : انخلع .

(٣) في الإتقان : الإنزال .

فهو مستعمل فيه فى معنى مجازى ؛ فمن قال : القرآن معنى قائم بذات الله تعالى فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها فى اللوح المحفوظ . ومَنْ قال القرآن هو الألفاظ فإنزاله مجرد إثباته فى اللوح المحفوظ . وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن أول المعنيين اللغويين . ويمكن أن يُراد بإنزاله إثباته فى السماء الدنيا بعد الإثبات فى اللوح المحفوظ ، وهذا يناسب المعنى الثانى . والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفا روحانيا ، أو يحفظها من اللوح المحفوظ ، وينزل بها فيلقيها عليهم .

وقال غيره : فى المنزَّل على النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال[1] :

أحدها — أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به .

وذكر بعضهم أن أحرُفَ القرآن فى اللوح المحفوظ ، كل حرف منها بقدر جبَل قاف ، وأن تحت كلّ حرف منها معانٍ لا يحيط بها إلا الله تعالى .

والثانى — أن جبريل إنما نزل بالمعانى خاصة ، وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعانى ، وعبّر عنها بلغة العرب ، وتمسّك قائلُ هذا بظاهر قوله تعالى[2] : « نَزَلَ به الرُّوحُ الأمين . على قَلْبِك » .

والثالث — أن جبريل ألقى عليه[3] المعنى ، وأنه عبّر بهذه الألفاظ بلغة العرب . وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك .

وقال البيهقى — فى معنى قوله تعالى[4] : « إنّا أنزلناه فى ليلةِ القَدْرِ » :

---

(١) البرهان : ١ — ٢٢٩ ، والإتقان : ١ — ١٢٦

(٢) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ — (٣) فى الاتقان : إليه .

(٤) القدر : ١

يريد — والله أعلم : إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه[1]، وأنزلناه بما سمع ، فيكون الملك منتقلا به من عُلو إلى سفل .

قال أبو شامة : هذا المعنى مطرد فى جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قِدَم القرآن ، وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى .

قلت : ويؤيد[2] أن جبريل تلقّفه سماعا من الله تعالى ما أخرجه الطبرانى من حديث النوّاس بن سَمعان مرفوعا : إذا تكلم الله بالوحى أخذت السماء رجفةٌ شديدة من خوف الله ، فإذا سمع بذلك أهلُ السماء صُعقوا وخرّوا سجّدا ، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، فينتهى به إلى الملائكة ، كلما مرّ بسماء سأله أهلها : ماذا قال ربنا ؟ قال : الحق . فينتهى به حيث أمر .

وأخرج ابن أبى مردويه من حديث ابن مسعود رفعه : إذا تكلم الله بالوحى سمع أهلُ السموات صلصلةً كصلصلة السلسلة على الصَّفْوان ، فيفزعون ، ويرون أنه مِنْ أمر الساعة .

وأصل الحديث فى الصحيح .

وفى تفسير على بن سهل النيسابورى : قال جماعة من العلماء : نزل القرآن جملةً فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بَيْتٍ يقال له بيت العزة ، فحفظه جبريل ، وغُشى على أهل السموات من هيبة كلام الله ، فمرّ بهم جبريل ، وقد أفاقوا ، فقالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق — يعنى القرآن — وهو

---

(١) فى الإتقان : وأفهمناه .   (٢) فى ا : ويؤيده .

معنى قوله[١] : « حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم » ـ فأتى به جبريل إلى بيت العزة ، فأملاه على السفرة الكرام ـ يعنى الملائكة ، وهو معنى قوله[٢] : « بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ » .

وقال الجُوَينى[٣] : كلام الله المُنَزَّلُ قسمان :

قسم قال الله لجبريل : قُلْ للنبىّ الذى أنت مُرْسل إليه : إن الله يقول افعل كذا وكذا ، ومُرْ بكذا وكذا . ففهم جبريل ما قاله ربه ، ثم نزل على ذلك النبى ، وقال له ما قاله ربه . ولم تكن العبارة تلك العبارة ، كما يقول الملك لمن يثق به : قل لفلان يقول لك الملك : اجتهد فى الخدمة ، واجمع جُنْدَك للقتال ؛ فإن قال الرسول يقول لك الملك لا تتهاون فى خدمتى ، ولا تترك الجند يتفرق ، وحث[٤] على المقاتلة ـ لا ينسب إلى كذب ، وتقصير[٥] فى أداء الرسالة .

وقسم آخر قال الله لجبريل : اقرأ على النبى هذا الكتاب ، فنزل جبريل بكلمة الله من غير تغيير ، كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين ، ويقول : اقرأه على فلان ؛ فهو لا يُغَيِّر منه كلمة ولا حرفا .

قلت : القرآن هو القسم الثانى ، والقسم الأول هو السنة ، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن .

ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى ؛ لأن جبريل أدّاه بالمعنى ، ولم تجز القراءة بالمعنى ، لأن جبريل أداه باللفظ ، ولم يُبَحْ له إيحاؤه بالمعنى .

والسرُّ فى ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه ، والإعجاز به ، فلا يقدر أحد

---

(١) سبأ : ٢٣ (٢) عبس : ١٥ ، ١٦

(٣) ف ا : الحولى ـ تحريف . (٤) فى الإتقان : وحثهم .

(٥) ف ا : ونقص

أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وإنّ تحتَ كل حرف منه معاني لا يحيط[1] بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي ببدله بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزّل إليهم على قسمين: قسم يَرْوُونه بلفظه المُوحَى به، وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كلُّه مما يُرْوَى باللفظ لشقّ، أو بالمعنى لم يؤْمن التبديل والتحريف، فتأمل.

وقد رأيتُ عن السلف ما يعضّد كلام الجويني[2]؛ فأخرج ابن أبي حاتم، من طريق عقيل، عن الزّهري — أنه سئل عن الوحي فقال: الوحي ما يُوحِي الله إلى نبي من أنبيائه، فيثبته في قلبه، فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله. ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته، ولكن يحدّث به الناس حديثا، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه.

فصل

وقد ذكر العلماء للوحي كيفيّات:

إحداها — أن يأتيَه المَلَك في مثل صلصلة الجرس، كما صح في مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو[3]: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: هل تحس بالوحي؟ فقال: أسمع صلاصل. ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تُقْبض.

قال الخطابي: والمراد أنه صوت متداول[4] يسمعه ولا يتبيّنه[5] أولَ ما يسمعه حتى يفهمه بعد.

(١) في الانقان: لا يحاط.
(٢) في ا: الجولى — تحريف.
(٣) في الانقان: عمر.
(٤) في الانقان: متدارك.
(٥) في الانقان: ولا يتثبته.

وقيل : هو صوت خَفق أجنحة الملَك .

والحكمة فى تقدمه أن يقرع سمعه للوحى ، فلا يُبقى فيه مكاناً لغيره .

وفى الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحى عليه .

وقيل : إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد .

الثانية — أن ينفُثَ فى رُوعه الكلام نَفْثا ، كما قال صلى الله عليه وسلم : "إن روحَ القُدس نَفَث فى رُوعى". أخرجه الحاكم ، وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التى بعدها ، بأن يأتى فى أحد الكيفيتين وينفث فى رُوعه .

الثالثة — أن يأتيه فى صفة الرجل فيكلمه ، كما فى الصحيح : "وأحياناً يتمثَّلُ لى الملَكُ رجلا فيكلمنى فأعِى ما يقول" — زاد أبو عوَانة فى صحيحه : وهو أهونُه علىّ .

الرابعة — أن يأتيه الملَك فى النوم . وعدّ قوم من هذا سورة الكوثر ، كما رَوَى مسلم عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفَى إغفاءَةً ثم رفع رأسه متبسما ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : أنزل علىّ آنفا سورة الكوثر . . . الخ .

وقال الإمام الرافعى فى أماليه : فهموا من الحديث أنها نزلت فى تلك الإغفاءة . وقالوا : مِنَ الوحى ما كان يأتيه فى النوم ؛ لأن رؤيا الأنبياء وحى . قال : وهذا صحيح ، لكن الأشبه أن يقال : إن القرآن كله نزل فى اليقظة ، وكأنه [١٣٨ ا] خطر له فى النوم سورة الكوثر المنزّلة فى اليقظة ، أو عُرِض عليه الكوثر الذى وردت فيه السورة ، فقرأها عليهم ، وفسرها لهم .

قال : وورد فى بعض الروايات أنه أغمى عليه . وقد يحمل ذلك على الحالة التى كانت تعتريه عند نزول الوحى . ويقال لها بُرَحاء الوحى .

قلت : الذى قاله الرافعى فى غاية الاتجاه ، وهو الذى كنتُ أميل إليه قبل الوقوف عليه . والتأويل الأخير أصح من الأول ؛ لأن قوله إنما يدفع فى كونها نزلت قبل ذلك ؛ بل نقول : نزلت فى تلك الحالة ، وليست الإغفاءة إغفاءةَ نوم ؛ بل الحالة التى كانت تعتريه عند الوحى ، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا .

الخامسة — أن يكلمه الله إما فى اليقظة — كما فى ليلة الإسراء ، أو فى النوم ، كما فى حديث معاذ : أتانى ربى ، فقال : فيمَ يختصم الملأ الأعلى . . . الحديث . وليس فى القرآن من هذا النوع شىء فيما أعلم ؛ نعم ، يمكن أن يعد منه آخر سورة البقرة لما تقدم ، وبعض سورة الضحى ، و « ألم نشرح » ؛ فقد أخرج ابن أبى حاتم من حديث عدى بن حاتم[1] ، قال ، قال صلى الله عليه وسلم : سألتُ ربى مسألة ، ووددت أنى لم أكن سألته ؛ قلت : أى ربى ، اتخذتَ إبراهيم خليلا ، وكلمتَ موسى تكليما . فقال : يا محمد ؛ ألم أجدك يتيما فآويتك ، وضالا فهديتُك ، وعائلا فأغنيتك ، وشرحتُ لك صدرك ، وحططت عنك وِزْرك ، ورفعت لك ذكرك ، ولا أذكر إلاَّ ذكرتَ معى .

فوائد

الأولى — أخرج الإمام أحمد فى تاريخه ، من طريق داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، قال : أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم النبوة ، وهو ابن أربعين

---

(١) فى الاتقان : عدى بن ثابت .

سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم يُنزل عليه القرآن على لسانه . فلما مضت ثلاثُ سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة .

قال ابن عسكر : والحكمةُ في توكيل إسرافيل به أنه الملك الموكل بالصُّور الذي فيه هلاكُ الخلق وقيام الساعة ، ونبوته عليه الصلاة والسلام مؤذنة بقُرْب الساعة وانقطاع الوحي ، كما وُكل بذي القرنين رونياقل[1] الذي يطوي الأرض ، وبخالد بن سنان مالك خازن النار .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سابط ، قال : في أمّ الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة ، فوكل ثلاثة بحفظه من الملائكة ؛ فوكل جبريل بالوحي ، والكتب إلى الأنبياء ، وبالنصر عند الحروب ، وبالمهلكات إذا أراد الله أن يُهلك قوما . ووكل ميكائيل بالقَطْر والنبات ، ووكل ملك الموت بقَبْض الأنفس ؛ فإذا كان يوم القيامة وعارضوا بين حفظه[2] وبين ما كان في أم الكتاب فيجدونه سواء .

وأخرج أيضا عن عطاء بن السائب ، قال : أول من يحاسب جبريل ؛ لأنه كان أمينَ الله إلى رسله .

الثانية — أخرج البيهقيّ والحاكم عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أُنزل القرآن بالتفخيم كهيئة[3] : « عُذْراً أو نُذْراً » . و «[4] الصَّدَفَيْنِ » . «[5] أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » ، وأشباه هذا .

---

(١) في الإتقان : رياقيل .
(٢) في الإتقان : حفظهم .
(٣) المرسلات : ٦
(٤) الكهف : ٩٦
(٥) الأعراف : ٥٤

قلت : أخرجه ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء ، فبيّن أن المرفوع منه : أُنزل القرآن بالتفخيم فقط ، وأن الباقي مدرجٌ من كلام عمّار بن عبد الملك أحد رواة الحديث .

الثالثة ـ أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان الثّوْرى ، قال : لم ينزل وحْيٌ إلا بالعربية ، ثم تَرْجم كلُّ نبيء لقومه .

الرابعة ـ أخرج ابن أبي سعد[1] عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يغطّ في رأسه ، ويتربّدُ وجهه ، ويجد برداً في ثناياه ، ويعرق حتى يتحدَّر منه مثل الجُمان .

الخامسة ـ قال البغوى في شرح السنّة : يقال إن زيد بن ثابت شهد العَرْضَة الأخيرة التي بيّن فيها ما نُسخ وما بقي [١٣٩ ا] ، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه ، وكان يُقرىء الناس بها حتى مات . وكذلك عليه اعتمد أبو بكر وعمر في جمعه ، وولّاه عثمان كتب المصاحف .

(لَحْن القَوْل[2]) ، أي مقصده وطريقته . وقيل اللحن هو الخفيُّ المعنى ، كالكناية والتعريض .

والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم سيعرفهم من دلائل كلامهم ، وإن لم يعرّفه الله بهم على التعيين .

فانظر هذا اللطف العظيم في سَتْر الله عليهم ، وعلى أقاربهم من المسلمين .

ورُوى أن الله لم يذكر له واحداً منهم باسمه ؛ وهذا كما صح عن قوم موسى أنهم خرجوا للاستسقاء فلم يسقوا ، فقال موسى : يا ربّ ، لِمَ لم تجبهم ؟ فقال :

---

(١) في الإتقان : ابن سعد . (٢) محمد : ٣٠

يا موسى ؛ إن فيهم نمّاما . فقال : يا رب ؛ مَنْ هو ؟ فقال : أنهى عن النَّميمة وأكون نمّاما ! ولكن ليتوبوا بأجمعهم ؛ فتابوا ، وسقاهم الله .

(لَذَّة للشاربين[1]) : أي لذيذة ، لا كلذّةِ الدنيا .

(اللَّمَم[2]) : فيه أربعة أقوال :

الأول ـ أنه صغائر الذنوب ؛ فالاستثناء[3] على هذا في الآية منقطع .

الثاني ـ أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفَلْتَة والسقْطَة دون دوامٍ عليها .

الثالث ـ أنه ما ألمّوا به في الجاهلية من الشِّركِ والمعاصي .

الرابع ـ أنه الهمُّ بالذنب ، وحديث النفس به دون أن يفعل .

(ليس للإنسان إلّا ما سَعَى[4]) : السعي هنا بمعنى العمل ؛ وظاهرُها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره ، وهي حجةٌ لمالك في قوله : لا يصوم أحد عن وليّه إذا مات وعليه صيام .

واتفق العلماءُ على أن الأعمال المالية كالصدقة والعِتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره ، ويصل نَفْعُها إلى مَنْ فُعِلَتْ عنه .

واختلفوا في الأعمال البدنيّة ؛ كالصلاة ، والصيام . وقيل : إن هذه الآية منسوخة بقوله[5] : «ألْحَقْنَا بهم ذُرِّيَّتَهُمْ» . والصحيح أنها مُحْكَمَة ؛ لأنها خبر ، والأخبار لا يدخلها النسخ .

---

(١) الصافات : ٤٦ ، محمد : ١٥ (٢) النجم : ٣٢

(٣) في الآية : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ...

(٤) النجم : ٣٩ (٥) الطور : ٢١

وفى تأويلها ثلاثةُ أقوال : الأول ـ أنها إخبار عما كان فى شريعة غيرنا ، فلا يلزم فى شريعتنا .

الثانى ـ للإنسان ما عمل بحق ، وله ما عمل له غيره بهبة العاملِ له ؛ فجاءت الآيةُ فى إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها .

الثالث ـ أنها فى الذنوب . وقد اتُّفق على أنه لا يحمل أحد ذَنْبَ أحد ؛ ويدل على هذا قوله قبلها[1] : « أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى » ، كأنه يقول : لا يُؤْخَذُ أحد بذنب غيره ، ولا يؤخذ إلا بذنب نفسه .

(لَظَى[2]) : اسم علم مشتقّ من اللظى بمعنى اللهب .

(لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَر[3]) : معنى اللَّوَّاحة مُغَيِّرة . يقال لَاحَهُ السَّفَر : غيَّره . والبشَر جمع بَشَرة ، وهى الجلدة . فالمعنى أنها تُحْرِق الجلود . وقيل تُسَوِّدها[4] . وقيل لوّاحة مِنْ لاح بمعنى ظهر ، والبشر الناس ؛ أى تلوح للناس . قال الحسن : تلوح[5] لهم من مَسِيرة خمسمائة عام لا يخافون الآخرة ؛ أى هذه العلة والسبب فى إعراض مَنْ تقدّم ذكرهم .

(لَوَّامَة[6]) : هى التى تلوم نفسها على فعل الذنوب ، أو التقصير فى الطاعة ، فإن النفوس على ثلاثة أنواع ؛ فخيرها النَّفْسُ المطمئنة ، وشرُّها النَّفْسُ الأمَّارة بالسوء ، وبينهما النفس اللوّامة . وقيل اللوّامة المذمومة الفاجرة ؛ وهذا بعيد ؛ لأن الله لا يُقسم إلا بما يعظم من المخلوقات . ويستقيم إن كان لا أقسم نفياً للقسم .

---

(١) النجم : ٣٨ (٢) المعارج : ١٥ (٣) المدثر : ٢٩

(٤) فى اللسان : تحرق الجلد حتى تسوده .

(٥) فى الكشاف (٢ ـ ٥٠٤) : تلوح للناس ، كقوله تعالى : ثم لترونها عين اليقين .

(٦) القيامة : ٢

قال بعضهم : ليس من نفسٍ بَرَّة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها يوم القيامة ، إن كانت عملت خيراً : هَلّا ازدادت منه ، وإن كانت عملت سوءاً : لِمَ عملته ؟

(لَيَالٍ عَشْرٍ[1]) : هي عشر ذي الحجة عند الجمهور . وقيل : العشر الأول من المحرم . وفيها يوم عاشوراء . وقيل العشر الأخر من رمضان . وقيل العشر الأول منه .

(لَمًّا[2]) : الجمع ، واللفّ ؛ فالتقدير أكلا ذا لمّ ، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره ؛ لأن العرب كانوا لا يُعْطون من الميراث أُنْثَى ولا صغيراً ؛ بل ينفرد به الرجال .

(لا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ[3]) [١٣٩ ب] ضمير المنازعةُ للكفار ، والمعنى أنهم لا ينبغي لهم منازعة النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الحق قد ظهر بحيث لا ينازِعُ أحد فيه . فجاء الفعل بلفظ النهي ، والمراد غير النهي . وقيل المعنى : لا تنازعهم فَيُنَازِعوك[4] ، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه . ويحتمل أن يكون نَهْياً لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ .

والمرادُ بالأمر الدين والشريعة ؛ أي في الدين والذبائح .

(لُدًّا[5]) : جمع أَلَدّ[6] ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة . والمراد بذلك قُرَيْش . وقيل معناه فُجّارا .

---

(١) الفجر : ٢ (٢) الفجر : ١٩ (٣) الحج : ٦٧

(٤) في الكشاف (٢ — ٦٦) : وقال الزجاج : هو نهي له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم ، كما تقول : لا يضاربنك فلان ، أي لا تضاربه . وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين .

(٥) مريم : ٩٧

(٦) لد الرجل يلد لدداً : اشتد في الجدل والخصومة فهو ألد ، وهي لداء ، وهم وهن لد .

(لوط) : قال ابن إسحاق : هو لوط بن هاران[1] بن آزر . وفى المستدرك عن ابن عباس قال : لوط ابن أخى إبراهيم .

(لُقْمان) : قيل إنه كان نبيًّا . والأكثر على خلافه .

أخرج ابنُ أبى حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس ، قال : كان لقمان عبداً حبشيا اختار الحكمة على النبوءة ، فأعطاها الله له ، فكان ينطق بها . وفى الحديث : لم يكن لقمان نبيئا ، ولكن عبداً أحسن اليقين ، أحبَّ الله فأحبه فمنّ عليه بالحكمة .

وروى أنه ابنُ أخت أيوب ، أو ابن خالته . وروى أنه كان قاضياً لبنى إسرائيل . واختلف فى صنعته ؛ فقيل : كان نجاراً . وقيل خياطاً . وقيل راعى غنم . وكان ابنه كافراً ، فما زال يوصيه حتى أسلم .

(لُجِّىٍّ[2]) : منسوب إلى اللُّجِّ ، وهو معظم الماء . وذهب بعضهم إلى أنّ أجزاء هذا المثال قوبلت به أجزاء الممثّل به ؛ فالظلمات أعمال الكافر ، والبحرُ اللجىّ صدْره ، والموجُ جهله ، والسحابُ الغطاء الذى على قلبه .

وذهب بعضهم إلى أنه تمثيلٌ بالجملة من غير مقابلة . وفى وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغةٌ ، كما أن فى وصف النور[3] المكرر قبلها مبالغة .

(لُغُوب[4]) : الإعياء والتعب . ورُوِى أن اليهود أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أخبرنا عما خلق الله فى الأيام السبعة[5] ، فقال صلى الله

---

(١) فى الإتقان : هارون .
(٢) النور : ٤٠
(٣) الآية ٣٥ من السورة نفسها .
(٤) فاطر : ٣٥ ، ق : ٣٨
(٥) فى جواب النبى — كما يأتى : ستة . وهو ما جاء فى آيات خلق السموات والأرض : الأعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، هود : ٧ ، الفرقان : ٥٩ ، السجدة : ٤ ، ق : ٣٨ ، الحديد : ٤

عليه وسلم : خلق الله السموات والأرض يوم الأحد ، والجبال يوم الاثنين ، والدوابَّ يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والجنةَ والنار يوم الخميس ، وآدم وحواء يوم الجمعة ؛ فقالوا : أصَبْتَ لو أتممت ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : ما إتمامُها ؟ فقالوا : لما فرغ الله مِنْ خَلْقِ السموات والأرض استلقى على قفاه ، ووضع إحدى رجليه على الأخرى واستراح ، وكان ذلك يوم السبت الذى اتخذناه عِيداً واستراحة . فاغتمّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غمًّا شديداً ، فأنزل الله[1]: «ولقد خلقنا السمواتِ والأرضَ وما بينهما فى ستةِ أيام ، وما مسّنا مِنْ لُغُوب». وإنما يَلْغُب مَنْ يعمل بالآلات والجوارح ؛ وإنى أخلق الشىء[2] إذا أردتُ وجودَه ، أقول له كُنْ فيكون .

فظنَّ اليهود أن السبتَ لهم يوم الراحة ، فصار يوم المحنة ؛ وظنوا أنه يوم فَرَح ، فصار يوم تَرَح ؛ فقال عليه السلام : "السبت لليهود ، والجمعة لكم ، فلا تخالفوا فيها[3] أمر الله تعالى كما خالف اليهود والنصارى ، فصار المخالفون منهم قِرَدة".

نكتة

إن اليهود لما خالفوا فى يومهم مسخَهُم الله تعالى وغيّر شخصَهم ؛ والمؤمنون إذ أطاعوا الله وأدّوا صلاة الجمعة غيّرت صورة ذنوبهم حسنات ؛ كما قال تعالى[4]: « فأولئكَ يُبَدِّلُ الله سيِّئاتِهم حسنَاتٍ » . إن اليهود لم يُمسخوا لصيْد السَّمكة ؛ بل لتركهم تعظيم أمْر الله وارتكابهم لنهْيه ؛ ألا ترى أن آدم وحوّاء أكلا

---

(١) ق : ٣٨ (٢) فى ب : الأشياء . (٣) أى فى الجمعة .

(٤) الفرقان : ٧٠

من شجرة الخُلد فبدَتْ لهما سوءاتهما . والنَّحل أكل من ورق أشجار الجنة فصار فى بطنه عسلا ؛ لأن آدم أكل بغير إذن ، والنحل أكل بإذن .

وأعجبُ من هذا أن الدودة التى أكلت جسم أيوب عليه السلام فصار لحمه فى بطنها إبْرَيسما ؛ يا عجبا ، إن آدميًا يأكلُ سمكةً فيغضب عليه الربُّ فيجعله قردا ، ودُودة تأكلُ النبيّ فيرضى عنها الربّ ، فيجعل رَوْثها إبْرَيْسما ؛ لأن هذه أكلَتْ بأمره ، وذلك أكل بغير أمره . دودة أطاعت الرب فاستحقت [١٤٠ ا] الخِلْعَةَ ، والمؤمن المخلص إذا أطاع أمر الله فكيف لا يستحق الرحمة والقُربَة والكرامة .

(لُبَدًا[1]) : كثيراً ، من التلبيد ، كأنه بعضه على بعض .

(لُمَزَةٍ[2]) : هو الذى يَعيب الناس باللّسان . واختلف هل الهُمَزة واللُّمَزة سواء ؟ واشتقاقه من الهمز واللمز ، وصيغة فُعَلة للمبالغة[3] . ونزلت السورة فى الأخنس ابن شَريق ، لأنه كان كثير الوقيعة فى الناس . وقيل فى أميّة بن خلف . وقيل فى الوليد بن المغيرة . ولفظها مع ذلك على العموم فى كلِّ مَنِ اتَّصَفَ بهذه الصفات .

([4] لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حرّمَ اللهُ) ، أى ليوافقوا عددَ الأشهر الحرم ، وهى أربعة . يقول : إذا حرموا من الشهور عدد الشهور المحرمة لم يبالوا أن يحلّوا الحرام ويحرّموا الحلال .

(لِوَاذًا[5]) ، يعنى الذين ينصرفون عن حَفْر الخندق . واللِّوَاذ : الروغان

---

(١) البلد : ٦٠ (٢) الهمزة : ١

(٣) فى الكشاف (٢ ـ ٥٥٩) وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها .

(٤) التوبة : ٣٧ (٥) النور : ٦٣

والمخالفة . وقيل الانصراف فى خِفية . وفى هذا وعيد وتهديد لمن خالف أمر الله ورسوله .

(لِسَانَ صِدْقٍ[1]) : ثناء حسنا .

(لِينَةٍ[2]) : نخلة ، وجمعها لِين ، وهى ألوانُ[3] النخل ما لم تكن العَجْوَة[4] والبَرْنِىّ . قال الكلبى : لا أعلمها إلا بلسان يهود .

وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على حصون بنى النضير قَطَع المسلمون بعض نخلهم ، وأحرقوا بعضها ؛ فقال بنو النَّضِير : ما هذا الإفساد يا محمد ، وأنت تنهى عن الفساد ؟ فنزلت الآية معلمة أن كل ما جرى من قطع وإحراق ، فإن الله أذن للمسلمين فى ذلك .

(لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ[5]) : بنى النَّضير . واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد له مُصيب ؛ فإن الله قد صـــوّب فعل من قطع النخل ، ومن تركها .

واختلف العلماء فى قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم ؛ فأجازه الجمهور ، لهذه الآية ، ولإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحريق نخل بنى النضير ، وكرهه قومٌ لوصية أبى بكر الصديق الجيشَ الذى وجّههم إلى الشام ألّا يقطعوا شجرًا مُثمِراً .

(لله خُمُسَهُ وللرَّسُولِ ولذِى القُرْبَى[6]...) الآية . اختلف فى قسم الخمس

---

(١) مريم : ٥٠ ، والشعراء : ٨٤

(٢) الحشر : ٥

(٣) أنواع .

(٤) العجوة : ضرب من أجود أنواع التمر ، والبرنى : نوع جيد من التمر مدور أحمر مشرب بصفرة .

(٥) الحشر : ٥

(٦) الأنفال : ٤١

وهو خمس المغانم ؛ فقال قوم : يُصرف على ستة أسهم : سَهْم لله فى عمارة الكعبة ، وسهم للنبي صلى الله عليه وسلم فى مصالح المسلمين . وقيل للوالى بعده . وسهم لِذَوِي القربى الذين لا تحل لهم الصدقة . وسهم لليتامى . وسهم للمساكين . وسهم للسبيل[1].

وقال الشافعى : على خمسة أسهم ، ولا يجعل لله سهما مختصا ، وإنما بدأ عنده بالله ، لأن الكل ملكه .

وقال أبو حنيفة : على ثلاثة أسهم: لليتامى ، والمساكين، وابن السبيل خاصة .

وقال مالك : الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذ منه كفايته ، ويصرف الباقى فى المصالح .

(لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ[2]) : الخبيث : الكفّار ، والطيب : المؤمنون . وقيل : الخبيث ما أنفقه الكفّارُ ، والطيِّب : ما أنفقه المؤمنون . واللام فى «ليميز» على هذا يتعلق بـ« يُغْلَبون[3] ». وعلى الأول بـ« يُحْشَرون[3] ».

ومعنى يميز : يُفَرِّقُ بين الخبيث والطيب .

(لله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى[4]) ، لا لغيره ؛ ولا نهاية لعددها ؛ وإنما أخبر الشارع بالتسعة والتسعين فى قوله : إنّ لله تسعةً وتسعين اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة .

وسببُ نزول الآية أن أبا جهل سمع بعض الصحابة يقرأ ، فيذكر الله مرةً والرحمن أخرى ، فقال : يزعم محمد أن الإله واحد ، وها هو يعبد آلهة كثيرة ؛ فنزلت الآية ، مبيّنةً أن تلك الأسماء الكثيرة هى لمسمًّى واحد .

---

(١) يريد لابن السبيل .   (٢) الأنفال : ٣٧

(٣) فى الآية التى قبلها بالسورة نفسها : ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا الى جهنم يحشرون .

(٤) الأعراف : ١٨٠ .

والحسنى : مصدر وصف بها[١] ، وتأنيث أحسن . وحُسْنُ أسماءِ الله أنها صفات مَدْحٍ وتعظيمٍ وتحميد ؛ فمنها ما هو للتعلّق ، ومنها ما هو للتخلق ؛ فينبغى الاعتناء بتبيين معانيها ، وبأخذ كلٍّ واحد منها حظا ونصيبا .

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وزِيَادَة[٢]) : الحسنى الجنة ، والنظر إلى وجه الله. وقيل الحسنى جزاء الحسنة بعَشْرةِ أمثالها ، والزيادة التضعيف فَوْقَ ذلك إلى سبعمائة . والأول أصح ، لوروده فى الحديث ، وكثرة القائلين به .

(لولا نزلت سُورة[٣]) بالهمز[٤] ، من أسأرت أى أفضلت [١٤٠ ب] من السؤر ، وهو ما بقى من الشراب فى الإناء ، كأنها قطعةٌ من القرآن . ومَنْ لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم ، وسهّل همزتها . ومنهم من شبهها بسورة البناء ، أى القطعة[٥] منه ، أى منزلة بعد منزلة . وقيل من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت فى السور[٦] . ومنه السِّوَار لإحاطته بالساعد .

وقيل : لارتفاعها ، لأنها كلام الله .

والسورة المنزلة الرفيعة ، وكان المؤمنون يقولون هذا الكلام على وجه الحِرْصِ على نزول القرآن والرغبة فيه ، لأنهم كانوا يفرحون ويستوحشون من إبطائه .

---

(١) يقصد بالكلمة التى هى مصدر .

(٢) يونس : ٢٦ — (٣) محمد : ٢٠

(٤) البرهان : ١ — ٢٦٣ ، والإتقان : ١ — ١٥٠

(٥) الضبط فى القاموس — سور ، وقال : السورة : ما طال وحسن من البناء . وفى البرهان : ومنهم من شبهها بسور البناء ، وكذلك جاء فى الإتقان .

(٦) فى البرهان : بالسور .

تنبيه

قال الجعبري[١] : حدُّ السورة قرآن يشتمل على آيِ ذي[٢] فاتحة وذي خاتمة ، وأقلها ثلاث آيات .

وقال غيره : السورة الطائفة المترجمة توقيفاً ؛ أي المسمّاةُ باسم خاصّ بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لبيّنْتُ ذلك .

ومما يدل لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة ، قال : كان المشركون يقولون : سورة البقرة ، وسورة العنكبوت - يستهزئون بها ، فنزل[٣] : « إنا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِين » .

وقد كره بعضهم أن يُقال سورة كذا لما رواه الطبراني والبَيْهقي مرفوعا ، عن أنس : لا تقولوا سورة البقرة ، ولا سورة آل عمران ، ولا سورة النساء ، وكذا القرآن كله ؛ ولكن قولوا : السورة التي تذكر فيها البقرة ، والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذلك القرآن كله . وإسناده ضعيف ؛ بل ادّعَى ابن الجوْزي أنه موضوع .

وقال البيهقي : إنما يُعرف موقوفا عن ابن عمر ، ثم أخرجه عنه بسند صحيح . وقد صح إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الجعبري : هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري ، الملقب برهان الدين ، صاحب شرح الشاطبية المسمى كنز المعاني وغيره ؛ توفي سنة ٧٣٢ هـ . (الدرر الكامنة : ١١ — ٥٠) .

(٢) في البرهان : ذوات فاتحة وخاتمة ، والمثبت في الاتقان أيضا (١ ـ ١٥٠)

(٣) الحجر : ٩٥

وفى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة . ومن ثَمَّ لم يكرهه الجمهور .

وقد يكون[1] للسورة اسمٌ واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر، من ذلك : الفاتحة ، وقد وقفت لها على نَيِّفٍ وعشرين اسما[2] ؛ وذلك يدل على شرفها ؛ فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى .

قال بعضهم : وكما سميت السورة الواحدة بأسماء سُمِّيَت سورة باسم واحد ؛ كالسور المسماة بآلم وآلر ، على القول بأن فواتح السور أسماء لها .

قال الزركشي فى البرهان[3] : ينبغى البحث عن تعداد الأسماء ، هل هو توقيفى أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثانى فلن يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كل سورة معانى كثيرة يقتضى اشتقاقها أسماً لها ، وهو تعبيد .

قال[4] : وينبغى النظر فى اختصاص كل سورة بما سُمِّيَتْ به .

ولا شكَّ أنَّ العرب تُرَاعِى فى كثير من المسميات أَخْذَ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون فى الشىء من خلق أو صفة تخصه أو يكون معها أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائى للمسمى . ويسمون الجملة من الكلام [أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جَرَتْ سُوَر الكتاب العزيز][5] كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة قصة البقرة المذكورة فيها ، وعجيب الحكمة فيها .

وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردَّد فيها شىء كثير من أحكام النساء .

---

(١) البرهان : ١ ـ ٢٧٠ ، والإتقان : ١ ـ ١٥١

(٢) منها أم الكتاب ، وأم القرآن ... (البرهان : ١ ـ ٢٦٩ ، ٢٧٠) ، والإتقان: ١ ـ ١٥١ ، ١٥٢

(٣) البرهان : ١ ـ ٢٧٠

(٤) الاتقان : ١ ـ ١٦٠

(٥) من البرهان (١ ـ ٢٧٠) .

وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها ؛ إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى[1]: «ومِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً ... » إلى قوله[2]: « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهذا » ـ لم يرِدْ في غيرها ، كما ورد ذِكْرُ النساء في سور ، إلا أن ما تكرر وبُسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء ، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها ، فسُمِّيت بما يخصها .

فإن قيل : في سورة هود ذكر نُوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى ، فلم خُصَّتْ باسم هود وَحْدَه ؟ مع أن قصة نوح فيها أوعب وأطول .

قيل : تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوْعَب مما ورد في غيرها ، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور اسم هُود كتكرّره في سورته ؛ فإنه تكرر فيها في أربعة مواضع ؛ والتكرارُ [١٤١ ا] من أقْوَى الأسباب التي ذكرنا .

فإن قيل : فقد تكرر اسم نوح فيها في ستةِ مواضع ؟

قيل : لما أُفرِدت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسِها فلم يقع فيها غير ذلك ، كانت أولى بأن تُسمَّى باسمه من سورة تضمَّنَتْ قصته وقصة غيره .

قلت : فلك أن تسأل وتقول : قد سميت سورة جَرَتْ فيها قصص أنبياء بأسمائهم ، كسورة نوح ، وسورة هود ، وسورة إبراهيم ، وسورة يونس ، وسورة آل عمران ، وسورة طس[3] سليمان ، وسورة يوسف ، وسورة محمد صلى الله على جميع الأنبياء ، وسورة مريم ، وسورة لقمان ، وسورة المؤمن .

---

(١) الأنعام : ١٤٢ . (٢) الأنعام : ١٤٤ (٣) سورة النمل.

وسورة[1] أقوام : كسورة بنى إسرائيل ، وسورة أصحابِ الـكَهف ، وسورة الحِجْر ، وسورة سبأ ، وسورة الملائكة ، وسورة الجِنّ ، وسورة المنافقين ، وسورة المطَفّفين . ومع هذا لم يُفْرَدْ لموسى سورة تسمّى به ، مع كثرة ذكره فى القرآن ، حتى قال بعضهم : كاد القرآن أن يكون كله موسى ، وكان أولى سورة تسمى به سورة طه أو القصص أو الأعراف لبسط قصته فى الثلاثة مما[2] لم تُبْسط فى غيرها .

وكذلك قصة آدم ذُكِرَتْ فى عِدّةِ سُوَر ، ولم تسمّ به سورة كأنه اكتفى[3] بسورة الإنسان .

وكذلك قصة الذّبيح من بدائع القصص ، ولم تُسَمّ به سورة الصافات . وقصة داود ذكرت فى « ص » ولم تسم به ، فانظر فى حكمة ذلك .

على أنى رأيت بعد ذلك فى جمال القراء للسخاوى أن سورة طه تسمى طورة الكَلِيم ، وسماها الهُذَلى فى كاله[4] سورة موسى . وأن سورة ص تسمى سورة داود . ورأيت فى كلام الجعبرى أن سورة الصافّات تسمى سورة الذبيح ، وذلك يحتاج إلى مستند من الرأى .

(ليس على الأعمَى حَرَج[5]) : اختلف فى المعنى الذى رفع الله به الحرج عن الأعرج والأعمى والمريض فى هذه الآية ؛ فقيل : هو فى هذه الآية الغزو ؛ أى لا حَرجَ عليهم فى تأخرهم عنه ، وحكمهم عام فى كل جهاد إلى يوم القيامة إلا أن يحزب حازب فى حضرةٍ ما ، فواجب عليهم بحسب الوُسْع .

---

(١) فى الاتقان : وقصة أقوام .
(٢) فى الإتقان : ما لم تبسط .
(٣) فى الاتقان : اكتفاء .
(٤) فى الاتقان : فى كامله .
(٥) الفتح : ١٧

فإن قلت : أما رَفْع الحرج عن هؤلاء فى هذه الآية فمفهوم تعقيبه به فى عَقْب المتخلّفين[1] من القبائل ، وأما ذكرهم فى سورة النور[2] فلم أفهم له معنى .

فالجواب : إنما ذكرهم فى سورة النور لأنهم كانوا إذا نهضوا إلى الغَزْو وخلّفوا أهلَ هذه الأعذار فى بيوتهم ، فكانوا يتجنّبون أكل مال الغائب ، فنزلت فى ذلك .

وقيل : إن الناس كانوا يتجنّبون الأكل معهم تقذُّراً ، فنزلت الآية .

وهذا ضعيف ؛ لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم .

والصواب أن يقال : إن الحرج مرفوع عن هؤلاء الثلاثة فى كل ما يمنعهم منه أعذارهم من الجهاد وغيره ، ألا ترى أنه أباح الأكل للانسان فى هذه البيوت المذكورة فى الآية[3] من الآباء والأبناء والأخوات وغيرهم .

فإن قلت : إذا رُفع الحرج عن هؤلاء فما معنى الآية[4] : « انفِروا خِفَافا وثِقَالًا وجَاهِدُوا بأموالكم وأنفسكم » ؟

فالجواب : أنه اختلف فى الخفيف والثقيل ؛ من هو ؟ على أقوال : فقيل الخفيف الغنىّ ، والثقيل الفقير . وقيل الخفيف الشاب والثقيل الشيخ . وقيل الخفيف النشيط والثقيل الكسلان . وهذه الأقوال أمثلة فى الثقل والخفة . وقيل : إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى[5] : « ليس على الضُّعفاءِ ولا عَلَى المَرْضَى » . وعلى كلّ تقديرٍ فجائز لأصحاب الأعذار الغَزْو ، وأجرهم فيه مضاعف ؛

---

(١) فى قوله تعالى : قل للمخلفين من الأعراب ... (١٦) . (٢) النور : ٦١

(٣) أى فى آية النور : ٦١ (٤) التوبة : ٤١ (٥) التوبة : ٩١

لأن الأعرج قد يكون أجرأ الناس بالصبر وألّا يفر . وقد غزا ابن أمّ مكتوم ، وكان يمسك الراية فى بعض حروب القادسية ، وقد خرّج النسائى فى بعض هذا المعنى ، وذكر ابن أم مكتوم رحمه الله .

(للفقراء[1]) : هـذا بدل من قوله : لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[2] ، ليُبين أن المراد بذلك «المهاجرين[3]» ، ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، لأنهم هاجروا من مكة وتركوا [١٤١ ب] فيها ديارهم وأموالهم .

(لقد زَيَّنَّا السماءَ الدُّنيا بِمَصَابِيح[4]) : السماء الدنيا : هى القريبة منا . والمصابيح يراد بها النجوم ؛ فإن كانت النجوم كلها فى السماء الدنيا فلا إشكال. وإن كانت فى غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا ؛ لأنها ظاهرة فيها لنا . ويحتمل أن يُريد أنه زيّن السماء الدنيا بالنجـــوم التى فيها دون التى فى غيرها ، على أن القولَ بمواضع الكواكب وفى أى سماء هى لم يَرِدْ فى الشريعة .

(لَطِيف) : اسم الله تعالى . قيل معناه رفيق ، وقيل : خبير بِخَفِيَّات الأمور .

(لؤلؤ) : كبار الجَوْهَر .

(لِمَنْ خافَ مقامَ رَبِّهِ جنَّتَان[5]) : مقام ربه : القيام بين يديه للحساب .

---

(١) الحشر : ٨ . (٢) فى الآية التى قبلها من السورة نفسها .

(٣) فى قوله فى الآية : للفقراء المهاجرين . . (٤) الملك : ٥

(٥) الرحمن : ٤٦

ومنه[1] : « يوم يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِين » . وقيل قيام الله عليه بأعماله[2] .
ومنه[3] : « أفَمَنْ هو قائِمٌ على كلِّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ » .

وقيل لمن خاف مقام ربه ، وأبهم المقام ؛ كقولك : خفت جانب فلان .

واختلف هل الجنتان لـكل خائف على انفراد ، أو لصنفِ الخائفين ؟
وذلك مبنى على قوله : لمن خاف ؛ هل يراد به واحد أو جماعة ؟

وقال الزمخشرى[4] : إنما قال جنتان ؛ لأنّه خطاب الثَّقَلين ؛ فـكأنه قال جنة للانسان وجنة للجن .

(لبّ) : عقل ؛ من قولهم : لب فى المـكان إذا أقام به . ومنه : لأولى الألباب .

(ليس له اليوم ها هنا حَمِيمٌ . ولا طعامٌ إلّا من غِسْلِين[5]) ؛ أى ليس له صديق . وقيل ليس له شراب ولا طعام إلّا من غِسْلين ؛ فإنّ الحميم الماء الحار ، والغسلين صديد أهل النار عند ابن عباس . وقيل شجر يأ كله أهل النار . وقال اللغويُّون : هو ما يجرى من الجراح إذا غسلت ، وهو فعلين من الغسل .

فإن قلت : قد قال فى الغاشية : « ليس لهم طَعَامٌ إلا مِنْ ضَرِيع[6] » ؛ وهو مناقض لما هنا .

فالجواب : أن الضريع لقوم والغسلين لقوم ؛ أو يكون أحدهما فى حال والآخر فى حال .

---

(١) المطففين : ٦ (٢) فى الـكشاف : أى حافظ مهيمن .
(٣) الرعد : ٣٣ (٤) الـكشاف : ٢ ـ ٤٢٧
(٥) الحاقة : ٣٦ ، ٣٧ (٦) الغاشية : ٦

(لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ[١]) : هذا جواب قوله[٢] : «فلا أُقْسِمُ بما تُبْصِرُونَ. وما لا تُبْصِرُونَ» . والضمير للقرآن . والرسول الكريم قيل جبريل . وقيل محمد صلى الله عليه وسلم . وأَقْسَمَ تعالى بجميع الأشياء ، لأنها تنقسم إلى ما يُبْصَر وإلى ما لا يبصر ، كالدنيا والآخرة ، والإنس والجنّ ، والأجسام والأرواح ، وغير ذلك .

(لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ[٣]) : أي بالقوة . ومعناه لو تقوّلَ علينا محمد ما لم نَقُلْه ، أو نسب إلينا قولا لأخذناه بقوّتنا . وقيل هي عبارة عن الهوانِ ؛ كما يقال لمن يُسجن : أُخِذ بيده وبيمينه .

وقال الزمخشري[٤] : معناه لو تقوّل علينا لقتلناه ، ثم صوّرَ صورة القَتْلِ ليكون أهول . وعبّر عن ذلك بقوله : لقطعنا منه الوَتين ، وهو العِرْق الذي في عُنُقِ الإنسان[٥] . والسيّاف إذا أراد أن يضرب المقتول في جِيده أخذه بيده اليمين ليكون ذلك أشدّ عليه لنظره إلى السيف[٦] .

(لِلشَّوَى[٧]) : هي أطراف الجسد . وقيل جِلْدُ الرأس .

والمعنى أن النار تنزعها ثم تُعاد .

(لقادِرُونَ . عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُم[٨]) : هذا تهديد للكفّار بإهلاكهم وإبدال مَنْ هُوَ خيرٌ منهم .

---

(١) الحاقة : ٤٠ (٢) الحاقة : ٣٨ ، ٣٩

(٣) الحاقة : ٤٥ (٤) الكشاف ٤ : ٢ — ١٨٧

(٥) في الكشاف : وهو حبل الوريد ، إذا قطع مات صاحبه .

(٦) وارجع في هذه المعاني إلى القرطبي : ١٨ — ٢٧٦ ، وتلخيص البيان : ٣٤٥ ، وتأويل مشكل القرآن : ١١٧

(٧) المعارج : ١٦ (٨) المعارج : ٤٠ ، ٤١

(لا تَرْجُون لِلهِ وَقاراً[١]) : فيه أربع تأويلات :

أحدها : أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة ؛ فالمعنى ما لكم لا تَرْجُون أن يوقركم الله فى دَارِ ثوَابِه . قال ذلك الزمخشرى[٢] . وقوله : « لله » على هذا بيان للموقر ، ولو تأخر لكان صفة[٣] لوقار .

الثانى : أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت ؛ والمعنى ما لكم لا ترجون لله تعالى متثبتين حتى تتمكنوا من النظر بوقاركم . وقوله « لله » على هذا مفعول دخلت عليه اللام ؛ كقولك : ضربت لزيد . وإعراب وقاراً على هذا مصدر فى موضع الحال .

الثالث : أن الرجاء على هذا بمعنى الخوف ، والوقار بمعنى العظمة والسلطان ؛ فالمعنى ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه . « ولله » على هذا صفة للوقار فى المعنى .

الرابع : أن الرجاء بمعنى الخوف ، والوقار بمعنى الاستقرار ؛ من قولك : وَقَر فى المكان إذا استقرّ فيه ؛ والمعنى ما لكم لا تخافون الاستقرار فى دار القرار ؛ إما فى الجنة وإما فى النار .

(لَمَسْنَا السماءَ فوجَدْنَاها مُلِئَتْ حَرَساً شديداً وشُهُباً[٤]) : هذا إخبار عما حدث عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من مَنْعِ الجنّ من استراق السّمع فى السماء ورَجْمهم بالنجوم .

واللمس : المسّ . واستُعِير هنا للطلب [١٤٢ ا] . والحَرَس : اسم مفرد

---

(١) نوح : ١٣ (٢) الكشاف : ٢ — ٤٩١

(٣) فى الكشاف : صلة للوقار . (٤) الجن : ٨

فى معنى الحرّاس كالخدم فى معنى الخدام . ولذلك وصف بشديد ، وهو مفرد .
ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة . وكرر الشهب
لاختلاف اللفظ .

(لِنَفْتِنَهم فيه[1]) : يحتمل أن يكون الضمير للمسلمين ، أو للقاسطين
المذكورين قبل[2] ، أو لجميع الجنّ ، أو الجن الذين استمعوا إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ، أو لجميع الخَلْق . ومعنى الفتنة الاختبار ؛ هل يشكرون أم لا ؟ هذا
إن كانت الطريقة المذكورة[3] بمعنى الإيمان ، وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى
الفتنة الاستضلال والاستدراج .

(لِبَدًا[4]) : جماعة، واحدها لِبْدَة . والمعنى يكاد الكفار من الناس يجتمعون
على الرد عليه وإبطال أمره ، أو يكاد الجنُّ الذين استمعوا هذا القرآن يجتمعون عليه
لاستماعه والتبرك به . ومن هذا اشتقاقُ هذه اللبود التى تُفَرَّش بعضها
على بعضها .

(لِيَسْتَيْقِنَ الذين أوتوا الكتاب[5]) : أى يعلم أهل التوراة والإنجيل
أن ما أخبر به نبيُّنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عن عدد ملائكة النار حق ؛
لأنه موافق لما فى كتبهم. ولما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش : أيعجز عشرة
منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به ، فنزلت الآية . ومعناها
أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم . ورُوِى أن الواحد منهم يرمى بالجبل على

---

(١) الجن : ١٧ (٢) الجن : ١٤ ، و ١٥
(٣) فى الآية ١٦ من سورة الجن . (٤) الجن : ١٩
(٥) المدثر : ٣١

الكفار ، فجعل الله هذا العدد لفتنةِ الكفّار ولئلا يشكّ المؤمنون والذين أوتوا الكتاب .

فإن قلت : كيف نفى عنهم الشكّ بعد أن وصفهم باليقين ، والمعنى واحد فهو تكرار ؟

فالجواب : أنه لما وصفهم باليقين نفىَ عنهم أن يشكّوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن ، فكأنه وصفهم باليقين فى الحال والاستقبال . وقال الزمخشرى[1] : ذلك مبالغة وتأكيد .

(لِيَقُولَ الَّذِين فى قُلُوبِهِم مَرَضٌ[2]) : المرض عبارة عن الشكّ ، وأكثر ما يُطلق الذين فى قلوبهم مرض على المنافقين ، كقوله[3] : « فى قلوبهم مَرَضٌ » .

فإن قلت : هذه السورة مكيّة ، ولم يكن حينئذ منافقون بالمدينة .

فالجواب من وجهين : أحدهما أن معناه يقول المنافقون إذا حدثوا ، ففيه إخبارٌ بالغيب . والآخر أن يُريد من كان بمكة من أهل الشك ، وقولهم[4] : « ماذا أرادَ اللهُ بهذا مَثَلا » ؛ فهو استبعاد لأن يكون هذا من عند الله .

(لأى يوم أُجِّلَت . لِيَوْمِ الفَصْل[5]) : فيه توقيف يُراد به تعظيم ذلك اليوم ، ثم بينه بقوله[6] : وما أدْرَاكَ ما يَوْمُ الفَصْلِ » .

---

(١) الكشاف : ٢ — ٥٠٤
(٢) المدثر : ٣١
(٣) محمد : ٢٠ ، ٢٩ ، وغيرها .
(٤) البقرة : ٢٦
(٥) المرسلات : ١٢ ، ١٣
(٦) المرسلات : ١٤

(اللام) : على أربعة أقسام : جارّة ، وناصبة ، وجازمة ، ومهملة غير عاملة ؛ فالجارةُ مكسورة مع الظاهر ؛ وأما قراءة بعضهم : الحمدُ لُله ، فالضمة عارضة للاتباع ؛ مفتوحة مع المضمر إلا الياء . ولها معان :

الاستحقاق ؛ وهي الواقعة بين معنى وذات ؛ نحو : « الحمد لله » . « الملك لله » . «[1] لِلهِ الأمر » . «[2] ويلٌ لِلمُطَفِّفين » . «[3] لهم في الدنيا خِزْيٌ » . « وللكافرين النَّارُ » ؛ أي عذابها .

والاختصاص ؛ نحو : إنّ لَهُ أبا . كان له إخوةٌ .

والملك ؛ نحو : « لَهُ ما فِي السموات وما في الأرْض » .

والتعليل ؛ نحو[4] : « إنه لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيد » ؛ أي وإنه من أجل حُبِّ المالِ لَبَخِيل . «[5] وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ النبيين لِمَا آتيْتُكم من كتابٍ وحِكْمَةٍ ... » الآية ، في قراءة حمزة ، أي لأجل إيتائي إياكم بعضَ الكتاب والحكمة ، ثم لمجيء محمد صلى الله عليه وسلم ، مُصدِّقًا لما معكم لتؤمِنُنّ به ، ولتنصرنّه ، فما مصدرية واللام تعليلية . وقوله[6] : « لإِيلَافِ قُرَيش » . وتعلقها بـ « يعبدوا » . وقيل بما قبله ؛ أي فجعلهم كعَصْفٍ مأكول ، لإيلاف قريش . ورجّح بأنهما في مصحف عثمان سورة واحدة .

وموافقة إلى ؛ نحو[7] : « بأنّ ربّك أوْحى لها » . «[8] كلٌّ يَجْرِي لأجَلٍ مُسَمًّى » .

---

(١) الروم : ٤ (٢) المطففين : ١ (٣) البقرة : ١١٤
(٤) العاديات : ٨ (٥) آل عمران : ٨١ (٦) قريش : ١ ، ٢
(٧) الزلزلة : ٥ (٨) الرعد : ٢

وعلى ؛ نحو[١] : « وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ » . «[٢] دَعَانَا لِجَنْبِهِ » . «[٣] وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ » . «[٤] وإن أَسَأْتُمْ فَلَها » . «[٥] لهم اللعنةُ » ، أي عليهم ، كما قال الشافعي :

وفى ؛ نحو[٦] : « ونَضَعُ الموازِينَ القِسْطَ ليَوْمِ القِيامة » . «[٧] لا يُجَلِّيهَا لوَقْتِها إلا هُو » . «[٨] يا لَيْتَنِي قدَّمْتُ لِحَيَاتِى » ، أى فى حياتى . وقيل هى فيها للتعليل ، أى لأجل حياتى فى الآخرة .

و « عند » فى قراءة الجَحْدَرى[٩] : « بل كذَّبوا بالحقّ لِمَا جاءهم » .

وبعد ، نحو[١٠] : « أَقِمِ الصلاةَ لِدُلُوكِ الشمس » .

وعن ، نحو[١١] : « قالَ الذين كفروا لِلَّذين آمَنُوا لو كان خيراً ما سبقُونا إليه » ؛ أى عنهم [١٤٢ ب] وفى حقهم ، لأنهم خاطبوا به المؤمنين . وإلا لقيل ما سبقتمونا .

والتبليغ ، وهى الجارّة لاسم السامع لقولٍ أو ما فى معناه ، كالإذن .

والصيرورة ، وتسمى لام العاقبة ، نحو[١٢] : « فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ليكون لهم عَدُوًّا وحَزَناً » ، فهذا عاقبة التقاطهم لا علّته ، إذ هى التبنى . ومنع قوم ذلك ، وقالوا : هى للتعليل مجازاً ، لأن كونه عدوا لمّا كان ناشئاً عن الالتقاط وإن لم يكن غَرَضاً لهم ، فنزّل منزلة الغرض على تقدير المجاز . وقال أبو حيان :

---

(١) الإسراء : ١٠٩ (٢) يونس : ١٢ (٣) الصافات : ١٠٣
(٤) الإسراء : ٧ (٥) الرعد : ٢٥ (٦) الأعراف : ١٨٧
(٧) الفجر : ٢٤ (٨) الأنبياء : ٤٧
(٩) أى بكسر اللام وتخفيف الميم — كما فى المغنى .
(١٠) الإسراء : ٧٨ (١١) الأحقاف : ١١ (١٢) القصص : ٨

الذى عندى أنها للتعليل حقيقة ، وأنهم التقطوه ليكون لهم عدوا ، وذلك على حذف مضاف تقديره لمخافة أن يكون ، كقوله[1] : « يُبَيِّنُ اللهُ لكم أن تَضِلوا » ، أى كراهة أن تضلوا .

والتأكيد ، وهى الزائدة أو المقوية للعامل الضعيف لفرعية أو تأخير ، نحو[2] : « رَدِفَ لكم » . «[3] يريدُ اللهُ ليبيِّن لكم » . «[4] وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ » . «[5] فَعَّالٌ لِما يريد » . «[6] إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون » . «[7] وكنّا لِحُكْمِهم شاهِدين » .

والتبيين للفاعل أو المفعول ، نحو[8] : « فتَعْساً لهم » . «[9] هيهات لِما تُوعدون » . «[10] هَيْتَ لك » .

والناصبة هى لام التعليل ، وادعى الكوفيون النصب بها . وقال غيرهم : بأن مقدرة فى محل جر باللام .

والجازمة هى لام الطلب ، وحركتها الكسر . وسُلَيم يفتحونها ، وإسكانها بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها ، نحو[11] : « فلْيَسْتَجِيبوا لى ولْيُؤمِنُوا بى » . وقد تسكن بعد ثُمَّ ؛ نحو[12] : « ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهم » . وسواء

---

(١) النساء : ١٧٦

(٢) النمل : ٧٢ ، وفى المغنى : بل ضمن ردف معنى اقترب .

(٣) النساء : ٢٦ ، وفى المغنى : واختلف فى اللام من نحو : يريد الله ليبين لكم . وأمرنا لنسلم لرب العالمين ، فقيل زائدة ، وقيل للتعليل .

(٤) الأنعام : ٧١ (٥) هود : ١٠٧ (٦) يوسف : ٤٣

(٧) الأنبياء : ٧٨ (٨) محمد : ٨ (٩) المؤمنون : ٣٦

(١٠) يوسف : ٢٣ (١١) البقرة : ١٨٦ (١٢) الحج : ٢٩

كان الطلب أمراً ؛ نحو[١] : « لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ » . أو دُعاء ؛ نحو[٢] : « لِيَقْضِ علينا ربُّك » .

وكذا لو خرجت إلى الخبر ؛ نحو[٣] : « فَلْيَمْدُدْ لهُ الرحمنُ مَدًّا » . «[٤] ولْنَحْمِلْ خطاياكم » . أو التهديد ؛ نحو[٥] : « فمَنْ شاء فليؤمِنْ ومَنْ شاء فَلْيَكْفُرْ » .

وجزمُها فعلَ الغائب كثير ؛ نحو[٦] : فَلْتَقُمْ طائفةٌ منهم معكَ . وليأخُذوا أسلحتَهم . فليكونوا من وَرَائكم . ولتأتِ طائفةٌ . فليُصَلّوا معك .

وفعل المخاطب قليل ؛ ومنه[٧] : « فبذلك فلتفرَحوا » ـ فى قراءة التاء . وفعل المتكلم أقل ؛ ومنه[٨] : « ولنَحْمِلْ خطاياكم » .

° ° °

وغير العاملة أربع :

لام الابتداء ؛ وفائدتها أمران : توكيد مضمون الجملة ؛ ولهذا زحلقوها فى باب إن من صدر الجملة كراهة توالى مؤكدين . وتخليص المضارع للحال .

وتدخل فى المبتدأ ؛ نحو[٩] : « لأنتم أشدُّ رَهْبَةً فى صدورهم من الله » . وفى خبر إن ؛ نحو[١٠] : « إنّ ربى لسميعُ الدعاءِ » . «[١١] إنّ ربك ليَحْكُمُ

---

(١) الطلاق : ٧ (٢) الزخرف : ٧٧ (٣) مريم : ٧٥
(٤) العنكبوت : ١٢ (٥) الكهف : ٢٩ (٦) النساء : ١٠٢
(٧) يونس : ٥٨ (٨) العنكبوت : ١٢ (٩) الحشر : ١٣
(١٠) إبراهيم : ٣٩ (١١) النحل : ١٢٤

بينهم » . «[1] وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم » . واسمها المؤخر ؛ نحو[2] : « إنّ علينا للهُدَى وإن لنا للآخِرَة » .

واللام الزائدة فى خبر أن المفتوحة ، كقراءة سعيد بن جُبير[3] : « إلّا أنهم ليأكلونَ الطّعامَ » . والمفعول ؛ كقوله تعالى[4] : « يدْعو لمن ضَرُّه أقربُ مِنْ نَفْعِه » .

ولام الجواب للقسم أو « لو » أو لولا ؛ نحو[5] : « تاللهِ لقدْ آثرَكَ اللهُ علَيْنا » . «[6] تاللهِ لأكيدَنّ أصنامَكم » . «[7] لو تزَيّلُوا لعذّبْنا » . «[8] ولولا دفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لفسدت الأرْضُ » .

واللام الموطّئة ، وتسمى المُؤْذِنة ؛ وهى الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبنيّ على قَسم مقدّر ؛ نحو[9] : « لئن أُخرِجُوا لا يَخرُجونَ معهم ، ولَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرونَهم ، ولَئِن نصروهم لَيُوَلُّنّ الأدبار » . وخرّج عليه قراءة قوله تعالى[10] : « لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كتابٍ وحِكمة » .

(لا) : على أوجه : أحدها أن تكون نافية ، وهى أنواع :

أحدها ـ أن تعمل عمل إنّ ، وذلك إذا أُريد بها الجنس على سبيل التنصيص ، وتسمى حينئذ تبرئة ، وإنما يظهر نصبها إذا كان اسمها مضافاً أو شبهه ، وإلا فيركّب معها ، نحو : لا إله إلّا الله . لا ريبَ فيه . فإن تكرّرَتْ جاز التركيب والرفع ، نحو :

---

(١) القلم : ٤ (٢) الليل : ١٢ (٣) الفرقان : ٢٠
(٤) الحج : ١٣ (٥) يوسف : ٩١ (٦) الأنبياء : ٥٧
(٧) الفتح : ٢٥ (٨) البقرة : ٢٥١ (٩) الحشر : ١٢
(١٠) آل عمران : ٨١

«(1) فلا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدَالَ» . و«(2) لا بَيْعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شَفَاعةٌ» .
«(3) لا لَغْوٌ فيها ولا تَأْثِيمٌ » .

ثانيها ــ أن تعمل عمل ليس ؛ نحو(4) : « ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلّا فى كتابٍ مُبِينٍ » .

ثالثها ورابعها ــ أن تكون عاطفة أو جوابية . ولم يقعا فى القرآن .

خامسها ــ أن تكون على غير ذلك ؛ فإن كان ما بعدها جملة اسمية صدرُها معرفةٌ أو نكرة ولم تعمل فيها ، أو فعلا ماضياً لفظاً أو تقديراً وجب تكرارها ، نحو(5) : « لا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لها أنْ تُدْرِكَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ » .
« (6) لا فيها غَوْلٌ ولا هُمْ عنها يُنزَفُون » . «(7) فلا صَدَّقَ ولا صَلَّى » .

أو مضارعاً لم يجب(8) ، نحو(9) : « لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ [١٤٣] بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلّا مَنْ ظُلِمَ » . «(10) قُلْ لا أسألُكم عليه أجرا » .

وتعترض « لا » هذه بين الناصب والمنصوب ، نحو : لئلا يكون للناس .
والجازم والمجزوم ؛ نحو : « إلّا تفعلوه » .

والوجه الثانى : أن تكون لطلب التَّرْك ، تختص بالمضارع ، وتقتضى جزْمه واستقباله ، سواء كان نهياً ، نحو(11) : « لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى » .
«(12) لا يَتَّخِذِ المؤمنون الكافرين » . «(13) ولا تَنْسَوا الفَضْلَ بينكم » ، أو دعاء ، نحو : « لا تؤاخذنا » .

(1) البقرة : ١٩٧ (2) البقرة ٢٥٤ (3) الطور : ٢٣
(4) يونس : ٦١ (5) يس : ٤٠ (6) الصافات : ٤٧
(7) القيامة : ٣١ (8) أى لم يجب تكرارها . (9) النساء : ١٤٨
(10) الأنعام : ٩٠ (11) الممتحنة : ١ (12) آل عمران : ٢٨
(13) البقرة : ٢٣٧

الثالث : التأكيد ، وهى الزائدة ، نحو[1] : « ما منعك ألا تسجد » ، « ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن »[2] . « لئلا يعلم أهل الكتاب »[3] ، أي ليعلموا . قال ابن جنى : لا هنا مؤكدة قائمة مقام إعادة الجملة مرة أخرى .

واختلف فى قوله[4] : « لا أقسم بيوم القيامة » ؛ فقيل زائدة ، فائدتها مع التوكيد التمهيد لنفى الجواب ، والتقدير : لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى . ومثله[5] : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك » . ويؤيده قراءة لأقسم . وقيل : لا نافية لما تقدم عنهم من إنكار البعث ، فقيل لهم : ليس الأمر كذلك ، ثم استؤنف القسم . قالوا : وإنما صح ذلك لأن القرآن كله كالسورة الواحدة ، ولذا يذكر الشىء فى سورة وجوابه فى سورة أخرى ؛ نحو : « وقالوا[6] : يأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون » . « ما أنت بنعمة ربك بمجنون »[7] .

وقيل : منفيها أقسم على أنه إخبار لا إنشاء . واختاره الزمخشرى[8] ؛ قال : والمعنى فى ذلك أنه لا يقسم بالشىء إلا إعظاماً له ، بدليل[9] : « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » ، فكأنه قيل : إن إعظامه بالإقسام به كلا إعظام ؛ أى أنه يستحق إعظاماً فوق ذلك .

واختلف فى قوله[10] : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم

---

(١) الأعراف : ١٢ (٢) طه : ٩٢ (٣) الحديد : ٢٩

(٤) القيامة : ١ (٥) النساء : ٦٥ (٦) الحجر : ٦

(٧) القلم : ٢

(٨) فى الكشاف (٢ ـ ٤٧٩) : يتعلق بمجنون منفياً ، كما يتعلق بعاقل مثبتاً فى قولك : أنت بنعمة الله عاقل مستوياً فى ذلك الإثبات والنفى .

(٩) الواقعة : ٧٥ (١٠) الأنعام : ١٥١

أَلَّا تُشْرِكُوا به شيئاً » ؛ فقيل نافية . وقيل ناهية . وقيل زائدة . وفي قوله[1] : « وحَرَامٌ على قَرْيَةٍ أهلكناها أنّهم لا يرجعون » ؛ فقيل : زائدة . وقيل نافية . والمعنى ممتنع عدم رجوعهم إلى الآخرة .

تنبيه

تَرِدُ « لا » اسماً بمعنى غير ، فيظهر إعرابُها فيما بعدها ؛ نحو[2] : « غَيْرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالّين » . «[3] لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ » . «[4] لَا فَارِضٌ ولا بِكْرٌ » .

فائدة

قد تحذف ألفُها ، وخرّج عليه ابنُ جني[5] : « واتقُوا فِتْنَةً لَتُصِيبَنَّ الذين ظَلَمُوا منكم خَاصَّةً » .

(لات) : اختلف فيها ؛ فقال قوم : فعل ماض بمعنى نقص . وقيل أصلها ليس[6] ، تحركت الياء فقُلبت ألفاً لانفتاح ما قبلها ، وأبدلت السين تاء . وقيل هي كلمتان : لا النافية زيدت عليها التاء لتأنيث الكلمة ، وحركت لالتقاء الساكنين ، وعليه الجمهور . وقيل هي لا النافية والتاء زائدة في أول الحين . واستدل له أبو عبيدة بأنه وجدها في مصحف عثمان مختلطة بحين في الخط .

واختُلف في عملها ؛ فقال الأخفش : لا تعمل شيئاً ؛ فإن تلاها مرفوع فمبتدأ

---

(١) الأنبياء : ٩٥ (٢) الفاتحة : ٦ (٣) الواقعة : ٣٣

(٤) البقرة : ٦٨ (٥) الأنفال : ٢٥ ، أي في قراءتها كذلك . وقراءة حفص : لتصيبن .

(٦) بكسر الياء : المغني (١ — ١٩٨) .

وخبر ، أو منصوب بفعلٍ محذوف ؛ فقوله تعالى[1]: « ولاتَ حينُ » ـ بالرفع، أي كائن لهم . وبالنصب أي لا أرى حينَ مناص .

وقيل تعمل عمل إن .

وقال الجمهور : تعمل عمل ليس ؛ وعلى كلِّ قول لا يُذكر بعدها إلا أحد المعمولين ، ولا تعمل إلا في لفظ الحين . قيل : أو ما رَادَفَهُ . قال الفراء : وقد تستعمل حرف جر لأسماء الزمان خاصة . وخرّج عليه قراءة : ولات حينِ — بالجر .

(لا جَرَم) : وردت في القرآن في خمسة[2] مواضع متلوّة بأنّ واسمها ، ولم يجئْ بعدها فعلٌ . واختلف فيها ؛ فقيل : لا نافية لما تقدّم ، و « جَرَمَ » فعل معناه حقّ ، وأن مع ما في حَيّزها[3] فاعله .

وقيل : زائدة ، و « جرم » معناه كسب ، أي كسب لهم عملهم الندامة ، وما في حيّزها في موضع نصب .

وقيل: هما كلمتان ، رُكِّبتا وصار معناها حقا . وقيل معناها لا بد ، وما بعدها في موضع نصب بها بإسقاط حرف الجرّ .

(لكنّ) — مشدّدة النون : حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر . ومعناه الاستدراك ، وفُسِّرَ بأن ينسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها ، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلامٌ مخالف لما بعدها أو مناقض له ؛ نحو[4] : « وما كفر سُليمان ولكنَّ الشياطينَ كفرُوا » .

---

(١) ص : ٣ (٢) الأول في هود ، وثلاثة في النحل ، والخامس في غافر .
(٣) في ب : حيزه . والمثبت في الإتقان (٢ ـ ٢٣١) ، والبرهان : ٤ ـ ٣٦٢
(٤) البقرة : ١٠٢

وقد ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك ؛ قاله صاحب البسيط ، وفسر الاستدراك [١٤٣ ب] برفع ما توهم ثبوته ؛ نحو : ما زيد شجاع ، لكنه كريم ؛ لأن الشجاعة والكرم لا يكادان يفترقان ، فنفيُ أحدهما يوهم نفي الآخر . ومثّل للتوكيد بنحو : لو جاءني أكرمته ، لكنه لم يجيء ، فأكدت ما أفادته « لو » من الامتناع .

واختار ابنُ عصفور أنها لهما معاً ، وهو المختار ، كما أن كأن للتشبيه المؤكد ، ولهذا قال بعضهم : إنها مركبة من لكن أن فطُرحت الهمزة للتخفيف ونون لكن للساكنين .

(لكنْ) — مخففة : ضربان :

أحدها — مخففة من الثقيلة ، وهي حرفُ ابتداء لا تعمل ، بل لمجرد إفادة الاستدراك ، وليست عاطفة لاقترانها بالعاطف في قوله : « ولكِنْ كانُوا هُم الظالمين » .

والثاني — عاطفة إذا تلاها مُفرد ، وهي أيضا للاستدراك ، نحو[1] : « لكِنِ اللهُ يشهَدُ بما أنزل إليك » . «[2] لكِنِ الرسولُ » . «[3] لكِنِ الذين اتَّقَوْا ربَّهم » .

ويأتي لدى ، ولَدُن ، عند حرف العين في « عند » .

(لعلَّ) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر . وله معان ؛ أشهرها التوقع ، وهو الترجِّي في المحبوب ، نحو : « لعلَّكم تُفلحون » . والإشفاق في المكروه ، نحو[4] : « لعلَّ الساعةَ قريب » . وذكر التنوخي أنها تفيد توكيد ذلك .

---

(١) النساء : ١٦٦ (٢) التوبة : ٨٨ (٣) آل عمران : ١٩٨

(٤) الشورى : ١٧

الثانى : التعليل ، وخرّج عليه[1] : « فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لعلَّهُ يتذَكَّرُ أو يَخْشَى » .

الثالث : الاستفهام ، وخرّج عليه[2] : « لا تَدْرِى لعلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلك أمْراً » . «[3] وما يُدْرِيكَ لعلهُ يَزَّكى » . ولذا علق « يدرى » .

قال فى البرهان[4] : وحكى البغوى عن الواقدى أن جميع ما فى القرآن من « لعل » فإنها للتعليل ، إلا قوله تعالى[5] : « لعلكم تَخْلُدُون » ، فإنها للتشبيه ، قال : وكونها للتشبيه غريب لم يذكره النحاة ، ووقع فى صحيح البخارى فى قوله : « لعلكم تَخْلُدون » - أن لعل للتشبيه . وذكر غيره أنها الرجاء المحض ، وهو بالنسبة إليهم .

قلت : أخرج ابن أبى حاتم من طريق السدى عن أبى مالك ، قال : « لعلكم » فى القرآن بمعنى « كى » ، غير آية فى الشعراء : «[5] لعلكم تَخْلُدون » ، بمعنى كأنكم تَخْلُدون .

وأخرج عن قتادة قال : كان فى بعض القراءة : وتَتخِذونَ مصانِعَ كأنكم خالدون .

(لم) : حرف جزم لنفى المضارع وقلبه ماضياً ؛ نحو[6] : « لم يَلِدْ ولم يُولَدْ » . والنصب بها لغة - حكاه اللحيانى . وخرّج عليه قراءة : ألم نشرحَ .

---

(١) طه : ٤٤ (٢) الطلاق : ١ (٣) عبس : ٣

(٤) البرهان : ٤ - ٣٩٤ (٥) الشعراء : ١٢٩ (٦) الإخلاص : ٣

(لما) : على أوجه : أحدها ـ أن تكون حرف جزم ، فتختصّ بالمضارع وتنفيه وتقلبه ماضياً ، كلم ، لكن يفترقان من أوجه :

أحدها ـ أنها لا تقترن بأداة شرط ، ونفيها مستمر إلى الحال أو قريب منه ، ومتوقع ثبوته .

قال ابن مالك في : «[1] لما يَذُوقُوا عَذَاب» : المعنى لم يذوقوه ، وذَوْقه لهم متوقّع .

وقال الزمخشري[2] في[3] : « ولَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قلوبكم » ـ ما في « لَمَّا » بمعنى[4] التوقع ، دالٌّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعدُ ، وإن نفيها آكد من نفي لم ؛ فهي لنفي قد فعل ، ولم لنفي فَعَل ؛ ولهذا قال الزمخشري في الفائق تبعاً لابن جني : إنها مركبة من « لم » و « ما » ، وإنهم لما[5] زادوا في الإثبات « قد » زادوا في النفي «ما» ، وإن منفي[6] لما جائز الحذف اختياراً ، بخلاف لم ، وهي أحسنُ ما يخرج عليه[7] : « وإن كُلا لمَّا ليُوَفِّيَنَّهُم ربك أعمالهم » ؛ أي لما يُهملوا أو يتركوا ؛ قاله ابن الحاجب .

قال ابن هشام[8] : ولا أعرف وجهاً في الآية أشبه من هذا ، وإن كانت النفوسُ تستبعده ؛ لأن مثله لم يقع في التنزيل . قال : والحق ألَّا يُستبعد ، لكن الأولى أن يقدر لما يوفوا أعمالَهم ، أي أنهم إلى الآن لم يوفوها وسيوفّوها .

---

(١) ص ـ ٨ (٢) الكشاف : ٤ ـ ٢٩٩ (٣) الحجرات : ١٤

(٤) في المغني (١ ـ ٢١٤) : من معنى التوقع .

(٥) في البرهان ٤ ـ ٣٧١ : تقول (قام زيد ، فيقول المجيب بالنفي) لم يقم (فإن قلت) قد قام . قلت : لما يقم ، لما زاد في الاثبات قد زاد في النفي ما .

(٦) في البرهان : يجوز الوقف عليها دون مجزومها .

(٧) هود : ١١١ . (٨) في المغني (١ ـ ٢١٤) .

الثاني – أن تدخل على الماضي، فتقتضي جملتين، وُجدت الثانية عن وجود الأولى؛ نحو[1]: «فلما نجّاكُمْ إلى البر أعْرَضْتُمْ».

ويقال فيها حرف وجود لوجود. وذهب جماعة إلى أنها حينئذ ظرف بمعنى حين. وقال ابن مالك: بمعنى إذْ، لأنها مختصة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة. وجواب هذه يكون ماضياً كما تقدم، وجملة اسمية بالفاء أو بإذا الفجائية؛ نحو[2]: «فلما نَجّاهُمْ إلى البَرّ فمنهم مُقْتَصِــــد». «[3] فلما نَجّاهم إلى البَرّ إذا هم يُشْرِكُون». وجوّز ابن عصفور كونه مضارعاً؛ نحو[4]: «فلما ذهب [١٤٤ ب] عن إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وجاءَتْهُ البُشْرَى يُجَادِلنا». وأوّله غيْرُه بـ «جادَلَنا».

الثالث – أن تكون حرف استثناء، فتدخل على الاسمية والماضية؛ نحو[5]: «إنْ كُلُّ نَفْسٍ لمّا عَلَيْهَا حافِظٌ» – بالتشديد، أي «إلّا». «[6] وإنْ كُلُّ ذلك لمّا متاعُ الحياةِ الدنيا».

(لن): حرف نصب ونَفْيٍ واستقبال. والنفي بها أبلغُ من النفي بلا، فهي لتأكيد النفي، كما ذكره الزمخشري وابن الخباز، حتى قال بعضهم: إن منعه مكابرة، فهي لنفي «إني أفعل»، و«لا» لنفي «أفعل»، كما في لم، ولما. قال بعضهم: العرب تنفي المظنون بِلَن والمشكوك بلا. ذكره ابن الزّملكانيّ في التبيان، وادّعى الزمخشري أيضاً أنها لتأبيد النفي؛ كقوله تعالى[7]: «لن

---

(١) الإسراء: ٦٧ (٢) لقمان: ٣٢ (٣) العنكبوت: ٦٥
(٤) هود: ٧٤ (٥) الطارق: ٤ (٦) الزخرف: ٣٥
(٧) الحج: ٧٣

يَخْلُقُوا ذُبَابًا » . ولن تفعلوا . قال ابن مالك : وحمله على ذلك اعتقاده فى « لن تَرَانِى » أنّ الله لا يُرى .

وردّه غيره بأنها لو كانت للتأبيد لم يقيّد منفيها باليوم فى[1] : « لن أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنسيًا » ، ولم يصح التوقيت فى[2] : « لن أَبْرَحَ الأرض حتى يأذن لى أبى » . « [3] لن نَبْرَحَ عليه عاكِفين حتى يرجعَ إلينا موسى » ، ولكان ذكر الأبد فى[4] : « لن يتمنّوه أبدا » ـ تكرار . والأصل عدمه . واستفادة التأبيد فى[5] : « لن يَخْلُقوا ذُبَابا » ونحوه ، من خارج .

ووافقه على إفادة التأبيد ابن عطية . وقال فى قوله : لن ترانى : لو أبقينا على هذا النفى لتضمن أن موسى لا يراه أبدا ولا فى الآخرة ، لكن ثبت فى الحديث المتواتر أن أهل الجنة يرونه .

وعكس ابن الزملكانى مقالة الزمخشرى ، فقال إن « لن » لنفى ما قرب وعدم امتداد النفى ؛ و « لا » يمتد معها النفى . قال : وسرُّ ذلك أن الألفاظ مشاكلة للمعانى ، ولأن آخرها الألف فاللام[6] يمكن امتداد الصوت بهما بخلاف النون ، فطابق كلٌّ لفظ معناه . قال : ولذلك أتى بلن حيث لم يرد به النفى مطلقاً ، بل فى الدنيا حيث قال : لن ترانى ، وبلا فى قوله : « لا تُدْرِكه الأبصار » حيث أراد نفى الإدراك على الإطلاق . وهو مُغَاير للرؤية .

وترِدُ للدعاء ، وخرج عليه[7] : « ربِّ بما أنعمْتَ علَىَّ فَلَنْ أكونَ ظَهِيراً للمُجْرِمين » .

---

(١) مريم : ٢٦ (٢) يوسف : ٨٠ (٣) طه : ٩١

(٤) البقرة : ٩٥ (٥) الحج : ٧٣

(٦) فى الإتقان (٢ ـ ٢٤٦) : والألف يمكن امتداد الصوت بها .

(٧) القصص : ١٧

(لو) : حرف شرط فى المضى تَصْرِف[1] المضارعَ إليه ، بعكس « إن » الشرطية .

واختلف فى إفادتها الامتناع ، وكيفية إفادتها إياه على أقوال :

أحدها — أنها لا تفيده بوجه ، ولا تدل على امتناع الشرط ولا امتناع الجواب ؛ بل هى لمجرد رَبْطِ الجواب بالشرط دالة على التعليق فى المضى ، كما دلت إن على التعليق فى المستقبل ، ولم تدل بالإجماع على امتناع ولا ثبوت .

قال ابن هشام[2]: وهذا القول كإنكار الضروريات؛ إذ فَهْمُ الامتناع منها كالبديهى ؛ فإن كل من سمع «لو فعل» فَهِمَ عدم وقوع الفعل من غير تردد ؛ ولهذا جاز استدراكه ، فتقول : لو جاء زيد لأكرمته لكنه لم يجئ .

الثانى — وهو لسيبويه ، قال : إنها حرف لِمَا كان سيقع لوقوع غيره ؛ أى أنها تقتضى فعلا ماضياً كان يُتوقع ثبوته لثبوت غيره ، والمتوقع غير واقع ؛ فكأنه قال : حرف يقتضى فعلا امتنع لامتناع ما كان يثبت لثبوته .

الثالث — وهو المشهور على ألسنة النحاة ومشى عليه المعربون — أنها حرف امتناع لامتناع ؛ أى يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط ؛ فقولك : « لو جئت لأكرمتك » دالٌّ على امتناع الإكرام لامتناع المجىء .

واعترض بعدم امتناع الجواب فى مواضع كثيرة ؛ كقوله تعالى[3]: «ولو أنَّ ما فى الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقلامٌ والبَحْرُ يَمُدُّه مِنْ بَعْدِهِ سبعةُ أبْحُرٍ ما نَفِدت كلماتُ الله » . «[4] ولو أسمعهم لتَوَلَّوْا وهم مُعْرِضون » ؛ فإن عدم النفاد عند فَقْد ما ذكر ، والتولِّى عند عدم الإسماع أولى .

---

(١) فى الإتقان (٢ — ٢٣٦) : يصرف . (٢) المغنى : ١ — ٢٠٠

(٣) لقمان : ٢٧ (٤) الأنفال : ٢٣

الرابع ـ وهو لابن مالك ـ أنها حرف يقتضي امتناع ما يليه و[1] استلزامه لتاليه من غير تعرُّض لنفي التالي ؛ قال : فقيام زيد في قولك : لو قام زيد لقام عمرو محكوم بانتفائه ، وبكونه مستلزماً ثبوته لثبوت قيام عَمْرو . وهل لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد أو ليس له ؟ لا تعرُّض لذلك . قال ابن هشام[2] : وهذه أجودُ العبارات .

فـوائد

الأولى : أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحّاك عن ابن عباس ، قال : كل شيء في [١٤٥ ا] القرآن « لو » فإنه لا يكون أبداً .

الثانية : تختص « لو » المذكورة بالفعل . وأما نحو[3] : « قل لو أنتُم تملكونَ خزائِنَ رحمة ربِّي إذاً لأمْسَكْتُم » فعلى تقديره[4] .

قال الزمخشري : وإذا أوقعت أن بعدها وجب كَوْن خبرها فعلا ، ليكون عوضاً عن الفعل المحذوف .

وردّه ابن الحاجب بآية : ولو أن ما في الأرض . وقال : إنما ذلك إذا كان مشتقا لا جامدا . ورده ابن مالك بقوله :

لو أنّ حيًّا مدرك الفلاح أدركه مُلاعِبُ الرّماح

قال ابن هشام[5] : وقد وجدتُ آيةً في التنزيل وقع فيها الخبر اسماً مشتقا ولم ينتبه لها الزمخشري، كما لم ينتبه لآية لقمان ؛ ولا ابن الحاجب، وإلا لما منع ذلك،

---

(١) في ا : أو .
(٢) المغني : ١ ـ ٢٠٣
(٣) الإسراء : ١٠٠
(٤) أي على تقدير الفعل
(٥) المغني : ١ ـ ٢٧٠

ولا ابن مالك وإلّا لما استدل بالشعر ؛ وهى قوله تعالى[1] : « يَوَدوا لو أنهم بَادُونَ فى الأعراب» . ووجدتُ آيةَ الخبر فيها ظرف ؛ وهى[2]: « لو أنّ عندنا ذِكراً من الأوّلين » .

وردّ ذلك الزركشى فى البرهان[3] وابن الدماميني — بأنّ «لو» فى الآية الأولى للتمنى ، والكلام فى الامتناعية . وأعجب من ذلك أن مقالة الزمخشرى سبقه إليها السِّيرافىّ . وهذا الاستدراك وما استدرك به منقول قديما فى شرح الإيضاح لابن الخباز ، لكن فى غير مظنته ؛ فقال فى باب « إنّ وأخواتها » : قال السِّيرافى تقول : لو أن زيداً قام لأكرمته . ولا يجوز لو أن زيداً حاضر لأكرمته ؛ لأنك لم تلفظ بفعل يسد مسدّ ذلك الفعل . هذا كلامه . وقد قال الله تعالى[4] : « وإن يأتِ الأحزابُ يَوَدوا لو أنهم بادُونَ فى الأعراب » . فأوقع خبرها صفة ؛ ولهم أن يفرِّقوا بأن هذه للتمنى فأجريت مجرى ليت ، كما تقول ليتهم بادون . انتهى كلامه .

وجواب لو إما مضارع منفى بلم أو ماض مثبت أو منفى بما . والغالب على المثبت دخول اللام عليه ، نحو[5]: « لو نشاء لجعلناه حُطاما » . ومِنْ تجرده[6]: « لو نَشاءُ جعلناهُ أجاجا » . والغالب على المنفى تجرّده ؛ نحو[7] : « ولو شاء رَبُّكَ ما فَعَلُوه » .

الثالثة : قال الزمخشرى : الفرق بين قولك : لو جاءنى زيد أكرمته . ولو زيد جاءنى لكسوته . ولو أن زيدا جاءنى لكسوته — أن القصد فى الأولى

---

(١) الأحزاب : ٢٠ (٢) الصافات : ١٦٨ (٣) البرهان : ٤ — ٣٧٠
(٤) الأحزاب : ٢٠ (٥) الواقعة : ٦٥ (٦) الواقعة : ٧٠
(٧) الأنعام : ١١٢

مجرد ربط الفعلين وتعليق أحدهما بصاحبه لا غير ، مِنْ غَيْرِ تعرض لمعنى زائد على التعلق الساذج . وفى الثانى انضم إلى التعليق أحدُ معنيَيْن ؛ إما نفى الشك والشبهة ، وأن المذكور مكسو لا محالة . وإما بيان أنه هو المختص بذلك دون غيره . ويخرّج عليه آية[1] : « قل لو أنتم تملِكُون » . وفى الثالث مع ما فى الثانى زيادة التأكيد الذى تعطيه « أنّ » ، وإشعار بأن زيداً كان حقه أن يجىء وأنه بتركه المجىء قد أغفل حظّه . ويخرج عليه[2] : « ولو أنهم صَبَرُوا » ، ونحوه . فتأمل ذلك . وخرج عليه ما وقع فى القرآن من أحد الثلاثة .

تنبيـــه

ترد « لو » شرطية فى المستقبل ، وهى التى يصلح موضعها إنْ ؛ نحو[3] : «ولو كَرِهَ المشركون» . «[4] ولو أعجبكَ حُسْنُهُنّ » .

ومصدرية ، وهى التى يصلح موضعها أنّ المفتوحة ، وأكثر وقوعها بعد « ودّ » ونحوه ؛ نحو[5] : « وَدّ كثير من أهل الكتاب لو يَرُدّونكم » . «[6] يود أحَدُهم لو يُعَمّرُ ألفَ سنة » . «[7] يَوَدّ المجرمُ لو يَفْتَدِى مِنْ عذابِ يَوْمئذٍ ببَنِيه » . أى يود التعمير والافتداء[8] .

---

(١) الاسراء : ١٠٠ (٢) الحجرات : ٥ (٣) التوبة : ٣٣
(٤) الأحزاب : ٥٢ (٥) البقرة : ١٠٩ (٦) البقرة : ٩٦
(٧) المعارج : ١١
(٨) فى البرهان : ٤ — ٣٧٤ : ولم يذكر الجمهور مصدرية لو ، وتأولوا الآيات الشريفة على حذف مفعول « يود » ، وحذف جواب « لو » ، أى يود أحدهم طول العمر لو يعمر ألف سنة كره ذلك . وانظر كذلك المغنى (١ — ٢٠٦) ، إذ قال : ولاخفاء بما فى ذلك من التكلف .

وللتمني ، وهي التي يصلح موضعها ليت ، نحو[1] : « فلو أنَّ لنا كَرَّةً فنكونَ » . ولهذا نُصب الفعل في جوابها .

والتعليل ، وخرج عليه[2] : « ولَوْ عَلَى أنفسكم » .

(لولا) على أوجه :

أحدها — أن تكون حرف امتناع لوجود ، فتدخل على الجملة الاسمية ويكون جوابها فعلا مقرونًا باللام إن كان مثبتًا ، نحو[3] : « فلولا أنه كان من المُسَبِّحِين . للبث » . ومجردًا منها إنْ كان منفيا ؛ نحو[4] : « ولولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورَحْمَتُه ما زَكَى منكم من أحدٍ أبدا » . وإن وليها ضمير فحقُّه أن يكون ضمير رَفْع ؛ نحو[5] : « لولا أَنْتُم لكنّا مؤمنين » .

الثاني — أن تكون بمعنى هلاّ ، فهي للتحضيض والعَرْض في المضارع أو ما في تأويله ؛ نحو[6] : « لولا تستغفِرونَ اللهَ لعلّكم تُرْحَمُون » . «[7] لولا أخّرْتَني إلى أجَلٍ قَرِيب » .

وللتوبيخ والتنديم في الماضي ؛ نحو[8] : « لولا جاءُوا عليه بأربعةِ شُهداءَ » . «[9] فلولا نَصَرهم الذين اتّخَذُوا مِنَ دون الله قُرْبانا آلهة » . «[10] ولولا إذ سمِعْتُموه قلْتُم » . «[11] فلولا إذ جاءهم بَأْسُنَا تضَرّعُوا » . «[12] فلولا إذا بلغَت الحلْقوم » . «[13] فلولا إنْ كُنْتُم غَيْرَ مَدِينين » [١٤٥ ب] .

---

(١) الشعراء : ١٠٢ (٢) النساء : ١٣٥ (٣) الصافات : ١٤٣، ١٤٤
(٤) النور : ٢١ (٥) سبأ : ٣١ (٦) النمل : ٤٦
(٧) المنافقون : ١٠ (٨) النور : ١٣ (٩) الأحقاف : ٢٨
(١٠) النور : ١٦ (١١) الأنعام : ٤٣ (١٢) الواقعة : ٨٣
(١٣) الواقعة : ٨٦

الثالث ـ أن تكون للاستفهام ؛ ذكره الهروى ، وجعل منه[1] : « لولا أخَّرْتَنِى » . «[2] لولا أُنزِلَ عليه مَلَكٌ » . والظاهر أنهما فيهما بمعنى هلاَّ[3] .

الرابع ـ أن تكون للنفى ؛ ذكره الهروى أيضا ، وجعل منه[4] : « فلولا كانت قريةٌ آمَنَتْ فنفعَها إيمانُها » ؛ أى فما آمنت قرية ؛ أى أهلها عند مجىء العذاب فنفعَها إيمانها . والجمهور لم يُثبتوا ذلك ، وقالوا : المراد فى الآية التوبيخ على ترك الإيمان قبل مجىء العذاب . ويؤيِّدُه قراءة أُبَىّ : فَهَلَّا . والاستثناء حينئذ منقطع .

فائدة

نُقِل عن الخليل أن جميع ما فى القرآن من «لولا» فهى بمعنى هلا، إلا[5] : « فلولا أنه كانَ مِنَ المُسَبِّحِين » . وفيه نظر لما تقدّم من الآيات . وكذا قوله[6] : « لولا أنْ رأى بُرْهَانَ رَبِّهِ » : « لولا » فيه امتناعية جوابُها محذوف ؛ أى لهمّ بها ، أو لواقعها . وقوله[7] : « لولا أنْ مَنَّ اللهُ علينا لخسفَ بنا » . وقوله[8] : « لولا أنْ ربطْنَا على قَلْبِها » ؛ أى لأبْدَتْ به ، فى آيات أخرى .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا موسى الخطمى ، حدثنا هارون بن أبى حاتم ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى[9] حماد ، عن أسباط ، عن السدى ، عن أبى مالك ، قال :

---

(١) المنافقون : ١٠ (٢) الأنعام : ٨

(٣) فى البرهان (٤ — ٣٧٨) : والظاهر أن الأولى للعرض ، والثانيـة مثل : لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء . أى للتوبيخ والتنديم .

(٤) يونس : ٩٨ (٥) الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤

(٦) يوسف : ٢٤ (٧) القصص : ٨٢ (٨) القصص : ١٠

(٩) فى الإتقان : عبد الرحمن بن حماد .

كل ما فى القرآن « فلولا » فهو : « فهلاَّ » ، إلا حرفين : فى يونس[1] : « فلولا كانَتْ قرية آمنَتْ فنفَعَها إيمانُها » ؛ يقول : فما كانت قرية . وقوله[2]: « فلولا أنَّه كان من المسبِّحين » .

وبهذا يتضح مرادُ الخليل ؛ وهو أن مراده « لولا » المقرونة بالفاء .

(لَوْمَا) : بمنزلة لولا . قال تعالى[3] : « لَوْمَا تأْتينا بالملائكة » . وقال المالقى : لم ترد إلَّا للتحضيض .

(ليت) : حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ، معناه التمنى . وقال التنوخى : إنها تفيد تأكيده .

(ليس) : فعل جامد ؛ ومن ثَمَّ ادَّعى قوم حرفيته ، ومعناه نفى مضمون الجملة فى الحال ، وينفى[4] غيره بالقرينة . وقيل : هى لنفى الحال وغيره . وقوَّاهُ ابن الحاجب بقوله تعالى[5] : « ألَا يَوْمَ يأْتيهم ليس مَصْرُوفاً عنهم » ؛ فإنه نفى للمستقبل .

قال ابن مالك : وترد للنفى العامّ المستغرق المراد به الجنس ، كلا التبرئة ؛ وهو مما يُغفل عنه ، وخرَّج عليه[6] : « ليس لهم طعامٌ إلَّا مِنْ ضَرِيع » .

---

(١) يونس : ٩٨ (٢) الصافات : ١٤٣ (٣) الحجر : ٧
(٤) فى الإتقان : وننفى غيره . (٥) هود : ٨ (٦) الغاشية : ٦

حرف الميم

نبينا ومولانا (محمد) صلى الله عليه وسلم : سمّاه الله فى القرآن بأسماء كثيرة ، وقد قدمنا أنه تعالى اشتق له من اسمه سبحانه نحو السبعين ، واختلف هل تُحْصَى أسماؤه ؟ والصحيح : لا تحصى أسماء الله وأسماءُ رســـوله ؛ لأن كمالاتهما لا حَصْرَ لهما . ومِنْ أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآن المُعْجِز للخلق عن الإتيان بمثله ؛ فعلومه منه أجمع ، وورثت أمته من علومه ما هو أوفر وأسطع ، فأجورهم وأنوارهم مِنْ بركته صلى الله عليه وسلم لامعة ؛ وقد ستر الله عليهم ما لم يقبل من عملها ، ولم تعاجل عصاتُها ، فهم خير أمة وأقل عملا ، وصفوتهم كالملائكة ، وهم ثلثا أهل الجنة ، ويدخل الجنة منهم سبعون ألفاً بغير حساب ، ومع كلٍّ واحد منهم سبعون ألفا وثلاث حثيات تفضُّلا منه وامتنانا ، وهذه لا يُدْرَى ما عددها ، وهم أولُ مَنْ يُقضى لهم ، ويدخل الجنة ، نسأل الله بجاهه أن يهب لنا الحياة بسنته والوفاة على مِلّته .

واعلم أن كل كمال فى الخلق ظاهراً أو باطناً فقد جمعه صلى الله عليه وسلم بأكمل مزيد مع ما تفرّد به ، ورؤيتُه صلى الله عليه وسلم بمنام تعريف منه تعالى بمثالٍ له شكلٌ ولَوْنٌ وصورةٌ ، والروح منزّه عن ذلك . وكل من تراه فى المنام إنما هو مثال محسوس لا رُوحه وجسده ، وقوله صلى الله عليه وسلم : من رآنى فى المنام فقد رآنى ؛ أى كأنه . وفى رواية فى الصحيح : فكأنما رآنى . فالرؤيا واسطة بينه وبين أمّته تعريفاً منه تعالى . قيل للأرواح قوة التشكل كالملائكة والجن بما لا يخفى ؛ نحو[1] : « فتمثّل لها بشرًا سويًا » . وكتمثّل جبريل

---

(١) مريم : ١٧

عليه السلام بصورة دِحْيَة الكلبي ؛ وهذا للخاصة ولغيرهم تعريف بمثال ، ولا يجب العمل بمنام لعدم ضبط الرائي ؛ ومتى صدقت الرؤيا فحقٌّ ، وحقيقة تعبيرها هو نظر في المناسبات ؛ كتمثيل السلطان في المنام بالشمس والسبع ، والوزير بالقمر لنوع مناسبة ؛ فافهم .

فإن قلت : أين تكون روح جبريل حين يَلْقَى نبيَّنا ومولانا [١٤٦ ب] محمد صلى الله عليه وسلم ؛ هل في الجسد الذي يشبه دِحْيَة ، أو في الجسد الذي خُلق عليه ، وله ستمائة جناح ؟ فإن كانت في الجسد الأعظم فمن الذي أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أمن جهة روحه أو من جهة جسده ؟ وإن كانت في الجسد المشبّه بجسد دِحْيَة فهل يموت الجسد الذي له ستمائة جناح كموت الأجساد التي فارقتها الأرواح ، أم يبقى خالياً من الروح المنتقل منه إلى الجسد المشبه بجسد دِحْيَة الكلبي؟

قلت : لا يبعد أن يكون انتقالها من الجسد الأول غير موجب لموته ، فيبقى؛ لأن موت الأجسام بمفارقة الأرواح ليس واجباً عقلًا كذلك الجسد ، حتى لا ينقص من معارفه وطاعاته شيء ، ويكون انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال أرواح المؤمنين إلى أجْوَافِ الطير الخضر ؛ إذ ليس موتُ الأجساد بمفارقة الأرواح واجباً في العقل ؛ وإنما هو بِعادَةٍ مُطَّرِدة أجراها اللهُ تعالى في أرواح بني آدم ، وانتقالُ أرواح الشهداء إلى أجواف الطير الخُضْر مشتبه بما يقوله أهل التناسخ . والأرواح كلُّها تنتقل يوم القيامة إلى هذه الأجساد ، لكنها تعظم حتى يصير ضِرْسُ الكافر مثل أُحُد ، وغِلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام ، ومقعده كما بين مكّة إلى المدينة ، وأجساد المؤمنين على هيئة جسد آدم ستون ذراعاً في السماء ، فما الديار الديار ، ولا الخيام الخيام .

(موسى عليه السلام) : هو ابن عِمْران بن يَصْهر بن قاهث بن لاوى ابن يعقوب عليه السلام ، لا خلاف فى نسبه ؛ وهو اسم سُرْيانى .

وأخرج أبو الشيخ ، من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إنما سمى موسى لأنه أُلْقِي بين شجر وماء ، فالماء بالقبطية مُو ، والشجر سا .

وفى الصحيح أنه وصف بأنه آدم طوال[1] ، كأنه مِنْ رجال شنوءة .

قال الثعلبى : عاش مائة وعشرين سنة .

(المَغضُوبِ عليهم[2]) : هم اليهود . ولا الضالين : النصارى ، بهذا فسّره صلى الله عليه وسلم . وسيأتى ذِكْرُ ذلك .

وتكرار[3] « لا » فى قوله : ولا الضالين — دليل على تغاير الطائفتين . وإنَّ الغضبَ صفةُ اليهود فى مواضع من القرآن ؛ كقوله تعالى[4] : « وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ الله » . والضلال صفة النصارى ؛ لاختلاف أقوالهم الفاسدة فى عيسى ابن مريم عليهما السلام ، ولقول الله فيهم[5] : « قد ضَلُّوا من قَبْلُ وأَضلوا كثيرا ، وضَلّوا عن سَوَاء السبيل » .

(مرض[6]) : يحتمل أن يكون حقيقة ؛ وهو الألم الذى يجدونه من الخوف

---

(١) فى الإتقان (٤ — ٦٣) : بأنه آدم طوال جعد .   (٢) الفاتحة : ٧

(٣) قال الزمخشرى فى الكشاف (١ — ٩) : فإن قلت : لم دخلت « لا » فى : ولا الضالين ؟ قلت : لما فى غير من معنى النفى ، كأنه قيل : لا المغضوب عليهم ولا الضالين . وبهذا تفهم كلمة تكرار فى عبارة السيوطى .   (٤) آل عمران : ١١٢

(٥) المائدة : ٧٧   (٦) المائدة : ٥٢ ، وغيرها .

وغيره ، وأن يكون مجازاً للشكّ أو الحسد . ويقال أصل المرض الفتور ؛ فالمرضُ في القَلْبِ فُتُورٌ عن الحق . وفي الأبدان فتورُ الأعضاء . وفي العيون فُتُورٌ عن النَّظَر .

(مَنّ[1]) : شِبْه العَسَل . وقيل خُبز النَّقِيّ[2] . والسلوى طائر . وقيل : إنه كان يسقط في السحر على شجَرِهم فيَجْتَنُونه ويأْكُلُونه . وقيل : المن التَّرَنْجَبِين .

والمنّ أيضاً ذِكْرُ الإنعام والعطية . ومنه[3] : « لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكم بالمَنّ والأذَى » .

والمنُّ أيضاً : القطع . ومنه[4] : « لـكم أجرٌ غيرُ مَمْنُون » .

(مَسْكَنَة[5]) : الفاقة . وقيل الجِزية . وقيل المسكنة فَقْرُ النَّفْس ؛ لا يوجد يهوديٌّ مُوسِر ولا فقير غنيّ النفس أبداً ، وإن تعمل لإزالة ذلك عنه .

(مَجُوس) : هم الذين يعبدون النارَ ، ويقولون : إن الخير من النور والشرّ من الظلمة ، تعالى الله عن قولهم . وذكر الجواليقي[6] أنه أعجمي .

(مَتَاع) : أي ما يتمتَّع به إلى حين الموت .

(مَثُوبَة[7]) : من الثواب ، وهو جواب لو أنهم[8] ؛ وإنما جاء جوابها

---

(١) في الأعراف : ١٦٠ ، وطه : ٨٠

(٢) أي الدقيق الخالص . وفي المفردات (٤٧٤) : المن كل شيء كالطل فيه حلاوة يسقط على الشجر .

(٣) البقرة : ٢٦٤

(٤) فصلت : ٨

(٥) البقرة : ٦١ ، آل عمران : ١١٢

(٦) المعرب : ٣٢٠

(٧) البقرة : ١٠٣

(٨) الآية : ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله .

بجملة اسمية ، وعُدل عن الفعلية لما فى ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره . وقيل الجواب محذوف .

(مَثَابَةً[1]) : اسم مكان ، من قولك : ثاب ؛ إذا رجع ؛ لأنَّ الناس يرجعون إليه عاماً بعد عام . ويقال : ثاب جسم فلان إذا رجع بعد نُحُولِه .

(مَنَاسِكَنَا[2]) : أى شعائرنا ، واحدها مَنْسِك ، ومَنْسَك[3] . وأصل النسك من الذّبح ، ويقال : نسكت ؛ أى ذبحت . والنسيكة الذّبيحة المُتقرَّبُ بها إلى الله تعالى ، ثم اتسعوا فيه حتى جعلوه لموضع العبادة والطاعة . ومنه قيل للعابد : ناسك .

(مَشْعَر[4]) : مَعْلَم لتعبّد من متعبداته ، وجمعه مشاعر . والمَشْعَر [١٤٦ب] الحرام : هو مُزْدلفة ، ويسمى أيضاً جَمْع ، والوقوف بها سنّة .

(مَيْسر[5]) : قِمار ، وكان ميسر العـــــرب بالقِداح فى لحم الجَزُور ، ثم يدخل فى ذلك النَّرْد ، والشِّطْرَنج ، وغيرهما . وروى أن السائل عنه حمزة ابن عبد المطلب .

(مَحِلَّه[6]) : مَنْحره ، يعنى الموضع الذى يحلّ فيه نَحره .

(مَحِيض[7]) ، وحيض واحد . والسائل عن ذلك عبّاد بن بشر وأُسَيْد ابن الحُضَير ؛ قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا نجامِـعُ نساءَنا فى المَحِيض خلافاً لليهود ؟ فأخبر الله رسوله بأنه أذًى يُجْتَنَب ، وعليهم اجتنابُه ، وقد فسر ذلك فى الحديث بقوله : "لتشدّ عليها إزارها وشأنك بأعلاها" .

---

(١) البقرة : ١٢٥ (٢) البقرة : ١٢٨ (٣) كمجلس ومقعد (القاموس) .
(٤) البقرة : ١٩٨ (٥) البقرة : ٢١٩ ، والمائدة : ٩٠ ، ٩١
(٦) البقرة : ١٩٦ (٧) البقرة : ٢٢٢

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ[١]) : استفهام يرادُ به الطَّلَب والحضّ على الإنفاق . وذكر لفظ القرض تقريباً للأفهام ؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف ردّ ما أسلف . وروى أن الآية نزلت فى أبى الدَّحْدَاح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره .

(مَلأ) : اشتقاقه من ملأت الشىء ، وفلان ملىء إذا كان متمكنًا . ومعنى الملأ حيثما ورد فى القرآن هم الأشراف والوجوه الذين يملئون العين والقلب . ومنه الحديث : أولئك المَلأ من قُريش . وأما قوله تعالى[٢] : « ألم تَرَ إلى المَلأ من بنى إسرائيل » — فالمراد بها رؤية قلب ؛ وكانوا قوما قد نَالَتْهم الذِّلةُ من أعدائهم ، فطلبوا الإذن فى القتال ، فلما أمروا به كرهوه .

(مَسّ[٣]) : جنون . يقال رجل ممسوس ؛ أى مجنون . والمسُّ باليد أيضاً .

(موعظة) : تخويف سوء العاقبة . والمعنى أن من أخذ الرّبا قبل نزول التحريم فانتهى وتاب فله ما سلف ، وأمره إلى الله . والضمير[٤] عائد على صاحب الربا ، يعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة فلا يؤاخذ به فى الدنيا . وقيل الضمير عائد على الربا ، والمعنى أمر الربا إلى الله فى تحريمه أو غير ذلك .

(مَوْلانا) : وليّنا وناصرنا . والمولى على ثمانية أوجه : المعتق ، والمُعتَق[٥] ، والولىّ ، والأَوْلى بالشىء ، وابن العم ، والصهر ، والجار ، والحليف[٦] .

---

(١) البقرة : ٢٤٥ (٢) البقرة : ٢٤٦ (٣) البقرة : ٢٧٥

(٤) فى قوله تعالى : وأمره إلى الله .

(٥) فى المفردات (٥٣٣) : والولى والمولى يستعملان فى ذلك كل واحد منهما يقال فى معنى الفاعل أى الموالى ، وفى معنى المفعول ؛ أى الموالى بفتح اللام .

(٦) وله معان أخرى سرد منها صاحب اللسان ستة عشر معنى (ولى) .

(أمانيّ[١]) : جمع أمنية ، ولها ثلاثة معان : ما تتمناه النفس ، والتلاوة[٢] ، والكذب . وكذلك تمنّى لها هذه المعاني الثلاثة .

(مآب) : مرجع .

(مفازة) : مَنْجَاة ، مَفْعلة من الفَوْز ، يقال : فاز ؛ أي نجا ، والفوز أيضاً : الظفر . ومنه[٣] : « إنّ للمتّقين مَفَازا » ، يعني الجنة ؛ لأنهم يظفرون فيها بما يريدون .

(مَثْنَى وثُلَاث ورُبَاع[٤]) : لا ينصرف للعدل والوصف ، وهي حالٌ من « ما طاب » . وقال ابن عطية : بدل ، وهي معدولة عن أعداد مكررة ، ومعنى التكرار فيها أنّ الخطابَ لجماعةٍ ، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد ، فتكررت الأعداد بتكرر الناس . والمعنى انكحوا اثنين أو ثلاثا أو أربعا . وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوّج ما زاد على الأربع . وقال قوم : لا يعبأ بقولهم إنه يجوز الجمع بين تسع ؛ لأن مثنى وثلاث ورباع يجتمع منه تسعة ؛ وهذا خطأ ؛ لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع . ولو أراد الجمع لقال « تسع » ، ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقلّ بيانا . وأيضا قد انعقد الإجماع على تحريم ما زاد على الرابعة .

فإن قلت : هل الزيادة لحكمة أم لا ؟ فالجواب أن الله تعالى أباح لمن تقدم

---

(١) البقرة : ٧٨ ، وغيرها .

(٢) في المفردات (٤٧٦) : لما كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يبادر إلى ما نزل به الروح الأمين على قلبه حتى قيل له : لا تعجل بالقرآن... ، ولا تحرك به لسانك لتعجل به.. سمى تلاوته على ذلك تمنيا .

(٣) النبأ : ٣١

(٤) النساء .

من اليهود ستًّا، وأباح للنصارى اثنتين[1]، فجعل الله لهذه الأمة الأربع؛ لأنهم خيرُ الأمم؛ وخير الأمور أوساطها. هذا لمن قَدَر على العدد؛ وأما من لم يقدر فالاقتصار على الواحدة، وما ملكت اليمين أولى؛ رغبة فى العـدل، كما قال تعالى[2]: « ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ».

(مَقْتًا): بُغضا. ومنه قوله تعالى[3]: « لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ»؛ فمقتوا أنفسهم، واعترفوا بذنوبهم. وجعل كل واحد يلوم صاحبه؛ فتناديهم الملائكة وتقول: لمقتُ اللهِ أكبرُ من مقتكم أنفسكم اليوم؛ فقوله: لَمَقْتُ اللهِ ـ مصدرٌ مضافٌ إلى الفاعل، وحذف المفعول لدلالة مفعول مقتكم عليه؛ وقوله[4]: « إِذْ تُدْعون » ـ ظرف للعامل فيه مقت الله من طريق المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو؛ لأن مقت الله مصـدر، فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته، فيحتاج أن يقدّر للظرف عامل؛ وعلى [١٤٧ ا] هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله: أنفسكم، والابتداء بالظرف؛ وهذا ضعيف؛ لأن المراعى المعنى. وقد جعل الزمخشري[5] مَقْتَ اللهِ عامـــلا فى الظرف ولم يعتبر الفصل.

وأما قوله تعالى[6]: « إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » ـ فكانت العرب إذا تزوّج الرجلُ امرأةَ أبيهِ فأولدها يقولون للولد مَقْتِيّ؛ ولذا زاد[7] المقت فى هذه الآية؛ لأن هذا المقت أقبح من الزنى.

---

(١) فى ب: اثنان ـ تحريف. (٢) النساء: ٣ (٣، ٤) غافر: ١٠

(٥) فى الكشاف (٢ — ٣١٠)، قال: إذ تدعون منصوب بالمقت الأول.

(٦) النساء: ٢٢ (٧) فى آية الإسراء (٣٢): ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا. فكلمة مقتاً زائدة فى هذه الآية.

(ما أصابكَ مِنْ حسنةٍ فَمِنَ اللهِ وما أصابكَ مِنْ سيِّئةٍ فمِنْ نفسِكَ[1]) : هذه الآية خطابٌ للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، والمراد به كل مخاطب على الإطلاق ، فدخل فيه غيره من الناس ؛ وفيه تأويلان :

أحدهما ـ نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى النفس تأدبا مع الله ، وإن كان كل شيء منه فى الحقيقة ؛ وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم : "والخير كلّه بيدك ، والشرّ ليس إليك". وأيضا فنسبةُ السيئة إلى العَبْدِ لأنها بسبب ذنوبه ؛ لقوله تعالى[2] : «وما أصابكم من مُصيبةٍ فَبِمَا كسبَتْ أيديكم» ، فإنها من العبد بتسبُّبه فيها ، ومن الله بالخلقة والاختراع .

والثانى ـ أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل . والتقدير يقولون كذا ، فمعناها كمعنى التى قبلها .

(ما قَدْ سلَفَ[3]) : المعنى إلا ما فعلتم من ذلك فى الجاهلية وانقطع بالإسلام ؛ فقد عفا عنكم ، ولا تؤاخذون به . هذا فى أرجح الأقوال .

(ما مَلَكَتْ أيْمَانُكم[4]) : يريد السبايا فى أشهر الأقوال . والمعنى أن المرأة الكافرة إذا كان لها زَوْجٌ ثم سُبِيَتْ جاز لمن ملَكها من المسلمين أن يطأها .

وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً إلى أوْطاس[5] فأصابوا سبياً من العدوّ ، ولهنّ أزواج من المشركين ، فتأثَّم المسلمون من غشيانهن ؛ فنزلت الآية مُبِيحةً لذلك .

---

(١) النساء : ٧٩ (٢) الشورى : ٣٠ (٣) النساء : ٢٣

(٤) النساء : ٢٤ (٥) أوطاس : واد فى ديار هوازن (البكرى) .

(مُدْخَلًا كَرِيمًا[1]) : اسم مكان ، وهو هنا الجنة .

(مَغَانِمُ[2]) ، ومَغْنَم ، وغُنْم : ما أصيب من أموال المحاربين . وفى هذه الآية وَعْدٌ وتزهيد فى مال من أعلنوا الإسلام . وأما المحاربون فقد أباح الله لهذه الأمة أخْذَها[3] . وهى من خصائص نبيهم عليه الصلاة والسلام .

(مَوْقُوتًا[4]) : أى محدوداً بالأوقات . وقال ابن عباس : فرضاً مفروضاً .

(مَرِيدًا[5]) : يعنى إبليس ، ومعناه أنه قد عدم من الخير ، وظهر شرُّه ، من قولهم : شجرة مَرْدَاء إذا سقط ورقُها ، وظهرت عيدانها . ومنه غلام أمْرَد ؛ إذا لم يكن فى وجهه شَعر .

(مَحِيصًا[6]) : أى مَعْدلًا ومَهْربا .

(مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصالحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أوْ أنثى وهو مُؤْمن[7]) : دخلت « من » للتبعيض رِفقاً بالعباد ؛ لأن الصالحات على الكمال لا يُطيقها البشر ؛ واشترط مع فعلها الإيمان ؛ لأنه لا يقبل عمل إلا به .

(مَسِيح[8]) — بالحاء المهملة : لقب لعيسى ابن مريم ، ومعناه الصديق ، وقيل الذى لرجله أخْمَص . وقيل الذى لا يمسح ذا عاهة إلا برِئ . وقيل الجميل . وقيل الذى يمسح الأرْضَ ؛ أى يقطعها . وبالخاء المعجمة : الدجّال ، لعنه الله . وقيل بالحاء المهملة .

(مَوْقُوذَة[9]) : هى المضروبة بعصا أو حجر وشِبْه ذلك ، ثم تُترك حتى تموت ، وتؤكل بغير ذكاة .

---

(١) النساء : ٣١ (٢) النساء : ٩٤ (٣) يريد أموالهم .
(٤) النساء : ١٠٣ (٥) النساء : ١١٧ (٦) النساء : ١٢١
(٧) النساء : ١٢٤ (٨) النساء : ١٥٧ ، وغيرها . (٩) المائدة : ٣

(مَخْمَصَةٍ[1]) : مجاعة .

(مَكَّنَّاهُمْ فى الأرْضِ[2]) : ثبّتناهم فيها وملكناهم ؛ والضمير عائد على القَرْن[3] ؛ لأنه فى معنى الجماعة .

(ما المسيحُ ابنُ مَرْيَمَ إلَّا رَسول[4]) : فى هذه الآية رَدٌّ على النصارى الذين غَلوا فيه ، وقالوا : إنه ابن الله . فردَّ اللهُ عليهم بأنه عبده[5] وكلمته التى هى كُنْ من غير واسطة أبٍ ولا نُطفة ، « ورُوح منه » ؛ أى ذو رُوح منه ؛ فمِنْ هُنا لابتداء الغاية . والمعنى من عنده ؛ وجعلَه من عنده ، لأنه أرسل به جبريل إلى مريم عليها السلام .

(مائدة[6]) : هى التى عليها طعام ؛ فإن لم يكن عليها طعام فهى خِوَان .

فإن قلت : ظاهر سؤالهم نزول المائدة من عيسى عليه السلام يقتضى شكهم فى قُدْرةِ الله على إنزالها .

والجواب أنهم لم يشكُّوا فى قُدْرَةِ الله ، لكنه بمعنى هل يفعل ربُّك هذا ؟ وهل تقع منه إجابة [١٤٧ ب] إلينا ؟ لأن الله أثنى على الحواريّين فى مواضع من كتابه ، مع أن فى اللفظ بشاعةً تُنْكَر .

وقد قرىء : تستطيع ربَّك — بالنصب ؛ أى هل تستطيع سؤال ربّك ؛ وهذه القراءة لا تقتضى أنهم شكّوا ، وبها قرأت عائشة رضى الله عنها ، وقالت : كان الحواريون أعرف بِرَبّهم من أن يقولوا : هل يستطيع ربك أن ينزِّلَ علينا

(١) المائدة : ٣ (٢) الأنعام : ٦

(٣) فى الآية نفسها : أو لم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ...

(٤) المائدة : ٧٥ (٥) النساء : ١٧١ (٦) المائدة : ١١٢

مائدة من السماء ؛ فوضع « أن » مفعول بقوله : يستطيع ، على القراءة بالياء . ومفعول بالمصدر وهو السؤال المقدّر على القراءة بالتاء .

(وَمَا تَأْتيهم مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِم[1]) : مِنْ الأولى زائدة ، والثانية للتبعيض أو لبيان الجنس ، وهذا الخطاب للكفار .

(مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ[2]) : قال عِكْرِمة : هو الملك ، ولكنّه بكلام النبطيّة ملكوت . وقال الواسطى فى الإرشاد : هو الملك بلسان القبط ؛ ومعناه أن الله فرج له السموات والأرض حتى رأى ببصره الملك الأعلى والأسفل ؛ وهذا يفتقر لصحة نَقْل .

وقيل : رأى ما يراه الناس من الملكوت ، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقَعْ لأهل زمانه .

وقيل إنما ابتُلِي بذَبْحِ وَلَدِه ؛ لأنه رأى فى هذا الكَشْف عاصيا ، فدعا الله بهلاكه ، وكذلك ثان وثالث ، فقال الله : احجبوه . وابتلاه بذبح ولده ، فقال : يا ربّ صبّرْنى ؛ فإنك ابتليتنى بما لم تبتل به أحداً قبلى ، فنزل عليه جبريل ، وقال له : يا إبراهيم ؛ أما تذكرُ يوم كَشفَ الله لك الملكوت ، ودعوت على عباد الله بالهلاك ، أهلكْتَ له ثلاثا ، وهو طلب منك واحداً ؛ فقال : يا جبريل ؛ وهل تبلغ رحمته بعباده كرحمتى بولدى ؟ فقال : الله أرحمُ بِعَبْدِه منك بولدك . فبكى إبراهيم ففدّاه الله بذبح عظيم . والواو والتاء فى ملكوت زائدتان مثل الرحَموت من الرحمة ، والرهَبوت من الرهبة ؛ تقول العرب رَهَبوت خَيْرٌ من رَحَموت ؛ أى أن ترهب خير من أن ترحم .

---

(١) الأنعام : ٤ (٢) الأنعام : ٧٥

(مَعْرُوشات[1]) : مرفوعات على دعائم وشبهها . وغير معروشات : متروكات على وجه الأرض . وقيل : المعروشات ما غرسه الناس فى العمار[2] . وغير معروشات ما أَنْبَتَهُ الله فى الجبال والبرارى .

(مَنْ تكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ[3]) : يحتمل أن تكون من موصولة فى موضع نصب على المفعولية ، أو استفهامية فى مَوْضِعِ رَفْعٍ بالابتداء ، والمرادُ بـ « عاقبة الدارِ » الآخرة ؛ وهو الأصح ؛ لقوله[4] : « عُقْبَى الدّارِ . جنّاتُ عَدْنٍ » .

(مَكانَتِكُمْ[5]) : أى تمكنكم . والأمر هنا فى قوله[5] : « اعملوا » للتهديد .

(مَسْفُوحًا[6]) : مصبوبا .

(مَعايِش[7]) : بغير همز ؛ لأنها مفاعل من العَيْش ، واحدها معيشة ، والأصل معيشة على مَفْعلة ؛ وهى ما يُعاشُ به من النبات والحيوان وغير ذلك .

(مَذْءُومًا مَدْحُورًا[8]) : من ذأمه بالهمز إذا ذمّه . والمدحور : المطرود حيث وقع . والمراد به إبليس لعنه الله ؛ لأن الله أبعده .

(ما سبَقَكُمْ بها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ[9]) ؛ أى لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم . ومن الأولى زائدة ، والثانية للتبعيض أو للجنس .

---

(١) الأنعام : ١٤١

(٢) هذا بالأصلين . وفى الكشاف (١ ـ ٣١٣) : وقيل المعروشات : ما فى الأرياف والعمران مما يغرسه الناس واهتموا به فعرشوه . وغير معروشات : مما أنبته الله وحشيا فى البرارى والجبال، فهو غير معروش. (٣) الأنعام : ١٣٥ (٤) الرعد : ٢٢ ، ٢٣

(٥) الأنعام : ١٣٥ (٦) الأنعام : ١٤٥ (٧) الأعراف : ١٠ ، الحجر : ٢٠

(٨) الأعراف : ١٨ (٩) الأعراف : ٨٠

(وَمَا كان جوابَ قَوْمِهِ[1]) : يعني أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله .

(مَدْين[2]) : اسم أرض قوم شعيب، كانوا يَبْخَسُونَ الكَيْلَ والوَزْنَ ، فبعث الله لهم شُعَيبا لِيَنْهاهم عن ذلك .

فإن قلت : هل المراد به الأيكة المذكورة في الشعراء[3] ومعناها الغَيْضَة ، ولِمَ قال في الأعراف أخوهم[4] كما قال في قصة نوح وحذفه من الشعراء ؛ فدل على أنهم قبيلتان .

والجواب أنه بُعث إلى مَدْيَن ، وكان من قبيلتهم ، فنسبه إلى إخوتهم ، وبعث أيضاً إلى أصحاب الأيكة ، ولم يكن منهم ؛ فلذلك لم يقل أخوهم ؛ فكان شعيب على هذا مبعوثا إلى القبيلتين .

وقيل : إن أصحاب الأيكة مَدْين ، ولكن قال أخوهم [١٤٨ ا] حين ذكرهم باسم قبيلتهم ، ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها ؛ تنزيهاً لشُعَيبٍ عن النسبة إليها . وقرىء الأيكةِ بالهمز وخفض التاء مثل الذي في الحِجْر[5] ، و « ق »[6] ؛ ومعناه الغَيْضَة كما قدمنا . وقرىء في الشعراء[7] بفتح اللام والتاء ، فقيل : إنه مسهّل من الهمز . وقيل إنه اسمُ

---

(١) الأعراف : ٨٢ (٢) الأعراف : ٨٥ ، وغيرها .

(٣) آية الشعراء (١٧٦) : كذب أصحاب الأيكة المرسلون

(٤) الذى في آية الأعراف : وإلى مدين أخاهم ... وفي آية ١٠٦ من الشعراء : إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . (٥) في الحجر آية ٧٨ : وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين .

(٦) في ق ، آية : ١٤ : وأصحاب الأيكة وقوم تبع ...

(٧) الشعراء : ١٧٦ ، وقال الزمخشري في الكشاف (٢ ـ ١٣١) : ومن قرأ بالنصب ، وزعم أن ليكة بوزن ليلة : اسم بلد ، فتوهم ، قاد إليه خط المصحف ، حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف . وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل ، والقصة واحدة ، على أن ليكة اسم لا يعرف .

بلدهم . ويُقَوِّى هذا على القول إن هذه القراءة بفتح التاء غير منصوب ؛ فدلّ ذلك على أنه اسم علم . وضَعَّفَ ذلك الزمخشري[1] ، وقال : إنّ « ليكة » اسمٌ لا يُعْرَف .

(ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه[2]) : أى ما عرفوه حقّ معرفته فى اللطف بعباده والرحمة لهم ؛ إذْ أنكروا بعثة الرُّسُل وإنزاله الكتب . والقائلون[2] : « ما أَنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ » هم اليهود ، بدليل ما بعده ؛ وإنما قالوا ذلك مبالغةً فى إنكار نبوة نبيّنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

ورُوِي أنّ الذى قالها منهم مالك بن الصَّيْف ؛ فرد الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بد لهم من الإقرار به ، وهو إنزال التوراة على موسى .

وقيل القائلون قريش وألزموا ذلك ؛ لأنهم كانوا مُقِرِّين بالتوراة .

(مكان السّيئة الحسنة[3]) : أى أبدلنا البأساء والضراء بالنعيم اختباراً لهم فى الحالتين .

(ما وَجَدْنَا لأكْثَرِهم مِنْ عَهْد[4]) : الضمير لأهل القرى . والمعنى وجدناهم ناقضين العهود . ومِصْدَاقُ ذلك أنى سميتهم بشراً فتلا الاسم شر[5] .

(ما تَنْقِمُ منّا إلّا أنْ آمنّا بآياتِ رَبِّنا[6]) : أى ما تعيب منا إلا إيماننا بموسى . وهذا قول السَّحَرة لما شاهدوا ما أعجز البشر .

---

(١) الكشاف : ٢ ـ ١٣١ (٢) الأنعام : ٩١
(٣) الأعراف : ٩٥ (٤) الأعراف : ١٠٢ (٥) فى ابن كثير (٢ ـ ٢٣٥) : العهد الذى أخذه هو ما جبلهم عليه ، وأخذ عليهم فى الأصلاب أنه ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو ، ثم خالفوه وتركوه وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة .
(٦) الأعراف : ١٢٦

وروى أنهم انطلقوا إلى قُبُور أشياخهم يطلبون منهم تَبْيِين الحال ، وقالوا لهم : انظروا إلى العصا ؛ فإن رأيتموها ضامرةً فاعلموا أنها من عند الله ، وإن رأيتموها مجوَّفة بعد بامها لسحركم فليست هي من عند الله .

(مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ[1]) : الضمير عائد على مهما[2] ؛ وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها بآية ، أو على وجه التهكم .

(مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا[3]) : المراد بها مصر والشام فقط .

(ما كانوا يَعْرِشُونَ[3]) : أي يبنون . وقيل الكروم وشبهها ؛ فهو على الأوَّل من العرش وعلى الثاني من العريش .

(فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ[4]) : المثل له أربعة معان : الشبيه والنَّظِير ، ومنه المثل المضروب ، وأصله من التشبيه . ومثل الشيء حاله وصفته . والمثل الكلام الذي يتمثّل به ، ومثل الشيء بكسر الميم شبهه ، والضمير عائد على الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها . وقد قدمنا الخلاف فيمن نزلت . وهذا المثل في غاية الخسّة والرداءة ؛ قال صلى الله عليه وسلم[5] : ليس لنا مثَل السوء ، العائد في هِبَتِه كالكلب يعود في قَيْئه .

(مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا[6]) ؛ أي صفة المكذّبين كصفة الكلب في لهثه ، أو كصفة الرجل المشبّه به ؛ لأنهم إن أتوها لم يهتدوا ،

---

(١) الأعراف : ١٣٢ (٢) في الكشاف (١ ـ ٣٤٣) : والضميران في به ، وبها ـ في بقية الآية : لتسحرنا بها ـ راجعان إلى مهما ، إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ ، والثاني أنث على المعنى ، لأنه في معنى الآية . (٣) الأعراف : ١٣٧ (٤) الأعراف : ١٧٦

(٥) الحديث في ابن كثير (٢ ـ ٢٦٧) (٦) الأعراف : ١٧٦

وإن تركوها لم يهتدوا . وشبّههم بالرجل[1] فى أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم ، كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات .

(مَتِين[2]) : شديد ، وسمى الله فعله بهم كَيْدا[3] ؛ لأنه شبيه بالكيد فى أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان .

(ما بِصاحبِهم مِنْ جِنَّة[4]) : يعنى بالصاحب النبى صلى الله عليه وسلم ، فنفى عنه ما نسبه المشركون له من الجنون .

ويحتمل أن يكون قوله : « ما بصاحبهم مِنْ جِنَّة » معمولا لقوله : «[5] أوَ لَمْ يتفكَّرُوا » ، فيعلموا أن ما بصاحبهم من جِنَّة .

ويحتمل أن يكون الكلام قد تمَّ فى قوله : أو لم يتفكروا ، ثم ابتدأ إخبارا ، مستأنفا بقوله : ما بصاحبكم من جِنَّة . والأول أحسن .

(ما خلَقَ اللهُ[6]) : عطف على الملكوت[7] ، ويعنى بقوله : «مِنْ شىء» . جميع المخلوقات ؛ إذ جميعها دليل على وَحْدانيَّة خالقها .

(ما رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ[8]) : الخطاب بهذا لنبيّنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك أنه أخذ يوم بَدْرٍ قبضةً من تُرَابٍ أو حصا ، ورمى بها فى وجوه [١٤٨ ب] الكفار ، فانهزموا .

وفى الآية إخبار أن ذلك من الله فى الحقيقة ، وأنه ليس فى قدرة البشر قَتْل من قتل ، كما قال : « فَلَمْ تَقْتلوهم ولكنَّ اللهَ قَتَلهم » .

---

(١) أى الذى آتيناه آياتنا فى الآية ١٧٥ — (٢) الأعراف : ١٨٣

(٣) فى قوله فى الآية : وأملى لهم إن كيدى متين . — (٤) الأعراف : ١٨٤

(٥) الآية نفسها . — (٦) الأعراف : ١٨٥ — (٧) فى الآية نفسها .

(٨) الأنفال : ١٧

(وما كان الله لِيُعَذِّبهم وأنتَ فيهم وما كان اللهُ مُعَــــذِّبَهُم وهم يَستَغفِرُون[1]) : فى هذه الآية إكرام لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وإخبار بأنهم لو آمنوا واستَغفَرُوا لأَمِنُوا من العذاب .

قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب ؛ وهما وجوده صلى الله عليه وسلم ، والاستغفار . فلما مات ذهب الأمان الواحد ، وبقى الآخر .

وقيل الضمير فى ليعذبهم للكفار ، وفى : وهم يستغفرون للمؤمنين الذين كانوا بين أظهُرِهم .

فعليك بكثرة الاستغفار تُمْحَى صحيفتك من الأوزار . قال صلى الله عليه وسلم : " طُوبى لمن وجد فى صحيفته استغفاراً كثيراً " . وفى الأحاديث القدسية : يقول الله تعالى فيمن وجد فى صحيفته استغفاراً كثيراً : " امْحُوا لعبْدِى ما بين طرفى الصحيفة " .

(وما لهم ألَّا يُعذِّبهم اللهُ[2]) : المعنى أى شىء يمنعهم من العذاب وهم يصدُّون المؤمنين عن المسجد الحرام ؟ والجملة فى موضع الحال .

(ما كانوا أولياءَه)[1] : الضمير للمسجد الحرام ، أو لله .

(ما كانَ صَلَاتُهم عِنْدَ البيت[3]) : قد قدمنا فى حرف التاء معنى هذه الآية ، والضمير عائد على قريش .

(مَضَتْ سنَّةُ الأوّلين[4]) : تهديد بما جرى لهم يوم بدر ، أو بما جرى للأمم السالفة .

---

(١) الأنفال : ٣٣ (٢) الأنفال : ٣٤ (٣) الأنفال : ٣٥

(٤) الأنفال : ٣٨

(غَنِمْتم مِنْ شيء[1]) : لفظه عام ، يراد به الخصوص ؛ لأن الأموال التى تؤخذ من الكفّار منها ما يُخَمَّس[2] ، وهو ما أخذ على وجه الغَلَبة بعد القتال ؛ ومنها ما لا يُخَمَّس ؛ بل يكون جميعه لمن أخذه ، وهو ما أخذه مَنْ كان ببلاد الحرب من غير إيجاف ، وما طرحه العدوّ خوف الغرق ؛ ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته ويصرف سائره فى مصالح المسلمين ، وهو الفىء الذى لم يوجف عليه بِخَيْلٍ ولا رِكاب .

(ما أنزلنا على عَبْدِنا يوم الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَان[1]) : يعنى بالعبد نبينا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم ، والذى أُنْزِل عليه : القرآن والنصر . والمراد بالفرقان التفرقة بين الحقّ والباطل . والجمعان يعنى به المسلمين والكفار .

(مَنَامِكَ) : نومك ، كقوله[3] : «إذ يُرِيكَهُمُ اللهُ فى مَنَامِكَ قليلا...» الآية . والخطاب بها لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه قد رأى الكفَّارَ فى نومه قليلا ، فأخبر بذلك أصحابه ، فقويت نفوسهم . ويقال منامك عَيْنك ؛ لأن العَيْنَ موضع النوم .

(ما كان لنبيّ أن يكونَ له أسْرَى[4]) : لما أخذ صلى الله عليه وسلم الأسْرى يوم بَدْرٍ أشار أبو بكر الصديق بحياتهم ، وأشار عمر بقَتْلهم ؛ فنزلت الآية ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : "لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر" .

(ما كان للمشركين أنْ يَعْمُروا مساجدَ الله[5]) : أى ليس لهم ذلك بالحق الواجب ، وإن كانوا قد عمروها تغلبياً وظُلْما . ومن قرأ مساجد ــ بالجمع ــ أراد جميع المساجد . ومن قرأ مسجد ــ بالإفراد ــ أراد المسجد الحرام .

---

(١) الأنفال : ٤١ (٢) يؤخذ خمسه . (٣) الأنفال : ٤٣
(٤) الأنفال : ٦٧ (٥) التوبة : ١٧

(ما لكم إذا قيل لكم انفِرُوا فى سبيل الله[1]) : هذه الآية عتاب لمن تخلّف عن غَزْوَةِ تبُوك .

(مَرْصَدٍ[2]) : طريق[3] . والجمع مَرَاصد .

(ما زادُوكم إلّا خبالًا[4]) : أى شرًّا وفسادا . والضمير راجع لعبد الله ابن أبىّ بن سَلُول ، والجدّ بن قيس ، وأصحابهما .

(مع القَاعِدِين[5]) : مع النساء والصبيان وأهل الأعذار ؛ وفى ذلك ذمٌّ لهم لاختلاطهم فى القعود مع هؤلاء .

(ما منعهم أنْ تُقْبَلَ منهم نفقاتُهم إلّا أنهم كفرُوا باللهِ وبرسوله[6]) ؛ تعليل لعدم قَبُول نفقاتهم بكفرهم . ويحتمل أن يكون « أنهم كفروا » فاعل ما منعهم ، أو فى موضع المفعول من أجله ، والفاعل الله .

(مَلْجَأً أوْ مَغَارَاتٍ أو مُدَّخَلًا[7]) : أى ما يلجئون إليه من المواضع ، ومغارات فى الجبال ؛ ووَزْن مُدَّخل مفتعل من الدخول ، ومعناه « سَرَبًا[8] » فى الأرض .

(ما على المُحْسِنِين مِنْ سَبِيل[9]) : وصفهم بالمحسنين ؛ لأنهم نصحوا الله ورسوله ، ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم .

---

(١) التوبة : ٣٨ (٢) التوبة : ٥ (٣) فى المفردات : المرصد : موضع الرصد ، أى الاستعداد للترقب ، والمرصاد نحوه ، لكن يقال للمكان الذى اختص بالترصد . (٤) التوبة : ٤٧ (٥) التوبة : ٤٦

(٦) التوبة : ٥٤ (٧) التوبة : ٥٧ (٨) تفسير : مدخلا . والسرب : المفير تحت الأرض (القاموس) . (٩) التوبة : ٩١

(مَرَدُوا على النِّفَاق[1]) : أى أقاموا عليه .

(ما كان للنبيِّ والذِين آمَنُوا أن يَستَغفِرُوا للمشركين[2]) : نزلت فى شأن أبى طالب لما امتنع من الإيمان عند موته . قال صلى الله عليه وسلم[3] : والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك ، فكان يستغفر له [١١٤٩] حتى نزلت هذه الآية .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن ربَّه فى أن يستغفر لأمّه ، فنزلت الآية . وهذا القول يردُّه حكاية السهيلى فى أن الله أحيا له أباه وأمه ، فأسلما . وأما أبو طالب فالاعتقاد أن الله خفَّف عنه العذاب ، كما صح أنه فى ضَحْضَاح[4] من نارٍ لِذَبِّه عنا صلى الله عليه وسلم وبِرّه به .

(ما كان اللهُ ليُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إذْ هَدَاهم[5]) : نزلت فى قومٍ من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن ، فخافوا على أنفسهم من ذلك ، فنزلت الآية تأنيسا لهم ؛ أى ما كان ليُؤاخذكم بذلك قبل أن يتبين لكم المنع من ذلك .

(ما كاد يَزِيغ قلوبُ فريقٍ منهم[6]) : يعنى تزيغ من الثبات على الإيمان ، أو عن الخروج فى تلك الغَزْوَة ، لما رأَوْا من الضيق والمشقة . وفى كاد ضمير الأمر والشأن ، أو ترتفع به القلوب .

(مَغرَما[7]) : أى تثقل عليهم الزكاة والنفقة فى سبيل الله ثقلَ المَغْرم الذى ليس بحقّ عليه .

---

(١) التوبة : ١٠١ (٢) التوبة : ١١٣ (٣) الحديث فى ابن كثير : ٢ — ٣٩٣ ؛ وكذلك حديث امتناع أبى طالب من الإيمان . (٤) فى النهاية : الضحضاح فى الأصل : ما رق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار . (٥) التوبة : ١١٥ (٦) التوبة : ١١٧ (٧) التوبة : ٩٨

(مع الصادقين[1]) : يحتمل أن يريد صدقَ اللسان ؛ إذ كان هؤلاء الثلاثة الذين تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب ، فنفعهم اللهُ بذلك . ويحتمل أن يكون أعم من صدق اللسان ، وهو الصدق فى الأقوال والأفعال والمقاصد والعزم ؛ والمراد بالصادقين المهاجرين ؛ لقول الله فى الحشر[2] : « للفقراء المهاجرين ... » إلى قوله : « أولئك هم الصادقون » . وقد احتجّ بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السّقيفة ، فقال : نحن الصادقون . وقد أمركم الله أن تكونوا معنا ؛ أى تابعين لنا .

(مع الذين أنْعَم اللهُ عليهم[3] ...) الآية هذه مفسِّرة لقوله[4] : « صِراط الذين أنْعَمْتَ عليهم » . والصدّيق فعّيل من الصدق أو من التصديق . والمراد بها المبالغة . والصدّيقون أرْفَعُ الناس درجة بعد الأنبياء ، كالغريق وصاحب المدْم ، حسبما ورد فى الحديث أنهم سبعة .

(وما لكم لا تُقَاتِلُون فى سبيل الله[5]) : تحريضٌ على القتال . وما مبتدأ والجار والمجرور خبره ، ولا تقاتلون فى موضع الحال .

(متاعُ الدُّنيا قَليل[6]) : هذه الآية تحقيرٌ للدنيا ، وفيها الردُّ على من يكْرَهُ الموتَ ، ولا يبذل نفسه فى مَرْضاةِ الله وفاءً بالعهد الذى عاهد عليه الله .

(مَا لِهؤلاءِ القَوْمِ[7]) : توبيخ على قلّةِ فَهْمِهم .

(ما أرسلناك عليهم حَفِيظاً[8]) : أى من أعرض عن طاعتك يا محمد ،

---

(١) التوبة : ١١٩ (٢) الحشر : ٨ (٣) النساء : ٦٩

(٤) الفاتحة : ٧ ، وهذا فى الأصلين . والصواب : مفسرة لقوله : صراطاً مستقيما ؛ لأن ذلك فى الآية التى قبلها فى السورة نفسها (النساء : ٦٨) . (٥) النساء : ٧٥

(٦) النساء : ٧٧ (٧) النساء : ٧٨ (٨) النساء : ٨٠

فما أنت عليه حفيظ ، تحفظ أعماله ؛ بل حسابه وجزاؤه على الله . «[1] إنْ عليكَ إلَّا البلاغ » . وفى هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال .

(ما كان لأهلِ المدينة[2] ...) الآية : عتاب لمن تخلّف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ، ومَنْ جاورها من قبائل العرب .

(ما كان المؤمنون لينفِروا كافّة[3]) : قال ابن عباس : نزلت هذه الآية فى التفاوت فى الخروج إلى الغزْوِ والسرايا ؛ أى لا ينبغى خروج جميع المؤمنين فى السرايا ، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ؛ ولذلك عاتبهم فى الآية المتقدمة على التخلف عنه ، فالآية الأولى فى الخروج معه صلى الله عليه وسلم ، وهذه فى السرايا التى كان يبعثها .

وقيل هى ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع ؛ فهو دليل على أن الجهاد فرضُ كفايةٍ لا فرض عَيْن .

وقيل : هى فى طلب العلم على البعض ؛ لأنه فرض كفاية .

(ما مِنْ شفيعٍ إلَّا مِن بعد إذْنِه[4]) : أى لا يشفع إليه أحدٌ إلَّا مِنْ بعد أنْ يأذنَ له فى الشفاعة . وفى هذا ردٌّ على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفعُ لهم .

(ما خلق اللهُ ذلك إلا بالحقّ[5]) ؛ أى بدء الخلق ، وضياء الشمس ، ونور القمر ، وسيره فى المنازل ؛ وجميع ما خلق إنما هو لحكمة لا لعبَث .

(ما تلوْتُه عليكم[6]) ؛ أى ما تلوْتُه إلا بمشيئة الله ؛ لأنه من عنده لا من عندى .

---

(١) الشورى : ٤٨ (٢) التوبة : ١٢٠ (٣) التوبة : ١٢٢
(٤) يونس : ٣ (٥) يونس : ٥ (٦) يونس : ١٦

(ما لهم مِنَ اللهِ من عَاصِمٍ[1]) : الضمير يعود على من كسب السيئات ؛ يعنى أنه لا يعصمهم أحد من عذاب الله .

(ما جِئْتُم به السِّحْرُ[2]) : ما موصولة مرفوعة بالابتداء والسحر الخبر — وقرىء آلسِّحْرُ — بالاستفهام ؛ فما على هذا استفهامية والسحر [١٤٩] خبر ابتداء مُضْمر .

(ما آمَنَ لموسَى إلا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِه[3]) : الضمير عائد على موسى ، ومعنى الذرية شبّان وفتيان من بنى إسرائيل آمنوا به على خوفهم من فرعون .

وقيل : إن الضمير عائد على فرعون .

وروى فى هذا أنها امرأة فرعون ، وخازنه ، وامرأة خازنه . وهذا بعيد ؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ، ولأن الضمير ينبغى أن يعود على أقرب مذكور .

(ما اختلفُوا حتّى جاءَهم العِلْمُ[4]) : قيل يريد اختلافَهم فى دينهم . وقيل اختلافهم فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم .

(وما تُغْنِي الآياتُ والنُّذُرُ عن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُون[5]) ؛ يعنى مَنْ قضى الله عليه أنه لا يؤمن . وما نافية أو استفهامية يراد بها النفى .

(مَنْ كانَ يُرِيد الحياةَ الدُّنْيا وزِينَتَها ...[6]) الآية . نزلت فى الكفار الذين يُرِيدُون الدنيا ولا يُرِيدُون الآخرة ، إذ هم لا يصدقون بها .

وقيلَ نزلت فى أهل الرِّبا من المؤمنين الذين يُريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد فى الحديث : "فى الغازى والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال ذلك لهم : أوّل مَن تسعّر به النار".

---

(١) يونس : ٢٧ (٢) يونس : ٨١ (٣) يونس : ٨٣
(٤) يونس : ٩٣ (٥) يونس : ١٠١ (٦) هود : ١٥

والأول أوضح ؛ لتقدم ذكر الكفّار المناقضين للقرآن . وإنما قصد بهذه الآية أولئك .

(ما كانوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ[1] ...) الآية . ما نافية . والضمير للكفّار . والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يُبصرون ؛ كقوله[2] : « خَتَمَ اللهُ على قُلُوبِهِم وعلى سَمْعِهِم » . وقيل غير ذلك ، وهو بعيد .

(مَثَلُ الذين يُنْفِقُون أموالَهم في سَبِيلِ الله[3]) : ظاهره الجهاد . وقد يُحْمل على جميع وجوه البِرّ ، فمثّل الله بهذه الآية أنّ الحسنة بسبعمائة ، كما جاء في الحديث : إن رجلًا جاء بناقة فقال : هذه في سبيل الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة .

(وما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أو نَذَرْتُم مِنْ نَذْرٍ فإنّ اللهَ يَعْلَمُهُ[4]) : ذكر نوعين ؛ وهما ما يفعله الإنسان تبرّعًا ، وما يفعله بعد إلزامه لنفسه بالنذر . وفي قوله : « فإن اللهَ يَعْلَمُهُ » وعْد بالثواب . وفي قوله[5] : « وما للظالمين مِنْ أنصار » وعيد لمن يمنعُ الزكاة ، أو يُنْفِق لغير الله .

(وما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فلأَنْفُسِكم[6] ...) الآية : يعني منفعته لكم . وقيل : إنه خبر عن الصحابة ، أي أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله ؛ ففيه تزكيةٌ لهم ، وشهادةٌ بفضلهم .

وقيل : ما تنفقون نفقةً تقبل منكم إلا ابتغاء وجه الله ؛ ففي ذلك حضّ على الإخلاص .

---

(١) هود : ٢٠ (٢) البقرة : ٧ (٣) البقرة : ٢٦١
(٤) البقرة : ٢٧٠ (٥) آخر الآية نفسها . (٦) البقرة : ٢٧٢

(مَثَلُ الفَرِيقَين كالأعمى والأَصَمّ والبصِير والسَّمِيع[١]) : شبَّه الكافر في هذه الآية بالأعمى وبالأصم . وشبه المؤمن بالسميع وبالبصير ؛ فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين . وقيل : التقدير كالأعمى والأصم والبصير والسميع ؛ قالوا : ولعطف الصفات فهو على هذا تمثيل للمؤمن بمثال واحد ، وهو مَنْ جمع بين السمع والبصر ؛ وتمثيل للكافر بمثال واحد وهو من جمع بين العَمَى والصَّمَم[٢] .

(ما آمَنَ مَعَهُ إلا قليل[٣]) : قيل كانوا ثمانين . وقيل عشرة . وقيل ثمانية . والضمير لنوح . فتأمّل الفعل الربّاني في طول بقائه معهم ، وقلّة مَنْ آمن منهم .

(مَوْجٍ كالجِبَال[٤]) : رُوِي أن الماء طبق ما بين السماء والأرض ، فصار الكلُّ كالبحر . قال ابن عطية : وهذا ضعيف ؛ وأين كان الموج كالجبال قبل التطبيق ، وقبل أن يغمر الماء الجبال .

(مَعْزِلٍ[٤]) : أي في ناحية ، فناداه نوح : يا بنيّ ، اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، فلم يلتفت له ، فنادى نوح ربه إن ابني من أهلي ، وإنّ وَعْدَكَ الحق ، وأنت أحكم الحاكمين . فقال : فلا تسألْنِ ما ليس لكَ به عِلْم ؛ هل هو صواب أو غير صواب حتى تقف على كُنْهِهِ .

فإن قلت : لِمَ سمّى نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه ؟ فالجواب أنه تضمّن

---

(١) هود : ٢٤ (٢) في الكشاف (١ ـ ٤٣٧) : وفيه معنيان : أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب ، وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم ، أو الذي جمع بين البصر والسمع ، على أن تكون الواو في « والأصم » وفي « والسميع » لعطف الصفة على الصفة . (٣) هود : ٤٠

(٤) هود : ٤٢

السؤال ، وإن لم يصرّح به ، ولمـا أجابه الله بقوله : إنى أعظك أن تـكون من الجاهلين — بكى أربعين سنة على هذه الكلمة .

فإن قلت : ما الفرق بين هذا وبين قوله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : «(١) فلا تـكُونَنَّ مِن الجَاهلين» . فالجواب أنّ نوحاً كان كبيراً وَنبيّنا كان شابّا ، فقال له ذلك لحداثة سنّه . وأيضا فنوح كان صفيّا ومحمد حبيبا ، ولإفراط المحبة فيه تـكون الغيرة عليه أعظم ، ولا أحد أعظم غيرة من الله . وينبغى أن يكون الحبيب أكثر اجتهاداً وحرصاً على طاعة محبوبه . وعلى ذلك جرى الخطاب معه [١٥٠ ا] فى القرآن .

(ما جئْتَنا ببينةٍ(٢)) ؛ أى بمعجزة ؛ وذلك كذبٌ من قول قوم هود وجحودٌ . أو يكون معناه تضطرنا إلى الإيمان بك ، وإن كان قد أتاهم بآية .

(ما مِن دابّةٍ إلّا هو آخِذٌ بناصِيتها(٣)) ؛ أى فى قبضته ، وتحت قَهره ؛ والأخْذُ بالناصية تمثيل لذلك . وهذه الجملة تعليل لقوله : «(٣) توكّلْتُ على الله ربى وربكم » .

(مَجِيدٌ(٤)) : هو من المجد ، وهو العلو ، أو الشرف ؛ من قولك : أمجِدْ الدابة علفا ؛ أى أكثر وزد .

(مالَنَا فى بناتِك مِن حقّ(٥)) : هذا من قول قَوْمِ لوط لما عرض بناته للزواج عليهم ليَقِيَ أضيافه بهنّ ، فأعرضوا عنه ، وقالوا له : لا أرب لنا إلا فى إتيان الرجال .

---

(١) الأنعام : ٣٥ (٢) هود : ٥٣ (٣) هود : ٥٦

(٤) هود : ٧٣ (٥) هود : ٧٩

(مَنْضُود[1]) : أى مضموم بعضه فوق بعض .

(ما هِيَ من الظالمين بِبَعِيد[2]) : الضمير للحجارة[3] ، والمراد بالظالمين كفَّارُ قريش ؛ فهذا تهديد لهم ؛ أى ليس الرَّمْىُ بالحجارة ببعيـــــد منهم لأجل كفرهم .

وقيل الضمير للمدائن ؛ فالمعنى ليست ببعيد منهم ، فلا يعتبرون بها ؛ كقوله تعالى[4] : « ولقد أتَوْا عَلَى القَرْيَةِ التى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْء » . وقيل : أراد الظالمين على العموم .

(ما أُرِيد أن أخالِفَكم إلى ما أنهاكُمْ عنه[5]) : يقال : خالفنى فلان إلى كذا ، إذا قصده وأنت مُوَلٍّ عنه ، وخالفنى عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده .

(فما لكم فى المنافقين فِئَتَيْن[6]) : ما استفهامية بمعنى التوبيخ ، والخطاب للمسلمين . ومعنى فئتين أى طائفتين مختلفتين ، وهو منصوب على الحال .

والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس إنها نزلت فى قوم كانوا بمكة مع المشركين ، فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا ؛ ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات ، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم ليغنَمُوا تجارتهم ؛ لأنهم لم يهاجروا ، أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنون .

وقال زيد بن ثابت : نزلت فى المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أُحُد ، فاختلف الصحابة فى أمرهم . ويرد هذا : حتى يهاجروا .

---

(١) هود : ٨٢ (٢) هود : ٨٣ (٣) فى الآية التى قبلها : وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . (٤) الفرقان : ٤٠ (٥) هود : ٨٨ (٦) النساء : ٨٨

(مِثْلُ ما أصابَ قَوْمَ نُوحٍ أو قَوْمَ هود أو قَوْمَ صالح ، وما قَوْمُ لُوطٍ منكم بِبَعِيد[1]) ؛ أى لا تكسبنكم[2] عَدَاوتى أن يصيبكم مثل عذابِ الأمم المتقدمة ؛ وإنما قَرُب قوم لوط منهم لأنهم كانوا أَقْرَبَ الأمم الهالكة إليهم . ويحتمل أن يريد فى البلاد .

(ما أغْنَتْ عنهم آلِهتُهم التى يَدْعُون من دونِ الله مِنْ شىء[3]) : حجة على التوحيد ، ونفى للشرك ، لو عقلوا .

(ما دامَت السمواتُ والأرضُ إلّا ما شاء ربُّك[4]) : فيه وجهان : أحدها ـ أن يُراد بها سموات الآخرة وأرضها ؛ وهى دائمة أبدا . والآخر أن يكون عِبارة عن التأبيد ، كقَوْلِ العرب: ما لاح كوكب ، وما نَاحَ الحمام ، وشبه ذلك ؛ مما يُقصد به الدوام . وفى هذا الاستثناء ثلاثة أقوال :

قيل : إنه على طريق التأدّب مع الله ؛ كقولك : إن شاء الله ، وإن كان الأمر واجبا .

وقيل المراد زمان خروج المُذْنبين من النار ، ويكون الذين شَقُوا[5] على هذا يعمُّ الكفار والمذنبين .

وقيل استثنى مدة كونه فى الدنيا وفى البرزخ . وأما الاستثناء فى أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث دون الثانى .

(مَجْذُوذ[4]) : مقطوع . يقال جَذَذْتُ وحَذَذْتُ ؛ أى قطعت .

(ما يَعبُدونَ إلّا كما يَعبُدُ آباؤهم من قَبْلُ[6]) ؛ أى هم متّبعون لآبائهم

---

(١) هود : ٨٩ (٢) تفسير لقوله تعالى فى الآية : لا يجرمنكم شقاقى .
(٣) هود : ١٠١ (٤) هود : ١٠٨ (٥) فى الآية ١٠٦
(٦) هود : ١٠٩

تقليداً من غير برهان ؛ كقوله[1] : « إنَّا وجدنا آباءنا على أُمَّة وإنّا على آثارِهم مُهْتَدُون » .

(ما لكَ لا تَأْمَنّا على يوسف[2]) : أى لِمَ تخاف عليه منا ؛ وقرأ السبعة تَأْمنّا بالإدغام والإشمام ؛ لأن أصله بضم النون الأولى .

(ما أنتَ بمُؤْمنٍ لَنا[3]) : أى بمُصَدِّقٍ لمقالنا ، ولو كنّا صادقين ، فكيف وأنت تتهمنا . وقيل : معناه لا تصدقنا ولو كنا صادقين فى هذه المقالة ؛ فذلك على وجه المغالطة منهم . والأول أظهر .

(مَثْوَاه[4]) : مقامه .

(ما جَزَاءُ مَنْ أرادَ بأَهْلِكَ سُوءاً[5]) : هذا من قول زليخا لما رأت الفضيحة عكست القضية وادّعَتْ أنَّ يوسفَ راوَدها عن نفسها ، فذكرت جزاء مَنْ فعل ذلك على العموم ، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله فى العموم ، وبناء على أن الذَّنْبَ ثابت عليه [١٥٠ ب] بدعواها لصدقها عنده . ويحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية[6] .

(ما هذا بشراً إنْ هذا إلّا مَلَكٌ كَرِيم[7]) : هذا من قول النسوة اللواتى عظَّمْنَ شأنَه وجماله حتى قطّعن أيديهن ، وهن لا يشعرن ، كما يقطع الطعام .

(ما رَأَوُا الآياتِ[8]) : أى الأدلة على براءته من شهادة الصبي وغير ذلك . وضمير الجمع يعود على الزوج والمرأة ومن تشاور معهما على ذلك .

---

(١) الزخرف : ٢٢ (٢) يوسف : ١١ (٣) يوسف : ١٧
(٤) يوسف : ٢١ (٥) يوسف : ٢٥ (٦) فى الكشاف (١ – ٤٦٦) : وما نافية . أى ليس جزاؤه إلا السجن . ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أى شىء جزاؤه إلا السجن .
(٧) يوسف : ٣١ (٨) يوسف : ٣٥

(ما تعبدونَ مِنْ دُونِهِ إلَّا أسماءً[1]) : وقع الأسماء هنا موقع المسميات . والمعنى سميتم آلهةً ما لا يستحق الإلهية ثم عبدتموها .

(ما نَحْنُ بِتَأوِيلِ الأحلَامِ بعالمين[2]) : إما أن يريدَ تأويل الأحلام الباطلة ، أو تأويل الأحلام على الإطلاق ؛ وهو أظهر .

(ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ[3]) ؛ أي يأكلن فيها ما اختزنتم من الطعام في سُنْبله ، وإسناد الأكل إلى السنين على جهة المجاز .

(ما عَلِمْنا عليه مِنْ سُوءٍ[4]) : هذا كلام النسوة اللاتي نَزَّهْنَ يوسف عن مُراودته لهن ، أو لامرأة العزيز .

(ما أُبَرِّئُ نفسي[5]) : اختلف هل هذا من كلام امرأة العزيز ، أو من كلام يوسف ؛ فإن كان من كلامها فهو اعترافٌ بعد الاعتراف ، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما همَّ به على وجه خطوره على قلبه ، لا على وجه العزم والقصد . أو قاله في عموم الأقوال على وجه التواضع .

(ما رَحِمَ ربي[5]) : استثناء من النَّفْس[6] ؛ إذ هي بمعنى النفوس ؛ أي إلا النفس المرحومة ، وهي المطمئنة ، فما على هذا بمعنى الذي . ويحتمل أن تكون ظرفية ؛ أي إلى حين رحمة الله .

(مَكِينٌ أمين[7]) : تأمّل حُسْن السياسةِ من هـــذا الملك في قوله[7] : أستَخْلِصه لنفسي . فلما كلّمه وظهَر له وُفُورُ عقله ، وحسن كلامه قال له :

---

(١) يوسف : ٤٠ (٢) يوسف : ٤٤ (٣) يوسف : ٤٨

(٤) يوسف : ٥١ (٥) يوسف : ٥٣ (٦) في الآية نفسها .

(٧) يوسف : ٥٤

إنك لدينا مكين أمين ، مكين من التمكن[1] ، والأمين من الأمانة ؛ فهكذا ينبغي ألّا يصطفي الإنسان لنفسه صاحبا إلّا بعد الاختبار والامتحان ، إذ بعدها يعزّ المرء أو يُهان . يشهد لذلك الحديث : هل سافرت معه ؟ هل بايعته ؟ هل شاربته ؟

(مكّنا ليوسفَ في الأرض[2]) : إشارة بذلك إلى ما تقدم من جميل صُنْع الله به . ورُوي أن الملِكَ أسندَ إليه جميع الأمور حتى تغلّب على جميع الأمور ، وأن امرأة العزيز شابت وافتقرت فتزوّجها يوسف . ورد الله عليها جمالها وشبابها ، وأنه باع من أهل مصر في أعوام القَحْطِ في السنة الأولى بالدنانير والدراهم حتى لم يَبْقَ لهم شيء منها ، ثم بالحلي ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ، ثم برقابهم حتى تملّكهم جميعاً ، ثم أعتقهم ورد أملاكهم عليهم .

تنبيـــه

على قدر النعمة تكون النِّقْمة ؛ لم يصل يوسفُ عليه السلام إلى هذا حتى امتحن بفراق أبوَيْه ، وبالجبّ وبالسجن ، واللوم والتعيير ، فكيف تطمع باللحوق إلى منزل الكرامة الباقية دون امتحان رسول الله : بقي في السجن بقوله : اذكرني عند ربك ـ سبع سنين ؛ فكيف حال مَنْ عصى مولاه سبعين سنة ، فإن لم تمتحن نفسك بطاعة مولاك فلا بد لك أن تخرج من سجن الدنيا إلى ظُلمة القبر وهول الحشر وتطاير الصحف والحساب والميزان والجواز

---

(١) في الكشاف (١ ـ ٤٧٦) : مكين أي ذو مكانة ومنزلة ، أمين : مؤتمن على كل شيء . وفي ابن كثير (٣ ـ ٤٨٢): أي إنك عندنا بقيت ذا مكانة وأمانة .
وفي القرطبي (٩ ـ ٢١٢) : متمكن نافذ القول أمين لا تخاف غدراً .

(٢) يوسف : ٥٦

على الصراط ـ على مَتْنِ النار ، وعليه كلاليب مثل شَوْكِ السَّعْدان ، وكلّ مارّ عليه يذهل عن الأهل والإخوان ، وكيف لا والأنبياء يقولون اللهم سلِّم سلِّم ؛ فإن عفا عنك مولاك جعل دار كرامته مَأْوَاك ، وإلّا فتسقط فيها لأنها مَثْوَاك ، وبئس مَثْوَى المتكبرين . اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

(ما نَبْغِي هذه بضاعَتُنا ردّتْ إلينا[1]) : ما استفهامية ، ونبغى بمعنى نطلب . والمعنى أى شىء نطلب بعد هذه الكرامة ، وهى رد البضاعة مع الطعام .

ويحتمل أن تكون ما نافية ، ونبغى من البغى ؛ أى لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك .

(ما كان يُغْنِي عنهم مِنَ اللهِ من شىء[2]) : جواب « لما » . والمعنى أن ذلك لا يدفع ما قضى الله .

(ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فى الأرض[3]) : استشهدوا [١٥١ ا] بعلمهم لما ظهر من ديانتهم فى دخولهم[4] أرضهم حين كانوا يجعلون الأكِمّة فى أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس .

(ما كان لِيَأْخُذَ أخاهُ فى دِينِ المَلِكِ[5]) : فى شرعه وعادته .

(مَعَاذَ اللهِ[6]) : وعَوْذه وعياذه بمعنى واحد ؛ أى أستجير بالله .

---

(١) يوسف : ٦٥ (٢) يوسف : ٦٨ (٣) يوسف : ٧٣

(٤) فى الكشاف (١ ـ ٤٧٩) : فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك ، ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكمومة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد من أهل السوق ، ولأنهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم . وهى عبارة أوضح .

(٥) يوسف : ٧٦ (٦) يوسف : ٧٩

(ما شَهِدْنَا إلا بما عَلِمْنَا وما كُنَّا للغَيْبِ حافظين[١]) : أى قولنا لك إنّ ابنَكَ سرق إنما هى شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى ، ولا نعلم الغيب هل ذلك حقٌّ فى نفس الأمر أم لا ؛ إذ يمكن أن دُسّ الصاعُ فى رحـــله من غير علمه .

وقال الزمخشرى[٢] : المعنى ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقته وتيقّنّاه ؛ لأن الصاع استخرج من وعائه .

(وما كُنَّا للغَيْبِ حافظين[١]) : أى ما علمنا أنه يسرق حين أعطيناك الميثاق . وقراءة سرق بالفتح تعضد قول الزمخشرى ، والقراءة بالضم[٣] تعضد القول الأول .

(ما فَعَلْتُم بيوسفَ وأخيه[٤]) : لما شكروا إليه رَقّ لهم وعرّفهم بنفسه . ورُوى أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لِثام ، ثم أزال اللثام ليعرفوه ، وأراد بقوله: « ما فَعَلْتُم بيوسف وأخيه » التفريق بينهما فى الصغر ، ومضرّتهم ليوسف ، وإذاية أخيه من بعده ؛ فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه .

(فلما دخلوا على يوسف[٥]) :هنا محذوفات يدل عليها الكلام ؛وهى فرحل يعقوب ، وترك أهله حين بلغه أمر يوسف ...

(ما كُنْتَ لدَيْهم[٦]) : الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم تأكيداً لحجته . والضمير لإخوة يوسف .

---

(١) يوسف : ٨١ (٢) الكشاف : ١ — ٤٨١

(٣) فى القرطبى (٩ — ٢٤٤) : بضم السين وتشديد الراء مكسورة على ما لم يسم فاعله، أى نسب إلى السرقة ورمى بها . (٤) يوسف : ٨٩

(٥) يوسف : ٩٩ ، وفى ب : ولما دخلوا على يوسف تحريف . (٦) يوسف : ١٠٢

(ما أكثر النَّاسِ ولو حَرَصْتَ بمُؤْمنين. وما تسألُهم عليه مِنْ أجْر[1]) ؛ أى لا يؤمن أكثر الناس ولو حرصْتَ على إيمانهم ، ولست تسألهم أجراً على الإيمان فيثقل عليهم بحسب ذلك . وهكذا معناه حيث وقع .

(ما يُؤْمِنُ أكثرُهُمْ باللهِ إلَّا وهم مُشْرِكُون[2]) : نزلت فى كفار العرب الذين يُقِرُّونَ بالله ويعبدون معه غيره . وقيل فى أهل الكتاب لقولهم : عُزَيْر ابن الله .

(ما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلَّا رِجَالا[3]) : رد على من أنكر أن يكون النبى من البشر . وقيل فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولا من النساء . واختلف فى مريم والصحيح أنها صدِّيقة .

(ما كان حديثاً يُفْتَرى[4]) : يعنى القرآن ، وهذا أحد أسمائه .

[أسماء القرآن]

قال الجاحظ[5] : سَمَّى اللهُ كتابَه اسماً مخالفاً لما سَمَّى العرب كَلَامَهُمْ على الجملة والتفصيل[6] ، سَمَّى جملته قرآنا كما سموا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كقافية .

وقال أبو المعالى عَزِيزى بن عبد الملك المعروف بشَيْذَلة فى كتاب البرهان[7] : اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً :

---

(١) يوسف : ١٠٣ ، ١٠٤ (٢) يوسف : ١٠٦

(٣) يوسف : ١٠٩ (٤) يوسف : ١١١ (٥) الإتقان : ١ ــ ١٤٣ ، والبرهان : ١ ــ ٢٧٣ (٦) فى الإتقان : على الجمل والتفصيل .

(٧) اسم كتابه وقد تقدم ، وهو كتاب البرهان فى مشكلات القرآن .

كتاباً ، ومُبينا فى قوله[1] : « حم . والكتابِ المُبين » .

وقرآنا وكريما فى قوله[2] : « إنه لقرآنٌ كريم » .

وكلاما[3] : « حتى يَسْمَعَ كلامَ الله » .

ونورا[4] : « وأنزلنا إليكم نوراً مُبينا » .

وهدى ورحمة فى قوله[5] : « وهُدًى ورَحْمَةً للمُحْسنين » .

وفُرْقانا[6] : « نَزَّلَ الفُرْقَانَ على عَبْده » .

وشفاء[7] : « ونُنَزِّلُ من القرآن ما هُوَ شِفَاءٌ » .

وموعظة[8] : « قد جاءَتْكُم موعظةٌ من رَبكم وشِفَاء لِما فى الصُّدُور » .

وذِكْراً ومباركا[9] : « وهذا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أنزلناه » .

وعَلِيّاً[10] : « وإنَّهُ فى أُمِّ الكتاب لدَيْنا لَعَلِيٌّ حكيم » .

وحكمة[11] : « حِكْمَةٌ بالغة » .

وحكيما[12] : « تلك آياتُ الكتابِ الحكيم » .

ومُهَيْمِناً ومصدّقا[13] : « مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْه من الكتاب ومُهَيْمِناً عليه » .

وحبْلا[14] : « واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعاً » .

---

(١) الدخان : ١ ، ٢ — (٢) الواقعة : ٧٧ — (٣) التوبة : ٦

(٤) النساء : ١٧٤ — (٥) لقمان : ٣ — (٦) الفرقان : ١

(٧) الإسراء : ٨٢ — (٨) يونس : ٥٧ — (٩) الأنبياء : ٥٠

(١٠) الزخرف : ٤ — (١١) القمر : ٥ — (١٢) يونس : ٢

(١٣) المائدة : ٤٨ — (١٤) آل عمران : ١٠٣

وصِراطاً مستقيماً[1] : « وأنّ هذا صِراطِي مُستقيما » .

وقَيِّماً[2] : « قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَديدا » .

وقَوْلا وفصلا[3] : « إنّهُ لقَوْلٌ فَصْل » .

ونَبَأً عظيما[4] : « عَمَّ يَتَساءَلُون . عن النَّبَإِ العَظِيم » .

وأحسن الحديث ، ومَثَانى ، ومُتَشابها[5] : « اللهُ نَزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً مُتَشابِهاً مَثَانِيَ » .

وتنزيلا[6] : « وإنّه لتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمين » .

ورُوحاً[7] : « أَوْحَيْنَا إليكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنا » .

ووَحْياً[8] : « إنما أُنذِرُكُم بالوَحْيِ » .

وعربيّا[9] : « قُرآناً عربيّا » .

وبصائر[10] : « هذا بَصائِرُ للناس » .

وبيانا[11] : « هذا بيانٌ للناسِ » .

وعِلما[12] : « مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُم العِلْمِ » .

وحقّا[13] : « إنّ هذا لَهُوَ القَصصُ الحق » .

وهادياً[14] : « إنَّ هذا القرآن يَهْدِي » .

---

(١) الأنعام : ١٥٣ (٢) الكهف : ٢ (٣) الطارق : ١٣

(٤) النبأ : ١ ، ٢ (٥) الزمر : ٢٣ (٦) الشعراء : ١٩٢

(٧) الشورى : ٥٢ (٨) الأنبياء : ٤٥ (٩) يوسف : ٢

(١٠) الجاثية : ٢٠ (١١) آل عمران : ١٣٨ (١٢) آل عمران : ١٩

(١٣) آل عمران : ٦٢ (١٤) الإسراء : ٩

وعجباً[1] : « قرآناً عَجَباً » .

وتذكرة[2] : « وإنّه لَتَذْكِرَةٌ » .

والعروة الوثقى[3] [١٥١ ب] : « فقد استَمْسكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقى » .

وصدقا[4] : « والذى جاء بالصِّدْقِ » .

وعدلا[5] : « تمّتْ كَلِمةُ ربِّك صِدْقاً وعَدْلا » .

وأمْراً[6] : « ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أنزلَهُ إليكم » .

ومناديا[7] : « إنّنا سَمِعْنا منادِياً يُنادِى للإيمان » .

وبشرى[8] : « هُدًى وبُشْرَى » .

ومَجِيدا[9] : « بل هُو قُرْآنٌ مَجِيد » .

وزَبُوراً[10] : « ولقدْ كتَبْنا فى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ » .

وبشيرا ونذيرا[11] : « كتابٌ فُصِّلَتْ آياته قرآنا عربيًّا لقومٍ يعلمون ، بَشيرا ونَذِيراً » .

وعزيزا[12] : « وإنه لَكِتَابٌ عَزِيز » .

وبلاغا[13] : « هذا بلاغٌ لِلنَّاس » .

وقَصصا[14] : « أحسن القصص » .

---

(١) الجن : ١ (٢) الحاقة : ٤٨ (٣) البقرة : ٢٥٦

(٤) الزمر : ٣٣ (٥) الأنعام : ١١٥ (٦) الطلاق : ٥

(٧) آل عمران : ١٩٣ (٨) البقرة : ٩٧ (٩) البروج : ٢١

(١٠) الأنبياء : ١٠٥ (١١) فصلت : ٣ ، ٤ (١٢) فصلت : ٤١

(١٣) إبراهيم : ٥٢ (١٤) يوسف ٣

وسماه أربعة أسماء فى آية واحدة[1] : « فى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مرفوعة مُطَهَّرة » .

• • •

فأما تسميته كتاباً فلجَمْعِه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه . والكتاب لغة الجمع .

والمبين ؛ لأنه أبان الحق من الباطل ؛ أى أظهره .

وأما القرآن فاختلف فيه ؛ فقال جماعة : هو اسم علَمٍ غير مشتقّ خاصّ بكلام الله ، فهو غير مهموز ، وبه قرأ ابن كثير . وهو مرويٌّ عن الشافعى .

وأخرج الخطيب والبيهقى وغيرهما عنه[2] أنه كان يهمز قرأت ولا يهمز القرآن . ويقول القران : اسم ، وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسمٌ لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل .

وقال قوم منهم الأشعرى : هو مشتقٌّ من قرنت الشىء بالشىء ، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر ، وسمى به لقران السور والآيات والحروف فيه .

وقال الفراء : هو مشتق من القرائن ؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا، وهى قرائن . وعلى القولين هو بلا همز ونونه أصلية .

وقال الزجاج : هذا القول سهو[3] . والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ، ونَقْل حركة الهمز إلى الساكن قبلها .

---

(١) عبس : ١٣ ، ١٤ ، وقول المؤلف فى آية واحدة فيه نظر ، لأن الأسماء الأربعة فى آيتين . والمثبت فى الأصلين ، وفى الإتقان ، والبرهان . (٢) البرهان : ١ ــ ٢٧٨

(٣) فى ب : أصل سهو . والمثبت فى البرهان أيضا : ١ ــ ٢٧٨

واختلف القائلون بأنه مهموز ؛ فقال قوم منهم الجيانى[1] : هو مصدر لقرأت ، كالرُّجْحَان والغُفْرَان ، سمي به الكتاب المقروء ، من باب تسمية المفعول بالمصدر .

وقال آخرون منهم الزجاج : هو وصف على فُعْلان ، وهو مشتقٌ من القَرْء بمعنى الجمع ، ومنه قرأت الماء فى الحوض أى جمعته .

قال أبو عبيدة : وسُمى بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض .

وقال الراغب[2] : لا يُقال لكل جَمْعٍ قرآن ، ولا لجَمْعِ كلِّ كلامٍ قرآن[3] ، قال : وإنما سمى قرآنا[4] لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة .
وقيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها .

وحكى قُطْرب قولا : إنه سُمِّى قرآنا لأن القارىء يظهره ويُبَيِّنُهُ من فيه أخذاً من قول العرب : ما قرأت الناقة سَلًى قط ؛ أى[5] ما أسقطت ولداً ؛ أى ما حملت قط . والقرآن يلفظه القارىء من فيه ويلقيه فسمى قرآنا .

قلت : المختار عندى فى هذه المسألة ما نص عليه الشافعى .

وأما الكلام فمشتق من الكَلْم بمعنى التأثير ؛ لأنه يؤثر فى ذهن السامع فائدة لم تكن عنده .

وأما النّور فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام .

---

(١) فى الإتقان : اللحيانى . (٢) فى المفردات : ٤٠٢ (٣) وفى مفردات الراغب : وليس يقال ذلك لكل جمع . (٤) فى المفردات : قرآنا من بين كتب الله ...
(٥) فى الإتقان (١ ـ ١٤٧) : أى ما رمت بولد ، أى ما أسقطت ... والسلى : جلدة فيها الولد من الناس والمواشى ، جمعه أسلاء (القاموس) .

وأما الهدى فلأن فيه الدلالة على الحق ، وهو من باب إطلاق المصدر على الفاعل مبالغة .

وأما الفرقان فلأنه فرق بين الحق والباطل . وجّهه بذلك مجاهد ، كما أخرجه ابن أبي حاتم .

وأما الشفاء فلأنه يشفي من الأمراض القلبية ؛ كالكُفْر والجهل والغل؛ والبدنية أيضاً .

وأما الذِّكْر فلما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية . والذكر أيضا الشرف ؛ قال الله تعالى[1] : « وإنَّه لَذِكْرٌ لكَ ولقَوْمِكَ » ؛ أي شرف ؛ لأنه بلغتهم .

وأما الحكمة فلأنه نزل على القانون المعتبر من وَضْع كل شيء في محله ، أو لأنه مشتمل على الحكمة .

وأما الحكيم فلأنه أحكمت آياته بعجيب النظم وبديع المعاني ، وأحكمت عن تطرُّق التحريف والتبديل ، والاختلاف والتباين .

وأما المهيمن فلأنه شاهدٌ على جميع الكتب والأمم السالفة .

وأما الحَبْل فلأنه مَنْ تمسك به وصل إلى الجنة أو الهدى . والحبل : السبب .

وأما الصراط المستقيم فلأنه طريق إلى الجنّة قويم لا عوج فيه .

وأما المثاني فلأن فيه بيان قصص الأمم الماضية ، فهو ثان لما تقدمه . وقيل لتكرار القصص والمواعظ فيه . وقيل : لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة باللفظ

---

(١) الزخرف : ٤٤

والمعنى ؛ لقوله[1] : « إنّ هذا لفى الصُّحُفِ الأولى . صُحُفِ إبراهيم وموسى » . [١٥٢ ا] . حكاه الكرمانى فى عجائبه[2] .

وأما المتشابه فلأنه يُشبه بعضُه بعضا فى الصدق .

وأما الرُّوح فلأنه تحيى به القلوب والأنفس .

وأما المجيد فلِشَرفه .

وأما العزيز فلأنه يعزّ على مَنْ يروم معارضته .

وأما البلاغ فلأنه أُبلغ به الناس ما أُمروا به ونهوا عنه ؛ أو لأن فيه بلاغا وكفاية عن غيره .

قال السِّلَفِيّ فى بعض أجزائه : سمعت أبا الكرم النحوى ، سمعت أبا القاسم التنوخى يقول : سمعت أبا الحسن الرمانى يقول - وقد سُئل : كل كتاب له ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله ؟ فقال : هذا بلاغ للناس ، ولِيُنْذَرُوا به .

وذكر أبو شامة وغيره فى قوله تعالى[3] : « ورِزْقُ ربّك خيْرٌ وأبقى » - أنه القرآن .

فائدة

حكى المظفرى[4] فى تاريخه ، قال : لما جمع أبو بكر القرآن قال : سمّوه . قال بعضهم : سموه إنجيلا ، فكرهوه . وقال بعضهم : سموه السِّفْر ، فكرهوه

---

(١) الأعلى : ١٨ (٢) وقيل : إنه اسم الفاتحة وحدها (البرهان : ١ - ٢٨٠)

(٣) طه : ١٣١ (٤) البرهان : ١ - ٢٨١

من اليهود[1] . فقال ابن مسعود : رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف ، فسموه بذلك .

قلت : أخرج ابن أشتة[2] فى كتاب المصاحف من طريق عيسى بن عقبة عن ابن شهاب ، قال : لما جمعوا القرآن فكتبوه فى الورق قال أبو بكر : التمسوا له اسما . فقال بعضهم : السِّفْر . وقال بعضهم : المصحف ؛ فإن الحبشة يسمونه المصحف . وكان أبو بكر أوّل من جمع كِتَاب اللهِ وسمّاه المصحف . ثم أورده من طريق آخر عن ابن بُرَيدة .

وذكر ابن الضُّرَيس[3] وغيره ، عن كعب ، قال : فى التوراة : يا محمد ؛ إنى منزّل عليك توراةً حديثة ، تفتح أعيناً عُمْيا ، وآذانا صُمًّا ، وقلوبا غُلْفا .

وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة ، قال : لما أخذ موسى الألواح قال : يا ربّ ؛ إنى أجِدُ فى الألواح أمّةً أناجِيلُهم فى صدورهم ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد .

ففى هذين الأثرين تسمية القرآن توراة وإنجيلا . ومع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك . وهذا كما سميت التوراة فرقانا فى قوله[4] : « وإذا آتينا

---

(١) فى ب : باليهود ، وفى البرهان : من يهود .

(٢) ابن أشتة : محمد بن عبد الله أحد علماء العربية والقراءات ، وله كتاب فى شواذ القراءات ، توفى سنة ٣٠٦ هـ . وأشتة مضموم الهمزة فى التبصير (٢٠) ، ومفتوح الهمزة فى المشتبه والمستدرك والتوضيح .

(٣) هو محمد بن أيوب بن يحيى ، أحد حفاظ الحديث . له كتاب فى فضائل القرآن توفى سنة ٢٩٤ . (تذكرة الحفاظ : ٢ — ١٩٥) . (٤) البقرة : ٥٣

موسى الكتابَ والفُرقان » ، وسمى صلى الله عليه وسلم الزبور قرآنا فى قوله :
خفّف على داود القرآن .

(مَدّ الأرض[١]) : يقتضى أنها بسيطة لا كرة[٢] ، وهو ظاهر الشريعة ، وقد يرتب لفظ المد والبسط مع التكوير ؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها ؛ وإنما التكوير لجملة الأرض . وقال الشيخ عبد الخالق : وكنت أسمع من الشيوخ أن فى الأرض خمسة أقوال : قيل كروية . وقيل بسيطة . وقيل : إنها شبه مكب . وقيل بمنزلة حِيلة[٣] السيف الذى يتقلد به ، وإنها شبه حلقة محيطة بهذا العالم ، كإحاطة الحيلة . وقيل شبه سمكة .

ومن أجل ذلك وضعوا الاصطرلاب الحوتى الجنوبى .

قال : والصحيح عندهم أنها كورية[٤] ، وأن السماء كورية[٥] .

وقال ابن عرفة : استدلّ بعضهم بهذه الآية على أنّ الأرض بسيطة ، ولا دليل له فى ذلك ؛ لأن اقليدس المهندس قال الكرة الحقيقية لا يمكن إقامة الزوايا والخطوط عليها بوجه ، ونحن نجد الأرض تقام عليها الخطوط وغير ذلك ، ونراها مستوية ؛ وذلك من أدلّ دليل على أنها وإن كانت كروية فليست كالكرة الحقيقية ؛ بل أعلاها مستو كبعض الكُوَر[٥] التى أعلاها يكون بسيطاً[٦] مستوياً .

(مَثُلَات[٧]) : جمع مثلة ، على وزن سمرة ، وهى العقوبةُ العظيمة التى تجعل

---

(١) الرعد : ٣ (٢) فى ب : لا كورة . (٣) الحيلة والحالة والمحمل : علاقة السيف (القاموس) . (٤) فى ا ، ب : كورية .

(٥) هذا بالأصلين ، وقد ذكرها المؤلف فى هذا البحث كله بلفظ : كورة — وهى بفتح الكاف : لوث العمامة وإدارتها . وبالضم : الصقع ، وجمعها كور — بفتح الواو ، وأكوار (القاموس) .

(٦) يريد مبسوطا . (٧) الرعد : ٦

الإنسان يضرب به المثل ؛ ولذلك وقعت الأمثال فى القرآن ؛ لأنه بالمثال يتبين الحال ، أفلا يخاف الإنسان أن يحل به ما حل بمن قبله إذا فعل مثل فعله .

(من أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهر به[1]) : المعنى أن الله يسمع كل شىء ، فالجهر والإسرار عنده سواء ؛ ولذلك أتى به بعد قوله[2] : « اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كلُّ أُنثَى وما تَغِيضُ الأَرْحَام وما تَزْدَادُ » .

فإن قلت : قوله تغيض الأرحام قرينة فى الخصوص .

فالجواب أنَّ الفخر والآمدى قالا : إن العامَّ إذا عقِّب بصنف من أصنافه فمذهب مالك والشافعى بقاؤه على عمومه .

وقال الثورى : هو مقصور على ذلك الصنف ؛ فقوله : « وما تغيض الأرحام » — وإن كان لا يصدق إلا على الآدميات [١٥٢ ب] لا يخصِّصه . وذكر المؤرخون أنه كان فى بلد « سَــــلَا[3] » عشرة ملوك وُلِدُوا من بطن واحدة .

قال ابن عطية : وقع لمالك ما يدلُّ على أنَّ الحامل عنده لا تحيض . ومذهب ابن القاسم أنها تحيض . قيل لابن عرفة : يلزم من قولكم إنها تحيض ألا يكون الحيض دليلا على براءة الرَّحم ، فكيف جعلتموه دليلا على براءة الرحم فى العدّة والاستبراء ؟ فقال : إنما حكمنا بالمظنة . فقلنا : هو مظنة لبراءة الرحم ، فتخلفه

---

(١) الرعد : ١٠ (٢) الرعد : ٨

(٣) فى ياقوت : سلا بلفظ الفعل الماضى : مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلا مدينة صغيرة ، ثم يأخذ البحر ذات الشمال وذات الجنوب ، وهو البحر المحيط . وســـلا : مدينة متوسطة فى الصغر والكبر موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذاها البحر والنهر ، وفى غربى النهر اختط عبد المؤمن مدينة وسماها المهدية . وهى من مراكش غربية جنوبية .

فى بعض الأحيان لا يقدح ، كما أن الغَيْمَ فى زمن الشتاء مظنةٌ لنزول المطر . وقد يتخلَّف .

فإن قلت : لم قدم النقص على الزيادة ؟ فالجواب لأن الأصل عدم الزيادة .

فإن قلت : « سواء[1] » مصدر فى الأصل ، وهو خبر عن قوله : مَنْ أسرَّ القول ؛ والمصادر لا تكون أخبارا عن الجثة ، فهل هو كقولك : زيد عدل . قال الكوفيون : أى ذو عدل ، وجعله البصريون نفس العدالة مبالغة ومجازاً .

والجواب أنه ليس مثله[2] ، وإنما جاز الإخبار هنا لأنّه ليس خبراً عن الذات ؛ بل عن المجموع . قيل لابن عرفة : هلَّا قال سواءٌ عنده ولم يقل منكم ؛ ليعمَّ الكلام الإنسان والجن . بل ذكر الجن كان يكون أَوْلى ؛ لأنهم أجهل وأشد مكراً واختفاء ؛ أو الشياطين منهم . فقال : الجن أجسام لطيفة والإناء اللطيف الشفاف يُرَى ما فى باطنه من ظاهره بخلاف الناس ، فإن أجسامهم كثيفة ؛ فكان العلم بما فى قلوبهم أبلغ ؛ فلذلك ذكرهم ليدل ذلك على العلم بأسرار الجن من باب أحرى .

(مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وسَارِبٌ بِالنهار[3]) : المُسْتَخْفِى بالليل هو الذى لا يظهر . والسارب : المنصرف[4] فى سَرْبه ـ بفتح السين ؛ وقصد فى هذه الآية التسوية بينهما فى اطِّلَاع الله عليهما مع تبَايُن حالهما . وقيل : إنهما صفتان لموصوف واحد ، يستخفى بالليل ويظهر بالنهار . ويعضد هذا كونه قال : وسارب بالنهار ـ بعطفه عطف الصفات ، ولم يقل ومَنْ هُوَ سارِبٌ بتكرار مَنْ ،

---

(١) فى الآية العاشرة من سورة الرعد : سواء منكم من أسر القول .

(٢) فى القاموس : السواء : العدل والوسط . (٣) الرعد : ١٠

(٤) فى الكشاف (١ ــ ٤٨٩) : سارب : ذاهب فى سربه ، بالفتح ، أى فى طريقه ووجهه .

كما قال[1] : « من أسرَّ القول ومَنْ جهر به » ؛ إلا أنّ جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسر القول ومن جهر به ، فيكمل التقسيم إلى أربعة . وعلى هذا يكون قوله : « وسَارِبٌ » عطف على قوله : مَنْ هو مستَخْفٍ ، لا على مستخف وَحْدَه[2] .

(مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه[3]) : أى جماعات[4] تعقب فى حفظه وكلاءته . وقيل : أذكار وتسبيحات ودعوات . وردّه ابن عرفة بأن المجموع بالألف والتاء إذا كان مكسرا[5] يشترط فيه العقل إذا لم تكسّره[5] العرب كجماعات ؛ ولهذا حكى[6] الزمخشرىُّ فيه معاقيب .

فإن قلت : الوارد فى الحديث أن الحفظة مَلك عن اليمين وملك عن الشمال ، فكيف قال : من بين يديه ومن خلفه ؟

فالجواب من وجهين :

الأول ـ أن من لابتداء الغاية ، فينزلون من أمامه ومن خلفه لعمارة يمينه وشماله بالحفظة الأول ، ثم تصعد الحفظة الأوّل ويستقرّون هم عن يمينه وشماله .

الثانى ـ أن الضرر اللاحق للانسان من أمامه وخلفه أصعب عليه وأشقّ ، فما هو من أمامه يأتيه مصادرة وإليه يهرب . ألا ترى قوله تعالى[7] : « قل إنَّ المَوْتَ الذى تَفِرُّونَ منه فإنّه مُلَاقِيكُم » . وما هو من خلفه يأتيه من حيث لا يشعر فحِفْظُ هاتين الجهتين آكد من غيرهما .

---

(١) الرعد : ١٠ (٢) فى الكشاف (١ — ٤٨١) : فيه وجهان : أحدهما أن قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف . والثانى أنه عطف على مستخف لا أن من فى معنى الاثنين كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار .

(٣) الرعد : ١١ (٤) فى الكشاف : جماعات من الملائكة .

(٥) فى ا ، ب : مكثرا ... تكثره ـ بالثاء المثلثة . (٦) الكشاف : ١ — ٤٠٩

(٧) الجمعة : ٨

فإن قلت : هل هؤلاء المعقبات للجنّ والإنس أو للإنْس خاصة ؟ فالجواب أن الضمير يعود على من أسرّ القولَ ومَنْ جهر ، ومن استخْفَى وظهر ، يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم واستغفارهم .

(مَنْ فى السمواتِ ، والأرْض[1]) : لا تقع مَنْ إلّا عَلَى مَنْ يعقل ، فهى هنا يراد بها الملائكة والإنس والجن .

(ما لهم مِن دُونه مِنْ وَالٍ[2]) : أى من شفيع فى رفع العذاب عنهم ؛ فهو تأسيس . وقوله[2]: «فلا مردّ له» ؛ أى لا دافع عنه ابتداء قبل وقوعه بهم ، ولا ناصر لهم يرفعه عنهم بعد وقوعه .

(مَنْ رَبُّ السمواتِ والأرض[3]) : أمره الله أن يقول لهم هذا القول ، لأنهم لا يجدون بُدًّا من قولهم: الله ، كما قال تعالى[4]: «ولئن سألْتَهُمْ مَنْ خلقهم ليقولُنَّ الله » ؛ ولذا حصل تبكيتُهم بقوله تعالى : « قل أفاتّخَذْتم مِن دُونِه أوْلياءَ » . والمعطوف عليه مقدّر ؛ أى [١٥٣ ا] كفرْتم فاتخذتم .

فإن قلت : لِمَ قال من دونه ، وهم اتخذوهم شركاء مع الله ؟

والجواب : إنا إن نظرنا إلى نفس اتخاذهم وليًّا وناصراً بالنوع فلا شك أنهم شركاء فى وصف النصرة والولاية بين الله وغيره ، وإن نظرنا إلى اتخاذهم وليًّا وناصراً بالشخص فلا شك أن هذا لا يصحُّ فيه الشركة .

وقد ذكر ابن التلمسانى فى مسألة الصلاة فى الدار المغصوبة أن الواحد بالشخص لا يصح انقسامه إلى مأمور ومنهيّ ؛ والواحد بالجنس أو النوع يصح فيه ذلك . ومثّله بالسجود لله والسجود للصنم .

---

(١) الرعد : ١٠ (٢) الرعد : ١١ (٣) الرعد : ١٦

(٤) الزخرف : ٨٧

فإن قلت : لِمَ قدم المجرور على أولياء ، والأصلُ تقديم المرفوع ثم المنصوب ثم المجرور ؟ والجواب لأنه أُضِيفَ إلى ضمير الله .

فإن قلت : لم قال : « أولياء » ، ولم يقل أربابا ؟ والجواب أن الأولياء أعمُّ من الأرباب ؛ لأن الولى والناصر قد يكون ربًّا وقد لا يكون ؛ فهم وُبِّخوا على الوصف الأعم ، وهو طلبهم النصرة من غير الله ؛ فيلزم منه الذمُّ على الوصف الأخص ؛ وهو اتخاذهم أرباباً من دون الله من باب أحرى . ولو قال اتخذتم من دونه أرباباً لأفاد التوبيخ على هذا الوصف الأخص ، لا على ما دونه ، وهو مطلق النصرة .

(ماء فسالَتْ أودِيةٌ بِقَدَرِها فاحتمل السَّيْلُ زَبَدًا رابِيًا[1]) : هذا مثل[2] ضربه الله للحقّ وأهله ، والباطل وحزبه ؛ فمثل الحقّ كالماء الذى ينزل من السماء فتَسِيلُ به الأَوْدِيةُ ، وتنتفع به الأرض ، وبالذهب والفضة والحديد والصُّفْر[3] وغيرها من المعادن التى ينتفع بها النـاس . وشُبِّه الباطل فى سرعة اضْمِحْلَالِهِ وزَوَاله بالزَّبد[4] الذى يرمى به السَّيل ويزبد تلك المعادن التى يطفو فوقها إذا أُذيبت ، وليس فى الزَّبَد منفعة ، وليس له دوام .

وقال ابن العربى فى قانون التأويل : ضربه الله مثلا للحق والباطل؛ فإنه خلق الماء لحياة الأبدان ، كما أنزل القرآن لحياة القلوب ، وضرب امتلاء الأودية بالمـاء مثلا لامتلاء القلوب بالعلم ، وضرب الأودية الجامعة للماء مثالًا للقلوب الجامعة للعلم . وضرب قدر الأودية فى احتمال الماء ، بسعتها وضيقها ، وصغرها وكبرها ، مثالًا لقَدْرِ القلوب فى انشراحها وضيقها بالحرج ، وضرب حمل السيلِ الحصيدَ

---

(١) الرعد : ١٧

(٢) الكشاف : ١ — ٤٩٢

(٣) الصفر : النحاس .

(٤) فى الكشاف : يزبد السيل الذى يرمى به .

والهشيم ، وما يجرى به ويدفعه مثلا لما يدفعه القرآن من الجهالة والزيغ والشكوك ووساوس الشيطان ، وضرب استقرار الماء ومكثه لانتفاع الناس به فى السقى والزراعة مثلا لمكث العلم واستقراره فى القلوب للانتفاع به .

قال : هذا المثل الأول . وأما الثانى فضرب المثل فيما يوقد عليه النار بما فى القرآن من فائدة العلم المنتفع به كالانتفاع بالمتاع ؛ وكما أن النار تميز الخبيث فى هذه من الطيب ، كذلك القرآن إذا عرضت عليه العلوم يميز النافع فيها من الضار .

(ما أمَرَ اللهُ به أنْ يُوصَلَ[1]) : القرابات والأرحام .

(مَنْ صَلَح مِنْ آبائهم وأزواجهم[2]) : ترتيب المعطوفات على حسبها فى الوجود الخارجى ؛ فوجود الأب سابق على وجود زوجك ، وزوجك سابق على ولدك ، ودخول الأنبياء الجنة إما لصلاحهم أو صلاح آبائهم ، كما قال تعالى[3] : « وكان أبُوهُما صالحا » . وقوله تعالى[4] : « والذين آمَنُوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذُرّيّتَهم » . أو العكس وهو أن دخول الآباء بسبب الأبناء ، كما فى الحديث : من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والده يوم القيامة تاجا أحسن من ضَوْءِ الشمس ؛ ولذلك قال الشاطبي : هنيئا مريئا ، والداك عليهما ملابس أنوار من التاج والحلى .

(ما الحياةُ الدُّنيا فى الآخرةِ إلّا مَتَاع[5]) : أى شىء يُتَمتَّعُ به وينفصل عنه . وهذه الآية إشارة إلى من يعمل للدنيا ويعمل للآخرة ، وإلا فالآخرة ليست ظرفاً للدنيا بوجه . فإذا تذكَّرَ الإنسان أيامه التى قطعها فى الشهوات

---

(١) الرعد : ٢٥ (٢) الرعد : ٢٣ (٣) الكهف : ٨٢
(٤) الطور : ٢١ (٥) الرعد : ٢٦

ندم عليها ؛ لأنها انقضت واضمحلّت بخلاف التى قطعها فى الطاعات ؛ فإنه يفرح [١٥٣ ب] بها ويتنعم إذا تذكّرها ؛ فانظر من أى الفريقين تعدّ نفسك .

(مَثَلُ الجنة[1]) : الظاهر أن الخبر مقدّر ، وفى الآية حذف مضافين ، والتقدير مَثل الجنة التى وُعِدَ المتقُون مثَلُ جنةٍ تجرى من تحتها الأنهار .

ورُدّ على قائل هذا بأنه إن أراد بالثانية جنّة الآخرة فقد شبّه الشىء بنفسه؛ ولا يصحّ أنها جنة الدنيا ؛ لأن المشبه بالشىء لا يقوى قوّته ، وهنا شبه الأقوى بالأضعف .

وأجيب بأنه قد يكون الفَرْعُ أقوى من الأصل ، وهو نوع من القياس . وعند الفراء أن الخبر متأخّر ، وهو : « تجرى من تحتها الأنهار » .

(مِنَ الأحزابِ مَنْ يُنكِرُ بَعْضَه[2]) : ذكر الإمام الفخر عن المفسرين إما أن تكون بعضاً على بابها ، وأن من ينكر بعضه فهو كافر . وبقى عليهم أن المنطقيين قالوا إن سور القضية إن كان بعضا وكان منفيا فقد يراد به العموم؛ ويكون بمعنى أحد ، فمعناه من ينكره كله . وقالوا : إن السالبة الكلية تناقضها موجبة جزئية .

(مآب[3]) : مفعل ، من الأوْب وهو الرجوع ؛ أى مرجعى فى الآخرة ، أو مرجعى فى التوبة . ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه قال له : قل لهم لست مكلّفا بإيمانكم ، وإنما كُلّفت بالتبليغ .

فإن قلت : أمره[4] أولا بالعبادة ، ونفى الشرك مقدم عليها ؛ إذ لا يَعْبُد إلا مَنْ لم يشرك ، وقد لا يشرك ولا يعبد .

---

(١) الرعد : ٣٥ (٢) الرعد : ٣٦ (٣) الرعد : ٣٦

(٤) فى الآية نفسها : قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به .

فالجواب أن المراد بالشرك الرياء والكبر ؛ فالمعنى أمرت أن أعبد الله عبادةً خالصة من الرياء ، ولكن هذا لا يناسب السياق .

قيل : وعلى هذا يكون قوله : ولا أُشرك به – حالا[1] ، لكن نص الأكثرون على أن « لا » تخلِّصُ الفعل للاستقبال . فقال[2] تكون هذه حالا مقدرة ؛ كقولهم : مررت برجل معه صقر صائدا به غداً .

وقيل فى الجواب : أمرت أن أعبده عبادة لا يتخلَّلها ، أو لا يعقبها ، إشراك .

وقيل : قُدِّمَتِ العبادة لتدل على نفى الإشراك باللزوم ثم بالمطابقة ، فيدل اللفظُ دلالتين .

(مِنْ أطرافها[3]) : أى من خيارها ، يعْنى أن الله يقبض الخيار منها .

(مَنْ عِنْدَه عِلْمُ الكتابِ[4]) : المراد به القرآن أو اللوح المحفوظ .

واختلف مَنِ المراد به ؟ فقيل : المراد به من أسلم من اليهود والنصارى على العموم . وقيل : الصحابة . وقيل عبد الله بن سلام .

وردّ بأنه أسلم بالمدينة والسورة مكّية ، فكيف يشهد حينئذ وهو كافر .

وأجيب باحتمال أن تكون هذه الآية خاصة مدنيّة . وقيل المراد الله تعالى ؛ فهو الذى عنده علم الكتاب .

ويضعف هذا ؛ لأنه عطف صفة على موصوف . ويقوِّيه قراءة : ومِنْ عنده علم الكتاب بمن الجارّة وخَفْض عند .

---

(١) أى فى موضع الحال على معنى : أمرت أن أعبد الله غير مشرك به (الكشاف : ١ ـ ٤٩٦)

(٢) أى الأكثرون .

(٣) الرعد : ٤١

(٤) الرعد : ٤٣

(ما أرسلنا مِنْ رَسُول إلا بلسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لهم ...[١]) الآية .

فيها دليل على أن واضع اللغة هو الله تعالى . وفيها دليل على أن حصول العلم عقيب النظر عادىّ ، وليس بعقلى ؛ إذ لو كان عقليا للزم من البيان الهداية . ويحتمل عدم لزومه ؛ لأن المخاطب قد لا ينظر النَّظَرَ الموصّل للعلم .

(ما لَنَا أَلَّا نَتوَكَّلَ عَلَى اللهِ[٢]) : المعنى أىُّ شىء يمنعنا من التوكّل على الله وقد هدانا سُبُلَنا ؟

فإن قلت : كيف جمعه[٣] وقد تقرر غير ما مرة أن طريق الهدى واحدة حسبما أشار إليه الزمخشرى فى قوله[٤] : « وجعلَ الظلماتِ والنور ؟ »

والجواب أنه على التوزيع ؛ قال تعالى[٥] : « لِكلٍّ جعلنا مِنْكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجا » ؛ فلكل رسول طريق باعتبار شريعته وأحكامه .

فإن قلت : لم كرر الأمر بالتوكل ؟ والجواب أن قوله[٦] : « وعلى الله فليتوكّلِ المُؤْمنون » راجع إلى ما تقدم من طلب الكفّار «[٧] بِسُلْطَانٍ مُبِين » ؛ أى حجة ظاهرة ، فتوكُّلُ الرسل فى ورودها على الله . وأما قوله[٨] : « وعلى الله فليتوكل المتوكّلون » ، فهو راجع إلى قولهم : « ولنَصْبِرَنَّ على ما آذَيْتُمُونَا » ، أى نتوكل على الله فى دفع أذاكم . وقال الزمخشرى : إن هذا الثانى بمعنى الثبوت على التوكل .

(ما هُوَ بِمَيِّت[٩]) : لا يراح[١٠] بالموت ؛ لأنه ذبح بين الجنة والنار .

---

(١) إبراهيم : ٤ (٢) إبراهيم : ١٢ (٣) يريد جمعه السبيل ، فقال: سبلنا فى الآية .
(٤) الكشاف : ١ — ٢٨٣ . والآية فى سورة الأنعام : ١
(٥) المائدة : ٤٨ (٦) إبراهيم : ١١ (٧) إبراهيم : ١٠
(٨) إبراهيم : ١٢ (٩) إبراهيم : ١٧
(١٠) فى القرطبى (٩ ــ ٣٥٢) : لا يموت فيستريح .

(مَثَلُ الَّذِين كفَرُوا بِرَبِّهم أعْمالُهم[1]) : مذهب سيبويه والفراء[2] كقولهما في : « مثل الجنة » المتقدم آنفا .

والمثل هنا بمعنى الشَّبَه[3] . وقال ابن عطية : بمعنى الصفة . ورُدَّ [١١٥٤] بأنه ليس مطلقا ، بل التي فيها غرابة ؛ ولذلك جعلوا : لأمْرٍ مّا جدَع قَصِير أنفَه ـ مثلا . وذكر الرب تشنيع عليهم ؛ يعني كفروا بمن أنعم عليهم ورحمهم ؛ وشبّه أعمالهم بالرماد لخفته وسرعة تفرقه بالريح ، ولأنه لا ينبت شيئا بخلاف التراب ، وجمع الرياح ليفيد شدة التفرق من جميع الجهات .

(ما لنا مِنْ مَحِيص[4]) : أي مهرب حيث وقع . ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسم مكان .

(ما أنا بِمُصْرِخكُمْ وما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ[5]) : أي ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثين لي ؛ وإنما يقول هذا الشيطان حين يتعلقون به ويقولون له : أنت أغويتنا .

(مَثَلًا كلمةً طيّبةً[6]) : ابن عباس وغيره : هي لا إله إلا الله ، والشجرة الطيِّبَة هي النخلة في قول الجمهور . واختار ابن عطية أنها شجرةٌ غير معيَّنة ، إلا أنها كلّ ما اتصف بتلك الصفات . والكلمة الخبيثة كلمة الكفر ، أو كلُّ كلمة قبيحة . والشجرة الخبيثة هي الحنظلة لمرارتها .

---

(١) إبراهيم : ١٨ (٢) في القرطبي : قال سيبويه ارتفع بالابتداء والخبر محذوف والتقدير فيما يتلى عليكم مثل الجنة ، وهو عند الفراء على الغاء المثل ، والتقدير : والذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد ، وعنه أيضا أنه على حذف مضاف ، التقدير : مثل أعمال الذين كفروا كرماد . (٣) في الأصلين : التشبيه (٤) إبراهيم : ٢١

(٥) إبراهيم : ٢٢ (٦) إبراهيم : ٢٤

فإن قلت : لِمَ عبَّر هنا بالاسم فرفع ؛ وقال فى المؤمن[1] : « ضرب الله مَثَلا » ؛ فعبَّر بالفعل ونصب ؟

فالجواب أن المؤمن له حالتان ، لأنه انتقل من الكفر إلى الإيمان ، والكافر له حالة واحدة ثبت عليها ، ولم ينتقل عنها ؛ فلذلك عبَّر عن مثله بالاسم .

فإن قلت : هل الشجرة الخبيثة مقصورة على الحنظل أو تطلق على كل ما ليس لها ساق كالقثاء والثوم ، وفيها منافع جَمَّة ، فكيف يشبَّه بها الكافر ، وهو لا منفعة فيه بوجه ؟

والجواب إنما شبِّه بها من حيث أنها لا تثبت ؛ إذ ليس لها ساق ، فالتشبيه فى اضمحلال العمل الخبيث وذهابه يوم القيامة ولا يبقى إلا العمل الصالح .

(مَنْ عَصَانِى فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيم[2]) : هو من قول الخليل عليه السلام ، دعاء لمن عصاه بغير الكُفْر ، أو لمن عَصاه بالكُفْر ثم تاب منه ، وهو الذى يصح أن يُدْعى له بالمغفرة ، لكنه ذكر اللفظ بالعموم لما كان فيه ـ عليه السلام ـ من الرحمة للخَلْق وحُسْن الخُلق .

فإن قلت : كيف يدعو بما هو مستحيل عقلا وشرعاً ؛ لأن النبى مَعْصُوم عن عبادة الأصنام ؟

فالجواب أنه دعا على سبيل الخضوع والتذلل والخوف ؛ ألا ترى شعيبا لما قالوا له[3] : « أو لَتَعُودُنَّ فى مِلَّتنا » — «[4] ما يكون لنا أنْ نعودَ فيها

---

(١) آية المؤمن : ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة (٢٤) ، والآية الأخرى : ومثل كلمة خبيثة ... (٢٦) (٢) إبراهيم : ٣٦ (٣) الأعراف : ٨٨

(٤) الأعراف : ٨٩

إلا أنْ يَشاءَ اللهُ » ، فالمقام مقام خَوْف ، ولو ثبتت عصمتهم فهم أولى الناس بالخوف ممن اصطفاهم .

(ما لكم مِنْ زَوال[1]) : هو القسم عليه ، يعنى أنهم حلفوا أنهم لا يبعثون .

(مَكْرُهم لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ[2]) : يراد بالجبال هنا الشرائع والنبوات ، شبّهت بالجبال فى ثبوتها . والمعنى تحقير مكرهم ؛ لأنها لا تزول منه[3] تلك الجبالُ الثابتةُ الراسخة . وقرأ الكسائى : لَتَزُول - بفتح اللام ورفع تزول ، و « إنْ » على هذه القراءة مخففة من الثقيلة ، واللام للتأكيد . والمعنى تعظيم مكرهم ؛ أى أن مكرهم من شدته بحيث تزول منه الجبال ، ولكنَّ الله عصَم ووَقَى منه .

(ما نُنَزِّلُ الملائكةَ إلا بالحق[4]) : الآية ردّت عليهم فيما اقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالملائكة معه .

والمعنى أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحى والمصالح التى يريدها الله ، لا باقتراح مُقترح واختيار كافر معترض . وقيل الحق هنا العـــــذاب . ولو أنزل الله الملائكة لم يؤخر عذابَ هؤلاء الكفار الذين اقترحوا نزولهم ؛ لأن عادة الله أن مَنِ اقترح آيةً فرآها ولم يؤمن - أنه يعجّل له العذاب ، وقد علم اللهُ أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم ويؤمن أعقابهم ، فلم يفعل بهم ذلك .

(مَنْ لستُمْ لهُ بِرَازِقين[5]) : يعنى البهائم والحيوانات ، و« مَنْ » معطوف على معايش[6] . وقيل على الضمير فى لكم . وهذا ضعيف فى النحو ؛ لأنه عطف

---

(١) إبراهيم : ٤٤ (٢) إبراهيم : ٤٦ (٣) أى من المكر .
(٤) الحجر : ٨ (٥) الحجر : ٢٠ (٦) فى الآية نفسها .

على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض ؛ وهو قويٌّ فى المعنى ؛ أى جعلنا فى الأرض معايش لكم وللحيوانات .

[١٥٤ ب] (ما نُنَزِّلُه إلا بقَدَرٍ مَعْلُومٍ[١]) : الضمير عائد على الشىء[٢] وهو المطر ، واللفظ أعم من ذلك .

والمعنى أنه ما من شىء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه بمقدار محدود .

(مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ ربِّه إلَّا الضَّالُّون[٣]) : دليل على تحريم القنوط . وقرىء يقنَط ـ بفتح النون وكسرها ، وهما لغتان .

(ما خَطْبُكم أيُّها المُرْسَلُون[٤]) ؛ أى ما شأنكم ؟ أو بأى شىء جئتم ؟ والخطابُ مع الملائكة الذين جاءوا لإبراهيم عليه السلام بالبشرى .

(كما أنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِين[٥]) : الكاف متعلقة بقوله[٦] : « أنا النَّذِيرُ المُبين » ؛ أى أنذِر قريشا عذابا مثل العذاب الذى أنزل على المقتسمين . وقد قدمنا فى حرف الهمزة معنى المقتسمين .

(مَنَافِع[٧]) : يعنى شرب ألبان الأنعام ، والحرث بها ، وغير ذلك ، وهذا فيه ترقٍّ وتدريج ؛ لأن الدِّفْءَ متيسِّر قريب ؛ إذ ليس فيه إلَّا إزالة صوفها ووبرها والانتفاع به ؛ فليس عليها فيه مضَرَّة ، ثم الامتنان بالمنافع أقوى منه ؛ لأن فيه تسخيرها والحمل عليها ؛ وهذا مما لا يقدر الإنسان على فعله لولا ما أُبيح له ؛ إذ فيه تكليف ومشقة عليها ، ثم الامتنان بالأكل منها أقوى

---

(١) الحجر : ٢١ (٢) فى الآية نفسها . (٣) الحجر : ٥٦
(٤) الحجر : ٥٧ (٥) الحجر : ٩٠ (٦) الحجر : ٨٩
(٧) النحل : ٥

من ذلك وأشد ؛ لأن فيه ذبحها ؛ وهذا لا يقدر الإنسان عليه ؛ لأنها محترمة ، فكيف تُذْبح لولا ما أباح الله لنا ذلك .

(ما لا تَعْلَمُون[1]) : يعني أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها ، وكل من ذكر في هذه الآية شيئا مخصوصا ، فهو على وجه المثال . قال بعض العلماء : كنت يوما أتصيَّدُ في البرية ، فقامت بين يديّ حانشة عظيمة كالرجا ، ولها أرجل كثيرة . قال : فشددت عليها حتى كدت أن أدركها فانفتلت إليَّ ، وقالت بلسانٍ طَلْقٍ: ما تريد ؟ ما تريد ؟ فقلت لها : من أنت ؟ فقالت : من الذين قال الله فيهم: « ويَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُون » ، فوليْتُ عنها .

(مُخْتَلِفاً ألوانُه[2]) : قال الزمخشري[3] : مُخْتَلِفُ الهيئاتِ والمَنَاظِرِ . وقال ابن عطية : أي أصنافه ، كقولك : ألوان من التمر ؛ لأن المذكورات أصناف عدّت في النعمة والانتفاع بها على وجوه ، ولا يظهر إلا من حيث تلوّنها حمرةً وصفرة وغير ذلك . ويحتمل أن يكون تنبيهاً على اختلاف ألوانها حمرة وصفرة . قال : والأول أبين . وفي الآية رد على الطبائعيين ؛ لأن أفعال الطبيعة لا تختلف ، فبطل كَوْن الأرض تفعل بطبعها .

(ماءً لكم[4]) : يحتمل أن يتعلق بأنزل ، أو يكون في موضع خبر لشراب ، أو صفة لماء ؛ فسبحان اللطيف بعباده . وانْظُرْ كيف قدم المجرور لشرف خَلْقِها وعظمها ، وقدم[5] الزرع لعموم الحاجة إليه من الحيوان العاقل وغيره ، وقدم الزيتون على التمر ؛ لأنه مما يُؤْتَدَم به ، فهو مكمل للقوت؛ والتمر مما يتفكه به ، فهو تزييني ، فكان أدون ؛ لأنه زائد على القوت غير مكمل به .

---

(١) النحل : ٨ — (٢) النحل : ١٣ — (٣) في الكشاف : ١ — ٦٢١

(٤) النحل : ١٠ — (٥) في الآية ١١ بعدها .

وقدم التمر على العنب لأن الخطاب لأهل الحجاز ، وليس بأرضهم إلا التمر ؛ فهو عندهم أشرف من العنب ، لأن محبة الإنسان لما تعاهد ورُبِّيَ عليه أقوى من محبته لغيره ؛ فالترتيبُ فى هذه على هذا جرى العدل .

فإن قلت : لم جمع العنب وأفرد التمر ، وأفرد فى الآية الأولى والأخيرة وجمع الوسطى ، وختم الأولى بالتفكير والثانية بالعقل[١] والثالثة بالتذكير[٢] ؟

فالجواب إنما جمع العنب لظهور الاختلاف فى أنواعه ؛ لأن منه الأبيض والأكحل والأحمر ؛ فالاختلافُ فى أنواعه بالطعم واللَّوْن والجرم ، والتمر إنما الاختلاف فى أنواعه بالطعم والجرم فقط . وأفرد فى الآية الأولى لأنها تقدمتها آياتٌ سماوية ، وهى أكثر من الآيات الأرضية، لَخَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ويقال : إنما جمع الثانية إشارة إلى أنها هى والأولى آيات .

ويحتمل أن يُقَال لما كانت الثانية نعمةً سماوية وهى أشرف وأجْلَى وأظهر من النعمة الأرضية جعل كل واحد على انفراده آيات لشهرته وظهوره ، أو لأن المذكورات أولا راجعة إما لمجرد القوت أو لوصف النبات ؛ وكلاهما شىء واحد ، بخلاف الثانية [١٥٥ ا] .

وقال فى الأولى : يتفكرون ؛ لأنها أمور عادية ؛ إذ حصول الشراب والشجر عن الماء أمر عادى ، وقد لا يكون عنه شىء . وتسخير الليل والنهار والشمس والقمر أمر عقلى ، وليس بعادى . والثالث يقال لمن آمَنَ بالحجة والدليل بعد أن كان نسيه فهو أمر تذكرى ؛ فلذلك قال : لقوم يذكرون .

فإن قلت : هل التذكُّر والتفكر بمعنى واحد أم لا ؟ والجواب أن التذكُّرَ ثانٍ عن التفكر ؛ ولهذا اختلفوا ؛ فذهب بعض الحكماء إلى أن العلوم كلها

---

(١) هى الآية ١٢ من السورة نفسها . (٢) الآية ١٣ من سورة النحل .

تذكرية ، وأن النفوس كانت عالمة لكل علم ، فلما خالطت الأبدان ذهب عنها ذلك ، فكل ما تعلمه إنما هو تذكر لما كان وذهب .

ومذهب الجمهور أن أكثرها تفكّر ، وبعضها تذكّر ، فالتفكر لما لم يكن يعلمه ، والتذكر لما علمه ونسيَه ؛ فلذلك جعله ثالثاً .

وقال ابن الخطيب : التَّفَكُّر إعمال الفكر لطلب الفائدة ، والمذكوراتُ معه راجعةٌ لباب القوت ، وكل الناس محتاج إليه ؛ فعند ذلك يتفكرون النعم بها فيشكرونه . وأما الثانية فتدبرها أعلى رُتْبَةً إذ منافعها أخفى وأغمض ؛ فيستحق صاحبها الوصف بما هو أعلى وأغمض وهو العقل .

(مَوَاخِرَ فيه[1]) : جمع ماخرة : يقال مَخَرت السفينةُ ، والمَخْر : شقّ الماء . وقيل صَوْت جَرْيِ الفلك بالريح ؛ ويترتب على هذا أن يكون المخر من الريح . وأن يكون من السفينة ونحوها ، وهو في هذه الآية من السفن . ويقال للسحاب بنات مَخْر تشبيها ؛ إذ في جريها ذلك الصوت الذى هو عن الريح والماء الذى في السحاب ، وأمرها يشبه أمر البحر ؛ على أن الزّجّاج قد قال : بنات المَخْرِ : سحائب بيض لا ماء فيها. وقال بعض اللغويين المَخْر في كلام العرب الشق ؛ يقال مخر الماء الأرض . قال ابن عطية : فهذا بَيِّنٌ أن يقال فيه للفلك مَوَاخر . وقال قوم : مَوَاخِر معناه تجيء وتذهب بريح واحدة ، وهذه الأقوال ليست تفسيراً للفظة ، وإنما أرادوا أنها مواخر بهذه الأحوال ، فنصّوا على هذه الأحوال ؛ إذ هي موضع النعمـــة المعددة ؛ إذ نفس كون الفلك ماخرة لا نعمة فيها ، وإنما النعمةُ في مخرها بهذه الأحوال في التجارة والسفر فيها ، وما يمنح الله فيها من الأرباح والمِنَن .

---

(١) النحل : ١٤

فإن قلت : ما فائدةُ تقديم المواخر فى هذه الآية على آية فاطر[١] ؟

والجواب لما كان الفلك المفعول الأول لترى ، ومواخرَ المفعول الثانى ، و « فيه » ظرف وحقُّه التأخير ، والواو فى ولتبتغوا للعطف على لام العلّة فى قوله : « لتأكلوا منه » — أخّره ليجىء على القياس فى هذه السورة . وأما فى فاطر فقدّم « فيه » لما قبله وهو قوله[١] : « وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً » ؛ فقدّم الجارّ على الفعل والفاعل والمفعول جميعاً ولم يزد الواو فى لتبتغوا لأن اللام فى لتبتغوا ها هنا لام العلة ، وليس بعطف على شىء قبله . وقيل فى الجواب غير هذا مما يطولُ ذكره .

(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ[٢]) : تقرير يقتضى الرد على مَنْ عبد غير الله ؛ وإنما عبّر عنهم بمن لأن فيهم مَنْ يعقل ومَنْ لا يعقل ، أو مُشاكلة لقوله : أفمن يَخْلُق . وأورد الزمخشرى[٣] هنا سؤالين : أحدهما أن الأَصْنَامَ لا تَعْقِلُ ، فهلّا قيل : كما لا يخلق ؟ وأجاب ابن عرفة بأنه لو عبّر بما لكان الإنكار عليهم بأمرين : من حيث كونها غير عاقلة ، وكونها لا تخلق ، وما المقصود فى الآية إلا إنكار عبادتها من حيث كونها لا تخلق فقط .

وأجاب الزمخشرى[٣] بأمرين : أحدهما أما أنهم سموها آلهة وعبدوها ، فهو على نحو ما كانوا يعتقدون . وردّه ابن عرفة بأنه إقرار لهم على معتقدهم .

وأما[٤] أنهم عاملوها معاملة من يعقل فرُوعى فيه المشاكلة بينه وبين من يخلق . وردّه ابن عرفة بأن المشاكلة إنما تكون حيث التساوى ؛ كقوله[٥] : « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ » . وقوله :

---

(١) آية فاطر (١٢) : وترى الفلك فيه مواخر ... (٢) النحل : ١٧
(٣) الكشاف : ١ — ٥٢١ (٤) هذا هذا الأمر الثانى .
(٥) آل عمران : ٥٤

قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لكَ طَبْخَه   قلت اطبُخوا لى جبَّةً وقَمِيصا

فالأول مثبت ، والثانى منفى [١٥٥ ب] .

السؤال الثانى — أنه إنما أنكر عليهم تشبيههم من لا يخلق بمن يخلق ؛ فكان الأصل أن يُقال : أفمن لا يخلق كمن يخلق ؛ لأن همزة الاستفهام إنما تدخل على المنكَر والمسئول عنه .

وأجاب الزمخشرى بجواب لا ينهض[1] . وأجاب ابن عرفة بجواب : إن عادتهم يجيبون بأن الإنكار إنما يكون بإفهام الخصم نقيض دَعْواه ، أما إذا كان الإنكار بإلزامه عَيْنَ الدعوى فلا يصح . وهنا لو قيل لهم : أفمن لا يخلق كمن يخلق لكان التشبيه راجعاً إلى نفى المساواة بينهما ، وهم موافقون على ذلك ، ويقولون[2] . «ما نَعْبُدُهم إلّا لِيُقَرِّبُونا إلى الله زُلْفَى» . ولما قيل : أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يخلق لم يَكُنْ الإنكارُ راجعاً لنفى المساواة ، فلم يَبْقَ إلا أنْ يُراد أنَّ الله تعالى متَّصِفٌ بنقيض ما اتَّصفَ به معبودهم وهو الخَلْق ، فيكون المراد الإشعار بتنقيص مقصودهم ، والتنقيص موجب لعدم الألوهية ؛ فليس المراد نفى مساواة الناقص للكامل ؛ بل إنما المراد الإشعار بتنقيص الناقص ؛ لأنه إذا قيل لهم : أفمن يخلق كمن لا يخلق كان الإنكار راجعاً لتشبيه الخالق بمن لم يخلق ؛ لأن تشبيهه به يوجب تنقيص البارىء جلّ وعلا ؛ والتنقيصُ موجِبٌ لعدم الألوهية . وقد قال[3] : «ولئن سألتَهُمْ مَنْ خلقَهُمْ ليَقُولُنَّ الله» ؛ فيستلزم نقيض دعواهم .

---

(١) قال الزمخشرى (١ — ٥٢٢) : قلت : حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته والعبادة له ، وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيهاً بها ، فأنكر عليهم ذلك بقوله : أفمن يخلق كمن لا يخلق .

(٢) الزمر : ٣

(٣) الزخرف : ٨٧

(ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ[1]) : الضمير فى يشعرون للأصنام ، وفى يُبعثون للكفار الذين عبدوهم ؛ وعلى أنه للكفار يكونُ وعيداً ؛ أى وما يشعر الكفار أيان يبعثون للعذاب . ولو اختصر هذا المعنى لم يكن فى وصفهم بعدم الشعور فائدة ؛ لأنّ الملائكة والأنبياء والصالحين كذلك هم فى الجهل بوقت البعث ؛ فهو أمر استأثر الله به ، كما قال[2] : « إنّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الساعةِ » . وإنما نفى عنهم الشعور به . والأنبياءُ قد حصل لهم الشعور به ، وأعلموا بإشعار الساعة وعلامتها .

(ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ[3]) : قاله الكفار على حسب اعتقادهم فى أنفسهم ؛ فلم يقصدوا الكذب ، ولكنه كَذِبٌ فى نفس الأمر ، أو قصدوا الكذب اعتصاما به ، كقولهم[4] : « واللهِ رَبِّنَا ما كُنَّا مشركين » .

(مِن أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهم بغير عِلْمٍ[5]) : قيل : إنَّ «من» للتبعيض . ورُدّ بالحديث : من عمل حسنة فله أجرها . . . الخ

وأجيب بأن المُضِلِّين ترتّب على كفرهم وِزْرَان : أحدهما مُتَعَلِّق بهم . والآخر متعلق بمن أضلّهم .

ورده ابن عرفة بأنه إنما يتم هذا لو كانت التِّلَاوَةُ ومن أوزار إضلال من اتبعهم ؛ فتُضافُ الأوزار للضلال لا لهم . والظاهر[6] أن من للسبب ، وثَمّ معطوف مقدّر ، هو مفعول ؛ أى ليحملوا أوزارهم ووزراً آخر بسبب أوزار الذين يضلّونهم .

---

(١) النحل : ٢١ (٢) لقمان : ٣٤ (٣) النحل : ٢٨
(٤) الأنعام : ٢٣ (٥) النحل : ٢٥
(٦) وهو رأى الزمخشرى : ١ ـ ٥٢٢

وقال أبو حيان : إن « من » تكون بمعنى مثل ، ولكنه شاذّ . وكذلك قال : « بغير علم » حال من المفعول فى يضلونهم .

وردّ بأنه حال من الفاعل ؛ لأن العلم إنما يُطلب ممن نصب نفسه منصب المفيد ، لا ممن نصبها منصب المستفيد . قيل القائل : الأَصْوَبُ أن يكونَ مُتَعلِّقا بيضلونهم ؛ فقال : والباء حينئذ للمصاحبة ، فلا بُدّ من الحال .

(مِنَ القَوَاعِدِ[1]) : ما كان تحت الأرض فهو أَسَاس ، وما فوقها فهو أعْمِدة ، ومجموعهما هى القواعد .

« مِنْ فوقهم[1] » . يقال لما كان أعلى فوق ، ومعلوم أن السقف أعلى ، ولكن ذُكر ليُزِيلَ الاحتمال التى فى الخَرّ ، وأن يكون عن يمين وشمال . أو أنهم كلما رأوا علاماتِ السقوط خرجوا ، فحينئذ خرّ عليهم ، فقال : « من فوقهم » ؛ ليفيد أنهم تربّصوا حتى هلكوا .

(ماذا أنزل ربُّكم قالُوا خيْراً[2]) : لما وصف مقالةَ الكفار الذين قالوا أساطير الأولين[3] قابل ذلك بمقالة المؤمنين ؛ وهو قولهم : « خيرا » .

قال الزمخشرى[4] : ويجوز أن يكون كلاما مبتدأً للقائلين . يريد أنه يحتمل أن يكون من كلام المحكىّ عنه . ونظير ذلك أن يقول زيد أقول خيراً ، الحمد لله ؛ فتقول أنت حاكياً لكلامه : قال زيد خيراً ، الحمد لله ؛ فهذا من كلام الحاكى ، [١٥٦ ا] والقول يحكى به الجمل والمفرد المؤدّى معناها .

فإن قلت : لم رُفع جواب الكافرين وهو أساطير الأولين ، ونُصب جواب المؤمنين ؟

فالجواب أن قولهم خيراً منصوب بفعل مُضْمَرٍ ، تقديره أنزل خيراً ؛

---

(١) النحل : ٢٦ (٢) النحل : ٣٠ (٣) فى الآية ٢٤ من سورة النحل .

(٤) الكشاف : ١ ـ ٥٢٣

ففى ذلك اعتراف بأن الله أنزله ؛ وأساطير الأولين هو خبر ابتداء مضمر ، تقديره : هو أساطير الأولين ؛ فلم يعترفوا بأن الله أنزله ؛ فلا وَجْهَ للنصب . ولو كان منصوباً لكان الكلام متناقضا ؛ لأن قولهم أساطير الأولين يقتضى التكذيب بأن الله أنزله ، والنصب بفعل مضمر يقتضى التصديق بأن الله أنزله ؛ لأن تقديره أنزل .

فإن قلت : يلزم مثل هذا فى الرفع ؛ لأن تقديره هو أساطير الأولين ، فهو غيرُ مطابق للسؤال الذى هو ماذا أنزل ربكم ؟

فالجواب أنهم عدلوا بالجواب عن السؤال ، فقالوا : هو أساطير الأولين ، ولم ينزله الله .

(ما كانُوا به يَسْتَهزِئُون[1]) : معناه حيث وقع فى القرآن إحاطة العذاب بمن استهزأ به ، وعلى هذا فيجب التحفُّظُ مِنْ أسبابه .

(ما عبدنا مِنْ دُونِه مِنْ شىء[2]) : يحتمل أنهم يقولونه فى الدنيا ؛ لأنهم قالوا : لو شاء الله ما عبدنا غيره ، فردّ الله عليهم بأنه نهى عن الشرك ، ولكنه قضاه على مَنْ شاء من عباده ؛ إذْ لا يكون فى ملكه إلا ما يريد . أو يقولون ذلك فى الآخرة على وجه التمنى ، فإن لو تكون للتمنى ، فإنهم إذا عاينوا العذاب تمنَّوْا أنْ لو عبدوه ولم يحرِّموا ما أحلَّ الله مِنَ البَحِيرة والسائبة .

(وما أرسلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلَّا رِجالًا[3]) : يدلّ على تخصيص الرسالة بالرجال ، وأما النبوءة فليست خاصة بهم ؛ بل هى عامّة .

---

(١) النحل : ٣٤ (٢) النحل : ٣٥ (٣) النحل : ٤٣

(ما هم بمُعْجِزين[1]) : التقدير أو يأخذهم فى تقلُّبهم ، فهم بسبب ذلك غير معجزين ؛ أى بِمُفْلِتين ؛ لأن أخذه لهم حالةَ التقلب والتحرك مظنةٌ لفرارهم وهروبهم ؛ فدخل حرف النفى ؛ فنفى ذلك السبب المترتب على تقلبهم ؛ أى فما يكون تقلبهم سبباً فى تعجيزهم له ؛ لأن الفاء دخلت على معنى النفى ، لأنه لا يصحّ فيها السببية إلا على هذا التأويل .

(مِنْ دَابّةٍ[2]) : يحتمل أن يكون بياناً لما فى السموات والأرض ، أو لما فى الأرض . ويراد بما فى السموات الخلْقُ الذى يقال له الروح غير جبريل ، وهو أعظم المخلوقات المراد به فى قوله تعالى[4] : « يوم يَقُوم الرُّوح » . « تَنَزَّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها »[5] .

وأمّا جبريل فيقال له الروح الأمين . وانظر هل الملائكة من الدوابّ أم لا ؟ لكونهم ذَوِى أجنحةٍ يطيرون . والظاهر أنهم منهم الآية[6] : « وما مِنْ دَابّةٍ فى الأرضِ ولا طَائرٍ يَطِيرُ » . وعلى كلِّ حالٍ فالكل ساجدون من عاقل وغيره ، لكن سجود العاقل حقيقة وغير العاقل بمعنى التذُّلِ والانقياد ؛ فيكون لفظ السجود للقدر المشترك بينهما وهو الخضوع والانْقِيادُ ؛ أو يكون من باب استعمال اللفظ المشترك فى مفهومَيْهِ معاً ، أو من استعمال اللفظ فى حقيقته ومَجازِه . ولو قال[7] من فى السموات لم يدخل فى ذلك غير العُقَلاء .

(ما بكم مِنْ نِعْمَةٍ فمِنَ اللهِ ثُمّ إذا مَسّكُمُ الضّرّ فإليْهِ تجْأرُون[8]) : نَكّرَ النعمةَ ليدخلَ تنعيمُ الكافر ، لا للتقليل ؛ لأن عطاء الله لا يوصف بالقلّة.

---

(١) النحل : ٤٦
(٢) ق ا : بسبب ذلك معجزين .
(٣) النحل : ٤٩
(٤) النبأ : ٣٨
(٥) القدر : ٤
(٦) الأنعام : ٣٨
(٧) أى ، والآية : ما فى السموات ...
(٨) النحل : ٥٣

وقيل الكافر غير مُنعَمٍ عليه . وقيل منعَم عليه فى الدنيا ؛ لقول عمر : أولئك قوم عجلت لهم طيباتُهم فى الدنيا ولا يُنعَم عليهم فى الآخرة ؛ فالنعم الدنيوية والأخروية عامة للمؤمنين ؛ لأن الضر نعمة من الله عليه لصبره ، كما أن النعمة نعمة عليه لشكره ، لكنه يتأدّبُ فلا يصرّح بِنِسْبَةِ الشرّ إلى ربّه ، وإن علم أن الكل من عنده ؛ ويعتقد أن نعمه فضلٌ من الله ، ونقمه عدل منه ؛ ألا تراه كيف ذكر النعمة بأنها من الله ، ثم سكت عن الضر ؛ بل وصف الإنسان بالاستغاثة والتضرُّع عنده .

وفى هاتين الآيتين[1] عتابٌ فى ضمنه نَهْىٌ لمن يدعو الله عند الضرّاء برَفْعِ الصوت ويَغْفُل عنه [١٥٦ ب] عند العافية .

(ما يَشْتَهُونَ[2]) : يعنى أنهم جعلوا الذُّكورَ من الأولاد لأنفسهم ؛ لأنهم يشتهونهم ؛ والبنات اللاتى يكرهونهن لربهم حيث قالوا الملائكة بنات الله . أو كرهوا التوحيد وجعلوا له سبحانه شريكا، وهم يكرهون المشارك لهم فى خططهم ومنازلهم وأموالهم ، أو احتقروا الرسل وهم يكرهون ذلك فيمن يرسلونه إلى أحد أن يحتقر ؛ وعلى كلٍّ وقع اللوم . وإذا كانوا هم لا يحتملون شيئا من ذلك ولا يحبونه لأنفسهم فكيف ينسبونه لربهم ؟ وهم مع ذلك يدّعون أن الجنة لهم . والعجبُ منهم ينكرون البعث رأسا .

(ما أَنْزَلْنَا عليكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لهم الذى اخْتَلَفُوا فيه[3]) : دخلت اللام على تبيّن لأنه ليس لفاعل الفعل المعلّل ؛ لأن الإنزال من الله والبيان من النبىّ صلى الله عليه وسلم . وألزمه أبو حيان التناقض ؛ لأن الزمخشرى جعل

---

(١) يريد آية ٥٣ السابقة ، وآية ٥٤ (٢) النحل : ٥٧ (٣) النحل : ٦٤

هُدًى ورحمة[1] معطوفين على لتبيّن ، وبحلّه عندهُ النصب ، فكيف يمنع كونه مفعولا من أجله فى اللفظ ، ويجعله كذلك فى المعنى ؟ وأجاب بعضهم بأنه إنما منع نَصْبَه فقط ، ولا يلزم أنه لا يصحّ فى المعنى إلا ما جاز النطقُ به . وابن خروف لم يشترط فى المفعول من أجله أن يكون مفعولا لفاعل الفعل المعلل .

(مِمّا فى بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ ودَمٍ[2]) : قال أبو حيان : حال من ضمير نُسْقِيكم[3] ؛ أى خارجا من بين فرث ودم . وقيل متعلق بنسقيكم المقدر ؛ إذ لا يتعلق مجروران بفعل واحد . وجُوّز هنا لاختلاف معناها ؛ لأن من الأولى للتبعيض ، والثانية لابتداء الغاية .

قال الزمخشرى[4] : إذا استقر العلف فى كرش البهيمة طبَخَتْه ، فكان أسفله فَرْثا ، وأوسطه لبنا ، وأعلاه دما ؛ والكبد مسلطة على ذلك[5] تقسمه ، فيجرى الدم فى العروق ، واللبن فى الضروع ، ويبقى الفرث فى الكرش .

وردّه ابن الخطيب بأنا ما رأينا قط فى كرش البهيمة المذبوحة لبناً ولا دما .

وأجاب بعضُهم عنه بأن حالة الحياة لها زيادة ، ألا ترى أن الميت إذا قطع منه لم يخرج منه دم بوجهٍ ، بخلاف الحىّ ؛ ولذلك كان الفلاسفة يشقّون جوفَ الإنسان وهو حىّ لينظروا ما يتحرك فى بطنه . والصحيحُ أن الغذاء يطبخه الكرش ، فيخرج منه أولا الأجزاء الكثيفة ، وهى الفرث ، ويبقى دما فيطبخه ثانية ، ويخرج منه إلى الضروع الأجزاء اللطيفة وهى اللبن ، ويصير الباقى دَما صِرْفا ، فيجعله فى العروق ؛ وإنما وقع الامتنان بلبن الأنعام المنفصل عنها دون لبن المرأة

---

(١) النحل : ٦٤ (٢) النحل : ٦٦ (٣) فى الكشاف (١ — ٥٢٨) : حالا من قوله لبنا مقدما عليه ، فيتعلق بمحذوف ، أى كائنا من بين فرث ودم .

(٤) الكشاف : ١ — ٥٢٨ (٥) فى الكشاف : على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها .

المتصل بها وبعيشنا ، لأن تغذى الإنسان بلبن أمه حالة صغره وعدم عقله ، ولبن الأنعام يتغذى به صغيراً وكبيرا ويدرك منفعته .

(ما تركَ عليها من دابّة[1]) : الضمير للأرض ، يعني لو عاقب الله عباده فى الدنيا بكفرهم ومعاصيهم لأهلك الحيوانات . وهذا يقتضي مؤاخذتها بذنوب بني آدم . وقد صح ذلك فى الحديث : إن الفأرة لتهلك فى جُحْرها من ذنوب بنى آدم .

(ما يكرهون[2]) : يعنى البنات ، وذلك أنهم كانوا يقولون الملائكة بناتُ الله ، فَتَبًّا لقوم كرهوا البنات وجعلوهن أرضا والذكور سموات ، جعلهم الله فى كتابه سود الوجوه ، وتوعدهم لما كرهوا قضاءَهُ بالجحيم .

(ما لا يَملِكُ لهم رِزقاً مِنَ السموات[3]) : انتصب رزقاً ، لأنه مفعول ليملك . ويحتمل أن يكون مصدراً أو اسماً لما يرزق ؛ فإن كان مصدراً فإعراب «شيئا» مفعول به ؛ لأن المصدر ينصب المفعول . وإن كان اسما فإعراب «شيئا» بدل منه .

وفى هذه الآية توبيخٌ للكفار ، وردٌّ عليهم فى عبادتهم مَنْ لا يَملِكُ لهم رزقاً من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون ؛ فَنَفْيُ الاستطاعة بعد نفى الملك أبلغ فى الذم . والضمير عائد على « ما » لأن المراد به الآلهة .

(مَثلا عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ على شَيء ومَنْ رَزَقْناه[4]) : مَنْ : هنا نكرة موصوفة ؛ والمراد بها من هو حرٌّ قادر ، كأنه قال : وحرًّا رزقناه ؛ ليطابقَ

---

(١) النحل : ٦١ (٢) النحل : ٦٢ (٣) النحل : ٧٣

(٤) النحل : ٧٥

عبدا . ويحتمل أن تكون موصولة ، وهذه الآية مثل لله تعالى وللأصنام ؛ فالأصنام كالعبد [١٥٧ ا] المملوك الذى لا يقدر على شىء ؛ والله تعالى له الملك وبيده الرزقُ ، ويتصرف فيه كيف يشاء ، فكيف يسوّى بينه وبين الأصنام .

وإنما قال لا يقدر على شىء ؛ لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور ، كالمُكاتَب والمأذون له .

(مَثَلا رَجُلَيْن أحدُهُما أبْكَمْ[1]) : هذه الآية كالتى قبلها فى ضرب المثل ؛ لبطلان مذاهب المشركين وإثبات التوحيد .

وقيل : إن الرجل الأبكم هو أبو جهل ، والذى يأمر بالعدل عمّار بن ياسر . والأظهرُ عدم التعيين .

(ما أمْرُ الساعةِ إلا كلَمْحِ البَصَرِ أو هو أقْرَبُ[2]) : بيان لقدرة الله تعالى على إقامتها ، وأن ذلك يسير عليه ؛ كقوله تعالى[3] : « ما خَلْقُكُمْ ولا بَعْثُكم إلَّا كنَفْسٍ وَاحِدَةٍ » . وإنما أجرى الله الأطوار ، وخلق السموات والأرض فى ستة أيام للاعتبار ، وأن عادته التدرج فى الأمور .

(مَنْ كفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمانه ...[4]) : الآية : مَنْ شرطية فى موضع رفع بالابتداء ، وكذلك « مَنْ » فى قوله[4] : « مَنْ شرَحَ » ؛ لأنه تخصيص من الأولى . وقوله : فعليهم غضبٌ — جوابٌ عن الأولى والثانية ؛ لأنهما بمعنى واحد ، أو يكون جوابا للثانية ، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية .

---

(١) النحل : ٧٦ (٢) النحل : ٧٧ (٣) لقمان : ٢٨

(٤) النحل : ١٠٦

وقيل « مَنْ كفر » بدلٌ من الذين لا يؤمنون[١] ، أو من المبتدأ فى قوله : أولئك[١] هم الكاذبون . أو من الخبر . ومَنْ[٢] أُكْرِهَ استثناء من قوله : مَنْ كفر ؛ وذلك أنّ قوما ارتدّوا عن الإسلام ، فنزلت فيهم الآية ، وكان فيهم مَنْ أُكْرِهَ على الكفر ، فنطق بكلمة الكفر ، وهو يعتقد الإيمان ؛ منهم عَمّار ، وصُهيب ، وبلال ، فعذرهم الله .

ورُوِى أنّ عمار بن ياسر شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صُنع به من العذاب ، وما سامح به من القول ، فقال له صلى الله عليه وسلم : "كيف تجد قلبك" ؟ قال : أجده مطمئنا بالإيمان . قال : "فأجابتهم بلسانك لا تضرُّك" . وهذا الحكم فيمن أُكره على النطق بالكفر . وأما الإكراه على كفر كالسجود لصنم ، فاختلف ، هل تجوز الإجابة إليه أم لا ؟ فأجازه الجمهور ، ومنعه قوم . وأما الإكراه على اليمين والعتق والطلاق فلا شىء عليه فيما بينه وبين الله ، ويلزمه ما كان من حقوق الناس . وأما الإكراه على قتل أحد وأخذ ماله فلا تجوز الإجابة إليه .

(ما فُتِنُوا[٣]) ـ بضم الفاء قراءة الجمهور ؛ أى عُذِّبوا ، فالآية على هذا فى عمّار وشبهه من المعذَّبين على الإسلام . وقرأ ابنُ عامر بفتح الفاء ؛ أى عذّبوا المسلمين ، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ثم هاجر وجاهد كالحضرمى وأشباهه .

(مَتاعٌ قَلِيلٌ[٤]) : يعنى عيشهم فى الدنيا وانتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم .

---

(١) فى الآية قبلها : إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون .

(٢) النحل : ١٠٦ (٣) النحل : ١١٠ (٤) النحل : ١١٧

(ما قصصنا عليكَ مِنْ قبلُ[1]) : الخطاب لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، ذكر له ما حرّم على المسلمين وما حرّم على اليهود ، ليعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراءٌ على الله ، كما فعلت العرب . والذى حرم على اليهود ما نصّ الله عليه فى سورة الأنعام[2] : « حرّمنا كلَّ ذِى ظُفُر ... » الآية .

(ما عُوقِبْتُم بِهِ[3]) : المعنى إنْ صُنِعَ بكم صَنِيعُ سُوء فافعلوا مثله ، ولا تزيدوا عليه ، والعقوبة إنما هى الثانية ، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ .

ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى أصبتم عُقْبى ، كقوله فى الممتحنة[4] : « فعاقَبْتُم » ، بمعنى غنمتم ، فيكون فى الكلام تجنيس .

وقال الجمهور : إن الآية نزلت فى شأن حمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنَه يوم أُحُد ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : "لئن أظفرَنِى الله بهم لأمثّلَنّ بسبعين منهم" ، فنزلت الآية ، فكفّر صلى الله عليه وسلم عن يمينه ، وترك ما أراد من المُثْلة .

ولا خلاف أن المُثْلة حرام ، وقد وردت الأحاديث بذلك ، ويقتضى ذلك أنها مدنية . ويحتمل أن تكون الآية عامة ، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال ، وتكون على هذا مكية كسائر السورة .

واختلف العلماء فيمن ظلمه رجلٌ فى مالٍ ثم ائتمن الظالمُ المظلومَ على مالٍ ، هل يجوز له خيانته فى القَدْر الذى ظلمه ؟ فأجاز ذلك قومٌ لظاهر الآية ، ومنعه قوم للحديث : أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخُنْ مَنْ خانك .

---

(١) النحل : ١١٨ (٢) الأنعام : ١٤٦ (٣) النحل : ١٢٦

(٤) الممتحنة : ١١

قلت : هذا فى المال ، [١٥٧ ب] ، وأما عقوبة البدن فلا خلاف أنّ العفو أفضل للآيات الكثيرة ، كقوله[1] : « ولئن صَبَرْتُم لهو خيْرٌ للصابرين » . وقوله[2] : « فمَنْ عَفَا وأَصْلَح فأَجْرُهُ على الله » . والحديث : ما ازداد رجل بالعفو إلا عزّا . وفى حديث : فيقوم العافُون عن الناس . والتحريض على العفو لا يُحصى ذكره .

ويحكى عن الشيخ أبى الحسن الزبيدى رحمه الله أنه كان يوما ببيت الأشياخ فى زاويته ، وإذا به خارج هارب فارا بنفسه ، فسئل عن ذلك ، فقال : خطر لى أنى لا أحلل أحدا ممن ظلمنى ، فتذكرت أن النبى صلى الله عليه وسلم أشد الناس حرصا على إنقاذ رجل من أمته من النار . قلت : وأنا أتسبب فى دخولهم إليها ! فخفت سقوط البيت علىّ ، فهربت .

(مع الذين اتَّقَوْا[3]) : معناه مع الذين اتقوا بمعونته ونُصْرته ، وهو مصدر مشتق من الوقاية ، فالتاء بدل من واو ، ومعناه الخوف والتزام طاعة الله ، وترك معاصيه ؛ فهو جِمَاعُ كل خير .

وقد ضمن الله لِلْمُتَمَسِّك به الهدى ، لقوله : هُدًى للمتقين ، والولاية لقوله : «والله ولىّ المتقين» . والمحبة لقوله : «إن الله يحبُّ المتّقين» . والمعرفة لقوله[4] : « إنْ تتقُوا الله يجْعَلْ لكم فُرْقَاناً » ، والمخرج من الغمّ ، والرزق من حيث لا يحتسب ، لقوله[5] : « ومَنْ يتّقِ الله يجعل له مَخْرجا . ويرْزُقْه من حيثُ لا يَحْتَسِبُ » . وتيسير الأمور لقوله[6] : « ومَنْ يتّقِ اللهَ يجْعَلْ له مِنْ أمْرِه

---

(١) النحل : ١٢٦ (٢) الشورى : ٤٠ (٣) النحل : ١٢٨

(٤) الأنفال : ٢٩ (٥) الطلاق : ٢ ، ٣ (٦) الطلاق : ٤

يُسْرا ». وغفران الذنوب وإعظام الأجور ؛ لقوله تعالى[1] : « ومن يَتّقِ اللهَ يُكفِّرْ عنه سيئاته ويُعْظِمْ له أجرا ». وتقبل الأعمال، لقوله تعالى[2] : « إنما يتقبَّلُ اللهُ مِنَ المتقين ». والفلاحُ لقوله تعالى : « واتقوا الله لعلكم تُفلحون ». والبشرى لقوله : « لهمُ البُشْرَى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ». ودخول الجنة لقوله تعالى[3] : « إنَّ للمتقين عند ربهم جنّاتِ النَّعيم ». والنجاة من النار ، لقوله : « ثم نُنَجّى الذين اتّقَوْا ».

والباعث على التقوى عشرة : خوف العقاب الدُّنْيَوِى ، وخوف العقاب الأُخْرَوِىّ ، ورجاء الثواب الدنيوى ، ورجاء الثواب الأخروى ، وخوفُ الحساب ، والحياءُ من نَظر الله ، وهو مَقامُ المُراقبة ، والشُّكر على نعمه بطاعته ؛ والعلم لقوله : « إنما يخشى اللهَ مِنْ عباده العلماءُ ». وتعظيم جلال الله ؛ وهو مَقامُ الهَيْبة .

ودرجات التقوى خمسة : أن يتّقِى العبد الكفر ؛ وذلك مقام الإسلام . وأن يتّقِى المعاصى والمحرّمات ؛ وهو مقام التوبة . وأن يَتّقِى الشبهات ؛ وهو مقام الوَرَع . وأن يتّقِى المُباحات ؛ وهو مَقامُ الزُّهد . وأن يتقى حضورَ غير الله على قلبه ؛ وهو مقام المشاهدة .

(ما صَبْرُكَ إلَّا بِاللهِ[4]) : هذا عزْمٌ على النبى صلى الله عليه وسلم فى خاصة نفسه على الصبر .

ويروى أنه قال لأصحابه : أمّا أنا فأصبر كما أُمِرت ، فماذا تصنعون ؟ قالوا : نصبر كما ندبنا . ثم أخبره أنه لا يصبر إلَّا بمعونة الله .

---

(١) الطلاق : ٥ (٢) المائدة : ٢٧ (٣) القلم : ٣٤

(٤) النحل : ١٢٧

وقد قيل إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ ؛ وهذا إذا كان الصبر يُرادُ به تركُ القتال ، وأما إن كان الصبر يرادُ به ترك المُثْلة التي فُعِل مثلها بحمزة فذاك غير منسوخ .

قلت : وبالجملة فقد ورد ذكر الصبر في القرآن في أكثر من سبعين موضعا ؛ وذلك لعظم موقعه في الدين . قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور في عشرة أمثالها إلى سبعمائة إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره ؛ لقوله تعالى[1] : « إنما يُوَفَّى الصابِرُون أجرَهم بغَيْرِ حساب » .

وقال بعضهم : الأعمال البدنية الحسنة بعشر ، والمالية الحسنة بسبعين ، والقلبية — وهي الصبر ونحوه — إلى غير حد .

وقد ذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : أولها : المحبة ؛ لقوله : « والله يُحِبُّ الصابرين » . والثاني : النصرة ؛ لقوله : « إن الله مع الصابرين » . والثالث غُرفات الجنة ؛ لقوله[2] : « يُجْزَوْن الغُرْفةَ بِما صَبَرُوا » . والأجر الجزيل ؛ لقوله : « إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب » . والأربعة الأخر المذكورة في هذه الآية[3] : « وبَشِّر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا ... » الخ .

والصبر على أربعة أوجه : صبر على البلاء ، وهو منع النفس عن التسخّط والهلع والجزَع . وصبر على النعم ؛ وهو تقييدها بالشكر وعدم الطغيان والتكبر بها . وصبر على الطاعات [١٥٨ ا] بالمحافظة عليها . وصبر عن المعاصي بكفِّ النفس عنها .

---

(١) الزمر : ١٠ (٢) الفرقان : ٧٥ (٣) البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧

وفوق الصبر التسليم ؛ وهو ترك الاعتراض والتسخّط ظاهراً وباطنا . وفوق التسليم الرضا بالقضاء وهو سرور النفس بفعل الله ، وهو صادر عن المحبة ؛ إذ كل ما يفعل المحبوب محبوب . وعَيْنُ الرضا عن كلّ عَيْبٍ كليلة .

(ما أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ[1]) : التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل .

(ما هُمْ بِمُؤْمنين[2]) : هم المنافقون ، وكانوا جماعة من الأوس والخزرج ، ورأسُهم عبد الله بن أُبَيّ ، يظهرون الإسلام ويُسِرُّونَ الكفر ، ويسمى الآن من كان كذلك زِنْديقا ؛ وهم في الآخرة مخلَّدون في النار . وأما في الدنيا فإن لم تَقُم عليهم بيِّنة فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم ؛ وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان فمذهب الشافعي الاستِتابَةُ وترك القتل . ومذهب الإمام القتل دون استتابة .

فإن قلت : كيف جاء قولهم آمَنّا جملة فعلية ، و « ما هم بمؤمنين » جملة اسمية ؟ فهلّا طابقتها ؟

فالجواب أن قوله : « ما هم بِمُؤْمِنِين » أبلغ وأوكد في نفي الإيمان عنهم من أن لو قال : وما آمَنُوا .

فإن قيل : لم جاء قولهم « آمنا » مقيّدا بالله واليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين مطلقا ؟

فالجواب أنه يحتمل الوجهين : التقييد ، وتُرِكَ لدلالة الأول عليه . والإطلاق ، وهو أعم في سَلْبِهم عن الإيمان .

---

(١) البقرة : ٤ (٢) البقرة : ٨

(ما رَبِحَتْ تِجارَتهم وما كانوا مُهْتَدين[1]) : لما ذكر الشراء على الإطلاق ذكر ما يتبعه من الربح والخسران ، وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز ، لأن الرابح والخاسر هو التاجر. قال الزمخشري[2]: نَفَى الربح في قوله : فما ربحت ؛ ونفى سلامة رأس المال في قوله[3] : « وما كانوا مُهْتَدِين » .

(مَثَلُهم كمَثَلِ الذي استَوْقَدَ ناراً[4]) : أي أوقد . وقيل طَلَب الوقود ، وإن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه ؛ وإن كان المثل بمعنى الشبه فالكاف زائدة .

فإن قيل : ما وَجْه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمَتْ ؟

فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها ـ أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور ، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده .

الثاني : أنّ اختفاء[5] نورِ كفرهم كالنور وفضيحتهم بعده كالظلمة .

الثالث : أن ذلك فيمن آمن منهم ، ثم كفر ؛ فإيمانه نورٌ وكفره بعده ظلمة ؛ ويرجِّح هذا قوله : ذلك بأنهم آمنوا ثم كَفَرُوا .

فإن قيل : لم قال[4] : «ذهب الله بِنُورهم » . ولم يقل ذهب الله بضوئهم ، مشاكلةً لقوله : فلما أضاءت ؟

فالجواب أن ذهاب النور أبلغ ؛ لأنه إذهاب للقليل والكثير ، بخلاف الضوء فإنما يطلق على الكثير .

---

(١) البقرة : ١٦
(٢) الكشاف : ١ ـ ٣٠
(٣) في الآية نفسها : ١٦
(٤) البقرة : ١٧
(٥) هذا بالأصلين .

(مَحَوْنَا آيَةَ الليلِ وجعلْنَا آيةَ النّهارِ مُبْصِرَةً[١]) : فيه وجهان :

أحدهما : أن يراد أنّ الليل والنهار آيتان فى أنفسهما ، فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار كقولك مسجد الجامع ، أى الآية التى هى الليل ، والآية التى هى النهار ، ومَحْوُ آيةِ الليل على هذا كون القَجْر لم يُجْعَل له ضوء كضوء الشمس . ومعنى مبصرة : تبصر فيه الأشياء .

(ما عَلَوْا[٢]) : ما مفعول « لِيُتَبِّرُوا » ، أى ليُهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد . وقيل إن ما ظرفية ، أى ليفسدوا مدة علوّهم .

(ما كُنّا معذِّبين حتى نَبْعَثَ رَسُولا[٣]) : قيل : إنّ هذا فى حكم الدنيا ، يعنى أن الله لا يهلك أمةً إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم .

وقيل : هو عامّ فى الدنيا والآخرة ، وإن الله لا يعذّب فى الآخرة قوماً إلا وقد أُرْسِلَ إليهم رَسُولا فكفروا به وعصوه . ويدل على ذلك قوله[٤] : « كُلَّمَا أُلْقِيَ فيها فَوْجٌ سألهم خزنتُها أَلَمْ يأْتِكُمْ نَذِير . قالُوا : بَلَى » .

ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات . واستدل أهل السنّةِ بهذه الآية على أنّ التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل .

(مَنْ كان يُريدُ العاجلةَ عجَّلْنَا لهُ فيها ما نَشَاءُ لمن نُرِيد[٥]) : الآية فى الكفار الذين يريدون الدنيا ، ولا يؤمنون بالآخرة ، على أن لفظها أعمّ من ذلك .

---

(١) الإسراء : ١٢ (٢) الإسراء : ٧ (٣) الإسراء : ١٥

(٤) الملك : ٨ ، ٩ (٥) الإسراء : ١٨

والمعنى أن الله يعجّل لهم حظا من الدنيا بقيدين : أحدهما تقييد المقدار المعجّل [١٥٨ ب] بمشيئة الله . والآخر تقييـد الشخص المعجل له بإرادة الله «ولمن نُرِيد» بدل من «له» ، وهو بدل بعض من كل .

(مَدْحورا[١]) : مُبْعَداً مُهانا .

(محظورا[٢]) : ممنوعا .

(مذموما[١]) ، أى يذمّه الله وخيارُ عباده .

(مَخْذُولًا[٣]) ، أى غير منصور . ومنه[٤] : «وإنْ يخذلكم فمَنْ ذَا الذى يَنْصُرُكم من بَعْده» .

(مَلُومًا مَحْسُورا[٥]) : أى يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك ؛ أو يلومكَ مَنْ يستحق العطاء ؛ لأنك لا تترك ما تعطيه ، أو يلومك سائر الناس على التبذير فى العطاء . والمحسور : من[٦] قولهم : حَسَره السفَر البعيد فذهب بلحمه وقوّته بلا انبعاث ولا نهضة ؛ يعنى أن كِثْرة العَطاءَ تقطع بك حتى لا يبقى بيدك شىء .

وفى هذه الآية إشارةٌ إلى الرفق فى الأمـــــور . وخيرُ الأمور أوساطها . وما كان الرفق فى شىء إلا زانه ، ولا انتزع من شىء إلا شانه .

(مَنْ قُتِل مظلوماً فقد جعَلْنا لِوَلِيِّه سُلْطانا[٧]) : يعنى من قُتل بغير حق فلوليّه — وهو ولى المقتول من سائر العصبة وليس النساء من الأولياء — القصاص من القاتل أو العفو عنه .

---

(١) الآية نفسها : ١٨ (٢) الإسراء : ٢٠ (٣) الإسراء : ٢٢
(٤) آل عمران : ١٦٠ (٥) الإسراء : ٢٩ (٦) فى الكشاف : محسورا : منقطعا بك لا شىء عندك من حسره السفر : إذا بلغ منه . (٧) الإسراء : ٣٣

(مَنصورا[١]) : الضمير[٢] للمقتول أو لوليه ، ونصره هو بالقصاص .

(مالَ اليتيم[٣]) : كلمتموّل، فلا يجوز الأخذ منه ، وقد ورد النهى عن قربه فى مواضع من كتابه .

(مسئولا[٣]) : يحتمل وجهين :

أحدها : أن يكون من الطلب ؛ أى يُطلب منه الوفاء بالعهد .

والثانى : أن يكون المعنى يُسأل عنه يوم القيامة ، هل وفّى به أم لا .

(مَعَهُ آلِهَةٌ كما يَقُولون[٤]) : الضمير يعود على كفّار العرب الذين جعلوا مع الله آلهة ؛ فاحتجّ تعالى على وحدانيته بأنه لو كان كما يقولون لابتغوْا سبيلا إلى التقرّب إليه بعبادته وطاعته ، فيكونون من جملة عِباده أو لا بتغوْا سبيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته فى قدرته . ومعلوم أن ذلك كله لم يكن ، فلا إله إلا هو .

(مكروها[٥]) : الإشارة إلى ما تقدم[٦] من المنهيات ؛ من قتل النفس وغيره . والمكروه هنا بمعنى الحرام ، لا على اصطلاح الفقهاء فى أن المكروه دون الحرام . وإعراب مكروهاً نعت[٧] لسيئة ، أو بدل منها ، أو خبر ثان لكان .

---

(١) الإسراء : ٣٣ (٢) الضمير فى «إنه» من الآية نفسها : فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا . (٣) الإسراء : ٣٤ (٤) الإسراء : ٤٢

(٥) الإسراء : ٣٨ (٦) الإشارة فى الآية نفسها فى قوله تعالى : كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها .

(٧) هذا على قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبى عمرو : سيئة . وفى القرطبى : لما كان تأنيث سيئة غير حقيقى جاز أن توصف بمذكر ، وضعف أبو على الفارسى هذا (١٠ ـ ٢٦٢) .

(مَنْ فِيهِنّ[1]) الضمير يعود على السموات والأرض ، ومعناها أن جميع من فى السموات والأرض يسبِّح له ؛ من صامت وناطق .

واختلف فى كيفية هذا التسبيح ؛ فقيل : بما تدل عليه صنعتها من قدرته وحكمته . وقيل : إنه تسبيح حقيقة . وهذا أرجح لقوله[1] : « ولكن لا تفقهون تَسْبِيحَهُم » .

(مَسْحُوراً[2]) : قيل معناه جُنّ فسحر . وقيل معناه ساحر . وقيل هو من السَّحر بفتح السين ، أى بشراً ذا سَحْر[3] مثلكم ؛ وهذا بعيد .

(محْذورا[4]) : من الحذر ، وهو الخوف .

(ما منَعَنَا أنْ نُرْسِلَ بالآياتِ إلّا أنْ كذَّبَ بها الأوّلونَ ...[5]) : الآيات هنا المراد بها ما يقترحها الكفار .

وسبب نزولها أن قريشاً اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصَّفَا[6] ذهباً ، فأخبره الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذّبوا بها فيهلكوا . وعبّر بالمنع عن ترك ذلك ، « وأنْ نُرْسِلَ » فى موضع نصب . « وأنْ كذّبَ » فى موضع رفع . ثم ذكر ناقة ثمود تنبيهاً على ذلك ؛ لأنهم اقترحوها ، وكانت سبب هلاكهم . ومعنى « مُبْصِرةً » واضحة الدلالة .

(ما نُرْسِلُ بالآياتِ إلا تَخْوِيفاً[7]) : إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أنه يُرْسل بها تخويفاً من العذاب العاجل ، وهو الإهلاك ؛ وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفاً من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن .

---

(١) الإسراء : ٤٤ (٢) الإسراء : ٤٧ (٣) السحر : ويحرك ، ويضم : الرئة
(٤) الإسراء : ٥٧ (٥) الإسراء : ٥٩ (٦) جبل بمكة .
(٧) الإسراء : ٥٩

وقيل المراد بالآيات هنا الزلازل والرعد والكسوف ، وغير ذلك من المخاوف .

(ما جعلنا الرُّؤْيا الّتي أريناك إلّا فتنةً للنّاسِ[1]) : اختلف فيها ؛ فقيل : إنها الإسراء ، فمَنْ قال إنه كان فى اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين . ومن قال : إنه كان فى المنامِ فالرُّؤيا منامه . والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك ، وارتداد بعض المسلمين حينئذ .

وقيل : إنها رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه هزيمة الكفّارِ وقتلهم ببَدْر . والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك وسخريتهم به .

وقيل إنها رؤياه أنه يدخل مكة فعجل فى سنةِ الحديبية فرُدَّ عنها ، فافتتن بعض المسلمين [١٥٩ ا] بذلك .

وقيل : رأى فى المنام أنّ بنى أمية يصعدون على منبره صلى الله عليه وسلم فاغتمّ لذلك .

(مَنْ تَبِعَكَ منهم فإنَّ جهنّمَ جزَاؤُكم جزَاءً مَوْفورا[2]) : كان الأصل أن يقال : جزاؤهم ـ بصيغة الغيبة ؛ ليرجع إلى مَنْ تبعك ؛ ولكنه ذكره بلفظ الخطاب تغليباً للمخاطب على الغائب ؛ وليدخل إبليس معهم ؛ لأنه المخاطب بقوله[2] : « اذهَبْ » بصيغة الأمر على وجه التهديد .

قال الزمخشرى[3] : ليس المراد الذهاب الذى هو ضد[4] المجىء ؛ وإنما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلاناً له وتخلية .

---

(١) الإسراء : ٦٠ (٢) الإسراء : ٦٣ (٣) الكشاف : ١ ـ ٥٥١

(٤) فى الكشاف : نقيض .

ويحتمل أن يكون معناه الطرد والإبعاد .

(موفورا[1]) : مكملا ، وهو مصدر فى موضع الحال .

(ما يعِدُهُمُ الشيطانُ إلا غُرورا[2]) : من المواعدة بشفاعة الأصنام وغير ذلك .

(مَنْ كانَ فى هذه أعْمَى فهُوَ فى الآخرة أعْمَى وأضَلُّ سَبِيلا[3]) : الإشارة بهذه إلى الدنيا ، والعمى يراد به عمى القلب ، يعنى من كان فى الدنيا أعمى عن الهدى والصواب فهو فى يوم القيامة أعمى ، أى حَيْران ، يئس من الخير .

ويحتمل أن يريد بالعَمى فى الآخرة عمى البصر ، كقوله[4] : « ونَحْشُرهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى » . وإنما جعل الأعمى فى الآخرة أضلّ سبيلا ، لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء . ويجوز فى العمى الثانى أن يكون صفة كالأول ، وأن يكون من أفعل التى للتفضيل ، وهذا أقوى لقوله : « وأضلُّ سبيلا » ؛ فعطف أضلّ الذى هو أفعل من كذا على ما هو شبيهه .

وقال سيبويه : لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا ، ولكن إنما يمتنع ذلك فى عمى البصر لا عمى القلب .

(ما أُوتيتُمْ من العِلْمِ إلا قَليلا[5]) : خطاب عام لجميع الناس ؛ لأن عِلْمَهم قليل بالنظر إلى علم الله . وقيل خطاب لليهود خاصة . والأول أرجح ، لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح .

(ما منع الناسَ أنْ يُؤْمنوا...[6]) الآية : يعنى أن ما منع الناس من الإيمان

---

(١) الاسراء : ٦٣ (٢) الاسراء : ٦٤ (٣) الإسراء : ٧٢
(٤) طه : ١٢٤ (٥) الاسراء : ٨٥ (٦) الإسراء : ٩٤

إلا إنكارُهم لبعث الرسول من البشر . وقد قدمنا معارضة هذه الآية للتي بعدها . في سورة الكهف[1] .

(ماكِثِينَ فيه أبداً[2]) ؛ أي دائمين . وانتصابُه على الحال من الضمير في « لهم »[3] .

(ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ[4]) : الضمير عائد على قولهم[5] : « اتخذ اللهُ ولَداً » .

(ما على الأَرْضِ زِينَةً لَها[6]) : يعني ما يصلح للتزين ، كالملابس ، والمطاعم ، والأشجار ، والأنهار ، وغير ذلك .

(ما يَعْبُدونَ إلّا اللهَ[7]) : عطف على المفعول في « اعتزلتموهم » ؛ أي تركتموهم وتركتم ما يعبدون من دون الله . وهذا الاستثناءُ متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره . ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله .

وفي مصحف ابن مسعود : وما يعبدون من دون الله .

(ما يَعْلَمُهم إلا قَليلٌ[8]) : أي عدة أَصْحابِ الكَهْفِ . وقد قدمنا أن ابن عباس من ذلك القليل .

(ما لَهُمْ مِنْ دونه مِنْ وَلِيّ ولا يُشْرِكُ في حُكْمِه أحداً[9]) : الضمير لجميع الخلق ، أو للمعاصرين النبي صلى الله عليه وسلم . وقرىء تشرك — بالتاء والجَزْم على النهي . وهو خَبَرٌ على القراءة بالياء والرفع .

---

(١) الكهف : ٥٥ ... أن لهم أجراً حسناً . (٢) الكهف : ٣ (٣) في الآية الثانية السابقة لها :

(٤) الكهف : ٥ (٥) في الآية الرابعة : وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً .

(٦) الكهف : ٧ (٧) الكهف : ١٦

(٨) الكهف : ٢٢ (٩) الكهف : ٢٦

(ما أشهدتهم[1]) : الضمير للشياطين على وجه التحقير لهم ، أو للكفار ، أو لجميع الخلق ، فيكون فيه رد المنجّمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرّصة .

(مَوْبِقاً[2]) : مهلكا ؛ وهو اسم موضع ، أو مصدر من وَبَقَ[3] الرجل إذا هلك ؛ وقيل إنه من أودية جهنم . والضمير في « بينهم[2] » للمشركين وشركائهم .

(ما أُنْذِرُوا هُزُواً[4]) : يعني العذاب . وما موصولة ، والضمير محذوف تقديره : أنذروه ؛ أو مصدرية .

(مَوْعِداً[5]) : قيل هو الموت . وقيل عذاب الآخرة . وقيل يوم بَدْر .

(مَوْئِلاً[6]) : أي مَنْجى ، ويقال وَأَل الرجل إذا نجا . ومنه قول علي رضي الله عنه — وكانت درعه صدراً[7] بلا ظَهْر ، فقيل له : لو أحرزت[8] ظهرك . فقال : إذا وليتُ[9] فلا وألْتُ ؛ أي إذا أمكنتُ من ظهري فلا نجوت .

(مَوْعِداً[10]) ؛ أي وقتاً معلوما لهلاكهم . والمُهْلَك — بضم الميم وفتح اللام : اسم مصدر من أهلك ، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول ؛ لأن الفعل متعد . وقرىء بفتح الميم من هلك ، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل .

(مَصْرِفاً[11]) ؛ أي معدلا ينصرون إليه .

---

(١) الكهف : ٥١ (٢) الكهف : ٥٢ (٣) في القاموس: كوعد ، ووجل
(٤) الكهف : ٥٦ (٥) الكهف : ٤٨ (٦) الكهف ٥٨
(٧) اللسان — وأل . (٨) في ب : أجرزت . وفي اللسان والنهاية : احترزت من ظهرك .
(٩) في النهاية : إذا مكنت من ظهري ...
(١٠) الكهف (٥٩) : وجعلنا لمهلكهم موعدا . (١١) الكهف : ٥٣

(مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ[1]) : قيل : بحر فارس وبحر الروم بالمشرق . وقيل عند طنجة [١٥٩ ب] حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه ، وهو الأندلس . وقيل العَذْب المالح .

(ما كُنَّا نَبْغِ[2]) ؛ أي نطلب فَقْدَ الحوت ؛ لأنه أمارة على وجدان الخضر عليه السلام .

(ما فَعَلْتُهُ عن أَمْرِى[3]) : هذا دليل على نبوءة الخضر ؛ لأن المعنى أنه لم يفعل ما فعل إلا بأمرٍ من الله ووحيِهِ .

(مَكَّنَّا لَهُ فى الأَرْضِ[4]) : يعنى أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم .

(ما مَكَّنِّى فيه رَبِّى خَيْرٌ[5]) ؛ أي ما بسط الله لى من الملك خيرٌ مِنْ خَرَاجِكم ، فلا حاجة لى به ، ولكن أعينونى بقُوَّةِ الأبْدَانِ وعمل الأيدى .

(مَنْ كان يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ[6]) : إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حُسْنَ لقاء ربه ، وأن يلقاه لقاء رِضاً وقبول . وإن كان الرجاءُ بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربه .

(مَوَالِىَ[7]) : أقاربى ، وقد قدمنا أن المولى له سبعة معان .

(مَرْيم) بنت عمران ، ولم يذكر فى القرآن من النساء إلا مريم لنكتة تقدمت فى الكتابة ومعناها بالعبرانية الخادم . وقيل المرأة التى تنازل الفتيان ؛ حكاها الكرمانى فى عجائبه .

---

(١) الكهف : ٦٠ (٢) الكهف : ٦٤ ، وفى الكشاف (١ ـ ٥٧٣) : قرىء نبغ ـ بغير ياء فى الوصل ، وإثباتها أحسن ، وهى قراءة أبى عمرو . وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء إتباعا لخط المصحف . (٣) الكهف : ٨٢

(٤) الكهف : ٨٤ (٥) الكهف : ٩٥ (٦) الكهف : ١١٠

(٧) مريم : ٥

(مكانا قَصِيًّا[١]) ؛ أي بعيداً ، وإنما بعدت من قومها حياء منهم أن يظنوا بها الشر .

(مَخَاض[٢]) : نفاس ؛ وسمي مخاضاً ؛ لأن الولد يتحرك فيه للخروج .

(ما كانَ أبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ[٣]) : لما رأت الآيات علمت أن الله سيُبرِّئها فجاءت به من المكان القصي إلى قومها فعاتبوها بهذا الكلام .

(مَهْد[٤]) : هو المعروف . وقيل المهد هنا حِجْرها .

(مُبارَكاً[٥]) : من البركة . وقيل نَفّاع : وقيل معلم للخير ، واللفظ أعمّ من ذلك .

(ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ[٦]) : أي ما تعبدون .

(مكانا عَلِيّاً[٧]) : قال ابن عباس : رفعه الله إلى السماء ، وهناك مات . وفي حديث الإسراء أنه في السماء الرابعة . وقيل : يعني رفعة النبوءة وتشريف منزلته . والأول أشهر ، ويرجِّحُه الحديث .

(مَلِيّاً[٨]) ، أي حينا طويلا ، وعطف اهجرني[٩] على محذوف تقديره : احذر رجمي لك .

(مَأْتِيّاً[١٠]) : وزنه مفعول ، فقيل إنه بمعنى فاعل ؛ لأن الوعد هو الذي يأتي . وقيل إنه على بابه ، لأن الوعد هو الجنة ، وهم يأتونها .

(ما نَتَنَزَّلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ[١١]) : هذا حكاية قول جبريل حين غاب

---

(١) مريم : ٢٢ (٢) مريم : ٢٣ (٣) مريم : ٢٨

(٤) مريم : ٢٩ (٥) مريم : ٣١ (٦) مريم : ٤٨

(٧) مريم : ٥٧ (٨) مريم : ٤٦ (٩) في الآية نفسها : لأرجمنك واهجرني مليا .

(١٠) مريم : ٦١ (١١) مريم : ٦٤

عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أبطأْتَ عني ، وقد اشتقتُك . فقال : إني أشوق إليك ولكني عبدٌ مأمور ، إذا بعثت نزلت ، وإذا حبست احتبست ؛ فنزلت هذه الآية .

(ما بَيْنَ أيدينا وما خَلْفَنا وما بَينَ ذلك وما كان ربك نَسِيًّا[١]) : هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول. وقيل بمعنى الترك . ومعنى الآية: له ما قدامنا وما خلْفنا وما نحن فيها من الجهات والأماكن ، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله . وقيل : ما بين أيدينا الدنيا إلى النفخة الأولى فى الصُّور . وما خَلْفنا الآخرة ، وما بين ذلك ما بين النفختين . وقيل: ما مضى من أعمارنا ، وما بَقِي منها، والحال التي نحن فيها ، والأول أكثر مناسبةً لسبب الآية .

(مَقَامًا[٢]) : اسم مكان ، مِنْ قام ، وقرىء بالضم من أقام . ومعنى الآية : إن الكفار قالوا للمؤمنين : نحن خير منكم مقاما أى أحسن حالا فى الدنيا ، وأجمل مجلسا ، فنحن أكرم على الله منكم .

(مَدًّا[٣]) : أى إمهالا .

(مَرَدًّا[٤]) : أى مرجعا وعاقبة .

(مَالًا ووَلَدًا[٥]) : قائل هذه المقالة العاص بن وائل ، قال : لئن بعثتُ ، كما يزعم محمد ، ليكونن لى هناك مال وولد .

(ما أنزلنا عَلَيْكَ القرآنَ لِتَشْقَى[٦]) : قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم قام فى الصلاة حتى تورّمت قدماه ، فنزلت الآية ، تخفيفاً عنه . والشقاء على هذا :

---

(١) مريم : ٦٤ (٢) مريم : ٧٣ (٣) مريم : ٧٩
(٤) مريم : ٧٦ (٥) مريم : ٧٧ (٦) طه : ٢

إفراط التعب فى العبادة . وقيل : المراد به التأسّف على كُفْر الكفار . واللفظ أعمّ من ذلك كله . والمعنى أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء فى الدنيا والآخرة ، لأنه أنزل عليه القرآن الذى هو من أسباب السعادة .

(مآرِبُ أُخرى[1]) : أى حوائج ، واحدها مَأربة[2] ، وكانت عصاه تحادثه ، وتؤانسه ، وتضىء له بالليل ، وتطعمه إذا جاع ، ويركب عليها إذا أعياه الطريق .

(ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا موسى[3]) : إنما سأله ليريه عِظَم ما يفعل فى العصا مِنْ قَلْبِها حيّة ، فمعنى السؤال تقرير على أنها عصاً ، ليتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعد أن يقلبها . وقيل : إنما سأله ليؤنسه فى الكلام .

فإن قلت : لم سأله عن العصا وهو عالم بها ، ولم يقل ما فى يدك ؟

والجواب تعليما للمعلم مع المتعلم ؛ يسأله عن الشىء وهو عالم به ، ولما تحيّر موسى من هَيْبَته كلامَ خالقه آنسه ، وانبسط معه ، وتأدب موسى معه فى إجمال الخطاب . ولعله اختصر له فى الكلام رجاء أن يسمعه مرةً أخرى ، وأعطاه الله العصا فى يمينه ، وسأله عنها ؛ إشارة لك يا محمدى أن الله شرف موسى بالعصا .

(مَا يُوحَى[4]) : إبهام يراد به تعظيم الأمر .

(محبّةً مِنّى[5]) ؛ أى أحببتك . وقيل أراد محبة الناس حتى كان إبليس يحبّه ، وكان لا يراه أحد إلا أحبه . وقيل أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له . وقوله : « مِنّى » يحتمل أن يتعلق بقوله : ألقيت[5] ، أو يكون صفة لمحبة ، فيتعلق بمحذوف .

---

(١) طه : ١٨ (٢) مثلثة الراء — كما فى القاموس .

(٣) طه : ١٧ (٤) طه : ١٣ (٥) طه : ٣٩

(مَنْ يَكفلهُ[1]) : يعنى يُرَبِّيه ؛ لأنه كان لا يقبل ثَدْى امرأةٍ ، فطلبوا له مرضعةً ، فقالت أخته ذلك ليُرَدَّ إلى أمه .

(معنَا بَنى إسرائيل[2]) : هـذا من كلام موسى ، طلب من فرعون أن يسرحهم ؛ لأنهم كانوا تحت يده فى المهنة ؛ فـكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله تعالى ، وبتسريح بنى إسرائيل .

(مَنِ اتَّبعَ الهُدَى[2]) : يعنى به التحية أو السلامة .

(ما بالُ القرونِ الأولى[3]) : يحتمل أن يكون سؤال فرعون عن القرون الأولى محاجَّة ومناقضة لموسى ، أى ما بالها لم تُبْعَث كما زعم موسى ؟ أو ما بالها لم تـكن على دين موسى ؟ أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى فى قوله[4] : « إنَّ العذاب على مَنْ كذَّب وتوَلَّى » .

ويحتمل أن يكون ذلك قطعاً للـكلام الأول ، وروغانا عنه ، وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة ، ولذلك أضرب موسى عن الـكلام فى شأنها[5] : «قال عِلْمُها عند رَبِّى فى كتاب » ، يعنى اللوح المحفوظ .

(مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ[6]) : يحتمل أن يكون اسم مصدر ، أو اسم زمان ، أو اسم مكان ، ويدل على أنه اسم مكان قوله[6] : « مَكَاناً سُوًى » ، ولـكن يضعِّف بقوله[7] : « موعدكم يوم الزِّينة » ، لأنه أجاب بظرف الزمان . ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله : يوم الزينة ، ولـكن يضعِّف بقوله : مكانا سُوًى. ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله[6] : لا نخلفه ، لأن الإخلاف

---

(١) طه : ٤٠ (٢) طه : ٤٧ (٣) طه : ٥١
(٤) طه : ٤٨ (٥) طه : ٥٢ (٦) طه : ٥٨
(٧) طه : ٥٩

إنما يوصف به الوعد لا الزمان ولا المكان ، ولكن يضعّف ذلك بقوله : مكانا ، وبقوله يوم الزينة ؛ فلا بد على كل وجه من تأويل أو إضمار . ويختلف قوله مكانا باختلاف تلك الوجوه ؛ فأما إن كان الوعد اسم مكان فيكون قوله موعداً ومكاناً مفعولين لقوله : اجعل ، ويطابقه قوله يوم للزينة ، من طريق المعنى لا من اللفظ ؛ وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورة ، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكانا على أنه ظرف مكان ؛ والتقدير كائنا في مكان . وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكانا على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد ، أو بالفعل من معناه ، ويطابقه قوله : يوم الزينة على حذف مضاف ، تقديره موعدكم وعد يوم الزينة . وقرأ الحسن يوم الزينة بالنصب ، وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف .

(مكانا سُوًى[1]) : معناه مُسْتَوِى القُرب منا ومنكم . وقيل معناه مستوٍ في الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع . وقرىء بكسر السين وضمها . والمعنى متفق .

(ما غَشِيَهم[2]) : إبهام لقصد التهويل ، والضمير راجع إلى قوم فرعون حين تبعوا موسى في ألف ألف مرتين ، فلما رآهم قوم موسى خافوا ، وقالوا لموسى[3] : « إنا لمُدْرَكُون » . فقال موسى[4] : « إنَّ مَعِي رَبِّي سيَهْدِين » . وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في الغار : لا تحزن إنَّ الله معنا . وكذلك قال الله لهذه الأمة : وهو معكم أينما كنتم . فالذى قال : إن الله [١٦٠ ب] معنا ، نجا من شر الكفار ؛ فكيف لا ينجو مَنْ قال الله لهم : إن الله معكم —

---

(١) طه : ٥٨ (٢) طه : ٧٨ (٣) الشعراء : ٦١

(٤) الشعراء : ٦٢

من عذاب النار . فأوحى الله إلى موسى[١]: « أن اضْرِبْ بعصَاكَ البَحْرَ فانفلق، فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْد العظيم » ؛ فرّ موسى مع قومه ، وجاء فرعون ، ودخل البحر مع جنوده فأغرقهم الله أجمعين .

وقيل : إن فرعون لما عاين العذاب أراد الإيمان فى حال الغرق ، فرفع جبريل الطين وجعله فى فِيه حتى استغاث بجبريل سبعين مرة ، فلم يُغِثه ، فعاتبه الله ، وقال لجبريل : استغاث بك فرعون سبعين مرة فلم تُغثه ، وعِزّتى وجـــلالى لو استغاث بى لأغثْتُه ؛ وكذلك عاتب موسى لما استغاث به قارون فلم يغثه ، فهنيئاً لك يا محمدى فى استغاثتك بمولاك إن رجعْتَ إليه أفتَرَاه لا يغيثك ؟ وهو يقول[٢] : « أمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ » .

(ما هَدَى[٣]) : الضمير يعود على فرعون لتقدُّم الذكر له .

فإن قيل : إن قوله[٣] : « وأضلَّ فرعونُ قومَه » ، يُغنِى عن قوله : وما هدى .

فالجواب أنه مبالغة وتأكيد . وقال الزمخشرى : إنه تهكّم بفرعون فى قوله[٤] : « وما أهْدِيكم إلَّا سبِيلَ الرَّشاد » .

(ما أعْجَلَكَ عن قومك يا موسى[٥]) : قصص هذه الآية أن الله لما أمر موسى أن يسير ببنى إسرائيل إلى الطور تقدم وحده مبادرة إلى أمر الله وطلباً رضاه ، وأمر بنى إسرائيل أن يسيروا بعده ، واستخلف عليهم أخاه هارون ، فأمرهم السامرىُّ حينئذ بعبادة العجل ، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه

---

(١) الشعراء : ٦٣ (٢) النمل : ٦٢ (٣) طه : ٧٩
(٤) غافر : ٢٩ (٥) طه : ٨٣

قال الله له[1]: وما أعجلك ... الآية ؛ فهذا السؤال على وجه الإنكار لتقدمه[2] على قومه . وقيل : ليخبره بما صنعوا بعده من عبادة العجل ، فاعتذر موسى بعُذْرَين :

أحدهما أن قوله على أثره ؛ أى قريب منه ، فلم يتقدم عليهم بكثير يوجِبُ العتاب .

والثانى أنه إنما تَقَدَّم طلباً لِرضاه ، وغلبة المحبة ، ولذلك لم يُطِقْ الصبر مع قومه . وهذا كان سبب مراجعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له : ارجع إلى ربك ، واسأله التخفيف ؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك . ورحم الله القائل :

* لعلى أرام أو أرى مَنْ يَرام *

(ما مَنَعكَ إذ رأيتَهم ضَلّوا . ألّا تَتَّبِعَنِ[3]) : هذا خطاب موسى لهارون لما رجع من الطور بعد كمال الأربعين يوماً التى كلّمه الله فيها ، و «لا» زائدة للتأكيد . والمعنى ما منعك أن تتَّبعنى فى المشى إلى الطور ، أو تتَّبعنى فى الغضب لله وشدة الزَّجْرِ لِمَنْ عبدوا العجل وقتالهم بمن لم يعبده .

(ما قَدْ سبقَ[4]) : يعنى أخبار الأمم المتقدمين .

(ما بَيْنَ أيديهم وما خَلْفَهم[5]) : الضمير للخَلْق . والمعنى يعلم ما كان قبلهم ، وما يكون بعدهم . وقال مجاهد : ما بين أيديهم الدنيا وما خلفهم الآخرة.

---

(١) طه : ٨٣ (٢) العبارة فى الكشاف أوضح : كان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد المضروب ، ثم تقدمهم شوقاً إلى كلام ربه (٢ — ٣١) .

(٣) طه : ٩٢ (٤) طه : ٩٩ (٥) طه : ١١٠

(مَنْ أذِنَ له الرَّحْمَنُ ورَضِيَ له قَوْلا[1]) : مَنْ واقعة على الشافع[2] ، والمعنى لكن مَنْ أذن له الرحمن يشفع .

(مَعِيشَةً ضَنْكاً[3]) : أي ضيقة ، فقيل إن ذلك في الدنيا ، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة حِرْصه ، وإن كان واسع الحال . وقال بعض الصوفية : لا يُعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته وتكدّر عليه عيشة . وقيل ذلك في البَرْزَخ . وقيل في جهنم يأكل الزَّقُّوم ؛ وهذا ضعيف ؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة .

(ما يَأْتِيهِم مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِم مُحْدَثٍ[4]) : الضمير عائد على المشركين من قريش ، ويعني بالذكر القرآن ، ومحدث : أي محدث النزول .

(ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاها[5]) : لما قالوا[6] : « فَلْيَأْتِنا بآيةٍ كما أُرسِلَ الأوَّلُون » بالآيات ، أخبرهم أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات ، فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا . ثم قال : أفهم يؤمنون ؛ أي إن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال مَنْ قبلهم .

ويحتمل أن يكون المعنى إن كل قرية هلكت لم تؤمن ؛ فهؤلاء كذلك ، ولا يكون على هذا جواباً لقولهم : فليأتنا بآية ، بل يكون إخباراً مستأنفاً على وجه التهديد . وأهلكنا في موضع الصفة لقرية ، والمراد أهل القرية .

(ما جَعَلْنَاهُم جَسداً لا يأكلون الطَّعَام[7]) : أي ما جعلنا الرسل أجساداً

(١) طه : ١٠٩ (٢) في الآية نفسها : يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن.
(٣) طه : ١٢٤ (٤) الأنبياء : ٢ (٥) الأنبياء : ٦
(٦) آية ٥ قبلها . (٧) الأنبياء : ٨

غير طاعمين ، ووحّد الجسد لإرادة الجنس . ولا يأكلون الطعام صفة لجسد . وفى الآية ردٌّ على قولهم : ما لِهَذا [١٦١ ا] الرسول يأكل الطعام .

(مَن نَشَاء[1]) : يعنى المؤمنين .

(ما أرسلنا[2]...) الآية ردٌّ على المشركين . والمعنى أنّ كلّ رسولٍ إنما أتى بلا إله إلا الله ؛ فكلمتهم واحِدة ، وفيها تصديق للحديث : "الأنبياء أولادُ عَلّات أبوهم[3] واحد وأمهاتهم مختلفة" .

(مَتَى هذا الوَعدُ إن كُنتُم صادِقين[4]) : مرادهم القيامة أو نزول العذاب بهم .

(مَنْ فَعلَ هَذَا[5]) : هذا من قول قوم إبراهيم ، وقبله محذوف تقديره : فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة فقالوا : مَنْ فعل هذا ؟

(ما هؤلاء يَنْطِقُونَ[6]) : لما رجعوا إلى أنفسهم بالفكرة والنظر ، قالوا لإبراهيم : لقد علمتَ عدم نُطْقهم ، فكيف تأمرنا بسؤالهم ؟ فقد اعترفوا بأنهم لا ينطقون ، وهم مع ذلك يعبدونهم ؛ فهذا غاية الضلال فى فعلهم ، وغايةُ المعاندة والمكابرة فى جِدَالهم .

(مَسَّنِيَ الضُّر[7]) : هذا من كلام نبي الله أيوب حين سلط الله عليه البلاء ، فخاف على ذهاب قَلْبِه ؛ إذ هو موضع المعرفة .

---

(١) الأنبياء : ٩ (٢) الأنبياء : ٢٥

(٣) فى اللسان (عل) : وفى الحديث : الأنبياء أولادعلات : معناه أنهم لأمهات مختلفة ودينهم واحد ، كذا فى التهذيب . وفى النهاية لابن الأثير : أراد أن إيمانهم واحد ، وشرائعهم مختلفة . (٤) الأنبياء : ٣٨ (٥) الأنبياء : ٥٩

(٦) الأنبياء : ٦٥ (٧) الأنبياء : ٨٣

فإن قلت : قد وصفه اللهُ بالصبر فى قوله تعالى[1] : « إنا وجَدْناهُ صابِراً » ، وقرَنه بنون العظمة فما بال قوله : مَسَّنِيَ الضرُّ ؟

فالجواب أن قوله : مسنى ليس تصريحاً بالدعاء ، ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ، ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه ؛ فكان فى ذلك من حسن التلطُّف مما ليس فى التصريح بالطلب .

وقيل غير هذا من الجواب أعرضنا عنه لطوله .

وفى الآية إشارة إلى الرجوع إلى الله فى رَفْعِ المحن والشدائد ؛ ولذا طلب موسى لغيره جَذْوة[2] لعلهم يصطلون ؛ فأوصله الله بالوادى المقدس ، وطلب الخَضر لغيره فأوصله الله لعَيْن الحياة ؛ فلا تنس أيها الناظر فى هذا الكتاب الدعاء لموصّله إليك من غير كلفة ؛ ولك مثله ، كما ورد فى الحديث ، واسأله سبحانه أن يفرّج عنا كُرَبَ الآخرة ؛ إذ لا يفرجها غيره سبحانه ؛ وتأمل إلى نداء أيوب ربّه بما يوافق حاله ويقتضيه مقامه وهو الرحمة ، فاستجاب له ورحمه .

روى أن الله أنبع له عيناً من ماء ، وأمره بالشرب منها ، فبرىء باطنه ، واغتسل منها فبرىء ظاهِرُه ، ورُدّ إلى أكمل جماله ، وأُتى بأحسن الثياب ؛ وكانت امرأته غائبة عنه فى بعض شأنها ، فلم تره فى موضعه الذى تركته فيه ، فجزعت وظنّت أنه نقل منه ، وجعلت تتولّه ؛ فقال لها : ما شأنك أيتها المرأة ؟ فهابته لحُسْن هيئته وجمال منظره ، وقالت : فقدتُ مريضاً كان لى هنا ، ومعالِم المكان قد تغيرت ؛ وتأملت إلى مَقاله فعرفته ، وقالت : أنت أيوب ! قال : نعم ، واعتنقها وبكى ، ولم يُفارِقْها حتى أرَاه الله جَميعَ مَاله حَاضِراً بين يديه بعد ما فقده .

---

(١) ص : ٤٤ (٢) فى ا : حاجة .

وروى أن امرأته ولدت بعدُ ستة وعشرين ابناً ، وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى[1] : « وآتيناه أهْلَه ومِثْلَهُمْ مَعَهُم رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا » . وإنما وصف الرحمة بالعِنْدية فى هذه الآية لأنه بالغ فى التضرع والدعاء ؛ فقابله سبحانه بالمبالغة ؛ لأن لفظ « عندنا » حيث جاء يدل على أنه سبحانه يتولّى ذلك من غير واسطة .

ولما بدأ القصة فى ص بقوله تعالى[2] : « واذكر عَبْدَنا » ختم بقوله[3] : « مِنّا » ؛ ليكون آخر الآية مطابقاً لأول الآية .

(ما هُمْ بِسُكَارَى[4]) : نَفْىٌ لحقيقة السكر ؛ وقرىء سَكْرى ، والمعنى متفق .

(مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ[5]) : نزلت فى قوم من الأعراب كان أحدهم إذا أسلم فاتّفق له ما يُعجبه فى ماله وولده قال : هـذا دِينٌ حسن ، وإذا اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتد عن الإسلام ؛ فالحرف هنا كناية [عن القلق والاضطراب][6] . وأصله من الانحراف عن الشىء ، أو من الحرف بمعنى الطرف ، أى أنه فى طرف من الدين لا فى وسطه .

(ما لا يَضُرُّهُ[7]) : يعنى الأصنام ، و « يَدْعُو » بمعنى يعبد فى الموضعين[8] .

فإن قلت : قد وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع ، ثم وصفها بأن[9] ضرها أقرب من نفعها ، فنفى الضر ثم أثبته .

---

(١) الأنبياء : ٨٤ (٢) ص : ٤١ (٣) ص : ٤٣
(٤) الحج : ٢ (٥) الحج : ١١ (٦) من الكشاف : ٢ـ٥٧
(٧) الحج : ١٢ (٨) الحج : ١٢ ، ١٣
(٩) فى الآية (١٣) بعدها : يدعو لمن ضره أقرب من نفعه .

والجواب أن الضرّ المنفى أولًا يُراد به ما يكون من فعلها ، وهى لا تفعل شيئا . والضر الثانى يراد به ما كان يكون بسببها من العذاب وغيره .

فإن قلت : ما بالُ اللام دخلت على « مَنْ » فى قوله : « لمن ضَرُّه » ، وهى فى الظاهر مفعول ، واللام لا تدخل على المفعول ؟

وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه : أحدها أن اللام [١٦١ ب] مقدمة على موضعها، كأن الأصل أن يقول : يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّه أقربُ من نَفْعه ؛ فوضعها الدخول على المبتدأ .

وثانيها أنّ « يدعو » هنا كرر تأكيداً ليدعو الأول ، وتم الكلام ؛ ثم ابتدأ قوله : لمن مبتدأ وخبره لبئس المولى .

وثالثها أنّ معنى يدعو : يقول يوم القيامة إذا رأى مضرّة الأصنام ، فدخلت اللام على مبتدأ فى أول الكلام .

(مَا يَغِيظ[١]) : يعنى إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب به ما يغيظه من الأمر ، أو ليس يذهب ؟

(مَنْ فى السموات ومَنْ فى الأرض[٢]) : دخل فى هذا مَنْ فى السموات من الملائكة ومَنْ فى الأرض من الملائكة والجنّ ، ولم يدخل الناس فى ذلك ؛ لأنه ذكرهم فى آخرها على وجه التحديد . وليس المراد بالسجود فى هذه الآية السجود المعروف ؛ لأنه لا يصح فى حق الشمس والقمر وما ذُكِر بعدها ؛ وإنما المراد به الانقياد .

ثم إن الانقياد يكون على وجهين : أحدها ـ الانقياد لطاعة الله طَوْعاً ،

---

(١) الحج : ١٥ (٢) الحج : ١٨

والآخر الانقيادُ لما يُجرِى الله على المخلوقات من أفعاله وتدبيره شاءوا أو أبَوْا .

(مَنْ يُهِنِ اللهُ فما له مِنْ مُكْرِمٍ[1]) ؛ لأنه المعز المذِلّ الذى يفعل الأشياءَ لغير غرض، فلواجتمع الثقلانِ على رفْع عبدٍ أراد الله وَضْعه لم يقدروا ؛ وبالعكس ، والعيان يشهد لذلك .

(مكان البَيْتِ[2]) : موضعه ؛ وذلك أنّ الله دَرَسَ[3] البيتَ الحرام فى الطوفان ، فدلّ الله إبراهيم على مكانه ، وأمره ببنائه ، كما قدمنا .

(مَنافِعَ لهم[4]) : التجارة . وقيل أعمال الحج وثوابه ، واللفظ أعمّ من ذلك .

(ما يُتْلَى عَلَيْكُمْ[5]) : يعنى ما حرّمه فى غير هذا الموضع ؛ كالميتة .

(مَنافِعُ[6]) : من قال إن شعائر الله هى الهدايا ، فالمنافع بها شُرْب لبنها ، وركوبها لمن اضطر إليها ، والأجلُ المسمى نَحْرُها ، ومَنْ قال إن شعائر الله مواضعُ الحج فالمنافعُ التجارة فيها أو الأجر ؛ والأجل المسمّى الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة .

(مَحِلُّها إلى البيت العَتِيق[7]) : من قال إن الشعائرَ الهدايا فَمَحِلّها موضع نحرها وهو منى، ومكة ؛ وخص البيت بالذكر ؛ لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهَدْيِ ، و « ثُمَّ » على هذا القول ليست للترتيب فى الزمان ؛ لأن محلها قبل نحرها ؛ وإنما هى لترتيب الجمل .

---

(١) الحج : ١٨ (٢) الحج : ٢٦ (٣) درس الرسم دروساً : عفا ، ودرسته الريح ، لازم ومتعد (القاموس) . (٤) الحج : ٢٨

(٥) الحج : ٣٠ (٦) الحج : ٣٣ (٧) الحج : ٣٣

ومن قال إن الشعائر مواضع الحج فمحلها مأخوذ من إحلال المُحْرِم ؛ أي آخر ذلك كله الطواف بالبيت ؛ يعني طواف الإفاضة ؛ إذ به يَحِلّ المحرم من إحرامه .

(مَنْسَكًا[1]) ؛ أي موضعاً للعبادة . ويحتمل أن يكون اسم مصدر ، بمعنى عبادة . والمراد بذلك الذبائح ؛ لقوله تعالى[1] : « لِيَذْكُروا اسْمَ اللهِ على ما رزَقَهُمْ مِنْ بَهيمةِ الأنْعَام » ، بخلاف ما يفعل الكفار من الذبائح تقربا إلى الأصنام .

(مَنْ يَنصُرُه[2]) : الضمير عائد على الله . والمعنى إنّ اللهَ ينصر من ينصر دينَه وأولياءه ، وهو وعْدٌ تضمَّن الحضَّ على القتال .

(مَشِيدٍ[3]) : أي مبنيّ بالشِّيد وهو الجص . وقيل المشيد المرفوع البنيان ، وكان هذا القصر بقيةً من بقايا ثمود .

(مَكَّنّاهم في الأرض[4]) : المراد بهم أمةُ محمد صلى الله عليه وسلم ، مكّنَهم اللهُ في أرضه . وقيل الصحابة . وقيل الخلفاء الأربعة ؛ لأنهم الذين مُكّنوا في الأرض بالخلافة ، وفعلوا ما وصفهم الله به في الآية .

(مَنْ عاقَب بِمثْلِ ما عُوقِبَ به[5]) : قد قدمنا في آية النحل[6] أن هذا من معنى التجوّز ، ولكن وعد في هذه الآية بالنصر لمن بغي عليه .

فإن قلت : أي مناسبة لختم هذه الآية بالعفو والمغفرة ؟

والجواب من وجهين :

---

(١) الحج : ٣٤ (٢) الحج : ٤٠ (٣) الحج : ٤٥

(٤) الحج : ٤١ (٥) الحج : ٦٠

(٦) آية النحل (١٢٦) : وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به .

أحدهما ـ أن في ذكر هذين الوصفين إشعاراً بأن العفو أفضل من المعاقبة ، كما قدمنا ؛ فهو حضٌّ عليه .

والثاني ـ أن في ذكرهما إعلاماً بعفْوٍ عن المعاقب حين عاقب ، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى .

(ما لم يُنَزِّلْ به سُلْطاناً وما ليس لهم به عِلْمٌ[1]) : يعني علماً ضرورياً ؛ فنفى أولاً البرهانَ النظري ، وهو المرادُ بالسلطان ؛ ثم العلم الضروري ، وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى ؛ بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظريّ معاً .

(مَوْلَاكُمْ[2]) ؛ أي وليّكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك .

(مَكِينٍ[3]) : متمكّن ؛ والمراد به رحم المرأة .

(ما كُنّا عن الخَلْقِ غافِلِين[4]) : يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين ، أو المصدر .

(ماءً بِقَدَرٍ[5]) : يعني المطر الذي ينزل من السماء ، فتكون منه العيونُ والأنهار . وقيل يعني أنهاراً ، وهي النيل والفرات ودجلة [١٦٢ ا] وسَيْحَان[6] ، ولا دليل على هذا التخصيص . ومعنى بقَدَر : بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص عنه .

(ما هذا إلا بَشَرٌ مِثْلُكم[7]) : هذا الكلام من قوم نوح لما قال لهم : إني رسول الله إليكم ـ استبعدوا أن تكون النبوة لبشر ، وأثبتوا الربوبية لحَجَر .

---

(١) الحج : ٧١ (٢) الحج : ٧٨ (٣) المؤمنون : ١٣

(٤) المؤمنون : ١٢ (٥) المؤمنون : ١٨ (٦) سيحان : نهر بالشام ، وآخر بالبصرة (القاموس) . (٧) المؤمنون : ٢٤ ، ٣٣

(ما سَمِعْنَا بِهذَا فى آبائِنَا الأَوَّلِين[1]) ؛ أى بمثل ما دعوتم إليه من عبادة الله ، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة بينه وبين إدريس عليهما السلام .

(ما اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِم وما يَتَضَرَّعُون[2]) : قال بعض النحاة : استكان مشتق من السكون ووزنه افتعلوا مطّت فتحة الكاف فحدث عن مطّها ألف ، وذلك كالإشباع . وقيل إنه من كان يكون فوزنه استفعلوا . ومعنى الآية نفى التضرُّع والتذلل .

فإن قلت : هَلَّا قال:فما استكانوا وما تضرعوا، أو يستكينون ومايتضرعون، باتفاق الفعلين فى الماضى أو فى الاستقبال .

فالجواب أن ما استكانوا[3] عند العذاب الذى أصابهم ، وما يتضرعون حتى يفتح عليهم بابَ عذابٍ شديد ، فنفىُ الاستكانة فيما مضى ونفى التضرع فى الحال والاستقبال .

(ما تَشْكُرون[4]) : ما زائدة ، وقليلا : صفة لمصدر محذوف ، تقديره شكراً قليلا تشكرون ، وذكر السمع والأبصار والأفئدة وهى القلوب ؛ لعظيم المنافع التى فيها ، فيجب شُكْرُ خالقها ، ومِنْ شُكْرِه توحيدُه واتباعُ رسوله عليه السلام ؛ ففى ذكرها تعديد نعمه .

(ما قَالَ الأَوَّلُون[5]) : أى قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة ، ثم فسّر قولهم بإنكارهم للبعث بقولهم[6] : « لقد وُعِدْنَا نحن وآباؤنا . . . » الآية .

---

(١) المؤمنون : ٢٤ (٢) المؤمنون : ٧٦ (٣) فى ا : عنوا .
(٤) المؤمنون : ٧٨ (٥) المؤمنون : ٨١ (٦) المؤمنون : ٨٣

(مَنْ فيها[1]) : الضمير يعود على الأرض المتقدمة الذِّكر[2] ، وأمر الله في هذه الآية رسولَه أن يوقفهم على أمورٍ لا يمكنهم إلا الإقرار بها ، وإذا أقرُّوا بها لزمهم توحيدُ خالقها والإيمانُ بالدار الآخرة .

(مَلَكوت[3]) : مصدر في بنائه مبالغة ، وقد قدمنا أنه الملك بلسان القبط .

(ما مَلَكَتْ أيْمانُهن[4]) : دخل في ذلك الإماء المسلمات والكتابيّات . وأما العبيد ففيهم ثلاثة أقوال : مَنْعُهم رؤية سيدتهم ؛ وهو قول الشافعي . والجَوَاز ؛ وهو قول ابن عباس وعائشة . والجواز بشرط أن يكون العَبْدُ وَغْدا[5] ؛ وهو مذهب مالك .

(مثَلًا مِنَ الَّذِين خَلَوْا مِنْ قبلكم[6]) : يعني ضرب لكم الأمثال بمَنْ كان قبلكم في تحريم الزنى ؛ لأنه حرام في كل مِلّة ، أو في براءة عائشة كما برّأ يوسف ومريم .

(مَثَلُ نُوره[7]) : الضمير عائد على نور مولانا جلّ جلاله .

والنور يطلق حقيقة على الضوء الذي يُدرك بالأبصار ، ومجازاً على المعاني التي تُدرك بالقلوب ؛ والله ليس كمثله شيء .

وقيل الضمير عائد على المؤمن . وقيل على القرآن . وهذه الأقوال كلها ضعيفة ؛ لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير .

---

(١) المؤمنون : ٨٤ (٢) في الآية قبلها (٧٩) : وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون . (٣) المؤمنون : ٨٨ (٤) النور : ٣١

(٥) الوغد : الأحمق الضعيف ، أو الضعيف جسما (القاموس) .

(٦) النور : ٣٤ (٧) النور : ٣٥

فإن قلت : كيف يصح أن يُقالُ الله نورُ السموات والأرض ، فأخبر أنه هو النور ، ثم أضاف النورَ إليه في قوله : مَثَلُ نوره ، والمضاف غير المضاف إليه ؟

فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذى قدمناه : أى الله منوّر السموات والأرض . أو كما تقول : زيد كريم ، ثم تقول يعيش الناس بكرمه ؛ فإن كان معنى نور السموات والأرض النور المدركَ بالأبصار فمعناه أن الله خلق النورَ فيهما من الشمس والقمر والنجوم . أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود ؛ فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء . ومن هذا المعنى قرأ على بن أبى طالب نَوَّرَ السموات والأرض – بفتح النون والواو والراء مع تشديد الواو ، أى جعل فيهما النور . وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب ؛ فمعنى نور السموات والأرض : أى جاعل النورِ في قلوب أهل السموات والأرض ؛ ولذلك قال ابن عباس : معناه هادِى أهْلِ السموات والأرض .

(مَنْ يُطِـعِ اللهَ ورسولَه ...[1]) الآية . قال ابن عباس : معناه من يُطع الله في فرائضه ، ورسولَه في سُننه ، ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه ، ويتّقِيه فيما يستقبل .

وسأل بعضُ الملوك عن آية كافية جامعة ، فذُكرت له هذه الآية ، وسمعها بعضُ بَطَارِقةِ الروم فأسلم ، وقال : إنها جمعَتْ كلَّ ما في التوراة والإنجيل .

(ما مَلَكْتُم مَفَاتِحه[2]) : يعنى أن الله أباح [١٦٢ ب] للوكلاء والأجراء والعَبِيد الذين يمسكون خزائن الأموال . وقيل المراد ما ملك الإنسانُ من خزائن نفسِه ؛ وهذا ضعيف .

---

(١) النور : ٥٢ (٢) النور : ٦١

(ما أنتُمْ عَلَيْهِ[١]) : هذا خطاب لجميع المنافقين خاصة ؛ وفيه معنى الوعيد والتهديد لدخول[٢] « قَدْ » عليه . وقيل معناها التقليل على وجه التهكم .

(مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ[٣]) : هذا من كلام قُريش طعناً على نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما قيل لنُوح ، فرد الله عليهم بقوله[٤] : « وما أرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ المُرسلين ... » الآية . وإقرارهم برسالته بألسنتهم دون قلوبهم على وجه التهكم ؛ كقول فرعون[٥] : « إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إليكم لمجنُون » . أو يعنون الرسول بزعْمِه .

(مَكَاناً ضَيِّقاً[٦]) : يضيّق عليهم زيادة في عقابهم ؛ ولهذا كان ضرس الكافر أو نابه مثل أُحُد ؛ فانظر كيف يكون حال من ضيّق عليه ، وعظم جرمه ! نسأل الله العافية .

(ما كان يَنْبَغِي لنا أنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أوْلِياءَ ولَكِنْ مَتَّعْتَهُم وآباءَهم حتى نَسُوا الذِّكْرَ[٧]) : يعني نعمك التي أنعمت عليهم كانت سبباً لنسيانهم لذكرك وعبادتك . والقائلُ لذلك هم المعبودون ، قالوا على وجه التبرّي ممن عبدهم ؛ كقولهم : أنْتَ وليُّنا . والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ ، وإقامة الحجة عليهم .

(مَنْ يَظْلِمْ منكم[٨]) : الخطاب للكفار . وقيل للمؤمنين . وقيل على العموم .

---

(١) النور : ٦٤ (٢) في الآية نفسها : قد يعلم ما أنتم عليه .
(٣) الفرقان : ٧ (٤) الفرقان : ٢٠ (٥) الشعراء : ٢٧
(٦) الفرقان : ١٣ (٧) الفرقان : ١٨ (٨) الفرقان : ١٩

(ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ[1]) : الخطاب للمجرمين ، يعنى أن الله قصد إلى أعمالهم التى عملوها من إطعام مسكين أو صِلَة رَحِم أو غير ذلك فنثرها ولم يثبها ؛ فلفظُ القدوم[2] فى الآية مجاز . وقيل هو قدوم الملائكة ، أسنده إلى نفسه ، لأنه عن أمره .

(مَحْجُوراً[3]) : قد قدمناه أن معناه حراماً محرماً ، يعنى الملائكة يقولون للمجرمين : لا بُشْرى لكم ؛ وإنما هو حراماً محرماً عليكم ؛ وإن كان الضمير للمجرمين فالمعنى أنهم يقولون حِجْراً بمعنى عوذاً ؛ لأن العرب كانت تتعوّذ بهذه الكلمة إذا رأت ما تكره . وانتصابه بفعل متروك ظاهرهُ ؛ نحو : معاذ الله .

(مَقِيلاً[4]) : هو « مفعلا » ، من النوم فى القائلة ، وإن كانت الجنة لا نوم فيها ، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة فى الأمكنة الباردة . وقيل إنّ حساب الخلق يكمل فى وقت ارتفاع النهار ، فيقيل أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار .

(مع الرسول سَبِيلاً[5]) : يحتمل أن يكون نبينا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم ، أو اسم جنس على العموم .

(مَهْجُوراً[6]) : من الهَجْر ، بمعنى البعد والتَّرْك ، وقيل : من الهُجْر — بضم الهاء ؛ أى قالوا فيه الهُجْر حين قالوا إنه شاعر وساحر ؛ والأول أظهر .

(مَدَّ الظِّلَّ[7]) : قيل مدّهُ من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ؛ لأن الظل

---

(١) الفرقان : ٢٣ (٢) أول الآية : وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ...
(٣) الفرقان : ٢٢ (٤) الفرقان : ٢٤ (٥) الفرقان : ٢٧
(٦) الفرقان : ٣٠ (٧) الفرقان : ٤٥

حينئذ على الأرض كلها ؛ واعترضه ابنُ عطية بأن ذلك الوقت من الليل ولا يُقال ظل بالليل . واختار أن مدّ الظل ما بين أول الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها يسير . وقيل مدّ الظل ؛ أي جعله يمتدُّ وينبسط .

(مَرَجَ البَحْرَيْنِ[1]) : اضطرب الناس في هذه الآية ؛ لأنه لا يعلم في الدنيا بحر ملح وبحر عَذْب ، وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح ؛ فقال ابن عباس : أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض ، وبالبحر العذب : الفرات . وقيل بحر السحاب ، وقيل البحر المالح المعروف ، والبحر العذب مياه الأرض من الأنهار والعيون ؛ ومعنى الفُرات البالغ العذوبة ، حتى يقرب إلى الحلاوة . والأجاج نقيضه .

واختلف في معنى مرجهما ؛ فقيل جعلهما متجاورين متلاصقين[2] . وقيل : سال أحدهما في الآخر .

وأما قوله تعالى[3] : « وخلق الجانّ مِنْ مَارِجٍ مِن نار » ـ فمعناه أنه خلق إبليس من اللهب المضطرب من النار .

(ما الرَّحْمنُ ؟[4]) : لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرَتْه قريش ، وقالوا : لا نعرف الرحمن . وكان مُسَيْلمة الكذّاب قد تسمى بالرحمن ، فقالوا على وجه المغالطة : إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة .

(مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أثَامًا[5]) : أي عقاباً . وقيل الأثام الإثم ، فمعناهُ يَلْقَ جزاء أثام . وقيل الأثام وادٍ في جهنم . والإشارة [١٦٣ ا] بقوله ذلك

---

(١) الفرقان : ٥٣ (٢) في الكشاف (٢ ـ ١١٣) بعده : وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج ، وهذا من أعظم اقتدار . (٣) الرحمن : ١٥

(٤) الفرقان : ٦٠ (٥) الفرقان : ٦٨

إلى ما ذُكر[1] من الشرك بالله ، وقَتْل النفس بغير حق ، والزِّنَى .

(من تاب[2]) : إن قلنا إن الآية فى الكفار فلا إشكال فيها ؛ لأن الكافر إذا أسلم صحّت توبَتُهُ من الكفر والقَتل والزنى . وإن قلنا : إنها فى المؤمنين فلا خلافَ أنّ التوبةَ من الزنى تصح . واختلف هل تصحّ توبة المسلم من القتل أم لا ؟

(مَتَابًا[3]) : مقبولا مرضيًّا[4] عند الله ، كما تقول : لقد قلت يا فلان قولا ، أى قولا حسنا .

(مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا[5]) : اللغْوُ هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه ، ومعنى مَرُّوا كراما : أعرضوا عنه واستحيوا ، ولم يدخلوا مع أهله ، تنزيها لأنفسهم عن ذلك .

(ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لولا دُعَاؤُكُم[6]) : يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية ، وفى معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال :

أحدها — لا يُبالِى الله بكم لولا عبادتكم له ، فالدعاء بمعنى العبادة ، وهذا قريب من معنى قوله تعالى[7] : « وما خلَقْتُ الجنّ والإنْسَ إلا ليَعْبُدُونِ » . وقال تعالى[8] : « وقال ربُّكم ادعُونى أستَجِبْ لكم ، إنّ الذين يستَكْبِرُون عَنْ عِبادَتى . . . »

(١) فى الآية نفسها : والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله بالحق ولا يزنون . . .

(٢) الفرقان : ٧٠ (٣) الفرقان : ٧١

(٤) فى المفردات (٧٦) : متابا : أى التوبة التامة ، بالجمع بين ترك القبيح وتحرى الجميل . وفى القرطبى (١٣ — ٧٩) : متاباً : أى تاب حق التوبة ، وهى النصوح ، ولذا أكد بالمصدر .

(٥) الفرقان : ٧٢ (٦) الفرقان : ٧٧

(٧) الذاريات : ٥٦ (٨) غافر : ٦٠

الثانى — أنّ الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال ، والمعنى لا يُبالى الله بكم ، ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه ، ويكون على هذين القولين خطاباً لجميع الناس من المؤمنين والكافرين ، لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه . أو خطاباً للمؤمنين خاصة ، لأنهم هم الذين يعبدون الله ويدعونه ، ولكن يضعف هذا بقوله[1] : « فقد كذّبتم » .

الثالث — أنه خطاب للكفار خاصة . والمعنى على هذا : ما يَعْبأ بكم ربّى لولا أنه يدعوكم إلى دينه ، والدعاء على هذا ـ بمعنى الأمر بالدخول فى الدين . وهو مصدر مضاف إلى الفاعل[2] .

(مَعَكم[3]) : خطاب لموسى وأخيه ومن كان معهما ، أو على جعل الاثنين جماعة .

(ما تَعْبُدُون ؟ قالوا نعبُدُ أصناما[4]) : إنما سألهم الخليل مع عِلمه أنهم يعبدون الأصنام لِيُبيِّن لهم أن ما يعبدونه ليس بشىء ، ويُقيم عليهم الحجة .

فإن قلت : لم صرّحوا بقولهم نعبد مع أن السؤال يُغنى عن التصريح بذلك . وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله[5] : « ماذا أنزَلَ رَبُّكم ؟ قالوا : خَيْرا » .

فالجواب أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام ، ثم زادوا قولهم[4] : « فنظَلّ لها عاكِفين » ـ مبالغة فى ذلك .

(مَنْ أتى اللهَ بقَلْبٍ سَليم[6]) ؛ أى من الشرك والمعاصى . وقيل

---

(١) الفرقان : ٧٧ (٢) فى القرطبى (١٣ — ٨٥) : لولا دعاؤكم معه الآلهة والشركاء ، وبذلك تفهم إضافته إلى الفاعل . (٣) الشعراء : ١٥
(٤) الشعراء : ٧٠ ، ٧١ (٥) النحل : ٣٠ (٦) الشعراء : ٨٩

الذى يلقى به ربه وليس فى قلبه شىء غيره . وقيل بقلب لديغ من خشيته ، والسليمُ اللديغ لغة . وقال الزمخشرى[1] : هذا من بديع التفاسير ؛ وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلا فيكون من أتى الله مفعولا بقوله لا ينفع . والمعنى على هذا : المال لا ينفع إلا من أنفقه فى طاعة الله ، وإن البنين لا ينفعون إلا مَنْ علمهم الدين ، وأوصاهم بالحق . ويحتمل أيضا أن يكون متصـــلا ويكون قوله : « من أتى الله » بدلا من قوله[2] : « مالٌ وبنون » على حذف مضاف تقديره إلا مال مَنْ أتى الله وبنوه .

ويحتمل أن يكون منقطعاً بمعنى لكن .

(ما أَضَلَّنا إِلَّا المُجْرِمُون[3]) : يعنون كبراءهم وأهل الحَزْم والجُرْأة منهم .

(ما أنا بِطَارِدِ المؤمنين[4]) : لما طلب قوم نوح منه أن يطرد الأراذل فى زَعْمهم أعرض عنهم ، وجاوبهم بهذا ، وكذلك قريش طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد الضعفاء من مجالسته كبلال ، وعمّار ، وصُهيب .

(مَرْجُومِين[5]) : إما بالحجارة ، أو بالقول والشتم . والأول أظهر ؛ لأنه صح عنهم أنهم كانوا يرجونه حتى أن صبيا كان على عاتق والده ، فلما رأى نوحا قال له ألقنى ، فأخذ حجراً من الأرض ورماه به ؛ فحينئذ دعا عليهم ، وقال[6] : « رَبِّ لا تَذَرْ على الأرض مِنَ الكافرين دَيّارا . . . » الآية . والرجم بمعنى القتال أيضا .

(١) الكشاف : ٢ — ١٢٦ (٢) الشعراء : ٨٨ (٣) الشعراء : ٩٩
(٤) الشعراء : ١١٤ (٥) الشعراء : ١١٦ ، وهى فى الآية : المرجومين .
(٦) نوح : ٢٦

(مَشْحون[١]) : مملوء . ومعناه أن الله تعالى لما أراد هلاك قوم نوح جاءه جبريل ، وأمره أن يتّخذ الفلك قال : كيف أصنعه ؟ قال: انحت مائة ألف وأربعة وعشرين ألف لوح ، فصار ينحتهم ويجدُ على كل لوح اسم نبيء . فقال نوح : يا رب ، ما هؤلاء ؟ فقال الله له : انحتها وأظهر أسماءهم عليها ، فنحتها وظهر له على كل لوح اسم [١٦٣ب] نبيء من آدم إلى نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أمره أن يتّخذ على عددهم دُسُرا[٢] ، ويضم الألواح بعضها إلى بعض ، ففعل ، فكلما مرّ عليه مَلأٌ من قومه سخروا منه . فلما ضم الألواح قالوا له : ما هذا ؟ قال : سفينة النجاة . فقالوا : وأين البحر ؟ فقال : يأتي الله به .

وفي الخبر أنه احتاج إلى أربعة ألواح ، فقال له جبريل : انحتها فنحتها وظهر على الأول أبو بكر ، وعلى الثاني عمر ، وعلى الثالث عثمان ، وعلى الرابع عليّ ؛ فقال نوح : مَنْ هؤلاء ؟ قال الله له : هم أصحاب حبيبي وصَفِيّ وخيرتي من خلقي ، ينصرونه ويبذلون مهجهم دون مهجته ؛ فهم عندي بمنزلة الأنبياء .

فلما ظهرت هذه الأسماء الكرام أنجى الله بها أصحاب نوح عليه السلام ؛ فالذي يحبهم ويصلي عليهم أولى بالنجاة من الآلام .

(مَصَانِعَ[٣]) : جمع مصنع ؛ وهو ما أتقن صنعه من المباني . وقيل : مآخذ الماء[٤] .

(مَتَّعْنَاهُمْ سِنِين[٥]) : يراد به عمر الدنيا . والمعنى أن مدةَ إمهالهم

---

(١) الشعراء : ١١٩ ، وفي الآية : المشحون . (٢) دسر : مسامير ، الواحد دسار (المفردات : ١٦٩) . (٣) الشعراء : ١٢٩

(٤) في المفردات (٢٨٧) : عبر عن الأمكنة الشريفة بالمصانع . وفي القرطبي (١٣ـ١٢٣) : مصانع : منازل ، وقيل حصونا مشيدة . وقيل قصوراً مشيدة . الجوهري : المصنعة كالحوض يجتمع فيها ماء المطر . وفي القاموس : هو جمع مصنع ، أو مصنعة . (٥) الشعراء : ٢٠٥

لا تُغنى مع نزول العذاب بعدها وإن طالت مدةَ سنين ؛ لأن كل ما هو آتٍ قريب .

(ما تنزَّلَتْ به الشياطين . وما يَنْبَغِي لهم ...[1]) الآية : الضمير للقرآن؛ وهذا ردٌّ على مَنْ قال إنه كهانة نزلت الشياطين به على نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . وأنَّى لهم بالوصول إلى ذلك !

ولفظة « ما ينبغي » تارة تستعمل بمعنى لا يمكن ، وبمعنى لا يليق . وإذا مُنعوا من استراق السمع عند مبعثه صلى الله عليه وسلم فكيف يستطيعون الكهانة .

(ما ظُلِمُوا[2]) : في هذا إشارة إلى ما قاله حسّان بن ثابت وغيره من الشعراء في هَجْو الكفار بعد هجوم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ فأباح الله لهم الانتصار ، حتى قال صلى الله عليه وسلم لحسان : كيف تهجو قريشاً وأنا منهم ؟ فقال : لأسلنَّكَ منهم سلَّ الشَّعْرَةِ من العَجِين .

(مَنْ في النَّارِ ومَنْ حَوْلَهَا وسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العالَمِينَ[3]) : يعني في مكان النار ومَنْ حول مكانها ، يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام. قال الزمخشري[4] : الظاهر أنه عام في كل مَنْ كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وما حوله[5] من أرض الشام .

(مَنْ ظَلَمَ[6]) : تقديره : لكن مَنْ ظلم مِنْ سائر الناس لا من المرسلين . وقيل متصل على القول بتجويز الذنوب على الأنبياء ؛ وهذا بعيد ؛

---

(١) الشعراء : ٢١٠ ، ٢١١ (٢) الشعراء : ٢٢٧ (٣) النمل : ٨
(٤) الكشاف : ٢ ــ ١٣٨ (٥) في الكشاف : وحواليها .
(٦) النمل : ١١

لأن الصحيح عِصمتهم من الذنوب . وأيضا تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم .

(مَكَثَ غيرَ بعيدٍ[1]) ؛ أى أقام زمانا قريبا . ويجوز فتح الكاف وضمها ، وبالفتح قرأ عاصم . ويحتمل أن يكون مسنداً إلى سليمان أو إلى الهُدْهد ؛ وهو أظهر .

(ماذا يَرْجِعُون[2]) : من قوله[3] : « يَرْجِعُ بعضُهم إلى بَعْضٍ القَوْلَ » .

(ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أهْلِه[4]) : الضمير راجع إلى قَوْم صالح ؛ وذلك أنهم اجتمعوا وتشاوروا فى قتله ، فقالوا نسافر إلى أرضٍ ، ثم نرجع خفية من الناس ، ونقتل صالحا ، ثم نحلف مائة عند أقربائه إنا ما قتلناه ، ولا علمنا له قاتلا .

(مكروا مَكْرًا ومَكَرْنا مَكْرًا[5]) : هذا على جهة المشاكلة كما قدمنا مراراً ؛ وذلك أنهم أرادوا المكر بصالح ، والله أراد المكر بهم والنجاة بصالح .

رُوِى أنهم لما قتلوا الناقة قال لهم صالح : تمتَّعوا فى داركم ثلاثة أيام ، وعلامةُ ذلك أن تكون وجوهكم فى اليوم الأول حمر ، وفى الثانى صفر ، وفى الثالث سود ؛ فلما رأوا هذه العلامة قالوا نقتل صالحا كما قتلْنا الناقة ؛ فقصدوا إلى داره فى اليوم الرابع ، وكان يوم الأربعاء ، فأخذ جبريل عليه السلام بسور البلد وزَلْزَلَه ، وصاح عليهم صيْحةً ماتوا منها بأجمعهم .

وقيل : إن الرهط الذين تقاسموا[6] على قَتْله اختفوا ليلا فى دارٍ قريبة[7]

---

(١) النمل : ٢٢ (٢) النمل : ٢٨ (٣) سبأ : ٣١

(٤) النمل : ٤٩ (٥) النمل : ٥٠ (٦) فى الآية ٤٩ : قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ...

(٧) فى ب : قريب .

من داره ليخرجوا منها لقتله بالليل ، فوقعت عليهم صخرة أهلكتهم ، ثم هلك قومهم بالصيحة ، ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض ، ونجا صالح ومن آمن به .

فإن قلت : عذّب الله من قتل الناقة ولم يعذب من قتل الحسين .

فالجواب كانت الناقة سببَ الفتنة لقوم صالح ؛ لأنهم طلبوها ؛ وعادةُ الله سبحانه هلاكُ من طلب آية ولم يؤمن [١٦٤ ا] العذاب[1] . والحسين وَلَد مَنْ أرسل رحمة للعالمين ، وفى ذلك الزمان كانت أبوابُ العذابِ مفتوحةً ، وفى زمان الحسين مغلوقة[1] ؛ ألا ترى أن قوم صالح لم ينفعهم الندم على قتلها ، وهذه الأمةُ مرحومة بمن هو رحمة للعالمين ، اللهم كما أرسلته لنا رحمة ، فرفعتَ به العذاب عن جميع الخلائق ، لا تحرمنا منها ، أقسمت عليك بجاهه عندك ، فإنه قال : إذا سألتم الله فاسألوه بجاهى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، كلما ذكرك وذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون صلاة وسلاماً دائمين بدوامك باقيين ببقائك ، لا منتهى لهما دون علمك ، إنك على كل شيء قدير .

(مَنْ فى السمواتِ والأرضِ الغيْبَ إلا اللهُ[2]) : سبب نزول هذه الآية أنّ قريشا سألوه صلى الله عليه وسلم متى الساعة ؟ فأخبره الله بعدم علمها ؛ ولذلك قالت عائشةُ رضى الله عنها : مَنْ زَعَم أنّ محمداً يعلم الغيْبَ فقد أعظم الفِرْية على الله .

فإن قلت : قد أخبر بكثير من المغيبات ، فوقعت على حسب ما أخبر به ؛ وذلك معدود فى معجزاته .

والجواب أنه صلى الله عليه وسلم بيّن ذلك بقوله : "إنى لا أعلم الغيب

---

(١) هذا بالأصلين .　　(٢) النمل : ٦٥

إلا ما علمني الله ، اقرءوا إن شئتم[١]: «عالِمُ الغَيْبِ فلا يُظهِرُ على غَيْبِه أحداً . إلّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ » .

فإن قلت : قد ظهر من أخبار الكهّان والمنجمين ما وقع وصدقهم .

والجواب أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف ، أو عن وَهْم ، لا عن علم ؛ ولا يجب تصديقُهم ؛ لأن الآية نفَتْ علمهم ؛ وإنما يجب علينا تصديق الرسل ؛ لأنه علم إلهى .

وقيل : إن الغيب فى هذه الآية يُراد به متى تقوم الساعة . ولذلك قال[٢] : « وما يَشْعُرونَ أيّانَ يُبْعَثُون » . وقد قدمنا فى النحل من هذا المعنى ؛ ورضى الله عن بعض العلماء لما دخل على بعض الملوك ووجده متحيّرا ؛ فقال له : مالك ؟ فقال له الأمير : رأيت البارحة ملك الموت فى المنام ؛ وسألته : كم بقى من عمرى ؟ فأشار لى بأصابعه الخمس ، ولا أدرى هل هى خمس ساعات أو أيام أو جمعات أو أشهر أو سنين؟ فقال له: إنما أشار لك بالخمس إلى الحديث فى : "خمس لا يعلمهن إلا الله"، ثم قرأ : "إنّ الله عنده علمُ الساعة... الخ". فهدأ رُوعه. وإذا كان ملك الموت الموكل بقبض الأرواح لا يدرى عمر العبد حتى يؤمر بقبض روحه ، فما بالك بمن افترى على الله ، ورحم الله القائل[٣] :

لعمرك ما تَدْرِى الضَّوَارِبُ بالحصا
ولا زاجراتُ الطير ما اللهُ صانع

فإن قلت : كيف قال : « إلا اللهُ » بالرفع على البدل ، والبدلُ لا يصح إلا إذا كان الاستثناء متصلا ، ويكون ما بعد إلا من جنس ما قبلها ؛ والله تعالى

---

(١) الجن : ٢٦ ، ٢٧ (٢) النمل : ٦٥ (٣) هو لبيد : السمط : ٣٨٨ ، وفى السمط : الطوارق بالحصى .

ليس ممن فى السموات والأرض باتفاق ؛ فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون : إنه فوق السموات والأرض ، والقائلين بنفى الجهة يقولون : إنه تعالى لا فيهما ولا داخلا فيهما ولا خارجا عنهما ؛ فهو على هذا استثناء منقطع ، فكان يجب أن يكون منصوبا .

فالجواب من أربعة أوجه :

الأول : أن البدل هنا جاء على لغة بنى تميم فى البدل ، وإن كان منقطعاً ؛ كقولهم : ما فى الدار أحد إلا حمار بالرفع ، والحمار ليس من الأحدين[1] ؛ وهذا ضعيف ؛ لأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز لا بلغة بنى تميم .

والثانى : أن الله تعالى فى السموات والأرض بعلمه ، كما قال تعالى[2] : «وهو معكم أَيْنَ ما كُنتم» ، فجاء البدل على هذا المعنى للظرفية المجازية ، ولا يجوز استعمال لفظة واحدة فى الحقيقة والمجاز فى حالة واحدة عند المحققين .

والثالث : أن قوله من فى السموات والأرض يراد به كلُّ موجود ؛ فكأنه قال : مَنْ فى الوجود ، فيكون الاستثناء على هذا متصلا ، فيصحّ الرّفعُ على البدل ؛ وإنما قال مَنْ فى السموات والأرض جرْياً على منهاج كلام العرب ؛ فهو لفظٌ خاص يراد به ما هو أعمُّ منه .

والرابع : أن يكون الاستثناء متصـــــلا على أن يتأول من فى السموات فى حق الله كما يتأول قوله[3] : «أأَمِنتُم من فى السماء» . وحديث السوء أو شبه ذلك .

---

(١) هذا بالأصلين . (٢) الحديد : ٤ (٣) الملك : ١٦

(مَنْ ضل فقُلْ إنما أنا مِنَ الْمُنْذِرِين[1]) ؛ أى إنما علىَّ الإنذارُ والتبليغ [١٦٤ ب] . والمعنى إن زلتم عن طريق الرشاد ، وأضلَّكم الله عن رؤية السداد فلا يضرنى ذلك[2] « وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فما له مِنْ هادٍ » ، وفى هذه الآية دلالةٌ على أن الله هو المضلُّ والهادى .

(مَنْ جاءَ بالحسنةِ فله خيرٌ منها[3]) ؛ أى عشر إلى سبعمائة ، أو من قال : لا إله إلا الله فلهُ الجنةَ ، بدليل[4] : «من جاء بالسيئة فكُبَّتْ وجوهُهم فى النار» . والسيِّئةُ هنا الكفر والمعاصى التى قضى الله بتعذيب فاعلها .

(مَراضِع[5]) : جمع مُرضِع ، وهى المرأة التى ترضع ، أو جمع مَرْضَع بفتح الميم والضاد ، وهو موضع الرضاع ، يعنى الثَّدْى .

(ماءَ مَدْيَن[6]) ؛ أى بئره ، وكانت[7] مدينة شعيب عليه السلام ؛ وذلك حين قدم موسى من مصر ، وسقى غَنَمَ شُعيب ، فرأى نفسه غريباً فقيراً جائعاً عطشانَ . وقال : أنا الغريب ، أنا الفقير ، أنا الضعيف ، أنا الحقير ؛ فنُودى فى سره : يا موسى المريض الذى ليس له مثلى طبيب ، والضعيف الذى ليس له مثلى رقيب ، والفقير الذى ليس له مثلى نصيب ، والغريب الذى ليس له مثلى حبيب . كان لموسى سبعة أسفار ، فوجد فيها سبعة أشياء : سفر الخوف : قوله لأمه[8] : « فإذا خِفْتِ عليه فألقيه فى اليَمِّ » ؛ فوجد[9] : « وألقيتُ عليكَ محبةً مِنّى » . وسفر الهروب ، فوجد الأنس[10] : «ولما وردَ ماءَ مَدْيَن» . وسفر الطلب لما سار بأهله

---

(١) النمل : ٩٢ (٢) الرعد : ٣٣ (٣) النمل : ٨٩
(٤) النمل : ٩٠ (٥) القصص : ١٢ (٦) القصص : ٢٣
(٧) أى مدين . (٨) القصص : ٧ (٩) طه : ٣٩
(١٠) القصص : ٢٣

فوجد الرسالة : يا موسى إنى أنا الله . والسفر بنى إسرائيل لما قال[1] : « أن أسْرِ بعبادِي » . فوجد فيه النجاة : « فأنجينا موسى » . وسفر النصَب[2] : « لقد لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَبا » ، فوجد الخضر . وسفر المقاتلة لما قالوا له[3] : « اذهَبْ أنْتَ وربُّكَ » . فوجد فيه الحجرَ[4]: «أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحجرَ». وسفر الطور[5] : « ولما جاء مُوسَى لِمِيقَاتِنا » ، فوجد فيه الكلام : «وكلّمه ربّه » .

فإن قلت : بأى شيء عرف موسى الكلام ؟

فالجواب : لما علم أن كلام المخلوقين ينقطع وهو بصماخ الآذان ومن جانب واحد ؛ ووجد له هيبة ولذة ، ولما سمعه غير منقطع ، ومن غير جارحة ، ومن جميع الجوانب، علم أنه كلام خالقه ؛ ولذلك لما قال له الشيطان : مع من تتكلم ؟ فقال له : مع الله . قال : ومن أين علمت ؟ قال : بهذه الأشياء ، فلم يزل فى قلب موسى من هذا حتى سأله الرؤية ، فلم يُعطَها ؛ لأنها لم تكن وقتها . وكيف يرى الباقى بالفانى ؟ وكيف يرى الرحمن من رأى الشيطان ؟ ولما ذهب إلى الجبل جعل هارون واسطة بينه وبين قومه ، فقال له : انظر إلى الجبل ، فلما تجلّى الربُّ إلى الجبل صار سبعين ألف قطعة ، وخرج من كل قطعة عارف يقول : أرِنى أنظر إليك ؛ فقال الله لموسى : أتظنّ أنك مشتاق إلىّ ؟ انظر إلى هؤلاء تطلب مطالبك ، فخر موسى صَعِقاً من جزَعهم . وأيضا لو أعطى الرؤية بسؤاله كان مكافأةً لسؤاله ، كالمائدة لعيسى ، وإحياء الطيور لإبراهيم ، مكافأة لسؤالهما ، ولم تكن الرؤية مكافأة لشيء ؛ لأنها ليس مثلها شيء . وأيضا لما طلب رؤيةَ الحبيب

---

(١) طه : ٧٧ ، الشعراء : ٥٢ (٢) الكهف : ٦٢

(٣) المائدة : ٢٤ (٤) الأعراف ١٦ (٥) الأعراف ١٤٣

قال تعالى[1] : « وما كُنتَ بجانبِ الطُّورِ إذْ نادَيْنا » . ولم يكن وجد رؤيته فكيف يعطيه رؤيته ، ولا وجد له لذة ، كأنه قال له : لن ترانى بعين الحبيب وأمتهِ حتى تكون معهم ، ثم ترانى ؛ وأيضاً قد أعطاه الله رؤية القلب من غير سؤال ، فلا يجوز فى الحكمة أن يعطيه رؤيةَ البصر بالسؤال ، وكأن رؤية القلب أعظم وأفضل من رؤية البصر ؛ لأنّ رؤيةَ البصر مؤقتة ، ورؤية القلب دائمة . قال المخزومى : إنما لم يعطه الرؤية ؛ لأنه قال فى أزله[2] : «لا تدرِكه الأبصار» ؛ يعنى فى الدنيا ؛ فمنعه الرؤية حتى يتحقّق ما قال ، كما أنّ آدم عليه السلام لما قال الله[3] : « إنّى جاعلٌ فى الأرض خليفةً » ـ قضى عليه بالمعصية والخروج من الجنة ، حتى يتحقق قوله . وأيضا لما كان نوره يغلبُ الأبصار حفظ بَصَره ، وكيف يستطيع النور الضعيف الثبات مع القوى ، ونحن نشاهد بعض البصر يذهب بنورِ البرق .

فإن قلت : لِمَ لَمْ تَصِرْ قلوب العارفين دَكّا كالجبل وهو يتجلّى لهم فى كل ساعة .

والجواب : لما تعوّدت القلوب جمالَه [١٦٥ أ] ونورَه منذ خلقها فاطمأنّت وسكنت . ولو كانت ساعة لدكّت القلوبُ كالجبل ، فمن ادّعى رؤيته بالقلب يصدق قوله بخلاف البصر .

(مَن استأجَرْتَ القَوِيُّ الأمِين[4]) : هذا من قول صفورا لأبيها ، فقال لها : ما رأيتِ من قوّته وأمانته ؟ فقالت : رفع الحجر الذى على رأس البئر وحده ، ولا يرفعه إلا أربعون رجلا ، وكنت أمشى أمامه ، فقال : تأخرِى

---

(١) القصص : ٤٦ (٢) الأنعام : ١٠٣ (٣) البقرة : ٣٠

(٤) القصص : ٢٦

حتى لا يقع بصرى على أعضائك ، وجعلت هذه الخاطبة رغبة فيه ، لكنها كتمت محبته كزليخا ، قالت[1] : « عسى أنْ ينفعنا أو نتخذه وَلداً » . وكذلك خديجة بنت خُويلد جعلت خدمة سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم سبباً للاتصال به، وكذلك أنت يا محمدى ، جعل الله لك امتثالَ الأوامر واجتناب النواهى سبباً لإقباله عليك ومواعدتك الجنة إكراماً لك ومحبة فيك ؛ فلما سمع شُعيب مقالة ابنته رغب فيه وقال[2] : « إنى أريد أن أُنكِحكَ إحدَى ابْنَتَىَّ هاتين » . فقال موسى : ليس لى قدرة على المهر . قال شعيب[2] : « على أنْ تأجرنى ثمانِىَ حِجَج » ؛ فرضى موسى ، وجمع شُعيب أهْل بلده وعقد النكاح ، وسلمها إليه .

قال السدّى : أتى ملك إلى شعيب بعصا موسى ، وكانت من سِدْرةِ المنتهى ، نزل بها آدم من الجنة . وقيل مِنْ آس[3] فورثها شيث ، ثم إدريس ، ثم نوح ، ثم هود ، ثم صالح ، ثم لوط ، ثم إبراهيم ، ثم يعقوب ، ثم الأسباط ، ثم إلى شعيب ؛ فقال لموسى : ادخل البيت ، وخذ عصا من بين العصىّ ، واذهب نحو الغنم ؛ فدخل موسى وخرج بعصاه ، فرآه شعيب ، وقال : هذه أمانة ، رُدَّها إلى موضعها ، وخذ الأخرى ؛ فرجع ووضعها ، وأراد أخْذَ الأخرى . فدخلت هذه العصا فى يده ، وكلما جهد أن يأخذ الأخرى لم يقدر ، فأخذ تلك العصا ، وذهب نحو الغنم ؛ فقال شعيب : قد ذهب بأمانة الغير ، فألحقه واستردها منه ؛ فأدرك موسى وقال : أعطنى العصا ، فأبى موسى من[4] إعطائه ، فتنازعا واتفقا على أن يحكم بينهما مَنْ لقيهما أولا ، فلقيهما ملك على صورة آدمى ، فقال : احكم بيننا . فقال : يا موسى ، ضع العصا على الأرض، فإن قدرْتَ أن ترفعها فهى لك ،

---

(١) يوسف : ٢١ ، القصص : ٩

(٢) القصص : ٢٧

(٣) الآس : شجر (القاموس) .

(٤) هنا بالأصلين .

وإنْ قدر على رَفعها هو فهى له ؛ فوضع العصا على الأرض ، فجهـــد شعيب على رَفعها فلم يقدر البتّة ، فتناولها موسى بيده ورفعها من وقته ، وظهرت منها معجزات كثيرة قدمناها . وكذلك بالخاتم الذى جعله الله العهد بينه وبين خَلقه .

وخمس أوراق من التين التى كانت تستره : الواحدة أكلتها الظِّباء فصارت مِسْكاً ، والثانية أكلتها الحوت فصارت فى بطنها عنبرا ، والثالثة أكلتها النحل فصارت عسلا . والرابعة الدود فصارت فى بطنها إبريسما ، والخامسة جميع الأشجار التى فى العالم .

والمقام جعله الله آية بيّنة ومصلّى المسلمين .

فتأمل يا محمدىّ من اتّصف بالأمانة من عند الله ، وعند خلقه ؛ فإن اتصفتَ بها كم لك من تشريف ! ألا تراه يقول : ألست بربكم ؟ وقال[1] : « إنَّ اللهَ اشتَرَى مِنَ المؤمنين أنفسهم وأموالهم » . كأنه يقول : عبدى ليس لى حاجةٌ لطاعتك وخدمتك ، ولكن أمرتك بالطاعة والعبادة ، وحملت عليك البَلاءَ والمشقة ، وطلبت منك النفس والمال والطاعة فى جميع الأحوال ؛ لتعلم أنّ مرادى منك الوصال ؛ وإنما جعلت الأعمال لقطع تُهمة الكفار وطعنهم .

فإن قلت : يشترى أنفسهم وهى له ، ولم يقل قلوبهم .

والجواب إنما قال ذلك على طريق الانبساط ، كسيّد يقول لعبده : أقرضنى كذا وكذا ، واشتر منّى كذا ، والمال والنفس له ؛ وإنما أراد أن يريه كمال لطافته بتمام محبّته ، وأىّ حاجة له فى ثمن بيعك ، ولكن ليكون فخرك أكبر ، وتعلم أنه يحبّك ويرضاك ؛ لأن السيد لا يشترى العبد إلا لمحبته فيه ، ولا يرضاه

---

(١) التوبة : ١١١

عبداً لغيره ، ولا يطلب حوائجه إلا منه ، وقال أنفسهم ؛ لأن أنفسهم معيوبة[1] ، والقلوب نقية ؛ فاشتراء المعيوب يدل على أنه لا يرده لعلمه بالعيب ؛ فاشتراؤه لك [١٦٥ ب] يا محمدى ؛ دليل على أنه يريد إصلاح عَيْبَك ، ومَنْ كان قادراً على إصلاح عيب السلعة لا يردها فى الشاهد ، «[2] مَنْ أوْفَى بِعَهْدِهِ من الله » ، فأوف بعهده ؛ كما قال[3] : « أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ » . فلو أراد إبليس أنْ يُغْوِيك [ويدعو ما][4] ليس فيك لم يقدر ؛ لأن المشترى الأول هو الله ، والثمن هو الجنّة ، والدال على هذا البيع هو رسولنا وحبيبنا ؛ ولذلك دخل الجنة ليلةَ المعراج ليصف لنا الثمن وكيفيته ، فأبشروا يا أمة محمد ؛ فأنتم خير أمة ، سمّاكم الله أمّةَ الهداية والدعوة والفضيلة والخير ، وسماكم بأسماء الخليل ، وأعطاكم خِصال الكليم ، وأكرمكم بإكرام نبيكم الحبيب ؛ قال تعالى فى الخليل[5] : « إنّ إبراهيم كان أُمّةً » . وقال[6] : « كُنتم خَيْرَ أُمّة » . وقال : « إن إبراهيم كان أمةً قانِتاً لِلهِ » . ولكم[7] : « أمَّنْ هُو قانِتٌ آناءَ اللَّيلِ » . وقال للخليل[8] : « حَنِيفاً » . ولكم[9] : « حنفاءَ ويقيموا الصــــلاة » . وقال فى إبراهيم : شاكرا . مسلما . وفيا . وفيكم : الصَّابرين . والمُسلمين . والشاكرين ويُوفُون بالنَّذْر . وقال فى إبراهيم : صدّيقا نبيًا . وفيكم : أولئك هم الصديقون . وقال فى إبراهيم : رحيما ، حليما ، أوّاها ، منيبا . وقال فيكم رُحماءُ بينهم . إنه كان للأوّابين غفورا . مُنيبين إليه .

وقال للكليم : إنى اصطفَيْتُكَ . ولا تَخَفْ . ولقد مننّا عليكَ مرةً أخرى.

---

(١) فى القاموس : هو معيب ومعيوب .
(٢) التوبة : ١١١
(٣) البقرة : ٤٠
(٤) مكان ما بين القوسين بياض فى ا ، والمثبت فى ب .
(٥) النحل : ١٢٠
(٦) آل عمران : ١١٠
(٧) الزمر : ٩
(٨) البقرة : ١٣٥
(٩) البينة : ٥

ونجّيناها وقومها . و كتبنا له فى الألواح من كل شىء . قد أوتيت سؤلك يا موسى . قد أجيبت دعوتكما . وقرّبناه نجيًا . وقال لكم : قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . لا تخف . ولا تحزنوا . ألا تخافوا ولا تحزنوا . إنى معكم . لئن أقمتم الصلاة . بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان . وننجّى الذين اتقوا . ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا . وآتاكم من كلّ ما سألتموه . وقال ربكم ادعونى استجب لكم . واسجد واقترب . ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم .

وأما إكرام الحبيب فعشرة : «[1] إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ، ويتمّ نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا » . «[2] وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » . «[3] أليس الله بكاف عبده» . «[4] ألم نشرح لك صدرك» . «[5] إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي » . «[6] يوم لا يخزى الله النبىّ والذين آمنوا معه » . وقال لكم يا أمّته[7]: « ما يفتح الله للناس من رحمة » . «[8] إن الله يغفر الذنوب جميعاً » . «[9] وأتممت عليكم نعمتى » . «[10] وإنّ الله لهاد الذين آمنوا» . «[11] إن ينصركم الله فلا غالب لكم» . «[12] لتكونوا شهداء على الناس » . «[13] وكفى الله المؤمنين القتال » . «[14] أفمن شرح الله صدره للإسلام » . «[15] هو الذى يصلّى عليكم وملائكته » .

---

(١) الفتح : ١ ، ٢ ، ٣ (٢) النساء : ٤١ (٣) الزمر : ٣٦
(٤) الشرح : ١ (٥) الأحزاب : ٥٦ (٦) التحريم : ٨
(٧) فاطر : ٢ (٨) الزمر : ٥٣ (٩) المائدة : ٣
(١٠) الحج : ٥٤ (١١) آل عمران : ١٦٠ (١٢) البقرة : ١٤٣
(١٣) الأحزاب : ٢٥ (١٤) الزمر : ٢٢ (١٥) الأحزاب : ٤٣

«[1] والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكرُوا الله » .

اللهم اغفر لنا ولا تؤاخذنا بجاه نبينا وشفيعنا صلى الله عليه وسلم .

(ما كُنْتَ بجانِبِ الغَرْبِى[2]) : هذا خطاب لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمراد به إقامة الحجة ، لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره .

والغربىّ : المكان الذى فى غرب الطور ، وهو الذى كلم الله فيه موسى ، والأمر المقضىّ إليه هو النبوءة .

(ما كُنْتَ من الشـــاهدين[2]) : يعنى من الحاضرين هنالك على هذه الغيوب التى أخبرناك بها ، ولكنها صارت إليك بوَحينا ؛ فكان الواجب على الناس المسارعةُ إلى الإيمان بك وامتثالُ أمرك؛ ولكنا أنشأنا[3] قرونا بعد زمان موسى ، فتطاول عليهم العمر ؛ وطالت الفَتْرة ؛ فأرسلناك على فترة من الرسل ، فغلبت عقولهم ، واستحكمت جهالتهم ، فكفروا بك .

(مَقْبُوحين[4]) : مطرودين مبعودين[5] . وقيل قبحت وجوههم لسوادها وزرقة أعينهم . يقال قبح الله وجهه ـ بتشديد الباء وتخفيفها .

(مَنْ أحبَبْتَ[6]) : الخطابُ لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . وسببُ نزولها إعراض عَمّه عن الإسلام لما قال له : "يا عمّ ؛ قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاجّ لك بها عنـــد الله" . فقال : أخاف أن تعيِّرنى قريش ؛ ومات على الكفر ؛ فأنزل الله عليه : « إنك لا تَهدى مَنْ أحبَبْت » . ولفظ الآية مع ذلك على عمومه .

---

(١) آل عمران : ١٣٥ (٢) القصص : ٤٤ (٣) القصص : ٤٥
(٤) القصص : ٤٢ (٥) هذا بالأصلين ، وهي من أبعد أوضح فتكون مبعدا .
(٦) القصص : ٥٦

(ما كان ربُّك مُهْلِكَ القُرى حتى يبعثَ فى أُمِّها رَسُولاً[1]) : أُمّ القرى: مكة ؛ لأنها أول ما خلق من الأرض ، [١٦٦ ا] ولأن فيها بيت الله . والمعنى أن الله أقام الحجة على أهل القرى ببعث محمد صلى الله عليه وسلم فى أُمّها ؛ فإن كفروا أهلكهم الله بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم .

(وما أوتيتُمْ مِنْ شىءٍ[2]) : تحقير للدنيا وتزهيد فيها ، وأنها لا قيمة لها ، وما عند الله خير وأبقى .

(أفَمَنْ وَعَدْنَاه وَعْداً حَسَناً[3]) : هذه الآية إيضاح لما قبلها من البَوْنِ بين الدنيا والآخرة . والمراد بمن وعدناه المؤمنون ، وبمن متّعناه الكافرون . وقيل محمد صلى الله عليه وسلم ، وأبو جهل . وقيل حمزة ، وأبو جهل . والعموم أحسن لفظا .

(ماذا أجَبْتُمُ المُرْسَلِين[4]) : أى هل صَدَّقتموهم أو كذبتموهم ؟ فلا يدرون جوابا ؛ لما يرون من الأهوال ، ولا يسأل[5] بعضهم بعضا لتساويهم فى الحيرة .

(ما يشاء ويختار[6]) ؛ أى يخلق ما يشاء من الأمور على الإطلاق ؛ لأنه أعلم بمصالحها ، لا يُسأل عما يفعل . وقيل سببها استغراب قريش لاختِصاص نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوّة .

(ما كان لهم الخِيَرَةُ[7]) : ما نافية . والمعنى ما كان للعباد اختيار ؛ إنما الاختيار والإرادةُ لله وحده ؛ فالوقف على قوله : ويختار . وقيل: إن ما مفعول

---

(١) القصص : ٥٩ (٢) القصص : ٦٠ (٣) القصص : ٦١
(٤) القصص : ٦٥ (٥) تفسير لقوله تعالى فى الآية التى بعدها : ولا يتساءلون .
(٦) القصص : ٦٨ (٧) القصص : ٦٨

يختار . ومعنى الخِيَرة على هذا الخير والمصلحة . وهذا يجرى على قول المعتزلة ، وذلك ضعيف لرفع الخيرة على أنها اسم كان ، ولو كانت ما مفعولة لكان ضميرها مضمرا يعود على ما وكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان . وقد اعتذر عن هذا مَنْ قال إن « ما » مفعولة بأنْ قال : تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه ، ثم حذف الجار والمجرور ؛ وهذا ضعيف .

وقال ابن عطية : يتجه أن تكون ما مفعولة إذا قدرت كان تامة ، ويوقف على قوله : ما كان ؛ أي يختار كل كائن ، ويكون لهم الخيرة جملة مستأنفة ؛ وهذا بعيد جداً .

(ما إنَّ مَفَاتِحَه[1]) : هى التى يفتح بها . وقيل هى الخزائن . والأول أظهر . وكانت مفاتيح خزائنه حمل مائة بعير . وفى رواية سبعين بعيرا .

قال مجاهد : وكان وزن كل مفتاح درهما . وفى رواية وزن نصف درهم . ويفتح بكل مفتاح سبعون بابا . فلما جمع المال ترك النوافلَ من العبادات ، فأمر الله تعالى موسى أن يطلب منه زكاةَ أمواله ، فحسب مقدارَ زكاته فرآه كثيراً ؛ فلم يُؤَدِّه ، وكان يركب عنده ألف غلام وألف جارية بسروج من ذهب ، وثيابهم من ذهب .

(مكانَه بالأَمْسِ[2]) : تمنّى بنو إسرائيل مكانَ قارون لما رأوا من مركبه ، وما أعطاه اللهُ من الزينة والحشم ؛ فلما امتنع قارون من الزكاة ألح عليه موسى ، فقال له : اجمع أهل مصر غداً ، فإن غلبتنى بالحجة أعطيتك زكاة المال . فدعا قارون امرأةَ ذات حُسن وجمال ، وقال لها : إنى أجمع بنى إسرائيل ، فإن شهدت

---

(١) القصص : ٧٦ (٢) القصص : ٨٢

على موسى بالفسق ، وقالت أنا حاملة منه أعطيتك ما أغنيك . فقبلت . ثم جمع قارون بنى إسرائيل فى داره ، ودعا موسى ؛ فقالت بنو إسرائيل : عِظْنا موعظةً . فوعظهم ، وقال : من سرق مالًا قُطعت يده ، ومن زنى بامرأة قُتل . فقال قارون : إن فعلتَ ما قلت فكيف الحكم عليك ؟ فقال موسى : إن فعلتُ وجب علىّ الحكم . فقال قارون : لى شاهد بأنك زنيت بهـــذه المرأة وهى حامل منك . فأشار إليها وقامت ، وأوقع الله الرعبَ فى قلبها ، وحوّل لسانها من الكذب إلى الصدق ، وقالت : إن موسى برىء مما يقوله قارون ـ وأقرّتْ بقول قارون لها ، وإنى أخاف الله من ذلك ، هو رسوله وكليمه .

فغضب موسى عليه وناجى واشتكى من قارون ، فجاءه جبريل وقال : يا موسى ، إن الله يُقرِئُك السلام ، ويقول لك : جعلتُ الأرض فى أمرك فأىّ شىء تأمرها فهى مُطيعة لك فى إهلاك قارون . فرجع موسى إليه وهو جالس على السرير متكئًا على فراش من ديباج ، فضرب موسى عصاه على الأرض ، وقال لها : خُذِيه ؛ فأخذَتْه إلى رُكبتيه ، فتضرع إلى موسى فلم يلتفت إلى قوله ، وهو يستغيث إليه مرارًا ، ويعرض عنه ؛ فقال الله له : يا موسى ، استغاث بك أربع مرات فلم تُغِثْهُ ، وعزّتى وجلالى لو استغاث بى مرةً واحدة لأغثْتُه ؛ فحينئذ قام الذين تمنّوْا مكانه بالأمس يقولون : [١٦٦ ب] «(١) ويكأن الله يَبْسط الرزقَ لمن يشاء ... » الآية . وخسف الله به وبداره الأرض ؛ لأنه لو لم يخسف بداره لقالت بنو إسرائيل : دعا عليه موسى ليأخذ ماله ؛ فانظر هذه الرحمة الشاملة حيث عاتب كليمَه على عدوه وقوله له : لو استغاث بى لأغثته ، وإن لم تعمل على هذا فاقرأ قوله تعالى(٢) : « قل يا عبادى الذين أسرَفُوا على أنفسهم ... » الآية ؛

---

(١) القصص : ٨٢ (٢) الزمر : ٥٣

وإضافته إليك فى قوله : وإلهكم إله واحد . فما أشرفها من إضافة ! وما أحسنه من تشريف ! ولذلك يقول تعالى : خلقت الأشياء كلّها لك ، وخلقتك من أجلي ، فكلهم لك ، وأنا لك ؛ فإذا كنتَ لى فأىُّ شىء يبقى لإبليس معك . وسمّى العبد عبداً لأنه محل العَصا ، ومسلكه العيوب ؛ ولما أضاف العبد إلى نفسه خاف أن يسلبه إبليس من الله عز وجل فقال : « وهو معكم » ، فأضافه إلى نفسه حتى لا يقدر إبليس أن يسلبه منه ، وليس لك الفخر أيها العبد بنسبتك لسيدك ؛ بل الفخر لك لأنه إلهك والإله يرزقك ؛ وإن عملت عملا قَبِله منك ، وإن أذنبت ذنوباً غفرها لك ، وأنت تشاهد العبد يسمّى عَبْدَه باسمٍ لا يقدر أحد أن يرفعه ما دام سيده حيًا ، وهو تعالى أضافك إليه شئت أو أبيت ، ويكفيك من محبته لك ولطفه بك أنه قال[1] : « أسرفُوا على أنفسهم » ، ولم يقل أسرفتم؛ لئلا يخجل العاصى ، ويفتضح ؛ وتستّراً عليه حتى لا يهتك ستره ما لم يشرك به ، فإنْ رجع بعد الشرك قَبِله وأقبل عليه ؛ ولذلك قال تعالى[1] : « إنّ اللهَ يَغفِرُ الذنوبَ جميعاً » ؛ ومعاصيك أيها العبد بين اثنين ؛ فى الله وفى الرسول ؛ فأما التى فى الرسول فقد شفع الله فيك ، وقال له : فاعفُ عَنْهُم واستَغْفِر لهم . والتى فى الله يأمر الرســـــول أن يشفع فيك إلى الله ؛ وذنوبُك أيضاً لا تخرج من اثنين : إما صغيرة فهى مغفورة باجتناب الكبائر ؛ قال تعالى[2] : « إن تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عنه نُكَفِّرْ عنكم سيِّئاتِكم » . وإما كبيرة فقد ادّخر لكَ الرسولُ الشفاعة فيها ؛ قال صلى الله عليــه وسلم : ادخرتُ شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى .

قال الحسن البصرى : كنتُ مارّا بمكة فسمعتُ امرأةً تقول لزوجها :

---

(١) الزمر : ٥٣ (٢) النساء : ٣١

كل إساءة تفعلها بى فلا بأسَ عليك إذا لم تبدّل بى غيرى ولم تشرك غيرى معى . فقلت : هذه مثل قوله تعالى[1] : « إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أن يُشرَكَ به » .

وسمع نصرانى امرأة تقول لزوجها : أنا ومالى لك ما لم تشرك معى ضرة . فقال : هذا مخلوق لايرضى بشريك معه ، فكيف بالخالق ؟ فأسلم من الشرك .

وقال يحيى بن معاذ الرازى : إلهى ، كاد رجائى قبل المعصية يقارب رجائى قبل الطاعة ؛ لأنه بطاعة العبد يظهرُ من الله العدل وهو الثواب ، وبمعصيته يظهر منه الفضل وهو الرحمة .

وقال أيضاً : مثل المؤمن طاعة واحدة بعشرة أمثالها ومعصيته بين ثلاث : طاعة الندامة والخوف والرجاء ؛ وكان من دعائه : إلهى، إنْ تعذّبنى يفرح إبليس ويحزن محمد ، وإن تعفُ عنى يفرح نبى ويحزن عدوّى ، وأنا أعلم أنك لا تريد شماتةَ العدوّ وحزنَ الحبيب ؛ وقد قلت[2] : « أنى أنا الغفُور الرّحيم » .

فإن قلت : هل بين هذين الاسمين فرق ؟ وهل الغفار والغافر بمعنى الغفور ؟ ولِمَ لَمْ يَقُلْ فى العذاب : أنا المعذّب ؛ بل قال[3] : « وأنّ عذَابى هو العذابُ الأليم » ؟

فالجواب أن الغفور للعصاة يغفر لهم جميع معاصيهم ، والرحيم للمطيعين يقبل جميعَ طاعاتهم مع التقصير . والغافر للذنب والغفّار مبالغة للذنوب الكثيرة ؛ قال تعالى[4]: «وإنى لَغفّارٌ» ؛ والغفور لتعجيل المغفرة ؛ قال تعالى[5]: «إنه كان

---

(١) النساء : ٤٨ (٢) الحجر : ٤٩ (٣) الحجر : ٥٠

(٤) طه : ٨٢ (٥) الإسراء : ٢٥

للأوَّابين غفورا » . وبالجملة فله سبحانه مائة اسم ، التسعة والتسعون أخبرك بهـا نبيك ؛ فكلما ذكرته بها ذكرك [١٦٧ ا] بتسعة وتسعين رحمة من عنده ؛ وإنما قال عذابي ؛ لأن المغفرةَ صفةٌ والعذاب فعل ، والفعل يجوز أن يكون وألّا يكون ، والصفةُ لا تجوز إلا أن تكون البتة .

(مَعَادٍ[1]) : المعاد : الموضع الذي يُعاد إليه ؛ يعني مكة . ونزلت الآية حين الهجرة ؛ ففيها وَعْدٌ بالرجوع إلى مكة وفتحها ، وفيها خاصية لمن أراد من المسافرين الرجوعَ إلى وطنه فليقرأها حين خروجه يعود إليه . وقيل يعني الآخرة ، ففيها الإعلام بالحشر . وقيل يعني الجنة .

(ما كنتَ ترجُو أن يُلقَى إليكَ الكتابُ[2]) ؛ أي ما كنت تطمع أن تنالَ النبوءة ، ولا أن ينزل عليك الكتاب ، ولكن الله رحمك بذلك ، ورحم الناس بنبوءتكَ . والاستثناء[3] بمعنى لكن هو منقطع . ويحتمل أن يكون متصلا ؛ والمعنى ما أنزلنا عليك الكتاب إلا رحمة من ربك لكَ أو للناس ، ورحمة على هذا مفعول من أجله ، أو حال . وعلى الأول منصوب على الاستثناء .

(مَنْ كان يرْجُو لِقاءَ اللهِ...[4]) الآية ؛ تسلية للمؤمنين ، ووَعْدٌ لهم بالخير في الآخرة ، والرجاء هنا على بابه . وقيل هو بمعنى الخوف .

(مَنْ جاهد فإنما يُجاهِدُ لنَفْسِه[5]) ؛ أي منفعة جهاده إنما هي لنفسه ؛ فإن اللهَ لا تنفعه طاعة العباد . والمراد بالجهاد هنا إمّا جهاد النفس ، وهو أعظم من جهاد العدو ؛ لقول عمر رضي الله عنه : رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .

---

(١) القصص : ٨٥ (٢) القصص : ٨٦ (٣) في قوله : إلا رحمة من ربك — في الآية نفسها . (٤) العنكبوت : ٥ (٥) العنكبوت : ٦

(مَنْ يقول آمَنَّا بالله[1]) : نزلت فى قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم ، وإذا عذَّبهم الكفارُ رجعوا عن الإيمان ، فإذا نصر الله المؤمنين قالوا : إنا كُنَّا معكم .

(مَوَدَّةَ بَيْنِكم[2]) : بنصب مودة: على أنه مفعول من أجله ، أو مفعول ثان لاتخذتم ، ورفعها على أنه خبر ابتداء مضمر ، أو خبر إن وتكون « ما » موصولة . ونصب بينكم على الظرفية وخفضه بالإضافة .

(ما كانُوا سابِقِين[3]) ؛ رأى لم يفوتوا مَنْ أرسلنا عليه حَاصِباً ؛ إن أراد بالحاصب الريح ، فيعود على قوم عاد ، وإن أراد به الحجارة فيعود على قوم لوط ، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر . واستعمال اللفظ الواحد فى معنيين جائز للآية : إن الله وملائكته يصلّون على النبى . ويقرب ذلك هنا ؛ لأن المراد ذكر أحد أصناف الكفار .

(مَنْ أخذَتْه الصَّيْحة[4]) : كثمود ، ومدْين .

(مَنْ خَسَفْنا به الأرْضَ[4]) : كقارون وأصحابه .

(مَنْ أغرقنا[4]) : قوم فرعون وقوم نوح .

(مثَلُ الذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أوْلياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ[5]) : شبَّه الله الكفارَ فى عبادتهم الأصنام بالعنكبوت فى بنائها بيتاً ضعيفاً ، فكما أنَّ ما اعتمدت عليه العنكبوت من بيتها ليس بشىء ؛ كذلك ما اعتمدت عليه الكفّار من آلهتهم ليس بشىء ؛ لأنهم لا يَنْفعُون ولا يضرون .

---

(١) العنكبوت : ١٠ (٢) العنكبوت : ٢٥ (٣) العنكبوت : ٣٩

(٤) العنكبوت : ٤٠ (٥) العنكبوت : ٤١

(ما يَدْعُونَ مِنْ دُونه مِنْ شيء[1]) : ما موصولة بمعنى الذى مفعولة للفعل الذى قبلها ، أو هى نافية والفعل معلّق عنها ؛ والمعنى على هذا : ألستم تدعون من دونه شيئاً له بالٌ ؛ فيصح أن يسمى شيئا .

(ما كنتَ تَتْلُو مِنْ قبله من كتابٍ ولا تخطُّه بيَمِينِك[2]) : فى هذه الآية احتجاج على أنّ القرآن من عند الله ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب ، ثم جاء بالقرآن . واختلف هل كتب بيده صلى الله عليه وسلم ؟ والصحيحُ أنه كتب فى عمرة الحُدَيْبية اسمه صلى الله عليه وسلم لما طلب منه عمر أن يغيِّر محمد رسول الله فأبى علىّ من تغييره وقال: والله لا أغيِّر اسمك لأجل قريش. وقد ألف الباجى فيه تأليفا .

فإن قلت : ما فائدة قوله : بيمينك ؟

فالجواب أنّ ذلك تأكيد الكلام وتصوير للمعنى المراد .

(مودّةً ورحمةً[3]) : يعنى الجماع ، ورحمة : الولد . والعمومُ أحسن وأبلغ .

(مَسَّ الناسَ ضُرٌّ[4]) : قد قدمنا فى غير ما موضع أن هذا إخبار على المشركين ؛ لأنهم يدعون الله فى الشدائد ، ويشركون به فى الرخاء .

(ما آتَيْتُم مِنْ رِبًا ليَرْبُوَ [١٦٧ ب] فى أموالِ الناس فلا يَرْبُو عند الله[5]) : هذه الآية معناها كالذى تقدم فى قوله[6] : « يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا ويُرْبِي الصَّدَقَاتِ » ؛ ومعناها ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو

---

(١) العنكبوت : ٤٢ (٢) العنكبوت : ٤٨ (٣) الروم ٢١
(٤) الروم : ٣٣ (٥) الروم : ٣٩ (٦) البقرة : ٢٧٦

عند الله ، وما آتيتم من الصدقات فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به . وقيل المراد أن يهب الرجل أو يُهْدي له ليعوضه أكثر من ذلك ، وإن كان جائزاً فإنه لا ثواب فيه . وقرىء : وما آتيتم بالمد بمعنى أعطيتم . وبالقصر بمعنى جئتم به ، أي فعلتموه . وقرىء لتربوا — بضم التاء . وليربو — بالياء مفتوحة ونصب الواو .

(من يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلى الله[1]) : الوجه هنا عبارة عن المقصد ، يعني يستسلم وينقاد لربوبيّته .

(ما في الأرض مِنْ شَجَرَةٍ أقلام ...[2]) الآية : إخبار بكثرة كلمة الله ، والمرادُ اتساع عِلْمِهِ ، ويعني أنه لو كانت شجرةُ الأرض أقلاماً والبحور مِدَاداً تصبّ فيه صبا دائماً ، وكتبت بذلك كلمات الله لنَفَدَتْ الأشجار والبحار ولم تنفد كلماتُ الله ، لأن الأشجار والبحار متناهية ، وكلمات الله غير متناهية .

فإن قلت : لِمَ لَمْ يقل : والبحر مداداً ، كما قال في الكهف[3] ؟

فالجواب أنه أغنى عن ذلك قوله : « يَمُدُّه » ، لأنه من قوله مدّ الدواة وأمدها .

فإن قلت : لِمَ قال من شجرة ولم يقل من شجر — باسم الجنس الذي يقتضي العموم ؟

فالجواب أنه أراد تفصيلَ الشجر إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى منها واحدة .

فإن قلت : لم قال : « كلمات الله » ولم يقل كلام الله بجمع الكثرة ؟

---

(١) لقمان : ٢٢ (٢) لقمان : ٢٧ (٣) آية الكهف : قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ... (١٠٩)

فالجواب أن هذا أبلغ ؛ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنها جمع قلة فكيف ينفد الجمع الكثير ؟

وروى أن سبب نزول الآية قول اليهود قد أوتينا التوراة وفيها العِلْمُ كله ، فنزلت الآية ؛ لتدلّ على أنّ ما عندهم قليل من كثير ، والآية على هذا مدنية .

وقيل سببها أنّ قريشاً قالوا : إن القرآن سينفد .

(مولودٌ هو جَازٍ عن وَالِدِهِ شَيْئاً[1]) : يعني أنّ الوالد لا ينفع ولده ، والولد لا ينفع والده ؛ لأن كلّ واحد مشغول بنفسه .

فإن قلت : ما فائدة إبراز الضمير فى الولد دون الوالد ؟

قلت : لِمَا جُبل عليه الوالد من المحبة والشفقة لولده ، بخلاف الولد ؛ فإنه لا يصل لتلك المحبة والشفقة ، ولو كان فى غاية البر .

(ماذَا تَـكْسِبُ غَداً[2]) : أى من خير أو من شر ، أو طاعة أو معصية ، أو عافية أو بلية ؛ وفيه الإشارةُ إلى أنّ العاقل ينظرُ ما يفعل الله به ؛ فيسلّم له أموره ، ويشكره على النعم ، ويتوب إليه من المعاصى ، ويصبر للنقم .

(مَلَكُ المَوْتِ[3]) : اسمه عزرائيل ، تحت يده ملائكة ، وبهذا يجمع بين قوله[3] : « قل يتوفّاكُمْ مَلَكُ الموت » . وبين قوله[4] : « توفَّتْهُ رُسلُنا » .
وسببُ توليته لقَبْض أرواح بنى آدم : استغاثة القَبْضَة من التراب التى خلق الله منها آدم ، فقال لها : امتثال أمر الله أولى من رحمتك ؛ فلما ولاه على قبض الأرواح

---

(١) لقمان : ٣٣ (٢) لقمان : ٣٤ (٣) السجدة : ١١
(٤) الأنعام : ٦١

قال: يا ربِّ، يسبونني ويبغضونني . فقال الله له : سأجعل لموتهم أسبابا من مرضٍ وغَرَق ، وحرق وقتل ، حتى لا يذكروك .

(ما أُخْفِيَ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ[1]) : يعني أنه لا يعلم أحد مقدار ما يُعطيهم الله من النعيم ، ورضوان الله أكبر من ذلك . وقرىء بإسكان الياء ، على أن يكون فعل المتكلم ، وهو الله تعالى .

(أَفَمَنْ كان مُؤْمِنا كمن كان فاسقاً لا يَسْتَوُونَ[2]) : يعني المؤمنين والفاسقين على العموم . وقيل المؤمن على بن أبي طالب ، والفاسق عتبة ابن أبي مُعيط .

(ماءٍ مَهِينٍ[3]) : أي ضعيف . وفيه إشارةٌ إلى الاعتبار بهذه الخلقة من نطفة مذِرة ، ويحمل في جوفه العذرة ، ويرجع جيفة قذرة ، فيعرف نفسه ، وينزلها منزلتها من الضعف والافتقار ، ويدع العزةَ والاستكبار .

(ما جعَلَ اللهُ لرجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ[4]) : لأنه كالإناء إذا ملأته بشيء لم يكن لشيء آخر فيه مجال ، وهذا هو السبب في زهد أهل الصوفة[5] في الدنيا لئلا تشغلهم عن محبوبهم .

قال ابن عباس : كان في قريش [١٦٨ ا] رجلٌ يقال له ذو قَلْبين لشدة فهمه ، فنزلت الآية ، نفْتْ ذلك . ويقال إنه ابن خَطَل ، وقيل جميل بن معمر . وقيل : إنما جاء هذا اللفظ توطئةً لما بعده من النفي ؛ أي كما لم يجعل الله لرجل من قلبيْن في جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم .

---

(١) السجدة : ١٧ (٢) السجدة : ١٨ (٣) السجدة : ٨

(٤) الأحزاب : ٤ (٥) هذا بالأصلين ، ولعله يريد : الصفة .

فإن قلت : قد قال الله تعالى[١] : « النبيُّ أَوْلَى بالمؤمنين من أَنْفُسهم وأزواجُه أمهاتُهم » . وفي قراءة أبيّ : وهو أبٌ لهم ـ فما فائدة هذا النهي ؟

فالجواب أنه أولى بهم من أنفسهم في شفقته عليهم وإنقاذهم من النار . ألا ترى أنه في الدنيا قال : "أمتي أمتي" . وفي الحشر : "لا أسألك فاطمةَ ابنتي ولا نفسي ، وإنما أسألك أمتي" . وفي الصراط : "اللهم سلِّم أمتي" . وفي الحساب : "لا تفضح أمتي" . وفي الميزان "يا إسرافيل أرجح لأمتي" . ولا يرضى صلى الله عليه وسلم أنْ يبقى أحد من أمته في النار . فيجب علينا حبّه أكثر من أنفسنا ، وننصر دينه ، ونترك حمية أنفسنا ، ونجعل لأزواجه الرضا والمبرة أكثر من أمهاتنا ، وإن أوجب الله عليهم حَجْبهن عنا فلعظيم حرمتهنّ .

وأما كونه أبًا لنا فالأَوْلَى نسبتُنا لآبائنا ، كما قال تعالى[٢] : « ادْعُوهم لآبائهم ... » الآية ؛ وسيأتي سِرُّ نسبتنا إلى أبينا إبراهيم ؛ وذلك أنه أُمر بذَبْح ولده ، فقال[٣] : « إني أرى في المَنَامِ أني أَذْبَحُكَ » ؛ فقال الله : يا إبراهيم أرسلتُك بالمشاورة ، فبعزّتي إن نظرت إليَّ دون الولد ، وقطعت عنه قلبك ، وسلّمت لأمري لأجعلن أمة محمد أولادك . قال تعالى[٤] : « مِلَّةَ أَبِيكم إبراهيم » .

وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلم ينظر إلى شيء دون الله البتة : ليلة المعراج عرض عليه جميع الأشياء فلم يلتفت إلى شيء دونه ؛ وهذا قوله : "ما زَاغَ البَصَرُ وما طَغَى" ؛ فلما لم ينظر عليه السلام إلى شيء دونه قطع عنه نسب المخلوقين ؛ قال تعالى[٥] : « ما كان مُحَمَّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رِجالِكم » ؛ ولو كان النبي أبانا انقطع عنا لجُرْمِنا ،

---

(١) الأحزاب : ٦ (٢) الأحزاب : ٥ (٣) الصافات : ١٠٣
(٤) الحج : ٧٨ (٥) الأحزاب : ٤٠

كما أن يعقوب قُطع عن أولاده بالجرم ؛ بل كان نبيا ، فلا يقطع عنا بالجرم . ولما كان الأب لا تقبل شهادته لابنه وهو صلى الله عليه وسلم شهيدا[1] علينا ومزكيا لأعمالنا فتُقْبل تزكيته .

(معروفا[2]) ؛ أي إحسانا ، يعني أن نفع الأولياء الذين ليسوا بقرابة الوصية لهم عند الموت مندوب إليه ؛ وأما الميراثُ فللقرابة خاصة . واختلف هل المراد بالأولياء المؤمنون أو الكفار ؟ واللفظ أعمّ من ذلك .

(مسطورا[2]) : مكتوبا .

(ما تَلَبَّثُوا بها إلّا يسيرا[3]) : الضمير للمدينة .

(ما وعدَنَا اللهُ ورسولُه إلا غُرُورا[4]) : قيل إن هذا الوعد ما أعلمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين أمر بحفر الخندق من أنّ الكفار ينزلون عليهم ، وأنهم ينصرفون خائبين . وقيل : إنه قول الله تعالى[5] : « أم حَسِبْتُم أن تَدْخُلُوا الجنةَ ولمّا يَأْتِكم مَثَلُ الذين خَلَوْا مِنْ قَبْلِكم... » الآية . فعلموا أنهم يبتلون ثم ينصرفون .

(مَنْ قَضَى نَحْبَه[6]) : يعني من قُتل شهيدا كأنس بن النضر ، وحمزة ابن عبد المطلب . وقيل قضى نحبه : وَفّى للعهد الذي عاهد الله عليه . ويدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام : طلحة ممّنْ قَضَى نَحْبَه ولم يقتل يومئذ .

(مَنْ يَنْتَظِر[7]) : المفعول محذوف ؛ أي ينتظر أن يقضي نحبه ، وهو انتظار

---

(١) هذا بالأصلين ، ولعله يريد : وكان شهيداً ... مزكيا ...

(٢) الأحزاب : ٦ (٣) الأحزاب : ١٤ (٤) الأحزاب : ١٢

(٥) البقرة : ٢١٤ (٦) الأحزاب : ٢٣ (٧) الأحزاب : ٢٣

الشهادة على قول ابن عباس ؛ أو ينتظر الحصولَ على أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر .

(مَنْ يقنُتْ منكُنّ[1]) : الضمير عائد على أزواج نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أى من يأتِ منهن بعمل صالح يُضاعف لها ثوابه ، لفضلهن على الله ؛ كما أن من أتى منهن بعمل سيّء يُضاعف على البناء للمفعول ، وبالنون ونصب العذاب على البناء للفاعل. وقرىء أيضا من تقنت ـ بالتاء ـ حملا على المعنى، وبالياء حملا على لفظ مَنْ .

(ما كان لمُؤمنٍ ولا مُؤمنةٍ...[2]) الآية : معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيارٌ مع الله ورسوله ؛ بل يجب عليهم التسليم والانقيادُ لأمْرِ الله ورسوله . والضمير من قوله : «مِنْ أمرهم» — راجع إلى الجمع الذى يقتضيه قوله : لمؤمن ولا مؤمنة ؛ لأن معناه العموم فى جميع المؤمنين والمؤمنات . وهذه الآية موطّئة للقضية المذكورة بعدها .

وقيل : سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة فزوّجها لمولاه زيد بن حارثة ، فكرهت هى وأهلها ذلك ، فلما نزلت الآية قالوا رَضِينا [١٦٨ب] يا رسول الله .

وهذه الآية كقوله تعالى[3] : « فلا وربِّك لا يؤمنون ... » الآية . وكقوله[4] : « فليَحذَرِ الذين يُخالفون عَن أمْرِه أنْ تُصيبَهم فتنةٌ » . «[5] إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعُوا إلى اللهِ ورسولِه ليَحْكُمَ بينهم أنْ يقُولوا سمِعْنا وأطَعْنا » .

---

(١) الأحزاب : ٣١ (٢) الأحزاب : ٣٦ (٣) النساء : ٦٥
(٤) النور : ٦٣ (٥) النور : ٥١

(ما كان مُحمّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رِجَالِكم[1]) : هذا ردٌّ على مَنْ قال فى زيد ابن حارثة زيد ابن محمد ، فاعترض على النبى صلى الله عليه وسلم ، حين تزوّج امرأة زيد . وعموم الآية فى النفى لا يعارضه وجود الحسن والحسين ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ليس لهما أب فى الحقيقة ؛ وإنما كانا ابنى ابنته . وأما ذكور أولاده فماتوا صغاراً فليسوا من الرجال .

(ما ملكَتْ يمينُك مِمّا أفاء اللهُ عليكَ[2]) : فى هذه الآية إباحة السّرارى لمولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يملك منهن غير مارية وريحانة . وما أفاء الله عليه : الغنائم ، ومنهن صفية ، لكنه أعتقها ، وجَعَل عِتْقَها صداقها .

(ما اللهُ مُبْدِيه[3]) : روى أنه صلى الله عليه وسلم ذهب يوماً لزيارة زَيْد ، فخرجت زينب كالشمس الضاحية ، فقال : تبارك الله أحسن الخالقين ؛ فلما جاء زيد أخبرَتْه بقوله صلى الله عليه وسلم ، ففهم أنها أعجبته ؛ ومِنْ خصائصه صلى الله عليه وسلم إذا وقع بصره على امرأة وأعجبته وجب على زوجها طلاقُها رِضاً له صلى الله عليه وسلم ؛ فأتى إلى رسول الله عليه وسلم ، وقال له : قد طلقتُ زينب يا رسول الله . فقال له : أمْسِكْ عليك زوْجك واتّقِ الله ، فأبْدَى الله ذلك بأن قَضَى الله بتزويجها . قالت عائشة رضى الله عنها : لو كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُخفى شيئا من الوحى لكتم هذه الآية لشدّتها عليه .

فإن قلت : قد حرم الله عليه خائنةَ الأعين ، فكيف أخفى فى نفسه حبّه طلاقها من زيد ؟

فالجواب أن الذى أخفى إنما هو أمر مُباح لا إثم فيه ولا عَيْب؛ أشفق

---

(١) الأحزاب : ٤٠ (٢) الأحزاب : ٥٠ (٣) الأحزاب : ٣٧

على أمته من التسلط عليه بألسنتهم ، فيكون فيه هلاكهم ؛ وتأمل قوله في أم سلمة لما أتته في معتكفه ، وانطلق معها بغلس ولقيه الصحابة وهو معها ؛ فقال : إنها أمكم أم سلمة . فقالوا : أو تحدثنا أنفسنا بذلك . وأنت رسول الله ؟ فقال : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فأبدى الله زواجها منه ؛ وبهذا كانت تفخر على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقول : إن الله زوجني من فوق سبع سماوات .

وقيل : إن الله كان أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد ، فأخفاه ؛ فأعلمه الله في كتابه .

(ما فَرَضْنَا عليهم في أزْوَاجِهِم[1]) : يعني أحكام النكاح ، والصداق ، والولي ، والاقتصار على أربع ، وغير ذلك .

(مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عزَلْتَ فلا جُنَاحَ عَلَيْكَ[2]) : في معناه قولان :

أحدهما : من عزلته من نسائك فلا جناح عليك في رده بعد عزله .

والآخر : مَنْ ابتغيت ومَنْ عزلت سواء في إباحة ذلك لك . فمن للتبعيض على القول الأول ، وأما على الثاني فنحو قولك : مَنْ لقيته ممن يلقاك سواء .

(ما ملكَتْ يَمِينُك[3]) : المعنى أنّ الله أباح الإماء ؛ فالاستثناء في موضع رفع على البدل من النساء ، أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في حُسْنُهُنّ .

(ما كان لكم أن تُؤْذُوا رسولَ اللهِ ولا أنْ تَنْكِحُوا أزواجَه مِنْ بَعْدِه

---

(١) الأحزاب : ٥٠ . (٢) الأحزاب : ٥١ . (٣) الأحزاب : ٥٢

أبدا[١]): تكرير الآيات القرآنية فى إذايته صلى الله عليه وسلم إشارةٌ لعظيم ذلك ؛ وإذا نهى اللهُ عن الجلوس فى بيته للحديث والاستئناس فما بالك بمن تنقّصه أوْ عابَه أو آذاه ؛ وهذا لا يشكّ أحدٌ فى كفره .

وقد ألف الناس فى هذا المعنى تواليف ؛ ومن أوكد احترامه الاستماعُ لحديثه والصلاةُ عليه عند ذكره .

وأما تحريم أزواجه فسببُه أنّ بعضهم قال : لو مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لتزوجتُ عائشة ؛ فحرّم الله على الناس تزوجهن ، وهذا فى مدخولته ، وأما غير المدخول بها فجائز. وقد تزوج عكرمة بن أبى جهل إحداهن، فلم ينكر عليه الخلفاء رضى الله عنهم .

(ما اكتَسَبُوا[٢]) : يعنى اجترحوا . وفى الآية تنبيه على أنّ ذلك هو البهتان[٣]، وهو ذِكْرُ الإنسانِ بما ليس فيه ، وهو أشد من الغيبة مع أنها محرّمة ، وهى ذِكْرُه بما فيه مما يَكْرَه ؛ وإذا أردت أن تعرف عظيم [١٦٩ ا] مرتكبها فقِسْ ما بين قوله صلى الله عليه وسلم : الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل أن يطأ الرجلُ أمّه . وقوله صلى الله عليه وسلم : مِن أرْبَى الرِّبَا استطَالةُ المسلم فى عِرْض أخيه بغير حق — يظهر لك عَظِيمَ ما نحن فيه من الهلاك إن لم يَعفُ عنا مولانا ؛ فعليك بدعاء آدم عليه السلام: رَبّنا ظَلَمْنَا أنفسنا وإنْ لم تَغْفِرْ لنا وترحمنا لنكونَنّ من الخاسرين . فسمع نداءه فتاب عليه وهَدَى .

(مَلْعُونين[٤]) : نصب على الذم ، أو بدل من قليل[٥]، أو حال من ضمير الفاعل فى : « يجاورونك » ؛ تقديره : سيقفون ملعونين .

---

(١) الأحزاب : ٥٣ (٢) الأحزاب : ٥٨ (٣) فى الآية نصها : فقد احتملو بهتاناً وإثما مبينا . (٤) الأحزاب : ٦١

(٥) فى الآية التى قبلها : ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا .

(ما يَلِجُ فى الأرض[1]) : أى ما يدخل فيها من المطر والأموات وغير ذلك ، وما يخرج منها من النبات وغيره .

(وما يَنْزِلُ من السماء[1]) : من المطر والملائكة والرحمة والعذاب .

(وما يَعْرُجُ فيها[1]) : أى يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها .

(ما بَيْنَ أيديهم وما خَلْفَهم من السماء والأرض[2]) : قد قدمنا معناه . والمعنى هنا أو لم يروا إلى السماء والأرض فيعلموا أن الذى خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم . ويحتمل أن يكون المعنى تهديداً لهم لقوله[2] : « إن نَشَأْ نَخْسِفْ بهم الأرض أو نُسْقِطْ عليهم ... » الآية .

(مَسْكَنِهم[3]) : الإشارة[4] إلى قوم سبأ ، وقد قدمنا أن مساكنهم كانت بين الشام واليمن ، وكان الرجل منهم لا يتزود ويمشى فى ظل الشجر ، ولا يخاف من أحد ، فكفروا بأنعم الله ، وقالوا باعِدْ بَيْنَ أسفارنا ليتزودوا للأسفار ويمشوا فى المفاوز ؛ فجعل الله إجابتهم كما قال[5] : « مزّقناهم كل مُمَزّق » ؛ أى فرّقناهم فى البلاد حتى ضُرِب المثل بفرقتهم ؛ فقيل : تفرّقوا أيْدِى سَبَا . وفى الحديث : إن سبأ أبو عشرة من القبائل ، فلما جاء السيل على بلدهم تفرّقوا فتيامَنَ منهم ستة ، وتشاءم أربعة .

(ماذا قال ربُّكم[6]) : تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ هذه الآية فى الملائكة عليهم السلام ، وقد قدمنا معنى ذلك .

---

(١) سبأ : ٢ (٢) سبأ : ٩ (٣) سبأ : ١٥

(٤) يريد الضمير . وفى ا : مسكنهم . (٥) سبأ : ١٩

(٦) سبأ : ٢٣

(ما آتَيْنَاهم من كُتُب يَدْرُسُونَها[1]...) الآية ، معناها يحتمل وجهين : أحدها ليس عندهم كتاب يدل على صحة أقوالهم ، ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه ؛ فأقوالهم باطلة ؛ إذ لا حجة لهم عليها ، فالقصد على هذا الرد عليهم . والآخر أنه ليس عندهم كتاب ولا جاءهم نذير ؛ فهم محتاجون إلى مَنْ يعلمهم ويُنْذِرهم ؛ فلذلك بعث الله إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ فالقصد على هذا إثبات نبوءته .

(ما بلَغُوا مِعْشَارَ ما آتَيْنَاهُم[2]) : المعشار : العشر ، والضمير فى بلغوا لكفّار قريش ، وفى آتيناهم للكفار المتقدمين ؛ أى أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال . وقيل الضمير فى بلغوا للمتقدمين ، وفى آتيناهم لقريش ؛ أى ما بلغ المتقدمين عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة . والأول أصح ؛ وهو نظير قوله[3] : « كانوا أشدّ منهم قوة » .

(ما بِصاحِبِكم من جِنَّةٍ[4]) : الضمير لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم إذا تفكّروا فى أقواله وأفعاله دلّهم ذلك على رَجَاحة عقله ، ومتانة علمه ، وأنه ليس بمجنون ولا مُفْتَرٍ على الله .

(ما سألْتُكم مِنْ أجْرٍ فهو لَكُمْ[5]) : هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتنى شيئاً فخذه ، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً ، ولكنه يريد البَرَاءَةَ من عطائه ، فكذلك معنى هذا ؛ فهو كقوله[6] : « قل ما أسألكم عليه مِنْ أَجْر » .

وقيل معناه : ما سألتكم من الصلاة فهو لكم .

(ما يَشْتَهُونَ[7]) : الضمير للكفار ، يعنى أنهم يريدون الرُّجُوعَ

---

(١) سبأ : ٤٤ (٢) سبأ : ٤٥ (٣) فاطر : ٤٤
(٤) سبأ : ٤٦ (٥) سبأ : ٤٧ (٦) الفرقان : ٥٧
(٧) سبأ : ٥٤

إلى الدنيا ، أو دخول الجنة ، أو الانتفاع بالإيمان حينئـــذ ؛ فيُحَال بينهم وبين شهوتهم .

(ما يَفْتَحِ اللهُ للناسِ مِنْ رَحمة[1]) : الفتح فى هذه الآية : عبارة عن العطاء ، والإمساك عبارة عن المَنْع ، والإرسال والإطلاق بعد المنع ، والرحمة كل ما يمنّ الله به على عباده من خير الدنيا والآخرة . فمعنى الآية لا مانع لما أعطى الله ، ولا مُعْطى لما منَع .

فإن قيل : لم أنّث الضمير فى قوله : فلا ممسك لها ؛ وذكّره فى قوله : فلا مرسل له ، وكلاهما يعود على ما الشرطية .

فالجواب أنه لما فسّر الأول بقوله : من رحمة ـ أُنّث لتأنيث الرحمة ، وترك الآخر على الأصل من التذكير .

(مَنْ زُيِّنَ له سوءُ عَمَلِه[2]) : توقيف ، وجوابه محذوف ، تقديره أفمن زُيّنَ له سوءُ عمله كمن لم يُزَيّن له . ثم [١٦٩ ب] بنى على ذلك ما بعده ؛ فالذى زُين له سوءُ عمله هو الذى أضلّه الله ، والذى لم يزين له سوءُ عمله هو الذى هداه .

(مَكْرُ أولئكَ هو يَبُور[3]) : قد قدمْنا فى حرف الباء أنّ البَوارَ معناه الهلاك ، ومعناه هنا أنّ مكرهم يبطل ولا ينفعهم .

(ما يُعَمَّر مِنْ مُعَمَّر[4] ...) الآية . معناها أنّ التعمير ـ وهو طول العمر ، والنقص وهو قصره ـ مكتوب فى اللوح المحفوظ .

---

(١) فاطر : ٢ ، وبقية الآية : فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ...

(٢) فاطر : ٨ (٣) فاطر : ١٠ (٤) فاطر : ١١

فإن قيل : إن التعمير والنقص لا يجتمعان فى شخص واحد ؛ فكيف أعاد الضمير فى قوله[1] : « ولا يُنْقَص من عُمُره » على الشخص المعمر ؟

فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول – وهو الصحيح – أن المعنى لا يزاد فى عمر إنسان ، ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب ؛ فوضع من معمر فى موضع من أحد ؛ وليس المراد شخصا واحدا ، وإنما ذلك كقولك : لا يعاقب الله عبدا ولا يثيبه إلا بحق .

والثانى – أن المعنى لا يُزَادُ فى عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب[2] ؛ وذلك أن يكتبه فى اللوح المحفوظ إن تصدّق فلانٌ فعمره ستون سنة ، وإن لم يتصدق فعمره أربعون ؛ وهذا ظاهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صلة الرحم تزيد فى العمر" ، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين ، وليس مذهب الأشعرية . وقد قال كعب حين طعن عمر : لو دعا الله فزاد فى أجله ، فأنكر الناسُ ذلك عليه ، فاحتج بهذه الآية .

والثالث – أن التعمير هو كَتْبُ ما يستقبل من العمر ، والنقص هو كتب ما مضى منه فى اللوح المحفوظ ؛ وذلك فى حق كل شخص .

(ما يَسْتَوِى البَحْرَان[3]) : قد قدمنا معنى البحرين ، والقَصْدُ فى هذه الآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده . وقال الزمخشرى[4] : إن الله ضرب البحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر ؛ وهذا بعيد .

(ما يَسْتَوِى الأحياءُ ولا الأموات[5]) : الآية تمثيل لمن آمن ؛ فهو كالحىّ ؛

---

(١) فاطر : ١١ (٢) الكشاف : ٢ – ٢٤٠ (٣) فاطر : ١٢

(٤) الكشاف : ٢ – ٢٤١ (٥) فاطر : ٢٢

ومن لم يؤمن فهو كالميت . وقوله[1] : « وما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فى القبور » عبارة عن عدم سمع الكفّار للبراهين والمواعظ ؛ فشبّههم بالموتى فى عدم إحساسهم .

وقيل المعنى أنّ أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون ، فليس عليك أن تسمعهم ؛ وإنما بعثت إلى الأحياء .

وقد استدلت عائشة بالآية على أنّ الموتى لا يسمعون ؛ وأنكرت ما ورد من خطاب النبى صلى الله عليه وسلم لِقَتْلى بَدْر حين جُعلوا فى القَلِيب ، وقوله : "ما أنت بأسمع لما أقول لهم منهم" ؛ ولكن يمكن الجمعُ بين قولها وبين الحديث بأنّ الموتى فى القبور إذا رُدَّت إليهم أرواحهم سمعوا ، وإن لم ترد إلى أجسادهم لم يسمعوا ؛ فردّ الله إلى أهل القليب أرواحهم ليسمعوا خطابه صلى الله عليه وسلم تهويلا لهم وحسرةً فى قلوبهم .

(ما أُنْذِرَ آباؤُهم[2]) : ما نافية . والمعنى لم يُرسَل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم . وقيل المعنى لتنذر قوما مثل ما أُنذر آباؤهم ؛ فما على هذا موصولة بمعنى الذى أو مصدرية ؛ والأول أرجح ؛ لقوله[2] : « فهم غافلون » ؛ يعنى أنّ غفلتهم بسبب عدم إنذارهم ، ويكون بمعنى قوله[3] : « ما أتاهم مِنْ نذير » . ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين ؛ فإنّ هؤلاء القوم لم يُدْرِكوهم ولا آباؤهم الأقدمون .

(مَنِ اتّبعَ الذِّكْرَ وخَشِيَ الرَّحْمَنَ بالغَيْبِ[4]) ؛ أى غير مشاهدٍ له ؛ إنما يصدّق رسوله ويسمع كتابه .

---

(١) فاطر : ٢٢ (٢) يس : ٦ (٣) السجدة : ٣

(٤) يس : ١١

فإن قلتَ : كيف قُرِنَ بالخشية الاسم الدالّ على الرحمة فى يس و ق ، وفى فاطر[1] أضافه للربوبية ؟

وجوابك : معناه فى فاطر أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشَوْن ربَّهم وهم غائبون عن عذابه وغائبون عن الناس ، فخشيتهم حقّ لا رياء ، وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار . بالغيب فى موضع الحال من الفاعل فى « يخشون » ؛ وإنما ذكر الرحمة مع الخشية لقصد المبالغة فى الثناء على من يخشى الله ؛ لأنه يخشاه مع علمه بحلمه ورحمته . قال الزمخشرى : ويحتمل أن يكون الجواب عن ذلك أن الرحمن قد صار يستعمل استعمال الاسم ، كقولنا الله .

(مَنْ لا يَسْأَلُكُم أجراً[2]) : هذا من قول حبيب النجار لقومه ؛ يعنى أن هؤلاء المرسلين لا يسألونكم أُجرة [١٧٠ ا] على الإيمان فتخسرون[3] معهم ويثقل عليكم ؛ وإنما يطلبون لكم منفعتكم الأخروية ، والذى يطلبك لنفسك من غير طمع فى دنياك أَوْلى باتباعه لمحض نُصحه ، ثم دلّهم على اتباعه :

(ما لِىَ لا أَعْبُدُ الذى فَطَرَنِى[4]) : معناه أى شىء يمنعنى عن عبادة ربى ؟ وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قُصِد به البيان لقومه ولذلك قال لهم[4] : « وإليه تُرجعون » ، فخاطبهم بخطابِ من يشاهدون رجوعَ قومهم واحداً بعد واحد .

(ما أَنْزَلْنَا على قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ من السماء[5]) : المعنى أن الله

---

(١) فى فاطر : إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب (آية ١٨) (٢) يس : ٢١

(٣) هذا بالأصلين ، وفى الكشاف (٢ ص ٢٥٠) : أى لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم .

(٤) يس : ٢٢ (٥) يس : ٢٨

أهلكهم بصيْحَةٍ صاحها جبريل ، ولم يحتجْ فى تعذيبهم إلى إنزال جُنْدٍ من السماء ؛ لأنهم أهونُ من ذلك .

وقيل المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلا كما قالت قريش[1]: « لولا أُنزِلَ إليه مَلَكٌ فيكونَ معه نذيرا » . وقالوا أيضا[2]: « لَوْ مَا تَأْتينا بالملائكة إنْ كُنْتَ مِنَ الصادقين » . فردَّ اللهُ عليهم بقوله[3] : « ما نُنَزِّلُ الملائكةَ إلا بالحقّ » ؛ يعنى أنّ نزول الملائكةِ لغير النبى إنما هو للانتقام منه أو لقَبْض رُوحه . وقد جرت حكمة الله أن إيمان خَلْقه إنما يكون نظريا بالدليل والبرهان ؛ ولو نزلت الملائكة لاضطر خلقه إلى الإيمان به ، لأنهم رأوا الحقّ عيانا ، ورأوا المعجزات التى آمن بها الصحابة ولم يروها ؛ فطُوبى لمن رأى صحفا تُتْلى سوادا فى بياض ، وآمن بها وصدقها ، وكيف لا وقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم : أولئك إخوانى حقا .

(ما كُنّا مُنْزِلِين[4]) ؛ أى ما كنا لننزل جنْداً من السماء على أحد ؛ وبهذا يتبيَّنُ لك أن لفظ الجند أليق بالمعنى الأول ، وكذلك ذكر الصيحة بَعْد ذلك .

فإن قلت : قوله تعالى فى الأحزاب[5] : « فأرْسلنا عليهم رِيحًا وجُنُوداً لم تَرَوْها » ؛ وقد أنزل الله خمسة آلاف ملك يوم بَدْرٍ وحُنَين لنُصْرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

والجواب أن معناه ما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى إهلاك قوم حبيب جُنْداً من السماء ؛ وذلك أن الله عز وجل أجرى هلاك قوم بالريح ، وقوم

---

(١) الفرقان : ٧ . (٢) الحجر : ٧ . (٣) الحجر : ٨

(٤) يس : ٢٨ . (٥) الأحزاب : ٩

بالصيحة ، وقوم بالغرق ، بحسب حكمته السابقة . ولما كان[1] إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يستأهلها هؤلاء الكفرة أخذهم الله بأقلّ الأمور .
ولما جعل الله الملائكة خدّاما لهؤلاء الأمة المحمدية يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم ، ليحظوا بحظ الردّ لحرمة حبيبهم وصفيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وجعلهم يستغفرون لهم ، حتى إن جبريل طلب منه صلى الله عليه وسلم أن تجوز أمته على جناحه ليقيهم من حرّ نار جهنم ، وطلبت الملائكةُ يوم بَدْر وحُنين ربها في نصرتهم إكراما وتشريفاً لنبيهم ؛ ألا تراهم ليلة القدر يطلبون النزول إليهم للسلام عليهم ، والحضور معهم ، يرغبون في غفران ذُنُوبهم والتشفّع فيهم ؛ فمَنْ أولى منك يا محمدى بالتشريف إن كنتَ من أمة النبي الشريف ؛ اللهم بحرمته عندك ، ومكانته لديك ، لا تحرمنا من رؤيته وجِوَاره في مستقرّ رحمتك ، واغفر لنا ما جنيناه ، إنك أنت الغفور الرحيم .

(ما عمِلَتْهُ أيديهم[2]) : ما معطوفة على ثمره[3] ؛ أى ليأكلوا من ثمره ومّما عملت أيديهم بالحرْث والزراعة والغراسة . وقيل: ما نافية . وقرىء : وماعملت بغير هاء ، وما على هذا معطوفة .

(مَنَازِلَ[4]) : مساكن ومواطن ، ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كلّ ليلة واحدةً منها مِنْ أول الشهر ثم يستتر في آخره ليلة أو ليلتين . قال الزمخشري[5] : وهذه المنازل هي مواقع النجوم .

(ما ينظُرُون إلّا صَيْحةً واحِدةً تأخذُهم[6]) : يعني النفخة الأولى في الصور، وهي نفخة الصعق تأخذهم بغتة .

---

(١) في الأصلين : كانت .
(٢) يس : ٣٥
(٣) في الآية نفسها : ليأكلوا من ثمره ...
(٤) يس : ٣٩
(٥) الكشاف : ٢ _ ٢٥٢
(٦) يس : ٤٩

(مَنْ بَعثَنا مِنْ مَرْقَدِنا[1]) : المرقد يحتمل أن يكونَ اسم مصدر ، أو اسم مكان ، قال أُبيّ بن كعب ومجاهد : إن البشر ينامون نومةً قبل الحشر.

ابن عطية : وهذا غير صحيح الإسناد ، وإنما الوجه فى معنى قولهم : مِنْ مرقدنا أنها استعارة وتشبيه ، يعنى أنَّ قبورهم شُبِّهت بالمضاجع ، لكونهم فيها على هيئة الراقد ، وإن لم يكن رقاد فى الحقيقة .

(ما وَعدَ الرحمنُ وصدَقَ المُرْسَلُون[1]) : هذا[2] [١٧٠ ب] مبتدأ محذوف الخبر ، ويحتمل أن يكون هذا الكلام مِنْ بقية كلامهم ، أو يكون من كلام الله تعالى ، والمؤمنون يقولونها للكفار على وَجْهِ التقريع .

(مَكانَتِهِم[3]) : مكانهم . والمعنى لو نشـــاء لمسخناهم مَسْخاً يُقعدهم فى مكانهم ؛ فلا يقدرون على الذهاب ولا على الرجوع .

(مَنْ نُعَمِّرْه نُنَكِّسْهُ فى الخَلْقِ[4]) ؛ أى نحوّل خلقته من القوة إلى الضعف ، ومن الفهم إلى البله ، ومن الشباب إلى الهرم ، وشِبْه ذلك ؛ كما قال تعالى[5] : « ثم جعل مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ ضَعْفاً وشَيْبَة » .

واختلف فى حد التعمير الذى يصل الإنسان فيه إلى هذا . والصحيح أنّ ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، وقد قدمنا الحديث : مَنْ صدق فى صغره حفظه الله فى كبره . فالذى تراه صادقَ اللهجة يحفظه فى كبره من ذهاب عقله . ومقصود الآية الاستدلالُ على قدرة الله ـ فى مشاهدتهم ـ على تنكيس الإنسان إذا هرم

---

(١) يس : ٥٢ (٢) الإشارة إلى : ما وعد ... وفى الكشاف : (٢ ـ ٢٥٤) : هذا مبتدأ وما وعد خبره ، وما مصدرية أو موصولة . ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف ، أى هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر ، أى ما وعد الرحمن حق . (٣) يس : ٦٧ (٤) يس : ٦٨

(٥) الروم : ٥٤

فالذى يقدر على هذا يقدر على مسخكم لولا رحمته بكم ؛ ولذلك ختم الآية بالعقل الذى هو أسّ الأمور .

(ما علّمْنَاهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغِي لَهُ[1]) : هذه الضمائر راجعة لنبيّنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم قالوا له شاعر ؛ فرد الله عليهم بهذه الآية ؛ واعجبا منهم! وهم يرونه لا يزِنُ شعراً ولا يذكره ؛ وإذا ذكر بيتاً منه كسره ، ويقولون فيه شاعر ! تبّاً لهم !

فإن قلت : قد تكلّم بكلام على وزْن الشعر ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم[2] :
هل أنت إلا أصبع دميت . وفى سبيل الله ما لقيت .

وقال : أنا النبى لا كذب . أنا ابن عبد المطلب ؟

فالجواب أن هذا ليس بشعر ، ولم يقصده ، وإنما جاء بالاتّفاق لا بالقصد ، كالكلام المنثور . ومثل هذا يقال فيما جاء فى القرآن من الكلام الموزون الذى تحدّاهم اللهُ بسورة منه فلم يقدروا ، مع أنهم طُبعوا على الفصاحة والشعر ؛ فهو من أعظم المعجزات . كأنه قال لهم : إن قلتم فيه إنه شاعر فأتوا أنتم بشعر مثله، مع أنه ليس بشعر ، ولا ينبغى له الشعر لصدقه وأمانته ؛ والشعراء يَتَّبِعهم الغاوُون ألَمْ تَرَ أنَّهُم فى كلِّ وَادٍ يَهِيمون . ولهذا ذمّ الله الشعراء ؛ لإفراط التجوّز فيه، وإنْ ورد فى الحديث : إنَّ من الشعر لحكمة — فإنما يصدق على ما هو عرِىّ عن الأوصاف الذميمة ؛ ورحم الله الشافعى فى قوله : الشعر كلام ، والكلام منه حسن ومنه قبيح .

(مَنَافِعُ ومَشَارِبُ[3]) : قد قدمنا فى النحل معناه .

---

(١) يس : ٦٩ (٢) الكشاف : ٢ ـ ٢٥٦ (٣) يس : ٧٣

(مَثَلًا ونسِيَ خَلْقَه[1]) : يعني أن العاصي بن وائل أو أمية بن خلف ، أو أُبيّ بن خلف ، على اختلاف الروايات أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم رميم ، فقال له : يا محمد ، مَنْ يُحْيي هذا ؟ فقال له : الله يحييه ، ويميتك ثم يحييك ، ويدخلك جهنم ؛ فانظر كيف نَسِي خلقته الأولى ، واستعظم وجودَ الثانية ، هل هذا إلا من المعاندة في المحسوس ؟ فكيف يطلق اسم الخالق على من لم يخلق جميع الناس ؟ ولقد أنزل الله خمس آيات على نبيه لو لم يكن منها إلا واحدة لمنعَتْنا من التمتع بهذه الدنيا[2] : « أمْ حَسِبَ الذين اجْتَرَحُوا السيئاتِ » . «[3] أفمن يُلْقَى في النار خيْر » . «[4] أفَمَنْ كان مؤمنا كَمَنْ كان فاسِقاً » . «[5] سنفرُغ لـكم أيُّها الثقلان » . «[6] أفحسبْتُم أنما خلقْناكم عَبَثاً » .

فجميعُ المخلوقات على أصنافها لم يخلقها الله إلا لحكمة : الملائكة لخدمته ؛ وما منّا إلا لَهُ مَقام معلوم . والأرض للعبرة بها ؛ قل سيروا في الأرض . وفي الأرض آياتٌ للمُوقنين . والأنعام للمنفعة ؛ لتركبوا منها ومنها تأكلون . والعارف لعبادته ؛ وما خلقْتُ الجنَّ والإنْسَ إلا ليَعْبُدُون . والعالم للرحمة ؛ قال تعالى : ولا يزالون مختلفين إلا مَنْ رحم رَبُّك . فهنيئا لمن فتح الله بصيرته وتبًّا لمَنْ أعماها له .

(ما كانوا يَعْبُدون[7]) : يعني الأصنام والآدميين الذين كانوا يرضون بذلك . وقد قدمنا أن فائدةَ دخول الأصنام والمعبودات النار زيادةُ نكالهم .

---

(١) يس : ٧٨ (٢) الجاثية : ٢١ (٣) فصلت : ٤٠

(٤) السجدة : ١٨ (٥) الرحمن : ٣١ (٦) المؤمنون : ١١٥

(٧) الصافات : ٢٢

[١١٧١] (ما ظَنّكم بربّ العالَمين[1]) : أى أىّ شىء تظنون برب العالمين أن يعاقبكم وقد عبدتم غيره ؟ فالقَصْدُ بهذا التأويل التهديد . أو أى شىء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره . والقصد بهذا تعظيم الله وتوبيخ لهم ، كما تقول : ما ظنُّك بفلان ! إذا قصدت تعظيمه .

(متّعناهم إلى حِين[2]) : الضمير يعود على قوم يونس لمّا آمنوا وخرجوا بالأطفال والبهائم ، وفرّقوا بينها وبين أولادها ، وتضرعوا إلى الله ، وأخلصوا بالبكاء ، وتابوا إلى الله توبة ، وعهدوا أن من كذب أو سرق أو زنى أقاموا عليه الحد ، وأنهم مشاركون فى علومهم وأموالهم ؛ فرفع الله عنهم العذاب ومتعهم إلى حين .

واختلف ما المرادُ بالحِين ؟ وقد قدمناه فى حرف الحاء . وأما قوله تعالى[3] : « تُؤْتى أُكُلَها كلّ حِين » ، فقيل : سنة ، أوستة أشهر ، أوشهران ؛ ولما دخل عليهم ذو القرنين وجدهم تائبين ، لا باب لبيت ، ولا غنىّ فيهم ولا فقير ، ولا عالم ولا جاهل ؛ كلُّ واحد منهم جادّ على جاره بما عنده من علم ومال ، فطلب أن يُدْفَن معهم .

وقد ذكر الناس فى قصصهم طولا تركناه لعدم صحته .

وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم مرّ بهم ليلة الإسراء ، فآمنوا به وصدقوه ، وقد لقى غلاما فى مسيره إلى الطائف فأخبره أنه منهم ، فانظر يا محمدى مَنْ رجع إلى الله كيف يقبله ؟ وكيف لا يقبله ؟ وهو يقول[4] : « وهو الذى يَقْبَلُ التوبةَ عن عباده ويَعْفو عن السيئات » .

---

(١) الصافات : ٨٧ (٢) الصافات : ١٤٨ (٣) إبراهيم : ٢٥
(٤) الشورى : ٢٥

فإن قلت : قد قال فى آية أخرى[١] : « غافر الذَّنْبِ وقَابِلِ التَّوْبِ » فهل بين العفو والمغفرة فرق ؟

قلنا : العفو عنها يستلزم مغفرتها ، فسبحان مَنْ لم يَرْضَ بغفرانها حتى بدّلها لهم حسنات مكافأةً لتوبتهم .

فإن قلت : الاعتقاد أنّ طائفة من هذه الأمة لا بدّ لهم من دخول النار .

قلنا : إن لم يتوبوا ؛ وفيه إشارة إلى عدم الأَمْن من مَكْرِ الله ؛ ولذلك ورد الحديث : المؤمن بين مخافتين : بين أجَلٍ قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه . وأيضاً من لم يذق الشدة لم يجد حلاوة النعمة ؛ فقوم يستغيثون من النار ، وقوم تَسْتغيثُ النار منهم ، وقوم تقول لهم النار : أجِز يامؤمن فقدأطفأ نُورُكَ لهبى ، وقوم يَمْتَحِشون[٢] فيها ماشاءالله ثم يخرجون منها ويتحسر مَنْ فيها ، « [٣] ربما يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ؛ فالمؤمن الذى يدخلها تكون عليه بَرْداً وسلاما ، كما كانت على إبراهيم ؛ وذلك أنهم تعجبوا منه من عدم حرْقها له ، فأراد الله أن يُرِيهم يوم القيامة ليعلموا أنّ صانع النار والنور واحد ، فتحرق من يشاء خالقها ، وتهرب ممن يطيعه . قال تعالى[٤] : « ثم نُنَجِّى الذين اتَّقَوْا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيّاً » .

(ما لكم كيف تَحْكُمون[٥]) : ما استفهامية معناها التوبيخ ، وهى فى موضع رفع بالابتداء ، والمجرور بعدها خبرها ينبغى الوقْفُ على قوله : ما لكم ؟ ثم يقرأ : كيف تحكمون .

---

(١) غافر : ٣ (٢) امتحش الخبز : احترق (اللسان ـ محش) (٣) الحجر : ٢
(٤) مريم : ٧٢ (٥) الصافات : ١٥٤

(ما مِنّا إلّا لَهُ مَقَامٌ معلوم[١]) : هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام ؛ وتقديره : ما منّا ملك إلّا ولَهُ مقام معلوم ، فحذف الموصوف لحذف الكلام ؛ والمقام المعلوم يحتمل أن يراد به الموضع الذى يقومون فيه ؛ لأن منهم مَنْ هو فى سماء الدنيا وكذلك فى كل سماء ، أو المنزلة من العِبادة والتقريب والتَّشْرِيف ؛ ولذلك فخروا بصفوفهم وتسبيحهم ، ومنهم قيام لا يركعون ، ومنهم سجود لا يرفعون ، ومنهم قعود لا يقومون ؛ فجمع الله لهذه الأمة المحمدية فى الصلاة عبادة الملائكة من قيام وقعود ، وركوع وسجود ، وتَسْبِيحٌ وتَكْبِيرٌ ؛ وزادهم من التحيات الذى كان من الرسول ليلة الإسراء حين قال : التحيات لله . . . الخ ؛ فقال الله تعالى : "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" ، فطِبْ نفساً وقَرّ عيناً يا محمدى بما خوّلك مولاك ، واعلم أنكَ تقِفُ بين يديه ، فانظر وقوفك بِمَ يكون ؟ هلّا وهبت نفسك له وأسلمتها موافقة لقولك : وجَّهْتُ [١٧١ ب] وجهى هذا — بلسانك ، فأين وجهتك ؟

فإن قلت : لِمَ كان الدخول فيها بتكبيرة والخروج منها بتسليمتين ، والركوع واحدٌ والسجود اثنين ؟

والجواب لأن الواحد يقبل الواحد ؛ فإذا قلت الله أكبر فكأنك أقبلت عليه وعظّمته على كل شىء ؛ فرضى منك هذه الكلمة المشرفة ، وأقبل عليك ، وإن اشتغلت بغيره فلم تُفْرِدْه وقطعت نفسك عنه ؛ ألا ترى أنّ التسليمتين قطعت عنه وانفصلت عن مناجاته ؛ كرمضان تدخل فيه بشاهدٍ واحد وتخرج منه بشاهدين ؛ ولما كان السجودُ أقربَ إلى الله من جميع أفعال الصلاة أمرك بسجدتين ، أو لأنّ السجود للأصنام كان عندهم مرة واحدة فزادك أخرى

---

(١) الصافات : ١٦٤

لتفرّق بين السجود لله والسجود لغيره ؛ أو لأنّ الملائكة كانوا سجوداً وطلبوا من الله ليلةَ الإسراء بحبيبه أن يروه فأذِن لهم ورفعوا رءوسهم لرؤيته فسجدوا مرةً لله شكراً لرؤيته ، فأمر الله بذلك : الأولى امتثالا لأمر الله ، والثانية شكراً له بأن أهّلك لطاعته .

فإن قلت : لما كان السجود بهذه المَثَابة فهلّا أمر به المصلّى على الميت ؛ لأنه شفيع ، والشفيع لا يجد قربة إلى الله أفضل منه .

والجواب : لما كان فى السجود للمصلِّى على الميت إيهام بالسجود له أمره اللهُ بعدم السجود ، كأنه يقول : لا أريد أن تسجد لى حتى يرتفع الحجاب بينى وبينك .

(مَناص[1]) : مَفَرّ ونجاة ، من قولك : ناص يَنُوص إذا فرّ ، التقدير وليس الحين الذى دعوا فيه حين مناص . قال أبو القاسم : معناه فرار بالنبطية .

(ما سمِعْنَا بهذا فى المِلّةِ الآخِرةِ[2]) : هذا من كلام الملأ الذين خرجوا من عند أبى طالب وتفرّقوا فى طرق مكة ، ومرادهم بالملة الآخرة ما أدركوا عليه آباءهم ، أو الملة المنتظرة ؛ لأنهم كانوا يسمعون من الأحبـــار والكهان أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء ، فلما جاءهم جحدوا ، واستيقنتها أنفسهم ظلما .

(ما هُنَالِكَ مهزومٌ مِنَ الأحزاب[3]) : هذا وعيد بهزيمتهم فى القتال ، وقد هُزموا يوم بَدْر وغيره ؛ وما هنا صفة لجند[4] ، وفيها معنى التحقير لهم ؛ والإشارة بهنالك إلى حيث وَضَعوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء . وقيل : الإشارة إلى الارتقاء فى الأسباب ؛ وهذا بعيد . وقيل الإشارة إلى موضع بَدْر .

---

(١) ص : ٣ (٢) ص : ٧ (٣) ص : ١١

ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصَّبوا للباطل فهلكوا .

(ما يَنْظُرُ هؤلاءِ إلا صَيْحةً واحدةً[1]): المراد بهؤلاء قريش ومَنْ تبعهم. والصيحةُ الواحدة : النفخ فى الصُّور . وقيل : ما أصابهم من قَتْل وشدائد ؛ وهو أظهر ؛ لأن من مات فقد قامت قيامته ؛ وقد ورد فى الحديث .

(مَسَّنِيَ الشيطانُ بنُصْبٍ وعَذَابٍ[3]) : بضم النون وإسكان الصاد ، وبفتحها وإسكان الصاد ، وبضم النون والصاد ، وبفتحهما ؛ بمعنى المشقة . وهذا من كلام أيوب لمّا سلّط الله عليه الشيطان ليَفْتِنَه ، وأهلك ماله وولده ، ووسوس قلبه ، استغاث ودعا الله بتفريج كَرْبه خوفاً من فِتْنَته .

فإن قلت : أين هذا من قوله تعالى[2]: « إنّا وَجَدْنَاهُ صابِراً نعم العَبْدُ » ؛ وأيّ قدرة للشيطان حتى يُنسب ما أصابه من البلاء إليه ؟

فالجواب أنه صبر على ما أصابه فى المال والولد والنفس ، فلما وصل إلى الوسوسة استغاث ؛ ويكفيك من صبره أن الله قرنه بنون العظمة وهاء الضمير، فلا يعتقد فى رسول الله غير ذلك ، ونسبة الفعل للشيطان على جهة نسبة الشر إليه؛ كقول موسى[4] : « وما أنسانيهُ إلّا الشيطانُ » . «[5] هذا من عَمَلِ الشيطان » . وقوله صلى الله عليه وسلم لما نام ليلة الوَادِى : إن بهذا الوادى شيطانا فهو تنسب إليه الشرور . ولذلك يتبرأ يوم القيامة ممن أطاعه ، ويقول[6]: «ما كان لى عليكم مِنْ سُلْطَانٍ إلا أنْ دَعَوْتُكم فاسْتَجَبْتُم لى» . فالنسبة إليه نسبة مجازية ، كما أن نسبة الخير إلى الله حقيقة . وقد صحّ أنّ التائبين يحرون يوم القيامة تحت لواء آدم [١٧٢ ا] ، والشاكرين تحت لواء نوح ،

---

(١) ص : ١٥ (٢) ص : ٤١ (٣) ص : ٤٤

(٤) الكهف : ٦٣ (٥) القصص : ١٥ (٦) إبراهيم : ٢٢

والموفين بالعهود تحت لواء إبراهيم ، والمحزونين تحت لواء يعقوب ، والمحبوسين تحت لواء يوسف ، والصابرين تحت لواء أيوب ، والمخلصين تحت لواء موسى ، والزاهدين تحت لواء عيسى ، والصادقين تحت لواء يحيى ، والمحبين تحت لواء الحبيب على جميعهم الصلاة والسلام ، والمؤذنين تحت لواء بلال ، والصالحين تحت لواء عمر ، والصدّيقين تحت لواء أبى بكر ، والمتقين تحت لواء عثمان ، والراكعين تحت لواء على رضى الله عنهم أجمعين .

(ما لَهُ مِنْ نَفَادٍ[1]) : الضمير يعود على نعيم الجنة ؛ لتقدم ذكره ، أو لرزق الدنيا .

(مَنْ قَدَّم لنا هذا فزِدْهُ عذاباً ضِعفاً فى النار[2]) : هذا كلام الأتباع ؛ دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب ؛ فهو كقولهم[3] : « ربَّنا هؤلاء أضلُّونا فآتِهِم عذاباً ضِعفاً من النار » .

(ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهم من الأشرار[4]) : قيل إن القائلين لهذه المقالة أبو جهل ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأمثالهم . والرجال المذكورون هم عمّار ، وبلال ، وصُهيب ، وأمثالهم . واللفظ أعمُّ من ذلك .

والمعنى أنهم قالوا فى النار : ما لنا لا نرى رجالا كنّا نعدهم فى الدنيا من الأشرار .

(ما كان لى مِنْ عِلْمٍ بالملأ الأعلى إذ يَخْتَصِمُون[5]) : القصد بهذه الآية الاحتجاج على نبوءة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أخبر بأمور

---

(١) ص : ٥٤ (٢) ص : ٦١ (٣) الأعراف : ٣٨
(٤) ص : ٦٢ (٥) ص : ٦٩

لم يكن يعلمها . والملأ الأعلى هم الملائكة ، وعليهم يعود الضمير فى يختصمون ؛ واختصامهم هو فى قصة آدم حين قال الله لهم : إنى جاعل فى الأرض خليفة . حسبما تضمنته قصته فى مواضع من القرآن .

وقيل: إن الملائكة تقول: هؤلاء بنو آدم الذين اخترتهم وفضّلتهم وجعلتهم خلفاء ، وأمرتنا بالسجود لأبيهم قد عصوك ، وتركوا خِدْمتك وأمْرَك . فيقول الله لهم : دعوهم فإنما استزلّهم الشيطان وأغواهم هو وأولاده ، ولو ابتليتكم بما ابتليتهم به لوقعتم فيما وقعوا فيه . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربّه فقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : لا أدرى . قال : فى الكفّارات ؛ وهى إسباغ الوضوء على المكاره . وفى رواية فى المسرات ، والمشى بالأقدام إلى الجماعات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة .

وقيل الضمير فى يختصمون للكفار ، أى يختصمون فى الملأ الأعلى ؛ فيقول بعضهم : هم بنات الله ، ويقول آخرون : هم آلهة تُعبد ؛ وهذا بعيد .

(ما أنا من المُتَكَلِّفين[1]) : أى الذين يتصنعون ويتحيّلون بما ليسوا من أهله .

(ما نَعْبُدُهُم إلا ليُقَرِّبُونا إلى الله زُلْفَى[2]) : أى يقول الكفار : ما نعبد هؤلاء الآلهة إلا ليقرّبونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده . ويعنى بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة ، أو الذين عبدوا الأصنام ، أو الذين عبدوا عيسى أو عُزَيرا ؛ فإن جميعهم قالوا هذه المقالة .

(مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّار[3]) : هذا إشارة إلى كذبهم فى قولهم[3] : « ليقرّبونا إلى الله » .

---

(١) ص : ٨٦ (٢) الزمر : ٣ (٣) الزمر : ٣

(ما شِئْتُم مِنْ دُونِه[1]) : هذا تهديد ومبالغة فى الخذلان والتخلية لهم على ما هم عليه .

(مَثَانِى[2]) : جمع مثنى ؛ أى تثنّى فى القصص . ويحتمل أن يكون مشتقا من الثناء ؛ لأنه يثنى فيه على الله .

فإن قيل : مثانى جمع ، فكيف يوصفُ به المفرد ؟

فالجواب أنّ القرآن ينقسم إلى سور وآيات كثيرة ؛ فهو جمع بهذا الاعتبار. ويجوز أن يكون كقولهم[3] : بُرْمَة أعشار ، وثوب أخلاق . أو يكون تمييزاً من متشابه[4] ، كقولك : حسن شمائل .

(ما كنْتُمْ تَكْسِبُون[5]) ؛ أى يقال للكفار والعُصاة : ذوقوا ما كسبتم من الكفر والمعصية .

(مَيِّتُون[6]) : فى هذا وعيد للكفار ؛ لأنهم إذا ماتوا ظهر لهم مَنْ كان على الحق ومَنْ كان على الباطل . وفيه إخبار أيضا أنه صلى الله عليه وسلم يموتُ لئلا يختلف الناسُ فى موته ، كما اختلفت الأممُ فى غيره .

(فَمَنْ أظلم مِمّن كَذَب على الله[7]) : أى لا أحد أظلم مِمَّنْ كذب على الله بأنه اتخذ صاحبةً وولداً . وفى آية أخرى[8] : « ومَنْ أظْلَمُ مِمَّن منَعَ مساجدَ الله » . وفى أخرى[9] : « ومن أظلم مِمّن افترى [١٧٢ ب] على الله

---

(١) الزمر : ١٥ (٢) الزمر : ٢٣ (٣) برمة أعشار : مكسرة على عشر قطع . أو عظيمة لا يحملها إلا عشرة (القاموس) . (٤) فى الآية نفسها : الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها . (٥) الزمر : ٢٤
(٦) الزمر : ٣٠ (٧) الزمر : ٣٢ (٨) البقرة : ١١٤
(٩) الأنعام : ٢١

كذباً ». وفى أخرى: «[1] ومَنْ أظْلَمُ مِمن ذُكِّرَ بآيات ربه » . وهذه الأظلمية تختلف باختلاف الأنواع ، وتطلق كلُّ آية على ما يليق بها من الكذب وغيره ، حسبما بيناه فى غير هذا الموضع .

(ما أُنزِلَ إليكم مِنْ رَبِّكم[2]) : من الأوامر واجتناب نواهيه .

(مَقَالِيدُ[3]) : بالفارسية مفاتيح . وقيل خزائن . واحدها إقْليد . وقيل مِقْليد[4] . وقيل لا واحد لها من لفظها . ومعناها مالك السموات ومدبِّر أمرها وحافظها ، وهى من باب الكناية ؛ لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدَها ، كما أن الخزائن أيضا تجىء فى جهة الله عز وجل إنما تجىء استعارة بمعنى اتساع قُدْرته ، وأنه المبتدع المخترع . ويشبه أن يقال فيما قد أوجد من المخلوقات ، وهذا يُتجوَّز به على جهة التقريب والتفهيم للسامعين . وقد ورد القرآن بذكر الخزائن، ووقعت فى الحديث الصحيح : ماذا فتح الليلة من الخزائن. والحقيقةُ فى هذا غير بعيدة ؛ لكنه ليس باختزان حاجة ولا قلة قدرة ، كما هو اختزان الشىء .

قال عثمان بن عفان: فسألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن مَقاليد السموات والأرض ، فقال : هى لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير .

---

(١) الكهف : ٥٧ (٢) الزمر : ٥٥ (٣) الزمر : ٦٣

(٤) فى القرطبى (١٥ — ٢٧٤) : واحدها مقليد ، وقيل مقلاد ، وأكثر ما يستعمل فيه إقليد . وقال الشريف الرضى : قال أبو عبيدة : واحدها مقليد ، وواحد الأقاليد إقليد ، وهما بمعنى واحد . وقال غيره : واحدها ـ قلد ـ على غير قياس (تلخيص البيان : ٢٨٥) .

فإن صح هذا الحديث فمعناه أنَّ مَنْ قال هذه الكلمات صادقا مخلصا نال الخيراتِ والبركات من السماء والأرض ، لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك ، فكأنها مفاتيح له ، ولله سبحانه سبع خزائن : خزانة المطر فى السماء ، وخزانة النبات فى الأرض ، وخزانة اللؤلؤ والمرجان فى البحر ، وخزانة الموزونة فى الجبال ، وخزانة الأفكار للكفار ، وخزانة الرضوان للأبرار ، وخزانة المعرفة فى القلوب .

وفى الحديث : إن بعضَ الأنبياء قال : يا رب ؛ لكلِّ ملك خزانة ، فما خزانتك ؟ قال : لى خزانة أوسع من الكرسى ، وأعظم من العرش ، وأطيب من الجنة ، وأزين من الملكوت ، أرضها المعرفة ، وسماؤها الإيمان ، وشمسها الشوق ، وقمرها المحبة ، ونجومها الخواطر ، وترابها الهمّة ، وجدارها اليقين ، وسحابُها العقل ، ومطرها الرحمة ، وأشجارها الطاعة ، وثمرها الحكمة ؛ ولها أربعة أركان : التوكل ، والتفكر ، والأنس ، والذكر . ولها أربعة أبواب : العلم ، والحلم ، والرضا ، والصبر ، ألا وهى القلب .

(مَنْ شاءَ اللهُ[1]) : يعنى أن جميع من فى السموات والأرض يموت عند نَفْخَةِ الصعق ، إلّا جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، ثم يميتهم الله بعد ذلك .

(مَا مَكَرُوا[2]) : الضمير يعود على قوم فرعون ؛ يعنى أن الله وقى مؤمنهم مِنْ مكرهم ، كما هو عادته سبحانه فى وقاية مَنْ فَوَّض أمره إليه .

(ما للظّالمين مِنْ حَمِيم[3]) : المراد بهم الكفّار ، يعنى أنهم ليس لهم من يشفع فيهم .

(١) الزمر : ٦٨ (٢) غافر : ٤٥ (٣) غافر : ١٨

(وما دُعَاءُ الكافرين إلَّا فى ضَلَالٍ[1]) : يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى استئنافا .

(مَعْذِرَتُهم[2]) : يحتمل أنهم لا يعتذرون . ويحتمل أنهم يعتذرون ، ولكن لا تنفعهم المعذرة .

(ما هُمْ بِبَالِغِيه[3]) : أى لا يبلغون ما يقتضيه كبرهم من الظهور عليك ، أو من نيل النبوءة .

(مَثْوَى المتَكبِّرين[4]) : أى جهنم .

فإن قيل : قياسُ النظم أن يقول : فبئس مدخل الكافرين[5] ؛ لأنه تقدم قبله : ادخلوا .

والجواب إن الدخول المؤقت بالخلود فى معنى الثَّوَاء .

(مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ[6]) : هم الذين ذكر الله فى كتابه من الرسل ؛ وقد قدمنا أنهم خمس وعشرون ، وجملة الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر ؛ هذا فى حديث أبى ذَرّ . وفى حديث غيره : إن الله بعث ثمانية آلاف رسول . وفى حديث آخر أربعة آلاف .

(مَنْ أحْسَنُ قولا مِمَّنْ دَعَا إلى الله[7]) : يدخل فى هذا كلُّ من دعا إلى عبادة الله وطاعته على العموم . وقيل : المراد محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل المراد المؤذِّنون . وهذا بعيد ؛ لأنها مكية، وإنما شُرِع الأذان بالمدينة ، ولكن

---

(١) غافر : ٥٠ (٢) غافر : ٥٢ (٣) غافر : ٥٦

(٤) غافر : ٧٦ (٥) حقها : مدخل المتكبرين . وهنالك آية أخرى فى الزمر (٣٢) ، والعنكبوت (٦٨) : مثوى للكافرين . (٦) غافر : ٧٨

(٧) فصلت : ٣٣

المؤذنون يدخلون فى العموم . والدعوة من الله على أربعة أوجه : دعوة الضيافة : «[1] واللهُ يَدْعُو إلى دار السلام » [١٧٣ ا] ؛ ودعوة المغفرة : «[2] يَدْعُوكُم لِيَغْفِرَ مِنْ ذُنُوبكم » . ودعوة الحمد والإجابة : «[3] يوم يدعوكم فتَسْتَجِيبون بحمده » . ودعوة المحاسبة : «[4] يوم نَدْعُو كلَّ أُناس بإمامهم » .

وفيه خمسة أقوال :

بصحائف أعمالهم ؛ قال تعالى[5]: «وكُلَّ إنسانٍ ألزمناه طائِرَه فى عُنُقِه» .

أو بأعمالهم المتقدمة ؛ قال تعالى[6]: « علِمَتْ نَفْسٌ ما قدَّمت وأخَّرَتْ » .

أو بإمامهم فى المذهب ؛ قال تعالى[7] : « وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار» . أو رسولهم ، أو بدعائهم إلى الخير والشر، أو بمعبودهم ، أو بإمامهم فى الأعمال الصالحات .

وأما الدعوةُ إلى الخلق فالدعوةُ إلى دين الرب . قال تعالى[8] : « ادْعُ إلى سبيلِ رَبِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة » . أو الدعوة إلى بيت الله تعالى[9] : « وأَذِّنْ فى الناس بالحجِّ يأتُوك رجالًا » . أو الدعوة إلى عبادة الله . فالدعوةُ عامة ، والهداية خاصة ؛ قال تعالى[10]: « ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم» .

(ما يُقَالُ لكَ إلّا ما قَدْ قِيلَ للرُّسلِ مِنْ قَبْلك[11]) : فى معناها قولان :

أحدها : ما يقول لك الله من الوحى والشرائع إلا مثل ما قال للرسل من قبلك .

---

(١) يونس : ٢٥ (٢) إبراهيم : ١٠ (٣) الإسراء : ٥٢
(٤) الإسراء : ٧١ (٥) الإسراء : ١٣ (٦) الانفطار : ٥
(٧) القصص : ٤١ (٨) النحل : ١٢٥ (٩) الحج : ٢٧
(١٠) يونس : ٢٥ (١١) فصلت : ٤٣

أو ما يقول لك الكفار من التكذيب والإيذاء إلا مثل قول الأمم المكذّبين لرسلهم ؛ فالمراد على هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بالتأسّي ؛ وعلى القول الأول أنه صلى الله عليه وسلم أتى بما جاءت به الرسلُ فلا تُنكر رسالته .

(ما مِنَّا مِنْ شَهِيد[1]) : هذا قول المشركين حين يناديهم يوم القيامة : أين شركائى ؟ فيقولون : أعلمناك[2] ما مِنّا مَنْ يشهد لك اليوم بأن لك شريكا ؛ لأنهم كفروا ذلك اليوم بشركائهم .

(ما كانوا يدعون من قَبْلُ[3]) : أى لم يروا حينئذ شركاءهم ؛ فما على هذا موصولة . أوْضلَّ عنهم قولهم الذى كانوا يقولون من الشرك ؛ فما على هذا مصدرية .

(ما لَهُمْ مِنْ مَحِيص[4]) : أى علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب . وقيل يوقف على « ظَنُّوا[5] » ويكون « ما لهم » استئنافا ؛ وذلك ضعيف .

(ما تفرَّقُوا إلا مِنْ بعد ما جاءهُم العِلْمُ بَغْياً بينهم[6]) : يعنى أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم .

(مَنْ كان يُرِيد حَرْثَ الآخرة نَزِدْ له فى حَرْثِه[7]) : عبارة عن العمل لها ، وكذلك حرث الدنيا ؛ وهو مستعار من حَرْث الأرض ؛ لأن الحارث يعمل وينتظر المنفعة بما عَمِل .

---

(١) فصلت : ٤٧ (٢) الآية : آذناك ، وهذا تفسير . (٣) فصلت : ٤٨

(٤) فصلت : ٤٨ (٥) فى الآية نفسها : وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص . (٦) الشورى : ١٤ (٧) الشورى : ٢٠

(ما قَنَطُوا[1]) ؛ أي يئسوا .

(مَنْ عَفَا وأصلح فأَجْرُه على الله[2]) : في هذه الآية إشارةٌ إلى فعل الحسن ابن على حين بايع معاوية ، وأسقط حقَّ نفسه ؛ ليصلح أحوال المسلمين ، ويحقن دماءهم ؛ ولهذا قال فيه صلى الله عليه وسلم : إن ابني هذا سيد ، ولعل الله يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

وفيها دليل على أن العفو عن المظلمة أفضل من الانتصار ؛ لأنه ضمن الأجر في العفو ، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله[3]: « ولَمَنِ انتصر ... » الآية .

فإن قيل : كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله[4] : « والذين إذا أصابهم البَغْيُ هم يَنْتَصِرون » ، والمباحُ لا مَدْحَ فيه ولا ذم ؟

فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها أنّ المباحَ قد يُمْدَح ؛ لأنه قيام بحق لا بباطل .

والثاني أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرّزًا ممن بدأ بالظلم ؛ فكان المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم .

والثالث أنه إن كانت الإشارة بذلك إلى على بن أبي طالب فانتصاره صلى الله عليه وسلم محمود ؛ لأن قتال أهل البغي واجب ؛ لقوله تعالى[5] : « فقاتلوا التي تَبْغي » . وقد سمّى صلى الله عليه وسلم المقاتلين لعليّ بالفئة الباغية ؛ وقال لعمار تقتلك الفئة الباغية .

(ما كُنْتَ تَدْرِي ما الكتابُ ولا الإيمان[6]) : القصد بهذه الآية شيئان :

---

(١) الشورى : ٢٨ — (٢) الشورى : ٤٠ — (٣) الشورى : ٤١

(٤) الشورى : ٣٩ — (٥) الحجرات : ٩ — (٦) الشورى : ٥٢

أحدهما — تعداد النعمة عليه صلى الله عليه وسلم ، بأن علّمه الله ما لم يكن يعلم .

والآخر احتجاج على نبوته ، لكونه أتى بما لم يكن يَعلمه ولا تعلّمه من أحد .

فإن قلت : أما عدمُ درايته للكتب فلا إشكال . وأما الإيمان فلا إشكال أن الأنبياءَ مؤمنون بالله قبل مبعثهم ، لكنه وقع الخلاف فى نبينا ؛ هل كان متديّنا بشريعة مَنْ قَبْله أو بشريعته ؟

والجواب الإيمان يحتوى [١٧٣ ب] على معارف كثيرة ؛ وإنما كمل له معرفتُها بعد بعثه . وقد كان مؤمنا بالله قبل ذلك ؛ فالإيمانُ هنا يعنى به كمال المعرفة ؛ وهى التى حصلت له بالنبوة ؛ ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : كلّ يوم لا أزْدَاد فيه علما لا بورِكَ فى صَبِيحة ذلك اليوم ؛ فكان صلى الله عليه وسلم يزداد كل يوم من المعارف ما لا يُحصَى ذِكْرُه . وأما فى الجنة . فلا تسأل عما تنكشف له من المعارف اللّدُنّية والأسرار الربانية ، ويفيض منها على هذه الأمة المحمدية ، لكل واحد منهم نصيبٌ بقدر ما اتّبعه واقتدى به ؛ فهم يزدادون معارفَ وجمالا وبهجة وسرورا ، ما لا يحيط بها إلا واهبها ، جعل الله لنا منها أوْفَرَ نصيب بجاه النبي الحبيب .

(مَضى مَثَلُ الأوّلِين[1]) ؛ أى تقدم لك يا محمد كيف أهلكنا القرون السالفة ، والأمم الماضية ، لما كفروا وتمرّدوا ؛ وهكذا من عاندك ؛ ففيه تسليةٌ له صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الزخرف : ٨

(ما كُنّا له مُقْرِنين[1]) : أي مطيقين وغالبين .

(ما أرْسَلْنا من قَبْلِك[2]) : معنى الآية : كما اتّبَع هؤلاء الكفارُ آباءهم بغير حجة كذلك اتبع كلٌّ من قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة ؛ بل بمجرد التقليد المذموم .

(مَعارِجَ عليها يَظْهَرُون[3]) ؛ أي أدراجاً وسلالم . والمعنى لولا أن يكفر الناسُ كلُّهم لجعلنا للكفار كلّ ما يتمتعون به ذهباً وفضة لهوان الدنيا علينا . ومعنى يظهرون : يرتفعون . ومنه[4] : « فما اسْطاعُوا أنْ يَظْهَرُوه » .

(مَنْ يَعْشُ عن ذِكْرِ الرحمن نُقَيِّضْ له شيطانا[5]) : من قولك : عَشِيَ[6] الرجل إذا أظلم بصره . والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة . وقال الزمخشري[7] : يعش ـ بفتح الشين ، إذا حصلت الآفة في عينه ، ويعشو ـ بالضم[8] ، إذا نظر نظر الأعشى ، وليس به آفة ؛ فالفرق بينهما كالفرق بين قولك : عمي وتعامى ، فمعنى القراءة بالضم يتجاهل ويَجْحَدُ مع معرفته بالحق . والأظْهَر أن ذلك عبارةٌ عن الغفلة وإهمال النظر . والمراد بذكر الرحمن هنا القرآن عند الزمخشري ، وعند ابن عطية ما ذكّر الله عباده من المواعظ ؛ فالمصدر مضاف إلى الفاعل . ويحتمل عندي أن يريد ذكر العبد لله .

ومعنى الآية أنّ مَنْ غفل عن ذكر الله يسّرَ اللهُ له شيطاناً يكون له قريناً ؛ فذلك عقوبةٌ عن الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان ، كما أن من داوَم على الذكر تباعد عنه الشيطان . مصداقُه الحديث : إن الشيطان جاثمٌ على قلب ابن آدم ،

---

(١) الزخرف : ١٣ (٢) الزخرف : ٢٣ (٣) الزخرف : ٣٣
(٤) الكهف : ٩٧ (٥) الزخرف : ٣٦ (٦) كرضي ، ودعا (القاموس) .
(٧) الكشاف : ٢ ـ ٣٥٢ (٨) أي بضم الشين .

واضع خرطومه عليه ؛ فإن ذكر العبدُ الله خَنَس ، وإن غفل عنه وَسْوَس .

(ما نُرِيهم مِنْ آيةٍ إلّا هي أكْبَرُ مِنْ أُخْتِها[1]) : الآيات هنا المعجزات ، كقلب العصا حيّة ، وإخراج اليد بيضاء . وقيل البراهين والحجج العقلية ؛ والأول أظهر .

ومعنى أكبر من أختها : أنها في غاية الكبر والظهور ، ولم يرد تفضيلها على غيرها من آياته ؛ إنما المعنى أنك إذا نظرت وجدتَ كبيرة ، وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة ؛ فهو كقول الشاعر[2] :

* مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لقيت سيِّدهم *

هكذا قال الزمخشري[3] .

ويحتمل عندي أن يريد : ما نريهم من آية إلا هي أكبر مما تقدمها ؛ فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها .

(مَهِين[4]) : المراد بذلك موسى ، ووصفه فرعون بالضعيف الحقير .

(ملائكةً في الأرْضِ يَخْلُفُون[5]) : في معناه قولان :

أحدها — لو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكةً يسكنون الأرضَ ويخلفون فيها بني آدم ، فقوله : « منكم » متعلق ببدل المحذوف : أو بـ « يخلفون » .

والآخر — لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة ؛ أي لولدنا منكم أولادا ملائكة

---

(١) الزخرف : ٤٨

(٢) عجزه كما في الكشاف (٢ — ٣٠٣) : مثل النجوم التي يسري بها الساري .

(٣) الكشاف : ٢ ـ ٣٠٣ ، وعبارته : الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه .

(٤) الزخرف : ٥٢

(٥) الزخرف : ٦٠

يخلفون أولادكم ، فإنا قادرون على أن نخلف من أولاد الناس ملائكة ؛ أفلا تذكرون خَلْقَنا عيسى من غير والدٍ وأنتم مُقِرُّون به .

(ماكِثُون[1]) : دائمون .

(مَنْ شَهِد بالحقِّ وهم يَعْلَمُون[2]) : اختلف هل يعني بمن شهد بالحق الشافع أو المشفوع فيه ؟ فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع . والمعنى لا يملك [١٧٤ ا] المعبودون شفاعةً ، لكن من شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يشفع فيه . ويحتمل على هذا أن يكون « من شهد » مفعولا بالشفاعة على إسقاط حرف الجر ؛ تقديره : الشفاعة فيمن شَهِدَ بالحق ؛ وإن أراد بمن شهد بالحق الشافع فيحتمل أن يكونَ الاستثناء منقطعاً ، وأن يكون متصلا ؛ لأنها فيمَنْ عبد عيسى والملائكة . والمعنى على هذا لا يملك المعبودون شفاعة إلا مَنْ شهد منهم بالحق .

(مَقَامٍ كَرِيم[3]) : فيه قولان : المنابر ، والمساكن الحسان .

(ما كانوا مُنْظَرِين[4]) ؛ أي مؤخرين .

(مَوْلًى عن مَوْلًى[5]) : المولى هنا يعم الوليّ والقريب وغير ذلك من الموالي الذين تقدم ذِكْرُهم .

(ما يُهْلِكُنَا إلا الدَّهْر[6]) : هؤلاء هم الدهرية ، ومقصودُهم إنكار الآخرة .

(مَنْ أَضَلُّ ...[7]) الآية . معناها لا أحد أضلّ مِمّن يَدْعُو إلهاً

---

(١) الزخرف : ٧٧ (٢) الزخرف : ٨٦ (٣) الدخان : ٢٦
(٤) الدخان ٢٩ : (٥) الدخان : ٤١ (٦) الجاثية : ٢٤
(٧) الأحقاف : ٥

لا يستجيب له وهي الأصنام ؛ فإنها لا تسمع ولا تعقل ؛ ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم ؛ لأنها لا تسمعه .

(ما كنتُ بِدْعاً من الرُّسُل[1]) : البدع ، والبديع من الأشياء : ما لم يُرَ مثله ؛ أي ما كنتُ أوّلَ رسول ، ولا جئتُ بأمر لم يجىء به أحد قبلى ؛ بل جئت بما جاء به قبلى ناسٌ كثيرون ؛ فلأىّ شىء تنكرون ذلك ؟

(ما أدْرِى ما يُفْعَلُ بِي ولا بِكُم[1]) : فيها أربعة أقوال :

الأول ـ أنها فى أمر الآخرة ، وكان ذلك قبل أن يعلم أنّ المؤمنين فى الجنة والكفار فى النار ؛ وهذا بعيد ؛ لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله .

والثانى ـ فى أمر الدنيا ؛ أى لا أدرى بما يقضى الله علىّ وعليكم ؛ فإن مقادير الله مغيّبة ؛ وهذا هو الأظهر .

الثالث ـ ما أدى ما يفعل بى ولا بكم من الأوامر والنواهى ، وما تُلْزِمه الشريعة .

الرابع ـ أن هذا كان فى الهجرة ؛ إذ كان النبى صلى الله عليه وسلم قد رأى فى النوم أنه يهاجِرُ إلى أرض نخل ؛ فقلق المسلمون لتأخّر ذلك ؛ فنزلت هذه الآية .

(ما حَوْلَكُمْ مِنَ القُرَى[2]) : يعنى بلادَ عادٍ وثمود وغيرها . والمراد إهلاك أهلها .

(مَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ الله[3]...) الآية : يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى. والمعنى : ليس بمعجز فى الأرض ، لا يفوت .

---

(١) الأحقاف : ٩ (٢) الأحقاف : ٢٧ (٣) الأحقاف : ٣٢

(مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا[1]) : أى وليهم وناصرهم ، وكذلك[1] : « وأنَّ الـكافرين لا مَوْلَى لهم » . ولا يصح أن يكون المولى هنـــا بمعنى السيد ؛ لأن الله تعالى مولى المؤمنين والـكافرين بهذا المعنى ، ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله[2] : « وردُّوا إلى الله مولاهم الحقِّ » ؛ لأن معنى المولى يختلف فى الموضعين ؛ فمعنى مولاهم الحقّ ربهم ؛ وهذا على العموم فى جميع الخلق ، بخلاف قوله[3] : « مَوْلَى الذين آمَنُوا » ؛ فإنه خاصٌّ بالمؤمنين ؛ لأنه بمعنى الولى الناصر .

(مَنْ يَبْخَلْ فإنما يَبْخَلُ عن نَفْسه[4]) ؛ أى إنما ضرر بُخْله على نفسه ؛ فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذى يستحقه بالإنفاق .

(فَمَنْ نكَثَ فإنما يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِه[5]) ؛ أى نقض البيعة .

(مَعَرَّةٌ بغير عِلْمٍ[6]) ، أى تصيبكم مِنْ قَتْلهم كَرَاهةٌ ومشقّة . واختلف هل يعنى الإثم فى قتلهم ، أو الدية ، أو الـكفارة ، أو المَلاَمة ، أو عَيْب الـكفار لهم بأن يقولوا : قتلوا أهل دينهم ، أو تألُّم نُفُوسهم من قَتْل المؤمنين ، وهذا أظهر ؛ لأنَّ قَتْلَ المؤمن الذى لا يُعلم إيمانه ـ وهو بين أهل الحرب ـ لا إثم فيه ولا دية ولا ملامة ولا عيب .

(مَعْكُوفاً أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّه[7]) : كان صلى الله عليه وسلم قد ساق عام الحُديبية مائة بَدَنَةٍ مُقَلَّدة . وقيل سبعين ؛ فمنعه المُشرِكون من الوصُول إلى مكة « ومَحِلّه » موضع نَحْرِه ، يعنى مكة والبيت . ومعكوفاً حال من الهَدْى .

---

(١) محمد : ١١ (٢) يونس : ٣٠ (٣) محمد : ١١
(٤) محمد : ٣٨ (٥) الفتح : ١٠ (٦) الفتح : ٢٥
(٧) الفتح : ٢٥

وأن يبلغ مفعول بالعكف[1] . والمعنى صدُّوكم عن المسجد الحرام ، وصدُّوا الهَدْى عن أن يبلغ محله ، أو حبس المسلمين للهَدْى بيما ينظرون فى أمرهم .

(مَثَلُهم فى التَّوراة[2]) : أى وصفهم فيها ، وتمَّ الكلام هنا ، ثم ابتدأ قوله[3] : « وَمَثَلُهُم فى الإنجيل كَزَرْع » . وقيل : إن مَثَلهم فى الإنجيل عطف على مثلهم فى التوراة ، ثم ابتدأ قوله : كزرع ، وتقديره هم كزرع . والأولُ أظهر ؛ ليكون وصفهم فى التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان ، وتمثيلهم فى الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك . وعلى هذا يكون [١٧٤ ب] المثل فى الإنجيل بمعنى التشبيه والتمثيل ، وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف ، كمثلهم فى التوراة .

(مَغْفِرةً وأجْراً عظيماً[3]) : وعد يعمُّ جميعَ الصحابة رضوان الله عليهم ، وفى هذا تشريف لهم ؛ وكيف لا وقدْ ذكر الله مؤمنَ آلِ فرعون بكلمة قالها ينصر بها موسى إلى آخر الدهر ، فما بالك بمن شدَّ الله بهم الدِّين وأعلاه حتى عمَّ جميع الأرضين ، وأغاظ اللهُ بهم الكافرين ؛ اللهم بحُرْمَتِهم لديك اغْفِرْ لنا ولجميع المذنبين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين .

(ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهم[4]) : هذا ردٌّ على الكفَّار فى إنكارهم البعث . ومعناه قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومهم وعظامهم ، فلا يَصْعُب علينا بعثُهم . وفى الحديث : كلُّ جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجبَ الذنب ، منه خلق ، وفيه يركب ؛ إشارة لكم أيها العبيد فى بقائه وتركيب الجسد منه .

---

(١) هذا بالأصلين .   (٢) الفتح : ٢٩   (٣) الفتح : ٢٩

(٤) ق : ٤

وقيل : المعنى قد علمنا ما يحصل فى بطن الأرض من موتاهم ؛ والأول قول ابن عباس والجمهور ، وهو أظهر .

(مَرِيج[1]) ؛ أى مختلط ؛ فتارة يقولون ساحر ، ومرة كاهن ، فاختلط أمرهم واضطرب .

(ماء مباركا[2]) : يعنى المطر كله . وقيل الماء المبارك مطر مخصوص . وقيل مطر النيسان ، وليس كلُّ مطر يتّصف بالبركة ؛ وهذا ضعيف .

(ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيد[3]) ؛ أى تهرب . والخطاب للإنسان .

(مَنّاعٍ لِلخير[4]) ؛ أى للزكاة المفروضة . والصحيح العموم .

(مَزِيد[5]) : يعنى النظر إلى الله ، كقوله : "للذين أحسنوا الْحُسْنَى وزيادة" . وقيل يعنى ما لم يخطر على قلوبهم ، كما ورد فى الحديث : إن الله قال : "أعْدَدْتُ لعبادِيَ الصالِحين ما لا عَيْنٌ رأَتْ ، ولا أُذن سمعَتْ ، ولا خطر على قَلْب بشر" .

(مَنْ يَخافُ وَعِيدِ[6]) : هذا كقوله تعالى : « إنما تنذر الذين يَخْشَوْن ربّهم بالغيب » ؛ لأنه لا ينفع التذكير إلا فيمن يخاف .

(ما يَهْجَعُون[7]) ؛ أى ينامون ، بل كانوا يقطعون أكثر الليل بالصلاة والتضرع والدعاء .

(المحروم[8]) : اختلف الناس فى معناه حتى قال الشعبى : أعيانى أن أعلم

---

(١) ق : ٥ (٢) ق : ٩ (٣) ق : ١٩

(٤) ق : ٢٥ (٥) ق : ٣٠ (٦) ق : ٤٥

(٧) الذاريات : ١٧ (٨) الذاريات : ١٩

ما المحروم . والمعنى الجامع للأقوال كلها أن المحروم الذى حرمه الله المال بأىّ وجهٍ كان ، والمحروم والمحارف بمعنى واحد ؛ لأن المحارف الذى انحرف عنه الرزق .

(ما خَطْبُكم[1]) ، أى ما شأنكم وخبركم ؟ والخطب أكثر ما يقال فى الشدائد .

(مَنْ كان فيها من المُؤْمنين[2]) : الضمير المجرور لقرية قوم لوط ، لأن الكلام يدل عليها ، وإن لم يتقدم ذكرها . والمراد بالمؤمنين لوط وأهله ، أمرهم الله بالخروج من القرية لينجوا من العذاب الذى أصاب أهلها .

فإن قلت : قد وصفهم أولا بالمؤمنين ، ثم قال بعد[3] : « فما وجَدْنا فيها غَيْرَ بَيْتٍ من المسلمين » ؛ فهل جمعوا الوصفين ؟ وهل هما بمعنى واحد ؟

فالجواب أنهم جمعوهما ، ومعنى الإسلام الانقياد . والإيمان هو التصديق ؛ ثم إنهما يُطلقان بثلاثة أوجه باجتماعهما كهذه الآية ، وباختلاف المعنى، كقوله : قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا . فالإيمان والإسلام فى هذا الموضع متباينان فى المعنى .

وبالعموم كقوله تعالى : إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ؛ فيكون الإسلام أعم ؛ لأنه بالقلب والجوارح ، والإيمان أخصّ لأنه بالقلب خاصة .

(الماهِدُون[4]) : موطىء[5] للموضع .

---

(١) الذاريات : ٣١ (٢) الذاريات : ٣٥ (٣) الذاريات : ٣٦

(٤) الذاريات : ٤٨ (٥) هذا تفسير المفرد . وهو كذلك بالأصلين .

(ما أنتَ بِمَلُوم[1]) ؛ أى قد بلّغتَ الرسالة فلا لوم عليك .

(ما خلقتُ الجنّ والإنسَ إلاّ ليَعْبُدون[2]) ؛ أى خلقتهم لكى آمرهم بعبادتى . وقيل ليتذلّلوا لى ؛ فإنّ جميع الإنس والجن متذلّل لربوبيتى .

فإن قلت : ما فائدة ذكر الصنفين ؟ ولم لم يذكر الملائكة وهم أكثر عبادةً منهما ؟ وما فائدة تقديم الجن على الإنس ؟

فالجواب أنه لم يذكر الملائكة لأنه لا تقع منهم معصية لعصمتهم ، وأيضا لم يكلّفُوا بالعبادة غير السجود لآدم . وإنما قدم الجن لثقله ؛ ومن عادة العرب تقديم الأثقل فى كلامهم إذا جامعه الأخفّ ؛ لنشاط المتكلم ؛ وأيضا فإن المطيعين من الإنس أكثر ، فأخّرهم ليختم بهم ، وليرهب الجنّ من ذلك . وقيل غير هذا من الأجوبة حذفناه لطوله .

(ما أُريدُ منهم مِنْ رِزْقٍ وما أُريد أنْ يُطْعِمُونِ[3]) ؛ أى ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم ، ولا أريد أن يطعمونى [١٧٥ ا] ؛ لأنى منَزّه عن الأكل وعن صفات البشر ، وأنا غنىّ عن العالمين . وقيل المعنى : ما أريد أن يطعموا عبيدى ؛ فحذف المضاف تجوّزاً . وقيل معناه : ما أريد أن ينفعونى ؛ لأنى غنىٌّ عنهم ، وعبّر عن النفع العام بالإطعام . والأول أظهر .

(مَسْجُوراً[4]) ؛ أى مملوءاً ، وهو بحر الدنيا . وقيل : بحر فى السماء تحت العرش . والأول أظهر .

وقيل : المسجور الفارغ من الماء . ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم

---

(١) الذاريات : ٥٤ (٢) الذاريات : ٥٦ (٣) الذاريات : ٥٧

(٤) الطور : ٦

القيامة . واللغة تقتضي الوجهين ؛ لأن اللفظ من الأضداد . وقيل في معناه : الموقد ناراً ، من قولك : سُجِّرت القبور . واللغة أيضاً تقتضي هذا . وروى أن جهنم في البحر .

(ما ألَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِم مِنْ شيء[1]) ؛ أي ما نقصناهم شيئا من ثواب أعمالهم ؛ بل وفيناهم أجورهم . وقيل المعنى : ألحقنا ذرياتهم بهم ، وما نقصناهم شيئا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك ؛ بل فعلنا ذلك تفضُّلا زيادة إلى ثواب أعمالهم . والضمير على القولين يعودُ على الذين آمنوا . وقيل إنه يعود على الذرية. وفي الحديث : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دُونه في العمل لتقرّ بهم عينُه ، وكذلك كرامة الأبناء بسبب الآباء ؛ فقيل : إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغارا . وقيل على الإطلاق في أولاد المؤمنين .

فإن قلت : لم قال[2] : بإيمان بالتنكير ؟

فالجواب أن المعنى بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلا لدرجة آبائهم ، ولكنهم لحقوا بهم كرامةً للآباء ؛ فالمراد تقليل إيمان الذرية ، ولكنه رفع درجتهم ، فكيف إذا كان إيمانا عظيما .

(ما ضَلّ صاحِبُكم وما غَوَى[3]) : هذا جواب القسم[4] . والخطاب لقريش عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الضلال والغي[5] ، والفرق بينهما أنّ الضـــلال بغير قصد والغي بقصد وتكسّب .

---

(١) الطور : ٢١ (٢) في الآية نفسها : والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ... (٣) النجم : ٢ (٤) القسم في قوله تعـــالى : والنجم إذا هوى في الآية التي قبلها . (٥) في ب : الغوى .

(ما يَنطِقُ عن الهوَى[1]) ؛ أي ليس يتكلم بهواه وشهوته ، وإنما يتكلم بما يُوحى إليه . وفى هذا دليل على أن السنن بوَحْى من الله ؛ ويشهد لهذا الرجل الذى سأله وقد تناثر رأسه من القمل .

(ما أوْحَى[2]) : إبهام يقتضى التفخيم والتعظيم . وفى معناه أقوال :

الأول – أن المعنى أوحى إلى عبده محمد ما أوحى .

الثانى – أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى ؛ وعاد الضمير على الله فى القولين ؛ لأن سياقَ الكلام يقتضى ذلك وإن لم يتقـــدم ذكره ؛ فهو كقوله : إنا أنزلناه فى ليلة القَدْر .

الثالث – أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى .

والأول أظهر بدليل سؤال عائشة له صلى الله عليه وسلم : ما أوحى إليك ربك ؟ فأبى أن يخبرها ، فألحّتْ عليه وأقسمت له بالله ، فقال : "يا عائشة ، أوحى إلىّ أنه لا يحاسب أمتى غيره لما سألته أن يجعل حسابَهم إلىّ . وقال : لا أريد أن يطّلع على مساويهم أنتَ ولا غيرك". وفى رواية : "أنت شفيع لهم وأنا رحيمهم ، فكيف تضيع أمةٌ بين شفيع ورحيم"؟

(ما كذَبَ الفؤادُ ما رَأى[3]) ؛ أى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى بعينه ، بل صدق بقلبه أن الذى رأى بعينه حق ، والذى رآه هو جبريل ، يعنى حين رآه قد ملأ الأفق . وقيل : الذى رأى ملكوت السموات . والأول أرجح : «[4] ولقد رآه نزلةً أخرى » . وقيل الذى رأى

---

(١) النجم : ٣ (٢) النجم : ١٠ (٣) النجم : ١١

(٤) النجم : ١٣

هو الله تعالى ، وقد قدمنا إنكار عائشة رضى الله عنها لذلك . وسئل صلى الله عليه وسلم : هل رأيتَ ربَّك ؟ فقال : نورانى نَراه !

(ما يَغْشَى[1]) : فيه إبهام لقصد التعظيم . وفى الحديث قال : فغشيها ألوان لا أدرى ما هى ، وهذا أولى ما تُفَسَّر به الآية .

(ما زَاغَ الْبَصَرُ وما طَغَى[2]) ؛ أى بَصَرُ محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أى ما تجاوز ما رأى إلى غيره ، بل أثبتها وتيقَّنها .

(مَنَاةَ الثالثةَ الأخرى[3]) : صخرة كانت لهذيل وخُزاعة بين مكة والمدينة ، وكانت أعظم الأوثان عندهم ؛ لأنه تعالى أكدها بهاتين الصفتين ؛ قاله ابن عطية . وقال الزمخشرى[4] : الأخرى ذمّ وتحقير ؛ أى المتأخرة الوضيعة القدر[5] . ومنه : وقالت أخراهم لأولاهم .

(ما تَمَنَّى[6]) : يعنى ليس للإنسان ما تمنّى من الأمور ؛ لأنها بيد الله يعطى ما يشاء ويمنع ما شاء ؛ وفيه إشارةٌ إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة [١٧٥ ب] الأصنام فيهم . وقيل : هو تمنّى بعضهم أن يكون نبيئا . وقيل غير هذا . والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه .

(مَبْلَغُهُم مِنَ العِلْمِ[7]) ؛ أى انتهاء علمهم ؛ لأنهم علموا منفعتهم فى الدنيا ولم يعلموا ما ينفع فى الآخرة .

(ما فيه مُزْدَجَر[8]) : اسم مصدر بمعنى ازدجار ، بمعنى أنه مظنة

---

(١) النجم : ١٦ (٢) النجم : ١٧ (٣) النجم : ٢٠

(٤) الكشاف : ٢ ـ ٤١٧ (٥) فى الكشاف : الحقار .

(٦) النجم : ٢٤ (٧) النجم : ٣٠ (٨) القمر : ٤

أن يزجر به ، يعني قد جاء قريشا من القصص والبراهين والمواعظ ـ لو عقلوها ـ ما يصدقونك به يا محمد .

(ما تُغْنِ النُّذُر[1]) : يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية بمعنى الاستبعاد والإنكار .

(مَغْلُوبٌ فانْتَصِرْ[2]) ؛ أي قد غلبني الكفار فانتصر لي أو انتصر لنفسك.

وقالت المتصوفة : معناه قد غلبتني نفسك حين دعوتُ على قومي فانتصر مني. وهذا ضعيف ؛ لأن قوم نوح مكروا به وأرادوا إهلاكه ، ومكر الله بخروجهم من وجه الأرض ، فأخرج الله منها ماء حارّا ، وأنزل من السماء ماء باردا ، وأظهر من بينهما طوفاناً مُبيداً ، فأهلك عدوّه ، وأنجى حبيبه ؛ كذلك يقول الله تعالى : "يا إسرافيل ، انفخ في الصور ، ويأهل القُبُور والنشور ، ويا سماء انفطري . ويا كواكب انتشري . ويا شمس انكدري" ؛ « [3] لننجّي الذين اتقوا ونَذَر الظالمين فيها جِثِيّاً » .

(ما أمْرُنا إلّا واحدةٌ[4]) : عبارة عن سُرعة نفوذ أمر الله ، ويراد بالواحدة الكلمة التي هي : كُنْ .

(مَقْعَدِ صِدْقٍ[5]) : مكان رضا .

(مَرْجان[6]) : صغار اللؤلؤ عند بعضهم . قال ابن عطية : المرجان حجر أحمر . وذكر الجواليقي[7] عن بعض أئمة اللغة أنه أعجمي .

فإن قلت : لا يخرج المرجان إلا من البحر الملح ؛ فما معنى قوله تعالى[6] :

---

(١) القمر : ٥ (٢) القمر : ١٠ (٣) مريم : ٧٢

(٤) القمر : ٥٠ (٥) القمر : ٥٥ (٦) الرحمن : ٢٢

(٧) لم نقف عليه في المعرب .

« يخرج منهما » ، وكذلك قوله : وتستخرجون حلية تلبسونها ، وهى لا تخرج إلا من البحر الملح ؟

والجواب من ثلاثة أوجه :

الأول — إن ذلك تجوّز فى العبارة ، كما قال : يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ؛ والرسل إنما هى من الإنس .

والثانى — أن المرجان إنما يوجد فى البحر الملح ، حيث تنصبّ أنهار الماء العذب ، وينزل المطر ؛ فلما كانت الأنهار والمطر وهى البحر العذب تنصبّ فى البحر الملح كان الإخراج منهما جميعاً .

الثالث : زعم قوم أنه قد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب ، وهذا قول يبطله الحسّ .

(مَنْ عليها فَانٍ[1]) : الضمير للأرض ؛ يدلُّ على ذلك سياقُ الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر ، ويعنى بمن عليها بنى آدم وغيرهم من الحيوان ، ولكنه غلب العقلاء .

(مَقْصُورَاتٌ فى الخِيَام[2]) ، أى محجوبات ، لأن النساء يُمْدَحن بملازمة البيوت ويذممن بكثرة الخروج منها ، ولا تقام الخيام من الخشب والحشيش ، وإنما هو لؤلؤ مجوّف فلا الديار الديار ، ولا الخيـــام الخيام . وفى الحديث : إن جبريل ينغمس كلّ يوم فى عين الحياة ، وينتفض ، فكلما سقطت قطرة من ريشه سقطت منه حوراء عليها خيمة لؤلؤ لا يراها ملك ولا غيره ، غيرةً منه سبحانه على وليّه المُطيع له أنْ يَرَاها غيره ، فكيف لنا بالوصول إلى هذا النعيم

---

(١) الرحمن : ٢٦ (٢) الرحمن : ٧٢

المقيم ، وأكبر من هذا التلذذ برؤية المولى العظيم — إلا باطّراح أنفسنا بين يديه ، وقولنا له : أنتَ أنتَ ، ونحن نحن ، ولا بد لنا من الوصول إليك ، فعامِلْنا بما يعامل به المولى الكريم لعبده اللئيم ، فلا فضيحة إلا ونحن أهلها ، ولا ستر إلا وهو أهله ، فاسترنا بما نحن أهله بما أنت أهله يا رحيم .

(ما أصحابُ المَيْمَنَة[1]) : هذا ابتداء خبر ، وفيه معنى التعظيم ، كقولك : زيد ما زيد .

والمَيْمَنَة يحتمل أن تكون مشتقة من اليمن ، وهو ضدّ الشؤم ، وتكون المَشْأمة مشتقة من الشؤم . أو تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال واليَدُ الشُّؤْمَى هي الشمال ، وذلك لأن العربَ تجعل الخير من اليمين والشرّ من الشمال . أو لأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين ، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال . أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال . أو يقال أصحاب الميمنة أصحاب اليمن على أنفسهم ؛ أى كانوا ميامين على أنفسهم ؛ وأصحاب الشمال مشائيم على أنفسهم .

(مَوْضُونة[2]) : منسوجة [١٧٦ ا] . وقيل المشتبكة بالدرّ والياقوت . وقيل معناه متواصلة قد أُدْنِى بعضها إلى بعض .

(ما أصحابُ اليَمين[3]) : هذا مبتدأ وخبر ، وقُصِد به التعظيم ، فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده . ويحتمل أن يكون الخبر فى صدر الآية ، ويكون ما أصحاب اليمين اعتراضا . والأول أحسن . وكذلك إعراب ما أصحاب الشمال .

(مَنْضود[4]) ؛ أى نضّد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق .

---

(١) الواقعة : ٨ (٢) الواقعة : ١٥ (٣) الواقعة : ٢٧

(٤) الواقعة : ٢٩

(مخضود[1]) : يعني لا شوك فيه ؛ وذلك أن سدر الدنيا له شوك ، فوُصِف سِدْرُ الجنة بضدّ ذلك . وقيل المخضود هو الموقر الذي انثنت أغصانه من كثرة حمله ، فهو على هذا من خضد الغُصْنَ إذا ثناه .

(ماءٍ مَسْكُوبٍ[2]) ؛ أي مصبوب ، وذلك عبارة عن كثرته . وقيل المعنى أنه جارٍ في غير أخاديد ولا ساقية ولا دلو ولا تعب .

(مَحْرومُون[3]) : ممنوعون من الرزق ؛ يعني يقولون ذلك لو جعل الله زَرْعَهم حُطاما .

(مَتَاعًا للمُقْوِين[4]) : أي الذين دخلوا في الْقِوَاء ، وهي القِيَافي ؛ ولذلك عبّر عنه ابن عباس بالمسافرين . ويحتمل أن يكون من قولهم : أقوى المنزل إذا خلا ، فمعناه الذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام ؛ ولذلك عبر عنه بعضهم بالجائعين .

(مَوَاقِع النجوم[5]) : فيه قولان :

أحدها قول ابن عباس أنها نجوم القرآن ؛ لأنه نزل على نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم منجّما ، كما قدمناه في عشرين سنة أو أكثر ؛ فكل قطعة منه نَجْم .

والآخر ، وهو قول كثيرٍ من المفسرين أنها النجوم الكواكب ، ومَوَاقعها مغاربها ومساقطها . وقيل مواضعها من السماء . وقيل انكدارها يوم القيامة .

(مَدِينين[6]) : أذلّاء من قولك : دِنْتُ له بالطاعة . ومعنى الكلام :

---

(١) الواقعة : ٢٨ (٢) الواقعة : ٣١ (٣) الواقعة : ٦٧
(٤) الواقعة : ٧٣ (٥) الواقعة : ٧٥ (٦) الواقعة : ٨٦

فلو لا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فارجعوها إن كنتم صادقين ؛ أى مربوبين ومقهورين .

(ما لكم لا تُؤْمِنُون باللهِ والرَّسول[1]) : استفهام يُراد به الإنكار . ولا تؤمنون فى موضع الحال من معنى الفعل الذى يقتضيه ما لكم ؛ والواو فى قوله: والرسول يدعوكم - واو الحال ؛ ومعناه أىُّ شىء يمنعكم من الإيمان ، والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة ؟

(ما لكم ألَّا تُنفِقُوا فى سبيل الله[2]) : فيه تحريض على الإنفاق وتزهيد فى الدنيا . ومعناه أىُّ شىء يمنعكم من الإنفاق فى سبيل الله ، والله يرثُ ما فى السموات وما فى الأرض إذا أفنى أهلها .

(ما أصاب مِنْ مُصِيبةٍ فى الأرض ولا فى أنفُسكم[3] ...) الآية . معناها أنّ الأمور كلها مقدَّرة مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن تكون . قال صلى الله عليه وسلم : إنَّ الله كتب مقادير الأشياءِ قبل أن يخلق السموات بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء . والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يُصيب من خير أو شر . وقيل أراد به المصيبة فى العُرْف ؛ وهو ما يصيب من الشر ، وخص ذلك بالذكر ، لأنه أهم على الناس . فانظر هذا اللطف العظيم من هذا الرب الكريم فى دعاء عباده بهذه الآية إلى إراحة أنفسهم شفقةً عليهم وهى قطب دائرة العبادة عليه ، ومدارها ، وهو ثبات الباعث عليها ؛ ألا ترى ما وعدهم به من الأجر على الصبر على المصائب مع ما فى الرضا بها من الراحة والسلامة ، وما فى الجزع من الهمّ والغم والعقوبة ، وكيف يسخطُ الجاهل بعواقب الأمور ، وإنما أجهلك

---

(١) الحديد : ٨ (٢) الحديد : ١٠ (٣) الحديد : ٢٢

بها لتسأله أنْ يختارَ لك ما لا تختاره لنفسك ، إذ هو عالم بما يصلحك ، والكلام على هذه الآية طويل تكفّل بجمعه علماء أجلة كالغزالى وابن عطاء الله والقشيرى وغيرهم ، جزاهم الله عنا ما هو أهله .

فإن قلت : قد فصل فى هذه الآية مصائب الأرض ، كالزلازل والقحوط . وفى أنفسكم بالمرض والموت والفقر ؛ وأجمل فى التغابن[1] ؛ فما الحكمة ؟

فالجواب إنما فصل فيها موافقة لما قبلها ؛ لأنه فصّل فى سورة الحديد أحوال الدنيا والآخرة بقوله[2] : « اعلموا أنما الحياةُ الدنيا لعب ولهو ... » الآية ؛ فناسب ذلك التفصيلُ التفصيلَ فى الآية . وأما سورة التغابن[1] فناسب الإجمال الوارد فيها من ذلك المشترك ؛ وتحصّل نظم السورتين على أتمّ [١٧٦ ب] مناسبة .

فإن قلت : ما لنا نفرح بالخير ونجزع من الشر ، وقد قال تعالى : " لكيلا تأسَوْا على ما فاتكُمْ ولا تفرَحوا بما آتاكم ". وقد قال أبو بكر رضى الله عنه لما أوتى بمالٍ كثير : اللهم لا نستطيع أنْ نفرح إلّا بما زيّنْت لنا . وقد حَكى أيوب من الجراد الذى سقط عليه ، فقال الله له : ألم يكن فيما أبليتك ـ أى أعطيتك ـ غِنًى عن هذا ؟ فقال : بلى يارب ، ولكن لا غنى لى عن بركاتك .

فالجواب أن النهى إنما هو عن الفرح الذى يعود إلى الكبر والطغيان ، وعن الحزن الذى يخرج عن الصبر والتسليم . وقد ذكر القراف فرقا بين الرضا بالقضاء وبين الرضا بالمقضىّ . وضرب له مثلا بالطبيب إذا وصف للعليل دواءً مرًّا ، أو قطع يده المتآكلة . فإن قال بئس ترتيب الطبيب ومعالجته ، وكان غير هذ

---

(١) آية التغابن (١١) : ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله .   (٢) الحديد : ٢٠

يقوم مقامه بما هو أيسر فهو تسخط بقضاء الطبيب ، وإذاية له ، وجناية عليه ، بحيث لو سمعه الطبيب كره ذلك ، وشقّ عليه . وإن قال : هذا الدواء مرٌّ قاسيتُ منه شدائد ، وقطع اليد لى منها آلام عظيمة مبرِّحة فهذا سخطٌ بالمقضى الذى هو الدواء والقَطْع لا بالقضاء الذى هو ترتيب الطبيب ومعالجته ؛ فهذا ليس يقدح فى الطبيب ، ولا يؤلمه إذا سمع بذلك ؛ بل يقول له : صدقت ، الأمر كذلك ، فعلى هذا إذا ابتلى الإنسانُ بمرض فتألَّم من المرض بمقتضى طبعه فهذا ليس عدم رضا بالقضاء ، بل عدم رضاً بالمقضىّ . وإنْ قال : أى شىء عملته حتى أصابنى مثل هذا ؟ أو ما ذَنبى؟ أو ما كنت استأهِلُ مثل هذا ؟ فهذا عدم رضا بالقضاء ؛ فنحن مأمورون بالرضا بالقضاء ، ولا نتعرض لجهة ربنا إلا بالإجلال والتعظيم ، ولا نعترض عليه فى ملكه . وأما أنا أمِرْنا أن تطيب لنا البلايا والرزايا ومؤلمات الحوادث فليس كذلك ، ولم تَرِد الشريعة بتكليف أحد ما ليس فى طبعه ، ولم يُؤمر الرَّمِدُ باستطابة الرمد المؤلم ، ولا غيره من المرض ؛ بل ذمّ اللهُ قوما لا يتألّمون ولا يجدون للبأساء وقعاً بقوله[1] : « ولقد أخذناهم بالعــــذاب فما استَكانُوا لربِّهم وما يَتَضَرَّعون » ، فمن لم يتمسكن ، ويذل للمؤلمات ، ويظهر الجزع منها ، ويسأل ربه إقالة العثرة — فهو جبار عَنِيد ، وشيطان مَرِيد .

فإن قلت : يفهم من هذا أن من قدر الله عليه بمعصيته يجبُ عليه الرضا بها ؛ وليس كذلك .

فالجواب أن الرضا بالمقضىّ قد يكون واجبا كالإيمان بالله والواجباتِ إذا قدرها الله للإنسان ، وقد يكون مندوبا فى المندوبات ، وحراما فى المحرمات ، والرضا بالكفر كفر ، ومباحا فى المباحات . وأما بالقضاء فواجب على الإطلاق

---

(١) المؤمنون : ٧٦

من غير تفضيل ؛ فمن قضى عليه بالمعصية أو الكفر ـ والعياذ بالله ـ فالواجبُ عليه أن يلاحظ جهةَ المعصية والكفر فيكرههما . وأما إنْ قدر الله فيهما فالرضا ليس إلا . ومتى تسخّطه وسفه الربوبية فى ذلك كان ذلك معصية ، وكفرا منضمًّا إلى معصيته وكفره على حسب حاله فى ذلك . أما إذا تاب ورجع إلى الله من ذلك فلا شكّ أنّ المعصية فى حقه نعمةٌ من الله عليه ؛ لأن الذنبَ يورث الافتقار ، والطاعة تورث الاستكبار ؛ والمعصيةُ تورث ذلا وافتقارا خير من طاعة تورث عزّا واستكبارا . قال صلى الله عليه وسلم : لولا أنّ الذنب خير للمؤمن من العُجْب ما خلّى الله بين عَبْدٍ وبين ذَنْب أبدا . وفى الحديث : "إن إبليس ليوقع العبد فى معصية فلا يزالُ هذا العبد نادما عليه وخائفا من عقوبته ، فيقول إبليس : يا ليتنى لم أوقعه فيه" ، والكلام هنا طويل تركناه لذلك .

(مَنْ ذَا الذى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً ...[1]) الآية : ندب الله عبادَهُ فى هذه الآية إلى الإنفاق فى سبيل الله ؛ وهذا من لطفِ اللهِ بهم ؛ تارة يدعوهم إلى الزُّهد فى الدنيا والخروج عنها بالإقراض ، وتارة بلفظ المضاعفة ؛ فهنيئاً لكم أيتها الأمة بما خوّلكم مولاكم .

وسبب نزول هذه الآية أنه لما نزل قوله تعالى[2] : « فمن يعمل مثقال ذَرَّةٍ خيراً يَرَه » ـ شَقّ ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم لأجل الأمة ، ولم يرض بذلك ؛ فأنزل اللهُ : أولئك يُؤْتَوْن أجرهم مرتين ، فلم يَرْضَ بذلك ؛ [١٧٧ ا] فأنزل الله : مَنْ جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها ، فلم يرض بذلك ، وقال : رب زد أمتى ؛ فأنزل الله : والله يضاعف لمن يشاء ، فقال : رب ، زِدْ أمتى ؛ فأنزل الله : مَنْ ذا الذى يُقْرِضُ اللهَ قرضا حسنا ... الآية .

---

(١) الحديد : ١١ (٢) الزلزلة : ٧

والكثير لا يكون أقلَّ من ثلاثة ، والدنيا كلّها قليل ، والإضعاف لا يكون أقل من ثلاث مرات مثل الدنيا . فقال : رب ، زد أمتي ؛ فأنزل الله : ولسوف يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى .

فإن قلت : هلّا أعطاهم بغير قَرْض ولا مجيء حسنة في قوله تعالى : مَنْ جاء بالحسنة . وما الحكمة في أنّ الله ذكر الصدقةَ بلفظ القرض ؟ وما الحكمة في الإضعاف ؟

فالجواب أن الله تعالى لو أعطى الثواب بغير شيء لكان يجب أن يُعطى الكفّار مثلَ ما يعطى المؤمنين ؛ فجعل الحسنات إلى المؤمنين لتمنع الثواب عن الكفار بها ، ولا تكون حجة عند الله . وذكر الصدقة بلفظ القرض ؛ لأن المقرض محتاج ، فذكر أنك محتاج إليه مضطر ، فلا يمنك لاحتياجك ، ولتعلم أنه يُخْلفه لك . والقرض ليس فيه مذلة ، بخلاف الصدقة . ومن أقرضته لا يمنّ عليك . ولما كان للأمم الخالية عمر طويل وطاعات كثيرة بخلاف هذه الأمة ، فخصّها الله بتضعيف الطاعات ، وتفضيل الأوقات ؛ لتكون أعمالُهم زاكيةً عليهم. ولما كان في الطاعات تقصيرٌ جعل لهم الإضعاف ؛ إذ هو بغير تقصير ، وبه تُنال الجنة ؛ لأنها من فضله ورحمته لا بعملهم وسَعْيِهم وإن ظلموا[1] بعضهم بعضا . تؤخذ حسناتهم بقدر مظالمتهم حتى تفنى ولا يبقى إلا التضعيف ، فيقولون : يا ربنا، أعطنا من أضعاف عملنا . فيقول اللهُ لهم : ذلك ليس من العمل ؛ وإنما هو من فضلي ورحمتي ، فلا نصيب لكم فيها ، فلا تؤخذ منهم.

(مَنَافِعُ لِلنَّاسِ[2]) : يعني أنّ الحديد فيه منافع لسكك الحرث والمسامير؛ وذلك أن كلّ صنعة لهم مفتقرة إليه ، فلا يستغني عنه .

---

(١) هذا بالأصلين .   (٢) الحديد : ٢٥

(مَنْ يَنْصُرُهُ ورُسُلَهُ بالغَيْبِ[1]) : يعني أنّ الله أنزل الحديد ليعمل منه السلاحُ لقتال أعداءِ الله ، وليعلم اللهُ مَنْ ينصره ؛ أي ليعلمه موجودا فالتغير ليس فى علم الله ؛ بل فى هذا الحديث الذى خرج من العدم إلى الوجود . ومعنى « بالغيب » بما سمع من الأوصاف الغائبة عنه ، فآمن به لقيام الأدلة عليها ، فأيُّ عذر لتاركِ الجهاد فى سبيل الله ؟ وقد أخبر أنه أرسل رسلا ، وأنزل كتبا ، وعدلا مشروعا ، وسلاحا يقاتل به من عاند ، ولم يهتد بهَدْى الله .

(ما كتَبْنَاهَا عليهم إلّا ابتغاءَ رِضْوَان الله[2]) : أى فرضنا وشرعنا . وفى هذا قولان :

أحدها أن الاستثناء منقطع . والمعنى ما كتبنا على الذين اتّبعوا عيسى الرهبانية من الاعتزال عن الناس ، ورَفْض النساء ، وتَرْك الدنيا ، ولكنهم فعلوها من تلقاءِ أنفسهم ابتغاء رضوان الله .

والآخر أنّ الاستثناء متصل : والمعنى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله .

والأول أرجح ؛ لقوله[3] : ابتدعوها ؛ ولقراءة عبد الله بن مسعود ما كتبناها عليهم ، لكن ابتدعوها . والمعتزلة يعربون « رهبانية » مفعولا بفعل مضمر يفسره ابتدعوها ؛ لأن مذهبهم أنّ الإنسانَ يخلق أفعاله ، فأعربوها على مذهبهم الفاسد .

(ما رَعَوْهَا حقّ رِعَايَتِها[4]) ؛ أى لم يدوموا عليها ، ولم يحافظوا على الوفاء بها . والضمير فى رعَوْها للذين ابتدعوا الرهبانية ، وكان يجب عليهم إتمامها ،

---

(١) الحديد : ٢٥ (٢) الحديد : ٢٧ (٣) الآية نفسها من سورة الحديد .

(٤) الحديد : ٢٧

وإن لم يكتبها الله عليهم ؛ لأن من دخل في شيء من النوافل وجب عليه إتمامه ؛ ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله لعبد الله بن عمر : إنك لا تطيق ذلك ، أحبُّ العمل إلى الله أدْوَمه وإن قل . حتى قال : يا ليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أحبَّ العمل إليه ما كان دِيمةً .

(ما هُنَّ أُمهاتِهم[1]) : ردّ الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة ، وأخبر تعالى أنّ تصيير الزوجة أمًّا باطل ؛ لأن الأم في الحقيقة الوالدة التي ولدت .

(ما يكون مِنْ نَجْوَى ثلاثةٍ إلا هو رَابِعُهم[2]) : يحتمل أن تكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي ، فيكون ثلاثة مضافا إليه ؛ أو بمعنى الجماعة من الناس ، فيكون ثلاثة بدلا أو صفة ؛ والأول أحسن .

(ما هم مِنْكُمْ ولا مِنْهُم[3]) : يعني [١٧٧ ب] أنّ المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود ؛ فهو كقوله تعالى فيهم : « مُذَبْذَبِين بين ذلك ... » الآية . وإذا عُوتبوا على سوء قولهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا . وقد صدر ذلك منهم مرارا كثيرة مذكورة في السير وغيرها .

(ما ظَنَنْتُم أن يَخْرجُوا وظَنُّوا أنهم ما نِعَتُهم حصُونُهم من الله[4]) : ضمير الغيبة يعود على بني النَّضير ؛ وذلك لكثرة عُدَدهم ومَنَعة حصونهم ؛ فأخذهم الله ولم تُغْنِ عنهم من الله شيئا .

(ما آتاكمُ الرسولُ فخذُوه[5] ...) الآية . نزلت بسبب الفيء ؛ يعني

---

(١) المجادلة : ٢ (٢) المجادلة : ٧ (٣) المجادلة : ١٤
(٤) الحشر : ٢ (٥) الحشر : ٧

ما آتاكم من الفيء فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ؛ فكأنها أمر للمهاجرين بأخذ الفَيْءِ ، ونهي للأنصار عنه ؛ ولفظُ الآية مع ذلك عامٌّ في أوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم ؛ ولذلك استدل بها عبد الله بن مسعود على المنع مِنْ لُبْس المخيط على المُحرم ، ولعن اللهُ الواشمةَ وغيرها لوروده عنه صلى الله عليه وسلم .

(كَمَثَلِ الذين مِنْ قَبْلِهِم قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِم[1]) ؛ أي هؤلاء اليهود كَمَثَلِ الذين مِنْ قَبْلِهِم — يعني اليهود من بني قَيْنُقَاع ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير ، فكانوا مثلا لهم . وقيل يعني أهلَ بَدْر الكفار ؛ فإنهم قبلهم ، ومَثَلٌ لهم في أن غلبوا وقهروا .

والأول أرجح ؛ لأنَّ قوله : قريبا — يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة ؛ وذلك أوقع على بني قَيْنُقاع . وأيضا فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليق لأنهم يهودٌ مثلهم ، وأُخرجوا من ديارهم ، كما فعل بهم ؛ وذلك هو المراد بقوله : ذاقوا وبال أمرهم .

(كمثل الشيطان ...[2]) الآية . مثّل الله المنافقين الذين أغووا اليهود من بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان ؛ فإنه يَغْوِي ابن آدم ثم يتبرأ منه ، والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس .

وقيل : أراد الشيطان الذي أغوى قريشا يوم بدر ، وقال لهم : إني جارٌ لكم . وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد ؛ فإنه استودع امرأة فزيّن له الشيطان الوقوع عليها ، فحملت فخاف الفضيحة ، فزيّن له الشيطان قَتْلها ، فلما وجدت مقتولة تبيّن فعله ، فتعرّض له الشيطان ، وقال له : اسجد لي وأُنجيك ، فسجد له وتبرّأ منه . وهذا ضعيف في النقل . والأولُ أرجح .

---

(١) الحشر : ١٥ (٢) الحشر : ١٦

(مَوَدَّةً[1]) : أى محبّة ، وقد كملت فى فتح مكة ؛ فإنه أسلم حينئذ سائر قريش . وقيل المودة تزوّج النبىّ صلى الله عليه وسلم أمّ حبيبة بنت أبى سفيان ابن حرب . وردّ ابن عطية هـــذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية .

وبالجملة لما أمر الله المسلمين بمعاداة الكفار ومقاتلتهم امتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة ، فعلم الله صدقهم ؛ فآنسهم بهذه الآية ، ووعدهم أن يجعل بينهم مودة .

(مِثْلَ ما أَنْفَقُوا[2]) ؛ أى اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقة على أزواجكم اللاتى فررن إلى الكفار ، وليطلب الكفارُ منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتى هاجرن إلى المسلمين .

فإن قلت : يفهم من تكرر هذه الآية بقاء حكمها .

والجواب أنه لما قال الله[3] : «واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا» . قال الكفار : لا نرضى بهذا الحكم ، ولا نُعطى صداق مَنْ فرّتْ زوجته إلينا من المسلمين ؛ فأنزل الله هذه الآية الأخرى . وأمر المسلمين أن يدفعوا الصداقَ لمن فرّت زوجته إلى الكفار من المسلمين ، ويكون هذا النوع من مال الغنائم على قول مَنْ قال : إنّ معنى : فعاقبتم : غنمتم . وقيل من مال الفىء . وقيل من الصدقات التى كانت تُدْفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين ؛ فأزال الله دَفْعَها إليهم حين لم يرضوا حكمه .

وهذه الأحكام التى تضمنتها هذه الآيات قد ارتفعت ؛ لأنها نزلت فى قضايا

---

(١) الممتحنة : ٧ . (٢) الممتحنة : ١١ (٣) الممتحنة : ١٠

معينة ، وهى مهادنةُ النبي صلى الله عليه وسلم مع مشركى العرب ، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع المدنة ؛ إذ لا يجوز لنا مهادنة المشركين من العرب ؛ إنما هو فى حقهم الإسلام أو السيف ؛ وإنما تجوز مهادنةُ أهلِ الكتاب والمجوس ؛ لأن الله تعالى قال فى المشركين : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . وقال فى أهل الكتاب : حتى يُعطُوا الجزيَةَ . وقال [١٧٨ ا] صلى الله عليه وسلم فى المجوس : سنّوا بهم سنّةَ أهل الكتاب .

(مَرْصوص[١]) : هو الذى يُضَمُّ بعضُه إلى بعض . وقيل : هو المعقود بالرصاص ؛ ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظة ، وفيها إشارةٌ إلى الثبات فى القتال والجِدّ فيه .

(مثَلُ الذين حُمِّلوا التوراةَ[٢]) ؛ أى كلِّفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها ، فلما لم يطيقوا أمرَها ولم يعملوا بها شبّههم الله بالحمار الذى يحمل الأسفار على ظهره ، ولا يدرى ما فيها ؛ وهم أيضا حملوا التوراة ولم يحملوها ؛ لأنها تنطقُ بنبوءة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فمن قرأها ولم يؤمِنْ بها فقد خالف التوراة .

(ما عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ ومِنَ التجارة[٣]) : سبب هذه الآية أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائماً يخطب على منبره يوم الجمعة ، فأقبلت عِير من الشام بطعام وصاحِبُ أمرها دحية بن خليفة الكلبي ، وكانت عادتهم أن تدخل العِير المدينةَ بالطبل والصياح سروراً بها ؛ فلما دخلت العير كذلك انفضَّ أهلُ المسجد إليها ، وتركوه صلى الله عليه وسلم قائماً على المنبر ، ولم يَبْقَ معه

---

(١) الصف : ٤ (٢) الجمعة : ٥ (٣) الجمعة : ١١

إلا اثنا عشر رجلا . قال جابر بن عبد الله : أنا أحدهم ؛ وذكر بعضهم أن منهم عشرة المشهود لهم بالجنة .

واختلف فى الثانى عشر فقيل عبد الله بن مسعود . وقيل عمّار بن ياسر ، وقيل : إنما بقى معه صلى الله عليه وسلم ثمانية . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال : لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة مسوّمةً فى السماء على الناقضين .

فإن قلت : ما بالُ الصحابة الموصوفين بالصلاح والعفاف يُهرعون للعِير ويَدَعُون أشرفَ الخلق على منبره يعِظُهم ويذكرهم ؟

فالجواب أنَّ ذلك منهم كان عند هجرته صلى الله عليه وسلم إليهم ، ولم يوقر الإيمان فى صدورهم ، وكانت مَسْغَبَة[1] عظيمة ، ولهم عيال يطلبونهم ؛ فلكثرة فرحهم بسرور عيالهم وعلمهم بحسن خلق نبيهم وأنه بعثه الله رحمةً لهم ومُيَسّراً لدينهم ، خرجوا لنظر العير ، ها أتى بطعام كثير يفرحون بهم أهاليهم؟ ولأنهم كانوا قد صلُّوا معه صلى الله عليه وسلم الصلاة المفروضة ، وظنهم أنّ الخطبة ليست من شرط الصلاة ، وأنهم سيرجعون إليه صلى الله عليه وسلم بعد نظرهم ، وإلّا لو علموا وجوبَ ذلك عليهم لآثروه على أنفسهم وأولادهم ؛ ألم تسمع إلى قولهم فى غَزْوَة بدر لمّا استشارهم صلى الله عليه وسلم فى القتال : نحن أسيافك القاطعة ، وذروعك المانعة ، إنْ خُضْتَ بحراً خضناه معك ؛ وإن قاتلت ندفع عنك ، ولسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهَبْ أنْتَ ورَبّك فقَاتِلَا ، ولكن نقول لك : اذهَبْ أنتَ وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون .

فإن قلت : لِمَ قال[2] : انفضُّوا إليها — بضمير المفرد ، وقد ذكر التجارة واللهو ؟

---

(١) مسغبة : مجاعة . (٢) الجمعة : ١١

فالجواب من وجهين :

أحدها ـ أنه أراد انفضُّوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة ؛ ثم حذف أحدها لدلالة الآخر عليه ؛ قاله الزمخشري[1] .

والآخر ـ أنه قال ذلك تَهَمُّماً[2] بالتجارة ؛ إذ كانت أهَمّ ، وكانت هى سبب اللهو ، ولم يكن اللهو سببها ؛ قاله ابن عطية .

فإن قلت : لم قدّم فى هذه الآية اللهو على التجارة ، وقدم التجارة قبل هذا على اللهو ؟

فالجواب أنّ كلّ واحدٍ من الموضعين جاء على ما ينبغى فيه ؛ وذلك أنّ العرب تارةً يبدءون بالأكثر ، ثم ينزلون إلى الأقل ؛ كقولك : فلان يخون فى الكثير والقليل ؛ فبدأت بالكثير، ثم أردفت عليه القليل ؛ وهى دونه . وتارة يبدءون بالأقل ، ثم يرتقُون إلى الأكثر ؛ كقولك : فلان أمين على القليل والكثير ؛ فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الكثير . ولو عكس فى كل واحد من المثالين لم يكن حسنا ؛ فإنك لو قدمت فى الخيانة ذكر القليل لعلم أنه يخون فى الكثير من باب أحرى وأولى ؛ ولو قدمت فى الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين فى القليل من باب أولى وأحرى ، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة ، وكذلك قوله : إذا رَأَوْا تجارة أو لَهْوًا انفضُّوا إليها — قدم التجارة هنا ليبيِّن أنهم ينفضُّون إليها من باب أولى ، انفضاضهم إلى اللهو الذى هو [١٧٨ ب] دونها .

وقوله : خَيْر من اللَّهْوِ ومن التجارة — قدم اللّهْو ؛ ليبين أنّ ما عند الله

---

(١) الكشاف : ٢ ـ ٤٦٠ (٢) تهمم الشىء : طلبه وتحسسه (القاموس) .

خير من اللهو ، وأنه أيضا خير من التجارة التي هي أعظم منه ؛ ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن .

فإن قلت : لِمَ قال صلى الله عليه وسلم في المتخلفين والمنفضّين : لولا هؤلاء لعذبوا بالحجارة ؟ وهل ذلك خاصّ بالجمعة أو بسائر الصلوات لو تخلفوا عنه ؟ ولِمَ قال في الجمعة : فاسعوا إلى ذكر الله ؟ وقال صلى الله عليه وسلم في الصلاة إئتوها وعليكم السكينة والوقار بغير سرعة .

فالجواب لمّا جهلوا قَدْرَ هذا الرسول صلى الله عليه وسلم عذبوا لولا أنّ الله دفع عنهم بمن عرف حقّ الله وحقّ رسوله ، كما قال تعالى : "وَلولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضهم ببعض" ؛ وهذا خاصّ بالجمعة ؛ لأنّها عمل وذكر ، وهو الخطبة ؛ وسائر الصلوات عمل ؛ ولذلك تُسمَّى يوم الجمعة عند أهل الجنة يوم المزيد ؛ يزدادون فيه جمالا وحسنا كما يزدادُ أهلُ الدنيا هرما وضعفا ؛ وتُعرَفُ عند أهل السماء بيوم الخير ؛ وعند أهل الكتاب يوم التوبة ، وعند أهل الزَّبور بسيِّد الأيام ، وفي الفرقان يوم الجمعة ؛ قال صلى الله عليه وسلم : "يوم الجمعة حجّ المساكين" ؛ لأنه يشبه الحج لإتيان المكلّف إليها بعد النداء ، كالحج : وأَذِّن في الناس ، وإذا نُودي للصلاة . وفي الغسل لها ، كما يغتسل للحج ؛ وزادت الجمعة بإباحة الطِّيب والتزيُّن والخطبة التي كانت في الحج يوم عَرفة . ولما حرم الصيد في الإحرام وأُبيح بعده حرّم البيع والشراء عند صلاة الجمعة ، وأُبيح بعدها ؛ وابتغاء الفضل كما في مزيد الحج ؛ قال تعالى : "ليس عليكم جُنَاحٌ أن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ ربكم" ؛ ويسعى إليها من بعيد ، كما يسعى إلى الحج من كل فَجٍّ عَميق ؛ وأُمِر المكلف بالذكر بعد الفراغ منها ، كما أمر الحاج به في قوله[1] : « فاذكُروا اللهَ كذِكْرِكم آباءَكم » . وقال

---

(١) البقرة : ٢٠٠

فى الحج : فإن خيرَ الزّادِ التقوى . وقال فى الجمعة : قُلْ ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة . والإجماعُ على أنّ يوم الجمعة أفضلُ من يوم عرفة للحديث : خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمسُ يوم الجمعة ، فيه تقوم الساعة ، وفيه خُلق آدم . . . الحديث .

(مَنْ يُؤْمِنْ بالله يَهْدِ قَلْبَه[1]) : قيل معناه من يؤمن بأنّ كل شىء بإذن الله يَهْدِ اللهُ قلبَه للتسليم والرضا بقضاء الله ؛ وهذا حسن ، إلّا أنّ العمومَ أحسن منه .

(ما استطَعْتُم[2]) : ما ظرفية ، وهذا ناسخ لقوله[3] : « اتقوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه » . وروى أنه لما نزلت هذه الآية شقّ ذلك على الناس حتى نزل : « ما استطعتم » . وقيل : لا نسخ بينهما ؛ لأن « حق تقاته » معناه فيما استطعتم ؛ إذ لا يمكن أن يفعل أحدٌ إلّا ما يستطيع . فهذه الآيةُ على هذا مبيِّنةٌ لتلك ؛ وتحرُّز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان ، وما يؤاخذ به العبيد .

(مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه[4]) : هو بُخْلها وطمعها ، فمن وُقيها وُقِى شرَّ الدنيا والآخرة . وقيل : إنها نزلت فى الطلاق . ومعناها من يتّقِ الله فليطلق طلقةً واحدة حسبما تقتضيه السنةُ .

(يجعل له مَخْرَجاً[5]) بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق .

وفى هذا المعنى روى عن ابن عباس أنه قال لمن طلّق ثلاثا : إنك لم تتّقِ اللهِ فبانت منك امرأتُك ، ولا أرى لك مخرجا ، أى لا رَجْعة لك .

---

(١) التغابن : ١١ (٢) التغابن : ١٦ (٣) آل عمران : ١٠٢

(٤) التغابن : ١٦ (٥) الطلاق : ٢

والصحيح أنها على العموم ، وأنّ من يتّق الله فى أفعاله وأقواله يجعل له مخرجا ، فيدخل فى ذلك الطلاق وغيره .

وروى أنها نزلت فى عوْف بن مالك الأشجعى، وذلك أنه أُسِر ولده وضيّق عليه رزقه ، فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمره بالتقوى ، فلم يلبث إلا يسيرا وانطلق ولده ووسّع الله عليه رزقه .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال — حين قرأ هذه الآية : مَخْرَجًا من شبهات[1] الدنيا ، وغمرات الموت ، ومن شدائد يوم القيامة .

وقال صلى الله عليه وسلم : "إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم : ومن يَتّقِ الله ..." الآية .

فإن قلت : إن الله تعالى تكفّل بأرزاق العباد على الجملة ، فما فائدة قوله[2] : « ويَرْزُقْه من حيث لا يحْتَسِب » .

فالجواب أن الرزق مضمون لكل حىّ طولَ عمره ، وهو الغذاء الذى به تقوم [١٧٩ ا] الحياة ، قال تعالى[3] : « وَما مِنْ دَابّةٍ فى الأرض إلا على اللهِ رِزْقها » . وأما رزق المتقين فوعْدُ الله لهم أن يأتيهم بسهولة من غير تَعب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : تكفّل اللهُ لطالب العلم برزقه . وفى حديث آخر : استنزلوا الرزق بالصدق . مصداقه قوله تعالى[4]: «ولو أنّ أهْلَ الكتاب آمَنُوا واتقَوا لكفّرْنا عنهم سيئاتهم ... » الآية . فبيّن لك سبحانه أنهم لو عملوا بما فى التوراة والإنجيل لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، أى لوسّعْنا عليهم

---

(١) والقرطبى : ١٨ — ٦٠ (٢) الطلاق : ٣ (٣) هود : ٦

(٤) المائدة : ٦٥

أرزاقنا ، وأغدقنا عليهم إنفاقنا ، لكنهم لم يفعلوا ما نحبُّ ، فلذلك لم نفعل ما يحبون .

وانظر كيف تكفَّل الله سبحانه بالرزق لعباده تعريفاً بوداده ، ولم يكن ذلك واجباً عليه ؛ بل أوجبه على نفسه إيجاب كرم وتفضّل ، كأنه يقول : أيها العبد ليست كفالتي ورزق خاصاً بك ؛ بل كلُّ دابة في الأرض أنا كافِلُها ورازقها ، وموصِّل إليها قُوتَها ؛ فاعلمْ بذلك سعةَ كفالتي ، وغناء ربوبيّتي ، وأن شيئاً لا يخرج عن إحاطتي ورعايتي ؛ فثِقْ بي كَفِيلا ، واتخذْني وكيلا ؛ فإذا رأيتَ ذكري لأصناف الحيوان ، ورعايتي إياها ، وقيامي بحسن الكفالة لها وأنت أشرفُ هذا النوع ، فأنت أولى بأن تكون لكفالتي واثقاً ، ولفضْلي رامقاً ؛ ألا تراني قلت[1] : « ولقد كرَّمْنا بني آدَم » ؛ أي على سائر أجناس الحيوان إذ دعوناهم إلى خدمتنا ، ووعدناهم دخول جنتنا ، وخطبناهم إلى حضرتنا ؛ ومما يوضّح لك كرامة الآدمي على غيره من المكونات أن المكونات مخلوقات من أجله ، وهو مخلوق من أجل حضرة الله ؛ فإذا علمت أن الأكوان مخلوقة من أجلك إمّا انتفاعاً وإما اعتباراً ، وهو نفع أيضا ، فينبغي لك أن تعلم أن الله سبحانه إذا رَزَق مَنْ هو مخلوق من أجلك كيف لا يكون لك رازقاً ، فاستَحْيِ منه أن تكون بعد ما كساك حُلّةَ الإيمان ، وزيَّنك بزينة العرفان ، أن تستَوْلِيَ عليك الغفلةُ والنسيان ، حتى تميل إلى الأكوان ، أو تطلب من غيره وجوهَ امتنان . وقد قال تعالى[2] : « يأيها الذين آمَنُوا أَوْفُوا بالعقود » . ومن العقود التي عاقدْتَه عليها ألّا ترفع حوائجك إلا إليه ، ولا تتوكل إلا عليه ؛ ولازِمُ إقرارِكَ له بالربوبية يوم : « ألست بربكم ! » فرضيت به ربّاً واحداً رازقاً ، فكيف تُوَحّده هنالك وتجهله

(١) الإسراء : ٧٠ (٢) المائدة : ١

ها هنا؟ وقد تواتر عليك إحسانه، وغمرك فضله وامتنانه.

فإن قلت: ما فائدة تكرير ذِكْر التقوى فى هذه السورة فى مواطن ثلاث؟

فالجواب أن أوامرها دارت على الأمر بالمحافظة على إيقاع الطلاق إذا دعت إليه الضرورة فى وَقْتِه لاستقبال العدة حتى لا يقع الضرار بالمطلقة فى تطويل عِدّتها، والأمر بإحصاء العدة والمحافظة عليها، وأن تخرج المعتدّة من بيتها حيث وقع عليها الطلاق، والأمر بإنفاذ ما يقع الاعتماد عليه من إمساك أو مفارقة، من حسن الصحبة وجميل العشرة: إن اعتمد الإمساك، أو بالإمتاع أو التلطّف رَعْياً لما تقدم من الصحبة إن عوّل على المفارقة فلِرَعْى هذه الأوامر أكّد سبحانه بالتزام التقوى فيما ذكر؛ فتأمله جارياً على أوضح تناسب.

(ما أحَلَّ اللهُ لَكَ[1]): الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم، نهاه الله أن يطلبَ رضا أزواجه بتحريم ما أحلّ الله له من تحريمه للجارية، ابتغاءَ رِضَا حَفْصة؛ وهذا يدل على أنها نزلت فى تحريم الجارية. وأما تحريمُه للعسل فلم يقصد به رِضاً أزواجه، وإنما تركه لرائحته، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة.

(ما يُؤْمَرُون[2]): وصف للملائكة بأنهم لا يعصون، وتأكيد لعدم عصيانهم. وقيل: إن معنى «لا يعصون»[3] امتثال الأمر، ويفعلون ما يؤمرون جدّهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس.

(ما تَرَى فى خَلْقِ الرَّحمن[3]): بيان وتكميل لما قبله، والخطاب بقوله:

---

(١) التحريم: ١ (٢) التحريم: ٦ (٣) الملك: ٣

« ما ترى » و «[1] وارجع البَصر » وما بعده للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو لكل مخاطب ليعتبر .

(مَنَاكِبِها[2]) : قال ابن عباس : هي الجبال . وقيل الجوانب والنواحي . وقيل الطرق .

والمعنى تعديد النعمة في تسهيل [١٧٩ ب] المشي على الأرض ، فاستعار لها الذلّ والمناكب تشبيهاً بالدّوابّ .

(مَنْ يَمْشِي مُكِبًّا على وَجْهِهِ ...[3]) الآية . توقيف على الحالتين أيهما أهدى . والمراد بها توبيخ الكفار ، وفي معناها قولان :

أحدها أن المَشيَ استعارة في سلوك طريق الهُدَى والضلال في الدنيا .

والآخر أنه حقيقة في المشي في الآخرة ؛ لأن الكافر يُحمَل إلى جهنم على وجهه .

فأما على القول الأول فقيل : إن الذي يمشي مُكبًّا أبو جهل ، والذي يمشي سَوِيًّا سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل حمزة . وقيل هي على العموم في كل مؤمن وكافر . وقد تمشي هذه الأقوال أيضا على القول الثاني .

والمكب هو الذي يقع على وجهه ؛ يقال أكبّ الرجلُ وكبّه غيره ؛ فالمتعدي دون همزة ، والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال .

(ماؤُكم غَوْراً[4]) : مصدر وُصف به بمعنى غائراً ، أي ذاهبا في الأرض ، وهذا احتجاج على المشركين .

---

(١) الملك : ٤ (٢) الملك : ١٥ (٣) الملك : ٢٢

(٤) الملك : ٣٠

والمعنى إنْ غار ماؤكم الذى تشربون منه هل يأتيكم إله غير الله بماءٍ معين .

واختلف هل وزنه[1] فعيل أو مفعول . وقوله : وكأس من مَعِين ؛ أى من خمر تجرى من العيون .

(ما أنْتَ بنعمةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون[2]) : هذا جواب القسم ، وهو خطاب لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، معناه نفى ما نسبه الكفار له من الجنون ؛ وبنعمة ربك — اعتراض بين ما وخبرها ؛ كما تقول : أنْتَ — بحمد الله — فاضل . والجار والمجرور فى موضع الحال . وقال الزمخشرى[3] : إن العامل فيه بمجنون .

(مَشَّاءٍ بِنَمِيم[4]) ؛ أى كثير المشى بالنميمة ، يقال نميم ونميمة بمعنى واحد . قال صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة نمَّام منّاع للخير ؛ أى شحيح ؛ لأن الخير هنا هو المال . وقيل معناه منّاع من الخير ؛ أى يمنع الناس من الإسلام والعمل الصالح .

(ما لكم كيف تحكمون[5]) : ما مبتدأ ولكم خبره ، وتمّ الكلام هنا ؛ فينبغى أن يوقف عليه . وفى الآية توبيخ للكفار ؛ أى كيف تحكمون بأهوائكم، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ؟

(مَنْ يُكَذِّبُ بهذا الحديث[6]) : مفعول معه ، أو معطوف ؛ وفيه تهديد للمكذبين بالقرآن .

---

(١) أى وزن معين فى الآية نفسها : فمن يأتيكم بماء معين . (٢) القلم : ٢

(٣) فى الكشاف : ٢ — ٤٧٩ ، قال : يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتاً فى قولك : أنت بنعمة الله عاقل . (٤) القلم : ١١ (٥) القلم : ٣٦

(٦) القلم : ٤٤

(مَذْمُوم[1]) : هذا جواب لولا ، والمنفى هو الذم لا نبذه بالعراء ؛ فإنه قال فى الصافات[2] : « فنبذناه بالعَرَاءِ وهو سَقِيم » ؛ فالمعنى لولا رحمةُ الله لنُبِذَ بالعَرَاء وهو مذموم ، لكنه نُبِذ وهو غير مذموم .

(ما هو إلا ذِكْرٌ للعالَمِين[3]) : الضمير يعود على القرآن ، يعنى أنه موعظة وتذكير للخلق .

(ما الحاقّة[4]) : ما استفهامية يُراد بها التعظيم ، وهى مبتدأ وخبرها ما بعده، والجملة خبر الحاقّة . وكان الأصل الحاقة ما هى ؟ ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التعظيم والتهويل ؛ وكذلك ما أدْرَاكَ ما الحاقّة ؟ لفظه الاستفهام ، والمراد به التهويل والتعظيم .

(مَنْ قَبْلَه[5]) : أى قبل فرعون من الأمم الكافرة ، وأقربهم إليه قوم شعيب . والظاهر أنهم هم المراد ؛ لأن عاداً وثمود قد ذكرا وقوع لوط هم « المؤتفكات » ، وقوم نوح قد أشير إليهم فى قوله[6] : « لما طَغَا الماءُ » . وقرىء قِبَلَه - بكسر القاف وفتح الباء ، ومعناه جنده وأتباعه .

(مَفْتُون[7]) : قيل إن المفتون المجنون ؛ ويحتمل غير ذلك مِنْ معانى الفتنة . واختلف فى الباء التى فى قوله بأيكم ؛ قيل زائدة ، وقيل هى غير زائدة . والمعنى بأيكم الفتنة ؛ فأوقع المفتون موقع الفتنة ، كقولهم : ما لَهُ معقول ؛ أى عقل . وقيل إنها بمعنى فى ؛ والمعنى فى أىّ فريق منكم المفتون . واستحسن ابن عطية هذا .

---

(١) القلم : ٤٩ (٢) الصافات : ١٤٥ (٣) القلم : ٥٢
(٤) الحاقة : ٢ (٥) الحاقة : ٩ (٦) الحاقة : ١١
(٧) القلم : ٦ ، والآية : بأيكم المفتون .

(مَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ[١]) : يعنى المسجد . وقيل السفينة . وقيل شريعته ؛ سماها بيتاً استعارة ؛ وهذا بعيد . وقيل داره ؛ وهذا أرجح لأنه الحقيقة .

(مَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ له[٢]) : قد قدمنا أنّ رمى الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم ، واختار ابنُ عطية والزمخشرى أنه قبل البعث قليلا، ثم زاد بعد البعث ، وكَثُرَ حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية ؛ ودليلهما قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ـ وقد رأى كوكبا انقضّ : ما كنتم تقولون للجاهلية لهذا ؟ قالوا : كنا نقول مَلَكَ ملك ، أو مات ملك . فقال صلى الله عليه وسلم : ليس الأمر كذلك . ثم وصف استراق الجن السمع . وقد ذكر شعراء الجاهلية فى ذلك أشعارهم .

(ماءً غَدَقاً[٣]) : أى كثيراً ، وهو استعارة فى توسيع الرزق ؛ يعنى أنهم لو استقاموا على الكفر لوسَّع اللهُ عليهم ؛ إملاءً لهم واستدراجا . ويؤيد هذا قوله[٤] [١٨٠ ا] : « لِنَفْتِنَهم فيه » .

والصحيح أن الطريقة هى الإسلام وطاعة الله . والضمير فى استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للكافرين المذكورين فى قوله[٥] : « وأما القاسِطُون... » أو لجميع الجن الذين استمعوا القرآن ، أو لجميع الخلق .

(مَنْ يَعْصِ اللهَ ورسولَه[٦]) : الآية فى الكفار ، وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين ؛ لأن مذهبهم خلودهم فى النار ؛ وعلى أنها فى الكفار وجهان :

أحدها ـ أنها مكية ، والسور المكية إنما الكلام فيها مع الكفار .

---

(١) نوح : ٢٨ (٢) الجن : ٩ (٣) الجن : ١٦
(٤) الجن : ١٧ (٥) الجن : ١٥ (٦) الجن : ٢٣

والآخر دلالةُ ما قبلها وما بعدها على أنَّ المرادَ بها الكفار ، وجمع «خالدين[1]» على معنى مَنْ يَعْصِ ؛ لأنه في معنى الجمع .

(مساجِدَ[2]) : واحدها مَسْجَد ـ بفتح الجيم . وهذا بعيد ، وأراد هنا المساجد على الإطلاق ، وهي بيوت عبادة الله . وروى أنَّ الآية نزلت بسبب تغلُّب قريش على الكعبة . وقيل أراد الأعضاء السَّبعة التي يسجدُ عليها ، ومعناها لما كانت المساجد لله فكيف تعبدون فيها غَيْرَ الله ؟ وكذلك الأعضاء ملكها واختراعها عندى ، فكيف تصرفونها في غير ما طَلَبْتُ منكم ؟

(ما يُوعَدُون[3]) : الضمير للكفار ، يعني أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه ، حتى إذا رأوا ما يوعدون .

(مَنْ شاء اتَّخَذَ إلى ربِّه سَبيلا[4]) : أي سبيل التقرب إلى الله ؛ ومعنى الكلام حضٌّ على ذلك وترغيب فيه .

(ما تَيَسَّرَ من القرآن[5]) : أي إن لم تقدروا على قيام الليل كلّه فقوموا بعضَه ، واقرءُوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن ؛ وهذا الأمر للندب .

وقال ابن عطية : هو للإباحة عند الجمهور . وقال قوم ـ منهم الحسن وابن سيرين : هو فرضٌ لابد منه ، ولو أقل ما يمكن ، حتى قال بعضهم : من صَلَّى الوتر فقد امتثل هذا الأمر . وقيل : كان فرضا ، ثم نسخ بالصلوات الخمس . وقال بعضهم : هو فرض على أَهْلِ القرآن دون غيرهم .

---

(١) من الآية نفسها . (٢) الجن : ١٨ (٣) الجن : ٢٤
(٤) المزمل : ١٩ (٥) المزمل : ٢٠

(مالًا مَمْدُوداً[1]) : اختلف فى مقداره ؛ فقيل ألف دينار . وقيل عشرة آلاف . وقيل يعنى الأرض ؛ لأنها مدت .

(مَهَّدْتُ له تَمْهِيداً[2]) : الضمير يعود على الوليد بن المغيرة ، ومعناها بسطتُ له فى الدنيا بالمال والعزة وطيب العيش .

(ما جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إلّا فِتْنَةً للذين كَفَرُوا[3]) : أى جعلناهم تسعة عشر[4] ليفتتن الكفّار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ، كما قال أبو جهل: أيعجز عشرة منكم فى واحد منهم .

(ماذَا أرادَ اللهُ بهذَا مَثَلاً[3]) : استبعاد منهم أن يكون هذا من عند الله .

(ما يَعْلَمُ جنودَ رَبِّكَ إلا هُوَ[3]) : يحتمل القصد بهذا وجهين :

أحدها ـ وصف جنودِ الله بالكثرة ؛ أى هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله .

والآخر ـ رَفْعُ اعتراض الكفار على التسعة عشر ؛ أى لا يعلم أعدادَ جنود الله إلا هو ؛ لأن منهم عددا قليلا ، ومنهم عدداً كثيراً ، حسبما أراد الله .

(ما هِيَ إلّا ذِكْرَى للبَشَر[5]) : الضمير لجهنم ، أو للآيات المتقدمة .

(ما سَلَكَكُمْ فى سَقَرَ[6]) ؛ أى ما أدخلكم النار ؟ وهذا خطابٌ للمجرمين ، يحتمل أن خاطبهم به المسلمون . وسقر : أحد طبقات جهنم السبعة .

---

(1) المدثر : ١٢ (2) المدثر : ١٤ (3) المدثر : ٣١
(4) من الآية (٣٠) : عليها تسعة عشر . (5) المدثر : ٣١
(6) المدثر : ٤٢

وقد صحّ أنّ من كان فى الطبق الأول تناديه الملائكةُ : ويلٌ يومئذ للمكذبين. وتنادى مَنْ كان فى الثانى : فويل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون . وفى الثالث : ويلٌ لكل هُمَزَةٍ لُمَزَة . وفى الرابع : فويلٌ لهم مما كَسَبَتْ أيديهم. وفى الخامس : وويلٌ للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة . وفى السادس : فويل[1] للقاسية قلوبهم من ذكر الله . وفى السابع : ويل للمطفّفين الذين إذا اكتالُوا على الناس يستَوْفُون .

(مَنْ شاءَ ذَكره[2]) : فاعل شاء ضمير يعودُ على من ، وفى ذلك حضٌّ وترغيب . وقيل الفاعل هو الله ، ثم قيّد فعل العبد بمشيئة الله .

فإن قلت : ما وَجْهُ مخالفة هذه الآية لسورة عبَس وسورة الإنسان[3] ؟

فالجواب أن ضمير التذكير هنا لما تقدم من الكلام أو للقرآن بجملته ، والمذكّر به عظة أو موعظة ، وهو أيضا وعظ وتنبيه ؛ فتارة تُراعِى العرب فى مثل هذا جهة التذكير ، وتارة تراعى جهة التأنيث ، فتحْمِل الضمير على ما تدعيه من تذكير أو تأنيث .

فإن قلت : كيف طابق قوله : ما سلككم ـ وهو سؤال للمجرمين ـ قولَه[4] : يَتَساءَلُون . عن المجرمين ؛ وهو سؤال عنهم ؛ وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل : يتساءل المجرمون ما سلككم ؟

قلت : ما سلككم ليس ببيان التساؤل [١٨٠ ب] عنهم ؛ وإنما هى

---

(١) الزمر : ٢٢ (٢) المدثر : ٥٥ (٣) فى عبس (١١ ، ١٢) : كلا إنها تذكرة . فمن شاء ذكره . وفى الإنسان (٢٩) : إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا . (٤) فى الآية قبلها من سورة المدثر (٤٠ ، ٤١) : فى جنات يتساءلون . عن المجرمين .

حكاية قول المسئولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين ، فيقولون : قلنا لهم : ما سلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلّين ؛ إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار ، كما هو نهج التنزيل فى غرابة نَظْمه .

(مَعَاذِيرَهُ[1]) : فى معناه قولان :

أحدها ــ أنّ المعاذيرَ الأعذار ؛ أى الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ، ولو اعتذر عن قبائحها .

والآخر ــ أنّ المعاذير الستور ؛ أى الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو أسدل الستور على نفسه فى الدنيا حين يفعل القبائح .

(مَعَاشاً[2]) : أى يُطلب فيه المعيشة ، فهو على حذف مضاف تقديره ذا معاش . وقال الزمخشرى[3] : معناه يعاش فيه ؛ فجعله بمعنى الحياة فى مقابلة السبات التى بمعنى الموت .

(مَفَازاً[4]) : أى موضعَ فَوْز ، يعنى الجنة .

(ما قَدَّمَتْ يَدَاه[5]) : يعنى يرى كلُّ أحد ما عمل من خير أو شر .

(ماءَها ومَرْعَاها[6]) : نسب الماء والمرعى إلى الأرض ؛ لأنهما يخرجان منها .

فإن قيل : لِمَ قال : « أخرج » بغير عطف العاطف ؟

---

(١) القيامة : ١٥ (٢) النبأ : ١١ (٣) الكشاف : ٢ ــ ٥١٧ ،
قال : معاشا : أى وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم .
(٤) النبأ : ٣١ (٥) النبأ : ٤٠ (٦) النازعات : ٣١

فالجواب أنّ هذه الجملة فى موضع الحال ، أو تفسير لما قبلها ؛ قاله الزمخشرى[١] .

(مَتَاعًا لكم ولأنعامِكم[٢]) : تقديره فعل ذلك كلّه متاعا لكم ولأنعامكم ؛ لأن بنى آدم والأنعام ينتفعون بكلّ ما ذُكر .

(ما عَلَيْكَ أَلّا يزّكّى[٣]) : أى لا حرج عليك إذا يتزكى هذا الغنىّ .

(مَنْ جاءَكَ يَسْعَى[٤]) : معناه يُسرع فى مشيه مِنْ حِرْصه على طلب الخير : هو عبد الله بن أمّ مكتوم .

(مَنْ شاءَ ذَكَرَهُ[٥]) : تأمّل إلى تأنيث الضمير فى قوله[٦] : إنها ، وتذكيره هنا على معنى الوعظ أو الذكر أو القرآن .

(مَرْفُوعةٍ مُطَهَّرَةٍ[٧]) : إن كانت الصحف المصاحف فمعناه كذلك . أو مرفوعة فى السماء ، ومطهّرة[٨] : منزهة عن أيدى الشياطين .

(ما أكْفَرَه[٩]) : تعجُّب من شدة كُفْره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك .

(مَوْءُودَة[١٠]) : هى البنت التى كان بعض العرب يدفنها حيّة من كراهيته لها ، ومن غيرته عليها ؛ فتسأله يوم القيامة : بأى ذَنْبٍ قتلت ؟ على وجه التوبيخ

---

(١) الكشاف : ٢ — ٥٢٢ (٢) النازعات : ٣٣ (٣) عبس : ٧

(٤) عبس : ٨ (٥) عبس : ١٢

(٦) فى قوله تعالى فى الآية قبلها (١١) : كلا إنها تذكرة . (٧) عبس : ١٤

(٨) فى الآية قبلها (١٣) : فى صحف مكرمة . (٩) عبس : ١٧

(١٠) التكوير : ٨

لقاتلها . وقرأ ابن عباس سألت[1] — بفتح الهمزة والسين — بأى ذنب قَتَلتُ — بفتح القاف وسكون اللام وضم التاء . واستدل ابن عباس بهذه الآية على أنّ أولاد المشركين فى الجنة ؛ لأنّ الله ينتصر لهم ممن ظلمهم .

(ما أحْضَرَتْ[2]) : عبارة عن الحسنات والسيئات .

(ما قَدَّمَتْ وأخَّرَتْ[3]) : أى فى حياتها ، وأخرت مما تركته بعد موتها من سنة سنّتها أو وصية أوْصَتْ بها .

(ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم[4]) : هذا توبيخ وعتاب ، معناه أىّ شىء غرّك بربكَ حتى كفرت به ، أو عصيته ، أو غفلت عنه ؛ فدخل فى الخطاب الكفّارُ ، وعصاةُ المؤمنين ، ومن يغفل عن الله فى كل الأحيان .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ : ما غرّكَ بربك الكريم ؛ فقال : غره جهله . وقال عمر : غرّه حُمْقه . وقرأ : إنه كان ظلوماً جهولاً . وقيل : غرّه الشيطان المسلّط عليه . وقيل : غره طمَعُه فى عفو الله عنه .

ولا تعارض بين هذه الأقوال ؛ لأن كلّ واحد منها مما يَغُرُّ الإنسان ، إلا أنّ بعضها يَغُرُّ قوماً وبعضُها يغرُّ قوماً آخرين .

فإن قيل : ما مناسبةُ وصفِه بالكريم للتوبيخ على الغرور ؟

فالجواب أن الكريم ينبغى أن يُعْبَد ويطاع ؛ شكراً لإحسانه ، ومقابلةً لكرمه . ومَنْ لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة ، وأضاع الشكر الواجب .

وقيل : إنه يخاطب العبد بالكرم تلقينا للمؤمن فى تذكره بكرمه ؛ فيقول :

---

(١) الآية : وإذا الموءودة سئلت .
(٢) التكوير : ١٤
(٣) الانفطار : ٥
(٤) الانفطار : ٦

غرّني حلمُك وكرمك ، وتنبيهٌ للكافر في تعديد النعمة عليه في الدنيا ، واستعانته بها على مخالفته .

(مَرْقُومٌ[1]) : أي مكتوب ، بلسان العبرانية ، وارتفع في الموضعين[2] على أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره هو كتاب .

وقال ابن عطية : كتاب مرقوم خبر إن ، والظرف مُلْغى ؛ وهو تكلّف يفسد به المعنى .

وقد رُوى في الأثر ـ ما يفسر الآية ؛ وهو أن الملائكةَ تصعد بصحيفة فيها عملُ العبد ، فإن رضيه الله قال : اجعلوه في عِلّيين ، وإن لم يرضه قال : اجعلوه في سجّين .

(مَخْتُوم[3]) : قد فسره الله بأنّ ختامه مسك .

(مَرُّوا بِهِمْ يتغامَزُونَ[4]) : أي يغمز بعضهم إلى بعض ، ويشير بعينه . والضمير في مرّوا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار ؛ والضمير في يتغامَزُونَ للكفار لا غير .

(ما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِين[5]) : أي ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين ؛ يحفظون أعمالهم ، ويشهدون [١٨١ ا] برشدهم أو ضلالهم ؛ فكأنه قال : كلامهم في المؤمنين فُضُول منهم .

(مَنْ أُوتِيَ كتابَه وراءَ ظَهْرِه[6]) : يعني الكافر . وروى أن هاتين

---

(١) المطففين : ٩ (٢) في آية ٩ ، وآية ٢٠ من السورة نفسها .

(٣) المطففين : ٢٥ (٤) المطففين : ٣٠ (٥) المطففين : ٣٣

(٦) الانشقاق : ١٠

الآيتين[1] نزلتا فى أبى سلمة بن عبد الأسد ، وكان من فضلاء المؤمنين ، وفى أخيه أسود ؛ وكان من عُتَاةِ الـكافرين ؛ ولفظها أعمُّ من ذلك .

فإن قيل : كيف قال فى الكافر هنا إنه يؤتى كتابه وراء ظهره ، وقال فى الحاقة بشماله ؟

فالجواب من وجهين :

أحدها أن يديه تـكونان مغلولتين إلى عنقه ، وتجعل شماله وراء ظهره ، فيأخذ بها كتابه .

وقيل : تدخل يده اليسرى فى صدره ، وتخرج من ظهره ، فيأخذ بها كتابه .

(ما لهم لا يُؤْمنون[2]) : الضمير لكفّار قريش ، يعنى أىّ شىء يمنعهم عن الإيمان ؟

(ما نَقَمُوا منهم ...[3]) الآية ، أى ما أنـكر الـكفّار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله . وهذا لا ينبغى أنْ يُنـكَر . وهذا كقوله[4]: « وما نَقَمُوا إلّا أنْ أغنَاهم اللهُ ورسولُه » ، أى ما عابوا إلا الغِنَى الذى كان حقّه أنْ يشكروا عليه ؛ وذلك فى الجُلَاس ، أو فى عبد الله بن أبىّ .

فإن قلت : لم قال : أن يؤمنوا — بلفظ المضارع ، ولم يقل آمنوا بلفظ الماضى ؛ لأن القصة قد وقعت ؟

فالجواب أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ، ولو كفروا

---

(١) يريد بالآيتين : فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب إلى أهله مسروراً . وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا .

(٢) الانشقاق : ٢٠ (٣) البروج : ٨ (٤) التوبة : ٧٤

فى المستقبل لم يدم بوم؛ فلذلك ذكره بلفظ المستقبل ؛ فكأنه قال: إلا أنْ يدوموا على الإيمان .

(ماءٍ دَافِق[1]) : من الدفق ، بمعنى الدّفع ، فقيل معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق فى الحقيقة ؛ فقال سيبويه : هو على النسب ؛ أى ذو دفق . وقال ابن عطية : يصحُّ أن يكون الماء دافقا ؛ لأن بعضه يدفق بعضا ؛ ومقصود الآية إثبات الحشر ؛ فأمر الإنسان أن ينظر أصْلَ خلقته ؛ ليعلم أن الذى خلقه مِنْ ماءٍ دافق قادرٌ على أنْ يُعيده .

ووَجْهُ اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن على كلّ نفس حافظا[2] يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر ، حيث تُجازَى كلُّ نفس بأعمالها .

(مَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ ولا نَاصِر[3]) : الضمير للإنسان ؛ ولما كان دَفْعُ المكاره فى الدنيا إمّا بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبر الله أنه يعدمهما يوم القيامة .

(ما شاءَ اللهُ[4]) : فيه وجهان :

أحدها — أن معناه لا تَنْسَى[5] إلا ما شاء الله أن تنساه ؛ كقوله : أوْ نُنْسِها .

والآخر — أنه لا تنسى شيئا ، ولكن قال : إلّا ما يشاء الله — تعظيما لله بإسناد الأمر إليه ، كقوله : خالدين فيها إلا ما شاء الله ، على بعض الأقوال .

وعبّر الزمخشرى عن هذا بأنه من استعمال التقليل فى معنى النفى ؛ والأول

---

(١) الطارق : ٦ (٢) فى الآية الرابعة من السورة نفسها .

(٣) الطارق : ١٠ (٤) الأعلى : ٧ (٥) فى الآية التى قبلها : ٦

أظهر ؛ فإن النسيان جائز على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فيقال : أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه ، ثم يذكره . ومن هذا قولُ النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع قراءة عباد بن بشر رحمه الله : "لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها".

(موضوعة[1]) : مُعَدة بشرابها .

(مَبْثُوثة[2]) : متفرقة ؛ وذلك عبارة عن كثرتها . وقيل مبسوطة .

(مالًا لُبَدًا[3]) : أي كثيرا . وقرىء بضم اللام وكسرها ، وهو جمع لبدة ـ بالضم والكسر ، بمعنى الكثرة . ونزلت الآية عند قوم فى الوليد بن المغيرة ؛ فإنه أنفق أموالا فى إنفاق أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل فى الحارث ابن عامر بن نوفل ، وكان قد أسلم وأنفق فى الصدقات والكفّارات ، فقال : لقد أنفقتُ مالى مذ تبعت محمدا .

(ما أدْرَاكَ ما العَقَبة[4]) : تعظيم للعَقَبة ، ثم فسرها بفكّ الرقبة ، وهو تفسير لاقتحم . وفك الرقبة هو عتقها ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ أعتق رقبةً مؤمنة أعتق الله بكل عضوٍ منها عضواً من النار".

(مَسْغَبة[5]) : مجاعة .

(مَقْرَبة[6]) : قرابة .

(مَتْرَبة[7]) : فقر ، يقال سغب الرجل إذا جاع .

---

(١) الغاشية : ١٤ (٢) الغاشية : ١٦ (٣) البلد : ٦

(٤) البلد : ١٢ (٥) البلد : ١٤ (٦) البلد : ١٥

(٧) البلد : ١٦

(مَرْحَمة[1]) : أي وصّى بعضهم بعضاً برحمة المساكين وغيرهم . وقيل المرحمة كلُّ ما يؤدّي إلى رحمة الله .

(مَيْمنة[2]) : جهة اليمين .

(مَشْأمة[3]) : جهة الشمال . وروى أنّ الميمنة عن يمين العرش . ويحتمل أن يكونا من اليُمْن والشؤم .

(ما بنَاها[4]) : ما ها هنا ، وفي قوله[5]: « وما طَحَاها وما سوّاها » — موصولة بمعنى مَنْ . والمراد الله تعالى . وقيل إنها مصدرية ؛ كأنه قال : والسماء وبنيانها . وضعَّفَ الزمخشريُّ هذا بقوله : فألهمها ، فإن المراد الله تعالى باتفاق ؛ فهذا القولُ يؤدِّي إلى فساد النظم ، وضَعّف بعضهم [١٨١ ب] كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق .

فإن قيل : لم عدل عن مَنْ إلى « مَا » في قول مَنْ جعلها موصولة ؟

فالجواب أنه فعل ذلك لإرادة الوصفيّة ، كأنه قال : والقادر الذي بنَاها .

فإن قلت : لم نكّر النفس ؟

فالجواب مِنْ وجهين :

أحدها — أنه أراد الجنس ، كقوله : علمت نَفْسٌ ما أحضرت .

والآخر — أنه أراد نفس آدم . والأول هو المختار .

(ما خلق الذَّكَرَ والأنثى[6]): ما بمعنى مَنْ. والمرادُ بها الله تعالى ، وعدَلَ عن « مَنْ » لقصْدِ الوصف ، كأنه قال : والقادر الذي خلق الذكر والأنثى .

---

(١) البلد : ١٧ (٢) البلد : ١٨ (٣) البلد : ١٩
(٤) الشمس : ٥ (٥) الشمس : ٦ ، ٧ (٦) الليل : ٣

(مَنْ أعْطَى واتَّقَى[1] ...) الآية ؛ أى أعطى ماله فى الزكاة والصدقة . وشِبْه ذلك ، أو أعطى حقوق الله من طاعته فى جميع الأشياء واتّقى الله . وعبّر بعضُهم عن تصديقه بالحسنى بلا إله إلا الله ، أو بالمثوبة .

(الحسنى[2]) : هى الجنة . وقيل يعنى الأجر والثواب على الإطلاق . وقيل : يعنى الخلف على المُنْفِق .

(مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى وكذَّب بالحُسْنَى[3]) : أى بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق ؛ فيحتمل الوجهين ؛ لأنه فى مقابلة أعطى ، كما أن استغنى فى مقابلة اتّقى ، وكذّب بالحسنى فى مقابلة صدَّقَ بالحسنى ؛ ونيسره للعسرى فى مقابلة نيسره لليسرى . ومعنى اسْتَغْنَى استغنى عن الله ، فلم يُطِعْه ، أو استغنى بالدنيا عن الآخرة .

ونزلت آية المدح فى أبى بكر الصديق ؛ لأنه أنفق مالَه فى سبيل الله ، وكان يشترى مَنْ أسلم من العبيد ويَعْتِقهم .

وقيل : نزلت فى أبى الدحداح ؛ وهذا ضعيف ؛ وإنما أسلم أبو الدَّحْدَاح بالمدينة .

وقيل : إن آية الذم نزلت فى أبى سفيان بن حَرْب ؛ وهذا ضعيف لقوله : سنُيَسِّره للعسرى . وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك .

(ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى[4]) : بتشديد الدال من الوداع . وقرىء بتخفيفها ؛ بمعنى ما تركك . والوداع مبالغة فى الترك . وقد قدمنا فى مواضع أن معنى قلى أى أبغض .

---

(١) الليل : ٥ (٢) الليل : ٦ (٣) الليل : ٨ ، ٩
(٤) الضحى : ٣

وسببُ نزول هذه الآية إبطاء جبريل بالوَحْى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قيل : إن محمدا قَلَاه ربه .

(ما أَدْرَاكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ[1]) : هذا تعظيم لها ، وحق لها أن تعظَّم ، وهى من خصائص هذه الأمة ، وهى تنتقل فى العام كلّه . وفى الحديث : "التمسوها فى العَشْر الأَوَاخر من رمضان". وعند ابن عباس أنها ليلة سبع وعشرين . وأخذ ذلك من كلمات هذه السورة إلى قوله[2] : هى .

وقيل: إذا وافق إفراد العشر الأواخر من رمضان ليلة الجمعة فهى ليلةُ القدر . والصحيح أنها من الخفيات السبع ؛ وهى الولى فى خلقه . والاسم الأَعْظَم فى الأسماء ؛ وغضبه فى معصيته ؛ ورضاه فى طاعته ؛ وساعة الجمعة فى اليوم كلّه ؛ والصلاة الوسطى فى الصلوات . كلُّ ذلك حرصا على اتباع الأوامر واجتناب النواهى .

(ما تَفَرَّقَ الذين أُوتوا الكتابَ إلّا مِنْ ما جاءَتْهم البيِّنَةُ[3]) ؛ أى ما اختلفوا فى نبوة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم إلّا مِنْ بعد ما علموا أنه حق . ويحتمل أنْ يريد تفرّقهم فى دينهم ، كقوله[4] : « ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلِفَ فيه » . وإنما خصّ الذين أُوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم فى أول السورة ؛ لأنهم كانوا يعلمون صحةَ نبوةِ نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم بما يجدون فى كتبهم من ذكره .

(ما أُمِرُوا[5]) : معناه ما أمروا فى التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله ، ولكنهم

---

(١) القدر : ٢ (٢) هى حتى مطلع الفجر (آية ٥) من سورة القدر .
(٣) البينة : ٤ (٤) هود : ١١٠ (٥) البينة : ٥

حرّفوا وبدّلوا . ويحتمل أن يكون المعنى ما أُمروا فى القرآن إلا بعبادة الله ، فلأى شىء ينكرونه ويكفرون به ؟

(مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ[1]) : المثقال : هو الوزن . والذرة : النملة الصغيرة . والرؤية هنا ليست برؤية بصر ؛ وإنما هى عبارة عن الجزاء . وذكر الله مثقال الذرة تنبيها على ما هو أكثر منه من طريق الأولى ؛ كأنه قال : مَنْ يعمل قليلا أو كثيرا . وهذه الآية هى فى المؤمنين ؛ لأن الكافر لا يجازَى فى الآخرة على حسناته ؛ إذ لم تقبل منه . واستدل أهلُ السنة بهذه الآية على أنه لا يخلّد مؤمن فى النار ؛ لأنه لو خلّد لم يَرَ ثوابًا على إيمانه ، وعلى ما عمل من الحسنات .

وروى عن عائشة أنها تصدقت بحبّة عِنب ، فقيل لها فى ذلك ؛ فقالت : كم فيها من مثقال ذرة . وسمع رجل هذه الآية عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : حسبى ، لا أبالى ألّا أسمع غيرها .

(مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَهُ[2]) : هذا على عمومه فى حق الكفار . وأما المؤمنون فلا يجزون بذنوبهم إلا بستّة شروط : وهى أن تكون ذنوبهم كبائر . وأن يموتوا قبل التوبة منها . وألا تكون لهم حسنات أرجح فى الميزان منها . وألّا يشفع فيهم . وألّا يكونوا ممن استحق المغفرة بعمل كأهلِ بَدْر ؛ الحديث : لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتُم فقد غفرتُ لكم . وألّا يعفو الله عنهم ؛ فإن المؤمن العاصى فى مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له .

---

(١) الزلزلة : ٧ . (٢) الزلزلة : ٨

(ما فى القبور . وحُصِّلَ ما فى الصُّدُور[1]) : عبارة عن البعث ، وجَمْع ما فى الصحف . وأظهر مُحَصَّلا ، ومُيِّزَ[2] خيره من شَرِّه .

(مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُه[3]) : هو جمع ميزان ، أو جمع موزون . وميزان الأعمال يوم القيامة له لسانٌ وكفّتان وعمود ، وتُوزَن فيه الأعمال . والخفة والثقل متعلقة بأجسام ، إما صحف الأعمال أو ما شاء الله . وقالت المعتزلة : الميزان عبارة عن العدل فى الجزاء .

فإن قلت : يفهم من قوله : ونَضَع الموازين ـ أنها جماعة لكل أحد ميزان ، فإن كان فلا إشكال ، وإن كان واحدا فما معنى الجمع ؟

فالجواب أنه صحّ أنه ميزان واحد ؛ وإنما جمع لما فيه من كفّتين ولسان وعمود .

قال الغزالى والقرطبى : ولا يكون الميزان فى حق كل أحد ؛ فالسبعون ألفاً الذين لا يدخلون الجنة بغير حساب لا يأخذون صحفا ، ولا يرفع لهم ميزان .

وروى الترمذى ـ وحسّنه ـ حديث : « يُصاح برجل من أمتى على رءوس الخلائق ، ويُنشر عليه تسعة وتسعون سجلّا ، كلّ سجل مثلُ مَدّ البصر ، ثم يقول: أتُنكر مِنْ هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا ، يا رب . فيقول : ألكَ عُذْر ؟ فيقول : لا ، يا رب . فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنةً ، وإنك لا ظلم عليك اليوم . فيخرج له بطاقة فيها أشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فيقول : احضر وزنك . فيقول : يا رب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا تُظلم ؛ فتُوضع السجلاتُ فى كفة والبطاقة فى كفة ،

---

(١) العاديات : ٩ ، ١٠ (٢) والقرطبى : ٢٠ ـ ١٦٣ (٣) القارعة : ٦

فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء».

فانظر يا أخي عظيم فضل الإقرار ، وقُبْح الإنكار فيمن أنكر أفعاله ، حتى تشهدَ عليه جوارِحُه ، اللهم إنا مقرّون بأنا مطيعون عدوَّك إبليس الذى أبْلَسْته[1] من عدم طاعته لأبينا آدم ، ولا حيلة لنا بالفرار مع غوايته إلا بتوفيقك، فثبِّتْنا على عصيانه هنا ويوم الوقوف بين يديك ؛ فإنك تعلم أنّا لا نعصيك بجَهْلنا بمعصيتك ، ولا نتعرض لعقوبتك ؛ وإنما جهلنا قَدْرَك ؛ فمن ينقذنا من عقوبتك إن عاقبتنا ؟ ومَنْ يوصلنا رحمتك إن قطعتنا ؟ وبحبل من نعتصِمُ إن طردتنا وأخجلتنا من الوقوف بين يديك ؛ إذ ليس لنا حجة تجاحظ عنا غير رحمتك التى أعدَدْتها لعصاة عبادك ، وقد بلغَنا عنك أنك تقول لعبد من عبادك : فأى الأمرين أَحَبَّ إليك أن أجزيك بعملك أم بنعمتى عليك ؟ فيقول : يا رب ، أنت تعلم أنى لم أعصك . فتقول : خُذُوا عبدى بنعمةٍ من نعمى ، فما تبقى له حسنة إلا استغرقتها تلك النعمة . فيقول : يا رب ، بنعمتك ورحمتك ، هذا حالُ من لم يَعْصِكَ يتعلق برحمتك ، فكيف حال مَنْ لا يجد فى صَحيفته حسنةً ، لكن جودكَ يَعُمّ المفاليس .

قال بعض المحبين : رأيت أبى يزيد بعد موته فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه ، وقال : بأى عمل قدمت إلى حضرتى ؟ وبأى وسيلة توسلتَ إلى رحمتى ؟ فكلما ذكرتُ شيئا من طاعته قابلنى بجزء من نعمته ، حتى اضمحلّت أعمالى ، وفنيت أقوالى ، وعظمت حَيْرتى ، واشتدت كُرْبَتى ، فقلت : يا رب ، جئتك بك إليك ؛ فنادتنى الملائكة من سائر جهات العرش :

---

(١) فى القاموس : أبلس : يئس ، وتحير ، ومنه إبليس ، أو هو أعجمى .

الآن وصلت . هذا حال أبي يزيد الذي ترك ما يريد لما يريد ، فكيف حال مَنْ خالف أمرَ مولاه في كل ما يريد .

وقال بعضهم : رأيتُ سفيان الثوري بعد موته في المنام ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني بين يديه ، فرأيت ذُلَّ العبودية ، وعِزَّةَ الربوبية ، فليتني لم [١٨٢ ب] أبرح . ثم أمر بي إلى الجنة . فأقبلت أمشي بين أنهارها وأشجارها لا أسمع حِسّاً ولا أرى شخصا ، فإذا النداء : يا سفيان . قلت : لبيك ! لبيك ! فقال : هل كنت إلا عبداً في الدنيا تؤثرنا على مَنْ سِوَانا ؟ فقلت : أنت أعلم يا ربِّ . فلم أزَلْ أمشي حتى استوحشتني الحورُ العين .

فإن قلت : ما معنى هذا الوقوف وهذا الحساب هنا ، وإنما يكون في الدار الآخرة ؟

فالجواب : هذا هو العرض الذي يُعرض فيه العبد على ربه بعد مفارقة جسده ، وحينئذ يبدو له منزله ، وما أعدَّ الله له ، يشهد لذلك الحديث لعائشة : ذلك العرض ؛ ومَنْ نوقش الحساب عُذِّب . والكلام هنا طويل ، ليس هذا محل بسطه .

(مَنْ يؤمن بربه فلا يخافُ بَخْساً ولا رَهَقا[1]) : هذا من كلام الجن الذين أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن مسعود : كنّا مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِّعاب ، فقلنا : استُطير واغتيل ، فبتنا بِشَرِّ ليلة بات بها قومٌ ؛ فقلنا له : يا رسول الله ، ما الذي أصابك ؟ فقال : أتاني داعٍ من الجن ،

---

(١) الجن : ١٣

فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن ، فقال : انطلقوا بنا ، فإذا آثار نيرانهم ، وسألوا الزاد فقال : لكم كل عظم ذُكر اسمُ الله عليه يقعُ فى أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكلّ بعْر علفٌ لدوابكم . ثم قال صلى الله عليه وسلم : فلا تستجمروا بها ، فإنها طعامُ إخوانكم من الجن .

فإن قلت : يُفهم من هذه الآية ، ومن قوله تعالى[1] : « يُجِرْكُم من عذابٍ أليم » — أنه لا ثواب للجن غير النجاة من العذاب .

والجواب من وجهين :

أحدها أن الثواب مسكوت عنه . والثانى أن ذلك من قول الجن . ويجوز أن يكونوا لم يطّلعوا إلا على ذلك ، وخفى عليهم ما أعدّ الله لهم من الثواب ؛ ولذلك قيل : إن من الجن مقرّبين وأبرارا ، كما أن من الإنس كذلك . واختلف هل يكونون مع المؤمنين فى الجنة ويرون ربنا كالمؤمنين ؟ فالصحيح أنهم فى رَبض[2] الجنة . والرؤية خاصة بالإنس .

(مَاعُون[3]) : قيل الزكاة . وقيل المال بلغة قريش . وقيل الماء . وقيل : كلّ ما يتعاطاه الناس بينهم ، كالآنية ، والفأس ، والدّلو ، والمقص . وقد سئل صلى الله عليه وسلم : ما الشىء الذى لا يحل منعه ؟ فقال : الماء والنار والملح . وفى بعض الطرق : الإبرة والخميرة .

(مَسَد[4]) : هو اللّيف . وقيل : المسد الحَبْل المُحْكَم فَتْلا من أى شىء .

---

(١) الأحقاف : ٣١ (٢) فى القاموس : الربض : سور المدينة ، والناحية .

(٣) الماعون : ٧ ، وهو فى الآية معرف : الماعون (٤) المسد : ٥

كان ؛ تقول : مسدتُ الحبل ، إذا أحكمت فَتْله . وامرأة ممسودة ، إذا كانت ملتفّة الخَلْق ليس فى خَلْقها اضطراب .

(مَنُون[١]) : له معنيان : الموت والدهر . ومنه قول قريش فى رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] : « إنما هو شاعر نتربّص به رَيْبَ المنون » ، فيهلك كما هلك مَنْ كان قبله من الشعراء ؛ كزهير ، والنابغة .

(مؤمن) : مصدق ، والله تعالى مؤمن ، أى مصدق ما وعد به ، ويكون من الأمان ؛ أى لا يأمن إلا من أمنه الله . وقول إخوة يوسف[٣] : « وما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لنا » ؛ أى مصدق لمقالنا .

(مُفْلحون[٤]) ؛ أى باقون ؛ والفلاح الظفر أيضا ، ثم قيل لكل من عقل وحزم وتكافلت فيه خلالُ الخير قد أفلح .

(مصلحون[٥]) : يحتمل أن يكون جحوداً للكفر ؛ لقولهم : آمنّا ، أو اعتقاداً أنهم على صلاح .

(مستهزئون[٦]) : ساخرون ، فجاوبهم الله[٧] بأنه يستهزىء بهم ، أى يُمْلى لهم ، بدليل قوله[٧] : ويَمُدُّهم .

وقيل : يفعل بهم فى الآخرة ما يظهر لهم أنه استهـــزاءٌ بهم ؛ كقوله فى الحديد[٨] : « ارْجِعُوا وراءكم فَالْتَمِسُوا نُوراً ... » الآية .

وقيل : إنما سمى استهزاء بهم تسمية للعقوبة باسم الذنب ، كقوله : ومكَرُوا

---

(١) الطور : ٣٠ (٢) الآية : أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون .
(٣) يوسف : ١٧ (٤) البقرة : ٥ (٥) البقرة : ١١
(٦) البقرة : ١٤ (٧) فى الآية التى بعدها من السورة ، وهى : الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . (٨) الحديد : ١٣

ومَكر الله ، وإنما جاء[1] « مستهزئون » بجملة اسمية مبالغة وتأكيدا، بخلاف قولهم : آمَنَّا ـ فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم .

(مَشَوْا فيه[2]) : إن عاد الضمير إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم . وإن رجع إلى المتقين فالمعنى أنهم يلوحُ لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان .

فإن قيل : لم قال مع الإضاءة : كلّما ـ ومع الإظلام : إذا ؟

فالجواب أنهم لما كانوا حراصا على المشى ذكر معه كلما ؛ لأنها تقتضى التكرار [١٨٣ ا] والكثرة .

(مُتَشَابِهاً[3]) : يحتمل أن يشبه ثَمَرَ الدنيا فى جنْسه . وقيل : يشبه بعضُه بعضا فى المنظر ، ويختلف فى المطعم . وأما قوله[4] : « كِتَاباً مُتَشابِهاً » ـ فمعناه يصدق بعضه بعضا ، لا اختلاف فيه ولا تناقض ، كما قدمنا .

(مُطَهَّرة[5]) : أى من الحيض والبول والغائط ؛ فهن مطهّرات خَلْقاً وخُلقاً ، محبّبات ومحبات ، مسلّمة من العلل والعيوب .

(مُزَحْزِحِهِ[6]) : أى مبعده .

(مُخلِصُون[7]) : الإخلاص فى العمل : ألّا يُطلب به غير الله . وفى هذه الآية استدلال باستعمال النية فى الأعمال . وبهذا أمر الله أهْلَ المِلل كلها ؛ قال تعالى[8]: «وما أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصين له الدِّين» ؛ لأن الإخلاص

---

(١) فى الآية : نحن مستهزئون .
(٢) البقرة : ٢٠
(٣) البقرة : ٢٥
(٤) الزمر : ٢٣
(٥) البقرة : ٢٥
(٦) البقرة : ٩٦
(٧) البقرة : ١٣٩
(٨) البينة : ٥

مطلوب فى التوحيد وفى الأعمال ، وضدّ الإخلاص فى التوحيد هو الشرك الجلىّ ، وضد الإخلاص فى الأعمال هو الشّرك الخفى ، وهو الرياء ؛ قال صلى الله عليه وسلم : الرياء هو الشرك الأصغر . وفى الحديث القدسى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملًا أشرك فيه معى تركتُه وشريكه .

واعلم أنّ الأعمال على ثلاثة أنواع : مأمورات ، ومنهيات ، ومُباحات . فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارةٌ عن خلوص النية لوجه الله ، بحيث لا يَشُوبُها نية أخرى ؛ فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول ؛ وإن كانت النيةُ لغير وَجْهِ الله مِنْ طلب منفعة دنياوية ، أو مدح ، أو غير ذلك ، فالعملُ رِياء مَحْض مردود .

وإن كانت النيةُ مشتركة ففى ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال .

وأما المنهيات فإنْ تركها دون نِيّة خرج عن عهدتها ولم يكن له أجْرٌ فى تركها. وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر .

وأما المُبَاحات كالأكل والجماع وغير ذلك فإن فعلها بغير نيّة لم يكن له أجر، وإن فعلها بنية وَجْهِ الله كان له فيها أجر ؛ فإن كان مباح يمكن أن يصير قُرْبة إذا قصد به وجْهُ الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ، ويقصد بالجماع التعفّف عن الحرام .

(مُصِيبَة[١]) ، ومصابة ومصوبة : الأمر المكروه يحلّ بالإنسان فى نفسه أو ماله أو ولده .

(مُسَوَّمَة[٢]) : راعية ؛ من قولك : سام الفرسُ وغيره إذا جال فى المسارح .

---

(١) البقرة : ١٥٦ (٢) آل عمران : ١٤

وقيل : المُعْلَمة فى وجوهها ؛ فهو من السيما بمعنى العلامة . وقيل : المُعَدَّة للجهاد ، وقد قدمنا أنّ المسوَّمة فى حجارة قَوْمِ لوط المكتوب عليها أسماء أصْحَابها .

(محرراً[1]) : أى عتيقاً مِنْ كلّ شغل إلاّ خدمة المسجد . وقائل هذه المقالة حنّة ـ بالنون ـ امرأة عمران ، وهى أم مريم .

(مُصَدِّقاً بكلمةٍ من الله[2]) : أى مصدّقاً بعيسى عليه السلام ، مؤمناً به . وسُمّى عيسى كلمة الله ؛ لأنه لم يوجد إلا بكلمةِ الله وَحْدَها ، وهى قوله : كُنْ ، لا بسببٍ آخر ، وهو الوالد كسائر بنى آدم .

(مُمْتَرِين[3]) : شاكين .

(مُوتُوا بغَيْظِكم[4]) : تقريع وإغاظة . وقيل دعاء .

(مُسَوِّمِين[5]) ـ بفتح الواو وكسرها ، أى معلَمِين ، أو مُعْلِمين خيلهم أو أنفسهم . وكانت سيما الملائكة يوم بَدْر عمائم بيضاء ، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء . وقيل : كانوا بعمائم صفر . وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب . وقيل : كانوا على خيل بُلق .

(ماجعله اللهُ إلا بشْرَى[6]) : الضمير عائد على إنزال الملائكة والإمداد بهم .

(مُضَاعَفة[7]) : كانوا يزيدون فى الرّبا عاماً بعد عام .

---

(١) آل عمران : ٣٥ (٢) آل عمران : ٣٩ (٣) آل عمران : ٦٠
(٤) آل عمران : ١١٩ (٥) آل عمران : ١٢٥ (٦) آل عمران : ١٢٦
(٧) آل عمران : ١٣٠

(مُؤَجَّلاً[1]) نُصب على المصدر[2] ؛ لأن المعنى كتب الموت كتاباً . وقال ابن عطية : نصب على التمييز .

(مُتَوَكِّلِين[3]) : التوكلُ هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حِفظها بعد حصولها ، وفي رَفع المضرّات ورَفعها بعد وقوعها ؛ وهو من أعلى المقامات ، لوجهين : أحدهما قوله تعالى[4] : «إن الله يُحِبُّ المُتَوَكِّلِين» . والآخر الضمان الذي في قوله تعالى[4] : «ومَنْ يَتَوَكَّلْ على الله فهو حَسْبُهُ» .

وقد يكون واجباً لقوله[5] : «وعلى الله فَتَوَكَّلُوا إن كُنتُمْ مؤمنين» ، فجعله شرطاً في الإيمان ولظاهر قوله[6] : «وعلى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون» ؛ فإن الأمر محمول على الوجوب .

واعلم أنّ الناسَ في التوكل على ثلاث مراتب :

الأولى - أن يعتمد العبد على ربه ، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشكّ في نصيحته له وقيامه بمصالحه .

والثانية - أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه ، فإنه لا يعرف سواها ولا يلجأ إلا إليها .

والثالثة - أن يكون العبد مع ربه كالميّت بين يدي الغاسل ؛ قد أسلم إليه نفسه بالكلّية ، فصاحِبُ الدرجة الأولى له حظّ من النظر لنفسه، بخلاف صاحب الثانية ، وصاحب الثانية له حظٌّ من المراد والاختيار ، بخلاف صاحب الثالثة .

---

(١) آل عمران : ١٤٥ (٢) هذا الإعراب لكلمة كتابا لا لكلمة مؤجلا . والآية : وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا . . . (٣) آل عمران : ١٥٩
(٤) الطلاق : ٣ (٥) المائدة : ٢٣ (٦) آل عمران : ١٦٠

وهذه الدرجات مبنيةٌ على التوحيد الخاص ، فهي تَقْوَى بقوّته ، وتضعف بضعفـه .

فإن قلت : هل يشترط فى التوكل تَرْكُ الأسباب أم لا ؟

فالجواب أنّ الأسبابَ على ثلاثة أقسام :

أحدها سبب معلوم قطعاً قد أجراه الله ، فهذا لا يجوز تَرْكُهُ ، كالأكل لدَفْعِ الجوع ؛ واللباس لدفع البرد. ولا يجوز تركُ ما يُؤْذِي النفس ولااستعمالُ إذايتها ، وقد سئل الشيخ عزّ الدين بن عبدالسلام عمن ترك الأكل حتى أضعف النفس عن الصلاة والنكاح ، وترك الواجبات . فأجاب بأنه لا يجوز استعمال ما يخلُّ بالواجبات .

والثانى سبب مظنون ؛ كالتجارة وطلب المعايش وشِبْه ذلك ، فهذا لا يقدح فِعْلُه فى التوكل ؛ بل يجب استعماله ؛ وهو أفضل من العبادة ؛ لأن طلب الحلال فريضةٌ على كل مسلم . وفى الحديث : "مَنْ بات تعبا من الحلال بات مغفوراً له ". والاشتغال بالكسب لإغناء النفس أفضلُ من العبادة واحتياجها[١] ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى رجل قالوا له فيه : ما أطول عبادةَ فلان ! فقال : مِنْ أين قُوته ؟ قالوا : مِنْ عندنا يارسول الله . قال : أنتم أعبد منه .

وحكاية الثلاثة نفر المتكفين فى المسجد ، وإخراج عُمر أحدهم لكونه كان يسأل الناس معلومةٌ[٢] .

ولمّا بنى إبراهيم عليه السلام البيتَ صلى فى كل رُكْنٍ منه ألف ركعة ، فأوحى الله إليه : رَغيف فى بطن جَوْعان[٣] أفضلُ عندى من عبادتك هذه .

---

(١) أى احتياج النفس . (٢) أى الحكاية . (٣) ل ا : جيعان .

وفي الحديث إن الله يحبّ المؤمن المحترف ؛ فوصفه بالإيمان ؛ إذ التوكلُ من أعمال القلب لا من أعمال اليد . ويجوز تَرْكُهُ لمن قوي على ذلك .

والثالث سبب موهوم بعيد ؛ وهذا يقدحُ فعله في التوكل . ثم إن فوق التوكل التفويض ، وهو الاستسلام لأمر الله بالكلّية ؛ فإن المتوكل له مُرادٌ واختيارٌ ، وهو يطلبُ مرادَهَ باعتماده على ربه . وأما المفوّض فليس له مراد ولا اختيار ؛ بل أسند الاختيارَ إلى الله ؛ فهو أكمل أدباً مع الله .

(مُنَادِياً[١]) : هو النبي صلى الله عليه وسلم يَدْعُو إلى الله ، فمن أجابه دخل دارهَ وأطعمه من مائدته ، ومن لم يُجِبْهُ لم يدخلها ولم يأكل من مائدته .

(مُحْصَنَات[٢]) : الإحصان يَرِدُ على أوجه : العفّة[٣] : « والذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ » . والمراد بهن ذوات الأزواج . والتزوج[٤] : « فإذا أُحْصِنَّ فإن أَتَيْنَ بفاحشةٍ » . والحرية[٤] : « نصفُ ما على المحصنات مِنَ العذاب » ؛ فاقتضت الآية حدّ الأَمَة إذا زَنَتْ بعد أن تزوجت . ويؤخذ حدُّ غير المتزوجة من السنّة ، وهو مثل المتزوجة ؛ وهذا على قراءة أُحْصِنَّ بضم الهمزة وكسر الصاد . وقرئ بفتحهما ؛ ومعناه أسلمن . وقيل : تزوّجْنَ .

(مُسَافِحات[٤]) : أي غير زانيات ؛ لأن السفاح هو الزنى ؛ وهو منصوب على الحال ؛ والعامل فيه « فانكحوهن » .

(مختالاً[٥]) : اسم فاعل ، وزْنُه مفتعل من الخيلاء ، وهي الكبرى والإعجاب .

(مُلْكاً عَظِيماً[٦]) : الضمـــــير يعود على آل إبراهيم ؛ وهم : يوسف وداود ، وسليمان .

(مُقيتاً[٧]) : قيل قديراً . وقيل حفيظاً . وقيل الذي يقيت الحيوان ؛ أي يرزقهم القوت .

---

(١) آل عمران : ١٩٣ (٢) النساء : ٢٤ (٣) النور : ٤ (٤) النساء : ٢٥
(٥) النساء : ٣٦ (٦) النساء : ٥٤ (٧) النساء : ٨٥

(مؤمنة[1]) : نعت للرقبة المعتوقة ؛ ولذلك أجمع العلماء عليه هنا واختلفوا في رقبة الظهار وكفارة اليمين كما قدمنا .

(متعمداً[2]) : أي يقصد القتل قصدا عازماً ، فأمّا إن قصد التحليل فهو كافر ؛ وأما إنْ قصد القتلَ مع اعتقاده التحريم فهو عاصٍ في المشيئة عند الأشعرية .

واختلف في القاتل [١٨٤ ا] عمداً إذا تاب هل تُقبل توبتُه أم لا ؟ وكذلك اختلفوا إذا اقتُصّ منه هل يسقط عنه العقاب في الآخرة أم لا ؟ والصحيح السقوط لقوله صلى الله عليه وسلم : مَنْ أصاب ذَنْباً فعُوقب به في الدنيا فهو له كفّارة . وبذلك قال جمهور العلماء .

(مُتَشابِهات[3]) : قد قدمنا حكم المتشابه في القرآن ، وأنه على ثلاثة أضرب : منه ما تعلّق به أهل الزَّيْغ من خارجي القبلة ؛ نحو قوله سبحانه[4] : « فوربِّك لنسألنّهم أجمعين » . مع قوله تعالى في الآية الأخرى[5] : « فيومئذٍ لا يُسأل عن ذَنْبِه إنسٌ ولا جانٌّ » . ومنه ما تعلّق به أهلُ البِدْعة مِنْ أهل القِبْلَة من أصول المسائل الفقهيـــة ، نحو قوله سبحانه[6] : « لا تُدْرِكُه الأبصارُ » ، مع قوله تعالى[7] : « وجوهٌ يومئذ ناضِرة » . ونحو قوله سبحانه[8] : « وإذ تَخْلُقُ مِنَ الطين كهيئة الطَّيْر » ، وقوله[9] : « وتَخلقون إفْكاً » ، مع قوله تعالى[10] : « هل مِنْ خَالقٍ غَيْرِ اللهِ يرزُقكم » . وقوله تعالى[11] : « واللهُ خلقكم وماتعمَلُون » .

---

(١) النساء : ٩٢ — (٢) النساء : ٩٣ — (٣) آل عمران : ٧
(٤) الحجر : ٩٢ — (٥) الرحمن : ٣٩ — (٦) الأنعام : ١٠٣
(٧) القيامة : ٢٢ — (٨) المائدة : ١١٠ — (٩) العنكبوت : ١٧
(١٠) فاطر : ٣ — (١١) الصافات ٩٦

الثالث ما تعلق به المخالف من مسائل الفروع فى الأحكام الفقهية ، نحو قوله سبحانه[1] : « وثيابَكَ فَطهِّرْ » ، حيث احتجوا به فى إزالة النجاسة بكل مائع غير الماء مع قوله[2] : « وأنزَلْنا من السماء ماءً طَهُورا » . وقوله[3] : « وينزلُ عليكم من السماء ماء ليطهِّركم به » .

(مُسْتَضْعَفِين فى الأرض[4]) : اعتذار عن التوبيخ الذى وبختهم الملائكة ؛ أى لم تقدروا على الهجرة . وأما قوله[5] : « والمستَضْعَفِين من الرجال والنساء والوِلْدَان » فهم الذين حبَسهم مشركو قريش بمكة ليَفْتِنوهم عن الإسلام .

(مُرَاغَما[6]) ؛ أى موضعا ومتحوَّلا يرغم عدوه بالذهاب إليه .

(مُحِلِّى الصَّيْد[7]) : نصب على الحال[8] من الضمير فى لكم .

(مُنْخَنِقة[9]) : هى التى تخنق بحبل وشبهه .

(مُتَجانِفٍ لإثم[9]) : هو بمعنى غير باغ ولا عاد .

(مُكَلِّبِين[10]) : أى معلمين للكلاب الاصطياد . وقيل معناه أصحاب كلاب؛ وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل فى « عَلَّمْتُمْ » . ويقتضى قوله : علمتم ومكلّبين — أنه لا يجوز الصيد إلا بجارح معلم ، لقوله[10] : « ما علمتم من الجوارح مكلِّبين » ، على القول الأول ؛ ولتأكيده ذلك بقوله[10] : تعلمونهن .

---

(١) المدثر : ٤ (٢) الفرقان : ٤٨ (٣) الأنفال : ١١
(٤) النساء : ٩٧ (٥) النساء : ٧٥ (٦) النساء : ١٠٠
(٧) المائدة : ٢ (٨) المنصوب فى الآية هو كلمة « غير » : أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم . (٩) المائدة : ٣
(١٠) المائدة : ٤

(مُتَرَدِّيَة[١]) : هى التى تردّت من جبل أو حائط أو بئر وفاتت ولم تدرك ذكاتها .

(مُقَدَّسَة[٢]) : مطهرة ؛ يعنى أرض بيت المقدس . وقيل الطور . وقيل دمشق .

(مُهَيْمِناً[٣]) : ابن عباس . قيل : شاهدا . وقيل مؤتمنا .

(مُقيم[٤]) : أى دائم حيثما وقع .

(مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ[٥]) : يعنى التوراة ، لأنها قبله ؛ والقرآنُ مصدِّقٌ للتوراة والإنجيل ، ومصدقاً عطف على موضع قبله : فيه هُدًى ونُورٌ ؛ لأنه فى موضع الحال .

(مُقْتَصِدَةٌ[٦]) : أى معتدلة ، ويُراد به مَنْ أسلم منهم ؛ كعبد الله بن سلام . وقيل : من لم يعاد الأنبياء المتقدمين .

(مُنْتَهُونَ[٧]) : توقيف يتضمّن الزَّجْرَ والوعيد ؛ ولذلك قال عمر : انتهينا ، انتهينا .

(مُسَمًّى عِنْده[٨]) : إنما جعله عنده ؛ لأنه استأثر بعلمه .

(مُبْلِسُون[٩]) : أى متحيِّرون ساكتون ، قد انقطعت حجّتُهم ؛ لأنهم تركوا الاتعاظ بما ذُكِّروا به من الشدائد ؛ وفتح عليهم أبواب الرزق والنعيم ؛ ليشكروا عليها فلم يشكروا ؛ فأخذهم الله .

---

(١) المائدة : ٣ (٢) المائدة : ٢١ (٣) المائدة : ٤٨
(٤) المائدة : ٣٧ (٥) المائدة : ٤٦ (٦) المائدة : ٦٦
(٧) المائدة : ٩١ (٨) الأنعام : ٢ (٩) الأنعام : ٤٤

(مُخرِجُ الميّتِ من الحى[١]) : معطوف على « فالق »[١] . وفيه إشارة إلى إخراج الحب اليابس من النبات والشجر . وقال ابن عباس وغيره : بل ذلك كله إشارةٌ إلى إخراج الإنسان الحى من النطفة الميتة ، وإخراج النطفة الميتة من الإنسان الحى ، وكذلك سائر الحيوان .

فإن قلت : ما وَجهُ إتيان هذه الآية بلفظ الاسم ، بخلاف آل عمران والروم ؟

فالجواب لأنّ بناءها على آية بُنيت على اسم الفاعل ، وإن كان خبرا ، وهو قوله تعالى[١] : « إنّ الله فالقُ الحَبِّ والنَّوَى » ؛ ثم أعقب ذلك بقوله[٢] : فَالِقُ الإصباح وجاعل[٣] الليل سكنًا ؛ فلما اكتنفت الآية اسما فاعلين جىء فيها باسم الفاعل ؛ ليتناسب ذلك ، فعطف : « ومخرج » على « فالق » ، إذ هو معطوف على ما عطف عليه ؛ فهو معطوف عليه ، ثم جىء بعد باسم فاعل ، وهو قوله : فالق الإصباح ؛ فتناسب هذا ، ولم يقع فى غيرها من السور مثل هذا ؛ فلذلك لم يعدل إلى اسم الفاعل . والله أعلم .

فإن قلت : فما بال قوله : يُخرج الحى من الميت فى هذا [١٨٤ ب] الوضع ورد بالفعل وقد اكتنفه قوله : فالق الحب والنوى . ومخرج الميت من الحى ؛ وهما اسما فاعلين ؟

والجواب عن ذلك ما قاله الزمخشرى[٤] : لأنّ فَلْق الحب والنّوَى بالنبات والشجر النامين[٥] من جنسِ إخراج الحى من الميت ، لأن الناس فى حكم

---

(١) الانعام : ٩٥ (٢) الانعام : ٩٦ (٣) الآية : وجعل الليل سكنا . وما ذكره قراءة كما فى الكشاف . (٤) الكشاف : ١ — ٣٠٢

(٥) والكشاف .

الحيوان . ألا ترى قوله : يحيى الأرض بعد موتها . وذكر هذا عقب قوله : ويخرج الميت من الحى لأنه معطوف على قوله فالق الحب والنوى كما تقدم[1] ، وهذا من حسناته .

(مُشْتَبِهاً وغَيْرَ مُتَشَابِهٍ[2]) : يحتمل أن يكون الاشتباهُ فى الأوراق أو فى الثمر ، ويتباين فى الطعم ، ويحتمل أن يكون الاشتباه فى الطعم وتتباين فى المنظر . وهذه الأحوال موجودة بالاعتبار فى أنواع الثمرات . وأمر اللهُ بالنظر إلى أول ما يخرج ضعيفا لا منفعة فيه ، ثم ينتقل من حال إلى حال حتى يتميّع أو ينضج أى يطيب .

فإن قلت : هل لقوله هنا : « مُشْتَبِهاً » معنى غير معنى الآية فى قوله : « مُتَشَابِهاً » ؟

فالجواب : لا فرق بينهما إلا ما لا يعدُّ فارقا ؛ إذ الافتعال والتفاعل متقاربان، أصولُهما الشين والباء . والهاء ، من قولك : أشبه هذا هذا إذا قاربه .

ومثاله ورد فى هذه الآية على أخف التباين ، وفى الثانية على أثقلهما رَعْياً للترتيب المتقرر ، وقد مر نحو هذا فى قوله تعالى[3] : « فمن تَبِعَ هُدَايَ » فى البقرة . وقوله فى طه[4] : « فمن اتّبع هداى » .

وأما سِرُّ خَتْم كلٍّ واحدة بما يليق بها فلسنا نطيلُ بذكره ، ولو تكلمت على سر كل آية وما يليق بها لطال بنا الكتاب ، وحارت بالتأمل فيه الألباب ؛ نفعنا الله بهذا القرآن العظيم ديناً ودُنيا .

(مُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَع[5]) : يعنى الولد فى صلب الأب ، وفى رحم الأم .

---

(١) فى الكشاف : فإن قلت : كيف قال مخرج الميت من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله : يخرج الحى من الميت ؟ قلت : عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل .

(٢) الأنعام : ٩٩ (٣) البقرة : ٣٨ (٤) طه : ١٢٣

(٥) الأنعام : ٩٨

وقيل : الاستقرار فوق الأرض والاستيداع تحتها ؛ لكن من كسر القاف فهو اسم فاعل ومستودع اسم مفعول ؛ والتقدير فمستقر ومستودع ، ومَن فتحها فهو اسم مكان أو مصدر ومستودع مثله ؛ والتقدير على هذا لكم مستقر ومستودع .

(مُتَرَاكِباً[1]) : يعني السنبل أو الرمان ؛ لأن بعضه على بعض .

(مُحَرَّمٌ على أزواجنا[2]) : إنما ذكر محرم حملا على لفظ ما ، وكانوا يقولون فى أجنة البَحِيرة والسائبة ما وُلد منها حيًّا فهو للرجال خاصة ، ولا يأكل منها النساءُ ؛ وما ولد منها ميّتا اشترك فيه الرجالُ والنساء .

(مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ[3]) : فى اللون والطعم والرائحة والحجم . وفى ذلك دليل على أن الخالق مختار مريد .

(مُقَرَّبِين[4]) : عطف على معنى « نَعَمْ » ، كأنه قال : نعطيكم أجراً ونقربكم .

واختلف فى عدد السحرة اختلافا متباينا ، مِنْ سبعين رجلا إلى سبعين ألفاً ؛ وكلُّ ذلك لا أصْل له فى صحة النقل .

(مُلْقِين[5]) : فى تعبيرهم بهذه الجملة الاسمية إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكِّنون فيه . وتأمّل إلى تعبيرهم عن إلقاء موسى فى قولهم : إما أنْ تُلْقِيَ ـ بالفعل ، وكيف لا يحقرون أمْرَ موسى وقد كان معهم من أسباب السحر سبعون وِقْراً ، فلما رأى موسى ما عندهم أوجس فى نفسه خيفة ، فأوحى الله إليه لا تخف إنكَ أنت الأعلى .

---

(١) الأنعام : ٩٩ (٢) الأنعام : ١٣٩ (٣) الأنعام : ١٤١
(٤) الأعراف : ١١٤ (٥) الأعراف : ١١٥

وكذلك المؤمن فى حال النَّزْع يرى ملك الموت بقبض روحه ، ويرى إبليس يقصد إيمانه فيخاف ويحزن ، فينزل الله الملائكة يبشرونه بقولهم : لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون .

يا محمدى ، هذه الآية الشريفة التى أنزلها الله تعالى على نبيك ؛ فلك فيها من البشارة ما لا تحصيه العبارة . وقد قيل فيها من الأقوال فى الاستقامة والبشارة نحو الخمسين قولا ، وقد قال هذه الكلمة المشرفة أربعة نفر ؛ أولهم فرعون قالها اضطرارا ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى .

وقالها المنافق استكباراً فأورثته الدَّرْكَ الأسفل . وقالها قوم يونس افتقاراً فأورثتهم الأمان . وقالها العارف افتخاراً فأورثته البِشارة والأمن من الخوف .

وأعظم من ذلك نزولُ الملائكة عليه ؛ فسبحان مَنْ شرف هذه الأمة الكريمة بخدمة الملائكة لهم ؛ منهم من يستغفر لهم ، ومنهم من يحفظ أرزاقهم وأنفسهم ، ومنهم من يسوقُ إليهم الرياحَ والأمطار ، ومنهم من يقبض أرواحَ الأبرار والفجار .

فإن قلت : هل الخوف والحزن بمعنى ؟

فالجواب أن الناسَ اختلفوا فى الخوف والحُزْن على ثلاثين قولا أو أكثر ؛

فقال جعفر الصادق :

لا تخافوا مِنْ عَزْلِ الولاية ، ولا تحزنوا من كثرة الجناية ، وأبشروا بفضل العناية .

وقيل : لا تخافوا من الجحيم ، ولا تحزنوا من فَوْتِ النعيم ، وأبشروا برؤية الكريم .

وقيل : لا تخافوا خَوْفَ الكفار ، ولا تحزنوا حُزْنَ الفجّار ، وأبشروا بثواب الأبرار .

وقيل : لا تخافوا من كثرة العصيان ، ولا تحزنوا من قلة الإحسان ، وأبشروا بلقاء الرحمن .

وقيل : لا تخافوا من العيوب ، ولا تحزنوا من الذنوب ، وأبشروا بالمطلوب .

وقيل : لا تخافوا من العقاب ، ولا تحزنوا من الحساب ، وأبْشِروا بحسن المآب .

وقيل : لا تخافوا من الشقاوة ، ولا تحزنوا من القيامة ، وأبشروا بحفْظِ الأمانة .

وقيل : لا تخافوا يأهل الفريضة . ولا تحزنوا يأهْلِ السنة ، وأبشروا يأهل النافلة .

وقيل : الخوف لأولياء الله ، والحزن لعباد الله ، والبشارة لمن أطاع الله .

وقيل : لا تخافوا يأهل الصلاة ، ولا تحزنوا يأهل الزكاة ، وأبشروا بأهل الإيمان .

وقيل : لا تخافوا يا طالبي الدنيا ، ولا تحزنوا يا طالبي العُقبى ، وأبشروا يا طالبي المولى .

وقيل : لا تخافوا أيُّها المذنبون ، ولا تحزنوا أيها المطيعون ، وأبشروا أيها المشتاقون .

وقيل : لا تخافوا من السؤال ، ولا تحزنوا من الحال ، وأبشروا بالوصال .

وقيل : لا تخافوا يأهل الملالة ، ولا تحزنوا يأهل الندامة ، وأبشروا يأهل الكرامة .

وقيل : لا تخافوا أيها المريدون ، ولا تحزنوا أيها الصديقون ، وأبشروا أيها المتقون .

وقيل غير ذلك من الأقاويل ، كلها لمن قال : رَبُّنَا اللهُ ثم استقاموا .

فإن قلت : شرط مع هذه الكلمة الاستقامة وأنى لنَيْلها ؟

فالجواب أن « ثُمَّ » على ثلاثة أوجه :

للتقديم ؛ «[1] ثم لَنَحْنُ أَعْلَمُ بالَّذِين هُمْ أَوْلَى بها صِلِيًّا » .

وللتقرير ؛ «[2] ثم كان من الذين آمَنُوا » .

وللترديف ؛ وقد قدَّمْنَاها في حرف الثاء .

وأما الاستقامة فأقربُ ما قيل فيها : استقاموا على طريق الهداية والسنة ، ولا يقدح الميل عنها ومخالفتها مَنِ استغفر وأناب ؛ رزقنا الله التوبة والإنابة .

(مُنْقَلِبُون[3]) : هذا من قول السَّحَرة ، وذلك أن الله تعالى قال له : "يا موسى : إنّ السحرة ألقوا حبالهم وعصيّهم فرأيت منهم السحر العظيم ؛ فألقِ عصاك حتى تنظر إلى قُدْرة الرب الكريم ؛ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مُبين ، فلقف سحْرَ السحرة كله ، فقصد نحو الكفار فاتحاً فاهُ ، ففر الكفار من كل جانب ، ومات منهم ما لا يُحْصَى عددهم ، ثم قصد نحو سرير فرعون ؛ فلما دنا منه

---

(١) مريم : ٧٠ (٢) البلد : ١٧ (٣) الأعراف : ١٢٥

صاح فرعون ونادى : أغِثْني يا موسى ؛ فأخذ موسى عصاه ، فعادت إلى حالتها الأولى ؛ فلما رآها السحرةُ خرُّوا سجَّدا ، وكشف الله لهم حجاب الأرض ؛ فرأوا الثرى ، ورفعوا رءوسهم فنظروا إلى العرش فاشتاقوا لقاء الله ، فقالوا : آمَنَّا بربِّ العالمين ، ربِّ موسى وهارون . فقال لهم فرعون : آمَنْتُم به قبل أنْ آذَنَ لكم ... الآية ؛ فقالوا : لا ضَيْرَ يا فرعون ؛ إنك لا تقطع إلا الأيدى والأرجل ، ولا تقطع المحبة والمعرفة من قلوبنا .

والنكتة فيه أنَّ السحرة كانوا مع الكفر والخيانة ، وأقسموا بعزَّة فرعون ، وقصدوا المعارضة مع معجزة الرسول ، فلما سجدوا سجدةً واحدةً مع هذه الكبائر ، رفع الله لهم حجبَ الأرض والسموات ، وأكرمهم بالإيمان . وأنت يا محمدىّ إذا سجدْتَ له سبعين سنة أو أكثر ، وقصدْتَ بيتَ الله بالتوبة والندامة ، وطهَّرت نفسك من الحدث والخيانة أفتَرَاكَ تحرم ما أعدَّ لك من الكرامة ؟ كلا وعزته ليكشفن لك عن ذاته حتى تتمتع بقُرْبه فى جواره .

(مُبين[1]) : نعت لثعبان ، وقد قدمنا أنه صار كالجبل العظيم ؛ فى هذه الآية سماه ثعبانا ، وفى أخرى حيّة ، وفى أخرى جان ، وفى أخرى عصى ؛ كلّ ذلك تعظيما لها ، وكيف لا وقد أهلكت سبعين ألف وِقْرٍ من السحر ، وسمّى كلمة التوحيد بسبعين اسما ؛ ولذلك أهلكت سبعين سنةً بالكفر . هذه العصى معجزة موسى بكلمة التوحيد الذى هى كلمةُ المولى . اللهم إنا نستودعكها فأحْيِنا عليها ، وأمِتْنا عليها ، وثبِّتْنا عند الحاجة إليها بجاه كلامك ونبيك صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأعراف : ١٠٧

تنبيه

جميعُ الرسل جاءت [١٨٥ ب] بهذه الكلمة المشرفة دون سائر الطاعات ؛ وأول مَنْ شهد بها اللهُ وملائكته ثم الرسل ، قال تعالى[1] : « شَهِدَ اللهُ أنه لا إلهَ إلا هُو والملائكةُ ... » الآية ؛ ثم أمرك بها في قوله[2] : « فإن تَوَلَّوْا فقُولُوا اشْهَدُوا بأنّا مُسْلِمُون » ؛ ولا يبقى في الجنة غيرها والقرآن ، والحمد لله ، والحب لله ، فعليك أيها الأخ بحفظها ، ولا تدنّسها بالمعاصي ؛ وإن قُدِّرَتْ عليك فامْحُها بتوبة ، كالثوب تغسله كلما تدنس ؛ وإن لم تَغْسِل وتوسخ فيوم زينة الحشر ما تلبس ؟ وحرّض عليها من أحببته أو تعلق بك .

فإن قلت : لأي شيء ذكر الشهادة على نفسه ، مع أن الشهادة من النفس لا تُقبل ؟

فالجواب أنّ الله لما بعث نبيه محمداً بالرسالة ، وأمرهم بتوحيد الله ، فقال : "قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا" ؛ فقالوا : مَنْ يشهدُ أنكَ رسولُ الله ؟ قال لهم : أي شيء أكبر شهادة ؟ فقالوا : الله أكبر شهادة ؛ فأنزل الله الآية .

ومعناها شهد شَهادةً فرضيها ، وأمر الخَلْقَ بها بعد شهادته لنفسه في أَزَلِه ؛ ففيها رجاءٌ لهذه الأمة ، وذلك أنه مدح أهل الطاعة على اختـــــلاف أحوالهم من التائبين والعابدين ، وغيرهم ، يُرَجّى من لم يكن له عَمَل غير الشهادة ، وقال[3] : « إن الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصالحاتِ كانت لهم جناتُ الفِرْدَوْس... إلى قوله[4] : لِكَلِماتِ ربي . وهي شهادة أن لا إله إلا الله .

---

(١) آل عمران : ١٨ (٢) آل عمران : ٦٤ (٣) الكهف : ١٠٧

(٤) في الآية ١٠٩ من السورة نفسها .

فإن قلت : لم ذكر النفى قبل الإثبات ؟

والجواب : لإ كمال المدحة ؛ لأن قول الرجل : لا عالم فى البلد إلا فلان أمدح من قولك : فلان عالم فى البلد .

وأيضا فالنجاةُ من النار أَوْلى من دخول الجنة ، فأمر الله أوّلا بما ينجى من النار ، وهى البراءة من عبادة الأصنام ، ثم بالتوحيد الذى يدخل الجنة .

وأيضا فنَفْى الإلهية عن الأصنام إثباتُ الألُوهية لله ؛ وليس فى إثبات الآلهية لله نفىُ الآلهية عن الأصنام ؛ لأن العاقل لا يكون بغير التولّى إلى معبوده ، فإذا نفى الإلهية عن الأصنام ثبت تولّيه إلى الله ، وإذا أثبت الإلهية لله فليس يتبرأ عن الأصنام ؛ لأنه ربما يكون لواحد معبودان ، فما أشرف هذه الكلمة المشرفة إن وُفّقت إليها ، وأماتك الله عليها ، ألا تراها تسعة عشر حرفاً على عدد الزبانية ، وكلماتها سبعة على عدد أبواب جهنم .

ولما كان النهار نصفان والليل نصفان كانت الأنصاف أربعة ، ليكون مَنْ قالها فى اليوم والليلة مغفورا له ذنوبُ ما عمل فيهما .

(مُتَبَّرٌ ما هُمْ فيه[1]) : من التَّبار ، وهو الهلاك . والضمير عائد على القوم الذين قالوا لموسى : اجعلْ لنا إلهاً نعبده كما يَعْبُد هؤلاء أصنامَهم ؛ فقال لهم : أتريدون أن تهلكوا كما هلك هؤلاء ؟

(مُبْصِرُونَ[2]) : هو من بصيرة القلب ؛ يعنى إذا لمسهم طائف من الشيطان تذكّروا عقابَ الله ، أو رجاءَ ثوابه ، أو مراقبته أو الحياء منه ، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه ، والنظر والاعتبار ، وغير ذلك .

---

(١) الأعراف : ١٣٩ (٢) الأعراف : ٢٠١

(مُمِدُّكُم بألفٍ من الملائكةِ مُرْدِفِين[1]) ، أى مكثرُكم . ومن قرأه بفتح الدال فهو اسمُ مفعولٍ ، ومن قرأه بالكسر فهو اسمُ فاعل . وصحَّ معنى القراءتين ، لأنَّ الملائكة المنزلين ردف بعضهم بعضا ، فهم تابعون ومتبوعون ، يقال : ردفته وأردفته : إذا جئت بعده .

(مُوهِنُ كَيْدِ الكافرين[2]) : من الوهن وهو الضعف . وقرىء بالتشديد والتخفيف ، ومعناها واحد .

(مُتَحَيِّزًا إلى فِئَةٍ[3]) ، أى منحازاً إلى جماعةٍ من المسلمين ، فإنَّ الجماعة حاضرة فى الحرب ، فالتحيُّز إليها جائز باتفاق ، واختلف فى التحيُّز إلى الإمام والمدينة والجماعة إذا لم يكن شىء[4] من ذلك حاضراً .

وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : أنا فِئَةٌ لكل مسلم ؛ وهذا إباحة لذلك . والفرار من الزحف من الكبائر فى أى عصر كان إلّا أن يكون الكفار أكثر من مِثْلى المسلمين .

(مُتَحَرِّفًا[3]) : بالنصب على الاستثناء ، من قوله : من يُوَلِّهم يومئذ .

وقال الزمخشرى[5] : انتصب على الحال ، ومعناه الكرّ بعد الفرّ ، ليُرى عدوّه أنه منهزم ثم يعطف ؛ وذلك من الخداع فى الحرب . وفى الحديث : الحرب خدعة . وقد وقع للصحابة من هذا ما تكفَّل أصحابُ السير بنقله .

(مُخْزِى الكافرين[6]) : يعنى مُهْلِكهم فى الدنيا بالسيف ، وفى الآخرة بالنار .

---

(١) الأنفال : ٩ (٢) الأنفال : ١٨ (٣) الأنفال : ١٦
(٤) ق ا : شيئا . (٥) الكشاف : ١ ــ ٣٦٩ (٦) التوبة : ٢

(مُؤْتَفِكات[1]) : يعنى مدائن قوم لوط ، وائتفكت بهم يعنى انقلبت .

(مُرْجَوْن[2]) : بالهمز وتركه ، وهما لغتان ، ومعناه التأخير . قيل هم الثلاثة الذين خُلِّفوا قبل أن يتوبَ الله عليهم . وقيل : هم الذين بنَوا مسجد الضِّرار .

(مُعَذِّرُون[3]) : هم المعتذرون . ثم أدغمت التاء فى الذال ، ونُقلت حركتها إلى العين .

واختلف هل كانوا فى اعتذارهم صادقين أو كاذبين ؟ وقيل : هم المقصِّرون ؛ من عذَّر فى الأمر إذا قصر فيه ، ولم يجد ؛ فوزنه على هذا المفعلون .

وروى على هذا أنها نزلت فى قوم من غِفَار ، والاعتذار يكون بحق ويكون بباطل . ومُعَذِّرون الذين أعذروا ، أى أتوا بعُذْر صحيح .

(مَجْراها ومُرْساها[4]) : مشتقان من الجرى والإرساء ، وهو الثبوت ، أو من وقوف السفينة . ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو المكان ، أو مصدرَيْن .

ويحتمل الإعراب وجهين :

أحدها أن يكون بسم الله فى موضع الحال من الضمير فى اركبوا ؛ والتقدير اركبوا متبركين ببسم الله ، أو قائلين بسم الله ، فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان ، بمعنى وقت إجرائها وإرسائها ، أو ظرفين للمكان ويكون العامل فيه ما فى قولك بسم الله مِنْ معنى الفعل ، ويكون قوله بسم الله متصلا مع ما قَبْله ، والجملة كلام واحد .

---

(١) التوبة : ٧٠ (٢) التوبة : ١٠٦ (٣) التوبة : ٩٠

(٤) هود : ٤١

والوجه الثانى أن يكون كلامين ، فيوقف على اركبوا فيها ، ويكون بسم الله فى موضع خبر ، ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر ؛ أى إجراؤها وإرساؤها ، ويكون بسم الله على هذا مستأنفا غيرَ متصل بما قبله ، ولكنه من كلام نوح ، حسبما ورد أنّ نوحا كان إذا أراد أن يُجرى السفينة قال : بسم الله ؛ فتجرى . وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتقف .

وفى الآية إشارة إلى أن يكون العبد فى جميع تصرفاته مشتغلا بمولاه ؛ ولذلك قال الصوفية: أنت سفينة الوجود ، وسفينة نوح عليه السلام كان إجراؤها وإرساؤها كما أخبر الحقُّ سبحانه فى كتابه "بسم الله مجرَاها ومرساها"، وقد أرشدت الشريعةُ المحمدية أن يكون جميعُ تحركك وسكونك بذكر الله تعالى . فتفتتح عند نَوْمِكَ بسم الله ، وعند أكلك وشُربك وخروجك من منزلك ودخولك فيه، ولباس ثوبك وتجريده كذلك ؛ وعند استفتاح كلامك ، وعند نكاحك وسفرك وإيابك إلى أهلك ، وعند قيامك وقعودك ؛ فإن كنت فى حالك محمديًّا رستْ سفينتُك على جُودِيِّ السلامة ، وإن تخلفت عنه لم يكن لك عاصمٌ من أمْرِ الله ، وغرقْتَ فى طوفان المهالك ، وإن لم تشعر أنك هالك فتيقّظ من سَكْرَة هواك تجد روحك فى قارورة شهواتك غارقا(١) فى فَضْلة معاصيك .

ذكر أن ابنَ نوح عليه السلام حين تخلّف عن ركوب السفينةِ اتخذ قارُورة قَدْر ما تحمله ، وصعد على الجبل ، فلما بلغه الماء دخل فيها ، وأغلقها على نفسه ، وأرسل عليه إدرار البول حتى مات غريقاً فيه ، فاكسرها بحجر عزيمة التوبة ، وناد بلسان حالك ومقالك : يا منقذ الغرقاء ، ويا منجى الهَلْكَى ، انقذنى ؛ فإنى ذاهب ، لعل حنين صوتك يشفع فيك ، أمّنْ يُجيب المُضطَرَّ إذا دعَاهُ .

---

(١) الروح يذكر ويؤنث .

(مُتَّكَأ[1]) : بسكون التاء وتنوين الكاف هو الأترج بلغة الحبشة . قاله ابن أبي حاتم : وبفتح التاء ما يُتَّكأ عليه ، وإعطاؤها السكاكين للنساء يدلّ على أن الطعام كان مما يُقطع بالسكاكين كالأترج . وقيل كان لحما . وقيل : أعتدت لهن فراشاً يَتَّكِئْنَ عليه .

(مُزْجاة[2]) : أي قليلة ، بلسان العجم . وقيل ناقصة . وقيل : إنّ بضاعتهم كانت عروضا ، فلذلك قالوا هذا حياءً منه ، وطلبوا منه الصدقة ، ودعوا له ، وقالوا : إن الله يجزي المتصدّقين ، وسمّوا الزيادة صدقة .

وهذا يقتضي أن الصدقة كانت حلالا لهم قبل نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقيل : تصدق علينا بردّ أخينا إلينا ، فلما شكوا له رقّ لحالهم وعرّفهم [١٨٦ ب] حينئذ بنفسه ، فتشبّهْ بهم واستحِ من مولاك بنقص بضاعتك ، لعله يمدك ، لأن الجفاء يذهب بالصفاء ، كيف يصل روح التوحيد والمعرفة الوافية إلى القلوب الجافية الخاطئة القاسية !

فإن قلت : ما منعهم من قولهم : إن الله يجزيك على صدقتك ، بل عرضوا له ؟

فالجواب أنهم كانوا يعتقدون كُفْرَه ، لأنهم لم يعرفوه ، فلو قالوا : إن الله يجزيك بصدقتك كذبوا ، لأن الله لا يجزي الكافر . فقالوا لفظاً يُوهم أنهم أرادوه ولم يريدوه .

(مُعَقِّبَات[3]) : قد قدمنا أنهم جماعات الملائكة ، وسمّوا بذلك لأنهم

---

(١) يوسف : ٣١ (٢) يوسف : ٨٨ (٣) الرعد : ١١

يعقبُ بعضهم بعضا ؛ ومنه الحديث : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار . وأما قوله تعالى[1] : « لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه » ـ فمعناه الذى يكر على الشىء فيبطله ، يقال : عقب الحاكمِ على حكم مَنْ قبله إذا حكم بعد حكمه بغيره .

(مُصْرِخكم[2]) : مغيثكم . واختلف : هل هذا من قول الشيطان فى القيامة أو فى النار ؟

(مُهْطِعين مُقْنِعِى رُءُوسِهِم لا يَرْتَدُّ إليهم طَرْفُهم وأفئدتُهم هَوَاءٌ[3]) : الضمير للظالمين . والمعنى أنهم يسرعون يرفعون رءُسهم ويخفضونها من شدة ما يرون من الهول .

والهواءُ المراد به هنا الريح ؛ يعنى أنّ أفئدتهم كالهواء ، إشارة إلى ذهابها وعدم انتفاعهم بها .

ويحتمل أن يراد العقل ، ولا سيما إذا قلنا إن محلّه القلب ؛ وهو أن عقولهم تذهب وتصير كالهواء ؛ لأنهم يذهلون لشدة ما ينالهم . وهذا تشبيه . والبيانيون يجعلونه استعارةً ؛ لأنهم يقولون : زيد كالأسد تشبيه ، وزيد[4] أسد استعارة ، ورأيت أسدا يكر ويفر فى الحرب فيه خلاف عندهم ، وكذلك زيد مثل الأسد .

(مُخْلِفَ وَعْدِه رُسُلَه[5]) : يعنى الوعد بالنصر على الكفار .

فإن قلت : لم قدم المفعول الثانى على الأول ؟

فالجواب أنه قدم الوَعْدَ ليُعْلَم أنه لا يخلف الوعد أصلا على الإطلاق ؛ ثم قال

---

(١) الرعد : ٤١ (٢) إبراهيم : ٢٢ (٣) إبراهيم : ٤٣

(٤) بل يقولون : إنه تشبيه بليغ . (٥) إبراهيم : ٤٧

« رسلَه » ، ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس فكيف يخلف وعد رسله وخيرةَ خلقه ؛ فقدَّم الوعد أولا لقَصْدِ الإطلاق ، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص .

(مُقَرَّنين فى الأصفاد[1]) : يعنى المجرمين مربوطين فى الأغلال ؛ وهذا كقوله تعالى[2] : «فى سِلْسلةٍ ذَرْعُها سبعون ذِرَاعا » . وقوله[3] : مقرنين دعوا هنالك ثبورا ؛ أي يا ثبوراه ، كقول القائل : يا حسرتى ، يا أسفى .

(مُتَوَسِّمين[4]) : حقيقة التوسُّم النظرُ إلى السمة ، وهى العلامة التى يعرف بها المرء ، ومعناها الفراسة ؛ قال صلى الله عليه وسلم : اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله .

(مُخْلَصِين[4]) : المخلَص : هو الذى يغويه إبليس بالتزيّن ، ولا يسمع منه ؛ أو يزين له ولا يغويه .

فإن قلت : هل التزينُ والإغواء بمعنى واحد ؟

فالجواب أنّ الإغواء يستلزم الفعل ، والتزين لا يستلزمه ؛ فقوله تعالى[5] : « إلّا عبادك منهم المُخْلَصين » مستثنى عن الإغواء ، لا عن التزين ؛ فالمخلَصين يزين لهم ولا يغويهم ، ولا يقدر عليهم بوجه .

(مُقِيم[6]) : أى ثابت يراه الناس . والضميرُ للمدينة المهلكة التى أخذتها[7] الصيحة .

(مُشْرِقين[8]) : أى داخلون فى الشروق ، وهو وقت بزوغ الشمس .

---

(١) إبراهيم : ٤٩ (٢) الحاقة : ٣٢ (٣) الفرقان : ١٣
(٤) الحجر : ٧٥ (٥) الحجر : ٤٠ (٦) الحجر ٧٦
(٧) ق ١ : أخذتهم . (٨) الحجر : ٧٣

(مُبِين[1]) : أى واضح . وضمير التثنية[2] فى « إنهما » قيل لمدينة قوم لوط أو قوم شعيب ، « فالإمامُ » على هذا الطريق . وقيل للوط ولشعيب ، أى أنهما على طريق من الشرع واضح .

(مستهزئين[3]) : كانوا خمسة : الوليد بن المغيرة ، والعاصى بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن الطلاطلة[4] ، كانوا يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكفى الله نبيَّه أمرهم ، وأهلكهم بمكة .

وقيل : كأبى جهل وأصحابه ، أهلكهم الله ببدر . ويحتمل الجميع .

(مُنْكِرَة[5]) : نعت للقلوب[6] ، يعنى أنهم أنكروا وحدانية الله ، واستكبروا عنها . والفاء للتسبيب ، وليس هو من باب ذكر اللازم عقب الملزوم؛ وإنما هو من باب ذكر الشيء عقب نقيضه [١٨٧ ا] ؛ لأنَّ لازم كونه إلهاً واحداً التصديق لا الإنكار والكفر .

وظاهر كلام الزمخشرى أنّ الوحدانية ثابتة بالعقل ؛ لأنه قال[7] : قد ثبت بما تقدَّم إبطال أن تكون الإلهية لغيره ، فكان من نتيجة [ثبات][8] الوحدانية ووضوح [دليلها][8] استمرارهم على شركهم .

وظاهر كلام ابن عطية أنها ثابتة بالسمع ؛ لأنه قال : لمّا تقدم وصفُ الأصنام جاء الخبر الحقّ بالوحدانية ؛ وهذه مخاطبةٌ لجميع الناس معلمة بأن الله متّحد وحدة تامة ، لا يحتاج لكمالها إلى مضاف إليها .

---

(١) الحجر : ٧٩ (٢) من قوله فى الآية نفسها : فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين

(٣) الحجر : ٩٥ (٤) فى ا : عيطلة . (٥) النحل : ٢٢

(٦) يريد فى المعنى ، وإلا فهى خبر لكلمة قلوبهم . (٧) فى الكشاف : ١-٥٢٢

(٨) ليس فى ا .

والصحيحُ أنها مستفادة منهما معا .

ابن عرفة القضية على ثلاثة أقسام :

عقلية ؛ كقولك الواحد نصف الاثنين ، والجوهر متحيّز أو مفتقر إلى العرَض .

وشرعية ؛ كقولك : الميت يبعث .

ومركبة منهما ، كقولك : الله سميع بصير .

واختلفوا في قولك : الله إله واحد ؛ فذهب الفَخْر إلى صحة إثباته بالسمع . ونقل ابن التِّلمِسانى فى شرح المعالم الدينيَة عن بعضهم أنه لا يصح إثباتُه بالسمع .

وقال فى شرح المعالم الفقهية : إنّ ما تتوقّف دلالةُ المعجزة عليه لا يصحُّ إثباتُه بالسمع ؛ كوجود الإله ؛ لئلا يلزم عليه الدور . وما لا يتوقف عليه يصح إثباتُه بالسمع ؛ ككونه واحدا ؛ ذكره فى أول الباب السابع فى الإجماع .

وعندى أنّ الآية تدل على صحة إثبات الوحدانية بالسمع والعقل ؛ لقوله : فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم مُنْكِرةٌ ، كأنه يقول : فالمكذبون بالآخرة قلوبهم مُنكرة ؛ ولو كانت لا تتوقف على السمع لقال : فالصمُّ العمْى ، أو فالمتصامون قلوبهم منكرة ، فذِكره عُقَيب الإيمان يشعر بعليّته له ، فهو دليل على أنهم سمعوا فلم يؤمنوا بالآخرة ، ولو لم يكن معلّقا على الإيمان لما ذكره بعده .

(مُفْرَطُون[1]) : بكسر الراء والتخفيف من الإفراط ، أى متجاوزون

---

(١) النحل : ٦٢

الحدّ في المعاصي . وبفتح الراء والتخفيف ، من الفَرْط ؛ أي يعجلون إلى النار .
وبكسر الراء والتشديد من التفريط .

(مُنْكَرٍ[1]) : هو أعم من الفحشاء[2] ؛ لأنه يعم جميع المعاصي .

(مُلِئْتَ منهم رُعْباً[3]) : الضمير لأصحاب الكهف ، وضمير الخطاب لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ يعني أنك يا محمد لا تستطيع النظر إليهم لما ألبستهم من الهيبة ؛ فإذا كان القويّ الجَأْش لا يستطيع النظر إليهم فكيف يَدعي غيره رؤيتهم ؟

(مُلْتَحَداً[4]) : أي ملجأ تميل إليه فتجعله حرزاً .

(مُهْل[5]) : هو بلسان أهل المغرب . وقيل بلغة البربر : دُرْدِيّ الزَّيْتِ إذا انتهى حرّه ، وروى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل : هو ما أُذيب من الرصاص وشبهه .

(مُرْتَفَقاً[6]) : هو شيء يُرْتَفَق به . وقيل يُرتفق عليه من الارتفاق ، بمعنى الاتكاء .

(مُنْقَلَباً[7]) : أي مرجعاً ؛ وهذا قول المؤمن لأخيه الكافر ؛ أي إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخي لأجدنّ في الآخرة خيراً من جنّتي في الدنيا .

وقرىء خير منهما بضمير الاثنين للجنتين ، وبضم الواحدة[8] للجنة .

---

(١) النحل : ٩٠ (٢) فوقها في الأصل : الفحش .
(٣) الكهف : ١٨ (٤) الكهف : ٢٧ (٥) الكهف : ٢٩
(٦) الكهف : ٣١ (٧) الكهف : ٣٦ (٨) في ا : الوحدة .

(مُقْتَدِرا[١]) : من أسماء الله ، ومعناه مَنْ له القُدرة والقوةُ والعظمة والكبرياء ؛ وإنما يوصف بذلك تعظيما ؛ فكلّ مقدور معلوم ، وليس كل معلوم مقدورا ؛ لأن المحالات كلها معلومة للقديم سبحانه ، وليست بمقدورة له ؛ لأنه لا يُوصف بالقدرة على خَلْق نفسه ، ولا على خلق كلامه ، أو شيء من جهاته الذاتية ، ولا على الجمع بين الضدّين ، وجعل الشخص في مكانين في وقت واحد ، ولا على أن يجعل العالم بأسره في بَيْضَة كما يعتقده الجاهل .

فإن قلت : مقدوراته أكثر أم معلوماته ؟

فالجواب أن إطلاق هذا السؤال خطأ ؛ لأنه إنْ أراد السائلُ مقدوراته التي لم توجد مع معلوماته التي لم توجد لم تصح المفاضلة بينهما ؛ لأن ما ليس بشيء [١٨٧ ب] لا يقال إنه أكثر مما ليس بشيء ، وإن أراد بذلك مقدوراته الموجودة مع معلوماته أكثر ؛ لأن ذاته وصفاته معلومة له ، وليست بمقدورة له ؛ بل كانت مقـــدورة له ، وهكذا الموجودات في حال وجودها في الحال من الحدوث معلومة له ؛ وليست بمقدورة له ؛ بل كانت مقدورات له في حال الحدوث . والله أعلم .

(مُوَاقِعُوها[٢]) : الضمير للمشركين وشركائهم ، وضمير التأنيث عائد على النار ؛ ويعني أنهم يظنّون أنهم يقعون فيها ؛ والظنّ هنا بمعنى اليقين .

(مَهْلِكهم مَوْعِدا[٣]) : بضم الميم[٤] وفتح اللام : اسم مصدر من أهلك .

(مُفْسِدُون في الأرض[٥]) : يعني بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر .

---

(١) الكهف : ٤٥ (٢) الكهف : ٥٣ (٣) الكهف : ٥٩

(٤) قراءة حفص بفتح الميم وكسر اللام . (٥) الكهف : ٩٤

وقيل : كانوا يأكلون بنى آدم . والضمير يعود على يأجوج ومأجوج ، وهما قبيلتان من بنى آدم فى خلقتهم تَشْوِيه فى الطول والقصر وطول الأذنين .

(مُثْلَى[1]) : حُسْنَى ، تأنيث أمثل .

(مُحْدَث[2]) ، بفتح الدال ، يعنى أن هذا القرآن مجدد النزول ؛ لأنه قديم متعلق بالذات القديمة ، لم يقرأ ولم يسمع ؛ فلما خلق الله الخَلْق وأوجدهم كَتَبَه فى اللوح المحفوظ أو فى ألواح على ما روى ، ونَزَل به جبريل إلى بَيْتِ العزّة ، كما قلمنا ، فصار يتجدّد بالنزول به على نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فصار مقروءا متلُوّا مكتوبا مسموعا ؛ وذلك لا يوجب تغيُّر حاله ، كما أن مولانا جلّ وعلا لم يكن فى الأزل معبودا ولا مسجودا [له][3] ولا مذكورا ؛ فخلق الخلق ليعبدوه ويوحّدوه ويذكروه ؛ فصار لهم معلوما ومعبودا .

(مُشْفِقُون[4]) : خائفون . والضمير عائد على الملائكة الذين لا يَعْصُون الله ما أمرهم ، فهؤلاء ملائكة مطهّرون مشفقون من العقوبة .

وأنت أيها المتلطخ لا تشفق من عصيانك ، وهو كل يوم يناديك : عَبْدِى — أرسلتُ إليكَ رسائلَ المواعظ تناديك : ارجع إلَىّ ؛ الملائكة صفو بلا كدر ، والشياطين كدر بلا صفو ؛ وأنت مجمع البحرين ، فتى غَلَب صَفْوُ عقلك على كدر شهوتك أخدمتك حملةَ العرش جدحة ويستغفرون للذين آمنوا ، يا مودعا لبدائع البدائع ، الأكوان ألواح ، وأنت الكتاب ، وشجرة وأنتَ الثمر ، وقوالب وأنت المعنى ، ونافجة[5] وأنتَ المسك ، ودفتر وأنت الخطوط ؛ يا عجبا لك كيف أعجبك دخان الشهوات عن أسرار المشاهدات ؟ اشتغلتَ بجمع الفانى

---

(١) طه : ٦٣ (٢) الأنبياء : ٢ (٣) ليس فى ا .
(٤) الأنبياء : ٢٨ (٥) النافجة : وعاء المسك .

عن التلذذ بخدمتنا ، وشرهت عليها شره الكلب للجيفة ، ولم تُشفق من عتابنا ؛ أما سمعتَ أهلَ الجنة يقولون : إنا كنا قبل فى أهلنا مُشفِقين ، فمَنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ، فكيف تطمع أن تكون من أهلها وأنتَ غير مُشفِق من عذابنا . اللهم ارحمنا إذا صِرْنا إليك ، والطُفْ بنا يوم الوقُوف بين يديك ، فإنْ قلوبنا قد ماتتْ عن طاعتك ، وأعيننا قد جمدت مِنْ خَشيَتك ، وآذاننا صُمّت عن سماع موعظتك ، وعُقِل العَقْلُ عن التفكر فى آياتك ، وخَرِس اللسان عن شكر نعمتك ، وقُيدت الأقدام عن الإقدام إلى حضرتك ، فنحن كالذى استَهوته الشياطين ، فلا تُؤاخِذنا بِذُنوبنا ، وعامِلْنا بفضلك وكرامتك بجاه أكرم الخلق عندك ، وخيرتك صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(مُضْغَة[1]) : قطعة لحم .

(مُخَلَّقة[1]) : تامة الخلقة .

(وغير مخلّقة[1]) : غير التامة ، كالسقط . وقيل المخلّقة المُسوّاة السالمة من النقصان .

(مُعْتَرّ[2]) : المتعرض بغير سؤال ، ووَزْنه مفتعل ؛ يقال : اعتررت القوم ، إذا تعرضت لهم .

والمعنى أطعموا مَنْ سأل ومن لم يسأل ممّن تعرض بلسان حاله . أو أطعموا من تعفّف عن السؤال بالكلية ، ومن تعرّض للعطاء .

(المُخبِتين[3]) : الخاشعين . وقيل المتواضعين . وقيل : نزلت فى أبى بكر

---

(١) الحج : ٥ (٢) الحج : ٣٦ (٣) الحج : ٣٤

وعُمر وعثمان وعلى . وكذلك قوله بعد ذلك[1] : « وبَشّر المحسنين » . واللفظ فيها أعمُّ من ذلك .

(مُعَاجِزين[2]) : مسابقين . ومعجزين : فائتين ، ويقال مثبطين .

(مُخْضَرّةً[3]) : أى تصير الأرض خضراء بالمطر .

وقيل : إنها لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة والبلاد الحارّة ؛ وفهم بعضُهم أنه أراد به صبيحة ليلة المطر ؛ وأما على معنى تصير فذلك عامّ فى كل بلد ، والفاء[4] للعطف ، وليست بجواب ؛ ولو كانت جواباً لقوله : [١١٨٨] ألم تر ـ لنصبت الفعلَ ، وكان المعنى نَفْى خضرتها ؛ وذلك خلاف المقصود ؛ وإنما قال بنفى المضارع ليفيد بقاءها كذلك مدةً .

(مُعْرِضُون[5]) : أى لا يستمعون إلى لغو الكلام ، ولا يدخلون فيه . وأنواعُه كثيرة نحو العشرين نوعاً .

ويحتمل أنْ يريدَ أنهم لا يتكلمون به ، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضى ذلك من باب أولى وأحْرَى .

(مُذْعِنِين[6]) : أى منقادين مطيعين لقَصْد الوصول إلى حقوقهم .

وسببُ نزولها أنّ رجلا من المنافقين كانت بينه وبين يهودىّ خصومةٌ ، فدعاه اليهودى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعرض عنه ودعاه إلى كعب ابن الأشرف .

---

(١) الحج : ٣٧ (٢) الحج : ٥١ (٣) الحج : ٦٣

(٤) الفاء فى قوله : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة .

(٥) المؤمنون : ٧١ (٦) النور : ٤٩

(مُتبرِّجاتٍ[1]) : أى مظهرات للزينة ؛ فأباح الله للنساء وَضعَ الثياب بشرط ألّا يقصدن إظهار زينةٍ .

وقيل متبرجات متكشفات الشعور .

(مستقَرًّا[2]) : إقامة .

(مُشْرِقين[3]) : قد قدمنا أنه وقت طلوع الشمس . وقيل معناه هنا نحو المشرق . وانتصابُه على الحال .

(مُدْرَكُون[4]) : لما خاف قومُ موسى من إدراك فرعون لهم قالوا هذا .

(مُسَحَّرِين[5]) : معلَّلين[6] بالطعام والشراب ؛ أى أنك بشر مثلنا .

(مُجرمين[7]) : يحتمل أن يريد به كفار قُريش أو المتقدمين .

(مُنْظَرون[8]) : تمنَّوْا أن يؤخَّروا حين لم ينفعهم التمنى .

(مُخْسِرِين[9]) ؛ أى ناقصين الكيل والوزن .

(مُبْصِرَةً[10]) : واضحة الدلالة . وإسناد الإبصار لآيات موسى مجاز ؛ وهو فى الحقيقة لمتأملها .

(مُرْسِلَةٌ إليهم بهديَّةٍ[11]) : هذا من كلام بلقيس تأكيداً للمعنى الذى أرادَتْه حين قالت لقومها : إنى مجربة هذا الرجل بهديّة من نفائس الأموال ؛

---

(١) النور : ٦٠ (٢) الفرقان : ٢٤ (٣) تقدمت فى الحجر : ٧٣ ، وهذه فى الشعراء : ٦٠ (٤) الشعراء : ٦١ (٥) الشعراء : ١٨٥ (٦) والقرطبى : ١٣ — ١٣٠ (٧) الشعراء : ٢٠٠ ، والنمل : ٦٩ (٨) الشعراء : ٢٠٣ (٩) الشعراء : ١٨١ (١٠) النمل : ١٣ (١١) النمل : ٣٥

فإن كان ملكا دنياويا أرضاه المال ، وإن كان نبيا لم يُرْضِه المال ؛ وإنما يرضيه دخولُنا في دينه .

وقد أكثر الناسُ في وصف هذه الهدية ، تركناه لطوله ؛ فانظر هذا اللطف والسياسة من نبيّ الله سليمان في دعاية بلقيس إلى الإيمان ؛ فقدّم لها أولا الكتاب ، وقدم فيه اسمه على اسم الله ؛ لأنه واسطة بينه وبين الله ، ولما كان الأنبياءُ في البشرية من جبلّة المُرْسَل إليهم ، وجنسهم في الظاهر ، واصطفاهم اللهُ بعلمه وحِكْمَته ، كانوا أكثر فَهْما وإدراكاً . ولذلك قال لمن أتى بهديّة بلقيس[1] : « فما آتانِيَ اللهُ خيْرٌ مِمّا آتاكم » : فلما رأت ذلك منه خافت وفزعت وأسلمت مع سليمان .

فإن قلت : كيف خفي على سليمان مكانُها ، وكانت المسافةُ بين محله وبين بلدها قريبةً ؛ وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب ؟

فالجواب أن الله أخْفَى ذلك عنه لمصلحة رآها ، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب .

فإن قلت : كيف قال الهدهد : "وأُوتِيَتْ من كل شيء" ـ مع قول سليمان : "وأُوتينا من كل شيء" ، كأنه سوّى بينهما .

والجواب فَرْق ما بينهما أنّ سليمان قال ذلك من المعجزات والنبوءة وأسباب الدين وأسباب الدنيا ؛ فهذا العطفُ على شكر مولاه وعطف الهدهد على الملك ، ولم يرد إلا ما أعطيته بلقيس من أسباب الدنيا اللائقة بحالها ؛ فبَيْن الكلامَيْن بَوْنٌ بعيد .

---

[1] (١) النمل : ٣٦

(مُمَرَّدٌ[1]) : أملس ، ومنه الشجرة المَرْداء ، والأَمْرَد الذى لا شَعْر على وجهه .

(مُحْضَرِين[2]) : أى للنار .

(مُنِيبِينَ إليه[3]) : منصوب على الحال، من قولك[4]: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ» ؛ لأن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وأُمّته ؛ فلذلك جمعهم فى قوله : مُنِيبين .

وقيل هو حال من قوله[4] : « فَطَرَ النَّاسَ » ، وهذا بعيد .

(مُعَوِّقِينَ[5]) ؛ أى يمنعون الناسَ من الجهاد ، ويعوقونهم بأقوالهم وأفعالهم . ويقال عاقه عن الأمر ، وعوّقه، وعتّاه .

(مُقْمَحُونَ[6]) : يقال قَمَحَ البعيرُ إذا رفع رأسه ، وأَقْمَحَهُ غيرُه إذا فعل به ذلك .

والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلالُ حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رءُوسهم إلى الارتفاع . وقيل : المعنى مُقْمَحون ممنوعون من كلّ خير .

(مُظْلِمُونَ[7]) : داخلون فى الظلام .

(مُدْبِرِين[8]) : أى تركوا إبراهيم إعراضاً منهم ، وخرجوا إلى عيدهم . وقيل : إنه أراد بالسقم[9] الطاعون ؛ وهو داء يُعْدِي ، فخافوا منه وتباعدوا عنه مخافة العدوى .

---

(١) النمل : ٤٤ (٢) القصص : ٦١ (٣) الروم : ٣١

(٤) آية ٣٠ قبلها فى السورة . (٥) الأحزاب : ١٨

(٦) يس : ٨ (٧) يس : ٣٧ (٨) الصافات : ٩٠

(٩) فى قوله ، آية ٨٩ قبلها : فقال إنى سقيم .

(مُسْتَسْلِمُون[1]) : أى معطون بأيديهم .

(مُشْتَرِكُون[2]) : أى فى النار .

(مُحْسِنِين[3]) : جمع محسن ، ووصف به إبراهيم لمّا ابتلاه فوجده مُجِدًّا [١٨٨ ب] فى طاعته .

فإن قلت : لم قال فى حقه كذلك دون قوله « إنّا » وقال فى غيره إنا كذلك ؟

فالجواب أنه تقدم فى قصـــــة إبراهيم نفسها إنّا[4] كذلك ، فأغنى عن تكرار « إنا » هنا .

(مُدْحَضِين[5]) : أى مغلوب فى القرعة والحاجة ، وسبب مقارعته أنه[6] لما ركب السفينة وقفت ولم تجْرِ ، فقالوا : إنما وقفت من حادثٍ حدث ، فنقترع لنرى على مَنْ تخرج القرعة فنطرحه ؛ فاقترعوا ، فخرجت القُرْعة على يونس ، فطرحوه فى البحر ؛ فأوحى الله إلى حوتٍ من حيتانه : "اذهب فالتقمه ، ولئن خدشْتَ له لحما ، أو كسرت له عظما لأعذبنك عذابا لم أعذِّبْه أحداً من العالمين ؛ فالتقَمَتْه[7] ومشَتْ به البحار كلَّها تفخر على أبناء جنسها ، حتى نبذَتْه بالعراء وهو سقيم بعد أربعين يوماً".

ورُوِى أن الحوت صام أربعين يوما .

وأنتَ يا محمدى ، أكرمك الله بالقرآن ، وفضّلك بالإيمان ، ولا تمتنع عن الآثام ، ولا تفخر على أبناء جنسك .

ولما خسف اللهُ بقارون ، واستغاثت الأرضُ ، وقالت : اللهم كما أريتنا عدوًّا من أعدائك فأرِنا حبيبا من أحبابك لنتسلّى برؤية الحبيب .

---

(١) الصافات : ٢٦ (٢) الصافات : ٣٣ (٣) الصافات : ١١٠

(٤) الصافات : ١٠٥ (٥) الصافات : ١٤١ (٦) هو يونس كما فى الآية ١٣٩ من السورة .

(٧) الحوت : السمك كما فى القاموس .

وكذلك بيت المقدس لما خَرّبه بُخت نَصّر استغاث بالله ، فأراه الله نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ؛ وهذه هى الحكمة فى إسرائه من بيت المقدس.

ولما أوحى اللهُ إلى البحر أنْ ينفلقَ لفرعون حتى يدخلَ فيه استغاث ، فدخل فيه موسى أمامَه .

وكذلك النار لما علمت أنها دارُ أعدائه سألته أن يُريها أحبّاءه ، فأدخل المؤمنين النار لتتسلّى برؤية الأحبّاء عن رؤية الأعداء ؛ قال تعالى[1] : «وإنْ منكم إلّا وَارِدُهَا» ؛ والمقصود بوُرودهم إجابةُ دعوة النار لا الإحراق ؛ قال تعالى[2] : « ثم نُنَجِّى الذين اتّقَوْا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا » .

واعلم أنّ الله تعالى ابتلى تسعةً من الأنبياء فوجدوا تسعة أشياء : ابتلى آدمَ بوسوسة الشيطان فوجد التوبة ، وإبراهيم بالنار فوجد الخلّة ، وإسماعيل بالذبح فوجد الفداء ، ويعقوب بالشدّة والقحط فوجد [الفرج ، والملك][3] ، ويوسف بالسجن فوجد الصديقية ، وأيوب بالبلاء فوجد الصبر ، ويونس بالحوت فوجد النجاة ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم باليُتْم فوجد العزّة ؛ قال تعالى[4] : «فكان قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى » ، وسليمان ابتلاه الله بزوال الملك فوجد الإنابة . وسببُ زوال ملكه أنه نظر إليه فابتلاه اللهُ بإلقاء الجسد على كرسيه وإلى مَتْنه وقوّته فابتلاه بآصف ، وإلى سياسته فابتلاه بالهدهـــد ؛ فقال[5] : « أحطْتُ بما لم تُحِطْ به » ؛ وإلى جنوده فابتلاه بنملة قالت له تنظر إلى جنودك ولو عرضتُ عليك جنودى سنةً لم يفرغوا ؛ فإياك والنظر إلى غيره سبحانه ، فتبتلى ؛ لأنّ من عادته سبحانه أنّ من أحبّ شيئاً ابتُلى بفراقه ؛ فإن رجع إلى الله ردّه الله عليه ؛ كسليمان

---

(١) مريم : ٧١ (٢) مريم : ٧٢ (٣) مكان ما بين القوسين بياض با لأصلين . (٤) النجم : ٩ (٥) النمل : ٢٢

لما رجع إلى الله ردّ اللهُ عليه مُلْكه . وموسى لما رجع إلى الله ردّ اللهُ عليه عصاه ؛ فقال له : خُذْها ولا تَخَفْ . ويعقوب قال : إنما أشكو بَثِّي وحُزْنى إلى الله جمع الله شَمْلَه به ؛ وإبراهيم لما رجع إلى الله فى ذَبْح ولده فداه الله بذِبْحٍ عظيم .

وتأمّلْ هذا اللطفَ منه سبحانه حيث لم يُرِدْ مواجهة خليله بقَتْلِ ولده بالوحى ، فأراه فى المنام ؛ وكذلك الحق سبحانه يقول : "ما تردّدت فى شىء كترددى فى قَبْضِ رُوح المؤمن ؛ هو يكره الموت وأنا أحبُّ لقياه".

(مُلِيم[1]) ؛ من اللوم ، وهو التعيير ؛ وذلك أنه فعل ما يُلام عليه فى خروجه من قومه بغير إذن ربّه ، فحبسه فى بطن الحوت حتى طهره ، وأخرجه بتسبيحة واحدة ؛ وكذلك المؤمن يَحْبِسه فى النار حتى يطهره من غير ألَمٍ يناله[2] فيها لأن له عقدَ الوصلة ، كأيوب حلف أن يضرب زوجته[3] مائةَ سوط ، فأمره اللهُ أن يأخذ بيده ضِغْثًا ـ وهو ملء كفّ من الحشيش كى لا تتأذّى امرأتُه بالضرب .

فإن قلت : كيف يجمع بين هذا وبين قوله[4] : « فلولا أنه كان مِنَ المسبِّحين » ـ فإنها تقتضى أنه لولا التسبيحُ لَلَبِث ، فاللبث مُنْتَفٍ لوجود التسبيح ؛ وهذه تقتضى لولا تداركه النعمة لنبذ ، وهو مذموم ؛ فهو يقتضى انتفاء النبذ ، وانتفاء النبذ هو اللَّبْث ، وهذه [١٨٩ ا] تقتضى ثبوت اللبث لا انتفاء اللبث ، والأولى تقتضى انتفاء اللبث وكون اللبث مثبتا منفيا محالٌ ؛ أو يقال الأولى تقتضى ثبوت النبذ والثانية انتفاؤه .

---

(١) الصافات : ١٤٢ (٢) ف ا : تبا لهم لأن لهم . (٣) فوقها فى ب : امرأته .

(٤) الصافات : ١٤٣

وأجاب بعض الفضلاء بأنّ لو الأولى فى قوّة لولا التسبيح لبث اللبث ، والثانية فى قوة لو انتفت النعمة لنبذ ، ولما كان الواقع مِنْ مرادِ الله تعالى أنّ التسبيح ثابت كان انتفاؤه محالا ، والواقعُ أيضا أن النعمة ثابتة فانتفاؤُها محال ، ولما كان ملزوم الشرطين محالا لا جرم ترتب عليه محال ؛ ونظّروه بقوله تعالى[1]: «ولَوْ أنْزَلْنَا مَلَكاً لقُضِيَ الأمْر » ؛ أى لا استُؤْصِلوا ، «[2] ولو جَعَلْنَاه مَلَكاً لجعلناهُ رجلا ، ولَلَبَسْنَا عليهم ما يَلْبِسُون » . وهذه تقتضى عدم الهلاك ، وإن أنزل الملك ؛ ولما كان جَعْل الملك على الوجه الذى طلبوه رسولا محالا لما سبق فى عِلْمه لا جرمَ ترتّب عليه المحال ، والحقُّ الواضح الذى لا تكلف فيه أن الآية الثانية إنما نفت النبذ المقيَّد بكونه مذموما ، والنَّفْىُ المقيد لا يستلزم نفى المطلق ؛ فلا يلزم نفى النبذ على وَجْه الإكرام ؛ وبه ينبغى الجواب عن آيتى الأنعام ؛ فإن الإهلاك الذى كنى عنه بقضاء الأمر إنما رُتّب على إنزال الملك على صورته لا على صورة الرجل ، واللبس عليهم ؛ والذى يستلزم بقاءهم هو إنزاله على صفةِ الرجل ، أو يقال نلبس عليهم الأمر ، ثم نهلك .

(مُغْتَسل[3]) وغسول : الماء الذى يُغْتَسلُ به ، والموضع الذى يغتسل فيه أيضاً .

وروى أنَ أيوب ضرب الأرضَ مرتين فنبعه له عينان ، فاغتسل من أحدها ، وشرب من الأخرى .

(مُقْتَحِمٌ[4]) : أى داخل فى زِحَامٍ وشدّة ؛ وهذا من كلام خزَنَةِ النار ، خاطبوا به رؤساءَ الكفار الذين دخلوا النار أولا ، ثم دخل بعدهم أتباعُهم ، وهم الفَوْجُ المشارُ إليه .

---

(١) الأنعام : ٨ (٢) الأنعام : ٩ (٣) ص : ٤٢
(٤) ص : ٥٩

وقيل هو من كلام أهل النار بعضهم لبعض . والأولُ أظهر .

(مُتَشَاكِسُون[١]) : أى متنازعون متظالمون . وقيل متشاحّون . وأصله من قولك : رجل شَكِس ، إذا كان ضيّق الصدر .

ومعنى ضرب هذا المثل بيانُ حالِ مَنْ يشرك بالله ومن يوحّده ، فشبّه المشرك بمملوك بين جماعةٍ من الشركاء يتنازعون فيه ، والمملوكُ بينهم فى أسوأ حالٍ ، وشبّه مَنْ يوحّد الله كمملوك لرجل واحد .

(مُسْرِفين[٢]) : الضمير لقريش .

فإن قلت : كيف قال[٣] : « إنْ كُنْتم » على الشرط بحرف إن التى معناها الشكّ ، ومعلوم أنهم كانوا مسرفين ؟

والجواب أنّ فى ذلك إشارةً إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم فى ارتكابه ، فكأنه شىء لا يقع من عاقل ، فلذلك وضع حرف التوقع فى موضع الواقع .

(مُقْرِنين[٤]) ، أى مطيقين وغالبين ، من قولك : فلان قِرْنُ فلان ، إذا كان مِثْلَه فى الشدة .

(مُقْتَدُون[٥]) : مُتّبعون ، والمعنى أنهم ليس لهم حجةٌ ، وإنما يقلّدون آباءهم .

فإن قلت : ما الفرقُ بين الآية الأولى فى قوله[٦] : مُهْتَدون ، وفى هذه : مُقْتَدون ؟

---

(١) الزمر : ٢٩ (٢) الزخرف : ٥ (٣) فى الآية نفسها : أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم مسرفين . والقراءة بفتح الهمزة ، فكأنه يشير إلى قراءة أخرى . (٤) الزخرف : ١٣ (٥) الزخرف : ٢٣ (٦) الزخرف : ٢٢

فالجواب أنه لما تقدم في الآية الأولى قولُ كفار العرب السامعين القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعاؤهم أن آباءهم كانوا مهتدين فنحن مهتدون، ولهذا قال[1]: « قل أَوَلَوْ جِئْتُكم بأهْدَى مِمَّا وَجَدْتُم عليه آباءَكم » — يعني أتتّبعون آباءكم، ولو جئتكم بدين أهدَى من دين آبائكم، قالوا: إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفكّ عنه، وإن جئتنا بما هو أهدى.

وخصّ الآية بعدها بالاقتداء لأنها حكاية عمن كان قبلهم من الكفار، ادّعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء، فاقتضت كلُّ آية ما خُتمت به.

(مُرْسَلِين[2]) : من إرسال الرسل عليهم السلام . وقيل : من إرسال الرحمة . والأول أظهر .

(مُنْشَرِين[3]) : معناه مُحْيَيْن .

(مَقَامٍ أَمِين[4]) ، بضم الميم من الإقامة بالموضع، وبفتحها موضع قيام . والمراد به الجنة .

(مُرْتَقِبُون[5]) : منتظرون هلاكَك يا محمد، فارتقب أنْتَ نَصْرَنا، وفيه وعدٌ ووعيدٌ لهم .

(مُحَلِّقِين رُءُوسَكم ومُقَصِّرِين[6]) : الحِلاق[7] والتقصير من سُنّة الحجّ والعمرة، والحِلاق أفضلُ من التقصير للحديث . رحم الله المحلّقين ثلاثا والمقصرين .

---

(١) الزخرف : ٢٤ (٢) الدخان : ٥ (٣) الدخان : ٣٥

(٤) الدخان : ٥١ (٥) الدخان : ٥٩ (٦) الفتح : ٢٧

(٧) الحلاق ككتاب : الحلق (القاموس) .

(مُصَيْطِرُون[1]) : أي أرباب غالبون . وقيل المسيطر المسلّط القاهر . ومنه[2] : « لَسْتَ عليهم بِمُصَيْطِرٍ » .

(مُنْتَهى[3]) : أي آخر . والمعنى أنّ جميعَ العلوم تنتهي إلى الله ، ثم يقف العلماءُ عند [١٨٩ ب] ذلك . أو إلى الله المصير . وفي الحديث لا فكرة في الرب .

(مُؤْتَفِكَة[4]) : هي مدينةُ قوم لوط . ومعنى « أَهْوَى »[4] طرحها من علوّ إلى سفل ، فجعلها تهوى . ومنه[5] : « فأُمُّهُ هَاوِيَةٌ » .

(مُسْتَمِرّ[6]) : أي دائم . وقيل ذاهب يزولُ عن قريب . وقيل معناه شديد ، وهو على هذا من المِرّة بمعنى القوة .

(مُسْتَقِرّ[7]) : أي كلُّ شيء لا بدله من غاية ؛ فالحقُّ يحق والباطل يبطل .

(مُزْدَجَر[8]) : اسم مصدر بمعنى ازدجار ، أو اسم موضع بمعنى أنه مظنّة أنْ يزدجر ؛ والمراد بها قصص القرآن وبراهينه ومواعظه .

(مُنْهَمِر[9]) : أي كثير ، كأن الله يقول مكر قَوْمُ نوح وأرادوا قتله وإخراج نوح من بينهم ، ومَكَرْنا نحن بخروجهم من وجه الأرض ، ففتحنا أبواب السماء بماءٍ منهمر ، فقلنا : يا سماء امطري ، ويا أرضُ انشقّي ، ويا طوفان أهلك ، ويا كافر ، اهلك بأهلك .

(مُدَّكِر[10]) : تحضيض على الادّكار ، فيه ملاطفة جميلة من الله

---

(١) الطور : ٣٧ (٢) الغاشية : ٢٢ (٣) النجم : ١٤
(٤) النجم : ٥٣ (٥) القارعة : ٩ (٦) القمر : ٢
(٧) القمر : ٣ (٨) القمر : ٤ (٩) القمر : ١١
(١٠) القمر : ١٥

اصباده ، ووَزْن مُدَّكر مفتعل ؛ وأصله مذتكر ، ثم أُبدل من التاء دال ، وأُدغم فيه الدال .

فإن قلت : ما فائدة تكرير هذه الآية ، وقوله[1] : « فذوقُوا عذابي ونُذُر » .

فالجواب أنه كرره ليُنَبِّهَ السامعَ عند كل قصة فيعتبر بها ؛ إذ كلُّ قصة من القصص عِبرةٌ وموعظة ، فختَم كلَّ واحدة بما يوقِظُ السامع من الوعيد في قوله ؛ فكيف كان عذابي ونذر . ومن الملاطفة في قوله[2] : « ولقد يسَّرْنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر » .

(مُنْقَعِر[3]) ؛ أي منقطع ، وشبَّه اللهُ قَوْمَ عادٍ بذلك لما بَغَوْا وتمرَّدُوا ، وقالوا لهود : لا نلتفتُ إلى قولك ، ولا نخافُ من تهديدك ؛ فإن كنت صادقاً فأنزل علينا عذاباً . قال : قد وقع عليكم من ربكم رِجْسٌ وغَضَب ؛ فمنع الله عنهم المطر ثلاثَ سنين حتى هلكت المواشي والدواب ، فقال لهم هود : استغفِرُوا ربَّكم ثم تُوبُوا إليه . فقالوا : لا نَتُوبُ ، ولكن نرسل رجالا إلى مكَّةَ للاستسقاء ؛ لأنهم كانوا يعظِّمونها ، ويطلبون بها حوائجهم ؛ فبعثوا منهم ستةً وآمن منهم رجلان ، وقالا : إلهنا إنك تهلك قَوْمَ هود ، ولسنا منهم؛ فاستجِبْ دعاءنا ، واقضِ حاجتنا ؛ فسمعنا صوتاً : سَلْ تُعْطَ . فقال أحدهما : إلهي إني أسأل عُمْرَ سبع نُسور ، فسمع صوتاً : أُعطيت ذلك ؛ فبقي أربعةٌ من الكفار ؛ وكان اسمُ واحد منهم قيداً ، فقالوا له : ادعُ أنتَ ، فدعا ، وقال:

---

(١) قال أولا (١٥ ، ١٦) : ولقد تركناها آية فهل من مدكر . فكيف كان عذابي ونذر . ثم قال (١٧ ، ١٨) : ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر . كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر . وكررها بعد ذلك إلى أن قال (٣٩) فذوقوا عذابي ونذر . . .

(٢) القمر : ٣٢ (٣) القمر : ٢٠

اللهم إنى لم أجىء لمريض أداويه ، ولا لأجْلِ أسيرِ فأفديه ، اللهم فاسْقِ عاداً كما كنْتَ تسقيهم ، فهاجت ثلاث سحائب حمراً وبيضاً وسُوداً ، فسمع صوتاً : اختَرْ أيها شئت . فقال : قد اخترت السوداء ، فسمع صوتاً يقول : قد اخترْتَ رَعّاداً[1] لا يبْقَى مِنَ الرعّاد أحداً لا والداً ولا ولداً . فأمر الله تعالى ملك الريح أن يرسل من الصَّرْصَر مقدار حلقه .

قال وَهْب بن مُنَبّه اليمانى : تحت الأرض السفلى ، كما يقال لها العقيم ، تعصفُ يوم القيامة ، فتقلعُ الجبالَ من أماكنها ، وترفعُ الأرض وتُزَحْزِحُها ، وتشقّ الأرض ؛ قال تعالى[2] : « وحُمِلَت الأرضُ والجبالُ فدُكّتا دَكّةً واحدةً » ، وسبعة آلاف موكّلون بهذا الريح ، فأمر اللهُ الملكَ الموكّل به أن يرسل جزءاً من هذا الريح إلى قوم عاد ؛ فقال : إلهى ، كم أرسل ؟ قال : مقدار منخر ثور . قال : إلهى كثير ؛ فأمر الله أن يرسل مقدار حلقة خاتم ، فقال : إلهى كثير ، لا تدَعُ شيئا فى الأرض إلا أهلكته . فأمر الله أن يرسل مقدار سَمّ الخِياط ، فلما جاءتهم السحاب قالوا[3]: «هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا» ، فقال لهم هود : « بل هوَ ما استعْجَلْتُم به رِيحٌ فيها عذابٌ أليم » .

فجاءتهم الريح ، فخرج منهم سبعمائة ، وصعدوا فى الجبل ، أخذ كلٌّ واحد منهم بيد صاحبه وذيله طامعين فى النجاة ، فلما اشتد الريح صاحوا وركضوا فى الجبل ، فساخ[4] إلى ركبتهم ، فلما حان العذابُ أظلمت السماء ، ورعدت ، فنزلت ريح ، فهدم جميع أبنيتهم ورفعها فى الهواء ، فجعلها مثل الدقيق المطحون ، فصار رَمْلا ، وهذه الرمالُ التى على وجه الأرض من ذلك ، ثم رفع قومَ

---

(١) سحابة رعادة : كثيرة الرعد . (٢) الحاقة : ١٤ (٣) الأحقاف : ٢٤

(٤) هذا بالأصلين .

هودٍ إلى الهواء وضربهم على الأرض ، فصاروا كأنهم أعجاز نَخْلٍ خاوية .

ورُوى أن هوداً جمع المسلمين ، وخطّ حولهم خطاً ، فكانت الريحُ تأتى إلى ذلك الخط ، وترجع كما قال تعالى[1] : « تَنْزِعُ [١٩٠ ا] الناسَ » . والإشارةُ بذلك إلى أنّ الريحَ إذا هبت يوم القيامة على نار جهنم تصير النارُ تحت أقدام أمته خامدةً ، ويعطون صحائفهم ؛ واحـــد بيمينه والآخر وراء ظهره .

(مُحْتَظِر[2]) ؛ أى محترق متفتّت ، كأنه صاحب الغنم الذى يجمع الحشيش فى الحظيرة لغنمه أو للسكنى ؛ وشبّه الله ثموداً لما هلكوا بما يتفتّت فى الحظيرة من الأوراق وغيرها .

وأما المُحْتَضَر فى قوله[3] : « كلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَر » ، فمعناه محضور مشهود ؛ وذلك أن الله جعل للناقة يوما ولقوم صالح يوماً يشربون فيه الماءَ فلا يتعدونه ، فاحتاجوا فى يوم ورُودِ الناقة إلى الماء ، وطلبوا ماءً فلم يجدوه ، فقال قُدَارُ : لا بُدَّ مِنْ قَتْلِ هذه الناقة . فقالوا جميعاً : هذا صواب ؛ فأخذ سيفا ، وخرج فاختفى فى شِعْبِ جَبَل ، وكان وقت رجوع الناقة من الماء ، فلما دنت منه حمل عليها وقتلها ، ثم قصد إلى ولدها فعدا الولد إلى الجبل فانشقّ بقُدرة الله ودخل فيه .

(مُسْتَطَر[4]) ؛ أى مكتوب ، وهو من السطر ؛ تقول سطرت واستطرت ، وهو بمعنى واحد .

---

(١) القمر : ٢٠ (٢) القمر : ٣١ (٣) القمر : ٢٨
(٤) القمر : ٥٣

(مُنْشَآت[1]) : يعني السفن ؛ وإنما سُمِّيت بذلك لأن الناس ينشئونها . وقرىء بكسر الشين بمعنى أنها تنشىء السير أو تُنْشىء الموج .

(مُدْهَامَّتَان[2]) : أى تضربان إلى السواد من شدة الخضرة ؛ وضميرُ التثنية يعود على الجنتين الجاريتين .

(مُتَّكِئِين[3]) : من التوكأ على شىء .

(مُخَلَّدُون[4]) : الذين لا يموتون . وقيل المُقَرطون بالخلدات وهى ضربٌ من الأقراط ؛ والأولُ أظهر .

(مُتَقَابِلِين[5]) : أى وجوه بعضهم إلى بعض .

(مُغْرَمُون[6]) : أى معذّبون ؛ لأنّ الغرام هو أشدُّ العذاب . ومنه[7] : « إنَّ عذابَها كان غَراما » ، يعنى لو جعل الله زرْعكم حطاما لقلتم ذلك .

ويحتمل أن يكون من الغرم ؛ أى مُثقَلون بما غرمنا كم من النفقة .

(مُزْن[8]) : هى السحاب .

(مُقْوِين[9]) : قد قدّمنا أنهم الذين لا زاد لهم . والمُقوِى أيضا الكثير المال ؛ لأنه من الأضداد .

(مُدْهِنُون[10]) : يعنى متهاونون ، وأصله من المداهنة ، وهى لِينُ الجانبِ والموافقة بالظاهر لا بالباطن .

---

(1) الرحمن : ٢٤ (2) الرحمن : ٦٤ (3) الرحمن : ٧٦
(4) الواقعة : ١٧ (5) الواقعة : ١٦ (6) الواقعة : ٦٦
(7) الفرقان : ٦٥ (8) الواقعة : ٦٩ (9) الواقعة : ٧٣
(10) الواقعة : ٨١

وقال ابن عباس : معناه مكذبون ، وهذا خطاب للكفار ؛ ومنه قوله[1] : « وَدُّوا لو تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ » .

(مُقَرَّبِين[2]) : المراد بهم السابقون المذكورون في أول سورة الواقعة في قوله[3] : « والسابقون السابقون » .

(مُسْتَخْلَفِين[4]) : يعني في الإنفاق في سبيل الله وطاعته .

رُوِي أنها نزلت في الإنفاق في غَزْوة تبُوك ، وعلى هذا روى أن قوله[4] : « فالَّذين آمَنُوا منكم وأنفقوا لهم أجرٌ كبير » — نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإنه جهَّز جيش العُسْرة . ولفظ الآية مع ذلك عام ، وحكمها باقٍ لجميع الناس .

وقوله : مُسْتَخْلَفِين فيه — يعني أَنَّ الأموالَ التي بأيديكم إنما هي أموالُ الله ؛ لأنه خلقها ، ولكنه متَّعكم بها ، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها ؛ فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء ، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه .

ويحتمل أنه جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم ، فورثتم عنهم الأموال ، فأَنْفِقُوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم ، كما خلفها لكم مَنْ كان قبلكم .

والمقصود على كل وجه التحريض على الإنفاق ، والتزهيد في الدنيا .

قال في قوت القلوب : وقد مثّل بعضُ الحكماء ابْنَ آدم بدود القزّ ، لا يزال ينسج على نفسه بجهله حتى لا يكون له مَخْلص ؛ ويقتل نفسه ، ويصير القزُّ لغيره ؛ وربما قتلوه إذا فرغ من نسجه ؛ لأن القز يلتفّ عليه فيروم الخروج منه فيشمس ،

---

(١) القلم : ٩ (٢) الواقعة : ٨٨ (٣) الواقعة : ١٠ ، ١١

(٤) الحديد : ٧

وربما غُمز بالأيدى حتى يموت ، لئلا يقطع القز ، ويخرج القزّ صحيحا ؛ فهذه صورة لمكسب الجاهل الذى يترك أهله وماله ، فينعم ورثته بما يَشْقَى به ؛ فإن أطاعوا به كان أجره لهم وحسابه عليه . وإنْ عَصَوْا به كان شريكهم فى المعصية ؛ لأنه أكسبهم إياها به ؛ فلا يدرى أى الحسرتين عليه أعظم : إذهابه عمره لغيره ، أو نظره إلى ماله فى ميزان غيره ؟ وأشار إلى ذلك أبو الفتوح البستى :

ألمْ تر أن المرءَ طول حياته
مُعَنًّى بأمر لا يزال يُعَالِجُه
كذلك دود القزّ ينسج دائما
ويهلك غمّا وسْط ما هو ناسجه

وقال آخر :

يُفْنِي الحريصُ بجَمْع المال مدته
وللحوادث ما يبقى وما يَدَعُ
كدودة القز ما تبنيه يُهْلِكها
وغيره بالذى تبنيه ينتفِعُ

وبالجملة فإن اللهَ أعطاكَ أربعة أشياء : أولها اللسان ، وكلّفك منه الذِّكر له ، والقولَ الحسن لخلقه ؛ قال تعالى : « اذكروا الله » . « وقولُوا للناسِ حُسْنا »[1] .

والقلب وكلفك منه محبةَ اللهِ ومحبة المؤمنين ؛ قال تعالى[2] : « والذين آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ » ؛ أى من الصنم . وقال تعالى[3] : « ولا تَجْعَلْ فى قُلُوبِنا غِلًّا للذين آمَنُوا » .

---

(١) البقرة : ٨٣ (٢) البقرة : ١٦٥ (٣) الحشر : ١٠

فإن قلت : من أين يُعرف أن المؤمن يحبّ الله أكثر من الكافر ، والكافر يقتل نَفْسه لمعبوده ، والمؤمن لا يفعل ذلك ؟

فالجواب أنّ الكافر إذا أصابته شدّة تبرّأ من معبوده ؛ قال تعالى[1] : «فإذا ركِبُوا في الفُلْكِ ...» الآية . وقال : أغيْرَ اللهِ تدْعون . والمؤمن لا يعرض عن الله بالشدائد والمحن ، قال تعالى : ولَنَبْلُوَنّكم . والكافرُ يتبرّأ من معبوده يوم القيامة ؛ قال تعالى[2] : « إذ تَبَرّأ الذين اتُّبِعوا » . «[3] ويَكُونونَ عليهم ضِدًّا » . والمؤمن لا يتبرأ من معبوده . ومحبةُ الكافر بعد الرؤية ، ومحبةُ المؤمن قبل الرؤية . ومحبة الكافر من جانب واحد وهو من نفسه ليس لمعبوده منه محبّة ، ومحبة المؤمنين من الجانبين ؛ لقوله : يُحِبُّهم ويحبّونه . والكافر أظهر المحبةَ لمعبوده بقربان نفسه ، والمؤمن كتم في نفسه ؛ بل نهاه معبوده عن قَتْلها ؛ قال تعالى[4] : « ولا تَقْتُلوا أنفُسكم إنّ اللهَ كان بِكُمْ رَحيما » . وكيف يقتل نفسه وهي ماله ؛ قال تعالى[5] : « إنّ اللهَ اشترى من المؤمنين أنفُسَهم وأموالَهم » .

وأيضا لو قتل المؤمنُ نفسه لأجل معبوده — لأن له عنده خطراً عظيما — قال بعضُ العارفين رفع الله القسمة بينه وبين العارفين ؛ فكان للعارف اثنان : المعرفة والشهادة ، ذكرها لنفسه في قوله تعالى : شَهِدَ اللهُ ... الآية ؛ وقوله : أفمن شرح اللهُ صَدْرَه للإسلام ، ولله اثنان العزة والطاعة ؛ قال تعالى[6] : « إنما وَلِيُّكم اللهُ ورَسولُه » . وقوله[7] : « اللهُ وَليُّ الذين آمَنُوا » .

فإن قلت : ما علامةُ حقيقة المحبة ؟

---

(١) العنكبوت : ٦٥ (٢) البقرة : ١٦٦ (٣) مريم : ٨٢
(٤) النساء : ٢٩ (٥) التوبة : ١١١ (٦) المائدة : ٥٥
(٧) البقرة : ٢٥٧

فالجواب ما قاله بعض : ألّا ينظر إلى ما دونه ، كما قال الأصمعي : كنتُ مارًّا في البادية ، فاستقبلتني جارية كأنها علَم أو فلقة قمَر ، فنظرت إليها فقالت : لِمَ نظَرْتَ إليّ ؟ قلتُ : كلّي بكلك مشغول . فقالت : إنْ كان كما قُلْت فكلّي لكلك مبذول ، ولكن وراءك أحسن منّي ، فنظرت إلى خلْفِي فلطمتني لطمةً كادت تُذْهب بصري ، فقلت : ما هذا ؟ قالت : ظننتُ أنك عارف ، فلما نظرتَ إليّ رأيتك عاشقا ، والآن لست بعارف ولا عاشق ؛ ثم ولّتْ عني وهي تقول :

حبّك في القفار شدّدني ثمرات من الحبّ أوّاه
خوْف القطيعة أزعجني فآه من الخوف ثم آه

وفي بعض الكتب : كذب من ادّعى محبّتي ثم يجد لذة الطعام والشراب . كذب من ادّعى محبّتي فإذا جنّه الليل نام عني . كذب من ادّعى محبتي ثم خطر بباله غيري . وأعطاك اللهُ المـــال ، وطلب منك القرْض والصدقة ، وطلب من نفسك العبادة والمعونة لخالقه ؛ قال تعالى(١) : « وتعاوَنُوا على البِرّ والتقوى » .

(المُصّدّقين والمُصّدّقات(٢)) : بتشديد الصاد ، من الصدقة ؛ وأصله المتصدقين ؛ وكذلك قرأ أبيّ بن كعب . وقرىء بالتخفيف من التصديق ؛ أي صدّقوا الرسول عليه الصلاة والسلام .

(مُهْتَد(٣)) : من الاهتداء الذي هو ضد الضلال .

(مُتَكبِّر(٤)) : من أسماء الله ، وهو الذي له التكبُّر حقًّا ، والمتكبر

---

(١) المائدة : ٢ (٢) الحديد : ١٨ (٣) الحديد : ٢٦
(٤) الحشر : ٢٣

ضد المتواضع ؛ فلا ينبغى الاتصاف بأوصاف الله ، ولذلك يقول الله تعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى فى واحدة منهما أدخلتُه النار .

(مُهاجِرات[1]) : كلُّ مَنْ هاجر من النساء إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

[١٩١ ب] أمره الله بعدم ردّ مَنْ هاجر من المؤمنات منهن ، وكانت المرأة التى هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر ، امرأة حسان بن الدحداحة .

وقيل سُبيعة الأسلمية ؛ ولما خرجت جاء زوجها ، فقال : يا محمد ، رُدّها علينا ، فإن ذلك فى الشرط لنا عليك ؛ فنزلت الآية . فامتحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردها ، وأعطى مَهْرَها لزوجها .

وقيل : نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى مُعَيط ؛ هربت من زوجها إلى المسلمين .

واختلف فى الرجال : هل حكمهم فى ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على رد مَنْ أسلم منهم أو تجوز حتى الآن ؟ على قولين . والأظهر الجواز ؛ لأنه إنما نسخ ذلك فى النساء .

(مُزَّمِّل[2]) : وزنه متفعل ، فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت فى الزاى .

وقد قدمنا أنه من أسمائه عليه السلام ؛ ناداه الله به .

قال السهيلى : وفى ندائه به فائدتان :

أحدها الملاطفة ، فإنَّ العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتقّ من حالته التى هو عليها ، كقول النبى صلى الله عليه وسلم لعلىّ : قُم أبا تراب .

---

(١) الممتحنة : ١٠ (٢) المزمل : ١

والثانية التنبيه لكل متزمل راقد بالليل لينتبهَ إلى ذِكْر الله ؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشتركُ فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة .

وفى معنى تسميته صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم ثلاثةُ أقوال :

أحدها أنه كان فى وقت نزول الآية متزمّلا فى كساء أو لحاف ؛ والتزمُّل : الالتفاف فى الثياب بِضَمّ وتشمير ؛ هذا قول عائشة والجمهور .

الثانى أنه كان قد تزمّل فى ثيابه للصلاة .

الثالث أنه المتزمل للنبوءة ؛ أى المتشمر المجد فى أمرها .

والأول هو الصحيح ؛ لما ورد أنه لما جاءه الملك وهو فى غارِ حِرَاء فى ابتداء الوحى ورجع إلى خديجة ترعد فرائصه ، فقال : زَمِّلُونى زَمِّلونى ؛ فنزلت : "يأيها المدثر" . وعلى هذا نزلت : "يأيها المزمل" ، فالتزمُّل على هذا تزمُّله من أجل الرعب الذى أصابه أول ما جاءه جبريل .

وقال الزمخشرى[١] : كان نائماً [بالليل متزملا فى][٢] قطيفة ، فنودى يأيها المزمّل ليهجز[٣] إليه الحالة التى كان عليها من التزمّل فى القطيفة ؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل . وهذا القول بعيد غَيْرُ سديد .

(مُنْفَطِر به[٤]) : أى ممتلئة به بلسان الحبشة ؛ قاله ابن عباس . والانفطار فى اللغة الانشقاق . والضمير المجرور يعود على اليوم الذى تنفطر السماءُ بشدة هَوْله . ويحتمل أن يعود على الله ؛ أى تنفطر بأمره وقُدْرته . والأول أظهر .

فإن قلت : ما فائدة مجىء منفطر بالتذكير والسماء مؤنثة ؟

---

(١) الكشاف : ٢ ـ ٤٩٧ . (٢) من الكشاف . (٣) الهجز : الهجس ، وهاجزه : ساره (القاموس) . (٤) المزمل : ١٨

فالجواب تأنيثها غير حقيقى، أو على الإضافة؛ تقديره ذات انفطار، أو لأنه أراد السقف.

(مدَّثر[1]) : من أسمائه عليه الصلاة والسلام، وتسميته بذلك كتسميته بالمزّمّل، ومعناه الذى تدثّر فى كساء أو رداء.

قال السُّهَيلى: فى ندائه بالمدثر ما فى ندائه بالمزمل.

وثالثة وهى أن العرب يقولون: النذير العريان للنذير الذى يكون فى غاية الجدّ والتشمير؛ والتدثّر بالثياب ضدُّ هذا؛ فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير.

وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن. والصحيحُ: اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ.

(مُسْتَنْفِرَة[2])، بفتح الفاء: التى استنفرها الفزع، وبالكسر بمعنى النافرة. وشبَّه الكفار بالحمُر النافرة فى جهلهم ونفورهم عن الإسلام. ويعنى حمير الوحش.

(مُنَشَّرة[3]) ؛ أى منشرة غير مطويّة، كما كُتبت لم تُطْو بعد. وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لن نَتّبِعك حتى تأتى كلَّ واحد منا بكتاب من السماء فيه: مِنْ رَبِّ العالمين إلى فلان بن فلان - تأمر باتّباعك.

(مُلْكاً كَبِيراً[4]) : يعنى كثرة ما أعطاهم اللهُ حتى أن أدنى أهلِ الجنة منزلةً مَنْ له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه حسبما ورد فى الحديث.

وقيل: إن الملائكة تسلِّم عليهم، وتستأذن عليهم، فهم بذلك كالملوك.

---

(١) المدثر : ١ (٢) المدثر : ٥٠ (٣) المدثر : ٥٢

(٤) الإنسان : ٢٠

(مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاها[١]) ؛ أى إنما بُعِثْتَ يا محمد لتُنْذِرَ بها ، وليس عليك الإخبار بوقتها ، وخصَّ الإنذار [١٩١ ب] بمن يخشاها لأنه هو الذى ينفعه الإنذار .

(مُسْفِرة . ضاحِكةٌ مُسْتَبْشِرة[٢]) : أى مضيئة من السرور ، وهو من قولك : أسفر الصبح إذا أضاء .

(مُطَفِّفِين[٣]) : التطفيف فى اللغة هو البَخْس والنَّقْص ، فسره بذلك الزمخشرى ؛ واختاره ابن عطية .

وقيل : هو تجاوُز الحدّ فى زيادة أو نقصان . واختاره ابن الفرس ؛ وهو أظهر ؛ لأن المراد به بَخْس حقوق الناس فى المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه ، أو ينقص من حق غيره .

وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جُهينة له مكيالان ؛ يأخذ بالأَوْفَى ، ويُعْطى بالأنقص ؛ فالسورةُ على هذا مدنية . وقيل : إنها مكية ؛ لذكر أساطير الأولين . وقيل نزل بعضها بمكة وأنزل أَمْرُ التطفيف بالمدينة ؛ إذ كانوا أشد الناس فسادا فى هذا المعنى فأصلحهم الله .

(مُؤْصَدة[٥]) : مغلقة مطبقة ، يقال : أوصدت الباب إذا أغلقته . وفيه لغتان الهمز وترك الهمز .

(مُمَدَّدة[٦]) . العَمَد[٧] : جمع عمود ، وهو عند سيبويه اسم جمع . وقرىء بضمتين ، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب . والممددة : الطويلة .

---

(١) النازعات : ٤٥ (٢) عبس : ٣٨ ، ٣٩ (٣) المطففين : ١

(٤) الكشاف : ٢ — ٥٣٠ (٥) البلد : ٢٠ ، والهمزة : ٩

(٦) الهمزة : ٩ (٧) الآية : فى عمد ممددة .

وفى المعنى قولان :

أحدها أنّ أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدّت على أبوابها عُمد تشديداً فى الإغلاق والثقاف[1] ، كما تثقف أبواب البيوت بالعمد ، وهو على هذا متعلق بمُوصدة .

والآخر أنهم موثقون مغلولون فى العمد ؛ فالمجرور على هذا فى موضع خبر مبتدأ مضمر ، تقديره هم موثقون فى عُمُدٍ .

(مُنْفَكِّين[2]) : زائلين . والمعنى أن جميع الكفار لم يكونوا منفكّين حتى تأتيهم البينة ، وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومعنى منفكين مُنْفَصلين . ثم اختلف فى هذا الانفصال على أربعة أقوال :

أحدها — أنّ المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة ، لتقوم عليهم الحجة .

الثانى — لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوءة نبيّنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله .

الثالث — اختاره ابن عطية ، وهو : لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقُدْرته حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة .

الرابع — وهو الأظهرُ عندى : أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا عن الدنيا حتى بعث الله لهم محمدا ، فقامت عليهم الحجةُ ؛ لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بَعْثه لقالوا : ربنا لو أرسلت إلينا رسولا ؛ فلما بعثه الله لم يبق لهم عُذْر ولا حجة ؛ فمعنى مُنْفكين على هذا كقولك لا تبرح ولا تزول حتى يكون كذا وكذا .

---

(١) فى الكشاف : استيثاقا

(٢) البينة : ١

(ميثاق[1]) : قد قدمنا أنه العهد حيثما وقع والموثق ؛ مفعال من الوثيقة .

(من بعده[2]) : الضمير لموسى ؛ أى من بعد غيبته فى مناجاته على الطُّور .

(مِلَّةَ أَبِيكُم إبراهيم[3]) : انتصب ملّة بفعل مضمر تقديره ، أعنى بالدين ملّة إبراهيم ، أو التزموا ملّة إبراهيم .

وقال الفراء : انتصب على تقدير حذف الكاف ؛ كأنه قال كَملّة .

وقال الزمخشرى[4] : انتصب بمضمون ما تقدم ، كأنه قال : وسّع عليكم توسعة ملّةِ أبيكم إبراهيم ، ثم حذف المضاف .

فإن قلت : لم يكن إبراهيم أبًا للمسلمين كلهم .

فالجواب أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبًا لأمته ؛ لأن أمة الرسول فى حكم أولاده . وأيضا فإن قريشًا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم ، وهم أكثرُ الأمة ؛ فاعتبرهم دون غيرهم .

وقد قدمنا فى هذا الحرف أنّ الله نسب هذه الأمةَ لإبراهيم ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يشفع فيهم ، والوالد يستحى من زلّة ولده ، ولم ينسبهم لآدم ؛ لأنه عاملهم بما لم يُعامل به آدم عند ذنوبهم . ألا تراهم يرتكبون كلَّ ساعة المخالفة ، وهو يسترهم ويرزقهم ويعافيهم ، وإن نادَوْه لبّاهُمْ ، وإن استغفروه غفر لهم ؛ وأعظَمُ من ذلك أنه نسبهم إلى الوفاء فى قوله تعالى[5] : «وإبراهيمَ الّذى وَفّى» . «[6] إنّ إبراهيمَ لَحليمٌ أوّاهٌ مُنِيب » . وكما أحيا اللهُ على يديه الطيور ، وأظفره بعدوّه النمرود ، ولم تصل النار إلى جسده ؛ بل أحرق قيوده — كذلك

---

(١) البقرة : ٢٧ (٢) البقرة : ٥١ (٣) الحج : ٧٨
(٤) الكشاف : ٢ ـ ٦٨ (٥) النجم : ٣٧ (٦) هود : ٧٥

يحيى الله قلوب هذه الأمة المحمدية إذا ندموا على المخالفة، ويُظفرهم بعدوهم إبليس [١٩٢ ا] فى القيامة ويبرد عليهم النار، فلا يذوقون فيها الماء، كما صح أنهم يموتون فيها إماتة ... الحديث بطوله فى صحيح مسلم.

فهنيئاً لكم يا أمة محمد على ما خوّلكم له من النعم لحرمة نبيكم، اللهم اجعلنا من أمته، واحشُرْنا فى زُمْرَتِهِ لا مبدّلين ولا مغيِّرين.

(مِسْكين[1]): مفعيل من السكون، وهو الذى سكنه الفقر؛ أى قلل حركته، وهو أحوَجُ من الفقير.

وقال الأصمعى: بل المسكين أحسن حالاً من الفقير؛ لأن الله عز وجل يقول[2]: «أمّا السفينةُ فكانت لِمساكين»؛ فأخبر أنّ المسكين له سفينةٌ من سفن البحر، وهى تساوى قيمةً كبيرة.

والصحيح الأول؛ لأن الله قال فى أصحاب السفينة: مَساكين، على وجه الإشفاق عليهم، لكونهم يغصبون فيها، أو لكونهم فى لجج البحر، ولا سيما على قراءة مَسّاكين ـ بتشديد السين؛ أى يمسكون السفينة.

(مِحْرَاب[3]): قد قدمنا أنه مقدم المجلس وأشرفه، والمحراب أيضا: الغرفة، وجمعه محاريب. وأما قوله[4]: «كلما دخلَ عليها زكريا المحرابَ» ـ فالمراد به موضع عبادتها.

(مِثْقَال ذَرَّة[5]): أى وزنها، وهى النملة الصغيرة؛ وذلك تمثيل بالقليل تنبيه على الكثير.

---

(١) البقرة: ١٨٤ (٢) الكهف: ٧٩ (٣) آل عمران: ٣٩

(٤) آل عمران: ٣٧ (٥) النساء: ٤٠

(مِنْهَاجاً[١]) : أي ديناً ؛ وفي هذا دليل على أن الله أمر بالدين القيم لجميع العالم . وأما الأحكام والفروع فقد قدمنا أن ذلك مختلف .

(مِدْرَاراً[٢]) : بناءُ تكثير من الدر . يقال دَرّ المطر واللبن وغيره . وفي الآية دليلٌ على أنَّ التوبةَ والاستغفار سببٌ لنزول المطر .

(مِنْ قَبْلُ كانوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ[٣]) : أي من قبل إتيان الرسل كانت عادةُ قوم لوط إتيان الفواحش في الرجال .

(مِنْ وراءِ إسحاقَ يَعْقُوب[٤]) : أي من بعده ، وهو ولده . وقيل الوراء ولد الولد . ويعقوب بالرفع وبالفتح معطوف على إسحاق .

(مِن الزَّاهدين[٥]) : أي في قيمة يوسف ؛ لأنهم علموا أنه حر ، أو بقيمته . وقيل : إن يوسف نظر إلى أسفل الجب ، فرأى صورة وجهه في الماء فاستحسنه ، فخطر بباله : لو كنتُ مملوكاً لكنت عزيزاً ، وعزّ لي ثمني ؛ فبعث الله إليه السيارة ، وسلّط عليه إخوته حتى باعوه بثمن بَخْس ، وأراه أنَّ قيمته بجمال الباطن لا بجمال الظاهر . فلما وصل أسفل الجب ، وجاءته السَّيارة واشتروه لأن إخوته دبّروا قتله ، ولم يقدروا ، وأرادوا بُعْده ، والله غالب على أمره ، فصيّره ملكاً .

وأنتَ يا محمدي دبّر لك إبليس القطع والهجران ، والله يدبِّر لك العفو والغفران ، ويصيّرك ملكاً كريماً .

وفي الحديث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يا رب ، الأمم الماضية

---

(١) المائدة : ٤٨ (٢) الأنعام : ٦ (٣) هود : ٧٨
(٤) هود : ٧١ (٥) يوسف : ٢٠

خسفتَ بهم ، وأمطَرْتَ عليهم الحجارة ، ومسختهم قِرَدة وخنازير ، فماذا تصنع بأمتي ؟ فقال : يا محمد ، أصبُّ على أمتك الرحمة من أعنان السماء ، وأبدل سيئاتهم حسنات ، ولو أني أحب العتاب ما حاسبْتُ أُمَّتك". فلما أراد الانصراف من عنده قال : "إلهى ، لكل راجع من سفرة تُحفة ، فما تُحفة أمتى ؟" قال : رحمتى لهم ما عاشوا ، وبُشْراى لهم إذا ماتوا ، وفُسحتى لهم إذا قُبِروا ، وكرامتى لهم إذا بعثوا ، وحُبِّي لهم إذا حضروا ، ورؤيتى لهم إذا زاروا .

وفى الحديث : "إن الشيطان ينادى يوم القيامة أين أحبَّابى وأهل طاعتى من أمّة محمد ؟ فينادى الجبار جل جلاله : كذبت يالعين ، أنت للنار وهم للجنَّة".

(مِنْ أهلها[1]) : الضمير لامرأة العزيز ؛ يعنى أن الصبي الذى شهد ليوسف كان من أهلها ؛ لأنه أوثق للحجة وأحسن فى براءة يوسف . وهذا الصبي هو أحد الأربعة الذين تكلّموا فى المهد ، وبرَّءُوا أصحابهم مما رموهم به . أفترى الله شهد لكَ بالإيمان وخاطبك به فى القرآن ، أفتراه يضيّعك بعد شهادته لك ؟

فإن قلت : هل سمعَتْ زُليخا هذه الشهادة من الصبي ؟

فالجواب أنها لم تسمعه لاستيلاء الشهوة عليها ، فأصمَّ سمعها وبصرها ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : حبُّك الشيء يُعمى ويُصم .

(مِنَ المُحْسنين[2]) : هذا من قول الفتيان ليوسف ، يعنى إنّا رأيناك من المحسنين إلى أهل السجن فى عيادة مرضاهم ، وتعبير رؤياهم ، وقضاء حوائجهم ؛ فالإحسان أورث يوسف محبةَ أهل السجن فيه .

---

(١) يوسف : ٢٦ (٢) يوسف : ٣٦

وأنتَ يا محمدى أولى بمحبة الله لكَ ورحمته ، ونصرته ونفى الخوف عنه إن كنت محسنا ؛ قال تعالى[1]: «ما عَلَى المُحْسِنِين مِنْ سَبِيل» . «[2]إنَّ اللهَ مع الذين اتَّقَوْا» .

(مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ[3]) : أى الدالة على براءته . والضمير يعود على الملك وزُليخا ، وإنما عرضت به للسجن والعذاب ؛ لأنه أيسر الأشياء ، وكانت ترجوه إنْ بَقِي. فكذلك عرض مولانا لنا أيسر الأَمرين الفضل والعدل ؛ فإن عاملناه بالعقل والعدل عاملنا بالفضل ؛ لأن له فى الأمور التى يبديها ويخرجها أمرين ؛ ألا ترى إلى قصة يوسف عليه السلام كيف مضى عليه حينٌ من الدهر ، وهو مشتغل ببلواه ، وغيره مشتغل به وبهواه ، حتى إن أباه بكى على فراقه وإخوته بكوا حسداً له ، وبكى يوسف على ما ابْتُلى به فى صغر سنه وغُربته ، وبكت امرأةُ العزيز على محبته ، فلما كشف الله الغطاء ، وأظهر بدائع لطفه تغيَّرت الأحوال فصار بكاءُ يعقوب وحزنُه على خواتم الأمور فرحا ؛ فحكى اللهُ عنه قوله : يا بنى ، إن اللهَ اصطفى لكم الدين .

وأما الإخوة فإنهم رجعوا إلى الاستغفار ، وقالوا : يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين .

وأما يوسف عليه السلام فقال : توفَّنى مسلما وألحِقْنى بالصالحين .

وأما زليخا فإنها قالت : الآن حَصْحَصَ الحقُّ .

فكيف تحزن يا محمدى على فَوْتِ الدنيا ، وأنت ترى أحوالها وزوالها واضمحلالها، وتدّعى أنك تَطْلُبُ الحقَّ ؟ هيهات !

---

(١) التوبة : ٩١ (٢) النحل : ١٢٨ (٣) يوسف : ٣٥

(من السِّجْن[1]) : إنما لم يقل من الجب ، لوجهين : أحدها فى ذكر الجب خزى إخوته وتعريفهم بما فعلوا ؛ فترك ذِكْرَه توقيراً لهم .

والآخر أنه خرج من الجب إلى الرقّ ، ومن السجن إلى الملك ؛ فالنعمة به أكثر .

هذا يوسف لم يرد تعيير إخوته ، والمؤمن الذى أطاع مولاه أفتراه يذكره بذنوبه ؟ كلّا والله لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه .

وقد قدمنا أن الكرامات التى كانت للنبي عليه السلام كانت لأمّته .

(من البَدْوِ[2]) : أى من البادية ، وكانوا أصحاب إبل وغنم ، فعدّ فى النعم مجيئهم إلى الحاضرة ؛ فيفهم من مقارنة خروجه من السجن ومجيئهم من البادية شؤمها ؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم : مَنْ بَدَا جَفَا ؛ وذلك لتركهم الجمعة ، وقلّة الإقامة بالدين ، هذا فى زمان أهل الخير والدين ، وأما فى هذا الزمان فالبادية أكثر خلاصا مع الله لقلّة حبهم فى الدنيا ، والتصنّع لأهلها ؛ وليس الخبر كالعيان ، والمشاهد لا يحتاج لبرهان .

(مِنَ المُلْكِ[3]) : من للتبعيض ؛ لأنه لم يعطه الله إلا بعض ملك مصر .

(مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ[4]) : احتجاج على صحة نبوءة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم لإخباره بالغيوب .

(مِحَال[5]) : مشتق من الحيلة ، فالميم زائدة ، ووزنُه مفعل . وقيل معناه شديد المكر ، مِنْ قولك محل[6] بالرجل إذا مكر به ، فالميم على هذا أصلية ،

---

(١) يوسف : ١٠٠ (٢) يوسف : ١٠٠ (٣) يوسف : ١٠١

(٤) يوسف : ١٠٢ (٥) الرعد : ١٣ (٦) مثلثة الحاء ، كما فى القاموس .

ووزنه فعال . ويقال المحال من قولهم محل فلان بفلان إذا سعى به إلى السلطان ، وعرّضه للهلاك .

(مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ[1]) : أى مقدر بقَصْدٍ وإرادة ، فالوزن على هذا مستعار . وقيل المراد ما يوزن حقيقة ، كالأطعمة والذهب . والأول أحسن وأعم .

(المعلوم[2]) : اليوم الذى طلب إبليس أن يُنْظَر إليه[3] هو يوم القيامة ، والوقت المعلوم الذى أُنظر إليه هو يوم النّفخ فى الصور النفخة الأولى حين يموت مَنْ فى السموات ومَنْ فى الأرض . وكان سؤال إبليس الإنظار إلى يوم القيامة جهلا منه أو مغالطة، إذ سأل ما لا سبيل إليه ؛ لأنه لو أعطى ما سأل لم يمت أبدا لأنه لا يَمُوت أحدٌ بعد البعث ، فلما سأل ما لا سبيل إليه أعرض الله عنه وأعطاه الإنظار إلى النفخة الأولى .

(مِنْ بَعْدِها لغفورٌ رَحيم[4]) ، أى بعد الأفعال المذكورة ، وهى الهجرة والجهاد والصبر .

(مِنْ دُونى وَكِيلا[5]) : أى ربا تَتكلُون إليه أمركم .

(مِنْ لَدُنِّى عُذْرا[6]) : أى قد عذرت إلى معتذر عندى . وفى الحديث : كانت الأولى من موسى نسيانا .

(مِنْ كلِّ شىء سَبَباً[7]) : أى فهما وعلما يُتَوصل بهما إلى معرفة الأشياء . والسبب : ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك .

---

(١) الحجر : ١٩ (٢) الحجر : ٣٨ (٣) فى الآيتين قبلها (٣٦ ، ٣٧) : قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون . قال : فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم .

(٤) النحل : ١١٠ (٥) الإسراء : ٢ (٦) الكهف : ٧٦

(٧) الكهف : ٨٤

(مِتُّ قَبْلَ هَذا[1]) : إنما تمنّتْ مريم الموتَ خوفاً من إنكار قومها ، وظنهم بها [١٩٣ ا] الشر ، ووقوعهم فى ذَمّها . وتمنى الموت جائز فى مثل هذا.

وليس هذا من تمنى الموت لضرر نزل بالبدن ، فإنه منهى عنه لحديث : لا يتمنى أحدكم الموت لضرر نزل به ، وليَقُل اللهم أَحْيِنى ما كانت الحياة خيراً لى .

وحكى أنه لما اشتد بها الموت قالت هذا .

فإن قلت : ها هى آمنة أمّ مولانا محمد صلى الله عليه وسلم لم تَجِدْ ألماً حين ولادته ، ومريم وجدت الألم ؟

والجواب أن الله أجرى العادة فى هذه الدار أنه على قَدْرِ الفرح يكون التَّرَح ، ومريم قرّ اللهُ عينها بعيسى ، وشاهدت معجزاته ، وظهور أمره ، فاشتدَّ عليها الأَمْرُ ، وأمُّ سيد الأولين والآخرين لم يكن لها منه حظّ ، ولم تشاهده ، فرفع الله عنها الألم . وقيل العطاء مقسوم على قَدْر البلاء ، ألا ترى إلى نوح لمّا يئس من إيمان قومه ولم يفرح بهم وآذَوْه استجاب اللهُ له فيهم ، ونبينا علم إيمان أمّته ، واتّباع شريعته ، فاحتمل أذاهم ، ولم يَدْعُ على قومه ، فقال : اللهم اغفرْ لقَوْمى فإنهم لا يعلمون .

فإن قلت : قد دعا عليهم بقوله : اللهم أعنّى عليهم بسَبْع كسبع يوسف . وقال لما صب عليه سَلَى[2] الجَزُور : اللهم عليك بقريش .

والجواب أنه دعا عليهم ، لأنه غَضِب لله ، إذ عادته صلى الله عليه وسلم الصفح

---

(١) مريم : ٢٣

(٢) السلى : جلدة فيها الولد من الناس والمواشى ، جمعه أسلاء (القاموس) .

ما لم تهتك حرمته ، فيغضب لله ؛ وكان حينئذ فى الصلاة فدعا عليهم لذلك .
وأيضا فإنه علم صلى الله عليه وسلم عدم إيمان المدعوّ عليه ، كما صح . وأما دعاؤه بالاستعانة عليهم بالجدب فللطمع فى إيمانهم ، كقوم يونس .

فتأمل يا محمدىّ عنايةَ الله فيك فى أزله ، فلا تجزع من البلايا والرزايا ، فإنما هى تطهيرات . ومقاساة البلية مقسومة على حسب الكرامة ، فكما أعد لك من النعيم المقيم ما لا عين رأتْ ابتلاك على حسب ما أعدّ لك . يقول تعالى : عبدى رفعت البلاء عن الملائكة فهم مخفَّفون من الهموم ، ولا لهم همّ الرزق ، ولا شدة الجوع ، ولا ألم المرض ، ولا خوف العواقب ؛ لأن الجنةَ غير معدودة لهم .

وقد قدرت البلايا والمِحَن والشدائد والهموم ، وخوف زوال الإيمان عليك ؛ لأن الجنة معدودة لك ، والرؤية موعودة لأجلك ، ومقاساة البلية مقسومة على حسب القطيعة .

(مِنْ غَيْرِ سُوءٍ[1]) ؛ يعنى من غير برَص ولا عاهة ؛ وذلك لحكم :

منها أنه لما أتعب يده حين لطم فرعون فى حال صباه أكرم الله يده بأن جعلها بيضاء . وكذلك الخليل أتعب يده بكَسْرِ الأصنام فأكرمه الله بإحياء الطيور على يديه . وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم أتعب يده بِرَمْيِ التراب فى وجوه الكفار فأكرمه الله بانشقاق القمر بإشارته ، ونبع الماء من بين أصابعه .

فالمؤمن الذى يكرم يده بمدها فى الطاعة أقرانه لا يكرمها الله بأخْذ كتابه

---

(١) طه : ٢٢

وتزيينه بأساور من فضة . وإذا أتعب رجله بالمشى إلى الجماعة يكرمه بخمود النار تحت قدميه ؛ فتقول له : جُزْ يا مؤمن ، قد أطفأ نورك لهبي .

وكذلك إذا أتعب قلبه فى ردّ وساوس الشيطان يكرمه الله تعالى بنور معرفته ومحبّته .

ولما أكرم تعالى يد موسى بنور النبوة لم تَحْتَرق ، ولو احترقت لم تكن معجزة ؛ وكذلك إسماعيل لما كان نور المصطفى فى وجهه صلى الله عليه وسلم لم يعمل فيه السكين ، وأكرمه الله بنور الحبيب الكريم ، وفداه بالذبح العظيم ، وحرم عليه العذاب الأليم .

وكذلك العبد إذا أكرمه الله بنورَ المعرفة والإيمان نَجّاه من النيران وحرم عليه القَطْع والهجران .

ولما كانت يده حجة على فرعون حفظها الله من النار كى لا تبطل حجّته ، كذلك المعرفة حجتك على الكافرين ، نسأله أن يحفظ حجتك من الزوال .

ومنها أنّ الله تعالى أراه مِنّته وهيبته فحفظ يده من النار كى يرى منته ، وأحرق لسانه بالجمرة كى يرى هَيْبته ؛ كذلك قصة امرأة عمران قالت[1] : «رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لكَ ما فى بَطْنِي مُحَرَّراً » ، فولدت أنثى كى لا تصلح لتمام الخدمة التى أضمرت فى نفسها ، لترى هيبته بذلك ، فتقبّلها ربها بنقصانها لترى منته .

كذلك قصة الخليل لما قُيِّد [١٩٣ ب] ورُمى فى النار احترق قَيْدُه ولم تحترق يده ؛ ليرى هيبته ثم يرى منته ، كذلك العبد يوقعه اللهُ فى المعصية ثم يحفظ

---

(١) آل عمران : ٣٥

قلبه من الشرك والنكرة[1] لينظر العبد إلى المعصية ، فيرى هيبته ، ثم ينظر إلى معرفته فيرى مِنّته ، ويبقى مع مولاه فى رؤية المنة ورؤية الهيبة .

ومنها أنه أخذ الجمرة بإلهام الله وإذن الملك ، ووضعها فى فمه باختيار نفسه دونَ أمرِ ربه ، فاحترق لسانه ، وكذلك العبد يعصى بنفسه ، واختيار هواه ، ثم يخاف ربّه ويندم بقلبه فتذوب نفسُه ، فيأمر ربُّه بإدخاله النار ، ويحفظ قلبه من ألم الهجران .

(مِساسَ[2]) : هذا من كلام موسى للسامرى ، عاقبه بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومواكلته ومكالمته ، وجعل له مع ذلك أن يقولَ طولَ حياته : لا مِساسَ ؛ أى لا مماس ولا إذاية .

وروى أنه كان إذا مسّه أحد أصابته الحمّى له وللذى مسه ، فصار هو يَبْعُدُ عن الناس ، وصار الناس يبعدون عنه ؛ وهذه كانت عقوبته .

والصحيح أنه تاب فقَبِلَ اللهُ توبته .

وروى أن موسى همّ بالدعاء عليه ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : لم يا رب ؟ فقال : لسخائه .

(مِشْكاة[3]) : كوّة غير نافذة بلغة الحبشة ؛ قاله مجاهد ؛ وإنما وصفها بذلك لأن المصباح فيها شديد الإضاءة .

وقيل : المشكاة الذى يكون المصباح على رأسه . والأول أصح وأشهر .

---

(١) النكرة : خلاف المعرفة (القاموس) .

(٢) طه : ٩٧

(٣) النور : ٣٥

(مِسْك[1]) : ذكر الثعالبي أنه فارسي ، وهو دَمٌ مجتمع فى عنق الظبي الذى تبع آدم يبكى عليه ، فأكرمه الله بالمسك .

وأنت يا عبد الله إن تتبعتَ أمره يكرمك بالجنة التى فيها أنواع اللذات والطيبات من الروائح ، وتشرب من مائه ، ختامه مسك .

(مِصباح[2]) : هو الفتيل بناره . والمعنى أنه قنديل من زجاج ؛ لأن الضوء فيه أزهر ؛ لأنه جسم شفاف .

والمعنى أن صفة نور الله فى وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوّره البشر من الإضاءة ؛ وإنما شبهه بالمشكاة ، وإن كان نور الله أعظم ؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار .

(مِنْسَأته[3]) : أى عصاته بلغة الحبشة ، وقرئت بالهمز وبغير همز .

وقصّتُها أنّ سليمان عليه السلام دخل قبةً من قوارير ، وقام يصلّى متكئاً على عصاه ، فقبض الله رُوحه ، وهو متكىء عليها ؛ فبقى كذلك سنةً لم يعلم أحدٌ بموته حتى سلّط الله عليها[4] دابّة الأرض وهى السوسة . واختصرنا كثيرا مما نقله الناس لعدم صحته .

وحِكْمَةُ ذلك أن الجن كانت تدّعى عِلْمَ الغيب ، فتخبر الناس ؛ فرد الله ذلك القول بقوله تعالى[3] : «تبيّنت الجنُّ أنْ لو كانُوا يَعْلَمُون الغَيْبَ ما لبِثُوا فى العذاب المهين» . فعِلْمُ الغيب لا يطّلِع عليه إلا اللهُ ، ومَنْ يُرد اللهُ أن يعلمه من نبي أو صديق .

---

(١) المطففين : ٢٦ (٢) النور : ٣٥ (٣) سبأ : ١٤

(٤) أى على العصا .

ورضي الله عن السيد الذي دخل على بعض الملوك فوجده مهموماً ، فقال : مالك ؟ فقال : رأيتُ ملك الموت ، فاختبرته عما بقي من أجلي ، فأشار لي بأصابعه الخمس ، فلا أدري أخمس ساعات أو أيام أو جمعات أو أشهر أو سنين؟ فقال له : أشار لك إلى أنّ الخمس التي انفرد الله بعلمها في قوله تعالى[1] : « إنّ الله عنده عِلمُ الساعة ... » الآية .

فإذا كان ملك الموت الموكّل بقبض الأرواح لا يعلم أجَلَ شخص حتى يُؤْمر بقبض روحه فكيف يطّلع الغير على الغيوب ؟

ولهذا أبطل العلماء ما يدعونه[2] أهل البطالة من الاطلاع على الغيوب ، ويستدلّون عليه بأمارات باطلة .

(مِيعاد يَوْم[3]) : يعني يوم القيامة أو نزول العذاب بهم في الدنيا ، وهو الذي سألوا عنه على وجه الاستخفاف .

(مِرّة[4]) : أي ذو قوة ، أو ذو هيئة حسنة . والأول هو الصحيح في اللغة . وقيل : مرة أي محكم الفتل .

(مِرْصاد ، أو مَرْصَد[5]) : طريق وانتظار ؛ أي تنتظر الكفار ليدخلوها . وقيل معناه طريقا للمؤمنين يجُوزُون عليها إلى الجنة ؛ لأن الصراط منصوب على مَتْن جهنم .

وأما قوله تعالى[6] : « إن رَبّك لبِالمِرْصاد » ؛ فهو عبارة على أنه تعالى

---

(١) لقمان : ٣٤ ، وبقيتها : ويُنزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ـ فالخمسة فيها ظاهرة .

(٢) هذا بالأصلين : ا ، ب . (٣) سبأ : ٣٠ (٤) النجم : ٦

(٥) النبأ : ٢١ ، التوبة : ٥ (٦) الفجر : ١٤

حاضر بعلمه فى كل مكان وكلّ زمان ، ورقيب على كل إنسان ، وأنه لا يفُوته أحد من الجبابرة والكفار . وفى ذلك تهديد لكفّار قريش وغيرهم .

وقد كتب بعضُ الفضلاء لمن هدده : فيا للعجب ذبابة تطنّ [١٩٤ ا] فى أذن الفيل أم بعوضة تعدّ فى التماثيل ؟ وستندم على ما حدّثتْك نفسك من أمانى كاذبة، وخيالات غير صائبة ؛ فإن الجواهر لا تزول بالأعراض ، كما أن الأرواح لا تعىَ بالأمراض ؛ فسبحان الله ! كم بين قوى وضعيف ، ودنىء وشريف ؛ فإن عُدْنا إلى الظواهر المحسوسات ، وعدَلْنا عن البواطن المعقولات ، قلنا أُسْوَة برسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال : "ما أُوذِى نبىّ بمثل ما أوذيت"، فكانت العاقبة لله ولرسوله وللمؤمنين ؛ فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن من أمرنا بالمرصاد ، واتلُ أوّلَ النحل وآخر ص [١]".

(ما) : اسمية وحرفية ؛ فالاسميـــة تَرِدُ موصولة بمعنى الذى نحو[٢] : « ما عِنْدَكم يَنْفَدُ وما عِنْدَ الله باق » . ويستوى فيها المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع .

والغالب استعمالها فيما لا يعلم ، وقد تستعمل فى العالم ؛ نحو[٣] : « والسماء وما بَناها » . «[٤] ولا أنتم عابِدُون ما أعْبُد » ؛ أى الله .

ويجوز فى ضميرها مراعاة اللفظ ؛ واجتمعا فى قوله[٥] : « ويَعْبُدونَ من دون الله ما لا يَمْلِكُ لهم رِزْقاً من السموات » .

وهذه معربة بخلاف الباقى .

---

(١) أولُ النحل : أتى أمر الله فلا تستعجلوه . وآخر ص قوله تعالى : ولتعلمن نبأه بعد حين .

(٢) النحل : ٩٦ (٣) الشمس : ٥

(٤) الكافرون : ٣ (٥) النحل ٧٣

واستفهامية بمعنى أى شىء ؛ ويُسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته ، وأجناس العلماء وأنواعهم وصفاتهم ؛ نحو : ما هى . ما لَوْنُها . ما ولَّاهم . «[1] مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا موسى » . وما الرحمن . ولا يُسأل بها عن أعيان أولى العلم ، خلافاً لمن أجازه .

وأما قول فرعون : وما ربُّ العالمين — فإنما قاله جَهْلا ؛ ولهذا أجابه موسى بالصفات . ويجب حذف ألفها إذا جُرَّت ، وإبقاء الفتحة دليلا عليها ، فَرْقا بينها وبين الموصولة ؛ نحو : « عَمَّ يتساءلون » . «[2] فِيمَ أَنْتَ من ذِكْرَاها » . «[3] لِمَ تقولُون ما لا تفعلون» . «بم يرجع المرسلون» .

وشرطية نحو[4] : « ما نَنْسَخْ من آيةٍ أو نُنْسِها » . «[5] وما تَفْعَلُوا من خير يعلمه الله » . «[6] فما استقامُوا لكم فاستَقِيمُوا لهم » .

وهذه منصوبة بالفعل بعدها .

وتعجبية نحو[7] : «ما أصبرهم على النار» . «[8] قُتِلَ الإنسان ما أكفره » . ولا ثالث لهما فى القرآن إلا فى قراءة سعيد بن جُبير : ما أغرك بربك الكريم .

ومحلّها فى رفع الابتداء وما بعدها خبر . وهى نكرة تامة .

ونكرة موصوفة ؛ نحو[9] : « بعوضة فما فَوقها» . «[10] نِعِمَّا يَعِظُكم به» ؛ أى نعما شىء يعظكم . وغير موصوفة نحو : «[11] فنعمّا هى » .

---

(١) طه : ١٧ (٢) النازعات : ٤٣ (٣) الصف : ٢
(٤) البقرة : ١٠٦ (٥) البقرة : ١٩٧ (٦) التوبة : ٧
(٧) البقرة : ١٧٥ (٨) عبس : ١٧ (٩) البقرة : ٢٦
(١٠) النساء : ٥٨ (١١) البقرة : ٢٧١

والحرفية ترد مصدرية إما زمانية ؛ نحو[1]: « فاتَّقُوا اللهَ ما استطعتم » ؛ أى مدة استطاعتكم .

أو غير زمانية ؛ نحو[2]: « فذُوقوا بما نَسِيتم » ، أى بنسيانكم .

ونافية إما عاملة عمل ليس ؛ نحو[3]: « ما هـذا بشر » . «[4] ما هُنَّ أُمَّهاتِهم » . «[5] فما منكم من أحد عنه حاجزين » . ولا رابع لها فى القرآن .

أو غير عاملة ؛ نحو : « وما تنفقون إلا ابتغاء وَجْه الله » . « فما ربحت تجارتُهم » . قال ابن الحاجب : وهى لنفى الحال . ومقتضى كلام سيبويه أنَّ فيها معنى التأكيد ؛ لأنه جعلها فى النفى جوابا لقد فى الإثبات ؛ فكأنما قد فيها معنى التأكيد ، فكذلك ما جعل جواباً لها .

وزيادة للتأكيد إما كافة ؛ نحو : « إنما الله إله واحد » . « إنما إلهكم إله واحد » . «[6] كأنما أغشيت وجوهُهم قِطعا من الليل مُظلما » . « ربما يودّ الذين كفروا » .

وغير كافة نحو : « فإمّا ترينّ » . « أيّاما تدعو » . «[7] أيما الأجلين قضيتُ » . « فبما رحمة من الله » . « مما خطيئاتهم » . « مثلا مّا بعوضة » .

قال الفارسى : جميعُ ما فى القرآن من الشرط بعد إما مؤكد بالنون لمشابهته فعل الشرط بدخول ما للتأكيد لفعل القسم من جهة أن ما كاللام فى القسم ، لما فيها من التأكيد .

وقال أبو البقاء : زيادة ما مُؤْذِنة بإرادة شدة التأكيد .

---

(١) التغابن : ١٦ — (٢) السجدة : ١٤ — (٣) يوسف : ٣١

(٤) المجادلة : ٢ — (٥) الحاقة : ٤٧ — (٦) يونس : ٢٧

(٧) القصص : ٢٨

فائدة

حيث وقعت ما قبل ليس أو لم أولا أو بعد إلا فهى موصولة ، نحو : « ما ليس لى بحق » . « ما لم يعلم » . « ما لا تعلمون » . « إلّا ما علمتنا » .

وحيث وقعت بعد كاف التشبيه فهى مصدرية . وحيث وقعت بعد الباء فإنها تحتملهما ؛ نحو : « بما كانوا يظلمون » . وحيث وقعت بين فعلين سابقهما علم أو دراية ، أو نظر ، احتملت الموصولة والاستفهامية نحو[1] : « وأعلم ما تُبْدُون وما كُنْتُم تَكْتُمُون » . «[2] ما أدْرِى ما يُفعل بى ولا بِكُم » . «[3] ولتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قدَّمت لِغَد » .

وحيث [١٩٤ ب] وقعت فى القرآن قبل إلا فهى نافية ؛ إلا فى ثلاثة عشر موضعا : «[4] مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يُقيما » . «[5] فنِصْفُ ما فرَضْتُم إلا أن يعفون » . «[6] ببعض ما آتيتموهنّ إلا أنْ يأتين » . «[7] ما نكح آباؤكم مِنَ النساء إلّا ما قد سلف » . «[8] وما أكل السَّبع إلّا ما ذكّيتم » . «[9] ولا أخافُ ما تشركون به إلا أن يشاء ربى » . «[10] فصّل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » . «[11] ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » فى موضعى[12] هود . «[13] فما حصدتم فذروه فى سُنْبله إلّا » . «[14] ما قدمتم لهن إلّا » . «[15] وإذ اعتزلتموهُم وما يَعْبُدون إلا الله » . «[16] وما بينهما إلا بالحق » حيث[17] كان .

---

(١) البقرة : ٣٣ (٢) الأحقاف : ٩ (٣) الحشر : ١٨

(٤) البقرة : ٢٢٩ (٥) البقرة : ٢٣٧ (٦) النساء : ١٩

(٧) النساء : ٢٢ (٨) المائدة : ٣ (٩) الأنعام : ٨٠

(١٠) الأنعام : ١١٩ (١١) هود : ١٠٧، ١٠٨ (١٢) انظر الهامش السابق .

(١٣) يوسف : ٤٧ (١٤) يوسف : ٤٨ (١٥) الكهف : ١٦

(١٦) الحجر ٨٥ ، وغيرها . (١٧) أى حيث كان هذا التعبير فى آيات القرآن .

(ماذا) : ترد على أوجه :

أحدها : أن تكون ما استفهامية وذا موصولة ، وهو أرجح الوَجْهين فى : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو »[1] — فى قراءة الرفع ؛ أى الذى ينفقونه العَفْوُ ؛ إذ الأصل أن تجاب الاسمية بالاسمية ، والفعلية بالفعلية .

الثانى : أن تكونَ ما استفهامية وذا إشارة .

الثالث : أن يكون « ماذا » كله استفهاما على التركيب ، وهو أرجح الوجهين فى : ماذا ينفقون قل العَفْوَ — فى قراءة النصب ؛ أى ينفقون العفو .

الرابع : أن يكون ماذا كله اسم جنس ، بمعنى شىء ، أو موصـــولة بمعنى الذى .

الخامس : أن تكون ما زائدة ، وذا للإشارة .

السادس : أن تكون ما استفهاما ، وذا زائدة . ويجوز أن يخرج عليه[2] .

(متى) : ترد استفهاما على الزمان نحو متى نَصْرُ اللهِ .

وشرطا نحو : [متى أضع العمامة تعرفونى][3] .

(مَع) : اسم بدليل جرها بمن فى قراءة بعضهم : «هذا ذكر من مَعِى »[4] ؛ وهى فيها بمعنى عند . وأصلها لمكان الاجتماع ، أو وقته نحو[5] : « ودخل معه السجنَ فَتَيان » . «أرْسِله معنا غداً »[6] « لن أرْسِلَه معكم »[7] .

---

(١) البقرة : ٢١٩ (٢) هذا بالأصلين .

(٣) مكان ما بين القوسين بياض بالأصلين . والمثبت فى المغنى : ٢ — ٢٠

(٤) الأنبياء : ٢٤ (٥) يوسف : ٣٦ (٦) يوسف : ١٦

(٧) يوسف : ٦٦

وقد يُراد به مجرد الاجتماع والاشتراك من غير ملاحظة الزمان والمكان ؛ نحو . « وكونوا مع الصادقين » . « واركعوا مع الراكعين » . وأما نحو : إني معكم . إنّ الله معَ الّذين اتقوا . وهو معكم أين ما كُنتُم . إنّ مَعِي رَبِّي سيَهْدِين ـ فالمراد الحفظ والعلم والمعونة مجازاً .

قال الراغب[1] : والمضاف إليه لفظ مَعَ هو المنصور ، كالآيات المذكورة .

(من) حرف جر ، له معان ؛ أشهرها ابتداءُ الغاية ، مكاناً وزماناً وغيرهما؛ نحو : من المسجد الحرام . من أوّل يوم . إنه مِنْ سُليمان .

والتبعيض بأنْ تسدّ « بعض » مسدّها ، نحو[2] : « حتى تُنْفِقُوا مما تحِبُّون » . وقرأ ابن مسعود بَعْضَ ما تحبّون .

والتبيين ، وكثيراً ما تقعُ بعد ما ومهما ، نحو : « ما يَفْتَحِ اللهُ للناس مِنْ رحمة » . « ما نَنْسَخْ من آية » . « مهما تأْتِنا به من آية » .

ومن وقوعها بعد غيرها[3] : « فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ من الأوثان » . «[4] أساور مِنْ ذهب » .

والتعليل[5] : « مما خطيئاتهم أُغرقوا » . «[6] يجعلون أصابعهم في آذانهم مِنَ الصَّوَاعق » .

والفصل بالمهملة وهي الداخلة على ثاني المتضادّين ، نحو[7] : « يعلم المُفْسِدَ من المُصْلِح » . «[8] ليميز اللهُ الخبيثَ من الطيبِ » .

---

(١) المفردات : ٤٧٠ (٢) آل عمران : ٩٢ (٣) الحج : ٣٠
(٤) الكهف : ٣١ (٥) نوح : ٢٥ (٦) البقرة : ١٩
(٧) البقرة : ٢٢٠ (٨) الأنفال : ٣٧

والبدل ؛ نحو[1] : « أرَضِيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » ؛ أى بدلها .
« [2] لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يَخْلُفُون » ؛ أى بدلكم .

وتنصيص العموم ؛ نحو[3] : « ومَا مِنْ إلهٍ إلا الله » . قال الكشاف[4]:
هو بمنزلة البناء [على الفتح][5] فى لا إله إلا الله فى إفادة معنى الاستغراق .

ومعنى الباء : « [6] ينظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ » ؛ أى به .

وعلى ؛ نحو : ونصرته من القوم ؛ أى عليهم .

وفى ؛ نحو : إذا نُودِى الصلاة من يوم الجمعة ؛ أى فيه .

وفى الشامل ، عن الشافعى : أن من فى قوله : « وإن كان مِنْ قوم عدوّ
لكم » بمعنى فى ؛ بدليل قوله : « وهو مُؤْمن » .

وعن ؛ نحو : « قد كُنّا فى غَفْلَةٍ من هذا » ؛ أى عنه .

وعند ، نحو[7] : « لن تُغْنِيَ عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله » ؛
أى عنده .

والتأكيد ؛ وهى الزائدة فى النفى ، أو النهى أو الاستفهام[8] ؛ نحو[9] :
« وما تسقط من ورقة إلا يَعْلَمُها » « [10] ما ترى فى خَلْقِ الرحمن من تفَاوت
فارْجِع البَصَرَ هل ترَى مِنْ فُطُور » . وأجازها قوم فى الإيجاب ، وخرجوا عليه:
« [11] ولقد جاءكَ مِنْ نبأ المُرْسَلِين » . « [12] يُحَلَّوْن فيها مِنْ أساوِر » .
« [13] مِنْ جِبَالٍ فيها مِنْ بَرَدٍ » . « [14] يَغُضُّوا مِنْ أبصارهم » .

---

(١) التوبة : ٣٨ (٢) الزخرف : ٦٠ (٣) آل عمران : ٦٢
(٤) الكشاف: ١ ـ ١٤٨ (٥) من الكشاف . (٦) الشورى : ٤٥
(٧) آل عمران : ١٠ (٨) فى المغنى : أو استفهام بهل .
(٩) الأنعام : ٥٩ (١٠) الملك : ٣ (١١) الأنعام : ٣٤
(١٢) الكهف : ٣١ (١٣) النور : ٤٣ (١٤) النور : ٣٠

فائدة

أخرج ابنُ أبى حاتم من طريق السدّى ، عن ابن عباس ، قال : لو [١٩٥ ا] أنّ إبراهيم حين دعا قال : اجعل أفئدة الناسِ تَهْوِى إليهم لازدحمت عليه اليهودُ والنصارى ، ولكنه خص حين قال : أفئِدةً من الناس ، فجعل ذلك للمؤمنين .

وأخرج عن مجاهد ، قال : لو قال إبراهيم : فاجعل أفئدة الناس تهوى إليهم لزاحمتكم عليهم الروم وفارس ؛ وهذا صريح فى فهم الصحابة والتابعين التبعيض من « من » . وقال بعضهم : حيث وقعت يغفر لكم فى خطاب المؤمنين لم تذكر معها من ، كقوله فى الأحزاب[1] : « يأيها الذين آمنوا اتَّقُوا الله وقولوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لكم أعمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لكم ذنوبَكم » . وفى الصف[2] : « يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة ... » الآية . إلى قوله : يغفر لكم ذنوبكم . وقال فى الكفار فى سورة نوح : يغفر لكم من ذنوبكم ، وكذا فى سورة الأحقاف ؛ وما ذلك إلا للتفرقة بين الخطابين لئلا يُسوّى بين الفريقين فى الوعد . ذكره فى الكشاف .

(مَن) بالفتح : لا تقع إلا اسما ؛ فترد موصولة كما قدمنا مراراً ، كقوله : ومَنْ عنده لا يستكبرون عن عبادته . وشرطية نحو : مَنْ يعمل سوءاً يُجْزَ به . واستفهامية نحو : مَنْ بعثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا . ونكرة موصوفة : ومن الناس مَنْ يقول ؛ أى فريقا يقول . وهى كما فى استوائها فى المذكر والمفرد وغيرها .

والغالب استعمالها فى العاقل ، عكس ما . ونكتته أن « ما » أكثر وقوعا فى الكلام منها ، وما لا يعقل أكثر ممن يعقل ، فأعطوا ما كثرت

---

(١) الأحزاب : ٧٠ (٢) الصف : ١٠

مواقعه للتكثير . وما قلت للتقليل ، المشاكلة ؛ قال الأنبارى : واختصاص مَنْ بالعاقل وما بغيرها فى الموصولين دون الشرط ؛ لأن الشرط يستدعى الفعل ولا يدخل على الأسماء .

(مَهْما) : اسما يعود الضمير عليها فى : «(١) مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ » . قال الزمخشرى(٢) : عاد عليها ضمير به وضمير بها حملا على اللفظ ، وعلى المعنى . وهى شرط لما لا يعقل غير الزمان كالآية المذكورة ، وفيها تأكيد ؛ ومن ثم قال قوم : إن أصلها ما الشرطية وما الزائدة ، أبدلت ألف الأولى هاء دفعاً للتكرار .



---

(١) الأعراف : ١٣٢

(٢) الكشاف : ١ ــ ٣٤٣

حرف النون

(نوح عليه السلام) : من أولاد آدم عاش بعد الطوفان ستين سنة ، وبعثه الله بعد إدريس ، وهو أولُ مَنْ صنع السفينة بأمْرِ الله ، وكانت سببَ نجاته ومَنْ آمنَ به ، وتنسلت الخلق من أولاده : سَام ، وحَام ، ويافث ؛ ولذلك يقال له آدم الأصغر ؛ لأن المؤمنين الذين كانوا معه في السفينة انقرضوا ، وكان اسمه يشكر فمرَّ على كلب ميت فجعل يده على أنْفه ، وقال : ما أقبح رائحته ؛ فقال له جبريل : يقول لك ربك اخْلُقْ أنْتَ مَنْ هو أحسن رائحة منه ، فبكى على ذلك أربعين سنة . فقال له جبريل : يا نوح ، كم تَنُوح ! يكفيك من هذا النوح .

فانظر هذه السياسة العظيمة ، والوعيد الهائل مع أنبيائه وأصفيائه من خلقه ، قال تعالى[1] : « إنّ اللهَ اصْطَفَى آدم ونوحا وآل إبراهيم » ؛ وكان في احتمال المشقة من قومه غاية حتى ضاق ذَرْعه منهم ، ودعا عليهم ؛ فأجاب اللهُ دعاءَه ، ونَجّاه ومَنْ معه ، وسلم عليه في قوله[2] : « سلَامٌ على نُوحٍ في العالمين » . «[3] قيل يانوح اهْبِطْ بسلام مِنَّا » .

(نبيئا) : مشتق من الإنباء ، وهو الإخبار ؛ لقوله تعالى[4] : « ذلك مِنْ أنباء الغَيْب » . «[5] نَبِّئْنَا بتأْويله » .

---

(١) آل عمران : ٣٣ (٢) الصافات : ٧٩ (٣) هود : ٤٨
(٤) آل عمران : ٤٤ (٥) يوسف : ٣٦

وقيل هي مشتقة من الرفعة والتفضيل ؛ لقوله تعالى[1] : « وكان رسولا نبيئا » . ومنه الحديث : كنت نبيئا وآدمُ بين الماء والطين ، يعني علمه سبحانه . فأمّا أنْ يكونَ نبيئا حقيقة وهو غير موجود فلا يتصوَّر ؛ لأن كونه نبيئا يدل على وجوده عليه الصلاة والسلام ، وكلُّ نبيء مخبر ، وليس كل مخبر نبيء ؛ إذ لا يجوز استعمال هذا الاسم في غير الأنبياء ، وإن كان المخبر صادقا .

(نظر) : له معنيان من النظر ، والانتظار ؛ ومن الانتظار يتعدّى بغير حرف . ومن نظر العين يتعدى بإلى ، ومن نظر القلب يتعدّى بفي .

(أَنْدَادًا[2]) : جمع ند ، وهو المضاهي والمماثل والمعاند ؛ والمراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله ؛ والمقصود الأعظم منها الأمر بتوحيد الله ، وترْك ما عُبد من دونه ، وذلك [١٩٥ب] هو الذي يترجم عليه بقولنا : لا إله إلا الله ؛ فيقضي ذلك الأمر الدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد ، وقول لا إله إلا الله الذي تنزَّهَتْ عن سمة الحدث ذاته ، ودلَّت على وحدانية آياته ، الأول الذي لا بداية لأزليته ، الآخر الذي لا نهاية لسَرْمَديته ، الظاهر الذي لا شك فيه ، الباطن الذي ليس له شبيه ، كلم موسى بكلامه القديم المنزّه عن التأخير والتقديم لا بصوت يقرع ، ولا بنداء يسمع ، ولا بحروف ترجع ، كل الحروف والأصوات والنداء محدثة بالنهاية والابتداء ، جلّ ربنا وعلا وتبارك وتعالى .

(نكالاً[3]) : عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وما تأخر . وقيل عبرة لمن تقدم وتأخر ؛ والمراد بهم في البقرة أصحابُ السَّبْتِ ؛ ليتعظَ بهم من يأتي بعدهم . وأما قوله تعالى[4] : « فأخذَه اللهُ نكالَ الآخرةِ والأولى » . فالمعنى أنه غرقه

---

(١) مريم : ٥١ (٢) البقرة : ٢٢ (٣) البقرة : ٦٦

(٤) النازعات : ٢٥

فى الدنيا ويُعذبه فى الآخرة . وقيل الآخرة قوله : أنا رَبُّكم الأعلى . والأولى قوله : ما عَلِمْتُ لكم مِنْ إلهٍ غيرى . وقيل بالعكس .

والمعنى أخذه الله وعاقبه على كلمته الآخرة وكلمته الأولى .

وروى أنه لما ادّعى الربوبية أراد جبريل أن يعذّبه ويخسف به الأرض ، فرجع إلى ربه فى شأنه ، فقال له : مهلا يا جبريل ؛ فإنما يستعجل بالعذاب مَنْ يخاف الفوت ، وكذلك العبد العاصى إذا أشرف على نفسه يتوقع من الله العذاب والمِحْنَة ، فينعطف الله عليه بالمحبة والمعرفة .

وقيل : إن الله أمهله أربعين سنة : عشرة لبره بوالديه ، وعشرة لبره بالطعام ؛ حتى إنه اتخذ إبرة من ذهب يلتقط بها ما يسقط منه ، وعشرة لسخائه وكرمه ، وعشرة لتضرعه إلى الله وتمرّغه فى الرماد ، ويقول : يا رب ، إنّ حُبّ الدنيا قد غلب علىّ وأنا أعلم أنك ربّ الكل .

(نَنْسخ مِنْ آيَة أو نُنْسِها[1]) : من النسيان ، وهو ضد الذكر ، أى ننسها النبى صلى الله عليه وسلم بإذن الله ، كقوله[2] : « سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله » . أو بمعنى الترك ، فنتركها غير منزّلة عليك أو غير منسوخة ، وقرىء بالهمز بمعنى التأخير ؛ أى نؤخر إنزالها أو نسخها .

وقد قدمنا الكلام فى الناسخ والمنسوخ .

وقرىء بضم النون ، أى نأمر بنسخه .

(نَبْتَهِل[3]) : من اللعنة ، تقول : لعنةُ الله على الكاذب منا ومنكم .

---

(١) البقرة : ١٠٦ (٢) الأعلى : ٦ (٣) آل عمران : ٦١

هذا أصل الابتهال ، ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه ، وإن لم يكن لعنة .
ولما نزلت الآية أرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نَجْران ودعاهم إلى المباهلة ، ودعا بعلى وفاطمة والحسن والحسين ، فلم يقدروا على المباهلة لعلمهم أنهم على الباطل ، وأعطوا الجزية على البقاء فى دينهم .

(نَطْمِسَ وُجوها[1]) : نمحو ما فيها من عَيْن وأنف وحاجب ، حتى تصير كالأدبار فى خُلُوّها عن الحواس .

(نلعنهم كما لعنّا أصحابَ السَّبْتِ[2]) ؛ أى نمسخهم كما مسخنا أصحابَ السبت الذين قلنـــا لهم[3] : « كونوا قِرَدَةً خاسئين » ، أو يكون من اللعن المعروف ؛ والضمير يعود على الوجوه ، والمراد أصحابها ؛ أو يعود على الذين أوتوا الكتاب على الالتفات .

قال شَهْر بن حَوْشَب ، عن كعب الأحبار : كان أبى من مؤمنى أهلِ التوراة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من عظمائهم وخيارهم ، وكان من أعلم الناس بما أنزل الله فى التوراة وبكتب الأنبياء ، ولم يكن يدخر عنى شيئا ، فقال لى يوما : يا بنى ؛ إنى قد حضرتنى الوفاة ، وقد علمت أنى لم أدّخر عنك شيئا مما كنتُ أعلم ، غير ورقتين ذكر فيهما النبىُّ المبعوث ؛ وقد أظَلّ زمانه ، وكرهت أن أخبرك بذلك ، ولا آمن عليك بعد وفاتى من بعض هؤلاء الكذّابين فتتبعه ، وقد قطعتهما من كتابك ، وجعلتهما فى هذه الكوة التى ترى ، وطينت عليهما ؛ فلا تتعرض لهما ولا تظهرها زمانَك هذا ، وأقِرّها فى موضعهما حتى يخرج ذلك النبى ؛ فإذا خرج فاتّبعه ، وانظر فيهما ؛ فإن الله يزيدك بذلك خيراً كثيراً .

---

(١) النساء : ٤٧ (٢) النساء : ٤٧ (٣) البقرة : ٦٥

فلما مات والدى لم يكن [١٩٦ ا] أحبَّ إلىّ من انقضاء المأتم ، حتى أنظر ما فى الورقتين ؛ فلما انقضى المأتم فتحت الكُوّة ، ثم استخرجت الورقتين ؛ فإذا فيهما : محمد رسول الله خاتم النبيين ، مولدُه بمكة ، ومهاجره بطيبة ، ليس بفَظّ ولا غليظ ، ولا سخّاب[1] فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ، ويعفو ويغفر ويصفح ؛ أمتُه الحمّادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال ، وتذلّل ألسنتهم بالتكبير ، وينصر الله نبيهم على كل مَنْ ناوأه ؛ يغسلون فروجهم بالماء ، ويأتزرون على أوساطهم ، وأناجيلُهم فى صدورهم ، وهم يأكلون قُرْبانهم فى بطونهم ، ويؤجرون عليها ، وتراحُمهم بينهم تراحمُ بنى الأب والأم ؛ وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ؛ وهم السابقون والمشفّع لهم .

فلما قرأت هذا قلتُ فى نفسى : والله ما علمنى شيئاً خيراً لى من هذا .

فكنت بهذا ما شاء الله ، حتى بُعث النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وبينى وبينه بلادٌ بعيدة ، لا أقدر على إتيانه .

وبلغنى أنه خرج بمكة فهو يظهر مرة ويستخفى أخرى ؛ فقلت : هو هذا ، وتخوّفت ما كان والدى خوّفنى وحذّرنى من الكذابين ، وجعلت أحبُّ أن أتبين وأتثبت ، فلم أزل بذلك حتى بلغنى أنه أتى المدينة ، فقلت فى نفسى : إنى لأرجو أن يكون إياه ، وجعلتُ ألتمس السبيل إليه ، فلم يُقدّر لى ، حتى بلغنى أنه توفى صلوات الله وسلامه عليه ؛ فقلت فى نفسى : لعله لم يكن الذى كنتُ أظن . ثم بلغنى أنّ خليفته قام مقامه ، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنودُه ،

---

(١) السخب : الصخب .

فقلت فى نفسى : لا أدخل فى هـذا الدين حتى أعلم أهُم الذين كنت أرجو وأنتظر ؟ وكيف سيرتهم وأعمالهم ؛ وإلى متى تكون عاقبتهم .

فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وأتثبت ، حتى قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ فلما رأيتُ صلاةَ المسلمين وصيامهم ووفاءهم بالعهد ، وما صنع الله لهم على الأعداء علمتُ أنهم هم الذين كنت أنتظر ؛ فحدثت نفسى بالدخول فى الإسلام ، فوالله إنى ذات ليلة فوق سطح لى إذا رجل من المسلمين يقرأ قوله تعالى[1]: «يأيها الذين أوتوا الـكتابَ آمِنُوا بما نَزَّلْنا مُصَدِّقًا لما معكم...» الآية ، فلما سمعتها خِفْتُ ألا يصبح حتى يحول الله وجهى من قفاى ، فلما أصبح غدوتُ على عمر ، فأسلمت حين أصبحت .

وقال كعب لعمر عند انصرافه إلى الشام : يا أمير المؤمنين ؛ إنه مكتوب فى كتاب الله إن هذه البلاد التى فيها بنو إسرائيل مفتوحـــة على يَدِ رجل من الصالحين ، رحيم بالمؤمنين ، شديد على الكافرين ، سِرُّه مِثْلُ علانيته ، وعلانيتهُ مثلُ سرّه ، لا يخالف قوله فعله ، والقريب والبعيد عنده فى الحق سواء ، وأتباعهُ رهبان بالليل أُسُود بالنهار ، متراحمون متواصلون متباذلون .

فقال له عمر : ثَـكِلَتْكَ أمُّك ! أحقٌّ ما تقول ؟ قال : أى والذى أنزل التوراةَ على موسى ، والذى يسمع ما نقول ؛ إنه لَحقّ . فقال له عمر : الحمد لله الذى أعزنا وشرفنا ، وأكرمنا ورحمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبرحمته التى وسعت كل شيء .

(نَقِيرا[2]) : هو النقرة التى فى ظَهْرِ النّواة ؛ وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء ؛ ويبخلون بما هو أكثر منه من باب الأولى .

---

(١) النساء : ٤٧ (٢) النساء : ٥٣ ، ١٢٤

(نَطِيحة[1]) : هى التى نطحتها بهيمة أخرى حتى ماتت .

(نَقِيبا[2]) : هو نَقيب القوم القائم بأمورهم .

(نَعَم[3]) : هى الإبل والبقر والغنم خاصة ، وجمعه أنعام ، لا واحد له من لفظه .

(نَفَقا فى الأرض[4]) ؛ أى منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض . وهذه الآية فى سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه كان شديدَ الحِرْص على إيمان قومه ؛ فقيل له : إن استطَعْتَ أن تدخل فى الأرض أو تصعد إلى السماء لتأتيهم بآية يؤمنون بسببها فافعل ، وأنت لا تقدر على ذلك ؛ فاستسلم [١٩٦ ب] لأمر الله .

(نَبأ[5]) : خبر . ومنه اشتق النبىء بالهمز ، وترك الهمز تخفيف . وقيل : إنه عند من ترك الهمز مشتق من النبوة ، وهى الارتفاع .

(نَصْر[6]) : بالصاد معروف ، وبالسين اسم صنم . ومنه[7] : « يَعُوق ونَسْرا » ، واسم طائر أيضا .

(نَكِد[8]) : عسر . وقيل : أربع كلمات فى أربعة كتب : فى التوراة الحسود يموت كمدا . وفى الإنجيل البخيل تأكل ماله العدا . وفى الزَّبور : الظالم لا يفلح أبدا . وفى الفرقان[8] : « والذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِدا » .

(نَتَقْنا الجَبلَ فوقهم[9]) ؛ أى رفعناه ، والضمير لبنى إسرائيل ؛ يعنى

---

(١) المائدة : ٣ (٢) المائدة : ١٢ (٣) المائدة : ٩٥
(٤) الأنعام : ٣٥ (٥) الأنعام : ٦٧ (٦) الأعراف : ١٩٢
(٧) نوح : ٢٣ (٨) الأعراف : ٥٨ (٩) الأعراف : ١٧١

أن الله قال لهم : خذوا التوراة ، فأبوا من أخذها ، فاقتلع الجبل ورفعه فوقهم كأنه ظلة ... الآية .

ومنه قولهم : نتقت المرأة إذا أكثرت الولد .

وأين هؤلاء القوم من هذه الأمة المحمدية ، حيث أخذوا الكتاب بقوة ، فصاروا يتلونه آناء الليل والنهار ، قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ؛ ولهذا أكرمهم الله بخصال مثنيات لم يعطها غيرهم : مكة ، والمدينة ؛ والقبلة اثنان الكعبة وبيت المقدس . والدعاء اثنان : الأذان والإقامة ؛ والجهاد اثنان : مع الكفار ، والمنافقين . والصبر اثنان : مع الله بالرضا ومع الأمة بالنفس . والدعاء اثنان : فى الدنيا : ربنا لا تؤاخذنا . وفى الآخرة : «[1] يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه » . «[2] ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين » . والشفع والوتر ، والليالى العشر .

وهذه كلها خاصة بهذه الأمة المحمدية ؛ ولهذا أخر الله حساب الأمم كلها إلى يوم القيامة ، وحرم الجنة على سائر الأمم حتى يدخلها هو صلى الله عليه وسلم وأمته ؛ لأنها دارهم .

ولما أخذوا الكتاب بقوة ورضا سهله الله عليهم ، ويسره لهم ، حتى إن منهم من يختمه فى كل ساعة ، ومنهم من يختمه اثنا عشر ألف بالليل ، واثنا عشر ألف بالنهار ؛ وأعظم من ذلك أن الله سهل حفظه عليهم ، حتى أن حبيبا حفظه وهو ابن خمس سنين ، وآخر حفظه فى النوم ؛ وأعطاهم إجابة الدعاء عند ختمه ، وقربهم عند السجود له ، وذكرهم بالفلاح إذا أنفقوا أموالهم ، واشترى منهم

---

(١) التحريم : ٨ (٢) الواقعة : ٣٩ ، ٤٠

أنفسهم ، والهداية إذا جاهدوها . وقبل التوبة إذا واقعوها ، والكفاية إذا توكلوا عليه ، والزيادة من النعم إن شكروه ، والإجابة إذا دعوه ، وأعطاهم قبل أن يسألوه ، وغفر لهم قبل أن يستغفروه .

(نَكَصَ على عَقِبيه[1]) : أى رجع إلى وراء ، وهو إبليس لمّا تصور لقُريش حين خرجوا إلى بَدْر على صورة سُراقة بن مالك ، وقال لهم : إنى جارٌ لكم مِن قَوْمى ، وأنصركم بجندى ، فلما رأى الملائكةَ خاف ورجع القهقرى ، وقال : إنى أرى ما لا تَرَوْن .

(نجَس[2]) : كل ما ينجس ، وسمّى اللهُ الكافر بأنه نجس لكُفْره ؛ وقيل لجنابته فيُمنع من دخول المسجد . وأباح الشافعى دخوله فى كل مسجد ما عدا المسجد الحرام ؛ وأباح أبو حنيفة دخولَ المشركين المساجد ما عدا المسجد الحرام ؛ وأباح دخول أهلِ الكتاب فى المسجد الحرام . وقاس مالك على المشركين سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم . وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد فى مَنْع جميع الكفار من جميع المساجد .

(نسىء[3]) : هو فى اللغة الزيادة . ومعنى[3] : « إنما النَّسِىء زيادة فى الكُفْر » ، أنّ العرب كانوا أصحاب حروب وغارات ، فشقّ عليهم تَرْكها فى الأشهر الحرم ؛ لأنها كانت محرّمة عليهم ، فيحرمون شهراً آخر بدلا من الشهر الحرام . وربما أحلّوا المحرم وحرموا صفر ، حتى يكملوا فى العام أربعة أشهر محرمة .

(نَخُوض ونَلْعب[4]) : من كلام وديعة بن ثابت ؛ بلغ النبى صلى الله

---

(١) الأنفال : ٤٨ (٢) التوبة : ٢٨ (٣) التوبة : ٣٧
(٤) التوبة : ٦٥

عليه وسلم أنه قال : هذا يريد أنْ يفتتح قصور الشام ، هيهات هيهات ! فسأله عن ذلك ، فقال : إنما كنا نخوض ونلعب .

(نَقَمُوا[1]) ؛ كرهوا غايةَ الكراهة ؛ أي عابوا الغنى الذى كان حقّه أن يشكروا عليه ؛ وذلك فى الجلاس أوْ فِي عبد الله بن أبيّ .

(نَسُوا اللهَ فَنَسِيهم[2]) ؛ أى غفلوا عن ذكره فتركهم من رحمته وفَضْله .

(نَكِرَهم[3]) [١١٩٧] : وأنكرهم واستنكرهم بمعنى واحد . وضمير الجمع يعودُ على الرسل الذين جاءوا إبراهيم فقدّم لهم الطعام ، فخاف منهم لمّا لم يأكلوا طعامه .

(نَذِير[4]) : منذر . وأنذر أعلم بالمكروه قَبْل وقوعه . والمنذرين . وكيف كان عذابى ونُذر ؛ فهو مصدر . والنذير بغير ألف ، ومنه : أَعْذر ثم أنذر . وليوفوا[5] نذورهم .

(نرتع ونلعب) : بالنون[6] ، فهو ضمير إخوة يوسف ؛ وإنما قالوا نلعب لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء . وقيل : إن اللعب من المُباح لتعلّمُ القتال كالمسابقة بالخيل .

ومن قرأه بكسر العين فهو من الرّعى ؛ أى من رَعْى الإبل ، أو من رعى بعضهم لبعض ومواساته .

ومن قرأه بالإسكان فهو من الرتع ؛ وهو الإقامة فى الخصب والتنعم . والتاء على هذا أصلية ، ووزن الفعل يفعل ، ووزنه على الأول نفتعل .

---

(١) التوبة : ٧٤ (٢) التوبة : ٦٧ (٣) هود : ٧٠
(٤) هود : ٢ (٥) الحج : ٢٩ (٦) يوسف : ١٢

ومن قرأ يرتع ويلعب – بالياء فالضمير ليوسف .

(نَسْتَبِقُ[1]) ؛ أى نجرى على أقدامنا لننظر أيّنا يسبق ، أو من المسابقة فى الرمى .

(نَتَّخِذه ولدا[2]) : من قول العزيز الذى اشتراه بوَزْنه ذهبا ، يعنى نتبنّاه .

(نَاجٍ منهما[3]) ؛ أى من الساقى ، والذى رآه أنه يعصر الخمر ؛ يعنى أن يوسف قال للذى ظن أنه ينجو : اذكرنى عند ربك . والظن هنا بمعنى اليقين ؛ لأن قوله : قُضِيَ الأمر – يقتضى ذلك . أو يكون على بابه ؛ لأن عبارة الرؤيا ظن ، وذلك أن رسولَ الملك جاء هذا الساقى بعد ثلاثة أيام ، وأخرجه من السجن ، وخلع عليه ، وذهب به مكرَّما إلى الملك ؛ فقال له يوسف عند خروجه : اذكرنى عند ربك ؛ فتزلزلت الأرض ، وانشقَّ الجدار ، وجاء جبريل ، وقال : يا يوسف ، إن الله يقول لك : مَنْ حَبَّبَك فى قلب يعقوب ؟ فقال : ربى . ومن أنجاك من يَدِ إخوتك ؟ قال : ربى . قال : ومن حفظك فى قعر الجب ؟ قال : ربى . ومن أعشق فيك زليخا ؟ قال : ربى . ومن أنجاك من كيدها ؟ قال : ربى . فقال له جبريل : إنّ ربَّك أحْسن إليك هذا الإحسان فأىُّ عجز رأيت منه حتى استغثتَ بالملك الديّان ؟ يا يوسف ، إن جدك إبراهيم لم يستغث بجبريل حين قال له : هل لك من حاجة ؟ فقال : أمّا إليك فلا ، وجدّك إسماعيل لم يستغث من إبراهيم وقت القُربان ، ولكن قال : ستَجِدنى إنْ شاءَ اللهُ من الصابرين . وأنت لم تصبر فى السجن ثلاثة أيام ، وتركتَ استغاثةَ الديان .

فخرَّ يوسف ساجداً ، وبكى أربعين يوما ، وقال : إلهى بحرمة جدى إبراهيم

---

(١) يوسف : ١٧ (٢) يوسف : ٢١ (٣) يوسف : ٤٢

وإسماعيل وإسحاق ، وبحقّ والذى يعقوب إلّا رَحمتَنى ، وتجاوزتَ عنى ؛ فجاء جبريل عليه السلام . وقال : إن الله تعالى يقول : عفوْتُ عنك ، ولكن حكمتُ ببقائك فِى السجن سبع سنين .

هذا رسول الله حُبِس على كلمةٍ سبع سنين ، فكيف بك يا عاص خمسين سنة أو أكثر ؛ ففكر بقلب واع ، كيف يكون حالُك ؟ فإن أردت الحال الحيدة فعليك بالتوبة والإقلاع ؛ فإن الله أمنك فى الدنيـــا بقوله تعالى[1] : «فلا يخاف ظُلماً ولا هَضْما». وفى حال النزع : ألّا تخافوا ولا تحزنوا ، وفى القيامة : لا خوف عليكم ولا أنتم تَحْزَنون . وفى الجنة : ادخلوها بسلام آمنين .

(نَـكْتَل[2]) : وزنه نفتعل ؛ وهذا من قول إخوة يوسف لأبيهم حين أرادوا المُعَاوَدة إلى الطعام بسبب الجاعة التى كانت ببلادهم .

ورُوى أن جبريل قال ليوسف : إن إخوتك جاءوا إليك فبم تعاملهم ؟ فقال : آذَوْنى كثيراً ، ولا أدرى إلّا العفو والتجاوز . فقال له : بهذا أمرك الله .

قال بعض العلماء : إخوة يوسف جاءوا إليه ثلاث مرات : أولا محتاجين سائلين ، فأكرمهم وأعطاهم النعمة ، وقال : اجعلوا بِضاعَتهم فى رِحالهم . وجاءوا فى الثانية متكبّرين فَرِحين ، فرجعوا مَغْمُومين حين قال لهم يوسف : ارْجعُوا إلى أبيكم ؛ لأن يوسف كان ملكا ، والملوك لا تحبُّ المتكبرين . وجاءوا فى المرة الثالثة بالابتهال والتضرع ، فرجعوا فرحين مسرورين ؛ لأن يوسف عليه السلام كان رحيما ؛ والرحيمُ يحب مَنْ تضرع .

---

(١) طه : ١١٢ (٢) يوسف : ٦٣

(نميرُ أهْلَنا ونحفظُ أخانا ونَزْدادُ كَيْلَ بعير[1]) : هذا من كلام إخوة يوسف لما قال لهم : ائتونى بأخٍ لكم من أبيكم ... الآية . فطلبوا من أبيهم ، وواعدوه بالميرة [١٩٧ ب] وهى سوق الطعام ؛ وواعدوه بحفظ أخيهم لما تقدَّم منهم من الجفاء ؛ وعدم الوفاء ؛ وأخبروه بوفاء الملك لهم إنْ أتوه به ، وأعانهم يوسف على ذلك ؛ فجعل البضاعةَ فى رحالهم ليكون لهم تقويةً على الرجوع إلى مصر مرةً أخرى ، حتى يرى يوسف أخاه ، وكذلك كتم اللهُ بضاعة الإيمان فى قلب المؤمن ليكون له تقوية للوصول إلى جنّته ، حتى يرى المولى ؛ فلما سمع يعقوب مقالهم أسْلم لهم بنيامين[2] وأخذ عليهم العهدَ[3] : « لَتَأْتُنَّنِي به إلا أنْ يُحَاط بكم » ، أى تغلبوا ، فلا تطيقون .

فدخلوا على يوسف وهو على سرير فى حجاب ، فلما رآه بنيامين[2] تذكر يعقوب وبكى بُكاء كثيراً ، ثم أمر الحاجب بسؤالهم عن أبيهم ، فسألهم ، فقالوا له : هو فى البكاء والحزن والتضرع ، ثم أمر برفع الحجاب ، فسلّموا جميعاً عليه ، وأعطاه بنيامين[2] كتابَ أبيه ، فأخذه وقبّله ، ثم أرخَى الستر عليه ، وقرأ الكتاب ؛ فإذا فيه الوصية على ولده ، وما جرى ليوسف من قبله ؛ فبكى وغيض دَمْعُه ، ثم أمر بالطعام فأحضر ، وأمرهم بالجلوس مَثْنَى مثنى ، من كان لأب وأم فى مائدة واحدة ، فبقى بنيامين وَحيدا فبكى ، فسألهم مِمّ بكاؤه ؟ فقالوا : كان له أخ لأمه فأكله الذئب ، فقال يوسف : اجلس معى يا فتى ، ولا تأكل وحيدا ؛ فلما دنا من يوسف ورآه غُشى عليه ، فلما أفاق قال له يوسف : أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون .

والنكتة فيه أنّ بنيامين[2] كان وحيداً متحيّراً غريباً ، فقال له يوسف :

(١) يوسف : ٦٥ (٢) فى ا : ابن يامن . وسيأتى بعد كما أثبتناه عن القرطبى ، وغيره ، من كتب التفسير . (٣) يوسف : ٦٦

أنا أخوك ؛ وموسى كان متحيّراً غريباً ، فقال الله له : إنى أنا ربك فاخلعْ نعليْك . كذلك العاصى إذا تحيّر فى بعض المعاصى والذنوب ، يقول الله تعالى : إنى أنا الغفور الرحيم — يعنى إذا تاب وأقلع .

وقد قدمنا أن الله تعالى وعد بغفران ذنوبه وتبديلها حسنات ومحبّته ودخول الجنة وفلاحه .

فإن قلت : كيف عرفهم هو ولم يعرفوه ؟ وعرفه بنيامين ؟

والجواب أن يوسف كان وفيّا وإخوته جُفَاة ، فشؤم الجفاء أعمى قلوبهم حتى لم يعرفوه ؛ لأن الجفاء يمنع المعرفة والصفاء ، جفاء يوسف أثّر فى قلوبهم حتى لم يعرفوه ، فمن جفا مولاه سبعين سنة أو أكثر كيف لا يخاف منه أن يسلبه معرفته وقتَ النزع ، قال تعالى (١) : « ونُقَلِّبُ أفئدتَهم وأبصارهم ... » الآية . وقد صح أن الجفاء يأتى بالغضب ، ويذهب بالعفّة ، ويأتى بالمخالفة ، ويذهب بالمراقبة ، ويأتى بالمنازعة ، ويذهب بالصلح ، ويأتى بالفرقة ، ويذهب بالوصلة ؛ ويأتى بالبُغض ، ويذهب بالمودة ، ويجعل صاحبه أجنبيا ، ويذهب بالصلح .

وقيل : إنما عرفهم لأنهم كانوا على صفتهم التى رآهم يوسف أوّلا ، ولم يكن يوسف على الصفة التى كان عليها من الصغر .

وقيل : إن يوسف لم يقطع الرجاء عن رؤيتهم ؛ بل كان يتفكر فيهم ؛ فلذلك عرفهم ، وهم قطعوا الرجاء عن رُؤْيته ؛ فلذلك لم يعرفوه .

والإشارة فيه أنّ قلْبَ العبد إذا كان مشغولا بمحبة الرب عرفه من غير

---

(١) الأنعام : ١١٠

رؤية . وقلب الكافر كان مشغولا بمحبة الصنم فلذلك لا يعرفه حين يرى الدلائل الظاهرة .

وقيل : إنه كان مُتَبَرْقِعا ، فلذلك لم يعرفوه ، ودخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك .

وقصته من أولها إلى آخرها عجيبة ، كما قال تعالى : « آياتٌ للسائلين » . وقد تكفل بجمعها وما فيها من النكت والإشارات والفوائد الإمام الهمدانى وهو عجيب لمن تأمّله .

(نَزَغَ[1] الشيطانُ بَيْنِي وبَيْنَ إخوتى) : أى أفسد وأغوى . وإنما قال يوسف هذا القول لما رأى من لطف الله تعالى ، حيث أضاف الكذب إلى القميص ، فتأدَّب وأضاف ذَنْبَهم إلى الشيطان والإخوة إلى نفسه ، ولم ينفهم عن نفسه ، لكيلا يهتك أستارهم ، وتسوء ظنونهم .

وكذلك قال الله تعالى[2] : « إنما استَزَلَّهم الشيطانُ ببعض ما كَسَبُوا » ـ حتى تتأدب الملائكة بذلك ، فلا يذكرون فى القيامة زلّتك ولا يهتكون سترك .

(نار[3] السَّمُوم) : أى حرها . وهذا من قول إبليس بزَعْمِه الفاسد أن النار أقوى من الطين ؛ وليس كذلك ؛ بل هى فى درجة [١٩٨ ا] واحدة من حيث هى جماد مخلوق ، فلما ظنَّ إبليس أن صعودَ النار وخفّتها تقتضى فَضْلًا على سكون الطين وبلادته قاس أن ما خلق منها أفضل مما خلق من الطين ، فأخطأ قياسه ، وذهب عنه أن الروح الذى نفخ فى آدم ليس من الطين .

وهذا التعليل يقتضى الاعتراض على الله تعالى فى أمره بسجود الفاضل للمفضول على زَعْمه ، وبهذا الاعتراض كفر إبليس ، فكُفْرُه كفر مجرد .

---

(١) يوسف : ١٠٠ (٢) آل عمران : ١٥٥ (٣) الحجر : ٢٧

قيل : إن لجهنّم سموم ، ولسمومها نار تكون بين سماء الدنيا وبين الحجاب وهى النارُ التى تكون منها الصواعق .

(نَفِيرا[1]) : أى عددا . وهو مصدر من قولك : نفر الرجل إذا خرج مسرعا ، أو جمع نفر .

(نَأَى بِجَانِبِه[2]) : أى بعد ، وذلك تأكيد وبيان للإعراض . وقرىء ناءَ ونأى ، وهما بمعنى واحد . ويقال النأى الفراق ، وإن لم يكن ببُعد .

(نَفِدَ البَحْرُ[3]) : فنى . ومعنى الآية : لو كتب عِلْمُ الله بمداد البحر لنَفَدَ البَحْر ولم ينفد علم الله ؛ وكذلك لو جىء ببحر مثله كما قدمنا .

(نادى ربَّه[4]) ؛ أى دعاه . والضمير لزكريا ؛ وإنما ناداهُ حين رأى من مريم الكرامات التى ذكر اللهُ ، من وجود فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء ، فحينئذ طلب الولد فأجابه الله بيحيى .

(نَدِيّا[5]) : قد قدمنا أنَّ الكفار قالوا للمؤمنين : نحن خير منكم مقاما وأجلُ مجلسا ؛ فنحن أكرم على الله منكم .

(نُمِدُّ له مِنَ العذاب مَدّا ...[6]) الآية . قد قدمنا أنها فى العاصى بن وائل . والمعنى نزيد له فى العذاب ، ونرثه الأشياء التى قال إنه يُؤْتاها فى الآخرة ؛ وهى المال والولد ، ووِراثتها بأن يهلك ويتركها . وقد أسلم ولداه هشام وعمرو ابن العاص رضى الله عنهما .

(نَحْشُر المتّقين إلى الرحمن وَفْدًا . ونسوقُ المُجْرِمين إلى جهنّم

---

(١) الإسراء : ٦ (٢) الإسراء : ٨٣ (٣) الكهف : ١٠٩
(٤) مريم : ٣ (٥) مريم : ٧٣ (٦) مريم : ٧٩

وِرْداً[1]) : قد قدمنا أن الحشر على خمسة معان : حشر الميثاق[2] : « وإذ أخذ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدم » . وحَشر التصـــوير[3] : « يخرجُ مِنْ بَيْنَ الصُّلْب والتَّرائِب » . وحشر البرية[4] : « والله أنبتَـكُمْ من الأرض نباتا » . وحشر الخدمة[5] : « وإذا بلغ الأطفالُ منـكم الحُلُمَ » . وحشر الكرامات[6] : « يوم نحشر المتقين » . والمراد بالمتقين هنا من اتَّقى الشرك والنفاق . وقيل فى المتقى أقوال ؛ والظاهر أنهم الممتثلون ما أمرهم الله وانتهوا عما نهوا عنه . وقد قدمنا ما أكرمهم اللهُ فى الدنيا والآخرة .

فإن قلت : ما الحكمة فى ذكر الحَشْر للمتقين ، وخصوصيتهم للرحمن لهم والسوق إلى المجرمين وخصوصيتهم لجهنم ؟

فالجواب أن الحَشْر مع الرضا والاختيار ، والسوق مع الكراهية والسخط . والحشر للكرامة والأمانة والعلم . والسوق للجهد والإهانة . ولما كان الرضوان والسلام والرؤية والخلود للمتقين ، وهو أكبر من الجنة خصَّهم بذكر الرحمن ؛ لأن شوقهم إليه ورجاءهم فيه ؛ فدلهم إليه لتسكُنَ نفوسهم . ولما كان عند المجرمين الخوف من عقوبة النار لا مِنْهُ ؛ لأنهم لم يعرفوه — ذكرهم بما هو أشد عليهم ؛ وهى جهنم ؛ ولو عقلوا لعلموا أنَّ نار القطيعة أشدُّ من القطيعة ، لـكنهم خُوِّفوا بما هو معقول عندهم ، فسبحان مَنْ خاطب عباده بما يفهمونه ؛ خاطب المطيعَ بما هو مشتاق إليه ، وخاطب العاصى بما يخافه ؛ وعلى هذا هو أسلوب القرآن العظيم . وما يَعْقِلُها إلا العالمون .

(نَنْسِفَنَّه فى اليَمِّ نَسْفاً[7]) ؛ أى نلقيه فى البحر تفريق الغبار ونحوه .

---

(١) مريم : ٨٥ ، ٨٦ (٢) الأعراف : ١٧٢ (٣) الطارق : ٧

(٤) نوح : ١٧ (٥) النور : ٥٩ (٦) مريم : ٨٥

(٧) طه : ٩٧

والضمير يعود على العِجْل المتَّخَذ من أَثَر فَرَسِ جبريل .

(نَبَذْتُها[١]) ؛ أي ألقيتها على الحلى ، فصار عجلا ، وعلى العجل فصار له خُوَار .

(نَقُصُّ عليكَ من أنباء ما قَدْ سبق[٢]) : يعني من أحوال المتقين ؛ لنثبِّت به فؤادك ، ولذلك قال له في سورة يوسف : نَقُصّ عليك أحسن القصص والقصص يكون مصدر أو اسم مفعول بمعنى المقصوص ، وإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقصّ محذوف ؛ لأن ذكر القرآن يدلّ عليه .

قيل سبب نزول هذه الآية أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان مرفوعا مكرّما ، فحسده أهلُ مكة ، كذلك يوسف [١٩٨ ب] كان مكرما عند أبيه . والإشارة فيه كأنّ الله يقول : يا محمد إخوة يوسف جعلوه كذّابا فصيّرته ملكا عليهم ، وسجدوا له ؛ كذلك أقهر أعداءك وأصيّرهم عبيداً بين يديك شرقاً وغرباً ؛ وكذلك الشيطان يحسدُ أمّتك على ما أنعمت عليهم من محبتك واتباعك ، فأصيرهم يوم القيامة ملوكا كراما ، وأقهر عدوهم وحسّادهم حتى يقولوا يا ليتنا أطَعْنَا اللهَ وأطعنا الرسولا .

(نَنقُصُهَا مِن أطرَافِها[٣]) : بموت الناس ، وهلاكِ الثمرات ، وخراب البلاد ، وشبه ذلك . وقيل : بموت العلماء منها ، أو بما فتح الله على المسلمين منها باستيلاء الكفّار عليها لقوله[٤] : « أفَهُمُ الغالبون » .

(نَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليَوْم القِيامَة[٥]) : قد قدمنا معنى وَضْعِها ، وإنما أفرد القسط وهو صفة للجمع ؛ لأنه مصدر وُصف به كعَدْل ورضا ؛

---

(١) طه : ٩٦ (٢) طه : ٩٩ (٣) الأنبياء : ٤٤

(٤) الأنبياء : ٤٤ (٥) الأنبياء : ٤٧

أو على تقدير ذوات القسط . وقد قدمنا أيضا أن لكل شخص ميزانا لجمعه ، أو إنما جمعه باعتبار الكفتين واللسان ، أو باعتبار الموزونات .

(نفحةٌ مِن عذاب رَبّك[1]) ؛ أى قطرة . وفيها تقليلُ العذاب . والمعنى أنهم لو رأوا أقل شىء من عذاب الله لأَذْعَنُوا واعترفوا بذنوبهم .

(نافلة[2]) : أى عطية . والتنفيل : العطاء . وقيل سمّاه نافلة لأنه عطاء بغير سؤال ؛ فكأنه تبرع . وقيل الهبة إسحاق ، والنافلة يعقوب ؛ لأنه سأل إسحاق بقوله : هَبْ لى من الصالحين ؛ فأعطى يعقوب زيادة على ما سأل ؛ ولهذا اختار بعضهم الوقفَ على إسحاق لتباين المعنى .

وهذا ضعيف ؛ لأنه معطوف على كلّ قول .

(نادى مِنْ قَبْلُ[3]) : أى دعا نوح قبل إبراهيم ولوط .

(نَصَرْنَاه مِنَ القَوْم[4]) : إنما تعدّى نصرناه بمن ؛ لأنه مطاوع انتصر المتعدى بمن ، أو تضمن معناه نجّيناه أو أجرناه .

(نَفَشَتْ[5]) : رَعَتْ فيه لَيْلًا ، والضمير راجع إلى قصة الرجلين المتخاصمين إلى داود ، دخلت غنم أحدهما فى زَرْع الآخر بالليل ، وأفسدته ؛ فقضى داود بأن يأخذ[6] صاحب الزرع الغنم .

ووَجْهُ هذا الحكم أنّ قيمة الزرع مثل قيمةِ الغنم ؛ فخرج الرجلان على سليمان ، وهو بالباب ، فأخبراه بما حكم أبوه ، فدخل عليه فقال : يا نَبِيّ الله ؛ لو حكمت بغير هذا كان أرفق بالجميع . قال : وما هو ؟ قال : يأخذ صاحبُ

---

(١) الأنبياء : ٤٦ (٢) الأنبياء : ٧٢ (٣) الأنبياء : ٧٦
(٤) الأنبياء : ٧٧ (٥) الأنبياء : ٧٨ (٦) ب : يأخذها .

الغنم الأرضَ ليصلحها حتى يعودَ زَرْعُها كما كان ، ويأخذ صاحب الزرع الغنم ينتفعُ بألبانها وصوفها ونَسْلِها ؛ فإذا كمل الزرع رُدَّت الغنم إلى صاحبها والأرض بزرعها إلى ربّها .

فقال له داود : وُفِّقْتَ يا بنى ، وقضى بينهما بذلك .

ووجه حكم سليمان أنه جعل حكم الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع ؛ وأوجب على صاحب الغنم أنْ يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان .

ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحا لا حُكمًا .

واختلف الناس ، هل كان حكمهما باجتهاد أو بوحيٍ ؛ فمَنْ قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء .

وروى أن داود رجع عن حكمه لمَّا تبيَّن له أن الصواب خلافه .

وقد اختلف فى جواز الاجتهاد فى حق الأنبياء ؛ وعلى القول بالجواز اختلف: هل وقع أم لا ؟

(نَقْدِرَ عليه[1]) : أى نُضيق عليه ، فهو من معنى قوله[2] : « ومَنْ قُدِرَ عليه رِزْقُه » .

وقيل هو من القدر والقضاء ؛ أى ظن أن لن نَقدر عليه بعقوبته . ولا يصح قول من قال : إنه من القدرة .

والإشارة فيه كأنه يقول : يا عبدى لما خرج يونس خروجَ غضَب ، فنادى فأنجيته ؛ كذلك إذا خرجت لى خروج غضب من ذنوبك ، فتلوم نفسك، أنجيتك من همومك ، وأقول لك : إن الله يغفر الذنوب جميعاً .

---

(١) الأنبياء : ٨٧ (٢) الطلاق : ٧

ولما خرج إبراهيم خروجَ أدب ، فقال : إنى ذاهب إلى ربى سيهدين فألبستهُ لباس الخلّة ، وبردت عليه النار ؛ كذلك عبدى الصالح يخرجُ من بطنه خروجَ أدب ، فأنعم عليه بالعلم والمعرفة ، وأبرد عليه نيران الكفرة ، ولكن الله حبّب إليكم الإيمان ... الآية .

[١٩٩ ا] وكما أن موسى خرج خروج هرَب خائفا يترقّب ، كذلك العبد يخرج من الدنيا خروجَ مَنْ يهرب من الشيطان كيوم يسمعون الصيحة بالحق .

وكما آنست موسى بابنَةِ شعيب فى دارِ غُربة ، كذلك أُونسك فى القبر وأُريك مقامك من الجنة .

وكما أن لوطا خرجَ خروج طرب ، فسرى بأهله ، كذلك العَبْدُ يخرج من القَبْر خروجَ طرب ؛ لأنه يخرج لإيمانه الذى كان يرتجيه ولحفظته الذين كانوا يؤنسونه ؛ وكما أنجيت لوطا وقومه من العذاب كذلك أنجى المؤمنين وأعذّب الكافرين .

(نَكِير[1]) : مصدر بمعنى الإنكار .

(نبّىء عبادى[2] ...) الآية فيها ترجية وتخويف، وقد قدمنا سر الغفور الرحيم، والعذاب الأليم ؛ فرجاء الخلق إلى نفسه ، وخوفهم من عذابه .

(نَصِيبكَ مِنَ الدُّنيا[3]) ؛ أى حظّك فيها .

واختلف ما المراد بهذا الحظّ ؟ فقيل : حظّه منها ما يَعمَلُ فيها من الخير ؛ فالكلام على هذا وعظ . وقيل التمتع بها مع عَمَله للآخرة ؛ فهو على هذا إباحةٌ للتمتع بالدنيا لئلا يَنفِرَ عن قبول الموعظة . ومنه الحديث :

---

(١) الحج : ٤٤ (٢) الحجر : ٤٩ (٣) القصص : ٧٧

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ولآخرتك كأنك تموت غداً . وفى الحديث أيضا : العاقل لا يُرَى مشتغلا إلا فى دِرهم لمعاشه ، وعمل لمعاده .

(ناديكم[1]) : مجلسكم . والمراد بهم قومُ لوط ، لإذايتهم الناس بأقوالهم وأفعالهم .

(نَسْلَخُ منه النهار[2]) : أى نجرِّده منه ، وهو استعارة .

(نُنَكِّسْهُ[3]) : نردّه .

(نَحِسات[4]) : معناه من النحس ، وهو ضدّ السعد . وقيل شديدة البرد . وقيل متتابعة . والأول أرجح .

وروى أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء . وقرىء بإسكان الحاء وكسرها ؛ فأما الكسر فجمع نحس ، وهو صفة . وأما الإسكان فتخفيف من الكسر ، أو صفة على وزن فعل ، أو وصف بالمصدر . وفى الحديث : آخِرُ أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر .

(نَعْمَة[5]) ـ بفتح النون : هى النفع السارى من كلّ ضرر يوازيه ، ويدعى عليه ؛ يقال أنعم عليه فلان ، وأنعم الله على فلان : إذا فعل به ما لا يتعقّبه ضرر وهلاك ؛ ولا يقال أنعم عليه وإنْ نفعه فى الحال .

(نَسْتَنْسِخُ ما كنتم تعملون[6]) : أى نأمر الحفظة بكتابة أعمالكم . وقيل : إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ ، ثم يمسكونه عندهم ؛ فتأتى أفعالُ العباد على نحو ذلك ، فتكتبها أيضا الملائكة ؛ فذلك هو الاستنساخ .

---

(١) العنكبوت : ٢٩ (٢) يس : ٣٧ (٣) يس : ٦٨
(٤) فصلت : ١٦ (٥) الدخان : ٢٧ (٦) الجاثية : ٢٩

وكان ابن عباس يحتجّ على ذلك بأن يقولَ : لا يكون الاستنساخ إلا من أصل . وفائدة كتب الحفظة الاحتجاج عليهم فى الآخرة ، كما صح أنّ بعض العباد ينكر كتبها عليه ، فيُنْطق اللهُ جوارحَه بتصديقهم .

وفى الحديث : إن الحفظة تصعد بعمل العبد ، ويقابلونه باللوح المحفوظ ، فيجدونه سواء ، وتكتب عليه سيئة فلا يجدونها فيخجلون من ذلك ، ويقول الله : قد بلغت ندامة قَلبه واستغفاره إلى قبل صعودكما ، فذلك قوله تعالى : يَمْحو اللهُ ما يشاء ويثبت .

(نَقَّبُوا فى البِلاد[1]) ؛ أى طافوا فيها ؛ وأصله دخولها من أنقابها ، ومن التنقيب عن الأمر ، بمعنى البَحْث عنه .

(نجم[2]) : مشتق من التنجيم ، وهو جِنْس ، واختلف ما المراد بقوله : والنجم ؛ فقيل :

هو الثريا ؛ لأنه غلب عليها التسمية بالنجم . ومعنى هَوَى غرب أو انتثر يوم القيامة .

الثانى[3] أنه جنس النجم . ومعنى هوى انقضّ برَجْم الشياطين .

وقيل : إنه من نجوم القرآن ، وهوى على هذا معناه نزل .

وأما النَّجْم الثَّاقب[4] فهو من أسمائه عليه الصلاة والسلام .

وقيل : زُحل ؛ لأنه أرفع النجوم ؛ إذ هو فى السماء السابعة .

---

(١) ق : ٣٦ (٢) النجم : ١

(٣) كأنه عد قوله : الثريا ـ الأول . (٤) الطارق : ٣

(نَذِيرٌ من النُّذُر الأولى[1]) : قد قدمنا أن النذير هو الخبر ، والمراد به القرآن . والنُّذُر الأولى : من نوعها وصفتها .

(النجمُ والشَّجَر[2]) : قال ابن عباس : هو النبات الذى لا ساق له ، كالبقول . والشجر : الذى له ساق . وقيل : النجم : جنسُ نجوم السماء .

والسجود عبارة عن التذلّل والانقياد . وقيل سجود النجم غروبه ، وسجود الشجر بظلّه [١٩٩ ب].

(نَضّاختان[3]) : أى يفوران بالماء . والمراد بهما العينان الجاريتان .

وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين أدنى من أوصاف الجنتين السابقتين ، لأنه قال فيهما[4] : "عَيْنَان تَجْرِيان". وقال فى الأخْرَيَيْن : "عَيْنَان نَضّاخَتان". والجَرْىُ أشد من النضخ .وقال[5] : «فيهما من كل فاكهةٍ زَوْجان». وقال هناك[6] : « فيهما فاكهة ونَخْلٌ ورمان » .

وكذلك صفات الحور هنا أبلغ من صفاتها هناك ؛ وكذلك صفات البسط .

ويفسّرُ ذلك قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما.

(النشأةَ الأولى[7]) : هذه الحياة ، والنشأة الأخرى البعث من القبور .

والمقصود بذكرها التنبيهُ على أنّ الله قادر على أن يبعثهم ؛ ففيها تهديدٌ واحتجاج على البعث .

---

(١) النجم : ٥٦ — (٢) الرحمن : ٦ — (٣) الرحمن : ٦٦
(٤) الرحمن : ٥٠ — (٥) الرحمن : ٥٢ — (٦) الرحمن : ٦٨
(٧) الواقعة : ٦٢

(نَجْوى[1]) : سرار ؛ كقوله تعالى[2]: «إذ هم نَجْوى» ؛ أى متناجون .
ومنه[3]: « لا تتناجَوْا بالإثم والعُدْوان » . «[4] إنما النَّجْوَى مِنَ الشيطان » .

(نَصُوحاً[5]) ؛ أى خالصة، من قولهم ، عسل ناصح : إذا خلص من الشمع .

قال عمر بن الخطاب : التوبة النصوح هى أن يتوب من الذّنب ، ثم لا يعود إليه أبدا ، ولا يريد أن يعود .

وقيل : هى أن تضيق على التائب الأرضُ بما رَحُبت ، كتوْبة الثلاثة الذين خُلِّفوا .

وقال الزمخشري[6] : وُصِفت التوبةُ بالنّصح على الإسناد المجازى ، والنصح فى الحقيقة صفةُ التائبين ؛ وهى أن ينصحوا بالتوبة .

وهى واجبة على كل مكلف بالكتاب والسنة والإجماع .

وفرائضها ثلاثة : الندم على الذنب من حيث عصى به ذُو الجلال ، لا من حيث أضرّ ببدن أو مال . والإقلاع عن الذّنب فى أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توَان . والنية ألّا يعود إليه أبدا ومهما قضى عليه بالذنب أحدث عزماً مجدداً .

وآدابها ثلاثة : الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار . والإكثار من التضرع والاستغفار . والإكثار من الحسنات .

ومراتبها سبع : توبة الكفار من الكفر . وتوبة المُخْلصين من الذنوب الكبائر . وتوبة العدول من الصغائر . وتوبة العابدين من الفترات . وتوبة

---

(١) المجادلة : ٧ (٢) الإسراء : ٤٧ (٣) المجادلة : ٩
(٤) المجادلة : ١٠ (٥) التحريم : ٨ (٦) الكشاف : ٢ ـ ٤٢٢

السالكين من علل القلوب والآفات . وتوبة أهل الورع من الشبهات . وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات .

والبواعث على التوبة سبعة : خوف العقاب . ورجاء الثواب . والخجل من الحساب . ومحبّة الحبيب . ومراقبة الرقيب . وتعظيم المقام . وشكر الإنعام .

(نَفَرٌ من الجنّ[1]) : النفر ما بين الثلاث إلى العشرة . وروى أنهم كانوا سبعة ، وكانوا كلّهم ذكرانا ؛ لأن النفر الرجال دون النساء ؛ وكانوا من أهل نصّيبين . وقيل : من أهل الجَزيرة .

وقد قدمنا أنه رآهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، واستعدّ لهم ، واجتمع معهم .

وقيل : إنه لم يرهم ، ولم يعلم باستماعهم ، حتى أعلمه الله بذلك ، ولعلها قضايا مختلفة ، وقد وردت فى ذلك أحاديث مضطربة .

وسببُ اجتماعهم أنهم لما طُردوا عن استراق السمع من السماء بِرَجْم النجوم قالوا : ما هذا إلّا لأمرٍ حدث ؛ فطافوا فى الأرض ينظرون ما أوجب ذلك ، حتى سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم فى صلاة الفجر فى سُوق عكاظ ؛ فاستمعوا إليه ، وآمنوا به .

(ناشئة الليل[2]) : قال ابن عباس : ناشئة الليل : قيام الليل ـ بالحبشة .

وقيل ساعاته كلُّهن . وقيل : ما بين المغرب والعشاء . وقيل : القيام أول الليل بعد العشاء . وقيل : النفس الناشئة بالليل ، أى تنشأ من مضجعها ، وتقوم للصلاة . وقيل : الجماعة الناشئة الذين يقومون للصلاة . وقيل : العبادة الناشئة

---

(١) الجن : ١ (٢) المزمل : ٦

بالليل . وقيل : الناشئة القيام بعد النوم . فمن قام أول الليل من قبل أن ينام فلا يقال له : ناشئة .

(ناظرة[١]) : بالظاء من النظر ، ومنه[٢] : وجوه يومئذ ناظرة . وبالضاد من التنعم ، ومنه[٢] : ناضرة . وأما[٣] : نَظِرة إلى مَيْسرة ـ فمعناه التأخير إلى حال اليُسْر .

وهذه الآية نَصٌّ في رؤية مولانا جلّ وعز في الدار الآخرة ، وهو مذهبُ أهل السنة ، خلافا للمعتزلة . وتأوّلوا ناظرة بمعنى منتظرة ؛ وهذا باطل ؛ لأن نظر بمعنى [٢٠٠ ا] انتظر يتعدّى بغير حرف جر ، تقول نظرتك بمعنى انتظرتك . وأما المتعدى بإلى فهو من نظر العين . ومنه قوله[٤] : ومنهم مَنْ يَنْظُر إليك . وقال بعضهم : «إلى» هنا ليست بحرف جر ، وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم ؛ وهذا تكلف في غاية البُعْد . وتأوّله الزمخشري[٥] بأن معناه كقول الناس : فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ، ويتعلق به . وهذا بعيد .

وقد جاءت أحاديث صحيحة في النظر إلى الله صريحةٌ لا تحتمل التأويل ؛ فهي تفسير للآية ، ولو لم تكن جائزة لم يسألها نبي الله موسى في قوله[٦] : « رب أرِني أنظر إليك » .

(نَخِرَة[٧]) ، وناخرة بمعنى بالية مُتَفَتِّتة ، واستعظم الكفارُ رجوعَهم في الآخرة بعد مصيرهم إلى هذا الوصف ، ولم ينظروا في خلقتهم الأولى من العدم .

(نَمارِقُ[٨]) : وسائد ، واحدها نمرقة[٩] ونمرقة .

---

(١) القيامة : ٢٣ — (٢) القيامة : ٢٢ — (٣) البقرة : ٢٨٠

(٤) يونس : ٤٣ — (٥) الكشاف : ٢ـ٤٠٩ — (٦) الأعراف : ١٤٣

(٧) النازعات : ١١ — (٨) الغاشية : ١٥ — (٩) في القاموس : النمرقة مثلثة .

(نَجْدَيْن[1]) : أى طريق الخير والشر ، فهو كقوله[2] : « إنّا هَدَيْنَاه السبيل ، إمّا شاكراً وإمّا كَفُوراً » .

(نَاقَةَ اللهِ[3]) : منصوب بفعل مضمر ، تقديره : احـذروا ناقة الله ؛ أو احفظوا . والمراد بها ناقة صالح عليه السلام .

(نَسْفَعاً بالناصيةِ . ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة[4]) ؛ أى لنحرقنّها بالنار ؛ من قولك : سفعته النـــــار ، أو من الجذب والقَبْض على الشىء . والآيةُ فى أبى جهل ؛ أوعده الله إن لم ينْتَهِ عن كفره وطُغْيانه أن يأخذَ بناصيته ، وهى مقدّم الرأس ، فيُلْقى فى النار . وهذا كقوله تعالى[5] : « فيُؤْخذ بالنَّواصِى والأقدام » .

وأكد لنسفعا باللام والنون الخفيفة ، وكتبت فى المصحف بالألف مراعاةً للوقف عليها . ويظهر لى أنّ الوعيد نفذ عليه يوم بَدْر ، حين قُتل ، وأُخذ بناصيته، وجُرّ إلى القَلِيب .

ووصف ناصيته بالكذب تجوّزاً ، والكاذب الخاطىء فى الحقيقة صاحبها ، والخاطىء الذى يفعل الذنب متعمداً . والمخطىء الذى يفعله من غير قصد .

(نَقْعاً[6]) : يعنى أنّ الإبل حرّكْنَ الغُبار عند مَشْيِهنّ .

(نَفّاثات[7]) : النفث : شبه النفخ دون تفل وريق . قاله ابن عطية . وقال الزمخشرى[8] : هو النفخ مع ريق . وهذا النفث ضَرْبٌ من السحر ؛ وهو أن ينفث على عُقَد تُعقَد فى خيط أو نحوه على اسم المسحور ، فيضره ذلك .

---

(١) البلد : ١٠ (٢) الإنسان : ٣ (٣) الشمس : ١٣
(٤) العلق : ١٥، ١٦ (٥) الرحمن : ٤١ (٦) العاديات : ٤
(٧) الفلق : ٤

وحكى ابن عطية أنه حدّثه ثِقَةٌ أنه رأى ببلاد المغرب خيطا أحمر قد عُقدت فيه عقد على فُصْلَان – وهي أولاد الإبل ، فمنعت ذلك رضاعَ أمهاتها ، فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفَصِيل إلى أمه فرضع فى الحين .

قال الزمخشرى[1] : إن فى الاستعاذة من النفثة ثلاثة أوجه : أحدها أن يستعاذ من مثل عملهن ، وهو السحر ومن إثمهن فى ذلك .

والآخر[2] أن يستعاذ من خداعهن الناس ومن خبثهن .

والثالث أن يستعاذ مما يصيبه الله من الشر عند نَفْثهن .

والنفاثات بناء مبالغة ، والموصوف محذوف ، تقديره النساء النفاثات ، أو الجماعات النفاثات ، أو النفوس النفاثات . والأول أصح ؛ لأنه رُوى أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودى ، وكنَّ ساحرات سحرن وأبوهن سيدَنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعقدن له إحدى عشر عُقدة ، فأنزل الله تعالى المعوّذتين إحدى عشرة آية بعدد العُقد ، وشفا الله رسولَه صلى الله عليه وسلم .

فإن قيل : لِمَ عرف النفاثات بالألف واللام ، ونَكّر ما قبله ، وهو غاسق وما بعده وهو حَاسِد ، مع أن الجميع مستعاذٌ منه ؟

فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم ؛ لأن كل نفاثة شريرة ، بخلاف الفاسق والحاسد فإن شرّهما فى بعض دون بعض .

(نُسبّحُ بحمدك ونُقَدّس لك[3]) : هذا من اعتراف الملائكة والتزام التسبيح . والتقدير : نسبح ملتبسين بحمدك ؛ فهو فى موضع الحال . ويحتمل

---

(١) الكشاف : ٢ — ٥٦٨ . (٢) فى الكشاف : والثانى ، وهو الصواب .

(٣) البقرة : ٣٠

أن يكون الكاف فى قوله « لك » مفعولا ، ودخلت عليها اللام ، كقولك : ضربت لزيد ، أو أن يكون المفعول محذوفاً ؛ أى نُقَدِّسك على معنى نُنَزِّهك ؛ أو نعظمك وتكون اللام فى لك للتعليل ؛ أى لأجلك ، أو يكون التقدير نقدس أنفسنا أى نطهرها لك .

فإن قلت : الملائكة معصومون مطهّرون [٢٠٠ ب] من الرذائل ، فما معنى هذا الاعتراض فى قولهم[1] : « أتجعل فيها مَنْ يُفسد فيها » ؟

والجواب أنه ليس فيها اعتراض ولا افتخار ولا مِنّة بإظهارهم للتسبيح ، وإنما حملهم على هذا القول أنَّ الله أعلمهم أنْ يستخلفَ فى الأرض مَنْ يعصيه ، فاستبعدوا ذلك .

وقيل : كان فى الأرض جِنٌّ ، فأفسدوا ؛ فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم، فقاست الملائكة بنى آدم عليهم .

(نُسُك[2]) : ذبائح . واحدها نسيكة .

(نُنشزها[3]) — بالراء : نحييها ، وبالزاى : نرفعها للأحياء ، مأخوذ من النشز ، وهو المكان المرتفع العالى .

(نُمْلِي لهُمْ[4]) ؛ أى نطيل لهم المدة ، فليس فيه خير لهم ، إنما هو استدراج ليكتسبوا الآثام .

(نُكَفِّر عنكم سيِّئَاتكم[5]) : وعد بغفران ذنوب هذه الأمة إذا اجتنبوا الكبائر .

---

(١) البقرة : ٣٠ (٢) البقرة : ١٩٦ (٣) البقرة : ٢٥٩

(٤) آل عمران : ١٧٨ (٥) النساء : ٣١

(نَصِيب مِمَّا اكْتَسَبُوا[1]) : يعني من الأجر والحسنات . وقيل من الميراث ، ويردُّه لفظ الاكتساب .

وسببها أنَّ النساء قلن : ليتنا استوينا مع الرجال في الميراث وشاركناهم في الغزو ؟ فنزلت نَهْياً عن ذلك ؛ لأن في تمنيهن ردًّا على حكم الشريعة ، فيدخل في النهي تمني مخالفة الأحكام الشرعية كلها .

(نُشُوزاً[2]) ، بالزاي ، له معنيان : شر بين الرجل والمرأة وارتفاع ، ومنه[3] : « انشُزُوا » ؛ أي قوموا من المكان ، قال تعالى[4] : « وإن امرأةٌ خافَتْ من بعلها نُشوزاً أو إعراضاً ... » . الآية يفهم منها أنَّ الإعراض أخفّ من النشوز . وقوله[5]: « واللاتي تخافون نُشُوزَهنَّ » ؛ أي مَعْصِيَتَهُنَّ وتعاليهنَّ عما أوجب الله عليهن من طاعة الأزواج .

(نُصْلِيهِم ناراً كلما نَضِجَتْ جلودُهم بدَّلناهم جلوداً غيرَها[6]) ؛ أي نشويهم . والضمير عائد على الذين كفروا . وقيل : تُبدَّل لهم جلود بعد جلود أخرى دون نفوسهم ، هي المعذبة . وقيل تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار . وقيل الجلود السرابيل ، وهو بعيد .

(نُصُب[7]) - بضم الصاد ، مفرده نصاب : حجارة كان أهل الجاهلية يعظّمونها ويذبحون عليها . وليست بالأصنام ؛ لأن الأصنام مصوّرة ، والنصب غير مصورة . وهي الأنصاب . والنصب - بفتح الصاد : العناء والتعب . وقول أيوب : «[8] مَسَّني الشيطان بِنُصْبٍ وعذاب » ؛ أي ببلاء وشر .

---

(١) النساء : ٣٢ (٢) النساء : ١٢٨ (٣) المجادلة : ١١

(٤) النساء : ١٢٨ (٥) النساء : ٣٤ (٦) النساء : ٥٦

(٧) المائدة : ٣ (٨) ص : ٤١

(نُرَدُّ على أعقابنا[1]) ؛ أي نرجع من الهُدَى إلى الضلال . وأصلُه الرجوعُ على العَقِب في المشي ، ثم استُعير في المعاني . وهذه الجملة معطوفة على «[2] أندْعُو» ؛ والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ . وقيل لـكل مَنْ لم يظفر بما يريد .

(نُنَجِّيكَ بِبَدَنِك[3]) ؛ أي نبعدك عما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر .

وقيل : نُلقيك على نَجْوَة من الأرض ؛ أي على موضع مرتفع .

والباء في ببدنك للمصاحبة ، والمراد به الجسد دون الروح . وقيل : بدرعك ، وكان الدرع من ذهب ، يُعرف بها . والمحذوف في موضع الحال .

(نُغَادِر[4]) : نترك ، يقال : غادرني كذا ، وأغدرته إذا خلّفته . ومنه سمي الغدير ؛ لأنه ما تخلِّفه السيول .

(نُـكْراً[5]) ؛ أي منـكراً ، وهو أبلغ من قوله[6] : « إمْراً » . ويجوز ضم الـكاف وإسكانها .

(نُفِخَ في الصُّور[7]) ؛ وهو القَرْن الذي ينفخ فيه إسرافيل يوم القيامة ، كما جاء في الحديث : إنه على صورة جناح النحل ، وينفخ فيه إسرافيل نفختين : إحداهما للصعق ، والأخرى للقيام من القبور .

(نُزُلا[8]) : ما يسّر للضيف والقادم عند نزوله . والمعنى أن لهم جهنم بدل النزل ، كما أن الجنة نزل في قوله[9] : « كانت لهم جنّاتُ الفِرْدَوْس نُزُلا » .

---

(١) الأنعام : ٧١ (٢) الآية نفسها . (٣) يونس : ٩٢
(٤) الـكهف : ٤٧ (٥) الـكهف : ٧٤ (٦) في الآية (٧١) قبلها : لقد جئت شيئا إمراً .
(٧) الـكهف : ٩٩ (٨) الـكهف : ١٠٢
(٩) الـكهف : ١٠٧

ويحتمل أن يكون النزل من النزول .

(نُنَبِّئُكم بالأخسرين أعمالا[1]) : الآية فى كفار العرب لقوله : كفروا بآيات ربهم ولقائه . وقيل فى الرهبان يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم ، وهى لا تُقبل منهم .

(نُهى[2]) : عقول ، واحدتها نُهية .

(نُعيدكُم[3]) ؛ أى بالدفن .

(نُخرجكم[3]) ؛ أى بالبعث .

(نُحَرِّقنَّه[4]) ؛ أى بالنار ، أو نبرده بالمبارد ، على من قرأه بفتح النون وضم الراء . وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى ؛ لأن الذهب لا يَفْنى بالإحراق بالنار .

والصحيح أنّ المقصود بإحراقه بالنار إفسادُ صورته ، فيصح حَمْل قراءة الجماعة عليه .

(نُكِسُوا[5] على رءوسهم) [١٢٠١] : استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل ، يقال نُكِس فلان : إذا سقط من مكان وارتفعت رجلاه ، ونُكِس المريض إذا خرج من مرض ثم عاد إلى مثله .

والضمير يعودُ على قوم إبراهيم لما وجدوا الفأس معلقا فى عُنق كبير أصنامهم فسألوه ، فقال : فَعلَه كبيرُهم هذا ... الآية .

(نُشُورا[6]) ؛ أى الحياة بعد الموت . ومنه : وإليه النُّشور .

---

(١) الكهف : ١٠٣ (٢) طه : ٥٤ (٣) طه : ٥٥
(٤) طه : ٩٧ (٥) الأنبياء : ٦٥ (٦) الفرقان : ٣

(نُمَكِّنْ لهم حرَمًا آمِنًا[1]) : هذا ردٌّ على قريش من اعتذارهم في تخطّف الناس لهم أنْ آمنوا . والمعنى أنّ الحرم لا تتعرض له العرب بقتالٍ ، ولا يمكِّن اللهُ أحداً من إهلاك أهله ؛ فقد كانت العرب تُغير بعضها على بعض ، وأهلُ مكة آمنون من ذلك .

(نُعَمِّرْكُم ما يتذكَّرُ فيه مَنْ تذكَّر وجاءكم النَّذِير[2]) : هذا من قولِ الله لأهل النار القائلين : ربَّنا أخرِجنا نعملْ صالحا غير الذى كُنّا نعمل . وهو قول أهل الطبقة الخامسة ؛ لأنه صح أن أهل « الأولى » يقولون : ياحنّان يا منّان ؛ وهم العصاةُ من هذه الأمة ، « والثانية » تقول : ربنا غلبت علينا شِقْوتنا وكنّا قوماً ضالّين ، « والثالثة » تنادى : ربنا أخرِجنا منها فإن عُدْنا فإنا ظالمون ، « والرابعة » تنادى : ربَّنا أخِّرْنا إلى أجلٍ قريب نُجِبْ دعوتك ، « والسادسة » تقول : ادعُ لنا ربَّك يخفّفْ عنّا يوما من العذاب ، « والسابعة » تنادى : يا مالك ، ليقضِ علينا ربُّك . فيُجاوب كلُّ أحدٍ بما يليق به ؛ فهؤلاء قال لهم : أو لم نُعَمِّرْكُم ما يتذكَّرُ فيه مَنْ تذكَّر ، وجاءكم النَّذير . وهو نبيُّنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : الشيب ؛ لأنه نذير بالموت . والأوّل أظهر .

وقد اطلع بعضهم يوماً في المرآة ، فرأى الشَّيْبَ في لحيته ، فاعتزل أهلَه وماله حتى لحق بالله .

وقد اختلف في حد التعمير ، كم هو ؟ وقد قدمنا أنه سبعون سنة للحديث . وقيل البلوغ . والأول أرجح .

(نُحَاس[3]) : دخان . وقيل هو الصُّفْر يُذاب ويصبُّ على رءوس

---

(١) القصص : ٥٧ (٢) فاطر : ٣٧ (٣) الرحمن : ٣٥ ، والآية : يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران .

أغلى الموقف . وقرىء نحاسٌ ـ بالرفع عطف على « شُوَاظ » . وبالخفض عطف على نار .

(ن[1]) : حرف من حروف الهجاء . وحكى الكِرْمَانى فى العجائب أن معناه اصنع ما شئت . وقيل : إنه من حرف الرحمن ؛ فإن حروف الرحمن فى الموحم ون . وقيل : إن «ن» هنا يراد به الحوت . وزعموا أنه الحوت الأعظم الذى عليه الأرضون السبع . وهذا لا يصحّ ، على أن النون بمعنى الحوت معروف فى اللغة ، ومنه ذو النُّون . وقيل : إن ن هنا يراد به الدواة . وهذا غير معروف فى اللغة ؛ ويبطل قول مَنْ قال إنه الحوت أو الدواة بأنه إن كان كذلك لكان مُعْرباً بالرفع أو النصب أو الخفض ، ولكان فى آخره تنوين ، فكونه موقوفاً دليلٌ على أنه حرف هجاء ؛ نحو : الم ، وغيره من حروف الهجاء الموقوفة.

(نُقِر فى النَّاقُور[2]) : يعنى النفخ فى الصُّور . ويحتمل أن يريد النفخةَ الأولى ، أو الثانية .

(نُسِفَتْ[3]) : ذهب بها كلها بسرعة .

(النفوسُ زُوِّجَت[4]) : فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن التزويج بمعنى التنويع ؛ لأن الأزواج هى الأنواع ؛ فالمعنى جعل الكافر مع الكافر ، والمؤمن مع المؤمن . والآخر[5] زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم مع الحُور العين . والثالث زوجت الأرواح والأجساد ؛ أى رُدّت إليها بعد البعث .

والأول هو الراجح ؛ لأنه مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب وابن عباس .

---

(١) القلم : ١ (٢) المدثر : ٨ (٣) المرسلات : ١٠

(٤) التكوير : ٧ (٥) كان حقه : والثانى .

(نِحْلَةً[1]) ؛ أى عطية منكم لهن ، أو عطية من الله . وقيل معنى نحلة شِرْعة ودِيانة ؛ وانتصابُه على المصدر من معنى آتوهنّ ، أو على الحال من ضمير المخاطبين .

والمراد بهذا أنّ المهور هبةٌ من الله تعالى للنساء والنفقة عليهن ؛ وسببه ـ على ما قيل ـ أن حواء لما أصاب آدم التعب فى الحرث أخـــــذت قبضةً من الزرع وزرعته ، فنبت شعيراً ؛ فلما رأت تغيّر أفعالها وظهور نكالها اغتمت ، فقال : اغتممتِ لأجلنا ساعة لأرفع قدرك بأن أكلف الرجال همّ النفقة عليكِ وعلى بناتك ، وامتحنّهنّ بالمهْرِ والنفقة عليكن ؛ فمن اغْتَمَّتْ لأجله ساعةً أنجاه من الغمّ دهراً طويلا ، فكيف من اغتم من خوف قطيعته سبعين سنة أو أكثر ، كيف لا ينجّيه منها .

(نَسْيا مَنْسِيّا[2]) ؛ بفتح النون وكسرها : هو الشيء الحقير الذى إذا [٢٠١ ب] أُلقِي لم يلتفَتْ إليه .

(النُّونُ) : على أوجه : اسم ، وهى ضمير النسوة ؛ نحو : « فلما رأينَهُ أكْبَرْنَه وقطَّعْنَ أيديهن وقُلْن » .

وحرف ؛ وهى نوعان : نون التوكيد ، وهى خفيفة وثقيلة ؛ نحو : ليُسْجَنَنَّ وليكونا . ولنسفعاً . وقطّعْنَ أيديهن . ولم تقع الخفيفة فى القرآن إلا فى هذين الموضعين ، وثالث فى قراءة شاذة ، وهى : فإذا جاء وَعْدُ الآخرة لِنَسُوءاً وجوهَكُم . ورابع فى قراءة الحسن : أَلْقِيًا فى جَهَنّم ؛ ذكره ابن جنى فى المحتسب[3] .

---

(١) النساء : ٤ (٢) مريم : ٢٣ (٣) المحتسب : ٢ ـ ١٥ ، ٢٨٤

ونون الوقاية، وتلحق ياء المتكلم المنصوبة بفعل: فاعبدنى. ليحزننى. أو حرف، نحو: يا ليتنى كنت معهم. إنى أنا الله.

والمجرورة بلدن، نحو: من لدنِّى عُذْرا. أوْ مِن أوْ عَنْ؛ نحو: ما أغنى عنى. وألقيت عليك محبةً منى.

(التّنوينُ): نون تثبت لفظاً لا خطّاً. وأقسامه كثيرة:

تنوين التمكين، وهو اللّاحق للأسماء المعربة، نحو: هدًى ورحمةٌ. وإلى عاد أخاهم هُوداً. إنا أرسلنا نُوحاً.

وتنوين التنكير؛ وهو اللاحق لأسماء الأفعال، فرْقاً بين معرفتها ونكرتها، نحو التنوين اللاحق لأُفٍّ فى قراءة مَنْ نوَّنَه، وهيهات فى قراءة مَنْ نوَّنها.

وتنوين المقابلة؛ وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم، نحو: مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائبات عابدات سائحات.

وتنوين العِوَض؛ إما عن حرف آخر؛ نحو: فاعل المعتل، نحو: والفجر وليالٍ. ومن فوقهم غَوَاشٍ. أو عن اسم مضاف إليه فى كلّ وبعض وأى، نحو: كلٌّ فى فلك. فضلنا بعضهم على بعض. أيًّا مّا تدْعُوا[1].

أو عن الجملة المضاف إليها إذ، نحو: وأنتم حينئذٍ تَنْظُرون؛ أى حين إذ بلغت الروح الحلقوم.

وإذا على ما تقدم عن شيخنا، ومَنْ نَحَا نحوه: وإنكم إذاً لمن المُقرَّبين؛ أى إذا غلبتم.

---

(١) الإسراء: ١١٠

وتنوين الفواصل الذى يسمى فى غير القرآن الترنُّم ، بدلا من حرف الإطلاق ؛ ويكون فى الاسم والفعل والحرف . وخرَّجَ عليه الزمخشرى وغيره : قواريرا . والليل إذا يَسْرِ [1] . كلا سيكفرون ؛ بتنوين الثلاثة .

(نَعَمْ) : حرف جواب ، فتكون تصديقا للمُخْبِر ، ووَعْداً للطالب ، وإعلاما للمستخبر . وإبدالُ عينها حاءً وكسرها وإتباع النون لها فى الكسر لغاتٌ قرىء بها .

(نِعْمَ) : فعل لإنشاء المدح لا يتصرف .



(١) الفجر : ٤

حرف الصاد المهملة

(صالح عليه السلام) : قال وهب : هو ابن عبيد بن هاير بن ثمود بن حاير ابن سام بن نوح ، بُعِثَ إلى قومه حين راهق الحلم ، وكان رجلا أحمر إلى البياض، سبط الشعر ، فلبث فيهم أربعين سنة .

وقال نوف البكالي : صالح من العرب لما أهلك الله عاداً عمرت ثموداً بعدها، فبعث الله صالحا غلاما شابًا ، فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر ، ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبيء إلا هود وصالح ؛ أخرجهما في المستدرك .

وقال ابن حجر وغيره : القرآن يدلُّ على أنَّ ثموداً كان بعد عاد ، كما كان عاد بعد قوم نوح .

وقال الثعلبي ـ ونقله عنه النووي في تهذيبه ومن خطه نقلت : هو صالح ابن عبيد بن آسف[1] بن ماشح[2] بن عبيد بن هاذر[3] بن ثمود بن عاد ابن عوض بن آدم بن سام بن نوح ، بعثه الله إلى قومه وكانوا عرَبا منازلهُم بين الحجاز والشام ، فأقام فيهم عشرين سنة ، وأقام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة .

(صلاة) : تأتي على أوجه :

الصلوات الخمس : يقيمون الصلاة . وصلاة العصر : تحبسونهما من بعد الصلاة . وصلاة الجمعة : إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة . والجنازة : ولا تُصَلِّ

---

(١) في ب : أسيف . وارجع إلى المحبر : ٣٨٥ ، والطبري (١ ـ ٢٢٦) .

(٢) في الطبري : ماسخ .

(٣) في الطبري : خادر . ونسبه في المحبر : صالح بن آسف بن كاشح بن أروم بن ثمود .

على أحد منهم . والدعاء : وصلّ عليهم . والدين : «أصَلَاتُكَ تأْمُرُكَ» . والقراءة : ولا تَجْهَرْ بصلَاتك . والرحمة والاستغفار : «إنّ الله وملائكته يُصَلُّون على النبي. يأيُّها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليما» . ومواضع الصلاة : وصلوات ومساجد . قال الجواليقى[1] : هى بالعبرانية كنائس اليهود ، وأصلها صَلُوتا .

(صَيِّبٍ[2]) : المطر . وأصله صَيْوِب ، ووزنه فيعل ؛ وهو مشتق من قولك : صاب يَصُوب . وقوله : أو كصَيِّبٍ من السماء ، فهو عطف على الذى استوقد . والتقدير أو كصاحب صيّب . وأو للتنويع ؛ لأن هذا مَثَلٌ آخر ضربه الله للمنافقين . وفى قوله : من السماء - إشارة [١٢٠٢] إلى قوته وشدة انْصِبَابه .

قال ابن مسعود : إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر ، وأيْقَنَا بالهلاك ، فعزما على الإيمان ، ورجعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وحَسُنَ إسلامهما ، فضرب اللهُ ما نزل بهما مثلا للمنافقين .

وقيل المعنى : تشبيه المنافقين فى حيرتهم فى الدين وفى خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطرٌ فيه ظلمات ورَعْدٌ وبَرْق ؛ فضلّ عن الطريق ، وخاف الهلاك . وهذا التشبيه على الجملة .

وقيل : إن التشبيه على التفصيل ؛ فالمطر مثل القرآن أو الإسلام ، والظلمات مَثَلٌ لما فيه من البراهين الواضحة .

فإن قيل : لم قال : رعد وبرق بالإفراد ، ولم يجمعهما كما جمع ظلمات ؟

فالجواب أنّ الرعد والبرق مصدران ، والمصدر لا يجمع . ويحتمل أن يكونا اسمين ، وترك جمعهما لأنهما فى الأصل مَصْدران .

---

(١) المعرب : ٢١٢ ، وفيه : وصلوات : هى كنائس اليهود ، وهى بالعبرانية صلوتا .
(٢) البقرة : ١٩

(صَوَاعق[1]) : جمع صاعقة ، وهى كلُّ عذابٍ مُهلك . ومنه[1] : «يَجْعَلُونَ أَصابعهم فى آذانهم من الصَّوَاعق» ؛ أى من أجل الصواعق . قال ابن مسعود : كانوا يجعلون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا القرآنَ فى مجالسه صلى الله عليه وسلم؛ فهو على هذا حقيقة فى المنافقين ، والصواعق على هذا ما يكرهونه من القرآن ، والموت هو ما يتحقق فَوْته ؛ فهما مجازان .

وقيل: إنه راجع إلى أصحاب المطر المشبَّه بهم ، فهو حقيقة فيهم. والصواعق على هذا حقيقة ، وهى التى تكون مع المطر من شدة الرعد ونزول قطعة نار ؛ والموت أيضاً حقيقة .

وقيل : إنه راجع إلى المنافقين على وَجْه التشبيه لهم فى خوفهم ، بمن جعل أصابعَه فى آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد ؟

فإن قيل : لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم ؟ والأنامل هى التى تجعل فى الأذن ؟

فالجواب أن ذكر الأصابع أبلغ ، لأنها أعظم من الأنامل ؛ ولذلك جمعها مع أنّ الذى يجعل فى الأذن السبابة خاصة .

(صابئين[2]) : خارجين من دين إلى دين . يقال : صَبَأ فلان إذا خرج من دِينه إلى دِينٍ آخر ، وصبأت النجوم خرجت من مطالعها ، وصبأ نَابُه : خرج.

قال قتادة : الأديان ستة ، واحد للرحمن ، وخمسة للشيطان . الصابئون يعبدون الملائكة ، ويُصَلُّون إلى القبلة ، ويقرءون الزبور . والمجوس يعبدون الشمس والقمر . والذين أشركوا يعبدون الأوثان . واليهود والنصارى معلوم دينهما .

---

(١) البقرة : ١٩ (٢) البقرة : ٦٢

(صَفْراء[1]) : من الصُّفرة المعروفة ، ومنه[2] : « جِمَالاتٌ صُفْر » . وقيل سودا . وهو بعيد . والظاهر صفراء كلها . وقيل : القَرْن والظِّلْف فقط ؛ وهو بعيد .

(الصَّفا والمَرْوَة[3]) : جبلان صغيران بمكة السَّعْيُ بينهما واجبٌ عند مالك والشافعي رضي الله عنهما .

فإن قلت : لم جيء في الآية بلفظ يقتضي الإباحة ، وهو قوله[3] : « فلا جُنَاحَ عليه أن يطَّوَّفَ بهما » ؟

والجواب أن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما ؛ لأنه كان في الجاهلية صنم ، يقال له إساف ، وعلى المروة صنم يقال له نائلة ، فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيما للصنمين ، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك .

فإن قلت : مِنْ أين يُؤخذ وجوبُ السعي ؟

فالجواب أنه واجب بالسنة ؛ لقول عائشة : أوجب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السعْيَ بين الصفا والمروة ، وليس لأحد تَرْكُه .

وقيل : إن الوجوبَ يُؤخذ من قوله[3] : « شَعَائِر الله » . وهذا ضعيف ؛ لأن شعائر الله منها واجبة ، ومنها مندوبة . وقد أخذ بعضهم من الآية نَدْبَ السعي بينهما .

(الصَّلَاة الوُسْطى[4]) : على القول بأنها الظهر أو الجمعة ؛ لأنها في وسط النهار ، أو لفَضْلها ؛ من الوسط وهي الخيار . وسُمِّيت وُسْطى لتوسطها في عدد

---

(١) البقرة : ٦٩ (٢) المرسلات : ٣٣ (٣) البقرة : ١٥٨
(٤) البقرة : ٢٣٨

الركعات على القول بأنها المغرب ؛ لأنها بين الركعتين والأربع ، ولتوسُّط وقْتِها على القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار . وإنما أجرى ذكرها بعد دخولها في الصلوات وأخفاها للاعتناء بها . وبالجملة ما مِنْ صَلاَةٍ إلا وقيل فيها وسطى .

(صَفْوان[1]) : حجر كبير أملس . وهو اسمٌ واحد معناه جمع ، واحدتها صفوانة .

(صَلْدا[1]) : أملس . وهذا تمثيل للذى يمنّ ويؤْذى بالذى يُنفقه رياء ، وهو غير مؤمن [٢٠٢ ب] ، كحجر عليه تراب فيظنّه مَنْ يراه أرضا مُنْبِتة طيبة ، فإذا نزل عليها المطر انكشف التراب ، فبقى الْحَجَرُ لا منفعةَ فيه ؛ فكذلك المرائى يظنُّ أن له أجرا ، فإذا كان يوم القيامة انكشف سِرُّه ولم تنفعه نفقتُه .

(صَدُقَاتِهِنَّ[2]) : أى مهورهن ؛ يُؤْمر الزوجُ بإعطائها ذلك ، واحدتها صَدُقة .

(صَعِيدا[3]) : وجه الأرض عند مالك ، كان ترابا أو رملا أو حجارة ، فأجاز التيمم بذلك كله . وعند الشافعي التراب لا غير . واختلف في التيمم بالذهب والملح ، وبالآجر والجص المطبوخ ، وبالجدار وبالنبات الذى على وجه الأرض ؛ وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد .

(صَيْد[4]) : كلّ ما كان ممتنعاً ولم يكن له مالك ، وكان حلالا أكله ؛ فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال فهو صَيْد .

---

(١) البقرة : ٢٦٤ (٢) النساء : ٤ (٣) المائدة : ٦

(٤) المائدة : ٩٦

(صدَف عَنها[1]) ؛ أى أعرض عن آيات الله .

(صَغَار[2]) : أشد الضر ، وهو الذل .

(صَديد[3]) : قيح ودم .

(صَوْم[4]) : أصله فى اللغـــــة الإمساك مطلقا ، ثم استُعْمِل فى الشرع فى الإمساك عن الطعام والشراب . وقد جاء بمعنى الصَّمْت فى قول مريم[4] : « إنى نَذَرْتُ للرحمن صَوْما فلن أُكلِّمَ اليَوْمَ إنسيًّا » . وقيل تعنى الصيام ؛ لأن مِنْ شَرْطِه فى شريعتهم الصمت ، وإنما أُمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها ؛ ولأنَّ عيسى تكلَّم عنها وأخبرهم بأنها نَذَرَت الصمْتَ ، ولا يجوزُ فى شريعتنا نَذْر الصمت .

وانظر ما أثمر الصمت لها من نُطْقِهِ على لسان ولدها بقوله : إنى عبد الله — ألهمه الله بذلك ، لأنه علم أن بعض الكفار سيقولون ما ليس لهم به علم ، كما قال : ما اتخذ الله من ولد . وقال : إن يقولون إلا كذباً ؛ فهذه حجتُه عليهم إلى يوم القيامة بقول الله : أأنتَ قلتَ للنـاس اتَّخِذُونى وأُمى إلهين من دون الله . . . إلى قوله : أن اعبدوا اللهَ رَبِّى وربكم ؛ وقد قلت فى الأولى : إنى عبد الله .

وقد كان امتحان عيسى متصلا بمحنة أُمِّه ، كما كان امتحان يوسف متصلا بامتحان أبيه ؛ لأن الله تعالى قال : كلَّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً . . . الآية . فقيل لها : يا مريم ؛ إن كنت صادقةً فى دَعْواك فاصْبِرى على المحنة ، فنفخ جبريل فى جَيْبِها ، فقالت : إنى أعوذُ بالرحمن منـك . . . الآية . قال تعالى[5] : « فأَجاءها المَخَاضُ إلى جِذْعِ النخلة . . . » الآية ؛ أى قبل أن

---

(١) الأنعام : ١٥٧ (٢) الأنعام : ١٢٤ (٣) إبراهيم : ١٦

(٤) مريم : ٢٦ (٥) مريم : ٢٣

ترفع الواسطة بيني وبين حبيبي ، فقيل لها في سرّ : إنه دَعْواك ، حيث قلتِ : إنه من عند الله .

كذلك امتحن يوسف بمحنة أبيه يعقوب ، فكان في الأمر ما كان ؛ لأنه قال : لا تَقْصُصْ رُؤْياك على إخوتك ؛ إذ عاقبه ؛ فلما قيل له : بلغت المحنةُ غايتها قال : إنما أشكو بَثّي وحزني إلى الله ؛ أي دعواك حين قلت : لا تقصص رُؤْياك على إخوتك .

كذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع قولَ الكفار في ربّه ضاق صَدْرُه ، فأنزل الله : "ولقد نعلم أنك يَضيقُ صَدْرُك بما يقولون" . "خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْف"... الآية ، ولو قالوا ما قالوا من الجنون والسحر ، فأنا أجيبُ شانئك عنك بقولي : هَمّازٍ مَشّاءٍ بنَميم ؛ أي شانئك هو الأبْتَر .

كذلك قصة مريم في قولها : إني نذرْتُ للرحمن صوما ، قالوا : هذا أنكر وأعظم ؛ فإن من عرف ربّه كَلَّ لسانُه ، وأشارت إليه ، فأجاب الله عنها على لسان ولدها .

كذلك المؤمن أمره اللهُ تعالى بالسكون ، وترك الخصومة عمن ظلمه حتى يتولى الجوابَ الملكُ الوهّابُ ، قال تعالى[1] : « ولا تحسبَنّ اللهَ غافلا عما يَعْمَلُ الظالمون » . وفي الحديث : إذا أراد الله أن يرفع درجةَ عبدٍ قيَّض اللهُ له مَنْ يظلمه . وحكي أن وزيراً ظلم بعضَ الرعية في أخذ جِنَانٍ له طلب بَيْعه منه ، فأبى ؛ فقال له : إني آخذه منك . فقال له : أشكوك إلى الملك . فقال له : إن بيني وبينه معرفةً ، قال : أشكوك إلى ربك . فلما لقيه بعد مدة قال له : ما قال لكَ

---

(١) إبراهيم : ٤٢

الذى شكوتَ له ؟ قال : قال لى[1] : « ولا تحسبنَّ اللهَ غافلا عما يَعمل الظالمون ... » الآية . فارتعدت فرائصُ الوزير ، ونزل من سَرْجه ، فقبّل يده ، وطلب منه العفو .

هذا شأن مَنْ عرفه ووله فى عظمته وتفكره فى كلامه ؛ بخلاف [٢٠٣ ا] ما نحن عليه من ظُلْم أنفسنا . ما أرى بصائرنا إلا عميَتْ عن مشاهدة مشاهدِ القوم إذا أشخصت لنا الصفات منهم شخصاً هرب ، كأننا ضِدّان لا نجتمع .

اللهم أقلْ عثراتنا ، وارحم ضراعتنا ، ولا تؤاخذنا بأفعالنا ؛ لأنا علمنا أنك عفُوّ تحبُّ العفو، فاعْفُ عنا بجاهِ سيدنا ومولانا ومنقذنا من الهول العظيم صلى الله عليه وعلى آله أفضل صلاة وأزكى تسليم .

(صَفّاً[2]) : ذكر فيه أبو عبيدة وجهين : الصف الذى يصلّى فيه ، كما قال بعضهم: ما استطعت أن آتى الصفَّ اليوم . وصفوف الناس كما قال: « ثمَّ ائتوا صَفّا » . وأما قوله تعالى[3] : « إن الله يحبُّ الذين يقاتلون فى سبيله صَفّا » ، فقد قدمنا أنه ليس المراد به نفس التصافّ ؛ وإنما المقصود به الثبوت والجدّ فى القتال ، خلافاً لمن قال : إن قتال الرجالة أفضل مِنْ قتال الفرسان ، لأن التراصّ فيه يمكن أكثر مما يمكن للفرسان . قال ابن عطية : وهذا ضعيف ، خَفِى على قائله مقصد الآية .

(صَفّا صَفا[4]) : مستوى من الأرض أملس لا نبات فيه .

(صَوَافَّ[5]) : معناه قائمات قد صففْنَ أيديهن وأرجلهن ؛ وهو منصوب

---

(١) إبراهيم : ٤٢ (٢) طه : ٦٤ (٣) الصف : ٤
(٤) الفجر : ٢٢ (٥) الحج : ٣٦

على الحال من الضمير المجرور ، ووزنُه فواعل ، وواحده صافة . وقرىء صوافى ؛ أى خوالص لا يشركون فى نحرها أو فى التسمية على نحرها .

(صَوَامع[1]) : منازل الرهبان ، جمع صَوْمَعة ـ بفتح الميم ـ وهى موضع العبادة ، وكانت للصابئين . وسمِّى بها فى الإسلام موضع الأذان . والمعنى لولا دفاع الله لاستولى الكفّار عليها .

فإن قلت : قد استولى الكفّار عليها فهدَّمُوها وخرّبوا المساجد ؟

فالجواب أن ذلك بذنوب أهلها ، وما اجترحوا فيها من المعاصى ؛ لأن الله وعد بنصر مَنْ ينصرُ دِينه فى مواضع من كتابه : إنْ تَنْصُروا الله ينصركم . ولينصرنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُره .

(صَرْفاً ولا نَصْراً[2]) : أى حيلة ولا نصرة . يعنى أنهم لا يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم عذاب الله . والصرفُ والمنعُ والحيلولة بمعنى واحد . ومنه قوله تعالى[3] : « وحِيلَ بينهم وبَيْنَ ما يَشْتَهُون » . وقرىء بالتاء المثناة . ويحتمل على هذا أن يكون الخطابُ للمشركين أو المعبودين . والصرف على هذين الوجهين صرف العذابِ عنهم . أو يكون الخطاب للمسلمين ، والصرف على هذا ردّ التكذيب .

(صَرْح[4]) ؛ أى قصر . وقيل صَحْن الدار ؛ وإنما صنع سليمانُ هذا الصَّرْح لأنّ الجن كرهوا تزوّج سليمان لبلقيس ، فقالوا له : إن عقلها مخبول ، وإن رِجلها كحافر الحمار ؛ فاختبر عقلها بتنكير العرش ، فوجدها عاقلةً ؛ لأنها قالت : كأنه هو ، ولم تقُل نعم ؛ لأنها تغيّر عليها أمره ، ولم تقل لا ؛ لأنها كانت ترى

---

(١) الحج : ٤٠ (٢) الفرقان : ١٩ (٣) سبأ : ٥٤

(٤) النمل : ٤٤

بعض علاماته . ثم أمر بأن يتخذوا قصرًا من زجاج ، ويحفروا حوله نهرًا ، ويجعلوا فيه السمك والضفادع ، وأمر بأن يتخذوا على الماء قنطرة من زجاج ، ففعلوا ما أمروا ، ثم أمرها أنْ تدخل الصرْح ، فعزمت على الدخول ، فرأت الزجاج على الماء ، فحسبته لُجَّة وكشفت عن ساقيها ؛ فرأى سليمانُ أنها ليس فيها شيء من العيوب والمَنْقصة ؛ وأسلمت فتزوّجها سليمان ، وكان يأتيها في كل شهر مرة .

(صَيَاصِيهم[1]) : حصونهم . وصَيَاصِي البقر قرونها ؛ لأنها تمنع بها وتدفع عن أنفسها ، وصيصاء الدِّيك : شوْكاته ، ونزلت الآية في يهود بني قُريظة ؛ وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقَضُوا عَهْده ، وصاروا مع قريش ؛ فلما انصرفت قريش عن المدينة حصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حُكم سَعْد بن معاذ ، فحكم بأن يُقتَل رجالهم ، وتُسْبَى نساؤهم ، وذَرَاريهم .

(صَرِيخ[2]) : هو المغيث والمُنْقِذ من الغرق .

(صديق[3]) : مَنْ صدقك محبته ، وآثرك على نفسه ؛ وهو أقلُّ من القليل .
وفي قوله تعالى[3] : « فما لنا من شافعين . ولا صديقٍ حميم » إشارةٌ إلى كثرة الشفعاء في العادة وقلَّة الأصدقاء .

(صَافَّات[4]) : اختلف فيها ؛ فقيل هي الملائكة التي تصفُّ في السماء صفوفًا لعبادة [٢٠٣ أ] الله . وقيل : هي مَنْ يصفُّ مِنْ بني آدم في الصلاة والجهاد . والأول أرجح ؛ لقوله عن الملائكة[5] : « وإنا لنحن الصافّون » . وأما قوله :

---

(١) الأحزاب : ٢٦ (٢) يس : ٤٣ (٣) الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١
(٤) الصافات : ١ (٥) الصافات : ١٦٥

«[1] والطير صافّات » ـ فمعناه أنهن يصففن أجنحتهن في الهواء .

(صافِنات[2]) : جمع صافن ، وهو الفرس الذي يرفع إحدى يدَيه أو رِجليه ، ويقف على طرف الآخر . وقيل : الصافن هو الذي يسوّى يديه . والصفن علامة على فراهة الفرس والجياد السريعة الجري .

واختلف الناس في قصص هذه الآية ؛ فقال الجمهور : إنّ سليمانَ عليه السلام عرضت عليه خَيْلٌ كان وَرِثها عن أبيه . وقيل : أخرجتها له الشياطين من البَحْر ، وكانت ذوات أجنحة ، وكانت ألف فرس ، وقيل أكثر ؛ فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشيّ ، وقيل العصر ؛ فأسف لذلك ، وقال : ردُّوا عليّ الخيل ، فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عَقَرها لمّا كانت سبباً لفَوْت الصلاة ، ولم يترك منها إلا اليسير ؛ فأبدله اللهُ أسرعَ منها وهي الريح .

فإن قلت : تفويتُ الصلاة ذَنْبٌ لا يفعله سليمان ، وعقْر الخيل لغير فائدة لا يجوز ؛ فكيف يفعله سليمان ؟ وأي ذنب للخيل في تفويت الصلاة ؟

فالجواب : إنما عقرها لمجاعةٍ كانت بالناس ؛ فتقرَّب بها إلى الله في إطعامهم لها ، لا سيما على قول : إنه لم تَفُتْه صلاة ، ولا عقر الخيل ؛ بل كان يصلّي فعرضت عليه الخيل ، فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها ، فلما فرغ من الصلاة قال : ردُّوها عليّ فطفق يمسح عليها بيده كرامةً لها ومحبةً .

وقيل المسح عليها إنما كان وَسْماً في سُوقها وأعناقها ، للحبس في سبيل الله .

وقد حكى أنّ عبد الله بن المبارك فاتَتْه تكبيرة الإحرام مع الإمام

(١) النور : ٤١ (٢) ص : ٣١

بسبب بَيْعٍ باعَهُ ، فربح فيه ألفَ دينار ، فتصدَّق بها عسى أن يكون كفّارةً لتلك التكبيرة .

فاقتدِ أيها المسكين بتأسُّفك على ما فاتك من أوقاتك فى الخالفة ، ولا يشغلك شاغلٌ عن الطاعة بجهد الاستطاعة ؛ فإن سليمان أنعم الله عليه بأنواع النعم ، ولم يعاتبه باشتغاله لقوله : هذا مِنْ فَضْلِ رَبّى . ويوسف أعطاه الله الملك ولم يُعاتبه على اشتغاله به ؛ لأنه قال : هذا من فضل الله علينا . وقال فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم : وكان فضل الله عليك عظيما . ولم يأْذَن له فى نظرة واحدة إلى الدنيا غيرة منه عليه ؛ فقال[1] : « ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْك ... » الآية ؛ فأظهر أن فضله عليه فى المنع أفضلُ منه فى العطاء ، وكذلك قال لأمّته[2] : « قل بِفَضْلِ الله وبرحمته فبذلك فَلْيَفْرَحُوا هو خَيْرٌ مما يَجْمَعُون » .

وروى أنّ وجوهَ هذه الأمة تُحْشَر يوم القيامة كالكوكب الدرّىّ ، فتقول الملائكة : ما عملكم فى الدنيا ؟ فيقولون : كنا إذا سمعنا الأذان قُمْنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ، ثم تحشر طائفةٌ وجوهُهم كالأقمار فيقولون بعد السؤال : كنا نتوضأ قبل الوقت . ثم تُحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال : كنا نسمعُ الأذان فى المسجد .

وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزّون سبعاً إذا فاتتهم الجماعة .

وحكى أنه كان شدّاد بن حكيم البلخى الحاكم يمرُّ يوماً بمسجد من مساجد البلخى ومؤذّنه يؤذّن وبحذاء هذا المسجد حانوت رجلٍ معدل ، فلما فرغ المؤذّن من الأذان اشتغل ذلك المعدّل بجمع المتاع الذى بين يديه ، ثم خرج إلى الصلاة ؛

(١) طه : ١٣١ (٢) يونس : ٥٨

فلما كان فى الغد جاء المدّعى وشهد على رجل بحق ، فرد شهادته وقال : إنك مستَخِفٌ بأمر الصلاة حيث استقبلت أولا إلى رفع الأمتعة التى بين يديك بعد الأذان ، ثم خرجت إلى الصلاة . ذكره فى الإحياء .

(صَرْصَر[1]) : أحد رياح العقوبة ، وثانيها العقيم ، وثالثها القاصف ، كما قال تعالى[2] : « فيرسل عليكم قاصِفا » ؛ وهذه الرياح تهبّ [٢٠٤ ا] فى البحر دون البر برحمةِ الله ، إلا مَنْ أراد الله هلاكه بها . ورياح الرحمة ثلاثة : منشرات ، كقوله تعالى[3] : « والنَّاشِرات نَشْرًا » . والمبشرة ، كقوله[4] : « مُبَشِّرات » . والثالث الذاريات . فهذه رياحُ الرحمة تهبُّ على كل شىء فى الدنيا . وقيل ثلاث رياح تهبُّ من الجنة : الجنوب ، والشمال ، والصبا . ومنها خلق الله الفرس ، وبها نصر الله نبيَّه ؛ قال صلى الله عليه وسلم : نُصرت بالصبا ، وأهلكت عادٌ بالدَّبورٌ ؛ وريح الصبا ريحٌ مباركة تهبُّ من قِبَل الكعبة وقتَ الإسحار ، وتحملُ الأنين والاستغفار إلى الملك الجبار ؛ وهى الريح التى أوصلت ريحَ يوسف إلى يعقوب حيث قال : إنى لأَجِدُ رِيحَ يوسف ؛ ولهذا قال أبو على الدقاق : والريحُ رسولُ المشاق .

(صَفْحا[5]) : مفعول من أجله ، أو مصدر فى موضع الحال ؛ ومعناه على هذا : أنمسك عنكم الذِّكْرَ عَفْواً عنكم وغُفرانا لذنوبكم ؛ أو مصدر من المعنى ، أو مفعول من أجله ؛ تقول : صفحت عنه إذا أعرضْتُ عنه ، كأنه قال : أنترك تَذْكيركم إعراضا عنكم .

(صَرَّة[6]) : من صَرَّ القلم وغيره إذا صوّت . وقيل معناه فى جماعة النساء ؛

---

(١) الحاقة : ٦ (٢) الإسراء : ٦٩ (٣) المرسلات : ٣
(٤) الروم : ٤٦ (٥) الزخرف : ٥ (٦) الذاريات : ٢٩

يعنى أن امرأة إبراهيم صاحت بقولها : يا ويلتى أألِد وأنا عجوز؟ فاستغربت من ولادة العجوز ؛ ولذلك[1] : « صَكَّتْ وجْهَها » ؛ أى غطَّتْه حياءً من المبشرين لها ، أو تعجُّبا من وِلادتها .

(صَلْصال[2]) : قد قدمنا أنه الطين اليابس الذى يُصَلْصِلُ ؛ أى يصوِّتُ ، وهو غير مطبوخ ؛ فإذا طبخ فهو فخار . ويقال الصلصال المُنْتِن ، مأخوذ من صلَّ اللحم وأصلّ : إذا أنتن ، فكأنه أراد صلّالا ، فقلبت أحد اللامين ؛ وفيه إشارة إلى ما كان فى تربة آدم من الطين الحر ؛ وذلك أنّ الله خلقه من طيِّب ، وخبيث ، ومختلف اللون ، مرة ذكر فى خلقه هذا ومرة هذا .

(صَغَتْ قلوبُكما[3]) ؛ أى مالت عن الصواب . وقرأ ابن مسعود بالزاى . والمعنى : إن تتُوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يُوجب التوبة ؛ وهذا الخطاب لعائشة وحفصة مما جرى من تسبُّبهما فى تحريم رسولِ الله الجارية أو العسل الذى تقدم ذكرها .

(صَرِيم[4]) : ليل ؛ يعنى أنهم حلفوا أنْ يقطعوا غلّةَ جَنَّتِهم عند الصباح ، فأصبحت كالليل ، لأنها اسودَّتْ لِمَا أصابها . وقيل : أصبحت كالنهار ، لأنها ابيضَّت كالحصيد . ويقال صريم لليل والنهار . وقيل الصريم : الرماد الأسود ، بلغة بعض العرب . وقيل : أصبحت مصرومة ، أى مقطوعة .

(صارِمين[5]) ؛ أى حاصدين لثمرها .

(صَعَدا[6]) : شاقا ، يقال تصعَّدنى الأمر : أى شقّ علىّ ، ومنه قول عمر رضى الله عنه : ما تصعَّدنى شىء ما تصعَّدتنى خطبة النكاح . ومنه :

---

(١) الذاريات : ٢٩ (٢) الحجر : ٢٦ (٣) التحريم : ٤

(٤) القلم : ٢٠ (٥) القلم : ٢٢ (٦) الجن : ١٧

«سأُرْهِقه صَعُودا» ؛ أى عقبةً شاقّة ، يعنى أن الوليد بن المغيرة يكلّف أن يصعد جبلا فى النار من صَخْرة ملساء ، فإذا صعد أعلاها لم يترك أن يتنفّس وجُذِب إلى أسفلها ، ثم يكلف مثل ذلك .

(صَوَابا[1]) : إصابة المراد . ويقال فى المثل[2] : أصاب الصواب . ومنه : رُخاءً حيث أصاب . وقد يعبّر بالصواب عن الحق ، فيقال : هذا صواب ؛ أى حق ؛ فكلُّ مصيب مُحِقّ وبالعكس .

(صاخّة[3]) : من أسماء القيامة ، وهى مشتقّة من قولك : صخّ الأذان إذا أصمّها بشدة إصْخاخها ، فكأنه إشارة إلى النفخ فى الصور ، أو إلى شدة حتى يَصِخّ مَنْ يسمعه لصعوبته . وقيل : هى من قولك أصاخ الحديث إذا استمعه. والأول هو الموافق للاشتقاق .

(صَدَقة[4]) : تنطلق على الزكاة الواجبة ، وعلى التطوّع : «[5]إن المُصّدِّقين والمُصّدِّقات» ـ التشديد ؛ أى المتصدقين والمتصدقات . وأما قوله تعالى[6] : «إنكَ لمن المُصَدِّقين» ـ بالتخفيف ـ فهو من التصديق .

(صدّ[7]) : له معنيان : بالتعدى بمعنى منع غيره من شىء ، ومصدره صدًّا ، ومضارعه بالضم . وغيره بمعنى أعرض ، ومصدره صدودا .

(صار) : له معنيان : من الانتقال ، ومنه[8]: «تَصِير الأمور» ، والمصير. وبمعنى ضَمّ ، ومضارعه يصور ، ومنه[9] «فصُرْهنّ إليك» .

(صمَد) : هو الذى يُلْجأ إليه فى الحوائج ، ليس فوقه أحد . وقيل :

---

(١) النبأ : ٣٨ (٢) جمهرة الأمثال : ١ـ١٩٧، ٤٩١ ، وتكملته : فأخطأ الجواب .
(٣) عبس : ٣٣ (٤) البقرة : ١٩٦ (٥) الحديد : ١٨
(٦) الصافات : ٥٢ (٧) النساء : ٥٥ (٨) الشورى : ٥٣
(٩) البقرة : ٢٦٠

إنه الذى لا يأكل ولا يشرب لقوله : وهو يُطْعِمُ ولا يُطعَم [٢٠٤ ب] .
وقيل : إنه الذى لا جَوْفَ له . والأول هو المراد . ورجّحه ابن عطية ؛ فإن الله هو مُوجِد الموجودات وبه قوامُها ، فهى مفتقرة إليه ؛ إذ لا تقومُ بأنفسها وحيثما ورد فى القرآن فنفى الولد عنه ؛ كقوله فى مريم[1] : « قالوا اتّخذ الرحمن ولدا » ، ثم أعقبه بقوله[2] : « إنْ كلُّ مَنْ فى السموات والأرض إلّا آتِى الرحمنَ عَبْدا » . وقوله[3] : « بَدِيعُ السموات والأرض أنّى يكون له ولد » . وقوله[4] : « قالوا اتّخذ اللهُ ولدا سبحانه بَلْ لهُ ما فِى السموات والأرض » ، وكذلك فى الإخلاص ذكره مع قوله[5] : « لم يَلِد » ؛ ليكون برهانا على نَفْىِ الولد .

(صُرْهُنَّ[6]) : بالنبطية فشققهن . وأخرج ابن المنذر عن وهب بن وهب قال : ما فى اللغة شىء إلا منها فى القرآن شىء ، قال : وما فيه من الرومية ؟ قال : فصِرهُنّ ، يعنى قطعهنّ بكسر الصاد[7] . والضمير راجع إلى الطيور الذى أمر الخليل بذبحها وتقطيع أجزائها ، وهى الديك والطاوس والحمام والغراب ، لما سأل الله رؤية إحياء الموتى .

فإن قلت : كيف يشكُّ الخليلُ فى إحياء الموتى ، فيطلب رؤيته ؟

فالجواب أنه لم يشكّ ؛ وإنما طلب معاينة الكيفية لمّا رأى دابّة قد أكلتها السباع والحيتان ، فسأل عن الكيفية ، وصورة الإحياء ؛ لا عن وقوعه ؛ وذلك لا يقدح فى رسالته ، وهو معصوم .

واشتكى بعضُ الفقراء لشيخه تهمّمه فى الرزق ، فقال له : خُذْ كفًّا من تراب ومُرْه يرجع ذهبا ؛ فقال : ومَنْ إمامى فى هذا ؟ قال : الخليل حين قال : رَبِّ

---

(١) مريم : ٨٨ (٢) مريم : ٩٣ (٣) الأنعام : ١٠١
(٤) البقرة : ١١٦ (٥) الإخلاص : ٣ (٦) البقرة : ٢٦٠
(٧) والمحتسب : ١ ـ ١٣٦

أرني كيف تحيي الموتى . قال : أو لم تؤمن ؟ فالذى يقدر على رجوع التراب ذهبا فى يديك يقدر على رزقك حيثما كنت .

والحكمةُ فى هذا أن النفس لا تطمئن إلا بالمعاينة ، وليس الخبر كالعيان .

(صُوَاعَ المَلِكِ[1]) ؛ أى مكياله ، وهو السقاية ؛ وكان يشرب بها يوسف، ويُكال بها الطعام ، وكان من فضة . وقيل من ذهب . وقصد بجعله فى رَحْلِ أخيه الاحتيالَ فى أخْذه ؛ إذ كان شَرْع يعقوب أنّ مَنْ سرق استعبده المسروق منه . والسرّ فيه أن بنيامين لما تعرّف إليه يوسف ؛ وتحقّق عنده بالمعرفة ، لم يتنكر بأن نُودى عليه بالسرقة . ولما رضى فى معرفته بالبلاء كان ثمرته أن آواه إلى نفسه ؛ كأنّ مولاك يقول لك : لا تبال يا مؤمن ببلائى ؛ فإن الجنة مثْواك .

وورد فى الحديث : إن الله يطهّر المؤمن فى الدنيا بأنواع البلاء ، فإنْ بقيتْ عليه بقيةٌ طهّره بشدة الموت ، حتى يَلْقَى الله وليس عليه ذنب .

وقرأ يحيي بن يعمر : صواغ الملك — بغين معجمة : يذهب إلى أنه كان مصوغا ، فسماه بالمصدر .

(صَخْرة[2]) : قيل أراد لقمان الصخرة التى عليها الأرض . وهذا ضعيف ؛ وإنما معنى الكلام أن مِثْقَالَ حَرْدَلة من الأعمال أو من الأشياء لو كانت فى أخفى موضع كجوف صخرة ، فإن الله يأتى بها يوم القيامة . وكذلك لو كانت فى السموات أو فى الأرض .

وأما قول موسى[3] : « أرأيتَ إذا أَوَيْنَا إلى الصَّخْرة » ـ فإن المراد بها التى نام عندها . ومعنى أرأيت ؛ أى أخبرنى .

---

(١) يوسف : ٧٢ (٢) لقمان : ١٦ (٣) الكهف : ٦٣

فإن قلت : ما وجه التئام هذا الكلام ، وإن كلّ واحد من أرأيت ، وإذ أوينا ، فإني نسيتُ الحوت - لا متعلّق له .

والجواب أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه ، وما اعتراه من نسيانه ، فدهش فطفق يسألُ موسى عن سبب ذلك ، فكأنه قال : أرأيت ماذَهاَ نى إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت ، فحذف بعض الكلام .

(صَدَفَيْن [1]) ، بضم الصاد وفتحها ؛ بمعنى الجبلين .

(صُنْعَ [2] الله): مصدر العاملُ فيه محذوف. وقيل هو منصوب على الإغراء ؛ أي انظروا صُنْعَ الله ، وهو فعلُه في مرور الجبال وهي جامدة .

(صُحُفاً مطهَّرة [3]) ، يعني القرآن في صحفه . وأما قوله تعالى [4]: « صحفا مُنَشَّرة » — فقد قدمنا أنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطى كلّ واحد منهم صحيفة يأمره فيها بالإيمان . وقوله تعالى [5] : « إن هـذا لفي الصُّحف الأولى » — فالمراد به أن هذا الكتاب ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين ، كما ثبت في هذا الكتاب .

قلت [6] : من أمثلة ما نزل على بعض الأنبياء سورة الأعلى ؛ قال صلى الله عليه وسلم : كلُّها في صحف موسى وإبراهيم . ولما نزلت : والنجم إذا هوى [٢٠٥ ا] فبلغ [7] : وإبراهيم الذي وفّى - قال : وَفّى ألا تَزِر وازِرةٌ وِزْرَ أخرى إلى قوله : هذا نذير من النُّذر الأولى .

وأخرج الحاكم من طريق ابن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : أنزل الله

---

(١) الكهف : ٩٦ (٢) النمل : ٨٨ (٣) البينة : ٢
(٤) المدثر : ٥٢ (٥) الأعلى : ١٨ (٦) الإتقان : ١ - ١١٣
(٧) النجم : ٣٧ - ٥٦

على إبراهيمَ مما أنزل على محمد : «[1] التائبُون العابِدون ...» إلى قوله : «وبَشِّر المؤمنين» . و«[2] قد أفلح المؤمنـــون...» إلى قوله : «هم فيها خالدون» . و «[3] إن المسلمين والمسلمات . . .» الآية . والتى فى المعارج[4] : « والذين هم على صلاتهم دائمون ...» إلى قوله[5] : «قائمون» ، فلم يَفِ بهذه السهام إلا إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وأخرج البخارى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم موصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : يأيها النبيُّ إنّا أرسلناكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونَذيراً وحِرزاً للأميين ـ الحديث .

وأخرج ابن الضُّرَيس وغيره عن كعب قال : فتحت التوراةُ بالحمد لله الذى خلق السموات والأرض . . . وختمت بـ الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ، إلى قوله : وكَبِّرْهُ تكبيرا .

وأخرج عنه من وَجْهٍ آخر ، قال : أول ما نزل فى التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : «[6] قل تعالوا أتلُ ما حَرّم ربكم عليكم ...» الخ . قال بعضهم : هذه الآيات العشر التى كتبها اللهُ لموسى فى التوراة أول ما كتب ، وهى توحيدُ الله ، والنهى عن الشرك ، واليمين الكاذبة ، والقتل ، والعقوق ، والزنى ، والسرقة ، والزور ، ومدّ العين إلى ما فى يَدِ الغير ، والأمر بتعظيم السَّبْت .

وأخرج الحاكم عن أبى مَيْسرة أنّ هذه الآية مكتوبة فى التوراة بسبعمائة آية : أول سورة الجمعة : يُسبِّح لله ما فى السموات وما فى الأرض .

وأخرج ابنُ أبى حاتم عن محمد بن كعب القُرظى ، قال : البرهان الذى أُرى

---

(١) التوبة : ١١٢ (٢) المؤمنون : ١ (٣) الأحزاب : ٣٥
(٤) المعارج : ٢٣ (٥) المعارج : ٣٣ (٦) الأنعام : ١٥١

يوسف ثلاثُ آياتٍ من كتاب الله[1] : « وإنَّ عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون » . وقوله تعالى[2] : « وما تكونُ في شأنٍ وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عملٍ إلا كُنّا عليكم شهوداً » . وقوله تعالى[3] : « أفمَنْ هُوَ قائم على كلِّ نفسٍ بما كسبت » . زاد غيره آية أخرى : « ولا تقربوا الزنى » .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ، في قوله[4] : « لولا أنْ رأى برْهَانَ ربه » ـ قال : رأى آيةً من كتاب الله نهتْه ، مُثّلت له في جدار الحائط ، فهذا ما وقفتُ عليه مما أنزل على غير نبينا صلى الله عليه وسلم .

واختلف في بسم الله الرحمن الرحيم . والصحيح أنَّ سليمان تلفّظ بها ؛ لحديث الدارقُطْني من حديث بُرَيْدَة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لأُعَلّمنّك آيةً لم تنزل على نبيء بعد سليمان غيري : بسم الله الرحمن الرحيم .

ومن أمثلة ما خص به الفاتحة ، وآية الكرسي ، وخاتمة البقرة .

وروى مسلم عن ابن عباس : أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ملك ، فقال : أبشر بنورين ، قد أوتيتهما لم يؤْتهما نبيء قبلك : فاتحة الكتاب . وخواتيم سورة البقرة .

وأخرج أبو عبيدة في فضائله ، عن كعب ، قال : إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم أعطى أربع آيات لم يُعطهن موسى ، وإن موسى أعطى آيةً لم يعطهن محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي : اللهم لا تولج الشيطان في قلوبنا ، وخلّصنا منه من أجل أنَّ لك الملكوت والأيد والسلطان والملك والحرم[5] والأرض والسماء ، الدهر الداهر ، أبدا

---

(١) الانفطار : ١٠ ـ ١٢ (٢) يونس : ٦١ (٣) الرعد : ٣٣

(٤) يوسف : ٢٤ (٥) في الإتقان : والحمد .

أبدا ، آمين آمين . وأما الأربع التى لم يعطهن موسى فهى : خواتيم البقرة . لله ما فى السموات وما فى الأرض ، وآية الكرسى .

(صِرَاط[1]) : هو فى اللغة الطريق ، ثم استُعمل فى القرآن ، بمعنى الطريقة الدينية ، وأصله السين ثم ينقلب صادا لحرف الإطباق بعدها . وفيه ثلاث لغات: بالصاد ، والسين ، وبين الصاد والزاى . وحيثما ورد فى القرآن فمعناه الطريق الموصّل إلى الصراط الحسّى المنصوب على مَتْنِ جهنم ، ليَمُرَّ المؤمنون عليه ، أرقّ من الشعر ، وأحدّ من السّيف ، وفى حافتيه كلاليب معلّقة مأمورة بأخْذِ من أُمرت بأخذه ، فمخدوش ناج ، ومكردس فى نار جهنم ؛ ويمرون عليه بحسب اتّباعهم لهذا الصراط المعنوى ؛ فأولهُم كالبرق ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وكأشد الرجال حتى يجىء الرجل ولا يستطيع السير إلا زَحْفاً . وقد صح أنّ له عقبات سبع لا يجاوزها إلا مَنْ قطع عَقَبات الدنيا . وأنكره أكثَرُ المعتزلة ، لعدم إمكان العبور عليه . ويسهّله الله على المؤمن [٢٠٥ ب] كأنه واد واسع .

(صِبْغَةَ الله[2]) : يعنى دين الله ، وهو استعارةٌ من صبغ الثوب وغيره ؛ ونَصْبُه على الإغراء ، أو على المصدر من المعانى المتقدمة ، أو بدل من ملّة إبراهيم .

(صِرّ[3]) : بَرْدٌ شــــديد ، أصاب حَرْثَ الذين ظلموا أنفسهم ، وهم الكفار ، فلم ينتفعوا به ، وكذلك لا ينتفعون فى الآخرة بأعمالهم .

(صدّيقة[4]) : بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق ، ووصفُ مريم بهذه الصفة دون النبوءة يدفع قول مَنْ قال إنها نبيئة .

---

(١) الفاتحة : ٧ (٢) البقرة : ١٣٨ (٣) آل عمران : ١١٧
(٤) المائدة : ٧٥

(صِنْوَانٌ وغَيْرُ صِنْوانٍ[1]) : هي النخلات الكثيرة ، ويكون أصلها واحدا . وغير الصِّنْوَان المتفرق ، وواحِدُ الصِّنْوان صِنْو .

(صِبْغٍ[2]) : الصبغ والصباغ ما يُصْبَغُ به ، أى يغمس فيه الخبز ويؤْكَل به .

(صِهْراً[3]) : النسب والصهر يعمّان كلّ قُربى ؛ فالنسب أن يجتمع إنسان مع آخر فى أبٍ وأُم قرُب ذلك أو بَعُد . والصهر : هو الاختلاطُ بالتناكح .

وقيل : أراد بالنسب الذكور ؛ أى ذوى نسب ينتسب إليهم ؛ وأراد بالصهر الإناث ؛ أى ذوات الصهر يصاهر بهن ؛ فهو كقوله[4] : « فجعل منه الزَّوْجَين الذَّكَر والأنثى » .

---

(١) الرعد : ٤ (٢) المؤمنون : ٢٠ (٣) الفرقان : ٥٤

(٤) القيامة : ٣٩

حرف الضاد المعجمة

(ضرب) : له أربعة معان : من الضرب باليد وشبهه . ومن ضرب الأمثال. ومن السفر . ومنه[1] : « ضربتم فى الأرض » . ومن الإلزام ؛ ومنه[2] : « ضُرِبت عليهم الذِّلَّةُ » ؛ أى ألزموها . «[3] وضَرَبْنا على آذانهم » ؛ ألقينا عليهم النوم . و «[4] أفَنَضْرِبُ عنكم الذِّكْرَ » ؛ أى نمسك عنكم التذكير .

(ضرّ) ؛ بفتح الضاد وضمها بمعنى ، وكذلك الضّيْر – بالياء ؛ ومنه[5] : لا يَضُرّكم كَيْدهم » . والضراء : ما يصيبه من المرض وسوء الحال .

(ضَيْق[6]) ، وضَيِّق مثل ميت وميت ، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدر . وفى قوله تعالى[6] : « ولا تكُ فى ضيق مما يَمْكُرون » — تسْلية له صلى الله عليه وسلم ؛ أى لا يضيق صدرُك عكرهم ؛ وهو منسوخ بآية السيف .

فإن قلت : أىُّ فرق بين هذه الآية فى حذف النون منها ، وبين إثباتها فى آية النمل[7] ؟

والجواب : إنما حذفها فى النمل موافقة لما قبلها ، وهو قوله : ولم يك من المشركين . وأيضا فقد قدمنا أنه سلّى بها قتل عمّه حمزة ، فبالغ فى الحذف ؛ ليكون ذلك مبالغة فى التسلّى . وجاء فى النمل على القياس ، ولأن الحزن هناك دون الحزن هنا .

---

(١) المائدة : ١٠٦ (٢) البقرة : ٦١ (٣) الكهف : ١١

(٤) الزخرف : ٥ (٥) آل عمران : ١٢٠ (٦) النحل : ١٢٧

(٧) فى النمل (٧٠) : ولا تحزن عليهم ولا تكن . وفى النحل : ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق .

وهذه الكلمة كثر ورودها فى القرآن ، فحذف النون منها تخفيفاً من غير قياس ؛ بل تشبيها بحروف العلة ، وأتى ذلك فى بضعة عشر موضعا : سبعة[1] منها « يك » بالياء ، وموضعان « نكُ » بالنون ، وموضع آخر أكُ بالهمزة . والله أعلم .

(ضَنْكا[2]) ؛ أى ضيقة . والمعنى أن الله تعالى ضيّق عليه المعيشة ؛ وهكذا حال مَنْ أنعم الله بوجوده مِنْ سبع ورَزَقَه من سبع ، فكفر بأنعمِ الله ، وأعرض عنها ، وصرف همّتَه لغير ربّه أن يضيق عليه فى الدنيا ، ويُحشر أعمى فى العقبى ، قال[3] : « كذلكَ أتتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وكذلكَ اليومَ تُنْسى » .

فإن قلت : أما خلقتنا مِنْ سبع ، فقد فهمناها من الآية الكريمة ، وأما رزقنا من سبع فلم نفهم معناها .

والجواب أنّ الله خلقنا فى سبعة أحوال من سبعة أشياء ، وأرواحنا من سبعة أشياء ، وخاق لنا سبعة أركان ظاهرة ، وسبعة أركان باطنة ، ثم رزقنا من سبعة أشياء ، ثم وعدنا بسبع مقامات .

أما الأحوال السبعة فقال تعالى[4] : « ولقد خَلَقْنا الإنسانَ مِن سُلالةٍ من طين... » . وأما الأرواح فمن النار ، والنور ، والريح ، والطيب ، والعلم ، والأنس ، والبقاء ، ثم جمعه فى قلبك فحينئذ تتحركُ فى بطن أمك ؛ فحرارةُ الروح من النار ، وضياؤه من النور ، وطهارته من الطيب ، ونفسه من الريح ، وذهنه من العلم ، وألفته من الأنس ، وحياته من البقاء .

ثم رزقك من دَمِ الحيض إلى حال الخروج ، ثم اللبن إلى الفطام ، ثم بعد ذلك خمسة أشياء : الماء من السماء ، والنبات من الأرض ، واللبن من الثدى ، والثمار من الشجر ، واللحم من الأنعام .

---

(١) هى ثمانية (٢) طه : ١٢٤ (٣) طه : ١٢٦ (٤) المؤمنون : ١٢

ثم خلقك من سبعة أشياء : من العظم ، والعصَب ، والعروق ، واللحم ، والجلد ، والظفر ، والشعر .

وأعطاك سبعة أركان باطنة : القلب ، والكبد ، والطحال ، والمرارة ، والرئة ، والدماغ ، والمخ .

وأعطاك سبعة أركان ظاهرة : اليدين ، والرجلين ، والعينين ، والأذن ، والأنف ، واللسان ، والفرج .

ثم رزقك من سبعة أشياء ، فقال تعالى[1] : « إنا صَبَبْنَا الماءَ صبًّا... » . فهذا معنى الحديث : خُلقتم من سبع ، ورزقتم من سبع .

ثم وعدك بسبع مقامات : الموت ، والقبر ، والبعث ، والميزان ، والمحاسبة ، والصراط ، والدّارَيْن ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

فمن عرف هذا كيف يلتفت لسواه سبحانه ، أو يطلبُ غيره ؟ هذا فى المعيشة الضيقة فى الدنيا والآخرة ، هلا تشبَّه بالملائكة الكرام فى السبع سموات : منهم مَنْ عبد الله على الحياء والملازمة ، ومنهم على الخوف والخشية ، ومنهم على حُسْن الظن ، ومنهم على الخدمة والحرمة ، ومنهم على المودّة والمحبة ، ومنهم على الشوق والصفاء ، ومنهم على القرب والمؤانسة . ونحن لا مِنْ هؤلاء ولا مِنْ هؤلاء ؛ بل من الذين قال الله فيهم[2] : « إنْ هُمْ إلّا كالأنعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ » .

ورحم الله القائل : خلقك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ، ليعلمك جلالةَ قَدْرِك بين مخلوقاته ، وأنك جوهرة تنطوى عليك أصدافُ مكنوناته .

وجميع العالم مبنى على سبعة أشياء : ضياء ، ونور ، وظلام ، ولطافة ، وكثافة ،

---

(١) عبس : ٢٥ (٢) الفرقان : ٤٤

ودقة ، ورقة ؛ فجعل الضوء نصيب الشمس ، والنور نصيب القمر ؛ قال تعالى[١] : « هو الذي جعل الشمسَ ضياء والقمر نورا » . وجعل الضوءَ نصيب وجهك . والنور نصيب بصرك ، والظلام نصيب الشياطين ، وجعله لشرك . واللطافة نصيب الطيور ، وهو نصيب قلبك . والكثافة نصيب الجبال ، وهو نصيب عَظْمك . والدقة نصيب الماء ، وهو نصيب ريقك . والرقة نصيب الهواء ، وهو نصيبُ رُوحك . ثم جعل فى قلبك الضوءَ مثل المعرفة ، والنور مثل اليقين ، والظلام مثل السيئة ، واللطافة مثل الرجاء ، والكثافة مثل الخوف ، والرقة مثل المحبة ، والدقة مثل الشوق ؛ فمن أراد أن تكون عيشته هنيئة ، وحياته طيبة فليُشْعِلْ فى قلبه نور المعرفة بزَنْد الجهد ، وحجر التضرع ، وحراقة إطفاء الشهوة ، وكبريت الانتباه ، ومسرجة الصدق ، وفتيلة الشكر ، ودُهن التوكل ؛ حتى توقد نور المعرفة فى قلبه ؛ كالذى يريد أن يُوقد ناراً يحتاج إلى سبعة أشياء : زند ، وحجر ، وحراقة ، وكبريت ، ومسرجة ، وفتيلة ، ودهن ؛ ثم يعلق السراج بثلاث سلاسل فى ثلاث عُرا ؛ وحينئذ يعلق فى سقف البيت .

وهكذا صاحبُ سراج المعرفة لا بد له من سلسلة الخوف معلّقة بعُرْوَة العدل ، وسلسلة من الرجاء فى عُروة الفضل ، وسلسلة من المحبة فى عروة الكرامة ، وحينئذ يعضد بالعرش ، ولا تقدر رياح الأعضاء السبعة ومعاصيهن أن تُطْفِىء هذا السراج ؛ فهؤلاء المجوس أوقدوا ناراً ليعبدوها فلم يقدر أحدٌ على إطفائها ؛ فكيف يقدر أحد على إطفاء نور المحبة . والله تعالى يقول[٢] : « يريدون أنْ يُطفِئُوا نورَ اللهِ بأفواههم ويأبَى اللهُ إلّا أنْ يُتِمَّ نوره ولو كَرِهَ الكافرون » .

(ضَلَلْنَا فى الأرض[٣]) ؛ أى صِرْنا ترابا ؛ وهذا استبعادٌ من الكفار

---

(١) يونس : ٥ (٢) التوبة : ٣٢ (٣) السجدة : ١٠

للبعث . وقرىء صَلَلْنا ، أي أنتنا وتغيَّرْنا ، من قولهم : صَلّ اللحم وصن وأصن : تغيّر .

(ضَرِيع[1]) : فيه أربعة أقوال :

أحدها ـ أنه شوك ، يقال له الشِّبْرِق ؛ وهو سم قاتل . وهذا أرجح الأقوال ؛ لأن أرباب اللغة ذكروه ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضريع : شوك في النار .

الثاني ـ أنه الزَّقُّوم ؛ لقوله[2] : « إن شَجَرة الزقوم . طَعَامُ الأثيم » .

الثالث ـ أنه نباتٌ أخضر مُنْتِن ينبت في البحر . وهذا ضعيف .

الرابع ـ أنه وادٍ في جهنم . وهذا أضعف ؛ لأن ما يجرى في الوادى ليس بطعام ، إنما هو شراب ؛ ولله دَرُّ مَنْ قال : الضريع طعام أهل النار ؛ فإنه عَمّ وسَلِم من عهدة التعيين . واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى [٢٠٦ ب] المشابهة ؛ لأنه يشبه الطعام الطيب ، وليس هو به . وقيل : هو بمعنى مُضْرِع البدن أي مضعف .

وقيل : العرب لا تعرف هذا اللفظ .

(ضُحى[3]) : أول النهار . والفعل منه أضحى . وأما ضَحِيَ ، بكسر الحاء ، يَضْحَى في المضارع ، فمعناه برز للشمس وأصابه حرّها . ومنه[4] : « لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى » .

(ضِعْف ، وضُعْف[5]) : لغتان . وضاعف الشيء كثّره ؛ وجرى فيه التشديد . وضِعف الشيء ، بكسر الضاد : مثلاه . وقيل مثله . والضعف أيضاً العذاب .

(ضلّ[6]) ، بضاد ، من الضلال . ومنه[7] : « وأضَلّهم السّامِرِيّ » .

---

(١) الغاشية : ٦ (٢) الدخان : ٤٣ ، ٤٤ (٣) الأعراف : ٩٨ ، طه : ٥٩

(٤) طه : ١١٩ (٥) الأعراف : ٣٨ ، وفي القاموس : الضعف ـ بفتح الضاد ، ويضم ويحرك : ضد القوة . (٦) البقرة : ١٠٨ (٧) طه : ٨٥

وبالظاء المشالة ، من الإقامة . وأصله ظللت فحذفت إحدى اللامين . ومنه[1] : « ظلْتَ عليه عاكفا » ـ وأصله أقام بالنهار ، ثم استعمل فى الدءوب على الشىء ليلا ونهارا.

(ضِغْثاً[2]) : ملء كفّ من الحشيش والشجر . قال الضحاك : كالشجر الرطب . قال ابن عباس : قبض أيوب قبضةً من سنبل ، فوسِعَتْ كفُّه مائةَ سنبلة ؛ وذلك أنه حلف ليضربنّ امرأتَه مائة جلدة لما باعت ذُؤابتها ، فأمره الله بأخذ حُزمة مما قام على ساق ؛ لأن لها حق الخدمة .

وأنتَ يا محمدىّ إذا خدمْتَه وقُمْتَ بحقه ، ولن تقدر على ذلك ، لا يجمع عليك عقوبتين ، فورد النار ؛ لإبرار قسمه فى قوله تعالى[3] : « وإنْ منْكُمْ إلا وَارِدُها » . وينجّيك منها لحرمة إيمانك ؛ قال تعالى[4] : « ثم نُنَجِّى الذين اتَّقَوْا » . «[5] وسيُجَنَّبُها الأتقى » .

(ضِدّاً[6]) : يكون للواحد والجمع ، ومعناه أن الكفّار يكفرون بعبادة المعبودين ، ويكون لهم خلاف ما أمَّلُوه منهم فيصير العزّ الذى أمّلوه ذلّة . وقيل معناه العون .

(ضِيزَى[7]) : أصلها فُعلى بضم الفاء ، ولكنها كسرت للياء التى بعدها . يقال ضازَه حقه إذا نقصه .

---

(١) طه : ٩٧ (٢) ص : ٤٤ (٣) مريم : ٧١
(٤) مريم : ٧٢ (٥) الليل : ١٧ (٦) مريم : ٨٢
(٧) النجم : ٢٢

حرف العين المهملة

(عاذ) : بالله يعوذ ؛ أي استجار بالله ولجأ إليه ؛ ليدفع عنه ما يخاف . ويقال : استعاذ يستعيذ . ومنه[1] : « معاذ الله » .

(عالَمين) : جمع عالم ، وهو عند المتكلمين كلُّ موجود سوى الله تعالى . وقيل العالمين الإنس والجن والملائكة لجمعه جَمْعَ العقلاء . وقيل الإنسان خاصة ؛ لقوله تعالى[2] : « أتأتون الذُّكْرانَ من العالَمين » . والأول هو الصحيح ؛ لقوله تعالى[3] : « وما أرْسَلْناكَ إلا رحمةً للعالمين » ؛ لأنَّ رحمته صلى الله عليه وسلم عمَّت جميع الموجودات . وقد قال لجبريل يوماً : ما نالك من رحمتي ؟ قال له : لولا وجودك لم أذكر بقوله[4] : « ذي قُوَّةٍ عنـــد ذي العَرْش مَكِين ... » الآية .

(عَمِه) : تحيَّر . ومنه[5] : «ويمدهم في طُغيانهم يعْمَهُون» ؛ أي يتحيرون في ضلالهم .

(عاكفين) : مقيمين للعبادة ملازمين حيث وقع ، ومنه قوله[6] : «وطَهِّرَا بيتي للطائفين والعاكفين » .

فإن قلت : قد ورد في آية الحج[7] مكان العاكفين القائمين ، فهل هما بمعنى واحد ؟

---

(١) يوسف : ٢٣ (٢) الشعراء : ١٦٥ (٣) الأنبياء : ١٠٧
(٤) التكوير : ٢٠ (٥) البقرة : ١٥ (٦) البقرة : ١٢٥
(٧) الحج : ٢٦

والجواب المراد بالقائمين ذو والإقامة والملازمة على صفة مخصوصة، وإذا أريد بالقائمين هذا فهو والعكوف مما يصح أن يعبّر بأحدها عن الآخر ، مع أن لفظ العكوف أخص بالمقصود ؛ فيكون خصوص آية الحج بقوله : والقائمين ، لتقدم ذكر العكوف فى قوله قبل الآية[1] : « سواء العاكِف فيه والبادِ » ؛ فلما تقدم ذكرُ العكوف متصلا بالآية وقع الاكتفاءُ بذلك ، وعُدل عن التكرار الذى من شأن العرب العدولُ عنه إلا حيث يُراد تعظيم أو تهويل ، نحو قوله : الحاقّة ما الحاقّة ؛ وشبه ذلك . ولما لم يقع ذكر العكوف قبل آية البقرة ولا بعدها وهو مُرادٌ لكونه أخص بالمقصود لم يكن بُدٌّ من الإفصاح ، وكان قد قيل فى آية الحج : والقائمين ، وأغنى ذكرهم متقدما عن الإتيان به حالا منبّهة ، وأغنى قوله فى البقرة : والعاكفين عن قوله : والقائمين ؛ لأن العكوف الملازمة ؛ وهو المراد بالقيام ؛ فورد كلٌّ على ما يجب ويناسب . ويُراد بالركوع السجود ـ المصلون . ومن قال : إن المراد بقوله : والقائمون المصلّون فوَجْهه أنّ ذِكر العكوف قد حصل فيما تقدم ، فاكتفى به ، ولم يكن وقع قبل آية البقرة ولا بعدها ، فلم يكن بُدٌّ من ذكره . وعبّر عن المصلين بالركّع السجود . وتحصّل أنه [٢٠٧ ا] المقصود بالآيتين ، ووردتا على ما يلائم . والله أعلم .

(عدل) : مِثْل ، كقوله[2] : «أو عَدْل ذلك صِياما» . وفدية ، كقوله[3] : « ولا يُؤخذ منها عَدْل » . وكذا قوله[4] : « وإن تعـــدل كلّ عَدْل لا يُؤْخَذ منها » . والعدل من أسماء الله تعالى ؛ لأن أفعاله كلها عدل ؛ فقيل العدل هو الحق ؛ فكل عدل حق ، وما ليس بعدل فليس بحق .

فإن قلت : ما وَجْه تقديم العدلِ فى آيةٍ وتأخيره فى أخرى ؟

---

(١) الحج : ٢٥ (٢) المائدة : ٩٥ (٣) البقرة : ٤٨
(٤) الأنعام : ٧٠

والجواب أن فى تقديم الشفاعة قطعاً لطمَعِ مَنْ زَعم أن آباءهم تشفع لهم ، وأنّ الأصنام شفعاؤهم عند الله . وأخَّرها فى الأخرى ؛ لأن التقدير فى الآيتين لا يُقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة ؛ لأن النفع بعد القبول . وقدَّمَ العدل فى الأخرى ليكون لفظ القبول مقدما فيها .

(عفونا[1]) : له ثلاثة معان : الصفح عن الذنب ، والإسقاط من غير كلفة ؛ ومنه[2] : « ماذا يُنْفِقُون قل العَفْو » .

وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل ؛ مشاكلة للسؤال ، على أن يكون : ماذا ينفقون مركبا مفعولا بينفقون . وقرأ أبو عمرو بالرفع بالابتداء مشاكلة للسؤال على أن يكون ما مبتدأ وذا خبره[3] .

(عفا[4]) : له أربعة معان : عفا عن الذنب ؛ أى صفح عنه . وعفا أسقط حقَّه ؛ ومنه[5] : « إلا أن يَعْفُون أو يَعفو الذى بيده عُقْدة النكاح » . وعفا القوم : كثروا ؛ ومنه[6] : « حتى عَفَوا » . وعفا المنزل درس .

(عنَتَ[7]) : زنى . ومنه[7] : « لمَنْ خَشِى العنَتَ منكم » . وأما قوله تعالى[8] : « لأعْنَتكم » ــ فمعناه لضيَّق عليكم بالمنع من مخالطتهم . ابن عباس لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى .

(عَوَان[9]) : متوسطة بين ما ذكر ، ولذلك قال «ذلك» ، مع أن الإشارة إلى شيئين .

---

(١) البقرة : ٥٢ (٢) البقرة : ٢١٩ (٣) لم يذكر المعنى الثالث للعفو وارجع إلى اللسان ــ عفا ، والمادة التالية (٤) المائدة : ٩٥ (٥) البقرة : ٢٣٧ (٦) الأعراف : ٩٥ (٧) النساء : ٢٥ (٨) البقرة : ٢٢٠ (٩) البقرة : ٦٨

(عَهِدْنا إلى إبراهيم[1]) : العهد له معان : بمعنى اليقين[2] : « وأَوْفُوا بِعَهْدِ الله » ؛ ألا ترى قوله[2] : « ولا تَنْقُضُوا الأَيْمان بعد توكيدها » . ويقال عليّ عهدُ الله ، أى اليمين بالله . وبمعنى الأمان ؛ قال تعالى[3] : « فأَتِمُّوا إليهم عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهم » . وبمعنى الوحى[4] : « إنّ اللهَ عَهِدَ إلينا » . وبمعنى الوعد[5] : « قل أَتَّخَذْتم عند الله عَهْدا » . وبمعنى الميثاق[6] : « لا ينالُ عَهْدِى الظالمين » ، أى ما وعدناكَ به لا ينال الظالمين من ذرِّيتك . والوعد من الله ميثاق. وبمعنى المحافظة ؛ ومنه الحديث : حُسن العَهْد من الإيمان . وبمعنى الزمان ؛ يقال : كان ذلك على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى عهد إبراهيم وموسى وعيسى. وبمعنى الوصية كهذه الآية ؛ وكقوله[7] : « ولقد عَهِدْنا إلى آدم من قَبْل » ؛ أى وصّيناه ألا يأكل من الشجرة ، فنَسِيَ العهد الذى عهدناه ، وأكل منها ؛ فآدمُ دخل الجنّة بعهده ، وخرج.

وأنت يا محمدىّ تدخل الجنة بعهْدِى ، فلا تخرج . والسرُّ فيه أنّ آدم لم يكن له ركوع ولا سجود ، ولا جهاد ولا تضرّع ؛ ولكنه لم يعتقد الزلّة كما قال تعالى[7] : « ولم نَجِدْ له عَزْما » . وإبليس اعتقد الزلّةَ بعد عبادته ولم يعتذر ، فلم تخلّصه حسناته ، كالكافر يعتقد الزلّات الكثيرة ، ولا يعتذر .

وأنت تعتذر فكيف لا أقبل عُذْرك ، وقد كلفتك بأوامر كثيرة ، ونهيتُك عن نواهى عديدة ؛ وأبوكَ آدم لم يكن له إلا أمرٌ واحد وهو البُعْدُ من الشجرة ، وقد قبلت عُذْرَه ؛ فإن اعتذرتَ إلىّ ألحقتك بأبيك فى السكنى معه؛

---

(١) البقرة : ١٢٥ (٢) النحل : ٩١ (٣) التوبة : ٤

(٤) آل عمران : ١٨٣ (٥) البقرة : ٨٠ (٦) البقرة : ١٢٤

(٧) طه : ١١٥

قال تعالى[1] : « والَّذِينَ آمَنُوا واتَّبَعَتْهم ذُرِّيَّتُهم بإيمان أَلْحَقْنا بِهِم ذُرِّيَّتَهُمْ وما أَلَتْناهُمْ مِنْ عملهم مِنْ شَىْء » .

(عابدُون[2]) : مخلصون . وقيل أذلّاء ، من قولهم : طريق معبّد ، أى مذلّل قد أثّر الناس فيه .

(عزَمُوا الطَّلاق[3]) ؛ أى طلّقوا أو آلوا ، فيُطَلّق عليهم الحاكم . والضمير يعودُ على المؤْلِين[4] ؛ وطلاقهم بائن عند الشافعى وأبى حنيفة ، رَجْعِىّ عند مالك .

(على المَوْلود له رزْقُهنّ وكِسْوَتُهنّ بالمعروف[5]) : فى هذه النفقة والكسوة قولان :

أحدها : أنها أجرة رضاع الولد أوْجبها اللهُ للأمّ على الوالد ؛ وهو قول الزمخشرى وابن العربى .

الثانى : أنها نفقة الزوجات على الإطلاق ، وعلى ذلك حملها ابن فورك .

(عرّضتم به مِنْ خِطْبَة النِّساء[6] ...) الآية : إباحة للتعريض بخطبة المرأة المعتدَّة . ويقتضى ذلك النهى عن التصريح .

(عَلَى المُوسِعِ قدَرُه [٢٠٧ ب] وعلى المقتِرِ قدَرُه[7]) : بإسكان الدال وفتحها ، وهما بمعنى . وتعلّق الشافعى فى وجوب المتعة بقوله : « حقّا » . وتعلّق مالك فى الندب بقوله : « على المحسنين » ؛ لأن المحسن تطوّع بما لا يلزم .

---

(١) الطور : ٢١ (٢) البقرة : ١٣٨ (٣) البقرة : ٢٢٧

(٤) فى الآية السابقة من قوله تعالى : للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر .

(٥) البقرة : ٢٣٣ (٦) البقرة : ٢٣٥ (٧) البقرة : ٢٣٦

والحاصل أنه يمتّع كلَّ أحد على قدر ما عنده ؛ والموسر : الغنيّ . والمقتر : الضيّق الحال .

(على نساء العالمين[1]) : هذا التفضيلُ لمريم ما عدا خديجة وفاطمة رضي الله عنهما ، أو يكون على نساء زمانها . وقيل : هذا الاصطفاء مخصوص بأنْ وُهب لها عيسى من غير أبٍ ؛ فيكون « على نساء العالمين » عاما . وقيل : إنها كانت نبيئة لتكليم الملائكة لها ؛ قال بعض العلماء : إن عائشة أفضل من مريم ؛ لأنّ براءة مَريم كانت على لسان عيسى ، وبراءة عائشة كانت بقول الله تعالى .

فالربُّ الذي تولّى براءتك وتطهيرك بقوله تعالى : ولكن يريدُ ليطهِّركم . التائبون العابدون الحامدون... الآية وسمّاكم يا أمّة محمد بالهداية والخير ، والعدل والأمانة ؛ أفتراه يطردهم بعد أن دعاهم إلى نفسه ، وهو لا يُريد قبولهم . وقد سمعناه يقول للتائبين : وإني لغفّارٌ لمَنْ تاب إذا مشوا إليه برجْل الندامة على قدم الاعتذار ، وللعابدين إذا مشوا برجل النّشاط على قدم الجهد والاجتهاد على قدم الدرجات ؛ ومَنْ يأتِه مؤمنا قد عمل الصالحات . وللزاهدين إذا مشوا برجل القناعة على قدم التوكّل مع مراد الله ؛ تلك الدارُ الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلوًّا في الأرضِ ولا فَسادا ؛ وللمحبين إذا مشوا برجل الرضا على قدم المودّة مع مُراد الذكر ؛ ألا بذكر الله تَطْمئنُّ القلوب ؛ وللمشتاقين إذا مشوا برجْل المحبة على قدم الإنابة ، مع مراد القربة : وجوهٌ يومئذ ناضرة .

فإن قلت : ما الحكمة في تَبْريح العارفين ؟

فالجواب لأنهم تعهدوا على الكفار بتبليغ الرسالة إليهم . ومن كان شاهداً له

---

(١) آل عمران : ٤٢

يخدمه ويزكيه ليكون شاهداً له على الحقيقة ؛ قال تعالى[1] : «يأيُّهَا الذين آمَنُوا اتَّقوا اللهَ وكونوا مع الصادقين» .

(عَرْضُها السمواتُ والأرض[2]) ؛ أى تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض ، كما تُبْسط الثياب ، فذلك عرض الجنة ، ولا يعلم طولها إلا الله ؛ لأنّ الله قال لها : امتدّى فامتدت ، ثم قال لها : امتدى فامتدت ، ثم قال لها : امتدى فامتدت ؛ قالت : إلى أيْنَ يا رب ؟ قال : إلى منتهى رحمتى ؛ فقالت : لا منتهى لرحمتك . فقال لها : ولا منتهى لك .

وقيل : ليس العَرْض هنا خلافَ الطول ؛ وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض .

فإن قلت : إذا كان عرضها هذا ، فما معنى ما ورد أنها فى السماء ؛ وقيل فى الأرض ؛ وقيل بالوَقْف حيث لا يعلمه إلا الله ؟

والجواب أن الذى يجب اعتقاده ويفهم من القرآن والحديث أنّ الجنة فى عالم الجبروت ، وأن العرش سَقْفها ؛ كما صحّ فى الحديث : سَلُوا الله الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة ، وفوقه عرشُ الرحمن ، ومنه تُفَجَّر أنهار الجنة . والآية الكريمة: «[3] قلنا اهْبِطُوا» تدلُّ على أنها فوق السموات . وقد قدمنا أنّ العوالم أربعة : الملك ، وهو الدنيا وما فيها . والملكوت وهو السموات وما فيها . والجبروت وهو اللَّوْح والكرسى والقلَم . والجنة وفوقها العرش الذى تأوى إليه أرواحُ الشهداء . وعالم العزّة لا يَعلَمُ ما فيه إلا الله ورسوله الذى زج فيه صلى الله عليه وسلم، وشاهد فيه من العجائب ما أخبر الله به فى قوله[4] : «لقد رَأَى مِنْ آياتِ ربّه

---

(١) التوبة : ١١٩ (٢) آل عمران : ١٣٣ (٣) البقرة : ٣٨

(٤) النجم : ١٨

الـكُبْرَى » ، وخلف جبريل عند سِدْرَةِ المنتهى ، وقال : يا محمد ، لا أقدر على مجاوزة هذا المكان ، وما مِنّا إلا له مَقام معلوم .

وأخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان ، من طريق عبيد ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ـ مرفوعا : أن جهنم محيطةٌ بالدنيا ، وأن الجنة من ورائها ، فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى الجنة .

فإن قلت : يفهم من هذا الحديث أنّ جهنم تحت الأرض .

والجواب أنا نقول فيها بالوقف ؛ إذ لا يعلم محلَّها إلا الله ، [١٢٠٨] ولم يثبت عندى حديثٌ أعتمده فى ذلك غير ما رواه ابن عبد البر وضعّفه ، عن عبد الله بن عمر ـ مرفوعا : لا يَرْكب البحر إلا غازٍ أو حاجّ أو معتمر ؛ فإنّ تحت البحر ناراً .

وفى شُعب الإيمان للبيهقى ، عن وهب بن منبّه : إذا قامت القيامةُ أمر بالفلق فيـكشف عن سقَر وهو غطاؤها ، فيخرج منه نار ، فإذا وصلت إلى البحر المطبق على شَفِير جهنم ـ وهو بحر البحور ـ نشفته أسرعَ من طرفة عَين ، وهو حاجز بين جهنم والأرضين ، فإذا نشفت الأرضين السبع فتدعها جمرة واحدة .

وقيل هى فى وجه الأرض ؛ لما رُوِى عن وَهْب أيضا قال : أشرف ذو القرنين على جبل قاف ، فرأى تحته جبلا صغيراً إلى أنْ قال : يا قاف ؛ أخبرنى عن عظمة الله ؛ فقال : إن شأنَ ربِّنا لعظيم ، وإن ورائى أرضاً مسيرة خمسمائة عام فى خمسمائة عام من جبال ثلج ، يحطّم بعضها بعضا ، ولولا هى لاحترقت من حرّ نار جهنم .

وروى الحارث بن أبى أسامة فى مسنده ، عن عبد الله بن سلام ، قال : الجنة فى السماء ، والنار فى الأرض .

وروى أن اليهود قالوا لعمر : جنة عَرْضُها السموات والأرض ، فأين النار؟ قال عمر : أفرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار ؛ وإذا جاء النهار أين يكون الليل ؟ فقالوا : إنها لمثلها فى التوراة . قالوا : إن باب الجنة فى السماء وعرضها السموات والأرض .

فإن قلت : قد صح أنها لا منتهى لها ، وأن العرش سقفها ، والعرش له حدّ ومقدار ، فما معناه ؟

والجواب أنّ العرش لها كالخيمة ، فلا يلزم أن يكون العرش محتويا على جميعها ؛ وهذا مشاهد . وقد صح أنها تَبْقَى بلا ساكن حتى يخلق الله لها مَنْ يسكنها .

فتفكَّرْ أيُّها العبد عَبْد مَنْ أنت ؟ ومَنْ أنتَ حتى أهّلكَ لخدمته وعرّفك به حتى طلبته ؟ وما قيمةُ أعمالك فى جَنْب مَنْ عبده ؟ فاحمد الله على أن أهّلك لخطابه ، وجعلك من أحبابه ، وإياك ومعصيته ؛ فإنها تورثك بُعْده . أما علمت أنّه على قَدْر معرفتك به هنا تكون رؤيتك له هناك ، وبمعرفتك له يتولّد منه التعبُ ، لكنها توصلك إلى رؤيته التى يزول عنك بها النَّصَب والكَرْب ؛ ولما علم سبحانه أنّ الدنيا دارُ مِحَن ومعايش ، جعل لهم هذه المعرفة التى يتوصَّلُون بها إلى رؤية ذاته ، وعلى قَدْر طول الغربة يكون سرور الأوْبة ؛ ولو رأيناه بغير تعب لما وجدنا لها لذّة ؛ ألا ترى آدمَ لم يعرف قدرها حتى خرج منها ، والمسوقُ بالتعب ألذُّ من المسوق بلا تعب ؛ فالمعرفة ميدان الخدمة ، والرؤية ميدان الراحة ، والمعرفة تكون مع بُعْد عن المراد ، والرؤية مع قُرب النفس إلى المراد ، والمعرفة مع الخوف والخطر ، والرؤية مع الرضا والكرامة . والمعرفةُ أول الكرامة ، والرؤية تتمها ، والمعرفة فى جوار الشيطان ، والرؤية فى جوار

الرحمن ، والمعرفة البراءة عن الخلق ، والرؤية الوصول إلى الحق . والمعرفة للواصفين ، والرؤية للواصلين . والمعرفة فى الجنس ، والرؤية فى الأنس . وأهل المعرفة يشتاقون إلى موضع الواصلين ، والواصلون لا يشتاقون إلى موضع العارفين، فكلٌّ من رأى فقد عرف ، وليس من عرف قد رأى .

فإن قلت : لم خُصَّت هذه الآية بما تمهّد فيها من قصد المبالغة والتعظيم من قوله[1] : « سارِعُوا إلى مغفرةٍ » ، دون آية الحديد[2] .

والجواب لبنائها على الحضّ على الجهاد وعظيم فَضْلِهِ ، وذكر قصة بَدْر وأُحُد من لدن قوله[3] : « وإذْ غَدَوْتَ من أهلكَ تُبَوِّىءُ المؤمنين ... » إلى ما بعد الآية المتكلم فيها ؛ ولما لم يكن فى آية الحديد شىء من ذلك ناسب كلا ما ورد فيها . والله أعلم .

(عَزَمْتَ[4]) ؛ أى صححت رأيك فيما مضى من الأمر . والمخاطبُ بذلك نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم[5] .

(عاشِرُوهُنّ[6]) ؛ أى صاحبوهن بالمعروف ؛ وأمر الله فى هذه الآية الرجالَ بالصفح عنهن ومما زحتهنّ وخدمتهن بما أمكن ، وله عليها [٢٠٨ ب] أعظم من ذلك ، لقول الله العظيم[7] : « وللرِّجالِ عليهنّ دَرَجةٌ والله عزيزٌ حكيم » .

(عَضَل) المرأة ؛ أى منعها من الزواج ؛ ومنه[8] : « لا تَعْضُلوهن

---

(١) آل عمران : ١٣٣ (٢) الحديد (٢١) : سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض . (٣) آل عمران : ١٢١ (٤) آل عمران : ١٥٩

(٥) فى الكشاف ١ ـ ١٧٢ : فإذا عزمت : فإذا قطعت الرأى على شىء بعد الشورى .

(٦) النساء : ١٩ (٧) البقرة : ٢٢٨ (٨) البقرة : ٢٣٢

أن يَنكِحْنَ أزواجهن » . « ولا[1] تعضُلوهن لتذهَبُوا ببعض ما آتيتُموهن » .
قال ابن عباس : هي في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوّج بعده ، إلا أنّ قوله : ما آتيتموهن على هذا معناها ما آتاها الرجلُ الذي مات . وقال ابن عباس أيضا : هي في الأزواج الذين يمسكون المرأةَ ويُسيئون عِشْرتها حتى تفتدي بصداقها ؛ وهو ظاهرُ اللفظ في قوله[1] : « ما آتيتموهن » . ويقوّيه قوله[1] : « وعَاشِرُوهُنَّ بالمعروف » ؛ فإن الأظهر فيه أن يكون في الأزواج ، وقد يكون في غيرهم ؛ وقيل هي للأولياء .

(عَاقِر[2]) : له معنيان : المرأة العقيم . واسم فاعل من عقر الحيوان .

(عزّرتُموهم[3]) : نصرتموهم ، وأعنتموهم .

(عَدْوًا بغير علم[4]) : اعتداءً ، استدل الملائكة بهذا على سدّ الذرائع ، يعني لا تسبُّوا آلهتهم ، فيكون ذلك سببا لأن يسبّوا الله .

(عند الله) : يعني الآيات بيد الله لا بيدي .

(عَتَوْا[5]) : تكبّروا وتجبّروا ، وهم الذين لا يقبلون الموعظة .

(عَدَل) يعدل عدلا : ضد جار ، وعدل عن الحق عدولا ، وعدلت فلانا بفلان سوّيتُ بينهما ، ومنه[6] : « ثم الذين كفرُوا بربهم يَعْدِلُون » ؛ ودخلتْ « ثم » لتدلّ على استبعاد أن يعدلوا بربهم بعد وضوح آياته في خلق السموات والأرض والظلمات والنور . وكذلك قوله[7] : « ثم أنتم تَمْتَرُونَ » استبعاد لأن يمتروا فيه بعد وضوح آياته ، وبعد ما ثبت أنه أحياهم وأماتهم ؛

---

(١) النساء : ١٩ (٢) آل عمران : ٤٠ (٣) المائدة : ١٢
(٤) الأنعام : ١٠٨ (٥) الأعراف : ٧٧ (٦) الأنعام : ١
(٧) الأنعام : ٢

وفى ضمن ذلك تعجيب من فعلهم، وتوبيخ لهم؛ والذين كفروا هنا عامٌّ فى كل مشرك؛ وقد يختصُّ بالمجوس بدليل ذِكْر الظلمات والنور، أو بعَبَدة الأصنام؛ لأنهم المجاورون للنبى صلى الله عليه وسلم، وعليهم يقع الردُّ فى أكثر القرآن.

(عَرَض الدُّنيا[1]): عتاب لمن رغب فى فداء الأسارى، فإذا عاقب أحبّ خَلْقِه على هذا الشىء التافه فما بالُك بمن هو منغمس فى الحرام، مرتكب للآثام، قد غلب عليه سكر المدام، لا يَرْعَوِى عن قبيح، ولا يَزْدَجِرُ عن لوم. هذا وقد أحلّ الله لهم الأكل من الغنائم مع احتياجهم إليها.

(عَيْلةً[2]): فقراً، وذلك أنّ المشركين يجلبون الأطعمة إلى مكة، فخاف بعضهم قلّةَ القوت بها إذا منع المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فَضْله، فأسلمت العربُ كلها، وتمادَى جلْبُ الطعام إلى مكة، ثم فتح المسلمون سائرَ الأمصار.

(عن يَدٍ[3]): عن قهر وذل فيدفعها[4] بيده لا يبعثها مع أحد، ولا يمطل بها، كقولك: يداً بيد.

وقيل عن استسلام وانقياد، كقولك: ألقى فلان يَدَه. وقيل عن إنعام منكم عليهم بذلك؛ لأنّ أَخْذ الجزية منهم وتَرْك أنفسهم عليهم مِن بَذْل المعروف.

(عزيز): اسم الله تعالى، معناه الغالب. ومنه[5]: «عزَّنى فى الخطاب»؛ أى غلبنى. والغلبة ترجع إلى القدرة والقوة، ومنه[6]: «فعزَّزْنا بثالثٍ»؛

---

(١) الأنفال: ٦٧ (٢) التوبة: ٢٨ (٣) التوبة: ٢٩

(٤) أى الجزية التى سبق ذكرها فى الآية. (٥) ص: ٢٣

(٦) يس: ١٤

أى قويًا . وقيل العزيز العديم المثل . وأما قوله تعالى[1] : « عزيز عليه مَا عنِتُّم » . فعزيزٌ صفةٌ للرسول ، وما عنتُّم فاعل بعزيز ، وما مصدرية . أو ما عنتم مبتدأ وعزيز خبر مقدّم . والجملة فى موضع الصفة .

والمعنى أنه يشقُّ عليه صلى الله عليه وسلم عَنَتُكم وما يضرُّكم فى دينكم ودنياكم ؛ يقال عزّه يعُزه عزًّا إذا غلبه . ومنه قولهم : مَنْ عزّ بزّ ؛ أى من غلب سلب .

(عَدْن[2]) : هى أعظم مُدن الجنة . وقيل هو اسم علم على الإقامة .

(عاصم) : مانع ؛ ومنه قوله تعالى[3] : « لا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إلّا مَنْ رَحِمَ » . وتحتمل الآية أربعة أوجه :

أحدها ـ أن يكون عاصم اسم فاعل ، ومَنْ رحم كذلك بمعنى الراحم . فالمعنى لا عاصم إلا الراحم ؛ وهو اللهُ تعالى .

والثانى ـ أن يكون عاصم بمعنى العصمة ؛ أى معصوم ، ومن رحم بمعنى مفعول ، أى مَنْ رحمه الله . فالمعنى لا معصوم إلا مَنْ رحمه الله ، فالاستثناءُ على هذين الوجهين متّصل .

والثالث ـ أنْ يكون عاصم فاعل ، ومَنْ رحم بمعنى المفعول ، والمعنى لا عاصم من أمر الله لكن مَنْ رحمه [٢٠٩ ا] اللهُ فهو المعصوم .

والرابع ـ عكسه ، والاستثناء على هذين منقطع .

(عذابٌ يُخْزِيه[4]) : هو الغرق ، والعذابُ المقيم[5] عذاب النار .

---

(١) التوبة : ١٢٨ (٢) التوبة : ٧٢ (٣) هود : ٤٣

(٤) هود : ٣٩ (٥) فى الآية نفسها : ويحل عليه عذاب مقيم .

(عَمَلٌ غَيْرُ صالحٍ[1]) : فيه ثلاثة تأويلات على قراءة الجمهور :

أحدها ـ أنْ يكونَ الضمير فى « إنّه » سؤال نوح نجاةَ ابنه .

والثانى ـ أن يكون الضمير لابْنِ نوح ، وحُذِفَ مضاف من الكلام ، تقديره : إنه ذُو عمل غير صالح .

والثالث ـ أن يكون الضمير لابن نوح ، وما مصدر وُصف به مبالغة ، كقولك : رجل صوم . وقرأ الكسائى عمل ـ بفعل ماض ، غَيْرَ صالح ـ بالنصب . والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال ؛ لأن الله تعالى لما أراد أن يعذبه قطع نسبه عنه ، ووصفه بعدم الصلاحية .

وأنْتَ يا محمدىّ أضافك إلى نفسه ، بقوله : يا عبادى . والحكم . أفتراه يعذِّبُك بعد هذه الإضافة ؟

ولذلك قيل الإشارات ستة : إشارة إلى المتقين بقوله[2] : « سارِعُوا إلى مَغْفِرةٍ مِنْ رَبِّكم » . وإشارة العابدين[3] : « فاسْعَوْا إلى ذكر الله » . وإشارة العاصين[4] : « يا عبادِى الذين أسرفوا على أنفسهم » . وإشارة الهاربين إلى حصْنه[5] : « فَفِرُّوا إلى الله » . وإشارة التائبين إلى الفلاح : « وتُوبوا إلى الله جميعاً » . وإشارة أهل الكتاب إلى الفلاح : « يأهل الكتاب تعالَوا إلى كلمة » .

وإذا أردت محبةَ الله لعباده فانظر كيف خفَّف المعصيةَ على النفس ، وثقل عليها الطاعة ؛ ليكون لها حجة ، ويقبل عذرها إذا رجعَتْ إليه ؛ فالله يُثِيبُ المطيعَ بغاية الثواب للامتثال ، ويعاقب الكافر بأقبح العقوبة للمخالفة ، والعاصى

---

(١) هود : ٤٦ (٢) آل عمران : ١٣٣ (٣) الجمعة : ٩
(٤) الزمر : ٥٣ (٥) الذاريات : ٥٠

يعاقبه فى الدنيا بأنواع الأمراض والأسقام حتى فى قطع شِسْع نَعْله إن لم يَتُبْ ، حتى يأتى الله ولا ذَنْب عليه . قال تعالى[1] : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبَتْ أيديكم ويعفو عن كثير » .

(عاهدتُم من المشركين[2]) : إنما أسند العَهْد إلى المسلمين ؛ لأن فعْل الرسول صلى الله عليه وسلم لازم للمسلمين ، فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين، وكان صلى الله عليه وسلم قد عاهد المشركين إلى آجال محدودة ؛ فمنهم مَنْ وفى ؛ فأمر الله أن يتمّ عَهْدَه إلى مدته ، ومنهم مَنْ قارب أو قارب النقض ، فجعل له أجل أربعة أشهر ، وبعدها لا يكون له عهد .

(عاهدْتَ منهم[3]) : يريد بنى قُرَيظة .

(على سَوَاء[4]) ؛ أى على مَعدلة . وقيل معناه أنْ تستوى معهم فى العلم[5] فتنقض العهد .

(عرَضا قريبا[6]) : هذا الكلام وكثيرٌ مما بعده فى هذه السورة فى المنافقين الذين تخلّفُوا عن غزْوَة تبُوك ؛ وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة ، وكانت فى شدة الحرّ وطيب الظلال والثمار ، فثقلت عليهم ؛ فأخبر الله فى هذه الآية أنّ السفر لو كان لعرض الدنيا أو مسافة قريبة لاتّبعوه .

(عفَا اللهُ عنك لِمَ أذنْتَ لهم[7]) : قدّم الله العفو لنبيّه قبل عتابه ؛ إكراماً له وجبْرًا لقلبه أن ينصدع ؛ وذلك لخوفه من ربه ؛ كأنه قال :

---

(١) الشورى : ٣٠ (٢) التوبة : ١ (٣) الأنفال : ٥٦

(٤) الأنفال : ٥٨ (٥) فى القرطبى (٨ـ٣٢) : قال الأزهرى : معناه إذا عاهدت قوما فعلمت منهم النقض بالعهد فلا توقع بهم سابقاً إلى النقض حتى تلقى إليهم أنك قد نقضت العهد فيكونوا فى علم النقض مستوين ، ثم أوقع بهم .

(٦) التوبة : ٤٢ (٧) التوبة : ٤٣

أصلحك الله يا محمد ؛ لِمَ أذِنْتَ لهم فى التخلُّف عن الخروج معك حتى يتبيّن لك الذين صدَقوا وتعلم الكاذبين ؛ لأنهم قالوا نستأذنه فى القعود ، فإن أذِن لنا قعدنا ، وإن كان يظهر الصدق من الكذب ، وإن لم يأذن قعد العاصى والمنافق ويسافر المطيع .

(عَنِيد) ومعاند وعَنُود بمعنى واحد ؛ أى معارض للحق مخالف ، يقال : عِرقٌ عَنُود ، وطعنة عنود ؛ إذا خرج الدم منها على جانب .

(على تَقْوَى مِنَ اللهِ[1]) ؛ أى حسن النية فى تأسيس بُنْيانه ، وقصد وَجْه الله ، وإظهار شرعه . والمراد به مسجد المدينة ، أو مسجد قُباء .

(على اللهِ رِزْقُها)[2] : قد قدمنا أنه وَعْد وضمان .

فإن قيل : كيف قال : «على الله» بلفظِ الوجوب؛ وإنما هو تفضّل ؛ لأن الله لا يجب عليه شىء ؟

والجواب أنه ذكره كذلك تأكيداً فى الضمان ، ولأنه لما وعد فيه صار واقعاً لا محالة ، لأنه لا يخلف الميعاد .

(عَرْشُه على الماء[3]) : دليل على أنّ الماء والعرش كانا موجودين قَبْل خَلْقِ السموات والأرض ، فسبحان مَنْ لا يُشْبه صنعَه صنع المخلوقين ، ولا تدرك حقائق حكمته بصيرةُ المحققين ؛ إبليس كانت قبلته العرش، فصار مخذولا ومطرودا، وعمر بن الخطاب كانت قبلته الصنم [٢٠٩ ب] فصار مودوداً ومحموداً ، إذا أراد الله أن يُدْخِل المنافق فيمن يوافق ، وإذا لم يرد إدخال الموافق فيمن

---

(١) التوبة : ١٠٩ (٢) هود : ٦ (٣) هود : ٧

ينافق لا رادّ لقضائه ، ولا مُعقِّب لحكمه ، سمكة أخذتها اليهود فصاروا قردة ، وسمكة أخذت يونس فصارت رئيس السمكِ .

(عَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ[1]) ؛ أي في السفينة . واختار الزمخشري[2] أن يكون المعنى من ذرية ممن معك . ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة . فمِنْ على هذا لابتداء الغاية ؛ والتقدير على أمم ناشئة ممن معك . وعلى الأول تكون مِنْ لبيان الجنس .

(عذَابٍ غَلِيظٍ[3]) : يحتمل أن يريد به عذابَ الآخرة ؛ ولذلك عُطف على النجاة[4] الأولى التي أراد بها النجاة من الريح . ويحتمل أن يُريد بالثاني أيضا الريح ؛ وكرّره إعلاما بأنه عذاب غليظ ، وتعديد النعمة في نجاتهم .

(عَصَوْا رُسُلَهُ[5]) : في جمع الرسل هنا وجهان :

أحدهما — أن مَن عصى رسولا واحداً لزمه عِصْيان الجميع ؛ فإنهم متفقون على الإيمان بالله تعالى وعلى توحيده .

والثاني — أن يراد الجنس ، كما قدمنا .

وانظر كيف شنّع كفرَهم ، وهوّل على فعلهم بحرف التنبيه وبتكرار أسمائهم .

(عَصِيب[6]) : شديد .

---

(١) هود : ٤٨ (٢) الكشاف : ١ ـ ٤٤٣ (٣) هود : ٥٨

(٤) في الآية نفسها : ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ . (٥) هود : ٥٩ (٦) هود : ٧٧

(عَالِيها سافِلَها[1]) : الضمائر لمدائن قوم لوط ، واسمها سدوم[2] . يقال : أحور من قطاة سَدُوم[1] .

روى أن جبريل أدخل جناحَه تحت مدائنهم واقتلعها فرفعها حتى سمع أهلُ السماء صراخَ الديكة ونُباح الكلاب ، ثم أرسلها مقلوبة .

(عليها حجارةً مِن سِجِّيل[3]) ؛ أي على المدائن . والمراد أهلها ومَنْ كان خارجاً منها . وأما من كان فيها فقد هلك بقَلْبها .

(على العرش[4]) ؛ أي على سرير الملك ؛ يعنى أنّ يوسف رفع أبويه على العرش وخَرُّوا سجّدا ؛ لأنه كانَ تحية السلام عندهم السجود ؛ وإنما سمى خالته أمّا[5] لأن العرب تسمِّيها أمّا . وكان يعقوب تزوّجها من بعد وفاة أم يوسف .

والإشارة فيه أن يعقوب لما تغرّب من كنعان جعل حِجْر يوسف مأواه ، والرسول صلى الله عليه وسلم لما تغرّب من أبويه جعل حجر أبى طالب مأواه . وأنت يا محمدىّ إذا تغربت فى الدنيا ، وجعلت الآخرةَ منزلك جعل الله الجنة مأواك ، قال تعالى : فإنّ الجنّةَ هى المأوى .

(عَمْر) ، وعُمُر ، بالجزم والضم واحد ؛ وهو الحياة ، ومنه[6] : «لعَمْرك» ، ولا يكون فى القَسم إلا مفتوحاً .

(عَبر[7]) يعبرُ : له معنيان : من عبارة الرؤيا ، ومنه[7] : «إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون» . ومن الجواز على الموضع . ومنه : عابرى سَبِيل .

---

(١) هود : ٨٢ — (٢) فى ا : دسوم . والمثبت فى القرطبى أيضا (٩ — ٨١) .
(٣) هود : ٨٢ — (٤) يوسف : ١٠٠ — (٥) فى قوله تعالى : أبويه — على التغليب .
(٦) الحجر : ٧٢ — (٧) يوسف : ٤٣

(عَمِين[1]) وعَمُون[1]، جمع عم، وهو صفة على وزن فَعِل، بكسر العين، من العمى في البصر، أو في البصيرة.

(عَمَدٍ تَرَوْنَها[2]): اختلف العلماء: هل للسماء أعمدة ترونها؟ فالقائل بها قال: لها جبل قاف؛ وهذا القائل يجعل الضمير في ترونها عائد على العَمَد، فيكون المعنى أنها مرفوعة بغير عمد مرئي. وهذا لا يصح. والصواب مذهب الجمهور أنها مرفوعة بغير عَمد. واستدل به ابنُ عبد السلام على أنّ السماءَ بسيطة؛ إذ لو كانت كورية لما احتيج إلى قوله: بغير عمد؛ لأن الكورية مرفوعة بعمد يعتمد بعضها على بعض. ابن عرفة: وهذا لا حجة فيه؛ لأنّ الناس لا يعرفون ولا يقطعون بكونها كورية أو بسيطة، وإنما يصحُّ هذا لو كانوا يقطعون بأحد الأمرين، فيقال لهم: بغير عَمَد ليفهم كلُّ القدرة.

ورُوي أن ذا القرنين لما وصل إلى جبل قاف صعد عليه حتى ربط خَيْله بجانب السماء؛ وهذا يحتاج لنقل صحيح.

(عد)، بغير ألف: من العدد، وأعد بالألف: يسَّرَ الشيء وهيَّأه.

(عَضُداً[3]): أعوانا.

(عرَضْنا جهنّم[4])؛ أي أظهرناها حتى رآها الكفار.

(عَنَتِ الوُجوهُ[5])؛ أي ذلّت وخضعت، وكيف لا تخضع وتذل، والأنبياء يومئذ يقولون: نَفْسي نفسي، لا أسألك غيرها!

واعلم أنّ الله ذكر الوُجوه في القرآن على سبعة أوصاف، ورتّب وجوه

---

(١) الأعراف: ٦٤، والنمل: ٦٦ (٢) الرعد: ٢

(٣) الكهف: ٥١ (٤) الكهف: ١٠٠ (٥) طه: ١١١

الكفار فى الآخرة على سبع : وَجه التسليم [1] : « أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ » . ووَجْه العبرة [2] : « على وَجْهِ أَبى » . ووجه الرضا والتفويض [3] : « قد نَرَى تقلُّبَ وَجْهِكَ » . ووجه العبادة [4] : « سِيمَاهُم فى وُجوههم » . ووجه [٢١٠ ا] الإقبال والطاعة [5] : « فوَلُّوا وجُوهَكم شَطْره » . ووجه الإخلاص [6] : « وجَّهْتُ وَجْهِىَ » . ووجه الطهارة [7] : « فاغسِلُوا وُجُوهَكم » .

وأما وجوه الكفار فذكر لها سبعة ألوان من العذاب [8] : « تلفح وُجُوههم النار » . « [9] يضربون وجوههم وأدبارهم » . « [10] كُبَّتْ وجُوههم فى النار » . « [11] الذين يُحْشَرون على وجوههم إلى جهنم » . « [12] ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عُمْياً وبُكماً وصُمًّا مأْوَاهم جهنم » . « [13] وجوهٌ يومئذ عليها غَبَرة » . « [14] فأما الذين اسوَدَّتْ وجوههم » .

فإياك أيها الأخ أن يكون وجهك أحدَ هذه الوجوه ؛ واحرص على أن يكون من الوجوه السبعة الذين ذكرهم الله فى الآخرة ؛ قال تعالى [15] : « تعرف فى وجوههم نَضْرةَ النَّعيم » . « [16] وجوهٌ يومئذ ناعمة . لِسَعْيها رَاضية » . « [17] وجوه يومئذ نَاضِرة . إلى ربها ناظرة » . « [18] وجوه يومئذ مُسْفِرةٌ . ضاحكة مستبشرة » . « [19] وأما الذين ابيضَّتْ وجوهُهم ففى رحمة الله هم فيها خالدون » .

---

(١) آل عمران : ٢٠ (٢) يوسف : ٩٣ (٣) البقرة : ١٤٤
(٤) الفتح : ٢٩ (٥) البقرة : ١٤٤، ١٥٠ (٦) الأنعام : ٧٩
(٧) المائدة : ٦ (٨) المؤمنون : ١٠٤ (٩) محمد : ٢٧
(١٠) النمل : ٩٠ (١١) الفرقان : ٣٤ (١٢) الإسراء : ٩٧
(١٣) عبس : ٤٠ (١٤) آل عمران : ١٠٦ (١٥) المطففين : ٢٤
(١٦) الغاشية : ٨، ٩ (١٧) القيامة : ٢٢، ٢٣ (١٨) عبس : ٣٨، ٣٩
(١٩) آل عمران : ١٠٧

. اللهم ارحمنا برحمتك التى وسعت كلَّ شيء رحمة وعلما .

(عَزْماً[1]) : رأياً معزُوماً عليه .

(عَشِير[2]) : صاحب .

(على عُرُوشِها[3]) : قد قدمنا أن المراد به السقف حيثما وقع ، وعرشُ الله أعظم المخلوقات ، ونسبة السموات والأرض إليه كحلقة ملقاةٍ فى فَلاَة من الأرض ، ويحمله الأملاك على كواهلهم ، ذاكرين الباقيات الصالحات ، وإلا لعجزوا عن حَمْله .

(عَذابُ يوم ٍعَقِيم[4]) : يعني يوم بَدْر . ووصفه بالعقيم ؛ لأنه لا ليلة بعده ولا يوم ؛ لأنهم يُقْتَلون فيه . وقيل هو يوم القيامة ، والساعة مقدماته . ويقوِّى ذلك قوله[5] : « المُلْكُ يومئذٍ لله » . ثم قسّم الناسَ إلى أصحاب الجحيم وأصحاب السعير .

(على أعْقَابِكم تَنْكِصُون[6]) ؛ أى ترجعون إلى وراء ، والضمير راجع إلى المترفين ، وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات ، وهى القرآن .

(عَنِ الصِّرَاطِ لنَاكِبُون[7]) ؛ أى عادلون . ويحتمل أن يكون صراط الدنيا ، وهو المقصود الموصِّل إلى الصراط الحسى .

(عَدَد سِنِين[8]) : يعني فى جوف الأرض أمواتاً . وقيل أحياء فى الدنيا . ويقال ذلك لأهل النار على وَجْه الاستهزاء والسخرية ، فيجيبون بأنهم لبثوا يوماً

---

(١) طه : ١١٥ (٢) الحج : ١٣ (٣) الحج : ٤٥
(٤) الحج : ٥٥ (٥) الحج : ٥٦ (٦) المؤمنون : ٦٦
(٧) المؤمنون : ٧٤ (٨) المؤمنون : ١١٢

أو بعض يوم ، لاستقصار المدة ، ولما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدّون شيئاً ، فيقال لهم[1] : اسأل العادّين . ويعنون به مَنْ يقدر أن يعدّ ، وهو من عُوفى مما ابْتُلوا به ؛ ويعنون الملائكة .

(عبثاً[2]) ؛ أي باطلا . والمعنى إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب .

(عذابها كان غراماً[3]) ؛ أي هلاكا وخسرانا . وقيل مُلازما . ويحتمل أن يكون هذا من كلام أهلِ النار ، أو من كلام الله عز وجل .

(عبّدْتَ بنى إسرائيل[4]) ؛ أى ذللتهم واتخذتهم عبيدا . ومعنى هذا الكلام أنك عددت نعمةً علىّ تعبيد بنى إسرائيل ، وليست فى الحقيقة بنعمة ؛ إنما هى نقمة ؛ لأنك كنتَ تذبح أبناءهم ؛ فلذلك وصلتُ إنا إليك فربّيْتَنى ؛ فالإشارةُ بقوله[5] : « تلك » إلى التربية ، وأنْ عبّدت فى موضع رفعٍ عطف بيانٍ على « تلك » ، أو فى موضع نصب ، على أنه مفعول من أجله . وقيل معنى الكلام تربيتك نعمة علىّ ؛ لأنك عبّدْتَ بنى إسرائيل ، وتركتنى ؛ فى المعنى الأول إنكار لنعمته ، وفى الثانى اعتراف بها .

(عوْراتٍ لكم[6]) : معنى العورة الانكشاف فيما يُكره كشْفُه ؛ ولذلك قيل عورة الإنسان ؛ وهى ما بين السرة إلى الركبة ؛ وضمير خطاب الجمع يعود على جواز الانكشاف فى غير هذه الأوقات الثلاثة ؛ وهى قبل الصبح ، وحين القائلة وسط النهار ، وبعد صلاة العشاء الآخرة .

وقد قدمنا فى حرف الثاء أنّ هذه الآية محكمة ، وقول المستأذن للنبى صلى الله

---

(١) المؤمنون : ١١٣ : قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين .

(٢) المؤمنون : ١١٥ (٣) الفرقان : ٦٥ (٤) الشعراء : ٢٢

(٥) فى الآية نفسها : وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل . (٦) النور : ٥٨

عليه وسلم فى الانصراف واحتجاجه : إن بيوتنا عَوْرة ـ فمعناه منكشفة للعدو ، وخالية ، وقيل خالية للسراق ؛ فكذّبهم الله فى ذلك بقوله : إنْ يريدون إلا فراراً منك يا محمّد .

(عَرَاء[1]) : الأرض التى لا شجر فيها ولا ظل . وقيل يعنى [٢١٠ ب] الساحل .

(على شَرِيعةٍ من الأمْرِ[2]) ؛ أى على ملّة ودين .

(عارضاً مستَقْبِلَ أوْدِيتهم[3]) : قد قدمنا أن العارضَ السحاب ، والضمير يعود على قوم عاد ، فلما رأوْا هذا العارِضَ ظنّوا أنه مطر ، ففرحوا به ، فقال لهم هود : بل هو ما استعجَلْتم به ، رِيحٌ فيها عذاب أليم. تُدَمِّر كلّ شىء بأمْرِ ربها ـ عموم يراد به الخصوص .

(عَرّفها لهم[4]) : الضمير يعود على أهل الجنة ، يعنى أنّ الله عرفهم منازلهم فيها ، فهو من المعرفة ؛ ولذلك صح فى الحديث : إن أحدهم أعرف بمنزله من معرفته بمنزله فى الدنيا . وقيل : إن الله طيّبها لهم ؛ فهو من العَرْف ، وهو طيب الرائحة . وقيل معناه شرّفها ورفعها ؛ فهو من الأعراف التى هى الجبال .

(عاصف[5]) : ريح شديدة . والعَصْف ورق الزرع . وقيل التبن والرّيحان . وقيل هو الريحان المعروف . وقيل كل مشموم طيّب الريح من النبات .

(عَبْقَرِىّ[6]) : منسوب إلى أرض يعمل فيها الوَشْى[7] وهى خَبِرة ،

---

(١) الصافات : ١٤٥ : فنبذناه بالعراء .
(٢) الجاثية : ١٨
(٣) الأحقاف : ٢٤
(٤) محمد : ٦
(٥) يونس : ٢٢
(٦) الرحمن : ٧٦
(٧) فى اللسان : عبقر : قرية باليمن توشى فيها الثياب والبسط . وارجع إلى ياقوت (عبقر) .

وهو الممدوح من الرجال والفرش . وتزعم العرب أنه بلد الجان ، فإذا أعجبها شيء نسبته إليه . والمعنى أن الله وصف طنافس أهل الجنة وزرابيهم ونسبها إلى عبقر . وفي الحديث في نزع عمر[1] : فلم أر عبقريا يفري فريه .

(عتت عن أمر ربها[2]) ؛ أي تكبروا وتجبروا . والضمير يعود على القرية ، والمراد أهلها ؛ وكذلك[2] : « فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً » .

وهذا كله في الدنيا ؛ لأنه قال بعده[3] : « أعد الله لهم عذاباً شديداً » . ولأن قوله : فحاسبناها وعذبناها ـ بلفظ الماضي ، فهو حقيقة فيما وقع ، مجاز فيما لم يقع . ومعنى حاسبناها ؛ أي وأخذناهم بجميع ذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها ، والعذاب هو عقابهم في الدنيا . والنكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله .

فاشكر الله يا محمدي على أن عقوبتك إنما هي في الدنيا إذا لم تتب من الذنب ولم تستغفر ـ بالآلام والأمراض والأسقام ، ولا يجمع عليك عقوبتين ، وإن استغفرت فتكتب لك حسنات .

(علا في الأرض[4]) يعلو : تكبر ؛ ومنه[5] : « قوماً عالين » . والعلي اسم الله ، والمتعالي والأعلى من العلاء ؛ بمعنى الجلال والعظمة . وقيل بمعنى التنزيه عما لا يليق به .

(عزب) الشيء : غاب . ومنه[6] : « وما يعزب عن ربك » ؛ أي لا يخفى عنه .

---

(١) اللسان ـ عبقر . (٢) الطلاق : ٨ (٣) الطلاق : ١٠
(٤) القصص : ٤ (٥) المؤمنون : ٤٦ (٦) يونس : ٦١

(عبس وبَسَر[1]) : البسور : تقطيب الوَجْهِ ، وهو أشدُّ من العبوس . والمراد بهذا الوصف الوليد بن المغيرة لمّا حسده صلى الله عليه وسلم ولم يَدْرِ ما يقول فيه ، وضاقت عليه الحِيَل عبس فى وجهه ، وقال لما قال له : إن قريشاً قد أبغضتك لمُقَارَبتك لمحمد ، فتفكّر فى نفسه ، وقال : أقول فيه قولاً يُرضيهم؛ فقال : أقولُ فى القرآن شعر ؟ ما هو بشعر . أقول كاهن ؟ ما هو بكاهن . أقول سحر ، وإنه قول البشر غير منزل من عند الله .

(عَيْناً يَشْرَبُ بها عبادُ اللهِ يُفَجِّرُونها تفجيرا[2]) ؛ أى حيث شاءُوا من منازلهم تفجيرا سهلا ، لا يَصْعُب عليهم . وفى الأثر : إن فى قصر النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنة عيناً تتفجّر إلى قصور الأنبياء والمؤمنين على قَدْر اتّباعهم له ، وكيف لا وهو منْبَع الخير الدنياوى والأخروى ، وجميع علومهم متفجرة مِن علْمِه صلى الله عليه وسلم ؛ وهل نال جميع الموجودات من الخيرات إلا مِن فَيْضِ جُودِهِ ؟ أو هل خلق اللهُ الجنةَ إلّا من أجله ، فيعطيها مَنْ شاء مِن خَلْقه . و « عَيْناً » فى الآية بدلٌ من كافور ، على القول بأن الخمر تمزج بالكافور . وبدل من موضع كأس على القول الآخر ، كأنه قال : يشربون خمراً خَمْر عين . وقيل : هو مفعول بيشربون . وقيل منصوب بإضمار فعل .

قال ابن عطية : الباء زائدة ، والمعنى يشربها . وهذا ضعيف ؛ لأن الباء تزاد فى مواضع ليس هذا محلّها ؛ وإنما هى كقولك : شربت الماء بالعسل ؛ لأن العين المذكورة يُمزج بها الكأس من الخمر .

فلتتأمّلْ أيها الناظر إلى وصفهم بالعبودية وإضافتهم إلى الوصف العظيم ، تعرف بذلك عظيمَ منزلتهم ، ويشهد لذلك تشريف نبينا صلى الله عليه وسلم

(١) المدثر : ٢٢ (٢) الإنسان : ٦

بقوله[1] : سبحان الذى أسرى بعبده [٢١١ ب] ، ولم يقل بنبيّه ؛ لأن العبودية أشرف التحلية .

وإذا تأملتَ وصف العبودية فى القرآن لا تجدُها إلا لمَنْ يتصف بالطاعة ؛ كقوله[2] : « وعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذين يَمْشُون على الأرض هَوْناً » . فما أحسنها من إضافة من محبٍّ لمحبوب ؛ مرةً أضافهم إلى الاسم العظيم ، ومرة إلى الرحمة ؛ وأعظَم من هذا أنه أضاف العاصى إلى نفسه ، بقوله[3] : « ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم » ؛ كى لا يقدر إبليس أن يسلبه منه ولا يضرّه ؛ فالذى أضافكَ إليه مع عصيانك أتراه لا يرزقك؟ أو إن رجعْتَ إليه لا يَقْبَلُكَ؟ أو إن استغفرته لا يغفر لك ؟ كلا ، والله ؛ بل يتقبلك على ما فيك من العيوب ، فسبحان مَنْ خلق الخَلْق ليرزقهم ، ويظهر قدرته فيهم ، ويُميتهم ليظهر قَهْرَه ، ويُحْيِيهم ليظهر جلالته ، ويدخلهم جنّتَه ليظهر فَضْلَه ، ويعذبهم ليظهر عدله فيهم ونِقْمته ؛ لا يُسأل عمّا يفعل وهُمْ يُسْألون .

(عطاءً حِساباً[4]) ؛ أى كافيا ، من أحْسَبَهُ الشىء إذا كفاه . وقيل معناه على حسب أعمالهم . ويقال أصل هذا أن تعطيه حتى يقول حَسْبى حسبى ؛ فهناك أعطاهم بغير حساب .

وفى موضع قال[5] : « كَفَى بِنَا حاسِبِين » . وهم المعاملون بالفَضْل . وفى موضع قال[6] : « كفى بنفسك اليومَ عليك حسيبا » . وهم مَنْ أراد اللهُ أن يُعامِلهم بالعدل .

(عَسْعَس[7]) : من الأضداد . ويقال عسعس الليل : أقبل ظلامه فى أوله ،

---

(١) الإسراء : ١ (٢) الفرقان : ٦٣ (٣) الزمر : ٥٣
(٤) النبأ : ٣٦ (٥) الأنبياء : ٤٧ (٦) الإسراء : ١٤
(٧) التكوير : ١٧

وقيل في آخره . وهذا أرجح ؛ لأنّ آخر الليل أفضله ، ولأنه أعقبه بقوله: والصبح إذا تنفّس ؛ أى استطار واتسع ضَوْءُه .

(عَدلك[1]) ، بتشديد الدال : قوّم خَلْقك ، وبالتخفيف : صرفك إلى ما يشاء من الصورة فى الحُسْن والقبح ، والطول والقصر ، والذكورة والأنوثة ، وغير ذلك ، من اختلاف الصور .

وبالجملة فابنُ آدم من أكرم المخلوقات فى تعديل صورهم فى أيديهم ، والمشى على أرجلهم ، وانتصاب قامتهم ، وتركيب أجسادهم ، والعلم والعقل ، والأكل باليمين ، وسَتْر العورة ، واللباس ، والرجال باللّحى ، والنساء بالذوائب .

فتأمّلْ يابن آدم فى هذه الكرامات التى أكرمك بها ، وأضافك بالكرامة إليه ، فى قوله[2] : « ما غَرَّكَ بربِّكَ الكريم » . وإلى رسوله فى قوله : « إنه لقولُ رسولٍ كريم » . وإلى كلامه فى قوله : « إنه لقرآن كريم » . وإلى مدخل رحمته[3] : « ونُدخلكم مُدْخَلًا كريمًا » . وإلى تفصيل أعضائك من عَظْم ولحم، ومخ وعصب ، وعروق ودم ، وجلد وظفر وشعر ؛ كل واحد منها لحكمة ، لولاها لم يكن الجسدُ بحسب العادة ؛ فالعظامُ منها هى عمود الجسد ، فضمّ بعضها إلى بعض بمفاصلَ وأقفال من العضلات والعصب – رُبطت بها ، ولم يجعلها عظما واحدا ؛ لأنك ترجع مثل الحجر ، ومثل الخشبة ؛ لا تتحرك ، ولا تجلس ولا تقوم ، ولا تركع ولا تسجد لخالقك ، وجعل العصب على مقدار مخصوص ، ولو كان أقواها هو لم تصحّ عادةُ حركةِ الجسم ؛ ولا تصرُّفه فى منافعه ؛ ثم خلق الله تعالى المخّ فى العظام فى غاية الرطوبة ، ليرطب يبْس العظام وشدّتها ، ولِتتقوّى العظام برطوبته ؛ ولولا ذلك لضعفت قوّتها ، وانخرم نظام الجسم لضعفها بحسب مجرى

---

(١) الانفطار : ٧ (٢) الانفطار : ٦ (٣) النساء : ٣١

العادة . ثم خلق اللحم ، وعبّأه على العظم ، ومدّ به خللَ الجسد كله ، فصار مستويا لحمة واحدة ، واعتدلت هيئةُ الجسد به ، واستوت .

ثم خلق العروق فى جميع الجسد جداولَ لجريان الغذاءِ فيها إلى أركان الجسد ، لكلّ موضع من الجسد عددٌ معلوم من العروق صِغاراً وَكِباراً ؛ ليأخذ الصغير من الغذاء حاجتَه والكبيرُ حاجتَه . ولو كانت أكثر مما هو عليه أو أنقص ، أو على غير ما هى عليه من الترتيب ـ ما صحّ من الجسد بحسب العادة شىء . ثم أجْرَى الدمَ فى العروق سيّالا خاثرا ، ولو كان يابساً أو أكثف مما هو عليه لم يجْرِ فى العروق . ولو كان ألطف مما هو عليه لم تتغذ به الأعضاء . ثم كسا اللحم بالجلد ؛ ليَستُرَه كلَّه ، كالوعاء له . ولولا ذلك لكان قشراً أحمر . وفى ذلك هلاكُه . ثم كساه الشعر وقايةً للجلد [٢١١ ب] وزينة فى بعض المواضع . وما لم يكن فيه الشعر جعل له اللباس عوضا منه ، وجعل أصوله مغروزة فى اللحم ليتمّ الانتفاعُ بمَنافِه وَلِين أصوله ، ولم يجعلها يابسة مثل رءوس الإبر ؛ إذ لو كانت كذلك لم يَهْنِهِ عَيْش .

وجعل الحواجبَ والأشفار وقاية للعين، ولولا ذلك لأهلكها الغُبَار والسقط، وجعلها على وَجْهٍ يتمكن بسهولة من رَفْعِها على الناظر عند قَصْد النظر ، ومن إرخائها على جميع العين عند إرادة إمساك النظر إلى ما تُؤذى برؤيته دينا أو دنيا، ولم يجعل شَعرها طبقاً واحداً لينظر من خللها .

ثم خلق شفَتَيْنِ ينطبقان على الفَم يَصُونان الفمَ والحَلْق من الرياح والغُبار، وينفتحان بسهولة عند الحاجة إلى الانفتاح . ولما فيهما أيضاً من كمال الزينة وغيرها.

ثم خلق بعدها الأسنان ليتمكن بها من قطع ما كوله وطَحْنِه . وجعل اللسان الذى يجمَعُ به ما تفرق من المأكول فى أرجاء الفم ؛ ليتمكن تسهيله للابتلاع

بطَحْنِ الأرحاء ؛ وخلق فيه معنى الذوق لكل مأكول ومشروب . ولم يخلق جَلّ وعلا الأسنان فى أول الخلقة لئلا يضر بأمّه فى حال رضاعه بالعَضّ ؛ ولأنه لا يحتاج إليها حينئذ لضعفه عما كثف من الأغذية التى تفتقر إلى الأسنان ؛ فلما كبر وترعرع وصلح للغذاء خلق له الأسنانَ ، وجعلها نوعين : بعضها محددة الأطراف ؛ وهى التى للقطع ، يقطع بها المأكول ، وبعضها بسيطة وهى التى للطحن ؛ فسبحانه ! ما أكثر عجائب صُنْعه ، وأوسع الآيات الدالة عليه ! ولكن لا نبصر شيئاً إلا بتوفيق الله تعالى .

ثم لما كان المأكول شديداً كثيفاً ، ولم يكن يجرى فى الفم إلى الحلق — وهو كذلك على يبسه — أنبع الله تعالى فى الفم عيناً نبّاعة على الدوام أحْلَى من كل حلو ، وأعذب من كل عذب ، فيحرك اللسان الغذاء ، ويمزجه بذلك الماء ، فيعود زلقا ، فينحدر فى الحلق بلا مؤنة ؛ ولهذا إذا أبدل الله تعالى تلك العين جفوفا من المرض لم يَمْضِ على الحلق شىء ، وإن مضى فبمشقّة عظيمة ؛ ومن عجيب هذه العين أنها مع عدم انقطاعها لم يكن ماؤها يملأ الفم فى كلّ وَقْتٍ حتى يتكلفَ الإنسان مؤنة عظيمة فى طَرْح ذلك عنه . جرت على وَجْه الحكمة فيه أنّ تعدد أوْجُه منفعتها ؛ فتبارك الله أحسن الخالقين .

ثم خلق أظفار اليدين والرجلين ، لتشتدّ بها أطرافها ، لكثرة حركتها ، والتصرف بها فى الأمور ، وليحكّ بها ، وينتفع فى موضع الحاجة .

وانظر إلى خلْق الأصابع ، وجعلها مفرقة ذات مفاصل ؛ ليتمكن بذلك من قَبْضها وبَسْطِها بحسب الحاجة .

ولما كان الشَّعر والظفْر مما يطول لما فى طولها من الصالح لبعض الناس ،

وفى بعض الأوقات ، وكان جزّها مما يحتاج إليه فى بعض الأوقات ، لم يجعلها كسائر الأعضاء فى تألم الإنسان بقطعها .

فانْظر إلى دقائق هذا الصنع الجليل ، وحُسْن المعانى مِنْ ربٍّ جميلٍ لجميع الحيوان؛ وخص هذا الآدمى بخصائص وحِكَم يعْجِز ذكرها. وقد أشرنا إلى بعضها؛ وقد ذكر أهل علم التشريح تفصيلها .

وبالجملة فهذا الآدميُّ هو العالَم الأكبر ، وجميع المخلوقات هو العالم الأصغر . وكيف لا وقد جمع الله فيه ما تفرق فى كلّ الأشياء ؛ فإن كان للسماء علوّ فللآدميّ القامة . وإن كان فى الفلك شمس وقمر فللآدمى العينان . وإن كان له نجوم فللآدمى الأسنان . وإن كان للفلك الدوران فللآدمى السير . وإن كان للسماء القطر فلعين الآدمى الدمعة . وإن كان للبرق لمعة فللآدمى اللمحة . وإن كان للأرض الزلزلة فلنفس الآدمى الرّعْدة . وإن كان للأرض القرار فللآدمى السكون والوقار . وإن كان فى الأرض الأنهار فللآدمى العروق . وإن كان للأرض النبات والأشجار فلنفْسِ الآدمى الشعور . وإن كان فى السماء العرش فهمّة المؤمن أعلى وأعظم ؛ وهى متعلقة بالمولى . وإن كان فى السماء الجنّة فللمؤمن القلب ؛ وهو أزين منها ؛ لأن الجنة محل الشهوة ، والقلب محل المعرفة ، وخازن الجنّة رضوان وخازن قلب المؤمن الرحمن . إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، وفى رواية : القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلّبه كيف يشاء .

اللهم يا مُقلّبَ القلوبِ [٢١٢ ا] ثبِّت قلوبنا على طاعتك ، وأعِنْها على عبادتك ، وهَبْ لها أرواحاً تَقودُها إلى مشاهدتك ؛ فإنك قلت : «(١) والسابقون

---

(١) الواقعة : ١٠ ، ١١

السابقون . أولئك المقرّبون » . «(١) فأصحابُ الميمنةِ ما أصحابُ الميمنةِ » ، وأعِذنا من أرواحِ أصحابِ المشأمة .

قال بعضهم : المؤمنين أربعة أرواح : روح الإيمان ، وبها عَبَدُوا الله ووحّدُوه . وروح القوة ، وبها جاهدوا أعداء الله . وروح الشهوة ، وبها أصابوا لذة المطعم والمشرب والتمتع . وروح الحياة ، وبها تحركوا إلى الطلبات .

وأما أصحاب المشأمة فبروح الحياة استعانوا على طول الأمل ، وبروح القوة على المعصية ، وبروح الشهوة على أخذ الحرام والشبهة ؛ فلذلك شبههم بالأنعام فقال(٢) : « إنْ هُمْ إلاّ كالأنعام » .

وقال آخر : إنْ كان فى العالم سبع سموات فللآدمىّ سبعة أعضاء ، وأمر أن يسجد عليها : اليدين ، والرجلين ، والركبتين ، والوجه . وإن كان فى العالم الحيوان فللآدمى القمـــل والبراغيث والصئبان . وإن كان للعالم شمس فللآدمى المعرفة أنور منها والعلم . وفى العالم النجوم وفى الآدمى العلوم . وفى العالم الطيور وفى الآدمى الخواطر . وفى العالم جبال وفى الآدمى العظام . وفى العالم أربع مياهٍ : عذب ، ومُنْتن ، ومُرّ ، ومالح . وفى الآدمى العذب فى فَمِهِ ، والمرّ فى أذنيه ، والمالح فى عينيه ، والمُنتن فى أنفه .

فتفكّر يا بن آدم كيف خلقك وصوّرك على سبعة أعضاء ، وسبعين مفصلا ، ومائة وثمانية وأربعين عظماً ، وثلاثمائة وستين عِرقاً ، ومائة ألف وأربعة وعشرين ألف شعرة ، حياتهـا بروح واحدة . وجميع الأجناس المختلفون خالقهم العزيز الجبّار .

---

(١) الواقعة : ٨ (٢) الفرقان : ٤٤

(عَيْنٍ آنِيَةٍ[١]) : قد قدمنا أنها شديدة الحر ، ووزن آنية هنا فاعلة ، بخلاف آنية مِنْ فضة فإن وزنها أفعلة .

(عالية[٢]) : نعت للجنة ، لكن يحتمل أن تكون من علوّ المكان ، أو من علوّ المقدار ، أو الوجهين .

(عَيْنٌ جارية[٣]) : يحتمل أن يريد جنسَ العيون ، أو واحدة شرّفها بالتعيين .

(عَلَيْنا لَلهُدَى[٤]) ، أي بيان الخير والشر . وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية ، خلافاً للمعتزلة .

(عائِلًا فأَغْنَى[٥]) : يقال عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجا ، وأعال فهو معيل إذا كثر عياله ؛ وهذا الفقر والغنى هو في المال ، وغِناهُ عليه السلام هو أنْ أعطاه اللهُ الكفاف . وقيل: هو رِضاه بما أعطاه الله . وقيل المعنى وجدك فقيراً إليه فأغناك به .

(عَلَق[٦]) : جمع علقه ، وهي النُّطْفَة من الدم ، يخلق منها الإنسان . وإنما جمع العلق في سورة اقرأ[٧] ، لأنه أراد الجماعة ، بخلاف قوله[٨] : « فإنا خلقْناكُمْ مِنْ تُراب ثم مِن نطفة ثم مِنْ عَلقة » ؛ لأنه أراد كلّ واحد على حِدَته ، ولم يدخل آدم في الإنسان هنا ؛ لأنه لم يخلق من علقة ؛ وإنما خُلِق من طين .

فليتأمل العاقل خِلْقته من علقة في رَحم مغمومة[٩] من دَمِ حيض ،

---

(١) الغاشية : ٥ (٢) الغاشية : ١٠ (٣) الغاشية : ١٢

(٤) الليل : ١٢ (٥) الضحى : ٨ (٦) العلق : ٢

(٧) هي سورة العلق . (٨) الحج : ٥ (٩) من غم عليه الأمر : صقر ـ ورطب مغموم جعل في الجرة وستر ثم غطى حتى أرطب ـ اللسان ـ غم .

فلما كبر وترعرع صار يخاصم مولاه ؛ كما قال تعالى[1] : « فإذا هو خَصِيمٌ مُبين » .

(عَلَّمَ بالقلم[2]) : هذا تفسير للأكرم المذكور قبله[3] ؛ فدلَّ بهذا على أن نعمةَ التعليم أكبر نعمة . وخص من التعليمات الكتابة بالقلم ، لما فيها من تخليد العلوم ، ومصالح الدنيا والدين . وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم .

يا معاشرَ العلماء ، قد كتبتُم ودَرَسْتُم ، ولو ناقشكم بالمحاسبة لأفلستم ؛ ما يكون جوابكم إذا قال لكم : يا أمَّة أحمد ، قد كُرِّمتم وفُضِّلتم ، وأعطيتكم ما لم أُعْطِها أمةً قبلكم ، وشرفتكم بما شرفت به الأنبياء . أمَا سمعتم ما قلت لنوح[4] : « اهْبِطْ بسلامٍ مِنَّا » . ولكم[5] : « وسلام على عباده الذين اصطفى » . وقلت لإبراهيم[6] : « يا نارُ كُونِي بَرْداً وسلاماً على إبراهيم » ، ولكم[7] : « ثم نُنَجِّي الذين اتقَوْا » . وأعطيت العصَا لموسى . ولكم قُلْتُ[8] : « قَوْلًا سديداً . يُصْلِحْ لكم أعمالكم » . وأحييت على يَدِ عيسى المَوْتَى ؛ وقلت لكم[9] : « أوَ مَنْ كان مَيْتاً فأحييناه » . وأعطيت الملك لسليمان ، وأعطيتكم الملك ، وخصوصا الملك الكبير . وأحضرت العرش على [٢١٢ ب] يد آصف وأزلفتُ الجنة لكم . وإن بشرت يعقوب بريح القميص فقد قلت لكم[10] : « فرَوْحٌ ورَيْحان وجَنَّةُ نعيم » . فبأيّ عملٍ تدخلوها ؟ وبأي نية نويتموها ؟ علّمتكم ما لم تعلموا ، وخاطبتكم بما تفهمون ، واستملت قلوبكم لتأنسوا ؛

---

(١) يس : ٧٧ (٢) العلق : ٤ (٣) في الآية التي قبلها (٣) : اقرأ وربك الأكرم . (٤) هود : ٤٨ (٥) النمل : ٥٩ (٦) الأنبياء : ٦٩ (٧) مريم : ٧٢ (٨) الأحزاب : ٧٠، ٧١ (٩) الأنعام : ١٢٢ (١٠) الواقعة : ٨٩

فلم تزيدوا إلا بُعداً ، ودعوتكم لدار كرامتى فأعرضتم عنها ، فلا إلىَّ تقربتم ، ولا لها أردتم ، ولا بها تلذذتم . أما علمتم أنكم لا تدعون لدياركم إلا من تحبون أن تطعموه ، ولا تنسبون إلى أنفسكم إلا مَنْ تريدون أن تكرموه . أما سمعتم قولى : والله يدعو إلى دار السلام . يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ؛ فلِمَ تقاعستم ؟ اللهم إنك أنعمتَ علينا بنعم لا تحصى ، وأعظمها الخطُّ بالقلم ، وعلمتنا ما لم نكن نعلم ، فجعلناها سُلَّماً لمعاصيك ، فحلُمتَ عنا ، ولم تعاجلنا بالعقوبة فضلا منك علينا ، فأنَّى لنا بجوابك عند العرْض عليك ، والوقوف بين يديك ، إلا قولنا لك : غرَّنا حِلمُك وكرمك ، فأتمِمْ علينا جودك وإحسانك ، وقولك لعبدك : سترتُها عليكَ فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، وإن لم يقعْ منك ذلك فقيِّضْ نبينا وحبيبنا للشفاعة ؛ فإنك أخبرتنا على لسانه الصادق المصدَّق ؛ أنَّ شفاعته لأهل الكبائر من أمته ، ونحن من أمته المؤمنون به المصلّون عليه . عليه الصلاة والسلام ؛ يا سيد الخلق ، ها أنا أتوسَّلُ بك إلى ربى فى غفران ذنوبى .

(علَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلم[١]) : يعنى العلوم على الإطلاق ، أو علمَ الكتابة بالقلم . وعلى هذا فالإنسان نبيُّنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لقوله : وعلَّمكَ ما لم تكن تعلم . وهو صلى الله عليه وسلم لم يكتب ولم يقرأ .

(عصْر[٢]) : دهر ؛ أقسم اللهُ به فى كتابه ، لكن اختلف ما المراد به ؟ فقيل صلاة العصر ؛ أقسم الله بها لفضلها ؛ ولذا ورد فى الحديث : مَنْ فاتته صلاة العَصْر فكأنما أوتر أهله وماله ؛ أى خسرها . وقيل إنه العشىّ ؛ أقسم به كما أقسم بالضحى ؛ ويؤيد هذا قول أبىّ بن كعب : سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن العصر ، فقال : أقسم ربكم بآخر النهار .

---

(١) العلق : ٥   (٢) العصر : ١

(على الأفئِدة[١]) : يعنى أنَّ النارَ تبلغُ القلوبَ بإحراقها . قال ابن عطية : يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع ما فى القلوب من العقائد والنيّات باطلاع الله إياها .

(عَنْ صَلَاتِهِم سَاهُون[٢]) : هو تركها بالكلية ؛ وهذا كقوله تعالى : أضاعوا الصلاةَ واتّبعُوا الشهوات . وقيل هم الذين يؤخّرُونها عن وقتها تهاوُناً بها ، كما ورد فى الحديث . وكذلك قالت عائشةُ رضى الله عنها : والله ما ضيّعُوها، وإنما أخَّروها عن وقتها المختار .

(عُدْوَان[٣]) : ظُلْم وتعــــدّ حيثما وقع . وقوله[٣] : « فلا عُدْوَانَ إلّا على الظالمين » ؛ أى فلا جزاء ظُلم إلا على ظالم ؛ تسميةً لعقوبته باسم ذنبه .

(عرَفات[٤]) : اسم علم للموقف . سُمّى بذلك لتعارُفِ الناسِ به . والتنوين فيه فى مقابلة النون فى جمع المذكر ، لا تنوين صَرْف ؛ فإن فيه التعريف والتأنيث . وقيل : إنما سمى به لأنَّ آدم عرَف فيه حوّاء .

(عَرَج[٥]) : يعرُج — بفتح الراء فى الماضى وضمها فى المضارع : صعد وارتقى . ومنه[٥] : « المعارج » . وعرِج بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع : صار أعرج .

(عرْضة لِأيمانكم[٦]) ؛ أى لا تكثروا الحلف به فتبتذلُوا اسمه . ويقال هذا عرضة لك ؛ أى عدة[٧] لك .

(عقود[٨]) : ما عقده المرءُ على نفسه مع غيره من بيع ونكاح وعِتق

---

(١) الهمزة : ٧ (٢) الماعون : ٥ (٣) البقرة : ١٩٣

(٤) البقرة : ١٩٨ (٥) المعارج : ٣ (٦) البقرة : ٢٢٤

(٧) فى القاموس : وهو عرضة لذلك : مقرن له قوى عليه . (٨) المائدة : ١

وشِبْه ذلك . وقيل : ما عقده مع ربه من الطاعات ؛ كالحج والصيام وشبه ذلك .
وقيل : ما عقده اللهُ على عباده من التحليل والتحريم فى دينه . ويجبُ الوفاء
بكلِ ذلك كما وصّى بذلك فى غير ما موضع .

(عُرْف[1]) : هو أفعال الخير . وقيل العرف الجارى بين الناس من العوائد .
واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد .

(عُصْبَة[2]) ؛ أى جماعة من العشرة ، ومراد إخوة يوسف بهذا القدرةُ
على النفْعِ ، وأنهم لا يقاومون أطمئنانا لأبيهم .

(عُقْبَى الدار[3]) ؛ أى عاقبة . وعاقَب له معنيان : من العقوبة على الذنب ،
ومن العقبى . ومنه[4] : «وإن فاتكم شىء [٢١٣ ا] من أزواجكم إلى الكفار
فعاقبْتُم » ؛ أى أصبتم عُقبى .

(عَيْن) : له فى القرآن معنيان : العين المبصرة ، وعين الماء : وله فى غير القرآن
معانٍ كثيرة .

(عِتِيًّا[5]) ، وعسيا وعسوًا بمعنى واحد ، وهو يبس فى الأعضاء والمفاصل .
وقيل مبالغة فى الكبر .

(عسى أنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لأقْرَبَ مِنْ هذا رَشَدًا[6]) : هذا كلامٌ أمِر
النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله . والإشارةُ بهذا إلى خبر أصحاب الكهف ؛
أى عسى أن يُؤتِيَنِى اللهُ من الآيات والحجج ما هو أعظم فى الدلالة على نبوءتى
من خبر أصحاب الكهف . واللفظ يقتضى أن المعنى عسى أن يوفقنى الله تعالى

---

(١) الأعراف : ١٩٩ (٢) يوسف : ٨ (٣) الرعد : ٢٢
(٤) الممتحنة : ١١ (٥) مريم : ٨ (٦) الكهف : ٢٤

من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب الكهف وأقربُ إلى الله . وقيل : إن الإشارة إلى المنسى[1] ؛ أى إذا نسيتَ شيئا فقلْ عسى أن يهدينى الله لشىء آخر هو أرشد من المنسىّ .

(عُقْدة[2]) ؛ أى حُبْسة ، والمراد بها الرُّتّة التى كانت فى لسان موسى من الجَمْرَةِ التى جعلها فى فِيه ، وهو صغير ، حين أراد فرعونُ أن يجربه . وإنما قال « عقدة » - بالتنكير ؛ لأنه طلب حلّ بعضها ليَفْقَه قوله ؛ ولم يطلب الفصاحةَ الكاملة .

(عُجَاب[3]) وعجيب بمعنى واحد ؛ وهو قولُ الكفار الذين تعجَّبوا من التوحيد ولم يتعجبوا من الكفر الذى لا وَجْهَ لصحته .

ورُوى أنّ المسلمين فرحوا بإسلام عمر ، وتغيّر المشركون لذلك ؛ فاجتمعوا ومشَوْا إلى أبى طالب وقالوا : أنتَ شيخُنا وكبيرنا ، وقد علمتَ ما فعل هؤلاء السفهاء منا ، وجئناك لتقضى بيننا وبين ابنِ أخيك ؛ فاستحضر أبو طالب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا بْنَ أخى ، هؤلاء قومُك يسألونك السؤال فلا تَمِلْ كلّ الميْل على قومك . فقال صلى الله عليه وسلم : "ماذا تسألونى؟" قالوا : ارفض[4] آلهتنا وارْفضنا وندعك وإلهك . فقال صلى الله عليه وسلم : "أرأيتكم إنْ أعطيتكم ما سألتم أمُعْطِىَّ أنتم كلمةً واحدةً تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم"؟ قالوا : نعم وعشرا ؛ أى نعطيكها وعشر كلمات معها . قال : "قولوا لا إله إلا الله". فقاموا ، وقالوا : أجعل الآلهةَ إلهاً واحداً ! إن هذا لشىء عُجَاب ؛ أى بليغ فى العجب .

---

(١) فى الآية ٢٤ : واذكر ربك إذا نسيت .   (٢) طه : ٢٧ .
(٣) ص : ٥   (٤) رفض الشىء : تركه . (القاموس) .

(عُرُباً[1]) : جمع عَروب ؛ وهى المتودّدة إلى زوجها بإظهار محبّته ؛ وعبّر عنهنَّ ابنُ عباس بأنهن العواشق . وقيل هن الحسنة الكلام .

(عتُلٍّ[2]) ؛ أى غليظ الجسم ، قاسى القلب ، بعيد الفهم ، كثير الجهل .

(عُتْبَى) : معناه الرضا . ومنه[3] : « فما هم مِنَ الْمُعْتَبِين » . «[4] ولا هم يُسْتَعْتَبُون » . والعتاب : العذاب .

(عِبْرة[5]) : اعتباراً وموعظة حيثما وقع .

(عِيداً[6]) : كل يوم مجمع ؛ ولذا طلب عيسى المائدة أن تكون تنزل عليهم كلَّ يوم عيد . وقال ابن عباس : المعنى تكون مجتمعة لجيعنا أوّلنا وآخرنا فى يوم نزولها خاصة ، لا عيداً يدور ؛ وإنما سُمّى عيداً لعودِه بالفرح والسرور على قوم وعلى قوم بالحزن ، وكذلك المأتم ، سمى بذلك ؛ لأنه لم يتم لأحد فيه أمر .

(عيسى ابن مريم) : قد قدمنا سرّ الإفصاح بأمه ، ولم يسمّ امرأة فى القرآن غيرها ؛ وذلك لنفى التهمة ؛ لأن العادة بين الخلق ألا يصرح الرجلُ باسم امرأته ؛ فسمّاها اللهُ باسمها كى لا يظنّ ظانٌّ أنها زوجته ، وخلقه الله بغير أب . وكلّم الناسَ فى المَهْد ككلامه فى حال الكهولة ، وعلّمه التوراةَ فى بطن أمه ، وأحيا الموتى على يديه ، وأبرأ الأكْمَهَ والأبْرَصَ ، وأكرمه الله بالزُّهد فى الدنيا حيث لم يتخذ من الدنيا شيئا ؛ ولهذا قال عليه السلام : مَنْ أراد أن ينظرَ إلى زُهْد عيسى فلينظر إلى زُهد أبى ذَرّ . وعلمه الخطَّ الجيد ؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : الخط عشرة أجزاء : أحدها لجميع الخلق وتسعة لعيسى ابن مريم خاصة .

---

(١) الواقعة : ٣٧ (٢) القلم : ١٣ (٣) فصلت : ٢٤
(٤) النحل : ٨٤ (٥) آل عمران : ١٣ (٦) المائدة : ١١٤

وكانت مدةُ حَمْله ساعة . وقيل ثلاث ساعات . وحملَتْ به وهى بنْتُ عشر سنين . وقيل بنت خمس عشرة سنة .

ورفعه الله إلى السماء ، وله ثلاث وثلاثون سنة [٢١٣ ب] . ونؤمن بنزوله فى آخر الزمان ، ويقتل الدجال .

وفى مسند أحمد من حديث جابر : يخرج الدجّال فى خفقة من الدّين ، وإدبار من العلم ، وله أربعون ليلة ، يسيحها فى الأرض ؛ اليومُ منها كالسنة ، واليومُ منها كالشهر ، واليومُ منها كالجمعة ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه . وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا ، فيقول للناس : أنا ربُّكم ، وهو أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه « كافر » يقرؤه كلّ مؤمن كاتب وغير كاتب ، يَرِدُ كلّ ماءٍ ومَنْهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه ، وقامت الملائكة بأبوابهما ، ومعه جبال من خُبز، والناس فى جهد إلا من اتّبعه ، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه : نهر يقول الجنة ، ونهر يقول النار ؛ فمن أدخل الذى يسمّيه الجنة فهو فى النار ، ومن أدخل الذى يسميه النار فهو فى الجنة .

قال: ويبعث معه شياطين تُكلِّم الناسَ ، ومعه فتنةٌ عظيمة يأمر السماء فتُمطر فيما يرى الناس ، ويقتل نفسا ثم يحييها فيما يرى الناس ؛ فيقول للناس : أيها الناس، هل يفعل مثل هذا إلا الربّ ، فيفر الناسُ إلى جبال الشام ، فيأتيهم فيحاصرهم فيشتدّ حصارهم ، ويجهدهم جهداً شديداً ، ثم ينزل عيسى فى باب « لُدّ » فى السحر، فيقول : أيها الناس ، ما منعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذّاب الخبيث ؟ فإذا هم بعيسى ، فتُقام الصلاة ، فيقال له : تقدّم ، فيقول : ليتقدم إمامكم فيصلّى بكم ؛ فإذا صلّوا صلاةَ الصبح خرج بهم إليه ، فحين يراه الكذّاب ينماث كما يذوب — كما يذوب المِلحُ فى الماء ، فيقتله حتى إن الحجر والشجرَ ينادى : يا روح الله ،

هذا يهودىّ ، فلا يترك ممّن كان يتبعه أحدٌ إلا قتله .

وفى الصحيح أحاديثُ بمعنى ذلك . وفى أحاديث أنه يتزوّج ويُولَدُ له الولد، ويمكث فى الأرض سبع سنين ، ويُدْفن معه صلى الله عليه وسلم .

وفى الصحيح أنه رَبْعَة أحمر كأنما خرج من دِيماس[1] ـ يعنى حمّاما .

وعيسى اسمٌ عبرانى أو سريانى ، وهو أحد الأربعة الذين سمّاهم الله قبل وجودهم .

فإن قلت : قد اختاره الله لإقامةِ دينه ، وخصّه بما لم يخصّ به أحدٌ غيره ؛ فلِمَ لا يتقدم للصلاة بهذه الأمّة ؟ وما الحكمة فى تمثيل الله له بآدم ؟ ولِمَ خُلِق من غير أب .

والجواب أن الله ينزله لتجديد الشريعة المحمدية ، فلو أمّ بهم لظنّوا أنه أتى بشريعته المتقدمة ، فنفى توهّم ذلك بقوله : ليتقدم إمامكم .

وأمّا تمثيلُ اللهِ له بآدم فلأنّ بقاءَ آدم بالتراب وبقاءَ النفس بالريح ، والترابُ طيّب والريح طيبة ، والتراب يميز الخبيث من الطيب ، والريح تميز الحبّ من التِّبْن ، والريح رحمة والأرض رحمة ، والأرض مسخّرة ، قال تعالى : «[2] هو الذى جعل لكم الأرضَ ذَلُولًا » . والريح مسخّرة ، والأرض مختلفة : خبيث وطيب ، وحَزْن وسَهْل ، والريح مختلفة منها لواقح وصَرْصر ، وصَبا وشمال ، ودَبُور وجُنُب ، والتراب يطفىء النار ، والريح أيضا يطفئها . وكما مثّل الله عيسى بآدم مثّل الدنيا بماء السماء ، قال تعالى : إنما مثَلُ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناهُ من السماء ـ فى أنّ كثرته يضرّ ، وقلّته ينفع . ومثّل المنفق بالزرع ،

---

(١) بفتح الدال ، وتكسر (القاموس) .

(٢) الملك : ١٥

قال تعالى: «مَثَلُ الذين يُنْفِقُون أموالَهم» . ومثّل عابدَ الأصنام بالعنكبوت، قال تعالى : «مَثَلُ الذين اتّخَذُوا من دونِ الله أولياء كمَثل العنكبوت» ، في ضَعْفِ نسجها . ومثّل أعمالَ المنافقين بالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . ومثّل أهْلَ الكتاب بالحمار ، في قوله : «مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحِمار يحمل أسفاراً» . ومثّل بلعام بالكلب ؛ قال تعالى: «فمَثَلُه كمَثَلِ الكَلْب» . وشبَّه التوحيد بشجرة النخلة ؛ قال تعالى: «كشجرة طيِّبَة» . والكفر بشجرة الدِّفْلَى[1] كما قدمنا . ومثَّل آدم بالتراب .

وخلق الله عيسى من غير أب ، ليكون دليلا على ثبوت الصانع ؛ وذلك أنه خلق آدمَ مِنْ غير أبٍ ولا أمّ ، وخلق عيسى من غير أب ، وخلقك من أبٍ وأم ؛ ليكون دليلا على وحدانيته ، وكمالِ قدرته ، وبطلان الطبع والنجوم .

(عِوَجاً[2]) : اعوجاج حيثما وقع بكسر العين [٢١٤ ا] في المعاني التي لا تُحَس ، وبالفتح في الأشخاص ونحوها . ومعناه عدم الاستقامة ، ومعناه في قوله[2]: «ولم يجعل له عِوَجا . قَيّما» ، الذي لا تناقُضَ فيه ، ولا خَلَلَ فيه ، وقيل لم يجعله مخلوقا . واللفظُ أعَمّ من ذلك .

(عِدْوَة[3])، بكسر العين وضمها : شاطىء الوادي . والمراد بالدنيا في قوله[3] : «إذ أنتم بالعُدْوَةِ الدنيا» : القريبة من المدينة . والعُدْوَة القُصْوَى البعيدة . والقصوى والدنيا تأنيث الأقصى والأدنى .

(عِير[4]) : رفقة . وقيل إبل تحمل المِيرة .

---

(١) الدفل — بالكسر ، وكذكرى : نبت مر قتال . (٢) الكهف : ١

(٣) الأنفال : ٤٢ (٤) يوسف : ٧٠

(عِجَاف[1]) : قد بلغت فى الهُزال النهاية ، وكان الملك قد رأى فى نومه سبْعَ بقرات سِمَان أكلتهن سَبْعٌ عِجَاف ، فتعجَّب كيف غلبتهن ، كيف وسعتها فى بطونهن .

(عِضِين[2]) : قد قدمنا أنّ معناه أجزاء ، ومفرده عِضَه . والعاضِهُ الساحر ؛ قال عكرمة : العِضَهُ : السحر ـ بلغة قريش . يقولون للساحرة : عاضهة ، ويقال عضهوه آمنوا بما أحبّوا منه ، وكفروا بالباقى ، فأحبط كفرُهم إيمانهم .

(عِجْلًا جَسَدًا[3]) : ولد البقرة ، والجمع المجاجيل ، والأنثى عِجْلة ؛ وبقرة مُعْجِلة . ذات عِجْل . قيل سمى عجلا لاستعجال بنى إسرائيل عبادته ، وكانت مدةَ عبادتهم له أربعون يوما ، فعوقبوا فى التِّيهِ أربعين سنةً كلّ يوم بسنة ، وكان السامرىّ من قوم يعبدون البقر ، واسمه موسى بن ظفر ، وكان جسداً لا يأكل ولا يشرب .

ونقل القرطبى عن أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرءون القرآن ، ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر ، فيرقصون ويطربون ويضربون بالدّف والشبّابة ، هل الحضور معهم حلال أم لا ؟ فقال : مذهبُ الصوفية أنّ هذا بطالة وجهالة وضَلالة ، وما الإسلامُ إلا كتابُ الله وسنةُ رسوله صلى الله عليه وسلم . وأما الرقصُ والتواجد فأوّل مَنْ أحدثه أصحاب السامرىّ لما اتخذ لهم عِجْلا جسداً له خُوَار ، قاموا يرقصون حوْله ، ويتواجدون ، فهو دين الكفّار وعباد العجل ؛ وإنما كان مجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير مع الوقار .

---

(١) يوسف : ٤٣ (٢) الحجر : ٩١ (٣) الأعراف : ١٤٨

فينبغى للسلطان مع نوّابه أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ؛ ولا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضُر معهم ، ولا يُعينهم على باطلهم .

هذا مذهب مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد من أئمة المسلمين رضى الله عنهم أجمعين .

وقال القُشيرى : كان إبراهيم عليه السلام مِضْيافا ، وكان عامّة ماله البقر ، وقدم العجل للملائكة ، واختاره سَمِينا زيادةً فى إكرامهم . وقيل : إن جبريل مسح العجل بجناحه ، فقام مسرعا حتى لحق بأمه .

ومما يُحْكَى من محاسن القاضى محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة البغدادى ، ووفاته سنة سبع وستين وثلاثمائة : أن العباس بن المعلى الكاتب كتب إليه : ما يقول القاضى وفقه الله تعالى فى يهودىّ زنى بنصرانية ، فولدت ولداً جِسمُهُ للبشر ووجهه للبقر ، وقد قبض عليهما ؛ فما يرى القاضى فيهما ؟

فكتب القاضى بديها : هذا من أعدل الشهود على أن الملاعين اليهود أشربوا[1] حُبَّ العجل فى صدورهم ، حتى أخرج من أيورهم . وأرى أن يُناط برأس اليهودى رأس العجل ويصلّب على عنق النصرانية : الرأس مع الرِّجْل ، وأن يُسحبا على الأرض ، وينادى عليهما : ظلمات بعضها فوق بعض . والسلام .

وروى أنه كان فى بنى إسرائيل شيخ صالح له عجلة ، فأتى بها الغَيْضَة ، وقال : اللهم إنى أستودعكها لابنى حتى يكبر ؛ فكبر الولد ـ وكان بارّا بأمه ، وكانت من أحسن البقر ؛ فساوموها حتى اشتروها بملء جِلْدها ذهبا ؛ وكانت

---

(١) فى ا : بأنهم أشربوا .

البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير ، وكانوا طلبوا البقرة التي أمرهم الله بذبحها أربعين سنة.

(عِفْرِيتٌ من الجن[1]) : قد قدمنا أن اسمه الـكَوْدَن[2] ؛ وهو القوىّ المارد من الشياطين ، والتاء فيه زائدة . قال ابن عباس : هو صخر الجني . وقال ابن زيد : استدعاه لِيُرِيه القدرة التي هي من عند الله .

وروى أن هذا العرش الذي أمر سليمان بمجيئه كان من فضة وذهب مُرَصَّعا باليواقيت والجوهر ، وأنه كان في جوفه سبعُ بيوتٍ عليها سبعة أغلاق .

قال ابن عباس : كان سليمان مهيبا لا يُبْدَأ بشيء حتى يكون هو الذي يسألُ عنه ، فرأى ذات يوم رَهْجا[3] قريبا منه ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا له : بلقيس . فقال[4] : « أيها الملأُ أيكم يأتيني بعرشها ... » الآية ؟ فقال له العفريت : أنا آتيكَ به قبل أن تقوم من مقامك . وكان يجلس مجلس الحكم من الصباح إلى الظهر ، فقال الذي عنده علم من الكتاب ـ وهو آصف[5] بن برخيا ، وكان رجلا صالحا من بني إسرائيل ، كان يعلم اسمَ اللهِ الأعظم . وقيل هو الخضر ، وقيل جبريل . والأول أشهر : أنا آتيك به ـ في الموضعين ـ يحتمل أن يكون فعلا مستقبلا ، واسم فاعل ـ قبل أن يرتدّ إليك طرْفُك ؛ أي قبل أن تُغْمِضَ بصرك إذا نظرت إلى شيء . فدعا باسم الله العظيم الأعظم ، وهو : يا حيّ ، يا قيوم ، يا إلهنا ، وإله كل شيء ، إلهاً واحداً ، لا إله إلا أنت . وقيل : يا ذا الجلال والإكرام . فنَبَعَت الأرض بالعرش حتى نبع بين يدي سليمان .

---

(١) النمل : ٣٩ (٢) والقرطبي : ١٣ ـ ٢٠٣
(٣) الرهج : الغبار . (٤) النمل : ٣٨
(٥) كاتب سليمان (القاموس) .

وقيل : جيء به في الهواء . وكان بين يدي سليمان والعرش مسيرةُ شهرين للمُجِدّ .

فلما[1] رآهُ مستقِرًّا عنده جعل يشكر الله الذي أنعم عليه بعبارة فيها تعليمٌ للناس وعرضة للاقتباس .

(عِين[2]) ، بكسر العين : جمع عَيْناء ، وهي الكبيرة العينين في جمال .

(عِزّة وشِقاق[3]) ؛ أي تكبّر وعداوة وقصد المخالفة ، يعني أن كفرهم ليس ببرهان؛ بل هو بسبب العزة والشقاق ؛ ونكّرهما للدلالة على شدّتهما وتفاقم الكفار فيهما .

(عِصَمِ الكَوَافِر[4]) : جمع عِصمة : النكاح ؛ وأمر اللهُ المسلمين في هذه الآية أن يفارقوا نساءهم المشركات مِنْ عَبَدة الأوثان ؛ فالآيةُ على هذا محكَمةٌ . وقيل : يعني كلَّ كافرة ؛ فعلى هذا نسخ منها جواز تزوّج الكتابيات بقوله[5] : « والمُحْصَنَاتُ من الذين أُوتُوا الكتابَ مِنْ قَبْلِكم » . وقيل إن قوله[4] : «ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِر» ـ نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلّقها .

(عِزِين[6]) : جمع عِزَة ـ بتخفيف الزاي ، وأصله عزوة . وقيل عزهة ، ثم حذفت الهاء وجُمعت بالواو والنون عوضاً من اللام المحذوفة .

(عِشَار[7]) : جمع عُشَراء ؛ وهي الناقة الحامل التي مرّ لحملها عشرة أشهر،

---

(١) النمل : ٤٠ (٢) الصافات : ٤٨ (٣) ص : ٢

(٤) الممتحنة : ١٠ (٥) المائدة : ٥ (٦) المعارج : ٣٧

(٧) التكوير : ٤

وهى أنفَسُ ما عند العرب وأعزّها ، فلا تعطّل إلا من شدة الهول . وتعطيلها هو تركُها مسيّبة أو ترك حَلبها .

(عِيشة رَاضية[1]) : قد قدمنا أنّ المرادَ بها ذاتُ رضا ، فهو كقولهم : تامر ، لصاحب التمر .

قال ابن عطية : ليست بذا اسم فاعل . وقال الزمخشرى[2] : يجوز أن يكونَ اسمَ فاعل ، نُسب الفعل إليها مجازاً وهو لصاحبها حقيقة .

(على) : حرف جر له معانٍ :

أشهرها الاستعلاء حِسّاً أو معنى ، نحو : وعَليها وعَلَى الفُلْكِ تُحْمَلون . كلُّ مَنْ عليها فانٍ . فضَّلْنا بعضَهم على بعض . ولهم علىّ ذَنْب .

ثانيها : المصاحبة ، كمع ؛ نحو : وآتَى المالَ عَلَى حُبّه ؛ أى مع حُبّه . وإنّ ربَّك لذو مغفرةٍ للناسِ على ظُلْمهم .

ثالثها : الابتداء كمِنْ ؛ نحو : إذا اكْتَالُوا على الناس ؛ أى من الناس . لفرُوجهم حافظون إلّا على أزواجهم ؛ أى منهم ؛ بدليل احفظ عوْرتك إلا مِنْ زوجتك .

رابعها : التعليل ، كاللام ، نحو : ولِتُكَبِّرُوا الله على ما هداكم ؛ أى لهدايته إياكم .

خامسها : الظّرْفية كَفِي ؛ نحو : ودخل المدينةَ على حِين غَفْلَةٍ ؛ أى فى حين غَفْلة . واتّبعوا ما تَتْلو الشياطينُ على مُلْك سليمان ؛ أى فى زَمَن مُلْكِه .

---

(١) الحاقة : ٢١ (٢) الكشاف : ٢ ـ ٤٨٦

سادسها : معنى الباء ، نحو : حقيق على ألّا أقولَ على الله إلّا الحقَّ ؛ أي بأن أقول ، كما قرأ أُبيّ .

فائدة

هي في : وتوكَّلْ على الحيّ الذي لا يموت ـ بمعنى الإضافة والإسناد ؛ أي أضِفْ توكّلك وأسنِدْه إليه . كذا قيل . وعندي أنها بمعنى باء الاستعانة .

وفي نحو : كتب على نَفْسِه الرحمة ـ لتأكيد المجازات . قال بعضهم : وإذا ذُكرت النعمةُ في الغالب مع الحمد لم تقترن بعلى ، وإذا أُريدت النقمةُ أُتي بها ؛ ولهذا كان صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما يعجبه قال : الحمدُ لله الذي بنعمته وجلاله تتمُّ الصالحات . وإذا رأى ما يكرَهُ قال : الحمد لله على كل حال .

تنبيه

تَرِد « على » اسماً فيما ذكره الأخفش إذا كان مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين لمسمّى واحد ، نحو[1] : « أَمْسِكْ عليكَ زَوْجَك » لما تقدمت الإشارةُ إليه في « إلى » . وتَرِد فعلا من العلوّ ؛ نحو[2] : « إنَّ فِرْعَوْنَ [٢١٥ ا] عَلَا في الأرض » .

(عن) : حرف جَرّ له معان :

أشهرها المجاوزة ؛ نحو : فلْيَحْذَرِ الذين يُخَالِفُون عن أمْرِه ؛ أي يجاوزونه ويتعدّون عنه .

ثانيها ـ البدل ؛ نحو : لا تَجْزِى نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئا .

---

(١) الأحزاب : ٣٧ (٢) القصص : ٤

ثالثها ـ التعليل ؛ نحو : وما كان استغفارُ إبراهيمَ لأبيه إلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وعدَها إيّاه ـ أي لأجل موعدة . ما نحن بتاركي آلهتنا عَنْ قولك ـ أي لقولك .

رابعها ـ معنى على ؛ نحو : فإنما يَبْخَلُ عَن نفسه ـ أي عليها .

خامسها ـ معنى مِنْ ، نحو : يَقْبَلُ التوبةَ عن عباده ـ أي منهم ؛ بدليل : فتُقُبِّل من أحدهما .

سادسها ـ معنى بَعْد ، نحو : يُحَرِّفُون الكَلِم عن مواضعه ؛ بدليل أنَّ في آية أخرى : مِن بعد مواضعه . لتركبن طَبَقاً عن طبق ـ أي حالة بعد حالة .

تنبيـــه

تَرِد اسما إذا دخل عليها مِنْ ، وجعل منه ابن هشام[1] : « ثم لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بين أيديهم ومن خَلْفِهم وعَنْ أيمانهم وعن شمائلهم » . قال : فتقدَّر معطوفة على مجرور مِنْ لا على مِنْ ومجرورها .

(عسى) : فعل جامد لا يتصرّف ، ومِنْ ثَمَّ ادّعى قوم أنه حرف ، ومعناه الترجّي في المحبوب ، والإشفاق في المكروه . وقد اجتمعا في قوله[2] : « وعسى أنْ تكرَهُوا شيئاً وهو خَيْرٌ لكم وعسى أن تحبُّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم » . قال ابن فارس[3] : وتأتي للقرب والدنوّ ، نحو[4] : « قل عَسى أن يكون رَدِفَ لكم » . قال الكسائي : كلُّ ما في القرآن من عسى على وَجْه الخبر فهو موَحد ، نحو الآية السابقة ، ووواحد على معنى عسى الأمر أن يكون كذا . وما كان

---

(١) المغني : ١ ـ ١٢٨ ، والآية في الأعراف : ١٧ (٢) البقرة : ٢١٦
(٣) الصاحبي : ١٢٢ (٤) النمل : ٧٢

على الاستفهام فإنه يجمع ، نحو[1] : « فهل عسَيْتم إنْ تولَّيتم أن تُفْسِدوا في الأرض » . قال أبو عبيدة : معناه هل عَدَدْتم ذلك[2] ؟

وأخرج ابنُ أبي حاتم والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس قال : كلُّ عسى في القرآن فهي واجبة . وقال الشافعي : يُقَال عسى من الله واجبة .

وقال ابنُ الأنباري : عسى في القرآن واجبة إلا في موضعين :

أحدها : «[3] عسى ربُّكم أنْ يرحمكم » — يعني يا بني النضير ، فما رحمهم الله ؛ بل قاتَلَهُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأوقع عليهم العقوبة .

والثاني : «[4] عسى ربُّه إن طلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَه أزواجاً خيراً منكن » . فلم يقع التبديل . وأبطل بعضُهم الاستثناء ، وعمّم القاعدة ؛ لأنَّ الرحمة كانت مشروطة بألّا يعودوا كما قال : وإنْ عُدْتُم عُدْنا . وقد عادُوا فوجب عليهم العذاب ، والتبديلُ مشروط بأن يطلق ولم يطلق . فلا يجب .

وفي الكشاف[5] في سورة التحريم : عسى إطْمَاعٌ من الله لعباده . وفيه وجهان :

أحدها : أن يكون على ما جرت به العادة[6] من الإجابة بلعل وعَسى ؛ ووقوعُ ذلك من الجبابرة موقع القطع والبتّ .

والثاني : أن يكون جيء [به][7] تعليما للعباد أن يكونوا بين الخوف والرجاء .

---

(١) محمد : ٢٢ (٢) بعدها في الصاحبي : هل جزَمْتُم ؟

(٣) الإسراء : ٨ (٤) التحريم : ٥ (٥) الكشاف : ٢ — ٤٧٣

(٦) في الكشاف : عادة الجبابرة . (٧) من الكشاف .

وفى البرهان[1] : عسى ولعل من الله واجبتان . وإن كانتا رجاءً وطمعاً فى كلام المخلوقين ؛ لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون ، والبارى منزَّهٌ عن ذلك . والوجه فى استعمال هذه الألفاظ أن الأمور الممكنة لما كان الخلق يشكّون ولا يقطعون على الكائن منها ، والله يعلم الكائنَ منها على الصحة صارت لها نسبتان : نسبة إلى الله تعالى تسمَّى نسبة قطع ويقين ، ونسبة إلى المخلوق تسمى نسبة شكٍّ وظن ؛ فصارت هذه الألفاظ لذلك تارة تَرِدُ بلفظ القطع حسبما هى عليه عند الله نحو[2] : « فسوفَ يأتى اللهُ بِقَوْمٍ يحبُّهم ويحبونه » . وتارة بلفظ الشكِّ بحسب ما هى عليه عند الخَلْق ، نحو[3]: «فعسَى اللهُ أنْ يأتِىَ بالفَتْحِ أو أمْرٍ مِنْ عنده » . «[4] فقُولَا له قَوْلًا لَيّنا لعلَّه يتذكَّرُ أو يخْشى » . وقد علم اللهُ حالَ إرسالهما ما يفضى إليه حال فرعون ، لكن ورد اللفظ بصورة ما يختلج فى نفس موسى وهارون من الطمع والرجاء ، ولما نزل القرآن بلغة العرب جاء على مذاهبهم فى ذلك ، والعربُ قد تُخْرِج الكلام المتيقّن فى صورة المشكوك لأغراض .

وقال ابن الدهان : عسى فعل ماضى اللفظ والمعنى ؛ لأنه طمَعٌ قد حصل فى شىء مستقبل . وقال قوم : ماضى اللفظ مستقبل المعنى ؛ لأنه إخبار [٢١٥ ب] عن طمع يريد أن يقع .

تنبيـــه

وردت فى القرآن عسى على وجهين :

أحدها رافعةٌ لاسْمٍ صريح بعده فعلٌ مضارع مقرون بأن . والأشهر

(١) البرهان : ٤ ـ ٢٩٨ ، ٣٩٢
(٢) المائدة : ٥٤
(٣) المائدة : ٥٢
(٤) طه : ٤٤

في إعرابها حينئذ أنها فعل ناقص عامل عمل كان ، فالمرفوعُ اسمُها وما بعده الخبر .
وقيل متعدّ بمنزلة قارب معنى وعملًا ، أو قاصر بمنزلة قرب ، وأنْ يفعل بدل اشتمال مِنْ فاعلها .

الثاني أن يقع بعدها[1] أن والفعل ، فالمفهوم من كلامهم أنها حينئذ تامة .

وقال ابن مالك : عندي أنها ناقصة أبداً ، وأنْ وصِلتُها سدّتْ مسدّ الجزأين كما في[2] : « أحسِبَ الناسُ أن يُترَكُوا » .

(عند) : ظرف مكان تستعمل في الحضور والقُرْب ، سواء كانا حسيَّيْن ، نحو[3] : « فلما رآه مستقِراً عنده » . «[4] عند سِدْرَةِ المُنْتَهى » . «[5] عندها جَنَّةُ المأوى » . أو معنويَّيْن نحو[6] : « وقال الذي عنده عِلْمٌ مِنَ الكتاب » . «[6] وإنهم عندنا لمن المُصْطَفَيْنَ الأَخيارِ » . «[7] في مَقْعَد صِدْقٍ عند مَليك مُقْتَدر » . «[8] أحياء عند ربهم » . «[9] ابْنِ لي عندكَ بيتاً في الجنة » . فالمرادُ في هذه الآية قُرْب التشريف والمنزلة وطلب الجار قبل الدار .

ولا تستعمل إلا ظرفاً أو مجرورة بمن خاصة ، نحو : من عندك . ولما جاءهم رسول مِنْ عند الله . وتعاقبها لدى ولَدُن ، نحو[10] : « لدَى الحناجر » . «[11] لَدَى البـــابِ » . «[12] وما كنْتَ لدَيْهم إذ يُلْقُون أقلامَهم » . «[12] وما كنْتَ لديهم إذ يختصمون » . وقد اجتمعتا في قوله تعالى[13] : « آتَيْناهُ رحمةً مِنْ عندنا وعلَّمناه مِنْ لَدُنّا عِلما » .

---

(١) نحو : عسى الله أن يأتي بالفتح .
(٢) العنكبوت : ٢
(٣) النمل : ٤٠
(٤) النجم : ١٤
(٥) النجم : ١٥
(٦) ص : ٤٧
(٧) القمر : ٥٥
(٨) آل عمران : ١٦٩
(٩) التحريم : ١١
(١٠) غافر : ١٨
(١١) يوسف : ٢٥
(١٢) آل عمران : ٤٤
(١٣) الكهف : ٦٥

ولو جيء فيهما بعند أو لدن صحّ ، ولكن ترك دفعاً للتكرار ، وإنما حسن تكرار لدى فى : وما كنت لدَيْهم ، لتباعُد ما بينهما .

وتفارق عند ولدى « لَدُن » من ستة أوجه ؛ فعند ولَدَى تصْلحُ فى محل ابتداء غاية وغيرها ، ولا تصلح لدن إلا فى ابتداء غاية .

وعند ولَدَى يكونان فَضْلَة نحو : « وعندنا كتابٌ حَفيظ » . «[1] ولدينا كتابٌ ينطقُ بالحق » . ولدن لا تكون فَضْلة .

وجر «لدن» بمِنْ أكثرُ من نَصْبِها ، حتى إنها لم تجىء فى القرآن منصوبة .

وجرّ « عند » كثير . وجرّ «لدى » ممتنع .

وعند ولدى معربان ، ولَدُن مبنية ، فى لغة الأكثرين .

ولدن قد لا تضاف ، وقد تضاف للجملة بخلافهما . وقال الراغب[2] : لدن : أخصّ من عند وأبلغ ، لأنه يدلّ على ابتدائها بالفعل .

وعند أمكَنُ من لدن من وجهين : أنها تكون ظرفية للأعيان والمعانى بخلاف لدى ، وعند تستعمل فى الحاضر والغائب ، ولا تستعمل لدى إلّا فى الحاضر؛ ذكرهما ابن الشجرى وغيره .

---

(١) المؤمنون : ٦٢

(٢) فى المفردات : ٤٩ .

حرف الغين المعجمة

(غَمَام) : سحاب أبيض ، سُمِّي بذلك لأنه يغمّ السماء ، أي يسترها . ومنه : « هل يَنْظرونَ إلّا أنْ يأتيَهم اللهُ في ظُلَلٍ من الغمَام »[1] : جمع ظلة ، وهو ما علاكَ من فَوْق ، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال ، وإن كان لله[2] فهو من المتشابه ؛ فيجب الإيمان بها من غير تكييف كما قدمنا في وَجْه المتشابه وتأويله عند المتأوّلين يأتيهم عذاب الله في الآخرة ، أو أمره في الدنيا . ويحتمل أن يكون ينظرون بمعنى يطلبون ذلك لجهلهم ؛ كقولهم[3] : « لولا يكلِّمُنا الله » .

(غفور) : من أسماء الله ، ومعناه الساتر على عباده ذنوبهم . ومنه المِغْفَر ؛ لأنه يستر الرأسَ . وغفرتُ المتاعَ في الوِعاء إذا جعلته فيه ، لأنه يغطيه ويستره .

(غلول) : من الخيانة والأخذ من المغنم بغير حق . وقد جاء الوعيد لمن غلّ شيئاً بأنْ يسوقه يوم القيامة على رقبته في قوله تعالى[4] : « يَأْتِ بما غَلَّ يوم القيامة » . وقد جاء ذلك مفسَّراً في الحديث ، قال صلى الله عليه وسلم : لأُلفِيَنَّ أحدَكم على رقبته رِقاعٌ يوم القيامة . لألفينّ أحدَكم على رقبته صامتٌ . لألفين أحدَكم على رقبته إنسان ؛ فيقول : يا رسول الله . أَغِثْني ؛ فأقول : لا أملك لكَ من الله شيئاً .

فتأمّل أيها المخالف ، هل يمنعك من الله أحدٌ إلا أن يأخذَ الله لمن يشاء .

---

(١) البقرة : ٢١٠ (٢) أي النظر . (٣) البقرة : ١١٨
(٤) آل عمران : ١٦١

هذا رسولُ الله سيد الأوّلين والآخرين يقول : يا بني عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئا . يا فاطمة بنت محمد ، لا أملك لك من الله شيئا . فكيف يتّكلُ المغرور على أحد فى مخالفته أمر الله .

(غائط[1]) : مكان منخفض ، ثم استُعمل فى حاجة الإنسان ؛ لأن العرب كانوا يطلبون ذلك فى قضاء [٢١٦ أ] حوائجهم ، فكنى عن الحدَث بالغائط .

(غَمَرات الموت[2]) : شدائده وكرباته كما يغمر الشيء إذا علاه وغطّاه ؛ فتذكر أيها الأخ كرباته وسكراته ، فإن كنتَ منهمكا نفّرك ، وإن كنت تائباً رقاك بمحبة تأخيره لتغنم أو تعجيله لتسلم . وإن كنت محبّا شوّقك ؛ لأن المحب يحبُّ لقاء حبيبه ؛ ولكن التفويض أعلى . ولو انتظرنا ضربة شرطى لتكدّر عيشنا ، فكيف وفى كل نفس يمكن مجىء الموت بسكراته وغُصصه ؛ ونودّ أن لو قدرنا على صِياح وأنين ، ويودّ مَنْ حضره فترةَ ساعةٍ ؛ ليقول : لا إله إلا الله ، فلا يُمهل ، وتُجذَب رُوحه من كل عُضو وعِرق ، فتبرد قدماه ، ثم ساقاه ، ثم فَخِذاه ، وهكذا حتى تبلغ الحلقوم ؛ فعنده ينقطعُ نظرُه إلى دنياه ، ويغلق عنه باب توبته ؛ كما رُوِي أن الله يَقبلُ توبةَ عَبْده ما لم يغرغر ، ثم يرى ملائكةَ ربِّه تعالى وثناءهم عليه ، وقولهم[3] : «اليوم تُجْزَوْن عذابَ الهُونِ...» الآية ؛ فيالها من مصيبة لو عقل ؛ ولهذا كانوا رضى الله عنهم يُديمون ذِكْرَ الموت ، ويخافون من سُوء العقيدة . وفى الصحيحين : إن المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته ، فليس شىء أحبّ إليه مما أمامه ؛ ومن ختم له

---

(١) النساء : ٤٣ (٢) الأنعام : ٩٣ (٣) الأنعام : ٩٣

بشرٍ قصدَه ؛ وسببُه عقيدةٌ فاسدةٌ تثمر عند موته الجحود أو الشك، فما لم يُرْحَم بتوبةٍ عذابُه دائمٌ ، نسأل الله العافية .

وإذا تأملنا وجدنا أسباب ســــوءِ الخاتمة موجودة فينا ، وسأُنبئك بأقلها ؛ وهي :

الإصرار على فعل منهيٍّ ، أو صفة مذمومة ؛ كعُجْب ونحوه .

ومنها الغفلة عن ذكر الله ، فقد خطف خلقٌ كثير بنزعة الشيطان لتمكّنه منهم . ولهذا اختار الشارعُ لفظَ الشهادتين ، فإن الشيطان يجهد فى شبهة مكفّرة عند الموت ، غالبها فى الرسالة ؛ أمامه اقتصارنا على التهليلة ؛ وكل ما نزغ فى التوحيد دفع بلا إله إلا الله ، أو فى الرسالة دُفع بمحمد رسول الله ؛ فكأنّ التهليلة صلاة ؛ وذكر سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبطلها ؛ وإن كان أجنبيا منها . كيف وأجلّ أسنان مفتاح التهليلة الشهادة الثانية ؛ فأكثِر من ذكرِ هذه الكلمة المشرّفة ، حتى تمتزج مع معناها بلحمك ودمك ، واطلب منه سبحانه الثباتَ عليها ، فقد قطع ظهورَ[1] العابدين سوء الخاتمة ، فكيف يُخْصِب لك جَنَابٌ حتى ترى ما خَطّ لك فى أمّ الكتاب . وعلامةُ حسن الخاتمة استقامة ودوام ذكرٍ ؛ للحديث : يموت المرءُ على ما عاش عليه . وللحديث : كلٌّ مُيَسَّر لِمَا خُلِق له . فكيف نطمع بحسنها وقد غرقنا فى حبِّ الدنيا والمواظبة على خصالٍ مذمومة ، وعند فراقنا لها يخاف علينا من استيلاء الشيطان لتمكّنه منَّا عند الموت. وعلامةُ ذلك أن فى حبها طولَ أملنا ، ونسينا الآخرةَ ، والهوَى يصدُّ عن الحق؛ فكل فتنة أتتنا فمن حُبّ الدنيا والجهل بمصارع أقراننا فى كل ساعة . أمرنا الصادقُ المَصْدُوق أن نكونَ فيها كالغريب أو عابرى سبيل ، وإذا أمسينا فلا ننتظر

---

(١) جمع ظهر .

الصباحَ ، وإذا أصبحنا فلا ننتظر المساءَ ، ونأخذ من صحتنا لسقمنا ، ومن حياتنا لموتنا ؛ فأعرضنا عن نُصْحه ، وأطَلْنا أملَنا مع رؤيتنا لموت الأطفال والشبّان ؛ ولهذا بادر مَنْ فتح الله بصيرته ، فكان يصلّي الصبح بوضوء العشاء ؛ وآخر لم يضعْ جَنْبه على الأرض عشرين سنةً ، وآخر حسب ما بين مضغ اللقمة وبَلْعها خمسين تسبيحة ، فكان لا يتقوّت إلا بحساء الشعير ؛ وآخر يقومُ ليلا ولا يُغفي إلا إغفاءَ الطير . وآخر وِرْدُه كلَّ يوم مائة ألف تسبيحة . وآخر لا يتحدث مع أخيه فيعاتبه على ذلك ، فيقول له : أبادِرُ خروج رُوحي . ونحن مشتغلون بدُنْيا فانية ، ويا ليتنا نِلْنا منها شيئاً ؛ هـذا سليمانُ أعطِي منها ما لم يُعْطَه أحدٌ قبله ولا بعده ، والرياح تجرى بأمره رُخاءً حيث أراد ، فلما استوْسق مُلْكه قال : هذا من فَضْلِ ربى ... الآية ؛ فما عَدَّها نعمةً كما نعدّها ، ولا حسبها [٢١٦ ب] كرامةً من الله كما نظنُّها ، بل خاف أن يكونَ استدْراجا من حيث لا يعلم ؛ ونحن أنعم علينا بنعمها لنصرفها فى الطاعة ، فغفلنا عنه وصرفْناها فى معصيته ؛ أليس من الخسران المبين ما نحن فيه من الضلال المبين ؟ عِشْنا عَيْش البهائم ؛ بل هى أحسن حالا منّا ؛ لأنها تحس ونحن فى موت الحسّ . اللهم يا منقذَ الغرقاء ، ويا منجّى الهَلْكَى بعد أن يئسوا ، أنقذْنا من هذا الوحل المظلم بجاه نبيك الكريم ، عليه أفضل صلاةٍ وأزكى تسليم .

(غبر) : له معنيان : ذهب وبقى . ومنه[1] : « عجوزاً فى الغَابِرين » ؛ أى فى الهالكين . قد غبرَتْ فى العذاب : أى بقيت فيه ولم تسرْ مع لوط . ويقال فى الباقين ؛ وإنما جمع جَمْع المذكر تغليباً فى الرجال .

(غَيّاً[2]) : خسرانا . وقد يكون بمعنى الضلال ، كقوله[3] : «وإن يرَوْا

---

(١) الشعراء : ٧١ (٢) مريم : ٥٩ (٣) الأعراف : ١٤٦

سبيلَ الغَيِّ يتخذوه سبيلا ». فيكون على حذف مضاف ، تقديره يلقون جزاءَ غَيٍّ .

(غار[1]) : نقب في الجبل .

(غَيَابَةِ الْجُبِّ[2]) : غوره ، وما غاب منه ؛ قال بعض أهل العلم : إنما قال ألقوه في غَيَابة الجب أخوه إربيل[3] ، وقيل يهوذا ، ففعلوا ذلك ؛ فلما أرسلوه في الجبِّ أرادوا أن يقطعوا الحَبْل ؛ فبعث الله جبريل عليه السلام ليأخذه ويؤْنسه ، وقال : يا يوسف ، لا تغتمّ ، إنهم قطعوا حبْل النَّسب ، وأنا وصلْتُ حبل الوصلة والسبب .

كذلك المؤمن ، يريد الشيطان أن يقطعَ بينه وبين مولاه حبلَ الوصلة ، والله يريد وَصْلها به ؛ لأنه الغفور الوَدُود ، وكيف يقطعها وقد حبَّب إليه الإيمانَ وزينه في قلبه ، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان ! ألا ترى يوسف وموسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم أجمعين ، حبّبهم الله إلى الخلق ، ولم يضيّعهم في أيدي الأعداء ؛ بل تولَّى حفْظهم ونجاتهم .

(غاشِيَةٌ مِنْ عذابِ الله[4]) : غَشِي الأمر يغشى ـ بالكسر في الماضي والفتح في المضارع ـ معناه غَطى ، حِسًّا أو معنى . ومنه[5] : « والليل إذا يَغْشَى » ؛ لأنه يُغطي بظلامه . وينقل بالهمزة والتشديد ، فيقال : غَشَّى وأغشى . «[6] ومِنْ فوقهم غَوَاشٍ » ؛ يعني ما يغشيهم من العذاب . والغاشية أيضا القيامة ؛ لأنها تغشى الخلق . وقيل : هي النار ، من قولهم[7] : « وتَغْشَى وجوهَهم النار » .

---

(١) التوبة : ٤٠ (٢) يوسف : ١٠ ، ١٥

(٣) في القرطبي (٩ ـ ١٤١ ، ١٤٢) : روبيل . (٤) يوسف : ١٠٧

(٥) الليل : ١ (٦) الأعراف : ٤١ (٧) إبراهيم : ٥٠

وهذا ضعيف ؛ لأنه ذكر بعد ذلك قسمين : أهل الشقاوة ، وأهل السعادة .

(غَوْراً[1]) : مصدر وُصف به ؛ فهو بمعنى غائر ؛ أي ذاهبٌ في الأرض . وقد قدمنا معناه في قوله : مَعين .

(غَرَاما[2]) : ملازما . قال الحسن : كلُّ غريم مفارق غريمه إلا النار .

(غُرورا[3]) : قد قدمنا أنه بفتح الغين الشيطان ، وبضمها الباطل ، مصدر، من غررت .

(غَرَابِيب سُود[4]) : قد قدمنا أنه جمع غِرْبيب ؛ وهو الشديد السواد ، وقدم الوصف الأبلغ لقصد التأكيد .

(غَوْل[5]) ، بفتح الغين : اسم عام في الأذى والضرّ . ومنه يقال : غاله وأغاله ، إذا أهلكه . وقيل : الغَوْل وَجَع في البطن . ويقال الغضب غَوْل الحلم، والحرب غول النفوس ؛ وإنما قدم المجرور في قوله : لا فيها غَوْل ؛ تعريضا بخمر الدنيا ؛ لأن فيها غَوْل .

(غَسَّاقًا[6]) : بتخفيف السين وتشديدها : صَدِيد أهل النار . وقيل : ما يَسِيل من عيونهم . وقيل : عذابٌ لا يعلمه إلا الله .

(غَاسِقٍ إذا وَقَب[7]) : فيه أقوال : الليل إذا أظلم . ومنه قوله[8] : « إلى غَسق الليل » ، وهو قول الأكثر ؛ لأن ظلمةَ الليلِ ينتشر عندها أهلُ الشر من الإنس والجن ؛ ولذلك قيل في المثل : الليل أخفَى للويل . وقيل القمر ؛

---

(١) الكهف : ٤١ (٢) الفرقان : ٦٥ (٣) الأحزاب : ١٢
(٤) فاطر : ٢٧ (٥) الصافات : ٤٧ (٦) النبأ : ٢٥
(٧) الفلق : ٣ (٨) الإسراء : ٧٨

الحديث: يا عائشة ، استعيذي بالله مِنْ شَرّ هذا الغاسق ؛ وأشار إليه . ووُقوبه على هذا كسوفه ؛ لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسّواد ؛ وبمعنى الدخول ؛ فالمعنى إذا دخل في الكسوف ، أو إذا أظلم به . وقيل : الشمس إذا غربت ، والوقوب على هذا بمعنى الظلمة ، أو الدخول . وقيل النهار إذا دخل في الليل وهذا قريبٌ من الذي قبله وقيل الغاسق سقوط الثريا ؛ لأنها تهيج عندها الأسقام والطاعون للحديث : النجم هو الغاسق ؛ فيحتمل أن يريدَ الثريا . وقيل إنه الذَّكَر [٢١٧ ا] إذا قام ، حكاه النقاش عن ابن عباس ؛ لأنه لا يملك الإنسان نفسه مع انتشاره ؛ ولهذا أُمِر مَنْ ذكر الله عند جماعة بأن الشيطان لا يضرُّ ولده إنْ كان ؛ لأنه آثر ذِكْرَ الله على شهوة نفسه .

وقال الزمخشري[1] : يجوز أن يريد بالغاسق الأسود من الحيات ، ووَقْبه ضربه . وحكى السهيلي أنه إبليس .

(غادَرَ) : ترك . ومنه[2] : « لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرة » . «[3] فلَمْ نُغادِرْ منهم أحدا » .

(غُلْف[4]) : جمع أغلف ، وهو كلُّ شيء جملته في غلاف ؛ ولما قالوا[5] : «قلوبنا في أكِنَّة مما تدعونا إليه» ؛ أي محجوبة ـ ردَّ الله عليهم بأنَّ عدمَ إيمانهم بسبب كفرهم ؛ «[6] فقليلا ما يُؤمنون » ؛ أي إيمانا قليلا يؤمنون . وما زائدة . ويجوز أن تكون القلةُ بمعنى العدم أو على أصلها ؛ لأن من دخل منهم في الإسلام قليل ، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض .

(غُرْفة[6]) ، بضم الغين لها معنيان : المسكن المرتفع ، ومنه[7] : « أولئك

---

(١) الكشاف : ٢ ـ ٥٦٨ (٢) الكهف : ٤٩ (٣) الكهف : ٤٧
(٤) البقرة : ٨٨ (٥) سورة فصلت : ٥ (٦) البقرة : ٢٤٩
(٧) الفرقان : ٧٥

يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ » . « وهم في الغُرفات آمِنون »[1] . وغَرفة من الماء ــ بالفتح : المرة الواحدة . ومنه[2] : « إلا من اغترف غرفةً بيده » . وقرىء بضم الغين ؛ وهو المصدر ، وبفتحها هو الاسم .

(غُفْرانَكَ[3]) : مصدر ، والعامل فيه مضمر ، ونصب على المصدرية ؛ تقديره : اغفر غُفْرانك . وقيل على المفعولية ، تقديره نطلب غفرانك .

(غُزًّى[4]) : جمع غاز ، ووزنه فعّل ــ بضم الفاء وتشديد العين . ومعناه إن المنافقين قالوا لإخوانهم من الأوس والخزرج يوم أُحد[4] : « إذا ضربوا في الأرض » ؛ أي سافروا ؛ وإنما قال « إذا » التي للاستقبال مع قالوا ؛ لأنه على حكايةِ الحال الماضية ؛ لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يُقتلوا . وهذا قول مَنْ لا يؤمن بالقَدَر والأَجَل المحتوم ؛ ويقرب منه مذهبُ المعتزلة في القول بالأجَلين .

(غَلَا) يَغْلُو ، من الغلوّ ، وهو مجاوزة الحدّ والإفراط ؛ ومنه[5] : « لا تَغْلُوا في دِينكم » .

(غُمَّةً[6]) : وغَمّ ، كَكُرْبة وكَرْب بمعنى ظُلْمة .

(غُثَاء[7]) : يعني هالكين كالغُثَاء ، وهو ما يحمل السيلُ من الورق وغيره مِمّا يبلى ويسودّ . ومنه قوله تعالى[8] : « والذي أخرج المَرْعى . فجعله غُثاءً أحْوى » . فمعناه أنّ الله أخرج النباتَ أخضر ، فجعله بعد خُضْرته غُثاء أسود ؛ لأن الغثاء إذا قدم تعفّن واسودّ .

---

(١) سبأ : ٣٧ (٢) البقرة : ٢٤٩ (٣) البقرة : ٢٨٥
(٤) آل عمران : ١٥٦ (٥) النساء : ١٧١ (٦) يونس : ٧١
(٧) المؤمنون : ٤١ (٨) الأعلى : ٤ ، ٥

وقيل : إن « أحوى » حال من المرعى ؛ ومعناه الأخضر الذى يضرِبُ إلى السواد . وفى الكلام على هذا تقديم وتأخير ، تقديره الذى أخرج المرعى أحوى ، فجعله غثاء . وفى هذا القول تكلّف .

(غُرُفات[1]) : جمع غرفة . وقد قدمنا أنها اسم جنس .

(غُصّة[2]) : أى يختنق به آكله . وقيل : هو شَوْك من نار يعترض فى حلوق أهل النار ، لا ينزل ولا يخرج . وروى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق .

(غِشَاوة[3]) : مجاز باتفاق بمعنى الغطاء ، تقول: غشيت الشىء غطّيته ، ووحّد السمع فى قوله[3] : «وعلى سَمْعِهم» ؛ لأنه مصدر فى الأصل ، والمصادر لا تُجْمع .

(غِلّ) : عداوة وحسد . ومنه[4]: « ونَزَعْنَا ما فى صدُورِهم مِنْ غِلٍّ إخوانا على سُرُرٍ مُتَقَابِلِين » .

(غِلْظَة) : أى شدة ؛ ومنه[5] : « لو كنْتَ فَظًّا غَليظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك » ؛ أى تفرقوا . وأما قوله تعالى[6] : « قَاتِلُوا الذين يَلُونَكُمْ مِنَ الكفّار ولْيَجِدُوا فيكم غِلْظَة » ــ فمعناه الأمر بقتل الأقرب فالأقرب ، والشدة فى إجلابهم على تدريج .

وقيل إنها إشارة إلى قتل الروم بالشام ؛ لأنهم كانوا أقرب الكفّار إلى أرض العرب ، وكانت أرض العرب قد عمّها الإسلام ، وكانت العراق حينئذ بعيدة .

(غُلِبت الرومُ. فى أَدْنَى الأَرْضِ[7]) : المراد به هزم كسرى ملك الفرس .

---

(١) سبأ : ٣٧ (٢) المزمل : ١٣ (٣) البقرة : ٧
(٤) الحجر : ٤٧ (٥) آل عمران : ١٥٩ (٦) التوبة : ١٢٣
(٧) الروم : ٢ ، ٣

وأدنى الأرضِ بين الشام والعراق ، وهى أدنى أرض الروم إلى فارس . وقيل : فى أدنى أرضِ العرب منهم ، وهى أطرافُ الشام . وقد قدمنا أنها سُميت الروم باسم جدهم .

(غِيض[1]) الماء ، وغاض : نقص ، بلغة الحبشة .

(غِسْلِين[2]) : قد قدمنا أنه غسالة أهل النار ، وكلّ جرح أو دبر غسلته فخرج منه ماءٌ فهو غِسْلين .

(غير) : اسم ملازم للإضافة والإبهام ، فلا تنصرف ما لم تقع بين ضِدَّين. ومن ثَمّ جاز وصفُ المعرفة بها فى قوله[3] : « غير المغضوب عليهم » .

والأصل [٢١٧ ب] أن تكون وصفاً للنكرة نحو : نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل . وتقع حالا إن صلح موضعها لا . واستثناء إن صَلح موضعها إلا ؛ فتعرب بإعراب الاسم الواقع بعد إلا فى ذلك الكلام . وقرىء قوله تعالى : لا يستوى القاعِدُون من المؤمنين غَيْرُ أولى الضَّرَر - بالرفع على أنها صفة للقاعدين، أو استثناء وبدل على حَدّ : ما فعلوه إلا قليلٌ . وبالنصب على الاستثناء . وبالجر خارج السبع صفة للمؤمنين .

وفى المفردات للراغب[4] : غير يقال على أوجه :

الأول : أن تكون للنفى المجرد من غير إثباتِ مَعْنًى به ، نحو : مررتُ برجل غير قائم ؛ أى لا قائم ، قال تعالى[5] : « ومَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هواهُ بغَيْرِ هُدًى مِنَ الله » . «[6] وهو فى الخصام غَيْرُ مُبين » .

الثانى : بمعنى إلّا فيُستثنَى به ، ويوصف به النكرة ، نحو[7] : « ما لكم

---

(١) هود : ٤٤ (٢) الحاقة : ٣٦ (٣) الفاتحة : ٧

(٤) المفردات : ٣٦٨ (٥) القصص : ٥٠ (٦) الزخرف : ١٨

(٧) الأعراف : ٥٩

من إلهٍ غيره » . «[1] هل من خالق غير الله » .

الثالث لنفي الصورة[2] من غير مادتها ، نحو : الماء [إذا كان][3] حارا غيره إذا كان باردا . ومنه قوله تعالى[4] : « كُلّما نَضِجت جلودُهم بدّلناهم جُلوداً غيرَها » .

الرابع : أن يكون ذلك متناولا لذاتٍ ، نحو[5] : « يَقُولونَ على الله غير الحق » . «[6] أغير الله أبغي ربّاً » . «[7] إيت بقرآن غير هـــذا » . «[8] ويستبدل قوماً غيرَكم » .



(١) فاطر : ٣
(٢) في المفردات : لنفي صورة ...
(٣) من المفردات .
(٤) النساء : ٥٦
(٥) الأنعام : ٩٣
(٦) الأنعام : ١٦٤
(٧) يونس : ١٥
(٨) التوبة : ٣٩

فهرس الجزء الثانى (*)

الوجه الخامس والثلاثون من وجوه إعجازه

ألفاظه المشتركة (تابع)

(*) هذا فهرس الجزء الثانى ، اقتصرنا فيه على الموضوعات العامة ، أما الفهارس الفنية المتنوعة للكتاب كله فوضعها آخر الكتاب إن شاء الله .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٠/٥٩٢١